Vol 6

1

المقتبس

مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas(Syrie)

Pédagogie. sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménagerie, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها

محمد كرد علي

المجلد السادس

١٣٢٩ — ١٩١١

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

ABONNEMENT 13 FRCS

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتتح المقتبس سنته السادسة بحمده تعالى ان يسر له قطع شوط صح عده شيئاً في عمر المجلات . و يغتبط اليوم ان يرى له موقعاً من نفوس العلماء والادباء ومكانة من مجامعهم وانديتهم وسبيلا الى الانتشار بين الخاصة في كل بلد يتكلم اهلها باللغة العربية او يرغبون في تلقفها . و يعود فيعاهد قراءه على ان يتعاهدهم كل شهر كما عودهم بنشر الابحاث النضيجة مشبعاً اياها درساً وتمحيصاً ما ساعدته بيئته ومادته فينقل للشرقيين ماتبرزه عقول الغربيين ويمثل للغربيين ما تنتجه قرائح الشرقيين من الاقدمين والمحدثين ويعنى من المباحث عناية خاصة بعلوم التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد واللغة والادب والتاريخ والآثار وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب ولا يتعرض للعلوم الاخرى الا بقدر ماله علاقة بالموضوع ويتجافى عن مس العواطف الدينية والمنازع السياسية عملا بالخطة التي رسمها في اول جزء صدر منه على ضفاف النيل

ولقد هيأ الزمان لهذه المجلة طائفة من العلماء الباحثين والكاتبين المفكرين اخذوا على انفسهم كما فعلوا في السنين الغابرة ان يوافوها اثابهم الله الشهر بعد الشهر بخلاصة ابحاثهم ويعلموا الناس مما علموا وزكنوا وهذا مما يزيد الثقة بهذا العمل العلمي وعمل الجماعة امتع وانفع وعمل الفرد لا يخلو من ضعف وضؤولة . وهاك اسماءهم اقراراً بافضالهم على العلوم والآداب :

احمد بك تيمور (القاهرة) احمد بك زكي (القاهرة) امين افندي ريحاني (نيو يورك) الشيخ جمال الدين القاسمي « دمشق » جرجي افندي الحداد « دمشق » خليل افندي رفعت « دمشق » خليل بك سعد « بيروت » رشيد افندي بقدونس « سلانيك » رفيق بك العظم « القاهرة » زكي افندي الخطيب « سنجار » صلاح الدين افندي القاسمي « دمشق » صاتسنا « بغداد » سليم افندي البخاري « دمشق » شكري افندي العسلي « دمشق » الشيخ طاهر الجزائري « القاهرة » الدكتور عبد الرحمن شهبندر « دمشق » عبد القادر افندي المغربي « طرابلس الشام » عبد الله افندي عناص « حيفا » عبد الوهاب افندي الانكليزي « الباب » عيسى افندي اسكندر معلوف « زحلة » فارس افندي الخوري « دمشق » فارس افندي فياض « دمشق » محمود شكري افندي الآلوسي « بغداد » يوسف افندي جرجس زخم « نبراسكا »

كتاب البئر

من مصنفات امام ائمة اللغة والادب ابي عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي
توفي سنة ثلاثين ومائتين رحمة الله عليه
ترجمته في ص ٢٠٧ من كتاب نزهة الادباء
عني بنشره وتعليق حواشيه السيد محمود شكري الآلوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ الامام ابو محمد عبدالله بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي قراءة عليه وانا اسمع بجامع القصر من مدينة السلام يوم الجمعة ثالث عشري شهر الله الاصب من سنة خمس وخمسين وخمسمائة . قال اخبرنا القاضي ابو الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء قال انبأنا الشيخ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري ، قال اخبرنا ابو عمر محمد ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة .

قال قرأ هذا الكتاب ابو الحسن الرزاز علي بن عبد الله محمد بن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانا حاضر اسمع قال حدثنا ابو العباس احمد[1] يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي قال وقرأه الرزاز ايضا على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب على معنى التصحيح قال : صفة البئر عن ابن الاعرابي .

قال واخبرني ايضا الشيخ الامام المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن ابن عبد الملك بن ابراهيم بن عبدالملك السلمي الرقي قراءة عليه بمدينة السلام في منزله في شعبان من سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمعته ايضا من قراءته قال : اخبرنا الشيخ الحافظ ابو الفضل محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي والفقيه ابو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري قراءة عليهما في صفر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فاقر به قال : اخبرنا الشيخ ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قراءة

---

(١) كذا الاصل وفي كتاب نزهة الالباء في طبقات الادباء ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب كان امام الكوفيين في النحو

عليه في يوم الجمعة خامس عشر صفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فاقر به قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قرآءة عليه وانا اسمع في المحرم سنة احدى وخمسين واربعمائة قال اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيويه الخزاز قرآءة عليه في يوم الاربعآء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى عَلَى ابي عبيد الله محمد ابن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع عَلَى ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب عَلَى معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابي قرآءة عَلَى ابي العباس احمد بن يحيى النحوي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي قال : يقال للارض اذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأس رماد كالحمامة ماثل ونؤيان في مظلومتين كلاهما

ويقال اذا حفر قعدة الرجل او قعدتين قيل « حفر اوقة [1] او اوقتين » قال الشاعر

وانغمس الرامي لها بين الاوق [2]

قال ابو عمر هو اوقة بالفتح وجمعها اوق كذا سماعي من ثعلب قال ابو العباس الاوقة بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتدأ حفر البئر فهي بدء فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق وامتعق وحفر معيق وعميق واذا اخذ جانبها قيل قد لجف [3] قال الشاعر

اذا انتحى معتمقا او لجفا

ويقال لجانب البئر الجال والجول وانه لغير ذي جول اي انه قليل العقل وانه لغير

---

(١) وفي القاموس الاوقة الجماعة وبالضم الركية مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤبة وآخره « في غيل قصباء وخيس مختلق »

«٣» المجنف الذي يحفر في ناحية من البئر والتلجيف التحفر في نواحي البئر ولجفت البئر تلجيفا حفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة فلجفها قال العجاج يصف ثوراً :

بسلهبين فوق انف ادلفا اذا انتحى معتمقا اولجفا

متماسك الجول يقال ذلك للرجل اذا كان يحمق فاذا حفرها حتى يبلغ المآء قيل قد انبطها والمآء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها

واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها ٠

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خسيف وهي التي خسف جبلها قال الشماخ:

من الكلى في خسف رويات

ويقال حفر حتى اعان واعين اى حتى استخرج المآء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او عَلَى حجر وكذلك اكدى قال ابو زبيد:

ياعثم ادركني فان ركيتي صلدت فاعيت ان تبض بمآئها

وحفر فاجبل وقع على جبل واسهب وقع عَلَى رمل او تراب يغلبه

ويقال لتراب البئر البغيثة والنبيثه[1] والنثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي:

وقد ارسلوا فراطهم فتأثلوا قليبا سفاها كالاماء القواعد

ويقال مآء نمير اذا كان يوافق الشاربة وينجع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم:

وشربت بالمـآء النمير ولم أترك أُلاطم حمأة الجفر

وقال آخر:

قد جعلت والحمد لله تقر من مآء عد في جلودها نمر

قال ابو عمر: تقر تسكن من قولك وقر يقر اذا سكن ويقال مآء شريب عذب وشريب ايضا ثقيل ومآء مأج وقد مؤج يمؤج مؤجة ومياه مائجة

واسماء البئر

الركية والجمع ركايا ٠ والقليب والجمع قلب ٠ والفقير وهي التي فقر جبلها فاتخذت حديثا ٠ والطوي والجمع اطوآء ٠ والبدني وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس لانها ربما تقوضت واتسع رأسها وربما كانت غير بعيدة القمر ٠ والبدي حين تبتدأ وهي

(١) قال ابو زيد نبث ينبث نبثًا مثل نبش ينبش وهو الحفر باليد والنبيثة تراب البئر والنهر قال الشاعر

وان نبثوا بئري نبثت بئارهم وسوف ترى ماذا ترد النبائث

القريح وقال بعض الاعراب البدي يحفر للغرس يريد الفسيل والماتح [1] يضع رجلا عَلَى هذا الجانب ورجلا عَلَى هذا الجانب الآخر .

والبدي مربعة وهو يمتح منها بيده بغير قامة فاذا دور رأسها فهي القليب ويقال لفم البئر شحوتها وجرابها جوفها من اعلاها الى اسفلها ويقال بئر شديدة الجراب اذا لم تحتج ان تطوى والبئر والركية اثنيان والقليب والطوي ذكران قال ابو عمر : القليب والطوي يذكران ويؤنثان والشطون من الركايا التي في جوانبها عوج لايخرج دلوها الا بحبلين . فاذا طويت بخشب فهي معروشة وقد عرشت تعرش عرشا والمزبورة المطوية بالحجارة وغير الحجارة يقال زبرتها زبرا وضرستها [2] اضرسها ضرسا طويتها بالحجارة واذا استقي بالدلو من البئر باليد قيل بئر متوح واذا كانت على بكرة بنزع باليد نزعا قيل نزوع ونشوط التي انما حبلها نشطة واحدة وبئر انشاط اذا خرج دلوها بجذبة واحدة قال ابو عمر : انما هو انشاط بالفتح جمع نشط قال ابو محمد يوسف بن الحسن : روى الطوسي وغيره انشاط بالكسر ويجوز انشاط بالفتح جميعا ويقال ماء رفق وهو القريب الغشاء القصير الرشاء وماء عضوض بعيد القعر وانشدنا

ابيت عَلَى الماء العضوض كأنني رقوب وما ذو سبعة برقوب

وماء مدرع [3] قريب من المرعى قال ابو عمر : انماهو مدرع بفتح الراء واسط بعيد وماء مطلب اذا ابى ان يطلب وبئر ضوض وبروض ورشوح والاصل رشوح بالجيم قال ابو عمر انما رشوخ بخاء معجمة ومكول هي التي يجتمع ماؤها قليلا يقال قد اجتمعت فيها مكلة واذا كانت لايؤخذ ماؤها الا غرفًا فهي قدوح ويقال قدحتها اقدحها قدحا واذا كانت يأتي ماؤها مرة ويذهب أخرى فهي الظنون واذا كانت اذا استقي ماؤها

(١) وفي كتاب المتعد المنيم لابن الجوزي الماتح بالتاء المثناة من فوق الذي يستقي من فوق والمايح بالمثناة من تحت الذي يستقي من داخل البئر قال وهذا من اسرار اللغة بسبب موافقة اللفظ للمعنى وقد اطنب في بيان ذلك

(٢) والضرس بضم الضاد الحجارة التي طويت بها البئر قال الراجز :

اما يزال قائل ابن ابن الوك عن حد الضروس واللبن

وبئر مضروسة وضروس اي مطوية بالحجارة

(٣) وماء مدرع كمحسن ومعظم اكل ماحوله من المرعى فتباعد قليلا وماء واسط بعيد

جمت بماء آخر قيل بئر جموم واذا كانت اذا قلت الامطار قل ماؤها قيل بئر قطوع واصابت الناس قطعة اذا غار ماؤهم واقطع الماء وهو مقطع وقاطع وقد قطع

واذا كانت البئر حبلها عن لعوج في جرابها قيل بئر بيون وبئر زوراء ودحول اذا كان في خلقها عوج واذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضر بها قيل بئر ضغيط وبئر مأنورة مثلها وبئر سك اذا كانت ضيقة وانشدنا .

صبحن من وشحى قليبا سكا

قال ابو عمر : وشحى محركة ويقال بئر ذمة قليلة الماء وبئر فراط وهي التي من سبق اليها ليس لاحد ان يزدحم وبئر جموم سريعة رجوع الماء ويقال للماء اذا خرج من عيونه فارتفع في البئر جم يجم جما والماء نفسه الجم ويقال استق من جم بئرك وقال الغنوي وسئل ما مالك فقال ساحات فيح وعين هزهز قريبة مرتكض المجم اي يجم ماؤها سريعاً وهزهز يهتز بالماء الصواب هزهز قال ابو عمر : سألت ابا العباس عن هذا الحرف مراراً فقال هزهز لي لفظ هدبد قال واذا كان يغرف منها باليد قيل بئر غروف واذا دام ماؤها في المطر والقيظ قيل بئر واتنة وقد وتنت تتن وتونا واذا كانت كثيرة الماء قيل بئر قليذم وانشد

ان لنا قليذما شموسا يزيدها مخج الدلا جموما

واذا لم ينزح ماؤها قيل بحرها لا ينكف ولا ينكش ولا يوبى ولا ينضغض ولا يغرض ولا يفثج وبئر سجبر والخضرم والعيلم الغزيرة وبئر ماهة وبئر مئة كثيرة الماء وبئر نبط التي يخرج ماؤها من عرضها ويقال للبئر اذا قل ماؤها غار يغور غورا وغؤرا وقد نكزت ايضا قال

فظلت باعراف كأن عيونهـا الى الشمس بل تدنو ركي نواكز

أنكزت تنكز نكوزاً وهي ناكز واذا اندفنت ثم اخرج ترابها وليست بجديد قيل بئر نثول والجمع نثل واذا اندفنت قيل بئر دفن ودفان واذا عطلت حتى تخرب قيل بئر سدم والجمع اسدام فاذا كانت عادية فالتقطت والتقاطهم اياها وقوعهم عليها قيل بئر لقيط وبئر خنية مثلها وكانت تدية لامة من الامم فالتقطت وعدما كان نبذه من الارض يجم عشر قيم الى ثلاثين قامة واذا كان في طي البئر حجر نادر فهو العتاب يقال اصلح عقاب بئرك فيخرج حجراً في الطي فيتدمم ليقوم عليه نال والنعاية ان يجذب الحبل عن حجر ناتئ في جانب البئر قال :

لو ان سلمى شهدت (١) مطلي   تمتح او تدلج او تعلي
اذاً لراحت غير ذات دل

وقال آخر :

اكل يوم قائل أبن أبن   دلوك عن حد الصفيح والابن

والثمت ان تكون كالبئر الا انه لاتكون من عيون اذا انقطع حفر ذراعان او قامة فيخرج فيشرب اياما ثم ينقطع والحسى دائم لا ينقطع والجمع (٢) احساء وحساء . والحسى يسمى الكر واذا تغير الماء في القليب قيل قدعرمض وسجس الماء في القليب وهو الصرى والصرى مقصوران يقال ماؤها صرى فاستق من غيرها ويقال أجن وأسن يأجن ويأسن اسنا واجونا وأسن أسنا واذا علته جليدة من طول الترك قيل دوى يدوي تدوية وماء داو كما ترى فاذا علته خضرة قيل قد طحلب وعرمض وغلفق ويقال بئر ذات طاق اذا كان فيها دور وهي حروف نادرة وعرش البئر خشباتها التي يستظل بها عليها يطرح الثام قال الراجز :

اكل يوم عرشها مقيلي   حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الغسيل

ويقال محشوشة وحشوا بئركم اي اكسوها وبئر مجهودة اذا نقيت حتى حمأتها ويظهر حر طينها فقد جهرت تجهر جهراً والاذاء حجر يجعل في مصب الدلو لئلا يخرق الماء الحوض وهو في بئر الماشية والابل وفي بئر الذرع والقفف والدعامة مقام الساقي في اعلى البئر وانما سميت دعامة لانه يدعم بها طي البئر فيضغطه وهما شجرتان يدعمان طي البئر قال الشاعر :

لما رأيت انها (٣) لاقامه   وانني ساق عَلَى سآمه
جذبت جذبا (٤) زعزع الدعامه

والمثابة مقام الساقي انشد ابو الجراح .

ياعين بكي عامراً يوم النهل   قام عَلَى مثابة زلج فزل

والشجار خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون مياهها كذلك (٣) انه نسيخة (٤) نزعت نزعاً نسخة

عارضة اخرى والنعامتان خشبتان فيما بين العارضتين في كل جانب واحدة فتانك النعامتان وفيها المحور والمحور مشدود بحبل الى العارضة وانشد

لولا الزمام اقتحم الاجاردا   بالغرب او دق النعام الساجدا

واذا كانت عارضتا البكرة وعضدها من حديد كان او خشب الوالج فيهما والبكرة اذا كانت على ركية جرود فهي محالة الابل واذا قالوا قعوب فهو خشبة مدورة عظيمة لها اسنان فيها كأسنان الرحى قال الشاعر ·

كأن صوت نابه الاذب   صريف خطاف بقعوقب

ويقال للذي يجري عليه الحبل من البكرة المحرث واذا كان الشحاران من بناء طين اوحجارة فهما الزرنوقان والقرنان قال الشاعر

تأمل القرنين فانظر ماهما   احجرا ام مدرا تراهما

فاذا وقع الحبل من البكرة وعضديها قيل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه اي اخرجه قال الشاعر ·

بئس مقام الشيخ امرس امرس   اما على قعو واما اقعنسس

والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه القاه بين الخد والبكرة وامرسه اخرجه وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر ·

ولا تلبسوا لي الارض فيا فانني   اخاف عليكم ناقتي حين تمرس

في نوادر ابن الاعرابي وليس من الكتاب

ولا يلبسوا لي الارض فيا فانني   اخاف عليكم حيتي حين تلبس

هذا آخر كتاب صفة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتازبنا سهول حوران وجزءاً من وادي الأُردن والغور ومعظم البلاد التي مررنا بها تبعث النفس عَلَى النظر والعين عَلَى التحديق والفكر على التأمل لما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سالف الاعصار وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة اهل النصرانية في العالم عَلَى اختلاف الاعصار والاقطار لحرية بان تزار مهما شطت بقاصدها الديار فما بالك وهي الآن منا عَلَى بضع ساعات في قطار البخار . وان بلاداً مضى على ابناء اسرائيل الوف من السنين وهم لم ييأسوا من استرجاعها لجديرة ان يخف اليها كل من يروم البحث في اجتماع الامم وافتراقها

يحد بلاد الجليل شرقاً الأُردن[1] وجنوباً الكرمل وجبال افرايم وغرباً بحر الروم وشمالا فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة خدمته جهراً فدعي جليلياً وكان تلاميذه جليليين ماعدا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلياً انهم كانوا يتمرنون عَلَى استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر. وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وآل خراب اورشليم الى نجاح الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونقل اليها السنهدريم «مجمع الامة العظيم» فجعل اولا في اوشته وهي الآن خربة هوشته قرب شفا عمرو ثم نقل الى شفرام وهي الآن شفا عمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل السفلى وطولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالوت قرب تابور الى بير سبع (غير بير سبع في الجنوب) وكان فيها عَلَى رواية يوسيفوس ٢٤٠ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠٠ من السكان والجليل العليا طولها من ميلون غرباً الى طلة قرب الأُردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة عَلَى حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبرانية الدائرة او المقاطعة[2] وكانت تطلق خاصة عَلَى القطر الشمالي

---

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة الجديد لمسترمان P. Barnabé Meistermann. Nouveau Guide de Terre Sainte 1907

6

من ارض الموعد وفيها عشرون مدينة اعطاها سليمان الى ملك صور لقاء خدمه في عمارة المعبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها جليل الامم وكانت بلاد الجليل تمتد عَلَى عهد عيسو الى ضفاف بحيرة طبرية ثم دخل فيها سهل يزرعيل «مرج ابن عامر» وعلى عهد السيد المسيح كانت عبارة عن ارض عازر ونفتالي وزبولون وازياخار وظلت منقسمة الى جليل الى وجليل اسفل الاول يمتد الى شمالي الخط الممتد من عكا الى كفر ناحوم والثاني يدخل فيه القسم الجنوبي

ويمكن على الجملة ان يقال ان ارض الجليل واقعة اليوم في الجهة الشمالية من بلاد فلسطين بين لواءي عكا ونابلس وفي الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر وكانت اهم مدن الجليل بطلومايس التي اصبحت فيما بعد عكا(1) وصفورية والناصرة وكفركنة وبتولي وكفرناحوم وسكانها كما هم الآن مزيج من امم مختلفة واهم عناصرهم اليهود والاشوريون وكان هذا الاقليم عَلَى عهد ظهور النصرانية عامراً جداً بالسكان غنياً مزهراً وله حياة سياسية كما له حياة دينية وجميع انواع العبادات والمذاهب تجري فيه حرة مطلقة لاشيء ينغص عليها امرها وتكثر فيه النباتات والزهور من كل نوع وفيه غابات كثيرة كان يستخرج منها خشب السفن

وعرف العرب ارض الجليل بجبل الجليل فقال ياقوت ان جبل الجليل في ساحل الشام ممتد الى قرب حمص «كذا» كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن ينبز بقتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل باقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها فار التنور قال وجبل الجليل بالقرب من دمشق ايضاً وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير . وهذا التعريف اقرب الى الجلاء من غيره . وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من اعمال صيداء وبيروت من ساحل دمشق . وهو تعريف حسن في الجملة قال ابو قيس بن الاسلت

فلولا ربنا كنا يهوداً   وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى   مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا   حنيف ديننا عن كل جيل

(1) معجم لاروس الجديد Nouveau Larousse illustré

قلنا ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كانت فيه الاديار والبيع والمعابد مبثوثة في كل بقعة من بقاعه وقرية من قراه ولما فتحها المسلمون عاملوا اهلها بالرفق واقروهم على عباداتهم شأنهم في فتوحاتهم ولكن دالت الدول وكرت الاعصار وجيشت ملوك اوربا على الشرق جيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجالا بين المسلمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهدمة وآثار البيع والاديار معفاة داثرة واشجار ذاك الصقع وغاباته مدمرة وكثيراً من مدنه قرى صغيرة اومزارع بائرة

خربت هذه الديار بادوار اتت عليها كان القول الفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا ادراجهم ويتخلوا عن هذه الارض يحفز ارواحهم حافز من القساوسة والشمامسة ومن لف لفهم من حملة الدين فيلقون بانفسهم في مآزق صعبة ويركبون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردهم جيوش المسلمين عن استباحة حمى الاسلام لان فلسطين اوسورية اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المسجد الاقصى ويوشك ان يكون الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بسائق الدين ودافع عنها المسلمون بسائق الدنيا والدين فكتبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقلما ظفر مهاجم ورجع الدخلاء عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت قفراء جرداء لاتجد فيها خضراء ولا غضراء ·

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل ولها شأن مذكور بين مدن تلك الارباض أُسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرود انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وسماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحاميه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية اولا اي حوالى الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذاك المكان بخربة الحمام وذلك لانه اكتشفت مدافن وقبور في مكان المدينة القديمة فابى اليهود ان يسكنوها لان خرق حرمة المدافن يعد عندهم من الكبائر ·ولم يستطع هيرود ان يسكن طبرية لاول انشائها الا باناس من طبقة واطئة انعم عليهم بانواع الاحسان واغدق عليهم الأعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عاملها عهد الامبرطور نيرون الى اغريبا الفتى بالولاية عليها سنة ٤١ فلم يكن منه الا انه اسقط طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل ولما انتقض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون والياً على

الجليل الاسفل والاعلى فحصن طبرية وكان ينتابها ليؤيد نفوذ الدولة عَلَى الشاغرين من اهلها · واستسلم اهل طبرية لفسباسيان وفتحوا له ابوابها لما داهم الجليل بجيشه فكان ذلك سبب انعام الرومانيين عليهم بضروب الاحسان بعد خراب بيت المقدس

ولئن سحق الامبراطور ادريانوس الامة الاسرائيلية وانشأ له معبداً في طبرية لعبادة الاوثان فقد ظل نفوذ اليهود مستحكماً بعده · وان عد اليهود طبرية بموجب شريعة اسرائيل من المدن القذرة فان الربانيين منهم اختاروها واتخذوها بلدهم المقدسة وجعلوها محجهم الجديد وفي اواخر القرن الثاني انتقل من صفورية الى طبرية كبار رجال التلمود عندهم ونشأ منهم ربابنة عظماء يقدسونهم ويمجدونهم ومنهم الذين جمعوا المبعثر من شريعة اسرائيل ودخلت النصرانية في القرن الرابع الى طبرية ·

فتحت طبرية [1] على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣ ه صلحاً عَلَى أنصاف منازلهم وكنائسهم وقيل انه حاصرها اياماً ثم صالح اهلها عَلَى انفسهم واموالهم وكنائسهم الا ما جلوا عنه وخلوه واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً ثم نقضوا في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع اليهم قوم من شواذ الروم فسير ابو عبيدة اليهم عمرو بن العاصي في اربعة آلاف وفتحها عَلَى مثل صلح شرحبيل وفتح جميع الأُردن عَلَى مثل هذا الصلح بغير قتال قال ياقوت وهي بليدة مطلة عَلَى البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من اعمال الأُردن في طور الغور بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يومان هي مستطيلة على البحيرة وعرضها قليل حتى تنتهي الى جبل صغير فعنده آخر العمارة

ولما فتح الصليبيون بيت المقدس اقطع ملكها غودفرى دي بوليون ولاية الجليل الى تنكريد فجعل عاصمتها طبرية فأُنشئت مدينة حديثة شمالي القديمة وهي الموجودة اليوم وفي سنة ١١٨٧ قبيل وقعة حطين [2] كان يملك طبرية ريمون الثالث كونت طرابلس فسقطت المدينة بيد صلاح الدين الا القلعة وكان فيها امرأته واولاده فطلبت الامان من صلاح الدين فأمنها وانصرفت عنها تلحق بزوجها وغدت طبرية في سنة ١٢٣٩ ملكاً لاود دي مونبيلارد بموجب معاهدة عقدت بين الملك الصالح ايوب سلطان دمشق ضد ملك مصر فاستعادها هذا بعد خمس سنين وذبح الحامية والنصارى فيها يقول

(١) معجم البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واخذت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرحالة كارسميوس لما زارها سنة ١٦٢٠ لم يرَ فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين

وحكم طبرية ظاهر العمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها المتهدم الحالي سنة ١٧٣٨ وجدده ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصيبت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزلزال لم يبقِ منها ولم يذر هلك فيه سبعمائة شخص وقوضت اركان ابنيتها كافة وقلَّ سكانها المسلمون ونزلها يهود من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقلون عن سبعة آلاف فيهم النمساوي والبولوني والروسي وغيرهم

واهم ما في طبرية حماماتها وبحيرتها قال علي بن ابي بكر الهروي : اما حمامات طبرية التي يقال انها من عجائب الدنيا فليست هذه التي على باب طبرية عَلَى جانب البحيرة (المعروفة اليوم) فان مثل هذه كثيراً ما رأينا في الدنيا واما التي من عجائب الدنيا فهو موضع من اعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن داود وهو هيكل يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من اثنتي عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض اذا اغتسل فيها صاحب ذلك المرض برئ باذن الله تعالى والماء شديد الحرارة جداً صاف عذب طيب الرائحة ويقصده المرضى يستشفون به وعيون تصب في موضع كبير حر يسبح الناس فيه ومنفعته ظاهرة وما رأينا ما يشابهه الا الشرميا

قلنا وان ما يشير اليه من الحمامات بانه في واد بعيد عن طبرية وهو من عجائب الدنيا يشير فيما نحسب الى «الحمة» الواقعة في وادي اليرموك عَلَى طريق الخط الحديدي عند الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ (١) قال ابو القاسم في وصف حمة طبرية وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج الى الوقود تجري ليلاً ونهاراً حارة وبقربها حمة يغتمس فيها الجرب وبها مما يلي الغور بينها وبين بيسان حمة سليمان بن داود عليه السلام ويزعمون انها نافعة من كل داء اه

وهذه الحمة الاخيرة اي حمة سليمان لا تزال الى اليوم معروفة بحمام سيدي سليمان وهي احدى الحمامات الكائنة في جنوب طبرية عَلَى نحو كيلومترين منها ويجري الماء الى الحمامات من اربع عيون حارة واهمها ما بناه ابراهيم باشا وهو في الشمال ويعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وعليه قبة عظيمة وهي مثقوبة بثقوب اسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المئوي وهو صاف

براق في الجملة ملح الطعم مر مهوّع وتنبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد · وهذه الحمات ملك الحكومة تؤجرها ممن تريد لقاء الف ليرة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعة غير صحية لان اناساً كثيرين من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جراثيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيخسر بانغماسه في هذا الماء من حيث يريد الربح ولو رتبت هذه الحمامات ترتيباً صحياً كما هو الحال في حمامات ماريَنباد في النمسا وبورصة في الاناضول وحلوان في مصر وأنشئت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في عمران هذه الديار للانتفاع بخصائصها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها شروط الراحة ومرافق الحياة لجلبت المستحمين في هذه الحمة من اقطار الارض كما تجلب حمامات بورصة وحلوان ومارينباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران[1] وتختلف الحرارة في الصيف في طبرية من ٣٥ الى ٤٢ ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيراً بقدر تأثيره في الغرباء ولذلك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله ابن البناء : طبرية قصبة الأُردن بلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبئة وطولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر عَلَى الجبل بها ثمان حمامات بلا وقيد حارة الماء والجامع في السوق كبير حسن فرشه مرفوع بالحصى عَلَى اساطين حجارة موصولة ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشهرين يلوكون يعني البق فانه كثير عندهم وشهرين يثاقفون يعني بايديهم العصي يطردون الزنابير عن طعومهم وحلاوتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يخوضون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طبرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كله قرى متصلة ونخيل فيها سفن كثيرة وهي كثيرة الاسماك لا تطيب لغير اهلها والجبل مطل عَلَى البلد وماؤها عذب ليس بحلو اه ·

ويرى اطباء العصر ان مياه طبرية الحارة تنفع النساء في وظائفهن التناسلية وتنفع في كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرثية « الروماتيزم » ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء النقرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء

(١) تقويم (سالنامة) ولاية بيروت السنوي لسنة ١٣٢٦هـ ·

« لابوخندريا » ومن امراض اعضاء التناسل ومن الاورام المفصلية التي هي في حال الوقوف كما قد تنفع في التهاب قصبة الرئة « برونشيت » المزمن و بعض امراض الانف والحنجرة المزمنة والامراض الجلدية وعدم انتظام حركة سلسلة الفقار واختناق الرحم والبول الزلالي والتدرن الرئوي وغيرها

اما بحيرة طبرية فقد قال فيها واصفوها من الافرنج انها الحوض الثاني الذي يملأه نهر الأردن في طريقه عند انحداره من قيسارية الى بحيرة لوط وسطح مائها على ٢٠٨ امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة ٤٥ متراً في وسطها ولكنه يبلغ ٢٥٠ متراً في اللجج المجاورة للشاطئ الجنوبي من البحيرة اي قرب سمخ التي يركب منها الى طبرية في قارب في البحيرة ساعة او يركب في مركبة عَلَى اليابسة ساعة ونصفاً.

وطول البحيرة ٢١ كيلو متراً من الشمال الى الجنوب وعرضها تسعة كيلو مترات ونصف اي ان مساحتها السطحية ١٧٠ كيلو مترا مربعًا ومياهها قابلة للشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجبال التي تحيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفرج عنها في الشمال الغربي فيتألف منها نصف دائرة متسعة وفيها يكون سهل الغوير Génésareth الخصيب وعَلَى ثمانمائة متر من البحيرة الى الاعالي عدة قرى وبينها مدينة صفد القديمة وفي الشمال من البحيرة سهل مموش Olluvial يشعر بمصب الأردن وفوق السهل المتوج الذي يفصل بحيرة طبرية عن بحيرة الحولة او مياه ميروم Les eaux de Mérom تنظر الى قنن جبل حرمون (الشيخ) المكللة بالثلوج ويحد البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي صخور عالية هائلة يبلغ علوها نحو ثلثمائة متر وهي تحمل سطح الجولان Gaulanitide وفي الجنوب ينفرج الغور ثانية فيجتازه الأردن ويتلون فيؤلف اضواجًا Méandres عديدة

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنريت اشارة الى شكلها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمه بالعبرانية كنور على ان هذا الشكل هو عام في جميع البحيرات التي تحيط بها الجبال ويجتازها نهر وكانت كنريت معروفة قبل العبرانيين من مدن الكنعانيين وبعد سبي بابل دعيت البحيرة بحيرة الغور اخذاً من اسم السهل الخصيب الذي يصل الى شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحيرة الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي اطلقه عليها العرب

ولم يخلُ هذا البلد عَلَى حرارته من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

ـد في خدمة المسلمين مثـل الامام الحافظ سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احد الائمة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين ولمشايخ المعمرين المصنفين المحدثين والثقات الاثبات المعدلين » وغيرهم ممن يفنى الدهر والخلف يتناقـل عن السلف اعمالهم

وكان الأُردن عَلَى عهد الفتح الاسلامي احد اجناد الشام الخمسة (١) وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا ومابين ذلك قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أُردنان أُردن الكبير وأُردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية عَلَى طرف جبل يشرف عَلَى هذه البحيرة فهذا النهر في الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأْخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلهم السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد عَلَى العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية لما انتقضت عمرو بن العاص كما ذكرنا فتحها على مثل صلح شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وافيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب عَلَى سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوبية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الوقعة الهائلة بين جيوش الصليبين وجيوش المسلمين ورأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في الرابع من تموز سنة ١١٨٧م وكان جيش الافرنج مؤلفاً من الفي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم العطش لقلة الماء هناك وبرحت بهم تباريحه قبل الوقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فمن لم يسلم الروح

(١) ياقوت الحموي

ظمأ اسلمها للسيف وانهزم الكنت ريموند صاحب طرابلس فاستولى صلاح الدين على الاكمة وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتليون الذي كان غزا الحجاز واحب فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستسلمت سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض ابراجها ونهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بذلك اجتمعوا للمشورة فاجمعوا عَلَى التقدم فركبوا واشتد القتال وصبر الفريقان[1] ورمي جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عنه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض ناراً وكان الحشيش كثيراً فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لاينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين عَلَى كثرتهم عن مواقفهم الا ان الفرنج لايحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهناً فارتفع من بقي منهم الي تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام فيما يقال فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان أسر المسلمون من نجا من حد السيف وفيهم الملك واخوه والبرنس ارنلط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضاً صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من اعظم الفرنج شأناً واسروا ايضاً جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاسبتالية) وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لايظن انهم اسروا واحداً ومن يرى الاسرى لايظن انهم قتلوا احداً وما أُصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الوقعة قال ابن الاثير : ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين عَلَى البعد منها المجتمع بعضه عَلَى بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد

(١) الكامل لابن الاثير

15

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل [١] الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الوقعة التي لم تقم لهم بعدها قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا قال العماد الاصفهاني : [٢] وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد واشحنها وهي للداوية [٣] حصن حصين ومكان مكين وركن ركين ولهم بها منبع منيع ومربع مريع ومسند مشيد ومهاد مهيد وفيها مشتاهم ومصيفهم ومقراهم ومضيفهم ومربط خيولهم ومجر ذيولهم ومجرى سيولهم ومجمع اخوانهم ومشرع شيطانهم وموضع صلبانهم ومورد جمتهم ومرقد جمرتهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم واثقين بان الكدر لايتمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا وأسروا وخسروا وتحسروا ظلت طلول الفولة بجدود اهلها المفلولة ودماء داويتها المطلولة ولم يجتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة ولم يبق بها الا رعايا رعاع وغلمان واتباع واشياع شعاع فعدموا امكان حماية المكان ووجدوا امنهم في الاستئمان فسلموا الحصن بما فيه الى السكان وكانت فيه اخاير الذخائر ونفائس الاعلاق فوثقوا بما احكموه من الميثاق وخرجوا ناجين ودخلوا في الزمام لاجين وللسلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور واللجون وبيسان والقيمون وجميع مالطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبهنة واسكندرونة ومنوات

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في القديم اما اليوم فحالها حال قرية حقيرة لاتكاد تجد فيها شجرة مع اشتهارها قديماً بكثرة الاشجار بل ان النخيل الذي كان يكثر فيها لاتجد له الا اثراً ضئيلاً جداً كما كاد يفقد من ارض الجليل اللهم الا بعض سواحل البحر ولذلك تجد طبرية باهتة مكمدة ولو حفت اطراف البحيرة بالاشجار لطاب مناخها واعتدل هواؤها وراق للنواظر منظرها واصبحت مصيفاً ومشتى على حد سواء ولكن الاهالي كسالى والحكومة لايهمها الا اخذ ماتيسر من الضرائب والعشور

(١) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (٢) الفتح القسي في الفتح القدسي (٣) اعلام فرسان الهيكليين

قال لنا احد اصدقائنا من علماء دمشق في الاقتصاد والعمران زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فلم اشهد فرقاً في عمرانها بل رأيتها جامدة لم تتحرك ولولا فندق لالماني ومستشفى للانكليز لرسمت لطبرية نفس تلك الصورة التي علقت في ذهني منذ نصف قرن ومع ما نشكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القرى في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانبسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقعتها اما طبرية فهي الجمود بعينه ولم يزدها الا جالية من يهود الغرب نزلوها مهاجرين فكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فتضايق السكان وفسد الهواء واستوبل الماء وافتقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري « لامساس »

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط افئدة ام النصرانية ولكنها بلد حديث بالنسبة لبلاد الجليل بدأ مجدها بانها كانت موطن مريم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم يرد لها ذكر في كلام قدماء المؤرخين ومعنى الناصرة الفرع او الزهرة وهي عَلَى ثلاثة عشر ميلا من طبرية ممتدة عَلَى شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية وبيوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والتين والصبار وبذلك تألف منها صورة مليحة لاتتعب العين من النظر اليها

قال رنان (١) : كانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة عَلَى متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلغون اليوم اربعة آلاف نسمة (٢) فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لايخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا انظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائق .

---

(١) تاريخ المسيح تعريب فرح افندي انطون

(٢) هذا في زمن رنان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و١٨٦١ وسكان الناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي بنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للأمل في السعادة والراحة · ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقاماً جميلا · اما سكانها فهم قوم ألفوا اللطف والبشاشة وحدائقها باردة خضراء · وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها · ولا يزال في غربي المدينة اودية خصبة ينطبق عليها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كدر واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر انه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق في وجوههن فهناك الشكل السوري الجميل في اتم خلقة ·

ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتستقي منها · وقد قال انطونين مارتير ان نساء اليهود يكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرههم كرهاً شديداً في غيره · فكأن هواء وطن السيد لطف اخلاقهن · واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة ·

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدت الى الآكام المشرفة عليها انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب · فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر وداخلا فيه ويليه غيره من الجبال بينها وادي الأردن وسهول بيريا المرتفعة · اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا ·

هذا كان افق يسوع · هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه · هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية · فاذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم منها · هناك يجب ان تقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحج اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم · هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم ويعزي نفسه

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز مايكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اه ·

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسيس الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى [1] وهو وصف ينطبق كل الانطباق عَلَى حالتها اللهم الا ماجاء عفو الخاطر فكان اشبه بتشبيه شاعر مثل قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة » ونظن مثل هذا القول يصح اطلاقه عَلَى جبال سورية عامة بل جبال الارض كافة فهي كلها تبعث الروح عَلَى التأمل لفراغ الذهن فيها من كدورات المدن وازدحام الانفاس ولما تقع عليه العيون من المناظر الشائقة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحال فالفيلسوف يعذر عَلَى ماقال لنشأته وتربيته التي قلما يتجرد منها انسان مهما نزع ربقة التقليد والتقاليد ولكن هذا الغلو لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد لا تطيب لاهلها ·

اما تاريخ الناصرة فله ارتباط كلي بتاريخ الجليل وبعد فلم تداهم جيوش كسرى وهولاكو وتيمور هذا الاقليم فلم من غاراتهم وتخريبهم ولقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسداه المسلمون للمسيحيين لم يدم زمنه طويلاً حتى ان ويلبالد لما وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانه كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهباً

وتغلب الامبراطور يوحنا سيميسيس على العرب واستولى عَلَى سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٧٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه خصيانه السم فعادت الولايات التي افتتحها فسقطت في ايدي العرب · وقد قال ساولف ان تنكرد لما فوضت اليه بعد فتح القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فاعاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة جامعة لهم · ولما سقطت ارض الجليل بيد صلاح الدين بعد وقعة حطين آضت الناصرة ايضاً اليه فعطف عَلَى اهلها وفي خلال هدنة العشر سنين المعقودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢٠ شباط ١٢٢٩ اصبح فريدريك الثاني امبراطور المانيا الحاكم المتحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فرمم هذه المدينة عَلَى انها ما كانت قط حصناً منيعاً

(١) ياقوت في المعجم والمقريزي في الخطط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبها الظاهر بيبرس البندقداري وعسكر في منحدر جبل تابور و بعث كما قال القس مسترمان برجاله يخربون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين على ان يدينوا بالاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها وقعة هائلة قتلوا عن آخرهم · ولمؤرخي الاديار اخبار يتلونها واحاديث يقصونها عما لقيه القسيسون والرهبان من المظالم الى القرن الماضي ايام تنفس خناقهم بتولي الظاهر عمر امر الجليل فاصبحوا احراراً في كنائسهم وعباداتهم آمنين من عيث البدو الذي وقع مرتين عَلَى الناصرة فغزوا اهلها في عقر دارهم ·

وتاريخ الناصرة هو في الحقيقة تاريخ الاديار والمعابد فيها وقد قوي سلطانها منذ جاء بونابرت وحاصر عكا سنة ١٧٩٩ و بعث باحد قواده يعسكر في الناصرة وانهالت الاحسانات عَلَى الاديار من امم النصرانية في الغرب عَلَى اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انشأ بيعة حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكنيسة ومعظمها من ضخامة البناء وحسن الهندام مايذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين والفرنسيسكان اقدم الرهبنات وارسخهم قدماً في الناصرة وكنيستهم مما يزار لبعض الآثار التاريخية فيها و يكفي انها اثر من آثار الكنائس في القرون الوسطى

وفي الناصرة يشتد التنافس بين اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين يعلمون الذكور والاناث و يلقنونهم مايشاؤن و يطبون المرضى و يعطونهم العقاقير بلا مقابل من اي نحلة كانوا عَلَى شرط ان يستمعوا لوعظ الواعظين ونصائح دعاة الدين ولذلك قل في هذه البلدة الاميون والجاهلون · والقارئون الكاتبون من اهلها من الجنسين اكثر من كل بلد سواها في سورية يعيشون بصدقات المحسنين ويتمتعون بما تجود به ايدي اتقياء الغربيين

ولو اتصلت الناصرة اليوم بالسكة الحديدية مع خط حيفا عَلَى الاقل او لو مد منها خط الى القدس لما حج حاج من النصارى الا ونزل الناصرة يزور و يتبرك ولكان من ذلك للحكومة والامة فائدة مادية مهمة فمن مدن سويسرا مايعيش طول سنته مماينفقه الزوار في مصايفها افلا يجدر ببلد السيد المسيح ان يعيش اهلها من ريع يأتيهم بعشرات الالوف من جمهور المؤمنين من المسيحيين · « للبحث صلة »

غابات سورية

تشجير اراضي السلطنة من اهم المسائل الاقتصادية المهمة التي يجب ان تصرف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد جهل الناس منافع الغابات ولم تعن الحكومة بالهيمنة عليها حتى اتى السكان اوكادوا في اكثر الاقاليم عَلَى ما ابقى لهم الاجداد من الغابات الغبياء فكاد الخطر يحدق بحياة البلاد الاقتصادية ويوشك ان يستفحل الخطب لهذا الاهمال

قال العارفون ان في المحافظة عَلَى الغابات نجاح الزراعة والتجارة والمعامل والصناعات والملاحة البحرية والنهرية والمناجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضاً. ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات قائلين ان حفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات عَلَى الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يمسي فقيراً لان في قطع الاشجار التي تغشى منحدرات الجبال وقننها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة : قلة الوقود وقلة المياه واجداد البلاد الفيضانات المخربة فحياة البشر مناطة بالاشجار. والامم التي تحب الغابات هي من الامم العاملة التي تحسب للمستقبل حسابه وبقدر عراقة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجعلون لهم منها رؤوس اموال فيفلحون بها ويرتاشون

ابادة الاشجار جائحة من جوائح الانسان ونذير اضمحلال الامم فالاحتفاظ بالغابات والآجام هو تطبيق لمبدإ الدين الاجتماعي وقانون التكافل الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كولبر الفرنسوي ذات يوم وقد رأى قلة عناية أُمته بغاباتها : ان فرنسا ستهلك من قلة الحراج

وليس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل حليها بل انضاب ينابيع الانهار واخلال نظامها اخلالا فيه الهلاك والتخريب والاضرار بالصحة العامة وتغيير وضع الارض التي تحملها فتتاً كل التربة الصالحة منها عَلَى الزمن بهجوم المياه عليها دفعة واحدة وهو من اعظم الاخطار عَلَى التربة المنحدرة. ومتى عري الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فتجري السيول على التربة الجرداء تحمل معها اولا التربة الصالحة للزراعة ثم تفرج مابين الصخور وتجعل الاحجار ركاماً مشرفاً عَلَى الاودية ويصبح النهر مسيلا تكثر مياهه فتفيض ايام الامطار وتنهال بدون نظام مودية بكل ما في طريقها وتتزايد زيادة هائلة فتفيض في السهل وهنالك الفيضان والطوفان وتقطع الامواج بتيارها

الاشجار والصخور وتخرب السدود وتودي بالدور والقصور وتدك المدن من أسسها . تجري مياه الامطار على الصخر القاحل كأنها تمشي على سطح دار وتخرب المراعي وتفيض الانهار حاملة تربة الجبال وحصاها واحجارها فتطفح بها مجاري المياه وتسد مصابها وبعد ان تفيض المسايل كثيراً تصبح ولا ماء فيها ويختل نظام الاهوية ويكون من ذلك خراب رعاة الجبل وزراع السهل وتجار الثغور والمدن وصناعها . من اجل هذا ساغ لنا ان نقول انهم كلهم متضامنون في منع جرد الاشجار وتعرية الجبال .

ولقد نشأت في كل عصر مضار كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدهم[1] كانت صقلية وافريقية الشمالية والمغرب الاقصى انبار رومية في القديم فاصبحت قاحلة ماحلة بما تواتر عليها من غارات الفندال والعرب التي انتهت بتحطيم الغابات وكل مايشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض اعمال قسنطينة وفي غيرها شاهدة ناطقة بان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة امس وفيها المدن العامرة عراها السقوط كما عرا اسبانيا من ابادة اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او انقاض فشوهدت تحتها مدن كانت عامرة بمياهها المطردة وحدائقها الغبياء وغاباتها الغناء فلم تؤت الا من قطع غاباتها ونسفت الرياح الرمال على تلك المدن فاصبحت كأن لم تغن بالامس

ولقد ثبت ان فقر البلاد ولاسيما الجبلية منها ناشيء من قطعها الاشجار خاصة . وكلما توغل المرء في دراسة التاريخ يجد الشواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كان لبلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غابات وانهار[2] وان اجداب الحقول الرومانية وخرابها ناشئان من تجرد جبال الابنين من اشجارها . وجبال الابنين تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد ناب اسبانيا انحطاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر على عهد شارلكان وفيليب الثاني عامرة غنية محترمة انحط عمرانها في القرن السابع عشر من دون ان يضربها عدو او تستبيح حماها أمة غازية فلم يمض عليها قرن الا وقد رأت جميع علامات الانحطاط وقل سكانها على صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من اربعمائة الف الى مائتي الف في اوائل القرن الثامن عشر والسبب في نزوح السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه تعرية البلاد من غاباتها تعرية اخلت بنظام الري . حتى ان نهر المانزاريس كان في القرن السادس عشر

(١) مجلة مطالعاتنا في بيوتنا (٢) جغرافية اليزة ركلوس بالفرنسوية

قابلا لسير السفن فيه عَلَى مقربة من مدريد فاصبح اليوم جافاً. وانهم ليمزجون في اقليم اراغون الرمل بالخمر بدل الماء عندما يريدون ان يجبلوا الطين. فنفوس البلاد وعظمتها عَلَى نسبة غناها بغاباتها . وبلاد روسيا اكثر اوربا غابات فان اربعين في المئة من اراضيها مغشي بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغشاة بالاشجار و ٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتقال و٥ في المئة من ارض فارس و ٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان اكثر بلاد الدنيا غابات. وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثمائة هكتار وكثيراً ما يلتهم قسم من غابة فتبقى الايام مشتعلة وربما حرقت فيها قرى بسكانها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة فدام الحريق اياماً ذهبت فيه مئات الالوف من الليرات

ليس من جميع النباتات التي تنبتها الارض ماعدا الحنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذائنا نبات ضروري لنا كالغابات نافع يحمد اثره : فللشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحوادث الجوية في كل قطر فهي تصفي مياه الامطار وتعيدها ببطء الى الينابيع والهواء وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فقط بل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيظ . ونظام الغابات نظام للاهوية. فالشجرة تقي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج عَلَى قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واغصانها دون سقوطها وتطيل مدتها وتذوب ببطء وتغسل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتمدّ الينابيع وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها . وان جذوع الاشجار في العقاب والتلعات لتمسك التربة عن الانهيال وتقبض الصخور المفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحامية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيوان وكثيراً ماتنبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تمسك الحميات وتمتص رطوبة المستنقعات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيفها المنبعث من اكتظاظ الصخور الشجراء. ولقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء ومن الماء يصير مرج والمرج يغذي الماشية ومن الماشية ينشأ السماد ومن السماد الحنطة »

لاجرم ان كل من جال جولة في اوربا واميركا يعرف مقدار حرص الفرنجة عَلَى

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة تدعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للمراعي والى تخضير الاراضي المنحدرة انحداراً قليلا ولسان حالها ينادي اننا نرمي الى انقاذ ارض الوطن والمحافظة عَلَى ارث ثروتنا وبدائعنا الطبيعية ونريد تربية فكر الطفل منذ صغره عَلَى قدر حسنات الغابات قدرها فبهوائها يحسن الجو وتطرد مجاري الانهار ويخضل العشب ويكثر غذاؤه للماشية والسائمة والجبال اجمل منظراً والسهول اكثر ابتساماً . واقبلت الجمعيات وغيرها تنشر منشورات في فوائد التشجير وتوزعها عَلَى الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا[1] تريد تشجير كل مايمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجد عملا للبطالين وقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت ٣٬٦٠٠٬٠٠٠ هكتار[2] من ثمانية ملايين بدون ان يمس السطح المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لهم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لاتموت بتاتًا ولذلك يتيسر لها ان تكمل مابدأت به من الاعمال الى الغاية المطلوبة عَلَى خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئًا ربما لايأتيه في حياته فمن ثم كانت الحكومة اقدر عَلَى تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاخشاب والاحطاب لايصعب عَلَى حكومة وقد رأوا ان ماتصرفه الحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه يأتيها من الواردات بفائدته مضاعفة وانه ليس من العدل ان يصرف ابناء هذا الجيل مايقتطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمانين سنة وهي المدة التي لايتأتى الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثين الف هكتار تدفع في السنة الاولى ١٬١٢٥٬٠٠٠ فرنك وتكثر النفقه سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل عَلَى الخرج فيبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فتكون اذ ذاك ٢٤٨ مليون فرنك وتساوي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اى انها تبلغ ملياراً ونصفًا زيادة عما كلفتها . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسعارها الحاضرة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

---

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسوية (٢) الهكتار مئة آر او عشرة آلاف متر مربع

العملة وارتفاع اسعار المحاصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخريب الناشئ عن الحريق والحشرات والثلج والعواصف وغير ذلك يعادل ماتربحه الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ماينفق من الغابات يزيد عَلَى مايخرج منها الآن في البلاد المتمدنة · وهذا التشجير يشغل تسعين الف رجل طول السنة عدا من يستخدمهم من ارباب الحقول موقتاً

نعم ان تأثير الغابات في المناخ وانباط المياه وتحسين الارض و تطهيرها وجمالها وفوائدتها الاقتصادية والوطنية لاينكرها الا اعمى البصر والبصيرة · ومما ذكروه من منافع الغابات للوطن ان غابة هوسنين وهي غابة صنوبر تمتد بين نهري الرين والفستول قد صدت كتائب الرومانيين عن التقدم · وهكذا حلت انكلترا مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحترام الاملاك الخاصة وتقسيم الادارة المركزية لعلمها بان الافراد في هذه المسائل لاصبر لهم بقدر الحكومة ولا عجب فهي الحكومة التي تغرس الغرسة اليوم وتنتظر جني ثمرها بعد قرن او قرنين هذا في البلاد القاصية فما بالك بها في عقر دارها

***

اليك اقل مايجب ان يقال في وصف منافع الغابات والتشجير و يدل عَلَى مبلغ عناية الافرنج بها وهم اعرف الخلق بالانتفاع من هذا الوجود · وان من يطوف المعالم والمجاهل من بلاد سورية ليستنتج ان عناية اجدادنا بالغابات لم تكن دون عناية الغربيين بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لاتسد خلة ولا تغني اهلها · واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لاتهتم الا لتكثير الجباية والعشر ولو باستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فانما يرتفع بالقرب من الحواضر والقصبات والدساكر كانت الغابات في الغالب نهب الناهبين وغرضاً لاسنان القطعان وفؤوس الحطابين ولم تؤسس في الدولة نظارة للغابات الا منذ سنين قليلة وكأنها لم تكن الا لتأتي ايضاً عَلَى ما ابقته طوارق الحدثان من غاباتنا الجميلة لان عمالها يساعدون عَلَى تقليلها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا عَلَى تكثيرها ·

وكم من جبل في سورية اجرد امرد لاشجرة فيه كجبل قلمون [1] الذي تمشي فيه ساعات ولا تجد اثراً للزرع ولا للشجر حتى قال احد الاجانب ممن زاروه مؤخراً :

(١) المقتبس م ٤ ص ٣٦٧

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً اجرد من الكلاء والشجر فها قد قرّت عيني في قلمون بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرداء .

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان [1] ففيه من الاشجار الغير المثمرة الزان والسنديان والسرو والارز . والارز اهمها ومنه غابة بالقرب من قرية بشري قديمة والغالب هي التي كان يحمل من خشبها ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها فيؤتى به الى جبيل او الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شراعية . ولعل غابات دير القمر والباروك وعين زحلتا كانت تحمل الى صيدا ومنها تنقلُ في المراكب . ولولا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لخزينتها وهي السرو والعرعر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه . وقلت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يقلعون الغابات ويغرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم . وشجرا الارز مما تفرد به جبل لبنان من دون سائر جبال سورية ولا وجود له الا في اعالي سير ببلاد الضنية في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبين سير ونبع السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى تنوب .

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاهلون خفية او يدفعون ثمناً قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال عجلون . وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسنديان وانك لتمر في جبال طويلة عريضة لا ترى الا السنديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج تضمنها الحكومة

وعلى مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم وهي الفستق البري بعينه تسمى الشومرية والبلعاس وهي منازل للعربان يقطعون منها اشاوًا ويرعون فيها ماشيتهم وقد أُضيفت الى الاراضي المدورة اي الاراضي السنية فما زادت الا خراباً على خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدورة في العهد الحميدي فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرمل من جبال النصيرية وسكانها تركمان غابة زرعها اهل تلك القرية منذ زهاء عشرين سنة فطالت كالرماح وحسن طلعها بعد

(١) المقتبس م [illegible] ص ٤٨٧

ثلاث سنين من غرسها مما دل عَلَى ان جبال النصيرية كانت الا قليلاً مغشاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل · ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لابنائهم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لدمشق وغوطتها اذ تكثر بذلك الامطار وتخزن المياه لنبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحرير وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصبيا وراشيا غابات قليلة كما انه تقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلت غابات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبة اقتلعها الاهلون وغرسوا منها كرماً يأتيهم بالعنب الجيد بلا بزر كعنب ازمير الا انه بقي اثر منها دلالة عَلَى عظمة تلك الغابة العظيمة · وتقل الغابات في بلاد حوران واحسنها ما كان في جبل الدروز ولذلك كثرت مياهه اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجلون التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولا وثلاث ساعات عرضاً ولا يأتي عليها عشر سنين الا وتنقرض عن آخرها

وبعد كتابة ماتقدم رأينا ان نأتي عَلَى ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعلمنا ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها [1] في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب · والجريب يقرب من عشرة دونمات · وشجره من السنديان والعرعر ويقل فيه الصنوبر واشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها عَلَى الدوام فلم تتيسر لادارة الغابات حراسته عَلَى ماتقضي به المادة الخامسة من نظام الحراج لقلة الموظفين وصارت الى حالة مؤلمة وبعض هذه الغابات تدعي الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم · واهم هذه الغابات غابة حلبتا ووادي نيرة وما عداها فتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يحتبطون من غابات الهرمل التابعة لمتصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان بعضها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين ·

وحراج وادي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

16

اقضية حاصبيا وراشيا والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها وتقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لاتكفي لاحتطاب السكان الا عَلَى صورة ضئيلة · وليس في قضاء الزبداني حرج جدير بالذكر سوى حرج صغير أُصيب بما أُصيبت به سائرالحراج ولاسيما في وادي القرن ووادي الحرير فاصبح اكثره غير صالح للاحتطاب · وليس في قضاءي دوما والنبك ما يصح ان يسمى غابات سوى بعض اشجار من السنديان والبلوط متفرقة في الاودية والقمم من جبال قلمون هي ملك الاهالي يحتطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاقضية التسعة التي هي من عمل الولاية او لوائها وفي لواء حوران اهم غابات في ولاية سورية وهي من عمـل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها ٢٣ قرية و١٣٧٥ بيتاً ومزرعتان ومساحته من ٣٠ الى ٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير صالح للقطع يحتاج للحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمـل الفحم الا انه بعيد في نجاد وعرة ولقلة العملة الذين يتوفرون عَلَى عمـل الفحم منه اصبح كأنه لم يمس · ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفئها ووقودها من غابات عجلون واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من المضار توشك ان تحترم بعد سنتين من الفحم فيباع قنطاره الذي يباع الآن بمئة وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمنه · فبسوء ادارة الحكومة لزمت قطعة من هذه الغابات لايقل المستخرج منها عن خمسين الف قنطار بيعت بالوسائط عَلَى انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار · واشجار هذه الغابة لاتصلح للخشب والدفء وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في سقوف بيوتهم فمنها الصنوبر والسنديان القطلب وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري · هذا في غرب اقليم حوران وفي شرقه اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واهمها ما كان في الصلت ومساحتها نحو ستة آلاف جريب تحتاج للترك الآن والمحافظة عليها لكثرة ماعبث فيها فأس الحطاب والفحام وفي قضاء الطفيلة غابات ولبعدها عن العمران لا يرغب في الاحتطاب منها فلا يستفيد منها القريبون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك غابات جياد هي ملك بني حميدة

اليك ما في لواءي حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في ام كرم ولا في

حمص حراج والاهالي يجلبون احطابهم وفحومهم من حراج الهرمل في لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج البلعاس التي كانت من املاك السلطان السابق فاصبحت ملامة ٠ وفي قضاء العمرانية حراج متفرقة تسمى باسماء القرى المجاورة لها وكذلك الحال في غابات سلمية

وقد بلغت واردات الغابات الاميرية سنة ٣٢٢ شرقية ٤٨٤٤٨١ غرشاً صحيحاً وسنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨،٨٨١ غرشاً ٠

هذا في ولاية سورية اما ولاية بيروت فالحراج موفورة في اكثر الويتها واقضيتها عَلَى ضيق مساحتها ففيها بعض الغابات الصغيرة واكثرها فائدة في الانتفاع[1] والاحتطاب ما كان منها داخل لواءي اللاذقية وطرابلس الشام ففي الجهة الجنوبية من مدينة بيروت في الرمل غابة من الصنوبر تقدر بالفي دونم وطول اشجارها نحو خمسة او ستة امتار ومحيطها من ٤٠ الى ٥٠ سنتيماً ويعنى كل العناية بحفظها وقد ذكر التاريخ ان هذه الغابة غرست قبل سنة ٧٦٧ هـ وقد خيف من انهيال الرمال عَلَى الاراضي الزراعية ٠ وفي قضاءي صيدا ومرجعيون عدة غابات مبعثرة ينتفع بها السكان فقط

وعلى ثماني ساعات من صور غابات في وادي النصارى وساحل علما ووادي الخنازير وهي واسعة في الجملة وشجرها من السنديان ومحيط اكبرها متر واحد وطولها خمسة امتار لاتكفي للبناء بل تنفع في الحطب والفحم وقد جرى اهلها في اقتطاعها على الاصول فلم تقل انواعها وكذلك تجد في الجهة الجنوبية من القضاء غابات في وادي كركر ووادي البالون ووادي التهور ٠

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمرو وهي عَلَى نحو خمس ساعات من الموانئ المجاورة وهي معروفة باسم الغربي ومرج وعاد والهوني والزيب وتقدر مساحتها بنحو اربعين الف دونم وجميع اشجارها من السنديان ومعدل طولها من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محيطها من خمسين سنتمتراً الى متر واذ كانت هذه الاشجار لاتكفي الصناعات والبناء جعلها اهلها للاحتطاب واخذوا يبعثون ببعضها الى الخارج ٠ وفي قضاء حيفا عَلَى اربعمائة او خمسمائة متر عن سطح البحر غابات في جبل الكرمل ووادي العسل والعضامة والحاري والباخور تبلغ مساحة ارضها نحو ٤٢ الف

(١) التقويم (السالنامة) ولاية بيروت سنة ١٣٢٦ هـ ٠

دونم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لاتنفع لغير الاحتطاب

واهم الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضنية تقدر مساحتها بزهاء مئة وخمسين الف دونم تمتد من قربتي غابات وتحفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي منبثة عَلَى سطوح مائلة و يقدر معدل ارتفاعها بسبعة آلاف متر واهمها القبايات وعنفت وارمون وعرض والحريق وروبر وجوردير ين ووادي جهنم وقاطروفريم والضنية وهذه الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لاتطول وتنفع لخشب البناء وهي من نوع السنديان والصنوبر وشرابةالراعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والشوح منبثة عَلَى خط مستقيم بين مسيل المياه والروابي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها من متر الى متر ونصف و ينتفع باخشابها في جميع انواع الصناعات وفي كل هكتار اي عَلَى حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ الف متر مكعب كما يوجد في كل هكتار من الارض باعتبار عشرين متراً مكعبا وهي تعادل ٦٦٠ الف متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والدساكر ·

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في اقضية جبلة والمرقب وصهيون وناحيتي باير و بوجاق وهي من الساحل عَلَى ساعة الى احدى عشرة ساعة واهمها في باير و بوجاق و بوغدهلى نية وجبل حسن ايت وجبل الملك وقزل حالتي وجورتلسم وبتالي ودربوي تبلغ مساحتها ١٧٠ الف دونم والاشجار القريبة من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين سنتمتراً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة ومنها يستخرج خشب للبناء ولصنع القوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والابيض يستخدم في بعض المحال في الابنية واهم ماتقدم من الغابات غابات ناحيتي باير و بوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً والقسم الاعظم من اشجارها اي ٩٠ في المئة منها يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتمتراً وطولها اربعة او خمسة امتار · وندرت الادواح العظيمة وفي الاطراف والبلاد المجاورة تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يحتطب منه اهالي القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات عَلَى تخوم اسكندرونة غابة اسمها قوز تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ غرش بيع منها ١٠٠٠ ، ١٩٩٠

اوقة من الفحم و ٩٠٠٠ اوقة من الخشب وا كثر ما بيع منها في بيروت وجوارها وسواحل مصر ·

هذا ما القفناه من مصادر متنوعة ونختم هذا الفصل بتعريب ما كتبه شاكر بك مفتش غابات ولاية سورية السابق وقد سألناه ان ينشيء لنا شيئاً في حال التنامع غاباتنا فكتب الينا مانعربه بما يأتي وهو يصدق عَلَى غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت وسورية والوية القدس ولبنان والزور قال: الغابات احدى منابع الثروة الطبيعية للدولة والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استغناء احد عما تـأتي به من الحطب والفحم والخشب وغيره ولاسيما في ولاية سورية حيث تكثر حاجات الاهالي الى الغابات اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع هذه الحاجة مما يوجب الاسف الشديد ·

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع التربة الواقعة في الحقول المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في رعية الاغنام والمواشي وغيرها وكانا نسلم باننا نطبخ كل حين طعامنا ونغسل ثيابنا وندفئ غرفنا بالفحم والحطب

ولئن رأينا اليوم مواقد تحمى بالبترول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ لا يقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكوانين المطبخ عَلَى الطرز القديم وذلك لان الطعام اذا طبخ والغسيل متى غسل تطفأ تلك الموقدة واذا فرضنا اننا اوقدناه مدة طويلة فمن البديهي انه لا ينشر حرارة تشبه حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال· ثم ان من وسائط التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت البترول وهذه لا تزيد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر·

اما اخشاب البناء فانه يؤتى بها الى هنا من غابات اطنه وقونيه وآيدين فتباع بثلاث ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في هذه الديار من اجود الاجناس وكل من يشتغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قنطار حطب الزيتون والمشمش يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً فقد كانت ترتفع اسعار قنطاره الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات والافران عليه

وهنا لا أرى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول عَلَى سبيل المثال ان ما حرق من الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (شرقية) ٣٢٠٠٠٠ ٤٥١

كيلو أخذ عنها رسم ٥١٤٢٠٤ غروش صحيحة او ٦٧٢٣٢١ غرشاً بمعاملة دمشق الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وفقيرهم قد يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو يتلكأ معظم السنين في استثمارها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او سكة او بذار ويترك قسماً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او على حدودها ومجاري المياه اليها اشجاراً وحراجاً لاظلته ومواشيه وابناء السبيل بظلها واستخرج من اغصانها ومن اليابس منها حطباً لدفئه ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان تخرج له خشباً وفحماً فيغنى بها بعض الشيء . وبالجملة فان كل امرىء اذا ربى غابة فكأنه اسس لنفسه مصرفاً (بنكاً) دائماً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

بيد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما ينصح لهم به من قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العقلاء

ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي قبلها وتعهدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احيائها وتعهدها وبذلك يحفظون منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق

النفس الانكليزية

لم تبلغ امة من الدهاء ما بلغه الانكليز فيه وكأنه خلق استحكم فيهم مع الزمن وتوارثه الاخلاف عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة وقلما طاش لها سهم فاذا رأت الفرصة وثبت ومتى انفسح لها المجال جالت ·

تثبت هذه المقدمة من مسألتين تجلى فيهما دهاء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين وأُهرقت فيها الدماء سيولاً لم تنته وترجع دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فعرض سراً ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولو رضي القسوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دهاء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتسامح بزواج اخته من غير ابن نحلته حرصاً عَلَى مصلحته · قال ابو الفدا في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسمائة : تراسل الفرنج والسلطان في الصلح عَلَى ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكتار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ·

هذا هو الباب الاول الذي طرقه ملك الانكليز فلم يفلح لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة براً الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم عَلَى ماقال المؤرخون سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقاً في نهر في الاناضول كان انغمس فيه ليستحم فايقن ريشاردس ان امر هذه الفتن يطول وان الغنيمة التي دعا اليها بطرس الراهب اي استخلاص بيت المقدس من ابدي المسلمين لاتوازي هذا القدر من العناء فطرق باباً ثانياً فجاء بعد ان شاهد حبل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان يئست الرسل في عقده وعجل بمخابرة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك السفارات يقول لصلاح الدين لايجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولايجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ماعرضه ملكهم من شروط الصلح العجيبة : فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص الغرض باللين تارة وبالخشونة اخرى وكان مضطراً

الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكره فما بلوا باعظم حيلة ولا اشد اقداماً منه اه ٠ ولقد كان ملك انكلترا صادق جماعة من مماليك صلاح الدين ودخل معهم دخولا عظيماً بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكان في كل هذا يخلط الجد بالهزل حتى يتوصل الى مأربه الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي استخلصه صلاح الدين منهم

ثم تذرع ذاك الداهية الى انقاذ اهل نحلته من شر الفتنة وكان المسلمون قد ضاقوا ذرعاً بمدافعتهم وزحزحتهم عن تلك الديار فبادر صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ ھ وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (؟) فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر ونفدت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ولم يحلف ملك الانكتار بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لايحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهري ابن اخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين بلدرم الياروقي صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجلى فيها الدهاء الانكليزي في اجلى مظاهره والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهداً ولكن يتخللها مئات من المسائل كلها سلسلة دهاء هي مسألة الاستعمار فان الانكليز لم تفتح امامهم مصارف جديدة للتجارة الا لما اكتشف خريستوف كولمبس اميركا ولقد تقدمت البرتقال غيرها من الدول لاستعمار الارض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الثاني من القرن السادس عشر ايام كانت انكلترا لم تظهر بعد على [illegible] الاستعمار ثم جاءت فرنسا فانكلترا ولكن هذه الدولة [illegible] الدول

الاربع الاول واثبتت انها دولة بحرية عظمى في صلح اوترخت سنة ١٧١٣ (١)
وتطمح الى الاستيلاء عَلَى البحار ولكن هذا الدهاء في تأخر الانكليزعن دخول
معمعان الاستعمار قد هيأ لانكلترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكلترا اقرب
الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضعفي شطوط
فرنسا واكثر الدول البحرية الاربع قربًا الى شطوط بحر الظلمات من سيف الآخر
فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكلترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي
افتتحت انكلترا الجديدة وفيرجينيا واخذ شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت
سبب غنى انكلترا وعظمتها هيأ اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الهنود دخول
السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو تقصينا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدهاء الانكليزي الذي لايشبهه دهاء في الامم وايقنا ان الثبات والصبر والتأني والسكون الذي خص به هذا العنصرهو الذي كان سبب نجاحه في اعماله فاشتهرت بجودتها عَلَى قلتها وندرتها وسياسته اشتهرت بحذقها عَلَى جفائها والتاريخ اعظم مترجم عن الامراء والامم وبه تكشف حقائق البشر وخصائص الشعوب

ولهذا الدهاء والتأني والصبر اسباب طبيعية وصنعية في انكلترا بحث فيها علماء الاجتماع والنفس فما قاله اميل بوتمي من كبار علماء فرنسا (٢) ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها او لطافته ووفرة ثمارها الارضية او ندرتها . فان تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل الى ان نجد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قلب وابدال فذلك ناشيء من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسوي « المحيط » اوالبيئة والعادات والقوانين المزبورة عَلَى

(١) اوترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل للمخمل (القطيفة) مشهورة منذ القديم وفيها عقدت انكلترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بها حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لاميل بوتمي

Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIXe siècle

الحجر والمذاهب الدينية والاشعار القصصية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات تماسك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتتسرب الى الاسباب الطبيعية العظمى ولكن هذه الاسباب الرئيسة مابرحت تغشى هذه الجمعية البشرية التي كانت هي الباعثة اليها ولها اليوم تأثير كبير حتى انها لتأتي عَلَى الاخلاق الراسخة والمواهب الارثية فتغيرها وتفعل فيها مافعلته في اهل الاجيال الاولى

انكلترا من بلاد الشمال ولها بين بلاد الشمال مركز امتازت به فليس لاقليمها مايعادله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لايختلف طوره فلا ترى في الشتاء تبدلاً في الهواء من شمالي انكلترا الى جنوبيها عَلَى مسافة تسعمائة كيلومتر فيستطيع سكان بريطانيا ان ينتقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكلترا عن سائر بلاد الشمال بتعرج شطوطها وخصب تربتها في حين يضعف الهواء المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي بروسيا فيكتفي الروسي بما حضر لديه من حاجاته ولذلك يقل فيه فكر الاقدام على الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتنادي ساكنها بقولها انك ياهذا تهلك اذا تراخيت وتستمتع اذا جددت · فالهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه احياناً والجسم يهزل فيه اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة · وان انكلترا لتطفح بطوال القامات ضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ اكثر من كل بلد من بلاد اوربا · والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب او يغمرها من هطول الامطار تحتاج عَلَى الدوام الى التجفيف بالقساطر حتى لاتغدو بطائح او غابات وهي بفضل تعهدها خصبة ممرعة · ومناخ انكلترا يحتاج الى الغذاء الكثير ولاسيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والبحر بما ضم بطنه من الاسماك يدخل في مضايق الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح الصيد عَلَى طرف الثمام ·

وبالنظر لرطوبة الهواء على الدوام واصفرار الشمس بما يداهمها من الضباب الذي يتخلل اشعة الشمس تخللا لاتزال الظلمة سائدة شطراً من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه ومنامه ودفئه ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكد فهو في حاجة الى جوخ لثيابه والى جدران غليظة لمسكنه، فتراه يصرف جزءاً مهماً من وقته في النسيج والتقطير واستخراج الفحم او تراب النفط للرقيد Tourbe خلافاً لابن جنوبي اوربا فانه لايحتاج الى مثل تلك العدة ليعيش والانكليزي اذا لم [illegible] حاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ماضمته احشاء بلاده من المعادن والمناجم ويسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور

ولذا كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدبر فنشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المصالح ودرء المضار وكانت من كماليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل بقعة الى ان ينسلخ عنه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يرزقوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والجامدين والجبناء والعطلين ولم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الدراية العاملين وتأصل ذوق العمل بنشاط دائم فعال في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها٠

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب انتفاعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الهوى في العمل للعمل والميل اليه حباً به ٠ وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبذل منها بطائل وبدون طائل ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشتغال قوم بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورية لدفع حاجة طبيعية لاتقل في مسيس الحاجة اليها عن الجوع والعطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يركضون في الشوارع عدواً كأنهم في سبيل مهم جداً يوشك ان يذهب اذا ابطئوا عليه فيركضون نحوه بدون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال للتخلية والتسلية فهم لايضعون نصب اعينهم غير الغاية العملية التي هي هدفهم ومنتجعهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او عمله ينصرف اليه بجملته ولا يدخل فيه غيره ولا يلتفت الى مايصده او يخطر بباله في غير ماهو بسبيله فتراه لا ينقطع دقيقة عما هو مأخوذ به ولا يني في مهمته ولذلك كانت اجرة العامل الانكليزي ارقى من اجور عملة الامم الاخرى لانه لايلهيه شيء اثناء العمل ويعمل نحو ضعف مايعمله الايرلاندي او الالماني مثلا ٠ وهذا المزاج الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدهشاً

وانك لترى نساء الانكليز لايستنكفون من عمل يتعاطينه لتكون لحياتهن غاية فينصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد تعدها بعض الامم المتمدنة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون لخدمة الانسانية ولذا دخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لايؤمنون به و ينصرفون عن كل شيء بل يعملون باسمين ويجتهدون في الحياة لايصدهم ما اخذوا انفسهم به من الغاية عن النظر في دنيام

و بعد فان الذوق واعتياد العمل يجب ان ينظر اليهما كأنهما خاصة جوهرية وصفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فهما يصحبان الانكليزي حيث يذهب تشفعهما الاسباب المكتومة من نياته وهما مفتاح اسبابه وان الدواعي التي ادخلت ضرورة العمل في هذا الجنس قد اضاعت اليوم من شأنها وذلك لان كثرة الغنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاغنياء واضعف عَلَى التدريج في جزء من سوادالامة الانكليزية الغريزة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل و يقبل به . فاصبح الكسالي والضعاف في هذا المحيط الجديد اكثر حظاً في البقاء فتألف منهم عنصر خاص تحرص حكومته على جلب المنافع اليه واهل السعة من الانكليز يبذلون الفضل من اموالهم له وكل هذا عَلَى الجملة لايضر الصفات التي ورثها الانكليز وتأصلت فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك فهي البلاد التي يجف هواؤها وتكثر كهربائيتها التي تقوي الالياف وتمتن الانسجة و يكون الاحساس في اهلها امرع . ومثل الحس يكون التصور الطبيعي اي حاسة تمثل المحسوسات فانها في الانكليزي تتأخر ولذلك نرى الاعمال الجراحية تكون اقرب الى النجاح في الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قلما يضطرب كالثاني . وقد شاهد خصوم الانكليز من عسكرهم في حروب اسبانيا وواترلو وانكرمان عجباً اذ لم يكونوا يتأثرون للاعضاء تبتر والقذائف تنفجر والعظم يكسر وحشرجة الارواح تتصاعد

ان ارض انكلترا عَلَى ماخصت به من العبوسة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس بنيها حتى لم يجدوا في الوجود مايشغلهم ولذا شغلوا بخاصة انفسهم وقل كلامهم كما قل شعورهم بما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يرتقي و يصفو بالرفاهية وخضال العيش وهو اثر من آثار الثروة العامة والفراغ . ولقد وصف الفيلسوف تين الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشفعه السكوت وهو من اعظم ماتطمح اليه نفس كل انكليزي ان يجاهد في امر ويتحمل المشاق ولا يتنازل عما نوى . وقد اعرب شاعرهم تنسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : ما اعظم عَلَى النفوس ان تقف دون غاية وتجعل لقواها حداً وان تصدأ كالسيف يعلق عَلَى

الحائط بدلاً من ان يلمع في يد حامله ويصقو بالاستعمال . ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل اننا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير مما كنا عليه مابرحنا فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها اصبحت عَلَى الزمن وبيد القدر نهب الضعف ولكنها مسلحة بارادة شديدة في مضائها وبحثها وايجادها وان لاتلين قناتها ابداً .

تقل في العنصر الانكليزي عَلَى الجملة الكفاءة لتصور الافكار العامة ويكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المقررة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه عَلَى الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليس معنى هذا ان حاسة العموميات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لايقبل الا ما يلزمه وينفعه يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا سار بنفسه سار سيراً نافعاً لا سيراً نكراً فعقله لايشبه قائداً في جيش يفكر في وضع خطط الهجوم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بعيداً عن معمعان الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركز له في النقط التي تجاوزها الجيش المهاجم وينظم فيها المقاومة

لاشيء يقع عَلَى عقل الانكليزي من الغرابة اكثر من انكاره القوة الطبيعية *Naturalisme* والنظريات في الالهيات والمعقولات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبرح في نمو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط عَلَى السير فاذا ارتفع هنيهة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعاه يفكر في الامور القريبة التي اكثر ماتكون مساساً به مباشرة وله من مشاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته مايصده عن الحق ولا يفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتئمة مع شروطها وضرورياتها ولذا ترى الانكليزي في مسائل الدين لايتعدى افق العالم المدقق باحوال الانفس والاخلاقي الذي يبحث في المرئيات وليس هو صوفياً او منكراً ولا موحداً وهو لا ينظر الى القواعد الموضوعة والالفاظ بل ينظر الى الغاية من التدين اكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا تقوم حريته فقط عَلَى الدستور الذي يمنح الحرية عَلَى التقاليد الموروثة التي تحمي حمى الحرية القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليز ان كثيرين من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للعالم الانكليزي العامة فهم اخصائيون لاتشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يحدث

22

احد علمائهم في العلم المجرد لايجد من يستمع لكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع نموذجاً ميكانيكياً يطبق فيه العلم على العمل فقط حتى انك لاترى في كتبهم في الكهربائية الا حبالا مرسومة تعلق وتمتد ومواسير يقطر منها ماء وغيرها ينتفخ وآخر ينقبض وهكذا انكلترا في صناعاتها فلا يصدر منها الا مايقع تحت حسها ولا تقص في قصصها الا مايماثل حالتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها التشخيصية وفلسفتها فان فلسفة اوغست كونت الحية ومخترعها فرنسوي وجدت لها اعواناً في انكلترا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صادفت هوى في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البرتستانتية بثباته ويخرج من الكنيسة الكاثلكية اذ كانت دين سلطة قادرة روحية تقنن وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على القيام بتعاليمها اما المذهب البرتستنتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول موجد النظام والقاعدة والآخر محافظ النشاط ومبدعه وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل .

ان تأخر سن البلوغ في شبان الانكليز وعفة النساء الانكليزيات وتعدد الأسر والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديماً من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكلترا الاصليين . وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها ظلت متجانسة ولم تمتزج بغيرها فالانكليز وهم اهم عنصر تتألف منه انكلترا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصر الماني والذين جاؤا بعد لاستيطان انكلترا مثل الدانيمركيين والنورمانديين هم فروع تشعبت من نفس تلك الدوحة

وان مايرى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بما قاله اميرسون فيلسوف اميركا قالت الطبيعة : قد افنى الزمان الرومانيين ومحا اسمهم من سجل الوجود واني اريد ان اؤسس مملكة جديدة وساختار عنصراً شديد الشكيمة كلهم ذكور ولكنهم باجمعهم ذوو قوة وحشية فمن ثم لااعارض فيما ارى من المنافسة بين الذكور القساة المتبربرين الا فليدخل الجاموس قرنه في رأس الجاموس الآخر فيبقى المرعى لاكثرها قوة فانا لي عمل اريد اتمامه يحتاج الى ارادة وعضلات . » وهؤلاء هم الانكليز الذين لايمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارضهم اكثر الامم حرية واكثرها اكراماً لايسرهم لقبول الغرباء ليست انكلترا جزيرة بل شبه قارة فما من امة الا نبهت في افكار

ومنازع تأتيها من اوربا نفسها سرى انكلترا وطالما اقتدت بالبلاد الاخرى ولكن كان اقتداء موقتاً كأنه للتسلية او هو سطحي كأنه زي من الازياء اما سواد الشعب فلم يمس بشيء في منازعه بل ظل مخلصاً لاخلاقه الاولية وبالجملة فقد كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولاسيما عامة الامة فالانكليزي اشبه بساكن الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في مأمن من الاهتزاز فخثر وكثف ولم تعد له تلك الميوعة التي تؤهله الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصبغة الخاصة وقلة الرقة في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني ونتائجه . فما قط تمازج العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانه فهو كالمعدن البعيد جداً عن نقطة التذويب فلا يتأتى ان يجعل منه ادنى مزج وما قط ساووا بانفسهم تلك الشعوب التي افتتحوا بلادها وماتلطفوا في استمالة قلوبهم فلم يعرفوا الا ان يظلموهم و يستنزفوا مادتهم و يدوسوهم او يفنوهم .

ابان الانكليز ايضاً عن عدم كفاءة في فهم مناحي العناصر المنحطة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بايديها و يقوموا ناهضين واياها بما عاملوا به ايرلاندا من المعاملة السوأى ومثل ذلك يتجلى في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام وامن وغنى فترى سلطتهم في بلاد الهند مثلا على احسن طريقة ونظام مدقق قوامه الحشمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمن لم يخرجوا عن كونهم اناساً جفاة لا يألفون ولا يؤلفون وكلما طال العهد عليهم تراهم في ارضها غرباء والاصوات تعلو للخلاص من ربقتهم . وان يوماً يغادرون فيه البلاد المستعبدة لعزيز على نفوس اهليها ولو ذهبت بذهابهم الرفاهية والسلام .

فحكم الانكليزي منهك لقوى العناصر المنحطة وهو استبدادي وكثيراً مايكون قتالاً في البلاد التي يكون فيها للاهلين مجال معهم ولا يدانوهم بنشاطهم وارادتهم لان هؤلاء الفاتحين لم يرزقوا حظاً من تليين وصايتهم وتطبيقها على الصغار والضعاف بل لا يتمثلون ولا يعنون بغير اخوانهم والمساوين لهم .

نعم الانكليزي اكثر الامم اغراقاً في الابتعاد عن الناس والعزوف عن مجتمعاتهم فهو يشعر بانه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من صلاته مع غيره شيئاً ... في ... اخلاقه وقلما يبحث عما يفكرون فيه واذا بحث فبحثه مجرد

لا يدخل نتيجة في عواطفه واعماله فهو ناسك بعيد عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يساكنه في حي واحد والمحيط الذي يعيش فيه ومايشعر فيه بنفسه قلما يكون نسخة بسيطة مما يراه في الخارج نحالة، هو مثل ثمرة كبرت تحت القشرة في نوع من الصدف فهو لا يثمر كقشرة الخوخة وما يمر عليها من مجرى الشمس لا يزيدها اصفراراً ولا احمراراً

الانكليزي لا يشعر باقل ضجر من العيش وحده ولا يجد حاجة ان يقص ما عمله عَلَى غيره ولا يسوقه سائق نفسي ان يقف عَلَى مايعمله غيره فهو فيما خلا الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بما له علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته . يقول اميرسون : « انك تحسب الانكليزي اذا اجتمع مع الاجانب اخرس فهو لا يصافحك ولا يتركك تنظر ما في عينيه في الفندق و يلفظ اسمه بحيث لا يسمع فكل واحد من هؤلاء الجزائريين جزيرة بعينها » ويقول مونتسكيو : « يصعب عَلَى الفرنسيس ان يكون لهم احباب في انكلترا وكيف يحب الانكليز الغرباء عنهم وهم لا يحبون انفسهم وانى يعطوننا ما نأكل وهم لا يثقوا كلون . يجب ان نجري عَلَى خطتهم فلا نهتم باحد ولا نحب احداً ولا نعتمد على احد »

ومن الغريب ان هذه الامة العازفة عن العشرة البعيدة عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من اكثر الامم ميلاً الى الاشتراك وماحديث انديتها ومجامعها وشركاتها المالية بخاف عن احد . وقد شرح فوليي العالم الفرنسوي سر نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله : « انهم بالسكوت يجمعون افكارهم و يتفرغون الى التدبير والتقدير عَلَى ماينبغي و يحسبون دخلهم وخرجهم و بصفو فكرهم اكثر و ينبعث كلامهم جليًا ومن هنا كان التدقيق والرواء رائد جميع اعمالهم العامة والخاصة » وقال كارلايل الفيلسوف الانكليزي : الانكليز شعب اخرس . ثم شرح هذه العبارة بقوله : ان السكوت يزيد في علاقتهم ونظامهم مع ما يبين عنه اللسان . الانكليزي يميل الى الاختفاء ولا يهمه الظهور يهمه تجويد العمل من حيث هو عمل نافع ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها على مقالاتها وهي مع هذا ارقى من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها عَلَى مقالاتهم ليقال عنهم انهم كتبوا ومن آثر الاختفاء من هؤلاء لا يلبث ان يظهر اسمه بصفته

ان كان من خلق الانكليزي الاقدام عَلَى العظائم فان حب الجلال والفرق في

المجهول ليس فيه الا عَلَى ضعف ايضاً فالانكليزي يبقى انكليزياً ويعيش عيشاً انكليزياً حيثما ينزل . والانكليزي اقل من الفرنساوي والايطالي في اليأس من النجاح واكثر منهما هزوءاً بالمتاعب والمخاطر لعلمه بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها وقلما تراه يحسب حساباً لنكد الطالع فترى الشاب يتزوج من فتاة وهو في مقتبل العمر ولا يطالبها ببائنة (دوطة) بل يقترن بها بلا مهر ويقدم عَلَى تأسيس أسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يتقدم عَلَى ادخال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائط النجح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح مصنعه حتى يقوم صانع آخر ينافسه ولكنه يكون استفاد من الفترة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا سبد له ولا لبد ومع هذا ينزح ويرزح تحت اثقال المتاعب وهناك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجنن فيه وفي الحركة والذوق في العمل من اجل انه عمل وكل ذلك مما تقتضيه حالته الطبيعية . وانا لنرى المرسلين منهم يتغربون في الارض ولا يخافون بل يتعزون بما يتم عَلَى ايديهم في الاقاصي وينامون ملء جفونهم شاكرين ويعملون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العقول الغربية في تصورها كثيرون ولكنك لا ترى فيهم احداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد المتعصبة حتى على التبديل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى ادخال تبديل في القوانين والاخلاق والربع الآخر يقبل بالتبديل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلاحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جالد لاول وهلة ريثما أُدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لحمه وعظمه وهكذا شأن الامة العظيمة تتشدد في تقاليدها وتستنكف في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها ما يثبته ثبوت الشمس والقمر .

مهما بلغ من انحطاط مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتهان لا يحسد من كان اعلى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بمنافعه اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لاعتقادها بان الاعمال مقسمة لان الحظوظ متباينة . وبينا ترى فرنسا تقول للوزير كن فكان مهما كان وضيعاً وللنائب كن نائباً فكان مهما كان منحطاً في اصله وللشريف كن شريفاً فيكون تجد انكلترا لا تسمح لوضيع ان يعد في جملة العظماء الا بعد ثلاثة

24

اجيال وذلك عَلَى نظام وترتيب تدريجي لعلم القوم بان الطبيعة في انكلترا تتأخر في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكيًا تعلم علم الحيل (الميكانيك) بالتجربة لا بالنظر فتراه مهتمًا ان ينتج بما له من آلة ما امكن من النتائج ولا يحرص على تبديل محركها او ادواتها لعلمه بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يبذل بلا نتيجة وقتًا واهتمامًا من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة مايضر سيرها تقف حينًا وتنقطع فائدته وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعيًا الى القبول بتعديل آلة عَلَى ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقلل من عملها

يعتقد الانكليز بالضعف البشري ويشعرون بضرورة اخذ الامور بالتدريج والبداءة بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لاتقف القاطرة في هذا الجهاد وتتهور في منحدر لاتقوم منه فهم في شرائعهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قط حدثتهم انفسهم ان يضربوا بما لديهم عرض الحائط ويضعوا غيرها من عند انفسهم . ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الخير في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف عَلَى عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم النافعة لانه قضي عليهم ان يدفعوا عن كل نشرة طابعًا فاجمعوا امرهم على ان يصدروها بدون طوابع فغرمتهم الحكومة وحبستهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر عَلَى عادتها بدون طوابع واصروا الا برفعها فمضت اربع سنين عَلَى هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار الندوة ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضررت من هذا القسم المهم في الميزانية

يعمل الانكليزي حبًا بالعمل نفسه عَلَى حين يعمل غيره من الامم لاحراز الثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل عَلَى ذلك مانراه في اهل الطبقة العالية منهم ممن لهم من ثروتهم مايعفيهم من تعاطي اي عمل كان . نراهم يصرفون نصف ايامهم في الالعاب الرياضية الشديدة ولا يبالون فكأن الرياضات لهم كالفطرة المستحكمة كما كانت الالعاب الاولمبية في يونان ايام عزهم ثم انك لاتجد غنيًا لا يصرف شطرًا من وقته في النظر في شؤون مقاطعته وابرشيته وكثيرًا مايهلك قواه في هذا السبيل عَلَى حين تجد ابنه في اوستراليا او مانيتوبا يعيش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المرسلين في جنوبي افريقية يعمل شاق الاعمال

وبينا نرى الانكليزي اكثر الامم تحاشياً مما فيه عبودية واحرص الناس على الشاغي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية التكلم وحرية القول نراه في نظام أسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فنرى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائنة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا لبكر الاولاد العقارات ويقسموا الاشياء المنقولة بينه وبين اخيه الاصغر منه سناً وتنال الابنة حصة من ذلك ويكون في الاغلب دخلا قليلا تناله من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لاتجيء دار زوجها بما يرفع رأسها عليه لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى انه اذا اتفق ان ازواجهم جاؤهن بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهن حتى من الوصاية على اولادهن ومن التصرف باموالهن . عادات قديمة ورثوها فحافظوا عليها واذ كان ابطال القرون الوسطى في اوربا قد لطفوا من شأن المرأة لان من عادتهم الاخذ بايدي الضعفاء والعاثرين فان انكلترا لم يدخل عليها هذا التلطف والزوجة مع زوجها وما يختار لا ما تختار هي . وترى الوالد والوالدة يربيان ابنهما بعيداً عنهما ولا تأخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه ينساهن واذا مثل بين ايديهما يحترمها .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها انبعث ارتقاؤهم المادي والمعنوي فسبحان المعز المذل القابض الباسط رافع الامم وخافضها ومشقيها ومسعدها

الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربيـــة وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جاراتها وتستدعي بحثاً عَلَي حدتها ولكن مايتعذر عَلَي التفصيل يجدر ان يذكر عَلَي الاجمال . ننظر نظرة عامة في حال العرب ليتجلى لنا ان كانوا ناهضين نحو الرقي ام هم يسيرون سيراً متثاقلا لايعرفون الغاية ولا يهتدون الى وجه الحق سبيلا

اذا بدأنا بمراكش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجدها لم تبرح عَلَى مايبلغنا من امرها امة أُمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي على استقلالها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدنية الغربية وما فتئ اهلها يعيشون في حال التنبت يأكل كبيرهم صغيرهم ويعبث خاصتهم بعامتهم يرون السعادة كل السعادة ماهم فيه ولا تحدثهم انفسهم ان يغيروا منه بان يبحثوا عن سر تفاشلهم وتقاتلهم وجاهليتهم .

فاهل مراكش في تقاليد مدنيتهم كالذين ينتحلون الفتشية اي عبادة الاصنام في افريقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية مازالوا على الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا مالا غنية عنه لكل قبيل مهما انحطت درجة مجتمعه وهيهات ان تتوحد كلمة المراكشيين عَلَي تباين اقطارهم وامصارهم مادامت القبائل تتعادى والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البربر في القاصية وبين اهل فاس وطنجة صلة كأنهم من عالم آخر . اما من يسوغ ان يقال عنهم بان لهم شيئًا مما يطلق عليه اسم مدنية من باب التجوز وهم سكان الامصار فالخاصة منهم لايعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية وتقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً قلد الغربيين في ملبسه وعيشه ومناحيه وتصور معنى المدينة الفاضلة

وهكذا اذا جئت تبحث في حال بوادي المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادئ من الافرنسية يلقنها بعض الجزائريين طوعًا او كرهًا لمارأيتهم الا كبادية مراكش حذو القذة بالقذة . اما مدن الجزائر فسائرة نحو التطبع بطابع المدنية الغربية عَلَى تشدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتحامي من الايغال في تلقف مايضر بكيانهم من قبول تلك المدنية التي تنتهي اذا فتحت لها السبل كلها بصيرورتهم فرنسيساً كما هي ارادة الحكومة والقوم مهما ابدوا من المتانة في مجافاة الاوضاع الافرنسية

تضطرهم بقوة ولو بعد نصف قرن ان يقبلوا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والمنازع التي لا ترى لها ولهم سعادة بدونها · والجزائريون لا يستطيعون عَلَى تلك الحال ان يدرسوا وحكمهم استعماري حتى ولا مبادئ لغتهم لما يحول دون امانيهم من العوائق عَلَى مايقال · وكأنا بالجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصبحت فرنسوية في كل حال من احوالها وانك لترى بعض اهلها يهاجرون منذ سنين ويتخلون بطبيعة الهجرة عن عروضهم وعقارهم وينزل مكانهم اناس من الفرنسيس والطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتملكون الدور والعقار ويقبضون على ازمة التجارة · وقسم من الاهلين يقلد الافرنج فيتعلم عَلَى طريقتهم ويحسن لغتهم وينسى لغته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته فهذا واولاده من بعده يصبحون افرنجاً صرفاً ان لم يكن في الجيل الثاني ففي الثالث والقسم الآخر من السكان وهو المهم الآن وفيه كثير من ارباب الغنى والفكر يجمعون الا قليلا بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة عَلَى تقاليدهم واوضاعهم وهؤلاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يجرفهم سيل المدنية الحديثة فيقبلونها رضوا ام لم يرضوا

وانا اذا حسبنا من تعلموا الافرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم مائتي الف نسمة من أصل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القطر زهاء سبعين سنة فسنرى عددهم يربو على ذلك اضعافاً بعد نصف هذه الحقبة من الزمن · اذ ان الدعوات الدينية والمدنية تكون ضئيلة في الغالب لاول امرها ثم تقوى كالنار اصلها من شرارة ثم يمتد لهيبها وتلتهم البعيد والقريب منها · ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجو في انكلترا مع سكانها فقضى بقاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة عَلَى العاجزين والخاملين وبقي الشعب على الجملة من الاقوياء الاشداء العاملين الناهضين · نعم نحاذر ان تقذف الجزائر بالخاملين الذين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستعيض عنهم بالعاملين من الغربيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة أخذ الاوربيين ·

من اجل هذا ساغ لنا ان نقول ان مستقبل الجزائر ان دام عَلَى هذا المنوال مظلم محزن ومثلها تونس وان كان الامل بنهوض هذا القطر اقرب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة المستعمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في الصورة ولان بعض المنورين من اهلها لم يسعهم بعد طول الروية الا

التشبث الى الرقي باسبابه المنتجة ولو بعد زمن طويل ونعني بذلك التعلم على المناحي الاوربية وعدم اغفال التعاليم القومية والمذهبية . وهذه البزرة عَلَى صغرها لابد ان يأتي يوم عليها تكبر فيه دوحتها وتثمر في ارض قرطاجنة .

اما اقليم برقة او ولاية طرابلس الغرب فشأنها عَلَى اتساع رقعتها وكثرة سكانها شأن البلاد المتأخرة جداً وجمودها في الاخذ بمذاهب الحضارة جمود المغاربة المراكشيين وبلادهم حتى الحواضر منها بادية اكثر منها متحضرة وقلما تجد نهوضاً الى التعلم الحقيقي فيهم والنبهاء منهم يرون الاكتفاء بان يتلقوا مبادئ العلوم في مدارس الحكومة للتوظف في خدمتها اما سائر مذاهب المدنية فقد اغفلوه ولذلك يصعب ان نقول عنهم انهم كالطفل يقوم ويقعد او يحبو ويدب

جئنا الى مصر ومصر معقد الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها من الاقطار العربية ومركزها التجاري المهم الداعي الى اختلاطها بالامم الاخرى كثيراً وخصب تربتها وغناها وكثرة سكانها كثرة قلما يتأتى لواد كوادي النيل ان يحوي مثله نفوساً يوفر لهم مرافق العيش وانتظام حكومتها بعد الاسلام عَلَى اختلاف الدول التي حكمتها ومدنيتها القديمة ونظامها الذي عم اريافها كما عمَّ امصارها وتسلسل الميل في ابنائها للاخذ بمذاهب الحضارة الغربية وتأسيس اوضاعها والعناية بما يبقي عليها جنسيتها ونحلتها كل هذا مما يرجى منه ان يكون حضارة عربية غربية تأخذ ان شاء الله من الحضارتين اطايبهما عَلَى نحو ما فعلت يابان يوم عزمت ان تنشأ نشأة راقية تضاهي بها دول المنعة والمدنية الحديثة فلم تتخل عن شعائرها ولم تتناول كل ما وقعت ابصارها عليه من اسباب الحضارة الغربية فجاءت بمدنية لاشرقية ولاغربية يكاد سنا ضوئها يأخذ بالابصار

ولقد خط الزمان لمصر خطة منظمة في الارتقاء وفيها الذين قلدوا الراقين من الغربيين بعيشهم ومناحيهم وادلالهم بوطنيتهم وأرومتهم وعندها مايلزم لامة من ادوات الرقي عَلَى اتمه الا قليلا . واذا نشأت لبعض ابنائها رغبة في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية كما اولعوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد بضع وعشرين سنة كأمة اوربية راقية وربما فاقت الآن وهي بعلمها وارتقائها في قارة افريقية بمنزلة المانيا او فرنسا في قارة اوربا كثيراً من الشعوب المنحطة في جنوبي اوربا

اما سورية فقد انشأت لها مدنية خاصة ان صح ان نسميها كذلك ولكنها متلونة بتلون مصادرها مختلفة باختلاف اهويتها وعناصر سكانها فالاتراك يلقنونها بعضهم منذ استيلاء

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يوفقوا الا بتعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصلحتهم التجارية كأهل حلب وما جاورها مثلا بتعلمها او غرامهم بالوظائف العلمية والعسكرية والملكية كأهل دمشق وطرابلس و بيروت ان يتلقفوها اما الذين تأثروا من ابنائها بالمدنية الغربية المنبعثة من المدارس الفرنسوية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها فاوفر عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في فلسطين اي في جنوبي سورية اقوى منها في شماليها وفي غربيها اكثر مما هي في شرقيها فتجد الناشئة الجديدة عَلَى المناحي الغربية في القدس ويافا وحيفا وعكا والناصرة وصور وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية . وكلما كثر في بلد سواد المسلمين كان البعد عن الاخذ بمدنية الغرب اكثر من غيره من المدن المجنسة باديانها وتباين اغراض المعلمين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنعاً اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من اللغة التركية او عَلَى الاقل جعلتها مثلها ليكون لها من ابنائها اكفاء في صد تيار المدارس الاجنبية التي تعد الناس للهجرة اكثر من تحبيب بلادهم في اعينهم اما السعي في تتريك العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق والجزيرة فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيس والانكليز في الرقي ومعرفة المدخل والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم عَلَى العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقيماً في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل عَلَى ذلك ان الولايات التركية احط بكثير من بعض الولايات العربية فولايتا سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخبروا قراها كما خبروا مدنها اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقى من بلاد الاكراد وارمينية وولايات آسيا الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز لنا هنا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية الا انه لم يعين له خطة معينة حتى الآن وحالته مناط بغناء نوابه بل نواب العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية والعلمية والعمرانية والا فتبقى في حالة التذبذب

اما سائر الاقطار العربية فلا يسوغ لنا ان نقول انها اخذت تحبو ما دامت الفتن

تنهك قواها وذلك مثل بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لم يكد يتقرر في نصابه في قطر من اقطارها مدة طويلة ومنذ نحو اربعين سنة لا تخلو سنة الا وتنتشر الفتن في بقعة من بقاع اليمن وكذلك جنوبي سورية ونجد والعراق ولولا بقايا مدنية تقذفها الهند على خليج فارس فينال منها البصرة وبغداد شيء قليل او تلك الآثار الضئيلة التي يلقيها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب على بعض موانئ البحر من جهة الجزيرة العربية لقلنا ان هذه لم تختلف حالتها عن بضعة قرون الا ما كان من خلل الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الملايين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام وطرابلس الغرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظم خير من كثير مشتت وان اهل سويسرا وهم ليسوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب المنبثين من شواطىء بحر الظلمات الى شواطيء المحيط الهندي اكثر اثراً في المدنية من العرب اليوم وهم لا يقلون عن ستين مليوناً وما ذلك الا لبعد اقطارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فتجدها اما الى اليقظة الغريبة او الى الاهمال المدهش . افراط او تفريط وكلا هذين ان زاد قتل .

اما سائر البلاد العربية كزنجبار والسودان واواسط افريقية فحالها تبع للاقدار وهي اقرب الى الانصباغ بصبغة الحاكمين عليها لان اهلها على الاغلب ليست لهم في الاصل مدنية راقية زالت ثم بدأت تعود ولأن اقاليمهم الحارة تفعل في عقولهم فتخملها كما تفعل الاقاليم الباردة في عقول الساكنين فيها فتنشطها وتبعث منهم قوة الارادة والثبات وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرهم الى تنويع اساليب العمل

وبعد فليس كمصر بين البلاد في رقيها فهي ام الاقطار العربية وسوف تعلم غيرها كما تعلمت فترسل اشعة انوارها على الاقطار ولا سيما اذا نالت استقلالها الاداري واصبحت ذات دستور يحل شؤونها ونهوض البلاد بحسب طبائع الحكومات التي تتولاها

والمدنية كتيار قوي لا تقف في وجهه سدود الحكومات مهما ضغطت . ورابطة اللغة والدين اقوى الروابط لا تنزعها القوانين اليوم مهما جارت والامة الآن تحبو وتوشك ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات التام الادوات والصفات . خصوصاً اذا تعاطفت وتعارفت اكثر مما تتعاطف الآن وتتعارف وعندنا ان الصلات الاقتصادية اي التجارية اذا قويت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ورحل التاجر الراقي من العراق الى تونس وجاء المراكشي الى الشام ونهض اليماني نحو مصر وكثرت الصلات والمواصلات واشتركت المنافع والمحبات يأتي ان نقول ولو بعد قرن او قرنين — والقرن والقرنان في حياة الامم

شيئاً في حياة الام — ان هناك امة عربية ذات كيان يذكر لايقل عن كيان الطليان والالمان او اليابان والاميركان والعصر عصر تكوين الوطنيات باللغات واحياء ما ندثر من القوات بضم شملها بعد الشتات ولا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والآداب وتذكير الابناء بما فعل الآباء والا فتبقى هذه الامة الكثيرة الحصا لوافرة البقاع والاصقاع امام المدنية الغربية اقرب الى الاضمحلال منها الى البقاء ومتى أزمن مرضها يتعذر برؤها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم

العفة

وتمدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحبه عن تناول مالا يحل : فاذا عرض له ملذوذ محرم . اوسنحت له شهوة محظورة حال هذا الخلق الكريم بينه وبين التلوث بها . وقد غلب استعمال كلمة « العفة » في تجنب قاذورة الزنا . ومن اكرم نفسه عن هذه القاذورة كان في منجاة من خزي الدنيا . وعذاب الآخرة . ويكفي الزاني خزيا في دنياه ان يكون محتقراً في ذويه معرضاً للعاهات والامراض الخبيثة . وان يصبح قدوة سيئة لأهله وولده في سلوك هذا الطريق المشؤوم . واني اعرف رجلا ابتلي بهذه الرذيلة فكان له في كل يوم خليلة يختلف اليها . وينفق من رزق عياله عليها . وكان له زوجة واولاد: فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في التكتم . ولما بلغ اكبر اولاده سن الرشد مال الى هذا المنكر ونما في نفسه حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطلب القينات . وتصبيهن . والانفاق عليهن .

وكيف يكون موقف الاب إزاء عمل ابنه هذا؟ أتراه يقدر عَلَى كبح جماحه وارجاعه عن غيه . واقناعه بان ماهو فيه يؤدي الى قبح الاحدوثة . وضياع الشرف . وخسار الصحة . وعذاب الآخرة . فاذا نصح له ابوه بمثل هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له ياترى؟ وفي مثل هذه القصة قال الشاعر في المثل السائر .

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه عَلَى الرقص

وقديمًا ما تمدح العرب بالتخلق بالعفة . والابتعاد عن التلوث بقاذورة العهر . بل تجنب كل مايلحق بهم ريبة . او يدعو الى سوء ظنة . فكان احدهم لايزور امرأة جاره في غيبة زوجها تأثمًا وتكرمًا .

واذا كان جواداً مثل حاتم الطائي · وكان له جار بادي الخصاصة · احتال في ارفاد زوجته اثناء غيبته من دون أن يلم بها · او يدخل بيتها وقد دل حاتم عَلَى خلقه هـذا في قـوله :

وما تشتكيني جارتي غـير انني اذا غاب عنها بعلها لاأزورها

سيبلغها خيري ويرجع بعلهـا اليها ولم تسبل عليَّ ستورهـا

قوله وما (تشتكيني) اي لايمكنها ان تشكوني الى نساء الحي فتقول : ان حاتماً بخل عليّ · ومنع عني معروفه · في غياب زوجي · لاتقول ذلك لما اني كنت لااقصر في فعل كل ماينعم عيشها · ويكفي حاجتها · الا الزيارة فاني كنت ادعها مدة غياب زوجها · وقوله (سيبلغها خيري) اي يصل اليها معروفي ورفدي ولا ازال كذلك حتى يرجع زوجها من دون ان ادخل خدرها · وتسبل عليَّ سترها ·

وقال حاتم ايضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر

يقول ان جاري لايضرم ناراً لنفسه وانما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ عليها · بل ان القدر تنزل عن النار وتقدم اليه ليتناول منها حاجته قبلي

ماضرني جار اجاوره ان لايكون لبابه ستر

لاأبالي ان لاتكون ستارة عَلَى باب بيت جاري · وذلك لاني عفيف العين فلااخشى على نفسي التطلع الى داخل البيت · والنظر الى النساء اللائي فيه ·

اعشو اذا ماجارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه الى حاتم : فيقال له احسنت اذ لم ترسل نظراتك الخائنة من خلال الستور الى نساء جارك ولكن كيف تصنع اذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين المضارب والبيوت · فقال اني اذ ذاك (اعشو) اي اغض عينيَّ او أغمضهما فلا اعود ابصرها حتى تدخل خدرها · وتتوارى فيه · واصل (العشى) مقصور من دون همز — ان يضعف بصر المرء فلا يعود يبصر في الليل · وان كان يقدر عَلَى الابصار في النهار · والوصف منه اعشى · وبه سمي الشاعر المشهور · « والناقة العشواء » التي لاتبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء يعترضها · وتعتسف الطرق عَلَى غير هدى · ومنه المثل فلان يخبط خبط عشواء ·

وقد تجوز حاتم فاستعمل « العشى » هنا بمعنى غض العين . او تخزير الجفن بحيث لايعود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر:

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلا في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء يجدر بنا ان نحفظه . ونحتذي مثاله . فلا نتعرض الى النساء الاجنبيات . ولا نسارقهن النظرات الخائنات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتي وانني لمشنوء الي اغتيابها

(مشنوء)مبغض مكروه . يقول انه يكره ان يزورها لئلا يساء به الظن فيهان . كما يكره ان يغتابها لئلا يقال انه تنزل لمنافسة النسوان .

اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها زواراً ولم تنبح علي كلابها

« زوار » عَلَى وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهن ومجالستهن « زير »وبه سمي المهلهل اخو كليب «الزير» ويقال فلان «زير نساء»اذا كان مولعاً بمجالستهن وتصبيهن

وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من أي حوك ثيابها

«حوك»مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء يعمل عَلَى تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن فيدري ما اذا جرى بينها وبين جارتها اوخادمتها وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه . وقد يستخبر منها عن نسيج ثوبها . ومن اي صنف او جنس هو . ومن اين اشترته . وعند أية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لأجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او يصادفها . فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلهم . فهو ينفي عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشتغل بالنساء اشتغالهم .

ومثاله في ذلك عقيل بن علفة المري الذي يقول من ابيات :

ولست بسائل جارات بيتي اغياب رجالك ام حضور

(غياب)جمع غائب . وقوله (رجالك) اصله (رجالكنَّ) بالنون لان الخطاب للجارات وهن جمع . قالوا ان هذا الحذف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لايسألهن هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن . او انه لايسألهن اياه ارادة الدخول عليهن . وقضاء لبانة منهن

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمره الورود

(العير) حمار الوحش · ووروده مجيئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه بعد شربه منه · و (غمره) بتشديد الميم من التغمير · وهو ان يرد حمار الوحش الماء فيشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له عَلَى الماء فيرجع نافراً غير متلبث وبه الى الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة ·

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريبة · وارده كما يرد عير الوحش منهل الماء · حتى اذا علمت بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل عير الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مغمراً تغميراً · وهو شديد الظمأ اليه ·

ولا ملق لذي الودعات سوطي الاعبه وربته اريد

(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يعلقون عليه الودع خشية العين ومسيس الجن · وقوله (ربته) تأنيث (رب) وضميره يرجع لذي الودعات · ويعني بربته امه : لانها تربه · وتملك امره وتصلح من شأنه · حتى يبلغ كماله · والتربية مأخوذة من هذه المادة ·

وقد زاد الشاعر هنا معنىً لم يقله زميله الشاعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوقح الذي يتوصل الى مغازلة النساء ومحادثتهن بمناغاة اطفالهن وملاعبتهم · فاذا رأى طفلاً مع امرأة حسناء او خادمة وسيمة القى الى طفلها سوطه او سبحته او فم سيكارته يظهر من نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم · والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد صاحبة الطفل · ويبغي بها السوء ·

واسلوب هذه الابيات يعطي ان قائلها يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول اني لا اتنزل لامثال هذه الشناعات وانما ذاك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك · ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان الثمهم والامر قد يغزى به الامر

(يغزى) من غزا قصد · ومنه غزو العدو · لان الغازي يقصدهم في موضعهم · ومنه ايضاً (مغزى) الكلام · و (مغزى) القصة اي المعنى المقصود منهما · فلثم الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر · وهو تجميش المرأة والتفكه بحسنها وجمالها · وشكلها ودلالها ·

ولا اريد بـ« الشكل » هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الغنج والدلال وشينهـا تفنج وتكسر · شكلت المرأة كفرحت فهي شكلة ·

اما « التجميش » فلا ابيح لنفسي التصريح باصل اشتقاقه · وانمـا اكتفي بتفسيره بالمغازلة ·

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من غزل القطن والصوف · وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم · لان الزير يجلس الى المرأة وهي تغزل فقد يساعدها بالغزل او يحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد ان تنسج به مثلا ويكون الزير بصنيعه هذا كأنه شاركها في الغزل · ولذلك جاء فعله (مغازلة) عَلَى بناء المشاركة · ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احاديث اخرى يعلمها الازيار · ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم ·

وزان بحب الزنا مغرم اماط رداء الحيـا واطرح
يقبل اولادهن الصغـا ر ومن عشق الدن باس القدح

المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناشئة الامة وبث روح العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية في تونس · وامامنا الآن الخطاب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لاتسمو كلمة الامة ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا تألفت في العالم المتمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً واحساساً · فرغبة في الحصول عَلَى هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية فوفقوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلمية التي مضى عليها الآن مدة تناهز اربعة عشر عاماً لم تزل في غضونها دائبة عَلَى القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة وتلامذة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد العلمي كفرع للكلية الزيتونية ٠

ومع قيامها بتلك الوظيفة السامية لم تزل ايضاً تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة عَلَى التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لايحسن الجهل بها في الاوقات الحالية

وقال : ان مادة بقاء الجمعية هي اعانة المشتركين من ذوي الغيرة والمروءة الذين قدروا المشروع حق قدره واستمروا عَلَى مساعدته بمالهم وعلمهم ٠ وعناية اعضاء لجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفتخر بحزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتصييرها من ارقى الجمعيات العلمية في شمالي افريقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل وانفق وقتاً ثميناً من حياته لتحسين تراتيبها واساليب تعليمها ٠ ثم اهتمام السادة المدرسين الذين قاموا بما نيط بهم احسن قيام وساعدوا الجمعية عَلَى نشر العلوم التي كانت مفقودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق التلاتلي والسيد عبد الرزاق الغطاس وغيرهم ٠

وقال : ان اهم نتيجة لعمل اللجنة في السنة السالفة مضاعفة الاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وماقررته بموافقة الجلسة العامة من تغيير مدة التعليم وتصييرها عامين بعد ان كانت عاماً واحداً حرصاً عَلَى ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علماً واوفر استعداداً لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم المعاشية ومن تنظيم نظام التعليم بما يشمل بعض فنون عصرية كالحكمة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومباديء اللغة الفرنسوية الخ ٠

هذا اهم ما ورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لهم نقلاً عن تقريرها سنة ١٩٠٦ وهو يصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها المسيو ربليه الملحق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتبحرين في المسائل الاسلامية والواقفين عَلَى حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه ان في مكنة شبان تونس المتعلمين في المدارس الفرنسوية ان ينشروا في القطر التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويصلحوا جامع

الزيتونة عَلَى ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعثًا للنور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمالي افريقية . وهكذا سعى الى تأسيس هذه الجمعية فانشأها زمرة من الفضلاء والمفكرين ودعوها بالخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي .

ومن نظامها فتح دروس والقاء محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل عَلَى من فيهم استعداد لسلوك سبل الارتقاء في العلم وتنشط عَلَى احداث خزائن كتب وان تنشئ مجلة بالعربية والافرنسية تعرف العرب بالمدنية الفرنسوية والفرنسيس بالحضارة العربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جعلتها محلاً لصفوفها ومسامراتها ومكتبتها التي كانت تحتوي سنة ١٩٠٦ عَلَى ٦٩٠ مصنفًا بالعربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلداً وفيها الامهات الممتعة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدنية الاسلام

وقد لقي هذا المشروع معاكسات قوية باديء بدء، وكثرت فيه الظنون والتخرصات عَلَى نحو ما يلقى في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بعد حين سلامة قصد القائمين وسكتت الالسن عن تناول الخلدونيين بسوء خصوصًا لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستعمرة لجمعيتهم ولان المتخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون عَلَى غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلقى في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وقد اقاموا معملا كيماوياً في مكتبة المدرسة ليطبقوا العلم عَلَى العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة ورسم الاراضي (الطوبوغرافيا) والرسم والجبر. واهم ماتدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العلمية والنظام القضائي في تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقيها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكاتبون والباحثون باللغة العربية وكان المستمعون قلائل جداً باديء الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من العشرات الى المئة والمئتين وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦ — ٦٨٨٩ فرنكا ونفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرئاسة الخلدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الزاوش من علماء تونس والمتجددين الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر

بلغ مجموع ايراد هذه الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ — ٢٢٣٤٠ جنيهاً و ٧٦ مليما منها ٩٩٧ج و ٢٠٠م اشتراكات و٧١٧٢ ج و٢٢٥م ايجار اطيان و٢٩١٧ج و ٨٩١م للاحتفال السنوي منه مبلغ ٢٢٣٧ ج و٣٧٦ م لسنة ١٩٠٩ و٥٢٤ج و٦٧٢م تبرعات و٢٠٣ج ايجار مباني الجمعية ببني مزار وطنطا و٧٥ ج مرتبات خيرية وجنيه ومائة مليم ايرادات متنوعة عمومية و٦٧٧٣ج و٥٠٠م أجور تعليم و١٣٧٨ج و٥٦١ م ثمن كتب وأدوات مبيعة و١٤٥٠ج مرتبات خيرية و٨٢ج و ٣٧٥م ايراد وقف المرحوم احمد افندي شاكر و٦٦٣ج و٧٨٠ م تبرعات و٤٥ ج جائزتا المرحوم علي باشا مبارك وحضرة عبد الرحمن بك رضا ٥٥ج و٧٦٥ مليما . وبلغ اجمالي المصروفات ١٨٥٥٢ج و٦٤٨م وبلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ وهي نفقات التعليم والاعانة والصدقة الخصوصية والنفقات العامة ١١٠٣٤ جنيهاً و٣٢٨ مليماً

التعليم الدنيوي

نشر المسيو كومبايري من علماء الفرنسيس مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الدنيوي (العلماني) في فرنسا وحاضره ومستقبله جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ١٢٠ مليون فرنك على المعلمين والمعلمات عدا ماتنفقه على بناء البيوت لمعلمي المدارس ومعلماتها وان عددهم يبلغ ٥٣٢٧٦ معلماً و٥٩٣١٥ معلمة بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ يتخرجون ويتخرجن من ١٧٥ داراً للمعلمين يتقنون فيها مايلزمهم تخريج الصبيان والبنات وكان عدد المتعلمين سنة ١٩٠٧ في مدارس الحكومة الدنيوية ٤،٥٤٢،٦٣١ فتى وفتاة ماعدا ٥٢٢٩٤٧ ولداً في مدارس الامهات العامة و١٢٣١ ٨١ تلميذاً في المدارس الخاصة و٢٢٨٢١٣ في مدارس الرهبنات وهكذا زادت فرنسا مدارسها في الثلاثين سنة الاخيرة فكاثرت فيها كما كثرت كنائسها في القرون الوسطى وانتشرت المدارس حتى في القري البعيدة فكان عدد مدارس القرى او مدارس الشعب سنة ١٨٤٣ — ٣٨٠٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٧ — ٦٨١٢٨ مدرسة

ومع مابذل من العناية لم توفق فرنسا الى اخراج الامة كلها من ظلمات الأمية فكان عدد الاميين من الجنود الذين كانوا تحت السلاح سنة ١٩٠٨ — ٩٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و ٤١٧٥ يقرأون فقط على حين كان في الجند العامل سنة ١٨٧٢ — ٥٦٠٠٠ أمي وفرنسا مع كل ذلك لم تبلغ مبلغ جاراتها في قلة عدد الاميين في انكلترا فلم ... في

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ الفاً عشرين أمياً فقط وفي الجيش الالماني واحد في الالف يعد في الاميين والسبب في كثرة الاميين في فرنسا بالنسبة لغيرها جهل بعض الآباء واهمال الاولاد عَلَى كثرة تشديد المعارف والبلديات عَلَى اولياء الاولاد الذين يهملون ارسال اولادهم الى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين مايخرجهم عن حد الأمية . والسبب الاجتماعي الذي يدعو في الغالب الى تخلف الاولاد عن دخول المدارس قلة ذات ايدي آبائهم فلا يستطيعون ان يظهروا في بزة تناسب حالهم بين اترابهم ولكن الحكومة تداركت الامر وانشأت منذ مدة صناديق للمدارس يضع فيها المحسنون صدقاتهم ومنها ينفق علي الاولاد المحاويج مايلزمهم من كسوة وطعام مغذ في الشتاء ولكن لم تعم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ الف صندوق ا ٣٧ الف مديرية اومقاطعة

وبعد ان قال ان الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تحول بين اولاد الفلاحين والاختلاف الى المدارس ذكر ان بعض الذكور يحتاجون ان يعملوا ليطعموا بعض أسرتهم ومن الاناث من يقمن عَلَى تربية اخواتهن واخوتهن مدة تغيب والداتهن في الحقول وان اولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لانك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش او الزرع او الحصاد او قطف الكروم

ومن اعظم مايحول دون تعميم المدارس الدنيوية طغمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف الى مدارس الحكومة لانها لا تعلم الدين وطردوا اولاداً لم يرقهم امرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤلف عَلَى هواهم فالتعليم الدنيوي لم ينجح على ما يجب بعد لضعف الوازع الاخلاقي ولانه من الصعب ان تعلم امة بامرها تعاليم العقل وتطبق نفسها عَلَى نظامه واشراب التعليم الاخلاقي الآن لفتيان صغار في عقولهم لا يتأتى لهم ان يقدروا نتائجه حق قدرها

ومن الطرق التي ارتآها بعض الاساتذة في اصلاح هذا الحال ان يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل المانيا في تعليم جندها الامي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الاطفال .

ويرون ان خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالاولى الاقلال منها ما امكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ تعدم فقط المبادئ طائفة

لا يتعب بها ذهنه، وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالي

وقد نصح الكاتب للاساتذة ان لا يدخلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساءهم فصل الحكومة عن الكنيسة و يطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالا حتى تكون للامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة في حكومة فقال لهم ماقاله جول فري مؤسس التعليم الدنيوي لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة فخير لكم ان تنشئوا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا على انتخاب نائب في مجلس الامة » .

وليس معنى المدارس الدنيوية انها ضد الاديان بل معناه انها على الحيدة لا يحب القائمون بامر الامة ان يلقي المعلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في الشوارع والازقة بل تريده على ان يترك من وكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤن فاذا خالف ذلك واورد لهم مبدأً دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس الدنيوية ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او الدنيوية في بيروت مجلة يكون لسان حالها باللغات الثلاث العربية والتركية والافرنسية سمتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسلانيك وبيروت وغيرها من البلاد والحواضر . وهي ترجو ان « تتعدد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهراً طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلم التي يجتمع على مقاعدها الموسوي والعيسوي والمحمدي جنباً الى جنب فيتعلمون كيف يحب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشريعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يباغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً و يتضارسون ؟!

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لنشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيس اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرنكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لا الطعن بالاديان وتعلم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها انساني تقصد به تحسين حالة

الناشئة في الماديات والمعنويات وتكميل الانسانية في المعقولات والاجتماعيات . وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينه (١٨٠٣ — ١٨٧٤) احد المبشرين الأُول بالتعليم العلماني قال في الجمعية العلمانية : انها تعيش بمبدإ حب الوطنيين بعضهم بعضاً بقطع النظر عن معتقداتهم فعسى ان تكون كما قال واكده مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعمار وبث الافكار

فلسفة اديسون

خالف هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهربائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجمجم باعتقاده المادي وانكر الخلود محاولاً ان يورد حجة عَلَى دعواه في حوار له مع احدهم فقال : ليس الانسان انساناً بذاته بل هو بالخلايا التي فيه فالدماغ الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لاسبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آلتي الفوتوغرافية عَلَى اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلما ذا نطالب به للادمغة او للقوة التي فيها . لاجرم ان ذلك ناشيءٌ من كوننا لانعرف هـذه القوة التي نعتقد بخلودها اذاً فلنحكم بان الكهربائية خالدة ايضاً لانها قوة نجهلها .

هذا ماقاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت تصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وانطلقت الالسن في شرح اقواله في الاندية وقد صرح أديسون في خلال مقالاته ان خصومه يعثرون على حجج تؤيد مدعاه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه « الدماغ والشخصية » الا ان مصنف هذا الكتاب نفسه سئل عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن ينتظر منه فقال ان آراء اديسون مخالفة للعلم فالامة التي لاتعتقد بخلود النفس يختل امرها وقد رد بعض القسيسين عَلَى اديسون في معنى الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة متلاحمة من الخلايا فلا يكون اديسون مخترع الفونوغراف بل مجموع خلايا فقط .

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فاصبحت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات تسعمائة الف في السنة ولذلك نرى الفقراء كثاراً فيها وكذلك الاشتراكيون لان معامل

مالهم من الاسباب ان يقللوا من الشقاء في المدن والقرى فمما تقوم به المانيا في برلين مثلاً لتخفيف شقاء الفقراء انها افتتحت اربعة اسواق لاتباع فيها اللحوم الا من الفقراء ويحظر رجال الشرطة والصحة دخولها على غيرهم من اهل السعة . والسبب في هذا الحظر هو ان اللحوم كلها سواء كانت لحم بقر او عجل او خروف او خنزير لاتخلو من شبهة ولذلك لا يسمح ببيعها من الفقراء الا اذا جعلت في معمل كيماوي يعقمها التعقيم العلمي فيقتل منها الجراثيم الضارة . وهذه الرخصة بالسماح ببيع اللحوم الملوثة قد لا يسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان بالعلم اقسموا ان ينتفعوا حتى مما يضر ولا يطرحون شيئاً مهما بلغ من تفاهته وبذلك ينتفع جماهير المحاويج بتناول اللحوم اللازمة لهم في جهاد الحياة هناك

تعلم اللغات

اقرب طريقة لدرس لغة من اللغات ان يتلقفها الطالب من افواه ابنائها او ممن يحسنها كاحدهم ولما كان هذا متعذراً على بعض الاشخاص ممن لم يسعفهم الحظ بوجود معلم ليدرسهم اللغة التي يطلبونها في بلدهم اخترع احد الاميركيين آلة على نسق الحاكي يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الافرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبد نفقات الاستاذ او عناء السفر الى تلك البلاد ليدرس لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٧ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وفي سنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكيماويين تأثير النور في الفضة وقام بروغام بعد حين وادعى امكان حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة .

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسويان اسمهما نيبس وداكرونالا جائزة من حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتهما واقدم الصور الفوتوغرافية محفوظ في متحف شالون سورسون في فرنسا مسقط رأس نيبس وكان دوروتي درابر اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شقيقه رسم سنة ١٨٢٩ . وظل التصوير الشمسي يرتقي الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز الناتيء وانهما نجحتا واعلنوا خبر اختراع التصوير الملون وهكذا لا ينتهي الاكتشاف والاختراع مادام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية[1]

ايها السادة

كلمتي اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية

تعلمون ان كل مصلح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صداً واعراضاً والكتب الالهية والتواريخ الاجتماعية شاهد حق عَلَى مانقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لاقى كذلك فوق ما يلاقيه كل مصلح للهيئة الاجتماعية وعانى من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه وغيرهم مالم يعانه نبي من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً عَلَى الاذى لايفتأ يدعو قومه الى الاسلام و يعرض نفسه عَلَى قبائل العرب في مواسم الحج و يدعوهم الى دينه وحمايته من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى والحق ووضع قواعد الترقي الاجتماعي عَلَى اساس مكين

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها و يقبلون الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما في ذلك العصر وفي قوم حالهم من الجهالة معروف لذا لم تصادف دعوته قبولا الا من جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب واشباههم من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض عَلَى ماتعلمون

كان في اسلام هؤلاء مايكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم عَلَى اوثانهم فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فألجأوه في نهاية الامر للهجرة الى المدينة مع ذلك النفر من المؤمنين ٠

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة القابلة والتي بعدها جماعة منهم ببيعة قومهم فبايعوه بيعة العقبة الثالثة وقيل هي الثانية واستوثق له منهم عمه العباس بن عبدالمطلب

(١) خطبة لرفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية

فأقسموا على نصرته وعاهدوه عَلَى تأييد دعوته ثم نصروه بالقول والفعل وسموا بعد ذلك انصارا ونعم هذا الاسم وحبذا الفخر بنصرة الحق والحقيقة والعدل

امر بعد ذلك اصحابه بالهجرة الى المدينة فأخذوا يهاجرون ارسالا الى جماعات مستخفين الا بطل قريش واشجع شجعانهم المجاهر بدعوة الحق رغما عن انوف المكابرين فخر الامة الاسلامية بل فخر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فانه اعلن هجرته وخرج مهاجراً عَلَى ملاء جبابرة قريش فلم يسعهم منعه او الوصول اليه بسوء

اتصل بعد ذلك بالنبي خبر تآمر قريش عَلَى قتله فاتفق مع صاحبه ابى بكر عَلَى الخروج في نفس تلك الليلة التي عينوها لقتله وترك عَلَى فراشه عليًا ابن عمه وخرج والقوم يرصدونه فزاغت ابصارهم عنه وانقذه الله منهم رحمة بالانسانية وانقاذاً لكثير من الامم من ظلمات الشرور

وكان خروجه عليه السلام في مثل هذا اليوم المبارك ومن جميل المصادفات انه كان يوم الاثنين كيومنا هذا الذي نحتفل فيه وذلك سنة ثلاث عشرة للبعثة فسلمه الله وصاحبه من كيدهم وبلغ مأمنه بسلام في قصة طويلة معروفة في التاريخ

هذه اسباب الهجرة فما هي نتائجها الادبية ؟

عجيب ايها السادة امر هذا الانسان القوي الضعيف بينما يتطال احيانا الى ان يتناول بمداركه كل ماتحت السماء ينحط حينا آخر الى حضيض الغبراء · فمحمد صلى الله عليه وسلم انما كان يريد حياة هؤلاء القوم ولكنهم كانوا يريدون قتله فما هذا التباين العظيم وكيف بلغت بهم قوة التمييز من الضعف هذا الحد ؟

اريد حياته ويريد قتلي ولو علم الحقيقة ما ارادا

نعم جهلوا حقيقة النبي لا لنقص في ذكائهم الفطري واستعدادهم لقبول الفضيلة لان ماظهر منهم بعد بضع سنين من ذلك التاريخ يؤيد انهم كانوا اذكى الشعوب واعظمها قابلية للخير والفضيلة لكن الانصراف الى عبادة الاوثان يدعو من طبعه الى الانصراف عن التفكر في خالق الوجود ويوجد الكمال في الطبيعة فيقف بالفكر عند حد محدود من التصور ويصده عن درك كثير من الحقائق عند عرضها عليه او مفاجأته بما لم يألفه منها وهكذا كان شأن قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بادئ الامر

ولقد تحقق بعد لقريش وللعرب والناس كافة ان سلامة النبي من غائلة قريش

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش انفسها وسعادة مئات الملايين من البشر ونهاية التقضاء في قسم عظيم من الارض على عبادة الاوثان وعلى سلطة افراد من سدنة الهياكل وكهنتها ، سلطة لا حد لها لا على النفوس فقط بل على الضمائر والعقول ايضا · اقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت تقيم طائفة من الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من الالهة تسحر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء ولا تعطيه منه الا بمقدار مايستطيع مئات الالوف من البشر ان يبنوا هيكلا للشمس او قبراً لابن الشمس مكرهين مسخرين

ان اطلال تلك الهياكل الفخمة وبقايا تلك القبور الهائلة الماثلة الى اليوم تدل على ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل الهياكل لا من اجل الشعب ولا ابالغ ان قلت ان بعض المدنيات القديمة للامم البائدة احرى بها ان تسمى مدنيات الهياكل بفضل اولئك السدنة الذين كانوا يحجبون عن العقول نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعباداً للنفوس والارواح وقد اخبرتنا الكتب المقدسة واخبرنا التاريخ من احاديث اولئك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح

هذا هو السر في أن قريشاً وهي سدنة البيت العتيق اهتزت اعصابها واستشعرت الخطر على سيادتها الدينية لاول دعاء دعا به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله ولا عبودية لاحد سواه · فأظهروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه الى الهجرة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة مخبوء لهم تحتها فوق مايزعمون من السيادة الوهمية وهي سيادة العلم والمدنية والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليهم من ميراث الامم لما فعلوا معه مافعلوه ولكن اكثر الناس اعداء ماجهلوه

ومهما كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش وللعرب والانسانية جمعاء اذ تمكن بعد امتناعه بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الغراء التي قيدت قيود عبودية البشر للبشر وفسحت للعقل مجال النظر في الكائنات فجعلت العلم مشاعا بين بني الانسان من كل الطبقات فندبت عامة الناس الى تعلم العلم وتعلم اللغات والاستفادة من نواميس الكون وأسرار الطبيعة وجعلت قاعدة التفاضل بين المسلمين التقوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلا الا بعلمه ولا يفضل تقي شقياً الا بعمله

فكان من هذا نذير عظيم بالتبدل العتيد لشكل المدنية القديمة والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الهامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شيبت بها علوم الاقدمين ونشطت النفوس الى تناول حقها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من مبادئ الاشتراكية العامة الصحيحة التي مبناها ان العقل رأس مال كل فرد فمن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب فعلوا في قرنين مالم يفعله غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيراً في سبيل المدنية وتبسطا في الحضارة فما لبثوا بفضل الاسلام جيلا وبعض جيل آخر حتى نشروا سيادتهم ودينهم ولغتهم في احسن اجزاء المعمور ولما توطدت لهم دعائم الملك عَلَى عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك القديمة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العلمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلا بمثل ما كان بنو موسى بن شاكر المهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا ينفقونه من الاموال على الكتب التي كانوا ينفذون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ينفق على المترجمين من ماله الخاص نحو الفي دينار في الشهر وكثيرون غير هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا ينفقون عَلَى استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يقف بهم الامر عند هذا الحد من تعلم العلم وتعليمه ونشره عملا باوامر صاحب الهجرة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون اول كلية جامعة في بغداد عَلَى عهد الرشيد والمأمون سميت دار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكمية كالفلسفة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيره ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضاً وحذا حذوهم في ذلك الامويون في الاندلس والفاطميون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدنية المنقطعة من عهد سقوط

دولة الرومان بحلقة من المدنية العربية كان لها الفضل العظيم عَلَى العالم المتمدن لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدنية بما مهدته لعلماء اوربا من سبل المدنية الحديثة

عجيب امر هذه الامة ايها السادة ولقد يكاد يظن القارئ لاخبارها ان رقيها السريع من الخوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركا بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه وحقه ان يتناول ذلك مادام العلم ثمرة من ثمرات العقل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدنيتهم هذه القاعدة وحرصوا على مبدإ الاشتراكية العامة فلكي لا يكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً على فريق دون فريق تغالوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المشارب والعلوم تغالياً لم تجارهم فيه امة من قبل فجعلوا مدارس لتلقي علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة عَلَى عدد المذاهب فمدارس الشافعية غير مدارس الحنفية ومدارس المالكية غير مدارس الحنابلة ثم مدارس الحكمة التي يدرس فيها الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيره من العلوم الحكمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجاناً فقط بل كان للطلبة فوق ذلك جرايات ومرتبات تغنيهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تغالي هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبتي اليوم في نحو الف صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية أُنشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما بالكم ايها السادة بغيرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل و بغداد وسمرقند والقاهرة وتونس ومراكش وطليطلة واشبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدنية عَلَى الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدنية الحديثة فما لا يتسع لذكره هذا المقام ويكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمحتم لي اتلو عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما للعرب من الفضل على المدنية وهو العلامة سديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا المنصف المحقق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثنى على اخلاق نبينا وعمله الجليل في جمع كلمة العرب :

« واما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي اغار عليها المغول فدونها الافرنج تدوينًا حسنًا واضفنا اليها ماتركوه من اصولها وهو وصف المدنية العربية التي تمكنت اصولها في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مباديء ما نحن عليه من المعارف الاوربية فان العرب في غاية القرن الثامن من الميلاد تركوا صفاتهم الحربية وشغفوا بنيل المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة واصفهان وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ماترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همتهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون · وشهروا في غالب البلاد خصوصًا البلاد النصرانية من اوربا ابتكارات تدل عَلَى انهم أئمتنا في المعارف

ولنا شاهداً صدق عَلَى علو شأنهم الذي يجهله الافرنج من ازمان مديدة الاول ما أُثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة · والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحية التي مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري »

الى ان قال بعد تخطئة بعض علماء الافرنج الذين قالوا ان الهنود والصينيين اعلم من العرب :

« واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التمدنية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة علي استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر انوار المعارف في جميع ممالك آسيا »

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا · الصين · والهند · والتركستان وغيرها قال :

« ثم اطلع اهل الغرب من اوربا علي اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية وفنونها الادبية التي اخذت كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج وما زلنا الى الآن نستكشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج »

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشعر ان المدنية العربية وآدابها عمت منافعها الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل عَلَى العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققيها مثل هذه الشهادة كالعالم دساسي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله ؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بعيد هجرته اليوم ولأمته النجيبة التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جمعاء خدمة لا ينكرها الا العوام الجاهلون الذين في قلوبهم مرض وعَلَى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون

فسلام على يثرب وسلام عَلَى ساكنها العظيم وسلام عَلَى امته النجيبة وعليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية (١)

هلَّ الهلال فحيوا طالع العيد	حيوا البشير بتحقيق المواعيد
باحرف شك ستلقانا عَلَى ثقة	وقد عقدنا المنى في نون توكيد
كأن حسنك هذا وهو رائعنا	حسن لبكر من الاقمار مولود
لله في الخلق آيات واعجبها	تجديد روعتها في كل تجديد

***

فتيان مصر وما ادعو بدعوتكم	سوى مجيبين احرار مناجيد
سوى الاهلة من علم ومن ادب	مؤملين لفضل غير مجحود
المستسر شعار المقتدين به	العاملين بمغزى منه مقصود
في العين رمز لميقات يحد به	وفي النهى رمز جد غير محدود
ما زال من مبدإ الدنيا ينبئنا	ان التمام بسعاة ومجهود
فان تسيروا الى الغايات سيرته	الى الكمال فقد فزتم بمنشود

***

(١) لخليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالها في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم … ولم يكن بدؤه يوماً لتعييد
رسالة الله لاتنهى بلا نصب … يشقى الامين وتغريب وتنكيد
رسالة الله لو حلت على جبل … لاندك منهاواضحى بطن اخدود
ولو تحملها بحر لشب لظى … وجف وانهال فيه كل جلمود
فليس بدعاً اذا ناء الصفي بها … وبات في الم منها وتسهيد
ينوي الترحل عن اهل وعن وطن … جاراً عليه بقلب منه مكمود
يكاد يمكث لولا ان تداركه … امر الاله لامر منه موعود

***

فاذ غلا القوم في ايذائه خطلا … وشردوا تابعيه كل تشريد
دعا الموالين ازماعاً لهجرته … فلم يجبه سوى الرهط الصناديد
مضى هو البدء والصديق يصحبه … يغامر الحزن في قفراء صيخود
موليا وجهه شطر المدينة في … ليل اغر على الادهار مشهود
حتى اذا اتخذ الغار الامين حمى … ونام بين صفاء نوم مجهود
حنا عليه فما مثواه منه سوى … مثوى الجنين من البكرية الرود
ياللعقيدة والصديق في سهر … تؤذيه افعى ويبكي غير منجود
ان العقيدة ان صحت وزلزلها … مفني القرى فهي حصن غير مهدود
اما الذين بقوا من صحبه فتلوا … سارين في كل مسرى غير مرصود
ماجند قيصر او كسرى اذا افتخروا … كهؤلاء الاعزاء المطاريد
كأنهم في الدجى والنجم شاهدهم … فرسان رؤيا لشأن غير معهود
في حيطة الله ما شعت اسنتهم … فوق الظلال على المهرية القود

***

عانى محمد ما عانى بهجرته … لمأرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها … حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد والجهاد على … قدر الحياة ومن فادى بها فودي
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سغب … للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له … فالمجد اذ قال من يخلق فقد عودي
ليغنم العيش طلقاً كل مقتحم … وليبغ في الارض شقا كل رعديد

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه   عدا الفناء بذكر غير ملحود

***

لقد علمتم وما مثلي ينبئكم   لكن صوتي فيكم صوت ترديد
ما انتجت هجرة الهادي لامته   من صالحات اعدتها لتخليد
وسودتها عَلَى الدنيا باجمعها   طوال ما خلقت فيها بتسويد
بدا وللشرك اشياع توطده   في كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لا يرضون خالقهم   الا كعبد لهم في شكل معبود
مؤلهون عليهم من صنائعهم   بعض المعادن او بعض الجلاميد
مستكبرون أباة الضيم غر حجى   ثقال بطش لدان كالأماليد
لا ينزل الرأي منهم في تمزقهم   الا منازل تشتيت وتبديد
ولا يضم دعاءٌ من اوابدهم   الا كما صيح في عفر ابابيد
ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا   لذي لواء عَلَى الاهواء معقود
باي حلم مبيد الجهل مرهقه   واي عزم مذل القادة الصيد
اعاد ذاك الفتى الأُمي امته   شملاً جميعاً من الغر الاماجيد
لتلك تالية الفرقان في عجب   بل آية الحق اذ يبغي بتأكيد
صعبان راضهما توحيد معشرهم   واخذهم بعد اشراك بتوحيد
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته   بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به   ماشاء الله عن عدل وعن جود
هذا هو الحق والاجماع ايده   فمن يفنده اولى بتفنيد
اي مسلمي مصر دين الجد دينكم   وبئس ماقيل شعب غير مجدود
طال التقاعس والاعوام عاجلة   والعام ليس اذا ولى بمردود
هبوا الى عمل يجدي البلاد فما   يفيدها قائل ياأُمتي سودي
سعياً وحزماً فود العدل ودكم   وان رأى العدل قوم غير مودود
لا تتعبوا لا تملوا ان ظمأتكم   الى غدير من الاقوام مورود
تعلموا كل علم وانبغوا وخذوا   بكل خلق نبيه اخذ تشديد
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا   وما تبالون اقداماً بتصفيد
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامتها   فالشرق ليث وقد صحا من هجود

38

الشرق نصف من الدنيا بلا عمل　　سوى المتاع بما يضني ومايودي
الغرب يرقى وما بالشرق من همم　　سوى التفات الى الماضي وتعديد
تشكو الحضارة من جسم اشل به　　شطر يعد وشطر غير معدود

***

ابناء مصر عليكم واجب جلل　　لبعث مجد قديم العهد مفقود
فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم　　والتزه مصر بكم مرفوعة الجيد
ماأجمل الدهر اذ يأتي وأربعنا　　حقيقة الفضل والذكرى بتمجيد
والشرق والغرب معوانان قد خلصوا　　من حاسد كائد كيداً لمحسود
صنوان بران في علم وفي عمل　　حران من كل تقييد وتعبيد
لا فعل يخطي فيه الخير بعضهما　　الا تداركه الثاني بتسديد
ولا خصومة الا في استباقهما　　لما يعم بنفع كل موجود

...

هذي الثمار التي يرجو الانام لها　　من روضكم كل نام ناضر العود
لمصر والشرق بل للخافقين معاً　　دع زعم كل عدو الحق مريد
جوزوا على بركات الله عامكم　　فقد تبدل منحوس بمسعود
رجاؤكم ابداً ملء النفوس فما　　ينى بحسنى ولا يوهى بتهديد
بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم　　بشرى التمام لوقت غير ممدود
غدا نرى البدر في طرس السماء محا　　بخاتم النور زلات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لا يخفى ما في الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الاقطار تتوقف حياتها على الاكثار منه فان في انكلترا مثلاً ٤٥٦ سرب كلاب وتكلف النفقة على كل واحد منها ٢٥ الف فرنك في السنة وبقدر ما يصطادون من المرات في الاسبوع . فاذا صادوا اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة مئة الف فرنك كل سرب من الكلاب ومجموع ما تنفقه انكلترا على كلابها ١٨٢٥٠٠٠٠ فرنك ويلزمها مائتا الف حصان للصيد وثمن كل واحد منها تعدل قيمته بالف وخمسمائة فرنك فمجموع قيمتها اذاً اثنا عشر مليون فرنك وتكلف نفقة كل حصان في السنة الف فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من حيث المجموع ويقدرون ما يأتي من ارباح الصيد في انكلترا للتجار وارباب المزارع وغيرها

بخمسين مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون والخياطون وسكك الحديد والحوذيون وارباب الفنادق والقصابون والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفرنكات ينتفعون بها لقوام حياتهم

طلبة السوريين

بلغ عدد طلاب سورية الذين يتلقون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيما في فرنسا خمسين طالبًا اكثرهم من دمشق وبيروت

تبدل الاهوية

لايزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرون ان الامطار والثلوج كانت تتصل سلسلتها منذ خمسين عامًا ايامًا واليالي تمنع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة ببرد وجليد يدوم اسابيع فيهلك الزرع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضني زهاء شهر ونزلت درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في المحال المعتدلة كدمشق مثلا وذلك بالميزان المئوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لقلة المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار المنعشة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا المنوال تصبح سورية جرداء مرداء على ماورد في مبحث غابات سورية من هذا الجزء ٠ وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فتجف الجداول والانهار وتصبح اكثر الاصقاع المخصبة قاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

بحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي يكثر وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثير من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالصبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واشهر هذه الاشجار شجرة البيزناكا وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها باداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة قاطعة يكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بحجر كبير وبهذا ترفع طبقة غلظها من ١٥ الى ٢٠ سنتمرًا فينزع لبًا مغشى في ثقب يحوي نحو عشرة لترات من الماء فيسحقون اللب باليدين فيخرج منه سائل لذيذ يروي الظمأ ومولدى

من الهواء . وفي كل صبارة لتر الى ثلاثة لترات من الماء ويتخذ هنود اميركا من هذا الشجر مايروون به ظمأهم بعض اشهر السنة و يفضلون ماءها على كل ماء ويستعملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع اسمه سا كوارو له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمازج ماءه شيء من المواد المرة . قالت المجلة التي ننقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد وقد صنع احدهم آلة تحمل مع السائح تفي بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكتفت الولايات المتحدة الاميركية بمن نزلها من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من اهم الممالك الاوربية . فقد كان عدد من هاجر اليها من النمسا والمجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الفاً وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الفاً تلك السنة فنزل الى ١٨٣ الفاً وكان المهاجرون الروسيون ٢٥٨ الفاً فتناقص الى ١٢٠ الفاً والانكليز من ٥٦ الفاً الى ٣٢ والفرنسيس من ٩٧٠٠ الي ٦٧٠٠ وسكان جنوبي اوربا يقصدون في الغالب الجمهورية الفضية في جنوبي اميركا ففي تلك الجمهورية نصف مليون من الاسبانيول وثمانمائة الف من الطليان في حين ان سكانها لايتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريز ان تنشيء لها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يرفهون السائحين والنازلين ويستجمعون صفات الراحة والهناء وفيها تلقى دروس نظرية وعملية يفهمها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة علم سرعة الاستملاء والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يطبقون ماتعلمونه بالنظر عَلَى العمل تحت نظارة العارفين والفاضلين

البساط المدفئ

اخترعوا بساطاً من نسيج اسلاك الحديد اشبه بشعرية معدنية ذات حلق مسردة

يمد عَلَى ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجلوس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون مخدع الضيوف وارجلهم ترتجف من البرد · وهذا البساط يمس المجرى الكهربائي بواسطة آلات التنوير او الجرس الكهربائي · وهذه الآلة مغشاة بنسيج ملطف يمنع المعدن مما يضر به · ونفقة هذا البساط في الساعة لا تتجاوز الخمسة سنتيمات · وهكذا لم يكتف اهل الغرب بما لديهم من ادواة الدفء من المواقد المنوعة ومنها بالكهرباء وأخرى بالغاز وبعضها بالبترول وأخرى بالفحم الحجري او بالحطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضاً في الحال وما ندري ماذا يهديهم اليه البحث بعد ذلك للرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للقسم الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٣٧٠ و٣ مدارس عالية لتخريج معلمي المدارس الابتدائية والثانوية و٨ مدارس عالية للطلبة الذين لا يريدون الدخول الى كليتي طوكيو وكيوتو اللتين تحتويان عَلَى ١٢ مدرسة عالية · هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية للبحرية والحربية والطب والصناعات المختلفة · وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها ١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥٫٥٦٥٫٤٩٥ طالباً منهم ٥٫١٤٤٫٠٠٠ في المدارس الابتدائية الاجبارية · ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي الثروة الاولى التي يجب الدفاع عنها ولاسبيل الى ذلك الا بالتدقيق في تدبيرها بالتغذية المعقولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية · فنحن لانحسن استنشاق الهواء ولا السير عَلَى الاقدام ولا المنام للراحة ونهمل امر عضلاتنا ونسيء استعمال اعصابنا فنفتح بصنعنا الباب الى الجراثيم الضارة فتهاجمنا وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التسرب عَلَى الدوام الى خلايانا لتعبث بها وتعيث · ولكن اذا احسنا الغذاء والعمل والراحة والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ماننتغلب به في معترك هذه الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكيم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع لما تدبيراً صحيحاً من الغذاء والرياضة ينفعها · ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج المقاوي

او البلغمي والمزاج الدموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي · ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذه الامزجة الاربعة بل يكون مزاجه موءلفاً من اثنين او ثلاثة منها و يكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي تجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال · والجهل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لا تحتقر ومعرفتها اهم في قوام البنية مما يتوهم بعض العامة وذلك من الوجهتين الصحية والمنزلية ·

وما المعدة الا بيت نار وقوده الاطعمة وعملها الكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناوله من الغذاء · وقد حسب علماء منافع الاعضاء هذه الحرارة بحساب الكالوري فهم يقدرون معدل ما يلزم لرجل بالغ اشده من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري اوقياس الحرارة · واليك الآن كميات الكالوري التي تنشأ من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : ففي السلطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول الخضرة ٣٧ وفي اللبن (الحليب) ٦٢ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٢٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٢ وفي السكر ٣٨٠ وفي الشوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ ·

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الخبز او المعجنات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٢٦٣ و٥٠ غراماً من السمك و٣٠ من البيض و٢٠٠ من البقول الطرية و٥٠ من البطاطا و٤٠ من البقول النشوية و٤٠ من الثمار و٢٠ من الزبدة و١٠ من الجبن و٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو ما يلزم المرء في الاربع وعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضارٌ به بل يلزمه ٣٥٠ غراماً من الخبز و١٥٠ من اللحم و١٠٠ من البقول الطرية و٢٠٠ من البطاطا و٢٥٠ من اللبن و٤٠ من السكر و٢٥ من الزبدة و ١٥ من الارز و١٠٠ من الثمار اي ما يكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فيمن يعمل اعمالا تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة ما يتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يجب لقوام بنيتنا من الدهن والكربون والزلال بل بتناول الخبز واللبن والبيض واللوبياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٢ في المئة مما

يجب لنا · وان كيلوغراماً واحداً من البقول كالباقلاء واللوبياء والعدس والحمص لتساوي ثلاث لبرات ونصفاً من اللحم واللبرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز واللبن والبيض عَلَى جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم يجيء الارز واللحم عَلَى اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف الثلاثة الاول والسكر غذاء العامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب · والسمك نافع في التغذية لما فيه من الفوسفور وللفسفور دخل في تركيب بنيتنا واعصابنا فمن كانت اشغالهم عقلية اومن كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السمك اكثر من غيرهم ليساعد ذلك عَلَى نموهم · و يقول الدكتور متشنكوف الشهير ان من يشرب مصل الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالشيخوخة لان فيه باشلساً اوجراثيم صغيرة تهلك الجراثيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء

والحرشف (الارضي شوكي) تكثر فيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر للبول · والملفوف صعب الهضم لايلائم المعد الضعيفة · والسبانخ ملين للبطن و يسميه الافرنج مكنسة الاحشاء ومن خصائصه هو والكراث انهما يصفيان اللون · والبقلة الحامضة (الحميض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها بالكلية · والبندورة مقبلة ومرطبة وعَلَى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل) ان يمتنعوا عن تناولها · والكرفس النيء عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعفت اعصابهم واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة · والهليون مدر للبول ويجب تناوله طرياً · والبطاطا نافعة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة ينبغي لهم تناولها ممروثة · والخس مرطب ونافع لالتهاب الاحشاء وامراض الكلى · والبقدونس مقو مهيج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحمى يقوي الشهوة للطعام و يسهل الهضم · واياك ان تسلق البقول بالماء الغالي جداً لئلا تفقد املاحها وموادها الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (الفريز) كمية من حامض الساليسيليك ينفع المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل · ومنقوع التوت الافرنجي من احسن المقويات للاعصاب وهو من افيد مايكون لمن انهكتهم الاشغال العقلية · والتوت الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر عَلَى الهضم · والكرز نافع للمصابين بالسوداء (هيستريا) ومقاوم للرثية · والخوخ نافع للمصابين بالبول السكري وللمصابين بقروح في المعدة · والتفاح نافع في تشنج الاعصاب ومعرق · و يكثر في التين الاطلق المهضم (البيبسين

pepsine) وهو نافع للمصدورين · والاجاص تغلب عليه البرودة فيضر ببعض المعد · والليمون يقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة ينفع كما تنفع الكينا، وهو احسن علاج لفساد الدم · والبرتقال اخف الفواكه على المعدة · واللوز اليابس مغذ جداً وهو غذاء طبيعي نادر المثال · ويرى الدكتور اوندرهيل ان لب العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ اللب مع القشر و يطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول اللب والبزر ويطرح القشر وبهذه الواسطة يكون العنب دواء وفاكهة لا نظير لها ·

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السموم ومقوية للقلب والشاي في الصباح يقوي ويورث نشاطاً ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وينبه النشاط والاقدام · وارباب الامزجة البلغمية يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم بلحم البقر والغنم مشوياً ولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز ناضجاً جدا بكمية وافرة و بقولا مرة مسهلة و يقللون من المواد النشائية وتضر بهم الاطعمة الغير الناضجة والخس والهندباء والسبانخ والجزر وجميع البقول المرطبة والمسهلة ·

وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في مآكلهم و يتقشفوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دمهم و يتناولون من اللحوم لحم العجل والفراخ والارنب واللبن و يكثرون من البقول والثمار المزة وتنفعهم القهوة الخفيفة ويتخلون عن الابازير والتوابل وكل ما يورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا يأتوا عملا من شأنه منعه ·

وعلى ارباب الامزجة العصبية ان يستعملوا المواد اللطيفة اللذيذة لغذائهم مثل البيض والفراخ واللبن المطبوخ واسماك الانهار و يمتنعوا عن المهيجات مثل القهوة والشاي وغيرهما والخس والكرفس من انفع البقول لهم فان في عصير الخس مسكنًا لاعصابهم وفي الكرفس النيء وقاية لهم من الاضطرابات فهو يقوي الاعصاب وربما نفع في ضربات القلب · وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جداً ولا يأخذون ما لا يوافق اذواقهم من الطعام بتة ·

وعلى ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة الغليظة و يمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية و يتناولوا من البقول والارز ولا يتناولون القهوة · والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم · والخس والبندورة نافعان لهم والبندورة محسنة الكبد ·

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثروا من البقول و بسكان البلاد الباردة ان يكثروا من اللحوم والمواد الدسمة نافعة لهم ايضاً ·

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود علكه فيعسر على المعدة هضمه وربما احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجاعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء هضم . والخبز السخن الذي يتناوله بعضهم في الصباح وعليه شيء من الزبدة سم ناقع .

ومن المشهيات للطعام الثريد البارد الخالي من الدهن يتناول قبل الاكل بساعة فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فتستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احسن مقبل مايعمل من منقوع ملعقتين من بزر الجزر في نصف لتر من الماء الغالي يؤخذ بين الطعام والطعام محلى بالعسل فيجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

واذا ساء الهضم معك فخير دواء سريع قريب ان تشرب شراباً حاراً . فقد قالت احدى المجلات الطبية ان من خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء المخاطي في المعدة وتعدل احياناً التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف المعدية . والظاهر ان اليابانيين بلغوا مابلغوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاشربة الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شراباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد الاطراف والرعامى (فص الكبد) والرئة ويحدث السعال ويطفيء الحرارة الطبيعية التي تديم الحياة

وعليك ياهذا ان تنظم اوقات طعامك فبذلك يسهل على الحواس ان تأخذ حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتستعد لقبول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك ان لاتسرع في خضم طعامك وقضمه بل ان تمضغ كثيراً حتى لا تضطر المعدة ان تعمل ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تقلب اسنانك على اللقمة عشرين مرة وكل طعام علك جيداً كان اكثر في التغذية من طعام ازدرد ازدراداً سريعاً فقد ورد في الامثال الافرنجية من تأنى في اكله طال عمره وهاك الآن معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة	ساعة	
	١	الارز
٣٠	١	البيض النيء . السمك المنقوش وسمك سليمان
٤٥	١	المخاع المسلوق
٣٠	٢	اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج الهندي والبط المشوي
٤٥	٢	البيض المسلوق والفراخ المحمصة

	٣	اللبن المطبوخ ولحم الضأن المشوي والبفتيك
١٥	٣	النقانق الباردة
٣٠	٣	السمك المقلي ولحم البقر المشوي
٣٠	٣	الخبز الطري والبيض المقلي والجبن

ولحم الصيد ،اعدا الطيور ثقيل عَلَي الهضم يحتاج من ٤ الى ٥ ساعات . هذا ماالتقطناه من اقوال احدث علماء الصحة من الغربيين وعَلَى المرء ان يكون حكيم نفسه في تحميل معدته ومزاجه مايطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلي وسوء الهضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنشأ من القبض واذا رأى الخروج قد ابطأ في الصباح فعليه ان يستعمل التمسيد قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضع رجليه تحت ظهره ويضغط بيده عَلَى بطنه فيبدأ يغمز الموضع القريب من السرة ثم يصل الى الحالب فيمر بده عَلَى صورة قوس حتى ينتهي الى الحالب الايسر .

وهنا امر يجب التنبه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا انفسهم يضر قليلها وكثيرها خلافاً لمن يهرفون بما لايعرفون ويقلدون عَلَى العميا وهم جاهلون ولا سيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الغش في المأكولات عَلَى الجملة

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماؤهم يحسنون التأليف طبقات لرجال كل فن وعلم ذكر منهم صاحب كشف الظنون طبقات الادباء (مطبوع) لابن الانباري المتوفى سنة٥٧٧ وطبقات الاصبهانية لابن حبان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١)وطبقات الاطباء (مطبوع)لابن ابي أصيبعة(٦٦٨)وطبقات الامم لصاعدولابن سعيد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن(٨٠٤)وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار(٦٤٣)وطبقات الثعلبي الموسوي والطبقات الجلالية للجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجنان وطبقات الحفاظ (مطبوع)للذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن صاعد (٥٦٨)وطبقات الحكماء (مطبوع)للقفطي(٦٤٦)وطبقات الحنبلية وذيلها [illegible] وطبقات الحنفية

وذيولها وطبقات الخطاطين للسيوطي وطبقات الخواص المزبيدي(٧٩٣)وطبقات الرواة لخليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي الغزي (١٠٠٥)وطبقات الشافعية للسبكي (طبع)وذيوله وطبقات الشافعية للخيضري (٨٩٤) وطبقات الشعراء لابن قتيبة(٢٩٦)ويدخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد العقيان (مطبوع) وعقود الجمان والاشارة والاماء الشواعر وكتاب النساء الشواعر واصداف الاوصاف وطرف الادباء ومروج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وجنى الجنان والغرة الطالعة والدرر الناصعة ومعجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في الشعراء كثيرة منها يتيمة الدهر(مطبوع)للثعالبي ودمية القصر(مطبوع)للباخرزي وزينة الدهر في لطائف شعراء العصر للخيضري وفريدة القصر للاصفهاني والملح العصرية لابن القطاع والانموذج في شعراء القيروان لابن رشيق والحديقة لابي الصلت أمية بن عبد العزيز ومسر السرور للغزنوي وكتاب عمارة اليمني في شعراء عصره والمختار في النظم والنثر لابن بشرون الصقلي وطبقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع واليتيمة والخريدة ومتعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر وفحول الشعراء والدرر والغرر والحديقة وطبقات الصحابة والتابعين للبصري (٢٣٠) وطبقاتهم لابن مندة (٣٩٥) واسد الغابة (مطبوع)وطبقات ابن سعد(مطبوع)والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للنيسابوري (٤١٢) وطبقات الطالبين للحسيني (٥٨٨)وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات العلوم للابيوردي(٥٠٧)وطبقات عماد الدين بن كثير«٧٧٤»وطبقات الفرسان لابن مثنى«٢١٠»وطبقات الفرضيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني« ٥٢١ »ومثله لابن حبيب المالكي « ٢٤٠ » وطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي « ٢٠٧ » وطبقات فقهاء ورؤساء الزمن لابن سمرة الجعدي«٥٨٦»وطبقات القراء للداني«٤٤٤ »وصنف فيها الجزري«٧٣٣»اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي «٧٤٨ » وذيله غيرهم وطبقات الكتاب للسيوطي وطبقات اللغويين والنحاة له« مطبوع »وآخر للاشبيلي«٣٧٩»وطبقات الفقيه للسكسكي وطبقات القاضي وطبقات المالكية لابن فرحون « مطبوع » « ٧٩٩ » وطبقات المتكلمين لابن فورك «٤٠٦» وللقاضي عياض بن موسى اليحصبي سماه ترتيب المدارك وللمرزباني اخبار المتكلمين وطبقات المجتهدين لابن كمال باشا «٩٤٠» وطبقات المحدثين لابن الملقن «٨٠٤» وطبقات المعبرين لابن الخلال وطبقات المعتزلة « طبعت قطعة منه » للقاضي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النحاة للمبرد«٢٨٤»

وطبقات النسابين للحسيني «٥٨٨» وطبقات النساك لابن الاعرابي «٣٤٠» وطبقات همدان لابن الانماطي وغير ذلك مما هو مطبوع مثل وفيات الاعيان لابن خلكان وذيله للصلاح الكتبي

وفي خزانة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب قال كاتب جلبي: طبقات الحنبلية لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهيد سنة ٥١٦ صاحب المجرد في مناقب الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات عَلَى سير الطبقات الاولى والثانية عَلَى حرف المعجم وما بعدهما عَلَى تقديم العمر والوفاة وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وصل فيه الى سنة ٧٥٠ ثم ذيله العلامة يوسف بن حسن بن أحمد الحنبلي المقدسي مرتباً عَلَى الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ وذيله ايضاً الشيخ تقي الدين مفلح اه.

والغالب ان عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي الحنبلي من اهل القرن العاشر ذيل على ماذيله ابن مفلح في مجلد ضخم (١) سماه المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد ونحن الآن نتكلم عليه وسنتكلم في فرصة أُخرى عَلَى طبقات ابن رجب. قال العليمي في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة: اما بعد فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه وترتيبه وسألته المعونة لي بفضله وتهذيبه يتضمن نبذة من ترجمة امامنا المبجل والحبر المفضل الرباني ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني امام اهل السنة. وآخر المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه واحواله ومناقبه وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وتراجم اصحابه رحمة الله عليهم فاذكر اولا ماتيسر من مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين عاصروه فأبتديء بذكر من توفي منهم قبله ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم تؤرخ وفاته وعند انتهاء اسماء الاصحاب من الطبقة الاولى ابين منهم من اشتهر من اعيان اصحابه من الفقهاء الذين كانوا عَلَى مذهبه في الاصول والفروع ونقلوا عنه الفقه ونقل عنهم الى من بعدهم الى ان وصل الينا وأسرد اسماءهم متوالية ليتميزوا عن غيرهم من اصحابه الذين قرؤوا عليه الحديث وغيره ورووا عنه من غير المشهورين بالتمذهب بمذهبه في فروع الفقه ثم ذكر اسماء الاصحاب من بعد الطبقة الاولى مرتباً على الطبقات والوفيات ومن لم اطلع عَلَى تاريخ وفاته ذكرت اسمه وما وقفت عليه من ترجمته والعصر الذي كان موجوداً فيه ان علمته واوجزت لفظه حسب الامكان وحذفت الاسانيد مما رويته فيه من الاحاديث الشريفة في بعض التراجم

(١) من المخطوطات الموجودة في خزانة كتب استاذنا السيد محمد المبارك

طلباً الاختصار وسميته بالمنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمـد

وقدوقع هذا الكتاب في زهاء ٨٥٠ صفحة من قطع الوسط وكان الفراغ من نسخه سنة ١١٩٥ على يد عبد الفتاح شطي البغدادي · وعليه خطوط بعض بني الشطي وقد قال المؤلف في آخره : وهذا آخر ماتيسر ذكره من فقهاء الحنابلة رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ولم اترك ذكر احد ممن يصلح ان يذكر في الطبقات الا من لم اطلع عَلَيَ امره فقد ذكرت في هذا المختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي ابو الحسين وجماعة من المتوسطين لم يذكرهم الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم قاضي القضاة برهان الدين بن مفلح

وهذا الكتاب مجموعة نفيسة لعلماء هذا المذهب في الف سنة وفيه تراجم كثير من المشاهير ففيه عدا ترجمة الامام احمد ترجمة ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية والقاضي ابي يعلى والقاضي يحيى بن اكثم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم ممن كانوا مفخر فقه احمد بن حنبل وعنوان التقى والعلم وسعة التأليف والوعظ والارشاد · وتراجم من لقوا الارزاء في سبيل تأييد مذهبهم ولا سيما في الامتناع عن القول بخلق القرآن وهي المسألة المختلف فيها بين العلماء عَلَى عهد المأمون الخليفة العباسي ومن بعده وذلك مثل احمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن اخذه الواثق فقال له ماتقول في القرآن قال : كلام الله قال : افترى ربك في القيامة · قال : كذا جاءت الرواية واغلظ عَلَى الواثق في الخطاب وقال له : مه ياصبي · فدعا الواثق بالصمصامة وقال : اذا قمت اليه فلا يقومن احد معي فاني احتسب خطاي الى هذا الكافر(؟) الذي يعبد رباً ولا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم امر بالنطع فاجلس عليه وهو مقيد وامر بشد رأسه بحبل وامرهم ان يمدوه ومشى اليه حتى ضربت عنقه وامر بحمل رأسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياماً وفي الجانب الغربي اياماً ·

وفيه امثلة من الشدة عومل بها الحنابلة وعاملوا بها في قرون مختلفة ولا سيما في القرون التي اثار ثائرها التعصب المذهبي وامثلة من معتقد رؤساء المترجمين في المسائل المختلف فيها مثل قول ابي بكر بن ابي داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكنا … بذلك دان الاتقياء وافصحوا

ولا تقل في القرآن بالوقف قائلا … كما قال اتباع لهم واسجحوا

الى ان يقول بعد ايراد ما يجب الاعتقاد به

ولا تكفرن اهل الصلاة وان عصوا … فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج انه مقال لمن يهواه يردي ويفضح
ولا تك مرجيًا لعوبًا بدينه الا انما المرجي بالدين يمرح

ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة

وان كتاب الله ليس بمحدث عَلَى السن تتلو وفي الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ في كل مصحف كذلك ان بصرت او كنت تسمع

ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلواذني من قصيدة

قالوا فهل لله عندك مشبه قلت المشبه في الجحيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها قلت الاماكن لاتحيط بسيدي
قالوا فتزعم ان على العرش استوى قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استواه ابن لنا فاجبتهم هذا سؤال المعتدي
قالوا فانت تراه جسماً قل لنا قلت المجسم عندنا كالملحد

وممن اطال في ترجمتهم الوزير ابن هبيرة العالم الذي صنف في وزارته كتابًا في ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين وجمع عليه ائمة المذاهب واوفدهم من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق عَلَى ذلك مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار وحدث به لجمع الخلق العظيم لسماعه عليه وكتب به نسخة لخزانة المستنجد و بعث ملوك الاطراف ووزراؤها وعلماؤها فاستنسخوه نسخًا ونقلوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان عَلَى اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد

هذا بعض ماحواه الكتاب من الفوائد وحبذا لو صحت همة الحنابلة على طبعه بعد ان طبع الشافعية والمالكية والحنفية والامامية طبقات رجالهم فكتب الطبقات مفيدة من عدة وجوه وليس احسن في تصور حال زمن من الرجوع الى سير رجاله وما قالوه وفعلوه وحدث لهم واحدثوه

عبر الأُردن

ظهرت في عالم المطبوعات في المانيا ثلاث مجلدات للرحالتين الالمانيين برونو ودمانسكي في وصف اصقاع عبر الأُردن لجاءت متممة للرحلات التي كتبها الاور بيون عَلَى فلسطين وما والاها وقد وصفا الصقع الواقع في لواء الكرك اليوم وهو من نهر الزرقا الى بترا اي وادي موسى وصفاً جغرافياً مدققاً والطريق الروماني من مادبا الى وادي موسى والطرق المتشعبة منه ووصفا وادي موسي واذرح والطريق الروماني من اذرح الى عين صدقة

والعقبة . ومن الخرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية مالم يشر اليه السائحون في تلك الارباض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الحج وهو حصن روماني قديم وكثر ربة وذات رأس وطوان واذرح وفي هذه معسكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام عَلَى وصف وادي موسى زهاء ثلثمائة صفحة وفي المناظر التي اوردها السائحان في كتابهما تتمثل للقارىء الاربع صخور الرئيسة المطلة عَلَى الوادي ثم وصفا اشكال النواويس المحفورة في الصخر وصفاً تاريخياً والابراج المحفورة هناك هي بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت عَلَى مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك ارتياس الرابع (اي ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى اعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجحا بما رأياه من صور ابي الهول وايزيس ورؤوس الحملان ان تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في الحجر تمثلان ربي النبطيين دوزارس واللات ويستدل منها انها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون عَلَى الاقل . وقد دخلت المدنية اليونانية الى وادي موسى عَلَى عهد البطالسة وبذلك يستدل على اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه الا في اواخر القرن الثاني عند ما انحطت دولة البطالسة والسلوقيين وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد ارتياس الرابع (٨٥ — ٦٠ ق م) ولما تجزأت المملكة النبطية الى ولايات رومانية بقيت محتفظة بمكانتها . وفي اواخر القرن الثالث للمسيح عاد الى وادي موسى استقلاله. والغالب ان غارات الساسانيين الفرس على هذه البلاد اضطر بترا ان تنقطع عن انشاء القبور وصك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ مصنعاً من مصانع بترا من مثل القبور والمعابد والمذابح واجادا في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بترا الى بصرى واطلقا عنان القلم لوصف ما وقعت انظارهما عليه من العاديات والمصانع ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء واتيل وقنوات وقرى اللجاة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسمها وتقاويمها بالصور والمصورات وشفعا كتابهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية وفلسطين والفينيقية والعربية كما كانت في عصور مختلفة كل ذلك مع اسماء الملوك الاقدمين الذين حكموا البلاد .

المقتبس

الفتوى في الاسلام

هذا بحث علمي ادبي،تاريخي اجتماعي،يهم كل نبيه درايته، كما يجب عَلَى كل فقيه معرفته ودراسته ، لاسيما من يتولى منصب القضاء ، او وظيفة الافتاء ، فان هذا البحث من اهم مايحتاج اليه ،واعظم مايضطر للوقوف عليه ، كيف لا ومنه يعرف شعائر الحق في الاقضية والاحكام ،و يتوصل به الى فيصل الامور بالعدل في نوازل الانام ، فهو عَلَى التحقيق لباب الفقه في الدين ، وسر الاصعاد الى ذروة الاجتهاد في مقاصد الشرع المتين ،

لانريد ان نبحث في الفتوى من حيث يعرفها الناس انها وظيفة من الوظائف ومنصب من المناصب يتولاه من يوظفه من الاستانة شيخ الاسلام ، ليعول عَلَى فتواه عند توقف الحكام ، لانقصد هذا لان سبيلها المذكور معروف معلوم ، لا حاجة الى ان يكتب فيه ما كان يكتب ايام استبحار العلوم ، وانما نروم الكشف عن منشإ الفتوى في الاسلام ،وكيف كانت في القرون الثلاثة العظام ،ثم فيما بعدها الى العصور الوسطى ومن كان يتولاها ايام استفحال العلم واتساع مناحيه ، ووفرة رجال الفضل وائمة الاجتهاد فيه ، ثم مااشترط في اولي الفتوى وما ذكر من آدابهم وآدابها ، وآداب من يستفتي و يرجع الى اربابها ،

يتبع هذا مباحث متنوعة ضافية الذيول،وافرة النقول،ربما يقل في سبرها مجلدات . ولا كثرة في العلم كما لااسراف في الخيرات . بيد انا نقتصر من هذا المبحث عَلَى اللباب . ليكون نموذجًا ومدخلا لنجباء الطلاب .

مما يدهش المنقب عَلَى اصول الفتوى مابلغته من عناية الائمة في مطالبها ومقاصدها وما تفننوا به من استنباط واجباتها واستثمار فوائدها . فيعجب مما كانت في العصور الاولى عليه

وما آلت بعد اليه . ولئن كان لضعف العلم في القرون الاخيرة مدخل في هذا التباين الا ان اليد العاملة فيه اختلاف سياسة الدول في الاخذ بالعلوم النافعة وانهاض رجالها . ونشر التعليم المفيد والتهذيب وتوسيد الامور الى حكمائها وابطالها . فقد تختلف السابقة عن اللاحقة في هذا المضمار . وتخلف امة غيرها فتقودها بعاداتها وتأخذها بنظامها فتستلب منها الافهام والافكار . ويرجع هذا الى فناء طريقة تالدة في طريقة طريفة . كما تفنى في امة غالبة قوية أمة مغلوبة ضعيفة . فتندرس آثارها وعلومها . وتمحو عاداتها ورسومها ولاختلاف الدول وتعاقبها على الممالك . مدخل عظيم في اختلاف قوانين العلم والعلماء في جميع المسالك .

ماسنذكره من احوال الفتوى لا يدريه الا نقابة في التاريخ دراكة في علوم الاجتماع بصير بالماضي والحاضر . خبير بالحديث والغابر .

ومن المؤسف ان تنبذ هذه المعارف ظهريا . وتصبح في هذا الجيل نسياً منسياً . فكم في بحر الاوهام من غاد ورائح . يزعم ان هذه الحالة هي هي في عهد السلف الصالح . فلا يدري شيئاً من تأثير الدول . ولا يعرف امراً من آثار الاول .

ان الباحث عن الموازنة بين السلف والخلف في شؤون الاجتماع وطبيعة العمران يعتوره من مصاعب التنقيب ومتاعب العمل واجهاد الفكر ما لا يدريه الا من عانى ماعاناه . وانفق من دم قلبه وقوة عقله ما ماثله او داناه . ولذا سيعد ما كتبناه في هذا البحث من اعظم الدروس التي القيت عَلَى عالم العلم في هذا العصر . يذكر ماسلف لهذا الموضوع من جليل الشأن في كل قطر ومصر . ويعرفهم ما ترك الاول للآخر . وما حفظته لنا من الكنوز ذخائر قدماء الاكابر . فرحمة الله عَلَى السلف الناصحين . وايد الله من تبعهم باحسان من المصلحين .

ولنشرع في البحث مفصلا ومبوباً . ومعنوناً جملاً جملا ومرتباً . والمستعان بالله ولا حول ولا قوة الا بالله

(اول من قام بمنصب الفتوى في الاسلام)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا الا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلا في اقواله وافعاله متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه واحواله واذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لاينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من اعلى المراتب السنيات

فكيف بمنصب التوقيع عن رب الارض والسموات فحقيق بمن اقيم في هذا المنصب ان يعد له عدته وان يتأهب له أهبته وان يعلم قدر المقام الذي أُقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فان الله ناصره وهاديه وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الارباب فقال تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وكفى بما تولاه الله بنفسه تعالى شرفاً وجلالة اذ يقول في كتابه « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه وليوقن انه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله

واول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وامينه عَلَى وحيه وسفيره بينه و بين عباده فكان يفتي عن الله بوحيه المبين وكان كما قال له احكم الحاكمين « قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين » فكانت فتاويه عليه السلام جوامع الاحكام ومشتملة عَلَى فصل الخطاب وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم اليها ثانية الكتاب وليس لاحد من المسلمين العدول عنها ماوجد اليها سبيلا وقد امر الله عباده بالرد اليها حيث يقول « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا »

(كتابة الفتوى من العهد النبوي)

عن ابي هريرة قال : لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له ابو شاه فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لابي شاه : يعني الخطبة ، وعن ابي هريرة قال : لم يكن احد من اصحاب محمد اكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فانه كتب ولم اكتب ، وعن عبدالله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : اتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاومأ باصبعه الى فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه الا حق .

اخرجها الحافظ ابن عبد البر في كتاب جامع العلم في باب الرخصة في كتاب العلم وعززها بآثار عدة منها عن سعد بن ابراهيم قال : امرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفتراً

(المفتون من الصحابة وطبقاتهم في الفتيا)

قام بالفتوى بعد النبي صلى الله عليه وسلم علماء الصحابة رضوان الله عليهم قال ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتوى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا مابين رجل وامرأة

وكان المكثرون منهم سبعة عمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وعائشة ام المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن عمر ،

قال ابو محمد بن حزم : ويمكن ان يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم قال : وقد جمع ابو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن امير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً ، وابو بكر محمد المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث

والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا ابو بكر الصديق ، وام سلمة ، وانس بن مالك ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل ، (قال ابن حزم) فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن ان يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً و يضاف اليهم طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وابو بكرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ابن ابي سفيان ،

والباقون منهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك ، يمكن ان يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث

(حالة الفتوى في عهد التابعين وتابعيهم)

كان المرجع بعد الصحابة في الفتيا الى كبار التابعين وكانوا منتشرين في البلاد التي عمرها المسلمون بفتوحاتهم ، وقد عد الامام ابن القيم في اوائل اعلام الموقعين عدداً عديداً منهم كما ان كثيراً من الحفاظ الف في طبقاتهم اجزاء ومجلدات

واما حالة الفتيا في عهدهم فقد نبه عليها ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة [1] بما

(١) في باب الفرق بين اهل الحديث واصحاب الرأي

مثاله : اعلم انه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب وابراهيم والزهري وفي عصر مالك وسفيان وبعد ذلك قوم يكرهون الخوض بالرأي ويهابون الفتيا والاستنباط الا لضرورة لا يجدون منها بداً ، وكان اكبر همهم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عبدالله بن مسعود عن شيء فقال : اني لأكره ان احل لك شيئاً حرمه الله عليك او احرم ما احله الله لك ، وقال معاذ بن جبل : يا ايها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فانه لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل سدد . وروي نحو ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود في كراهة التكلم فيما لم ينزل وقال ابن عمر لجابر ابن زيد : انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك هلكت واهلكت

وقال الامام الدهلوي ايضا[١] بعد ان مهد ضروب الاختلاف بين الصحابة في بعض الفتاوى ما مثاله :

فاختلفت مذاهب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واخذ عنهم التابعون كذلك كل واحد ماتيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصحابة وعقلها وجمع المختلف عَلَى ماتيسر له ورجح بعض الاقوال عَلَى بعض واضمحل في نظرهم بعض الاقوال فعندذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب عَلَى حياله

فانتصب في كل بلد امام مثل سعيد بن المسيب وسالم بن عبدالله بن عمر في المدينة وبعدهما الزهري والقاضي يحيى بن سعيد وربيعة بن عبد الرحمن فيهما وعطاء بن ابي رباح بمكة وابراهيم النخعي والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة وطاوس بن كيسان باليمن ومكحول بالشام فاظمأ الله اكباداً الى علومهم فرغبوا فيها واخذوا عنهم الحديث وفتاوى الصحابة واقاويلهم ومذاهب هؤلاء العلماء وتحقيقاتهم من عند انفسهم واستفتى منهم المستفتون ودارت المسائل بينهم ورفعت اليهم الاقضية

وكان سعيد بن المسيب وابراهيم وامثالهما جمعوا ابواب الفقه اجمعها وكان لهم في كل باب اصول تلقوها من السلف : وللبحث تتمة بديعة فانظرها

وجل فتاوى الصحب والتابعين مروية في الموطآت والمسندات والسنن من كتب الحديث التي لم تشترط تخريج المرفوع وحده من الاحاديث النبوية عدا ما جمع عَلَى حدة منها

(١) في باب اسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع

(المفتون بالشام من التابعين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : وكان من المفتين بالشام ابو ادريس الخولاني وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن ابي زكريا الخزاعي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي وحبان ابن امية وسليمان بن حبيب المحاربي والحارث بن عميرة الزبيدي وخالد بن معدان وعبد الرحمن بن غنم الاشعري وجبير بن نفير ثم كان بعدهم عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومكحول وعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة :

وفيه استقصاء التابعين المفتين من معظم البلاد فانظره وقد استقرأت في كتابي (تعطير الشام بمآثر دمشق الشام) كل صحابي وتابعي نزل دمشق من المشاهير واثرته عمن جمع في هذا الشأن من الحفاظ عليهم الرحمة وكثير منهم حفظ عنه انه قال وافتى مجتهداً برأيه وقائساً عَلَى الاصول فيما لم يجد فيه نصاً

(حالة الناس في الفتيا قبل المائة الرابعة وبعدها)

قال الامام ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة تحت هذا العنوان ما مثاله :

اعلم ان الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين عَلَى التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكي في قوت القلوب : ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه عَلَى مذهبه لم يكن الناس قديماً عَلَى ذلك في القرنين الاول والثاني انتهى

قال الدهلوي وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج غير ان اهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين عَلَى التقليد الخالص عَلَى مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع بل كان فيهم العلماء والعامة

وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجتماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين او جمهور المجتهدين لا يقلدون الا صاحب الشرع وكانوا يتعلمون صفة الوضوء او الغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آبائهم او معلمي بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها اي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب

وكان من خبر الخاصة انه كان اهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شيء آخر في المسألة من حديث مستفيض او صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به او اقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتها

فان لم يجد احدهم في المسألة مايطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار اوثقهما سواء كان من اهل المدينة او من اهل الكوفة

وكان اهل التخريج منهم يخرجون فيما لايجدونه مصرحا ويجتهدون في المذهب وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعي وفلان حنفي وكان صاحب الحديث قد ينسب ايضاً الى احد المذاهب لكثرة موافقته له كالنسائي والبيهقي ينسبان الى الشافعي

فكان لايتولى القضاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهداً

ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يميناً وشمالا وحدث فيهم امور (منها) الجدل والخلاف في علم الفقه (ومنها) انهم اطمأنوا بالتقليد ودب التقليد في صدورهم دبيب النمل وهم لا يشعرون وكان سبب ذلك تزاحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم فانهم لما وقعت فيهم المزاحمة في الفتوى كان كل من افتى بشيء نوقض في فتواه ورد عليه فلم ينقطع الكلام الا بمسير الى تصريح رجل من المتقدمين في المسألة (وايضاً) جور القضاة فان القضاة لما جار اكثرهم ولم يكونوا امناء لم يقبل منهم الا مالا يريب العامة فيه ويكون شيئاً قد قيل من قبل (وايضاً) جهل رؤوس الناس واستفتاء الناس من لاعلم له بالحديث ولا بطريق التخريج كما ترى ذلك ظاهراً في اكثر المتأخرين وقد نبه عليه ابن الهمام وغيره وفي ذلك الوقت يسمى غير المجتهد فقيها

(ومنها) ان اقبل اكثرهم على التعمقات في كل فن فمنهم من زعم انه يؤسس علم اسماء الرجال ومعرفة مراتب الجرح والتعديل ثم خرج من ذلك الى التاريخ قديمه وحديثه ومنهم من تفحص عن نوادر الاخبار وغرائبها وان دخلت في حد الموضوع . ومنهم من كثر القيل والقال في اصول الفقه واستنبط كل لاصحابه قواعد جدلية فاورد فاستقصى . واجاب وتقصى . وعرف وقسم فحرر . طول الكلام تارة وتارة أخرى اختصر ومنهم من ذهب الى هذا بفرض الصور المستبعدة التي من حقها ان لايتعرض لها عاقل وبفحص العمومات والايماآت من كلام المخرجين فمن دونهم مما لا يرتضي استماعه عالم ولا جاهل .

وفتنة هذا الجدل والخلاف والتعمق قريبة من الفتنة الاولى حين تشاجروا في الملك

وانتصر كل رجل لصاحبه فكما اعقبت تلك ملكا عضوضاً ووقائع صماء عمياء . فكذلك اعقبت هذه جهلا واختلاطاً وشكوكا ووهما مالها من ارجاء[1]

فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف لايميزون الحق من الباطل ولا الجدل عن الاستنباط فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدق الذي حفظ اقوال الفقهاء قويها وضعيفها من غير تمييز وسردها بشقشقة شدقيه والمحدث من عد الاحاديث صحيحها وسقيمها وهذها كهذ الاسمار بقوة لحييه

ولا اقول ذلك كلياً مطرداً فأن لله طائفة من عباده لايضرهم من خذلهم وهم حجة الله في ارضه وان قلوا ولم يأت قرن بعد ذلك الا وهو اكثر فتنة واوفر تقليداً واشد انتزاعاً للامانة من صدور الرجال حتى اطمأنوا بترك الخوض في امر الدين وبأن يقولوا إنا وجدنا آباءنا عَلَى أُمة وانا على آثارهم مقتدون والى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان انتهى كلام ولي الله الدهلوي

(ماروي من تهيب السلف للفتيا)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبيرالموقع كثير الفضل لان المفتي وارث الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطاء ولهذا قالوا : المفتي موقع عن الله تعالى : وروينا عن ابن المنكدر قال : العالم بين الله وخلقه فلينظر كيف يدخل بينهم .

وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا اشياء كثيرة معروفة نذكر منها احرفاً روينا عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل احدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترفع الى الاول وفي رواية مامنهم من يحدث بحديث الا ود ان اخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شيء الا ود ان اخاه كفاه الفتيا وعن الشعبي والحسن وابي حصين (بفتح الحاء) رحمهم الله قالوا : ان احدكم ليفتي في المسألة ولو وردت عَلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وعن سفيان بن عيينة وسحنون : اجسر

(١) قال الدهلوي قبل ذلك فأي مذهب كان اصحابه مشهورين وسد اليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس انتشر في اقطار الارض ولم يزل ينتشر كل حين واي مذهب كان اصحابه خاملين ولم يولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس

اندرس بعد حين اه

الناس عَلَى الفتيا اقلهم علماً : وعن الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى ادري ان الفضل في السكوت او في الجواب وعن الاثرم سمعت احمد ابن حنبل رحمه الله يكثر ان يقول . لا ادري : وذلك مما عرف الاقاويل فيه وعن الهيثم بن جميل قال شهدت مالكا سئل عن ثماني وار بعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري وعن مالك ايضاً رحمه الله : ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من اجاب فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وقال ابو حنيفة رحمه الله : لولا الفرق من الله تعالى ان يضيع العلم ما افتيت يكون لهم المهنأ وعليَّ الوزر واقوالهم في هذا كثيرة معروفة

وقال الصيمري والخطيب : قلَّ من حرص عَلَى الفتيا وسابق اليها وثابر عليها الا قلّ توفيقه واضطرب في امره واذا كان كارها لذلك غير مؤثر له ماوجد عنه مندوحة واحال الامر فيه عَلَى غيره كانت المعرفة له من الله اكثر والصلاح في جوابه اغلب واستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها

(معنى الفتوى اللغوي)

قال الراغب : الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام ويقال استفتيت فافتاني بكذا قال « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » « فاستفتهم » « افتوني في رؤياي »

وفي (النهاية) : يقال افتاه في المسألة يفتيه اذا اجابه والاسم الفتوى . وفي الحديث: ان اربعة تفاتوا اليه عليه السلام : اي تحاكموا من الفتوى ومنه الحديث : الاثم ما حاك في صدرك وان افتاك الناس عنه وافتوك : اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازا

وفي (المصباح) : الفتوى بالواو بفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم ويقال اصله من الفتى وهو الشاب القوي (١) والجمع الفتاوي بكسر الواو على الاصل وقيل يجوز الفتح للتخفيف انتهى وعبارته تفيد ان الفتوى بالفتح لاغير خلافا لما يقتضيه كلام القاموس من جواز الضم والفتح فقد نوقش فيه ولذا قال شارحه العلامة الفاسي : المصرح به في امهات اللغة واكثر مصنفات الصرف ان الفتيا بالياء لاتكون الا مضمومة وان الفتوى بالواو لا تكون الا مفتوحة :

(١) فكأن المفتي يقوي السائل بجواب حادثته

وفي (اساس البلاغة) : وفلان من اهل الفتوى والفتيا وتعالوا ففاتونا وتفاتوا اليه تحاكموا قال الطرماح :

هلم الى قضاة الغوث فاسأل ... برهطك والبيان لدى القضاة
انخ بفناء اشدق من عدي ... ومن جرم وهم اهل التفاتي

وقال عمر بن ابي ربيعة

فبت افاتيها فلا هي ترعوي ... بجود ولا تبدي اباء فتبخلا

اي اسائلها

(وراثة المفتي للمقام النبوي)

قال الامام ابو اسحق الشاطبي[١] المفتي قائم في الامة مقام النبي صلى الله عليه وسلم والدليل عَلَى ذلك امور (احدها) النقل الشرعي في الحديث ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم : وفي الصحيح : بينا انا نائم أُتيت بقدح من لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر ابن الخطاب قالوا فما اولته يارسول الله قال العلم : وهو في معنى الميراث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم نذيراً لقوله تعالى « انما انت نذير » وقال في العلماء « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » الآية واشباه ذلك (والثاني) انه نائب عنه في تبليغ الاحكام لقوله : الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب : وقال بلغوا عني ولو آية وقال: تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم : واذا كان كذلك فهو معنى كونه قائماً مقام النبي (والثالث) ان المفتي شارع من وجه لان مايبلغه من الشريعة اما منقول عن صاحبها واما مستنبط من المنقول فالاول يكون فيه مبلغاً والثاني يكون فيه قائماً مقامه في انشاء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتهد انشاء الاحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل عَلَى وفق ماقاله وهذه هي الخلافة عَلَى التحقيق[٢] بل القسم الذي هو مبلغ فيه لابد من نظره فيه من جهة فهم المعاني من الالفاظ الشرعية ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها عَلَى الاحكام وكلا الامرين راجع اليه فيها فقد قام مقام الشارع ايضاً في هذا المعنى وقد جاء في الحديث : ان من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه : وعلى الجملة فالمفتي مخبر عن الله كالنبي وموقع للشريعة عَلَى افعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ونافذ امره في الامة بمنشور الخلافة كالنبي ولذلك

(١) في الموافقات جزء ٤ (٢) يشير الى حديث اللهم ارحم خلفائي

سموا اولي الامر وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » والادلة عَلَى هذا المعنى كثيرة

(بيان ان المفتي والعالم والمجتهد والفقيه الفاظ مترادفة في الاصول)

قال الشهاب ابن قاسم العبادي في شرح قول امام الحرمين في الورقات « وصفة المفتي الخ : والمجتهد والمفتي واحد . وقال في شرح قوله « وليس ّللعالم ان يقلد » اي المجتهد المطلق فانه المراد من العالم كالمفتي حيث اطلق في الاصول

وقال ايضاً في شرح قول المحلي : والمفتي هو المجتهد : يحتمل ارادة اتحادهما مفهوماً وارادة اتحادهما ماصدقا ولعل الثاني اقرب انتهى

وقال السبكي في جمع الجوامع والمجتهد الفقيه : قال المحلي : كما قال فيما تقدم نقله عنه في اوائل الكتاب : والفقيه المجتهد لان كلا منهما يصدق عَلَى مايصدق عليه الآخر : قال العطار اي فهو ليس من قبيل التعريف وانما هو من قبيل بيان الما صدق فتساوى الافراد واختلف المفهوم

وفي فتح القدير لابن الهمام : قد استقر رأي الاصوليين عَلَى ان المفتي هو المجتهد فاما غير المجتهد ممن يحفظ اقوال المجتهد فليس بمفت والواجب عليه اذا سئل ان يذكر قول المجتهد عَلَى وجه الحكاية فعرف ان مايكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي وطريق نقله لذلك عن المجتهد احد امرين اما ان يكون له فيه سند اليه او يأخذه عن كتاب معروف تداولته الايدي نحو كتب محمد بن الحسن ونحوها لانه بمنزلة الخبر المتواتر او المشهور .

(مااشترطه الاصوليون في المفتي)

قال الامام الصيرفي : موضوع هذا الاسم يعني المفتي لمن قام للناس بامر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه وناسخه ومنسوخه وكذلك السنن والاستنباط ولم يوضع لمن علم مسألة وادرك حقيقتها فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ومن استحقه افتى فيما استفتي

وقال ابن السمعاني : المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط الاجتهاد والعدالة والكف عن الترخيص والتساهل[1]

(١) ارشاد الفحول للشوكاني

وقال الامام الشاطبي[1] المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس عَلَى المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم الى طرف الانحلال والدليل على هذا انه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ومقصد الشارع من المكلف الحمل عَلَى التوسط من غير افراط ولا تفريط فاذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع ولذلك كان ماخرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراسخين وايضاً فان هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الاكرمين وقد رد عليه السلام التبتل وقال لمعاذ لما اطال بالناس في الصلاة : افتان انت يامعاذ : وقال : ان منكم منفرين · وقال : عليكم من العمل ماتطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا · وقال احب العمل الى الله مادام عليه صاحبه وان قل ورد عليهم الوصال · وكثير من هذا وايضاً فان الخروج الى الاطراف خارج عن العدل ولا تقوم به مصلحة الخلق اما في طرف التشديد فانه مهلكة واما في طرف الانحلال فكذلك ايضاً لان المستفتي اذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض اليه الدين وادى الى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد واما اذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة والشرع انما جاء بالنهي عن الهوى واتباع الهوى مهلك والادلة كثيرة

فعلى هذا يكون الميل الى الرخص في الفتيا باطلاق مضاداً للمشي على التوسط كما ان الميل الى التشديد مضاد له ايضا وربما فهم بعض الناس ان ترك الترخص تشديد فلا يجعل بينهما وسطاً وهذا غلط والوسط هو معظم الشريعة وام الكتاب ومن تأمل موارد الاحكام بالاستقراء التام عرف ذلك واكثر من هذا شأنه من اهل الانتماء الى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية بحيث يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناء منه عَلَى ان الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وحرج في حقه وان الخلاف انما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة فان اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها وان الخلاف انما هو رحمة من جهة اخرى وان الشريعة حمل عَلَى التوسط لا على مطلق التخفيف — والا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرج ومخالف للهوى ولا على مطلق التشديد فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره فانه مزلة قدم على وضوح الامر فيه انتهى

(١) موافقات جزء ٤

وقال الامام ابو اسحق الشيرازي في اللمع [1] في باب صفة المفتي والمستفتي : وينبغي ان يكون المفتي عارفاً بطرق الاحكام وهي الكتاب والذي يجب ان يعرف من ذلك مايتعلق بذكر الاحكام والحلال والحرام دون ما فيه من القصص والامثال والمواعظ والاخبار ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الاحكام ويعرف الطرق التي يعرف بها مايحتاج اليه من الكتاب والسنة من احكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والمجاز والعام والخاص والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم ويعرف من اللغة والنحو مايعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابهما ويعرف احكام افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومااقتضيه ويعرف الناسخ من ذلك والمنسوخ واحكام النسخ وما يتعلق به ويعرف اجماع السلف وخلافهم ويعرف مايعتد به من ذلك وما لا يعتد به ويعرف القياس والاجتهاد والاصول التي يجوز تعليلها وما لايجوز والاوصاف التي يجوز ان يعلل بها وما لا يجوز وكيفية انتزاع العلل ويعرف ترتيب الادلة بعضها على بعض وتقديم الاولى منها ووجوه الترجيح ويجب ان يكون ثقة مأمونا لايتساهل في امر الدين انتهى

وقال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : وينبغي ان يكون المفتي ظاهر الورع مشهوراً بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة (ثم قال) : شرط المفتي كونه ثقة مأموناً منزهاً عن الفسق وخوارم المروأة فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح النظر والاستنباط متيقظاً سواء فيه الحر والعبد والمرأة والاعمى والاخرس اذا كتب او فهمت اشارته

قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح : وينبغي ان يكون كالراوي في انه لا يؤثر فيه قرابة وعداوة وجر نفع ودفع ضر ولأن المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص فكان كالراوي لا كالشاهد وفتواه لايرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي

(قال) وذكر صاحب الحاوي ان المفتي اذا نابذ في فتواه شخصاً معيناً صار خصماً معانداً فترد فتواه عَلَى من عاداه كما ترد شهادته عليه اذا وقعت انتهى

(فتوى الفاسق والمستور واهل الاهواء والخوارج)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : نقل الخطيب البغدادي اجماع المسلمين

(١) من اهم كتب الاصول وقد طبع مع بعض تعليقاتنا عليه

عَلَى ان الفاسق لا تصح فتواه (لغيره) وانه يجب عليه اذا وقعت له واقعة ان يعمل باجتهاد نفسه

واما المستور وهو الذي ظاهره العدالة ولم تختبر عدالته باطنا ففيه وجهان اصحهما جواز فتواه لان العدالة الباطنة يعتبر معرفتها عَلَى غير القضاة والثاني لا تجوز كالشهادة

قال الصيمري : وتصح فتوى اهل الاهواء والخوارج ومن لا يكفر ببدعته ولا بفسقه :

(بحث الفتوى للقاضي)

قال الامام النووي : والقاضي كغيره في جواز الفتيا بلا كراهة هذا هو الصحيح وقيل له الفتوى في العبادات ومالا يتعلق بالقضاء وفي القضاء وجهان لاصحابنا احدهما الجواز لانه اهل والثاني لا لانه موضع تهمة وقال ابن المنذر تكره الفتوى في مسائل الاحكام وقال شريح انا اقضي ولا افتي :

(تقسيم المتأخرين المفتي الى مستقل وغير مستقل)

قال الامام النووي قال ابو عمرو — ابن الصلاح — المفتون قسمان مستقل وغيره فالمستقل شرطه مع ماذكرناه ان يكون فقيهاً بمعرفة ادلة الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما التحق بها عَلَى التفصيل وقد فصلت في كتب الفقه فيسرت وان يكون عالماً بما يشترط في الادلة ووجوه دلالتها و بكيفية اقتباس الاحكام منها وهذا مستفاد من اصول الفقه =وعارفاً من علوم القرآن والحديث والناسخ والمنسوخ والنحو واللغة والصرف واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن معه من الوفاء بشروط الادلة والاقتباس منها= ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك = عالماً بالفقه ضابطاً لامهات مسائله وتفاريعه فمن جمع هذه الاوصاف فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى به فرض الكفاية وهو المجتهد المطلق المستقل لانه يستقل بالادلة بغير تقليد وتقيد بمذهب احد

قال ابو عمرو : وما شرطناه من حفظه لمسائل الفقه لم يشترط في كثير من الكتب المشهورات لكونه ليس شرطاً لمنصب الاجتهاد لان الفقه ثمرته فيتأخر عنه وشرط الشيء لا يتأخر عنه وشرطه الاستاذ ابو اسحق الاسفراييني وصاحبه ابو منصور البغدادي وغيرها واشتراطه في المفتي الذي يتأدى به فرض الكفاية هو الصحيح وان لم يكن كذلك في المجتهد المستقل

ثم لا يشترط ان تكون جميع الاحكام عَلَى ذهنه بل يكفيه كونه حافظاً لمعظمها متمكناً من ادراك الباقي على قرب

وهل يشترط ان يعرف من الحساب مايصحح به المسائل الحسابية الفقهية حكى ابو اسحق وابو منصور فيه خلافاً لاصحابنا والاصح اشتراطه ·

ثم انما يشترط اجتماع العلوم المذكورة في مفت مطلق في جميع ابواب الشرع واما مفت في باب خاص كالمناسك والفرائض فيكفيه معرفة ذلك الباب كذا قطع به الغزالي وصاحبه ابن برهان (بفتح الباء) وغيرها ومنهم من منعه مطلقاً واجازه ابن الصباغ في الفرائض خاصة والاصح جوازه مطلقاً

(القسم الثاني المفتي الذي ليس بمستقل) ومن دهر طويل عدم المفتي المستقل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى ائمة المذاهب المتبوعة (1)

وللمفتي المنتسب حالات « احداها » ان لا يكون مقلداً لامامه لا في المذهب ولا في دليله لاتصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوكه طريقه في الاجتهاد وادعى ابو اسحق هذه الصفة لاصحابنا وحكي عن اصحاب مالك واحمد وداود واكثر الحنفية انهم صاروا الى مذاهب ائمتهم تقليداً لهم

والصحيح الذي ذهب اليه المحققون ماذهب اليه اصحابنا وهو انهم صاروا الى مذهب الشافعي لا تقليداً له بل لما وجدوا طرقه في الاجتهاد والقياس اسد الطرق ولم يكن لهم بد من الاجتهاد سلكوا طريقه وطلبوا معرفة الاحكام بطريق الشافعي « قال النووي » قلت هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في اول مختصره وغيره بقوله : مع اعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره

ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجماع والخلاف

« الحالة الثانية » ان يكون مجتهداً مقلداً في مذهب امامه مستقلا بتقرير اصوله بالدليل

«١» نقل العلامة السفاريني الحنبلي في بعض رسائله عن العلامة ابن حمدان انه قال : ان الاجتهاد المطلق الآن ايسر منه في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دونا وكذا كل مايتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية واصول الفقه والعربية وغير ذلك لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة ونار الخير والجد خامدة وعين الخشية والفكرة جامدة اكتفاء بالتقليد وخلوداً الى الراحة وعدم التسديد وبالله التوفيق اه

غير انه لايتجاوز في ادائه اصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالماً بالفقه واصوله وادلة الاحكام تفصيلا—بصيراً بمسالك الاقيسة والمعاني—تام الارتياض في التخريج والاستنباط قيما بالحاق ماليس منصوصاً عليه لامامه باصوله « الى ان قال النووي » ثم ظاهر كلام الاصحاب ان من هذا حاله لايتأدى بـه فرض الكفاية

ثم قد يستقل المقلد في مسألة او باب خاص كما تقدم وله ان يفتي فيما لانص فيـه لامامـه بما يخرجه عَلَى اصوله وهو الذي عليه العمل واليـه يفزع المفتون من مدد طويلة ثم اذا افتى بتخريجه فالمستفتي مقلد لامامه لا له هكذا قطع به امام الحرمين في كتابه الغياثي قال الشيخ ابو عمرو: ينبغي ان يخرج هذا على خلاف حكاه الشيخ ابو اسحق الشيرازي وغيره ان مايخرجه اصحابنا هل يجوز نسبته الى الشافعي رحمه الله والاصح انه لاينسب اليه

ثم ذكر النووي بقية حالات المفتي المنتسب اضربنا عنها لقلة جدواها ولانها فرعت لزمن غير هذا الزمن

وقال العلامة الفناري في فصول البدائع في مسائل الفتاوي: يجوز الافتاء للمجتهد اتفاقاً وللحاكي قول مجتهد حي سمعـه منه مشافهة لان علياً رضي الله عنه اخذ بقول المقداد عن النبي عليه السلام في المذي ولذا يجوز للمرأة ان تعمل في حيضها بنقل زوجها عن المفتي

اما— الافتاء—لحاكي قول ميت فمنعه الاكثرون اذ لاقول للميت لانعقاد الاجماع مع خلافـه وانما صنفت كتب الفقه لاستفادة طرق الاجتهاد من تصرفهم ومعرفة المتفق عليه والمختلف فيـه قال في المحصول : والاصح عند المتأخرين جوازه لوجهين «الاول» انعقاد الاجماع عَلَى جواز العمل بهذا النوع من الفتوى وله معنيان «١» ان احكام الشريعة المحمدية باقية الى آخر الزمان لكونـه خاتم النبيين وكل من المجتهدين يثبت الحكم على انـه كذلك فهم وان اختلفوا في تعيين الحكم مجمعون ضمناً عَلَى بقائـه وجواز تقليد من بعدهم «٢» ان المجتهدين السابقين المختلفين اجمعوا صريحاً على ان من بعدهم اذا اضطروا الى تقليد الميت لعدم الاجتهاد جاز لهم ذلك « الثاني » اذا كان المجتهد الميت ثقة عالماً والحاكي عنه ثقة فاهماً معنى كلامـه حصل عند العامي ظن ان حكم الله تعالى ماحكاه والظن حجة حتى لو رجع الى كتاب موثوق بـه جاز ايضاً كذا في التحصيل

قال في فتاوي العصر في اصول الفقه لابي بكر الرازي رحمه الله فاما مايوجد من

الناس عَلَى الفتيا اقلهم علماً : وعن الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى ادري ان الفضل في السكوت او في الجواب وعن الاثرم سمعت احمد ابن حنبل رحمه الله يكثر ان يقول . لا ادري : وذلك مما عرف الاقاويل فيه وعن الهيثم بن جميل قال شهدت مالكا سئل عن ثماني واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري وعن مالك ايضاً رحمه الله : ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من اجاب فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وقال ابو حنيفة رحمه الله : لولا الفرق من الله تعالى ان يضيع العلم ما افتيت يكون لهم المهنأ وعليّ الوزر واقوالهم في هذا كثيرة معروفة

وقال الصيمري والخطيب : قل من حرص عَلَى الفتيا وسابق اليها وثابر عليها الا قلّ توفيقه واضطرب في امره واذا كان كارها لذلك غير مؤثر له ماوجد عنه مندوحة واحال الامر فيه عَلَى غيره كانت المعرفة له من الله اكثر والصلاح في جوابه اغلب واستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها

(معنى الفتوى اللغوي)

قال الراغب : الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام ويقال استفتيت فافتاني بكذا قال « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » « فاستفتهم » « افتوني في رؤياي »

وفي (النهاية) : يقال افتاه في المسألة يفتيه اذا اجابه والاسم الفتوى . وفي الحديث: ان اربعة تفاتوا اليه عليه السلام : اي تحاكموا من الفتوى ومنه الحديث : الاثم ما حاك في صدرك وان افتاك الناس عنه وافتوك : اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازا

وفي (المصباح) : الفتوى بالواو بفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم ويقال اصله من الفتى وهو الشاب القوي (١) والجمع الفتاوي بكسر الواو على الاصل وقيل يجوز الفتح للتخفيف انتهى وعبارته تفيد ان الفتوى بالفتح لاغير خلافا لما يقتضيه كلام القاموس من جواز الضم والفتح فقد نوقش فيه ولذا قال شارحه العلامة الفاسي : المصرح به في امهات اللغة واكثر مصنفات الصرف ان الفتيا بالياء لا تكون الا مضمومة وان الفتوى بالواو لا تكون الا مفتوحة :

(١) كأن المفتي يقوي السائل بجواب حادثته

وفي (اساس البلاغة) : وفلان من اهل الفتوى والفتيا وتعالوا ففاتونا وتفاتوا اليه تحاكموا قال الطرماح :

هلم الى قضاة الغوث فاسأل برهطك والبيان لدى القضاة
انخ بفناء اشدق من عدي ومن جرم وهم اهل التفاتي

وقال عمر بن ابي ربيعة

فبت افاتيها فلا هي ترعوي بجود ولا تبدي اباء فتبخلا

اي اسائلها

(وراثة المفتي للمقام النبوي)

قال الامام ابو اسحق الشاطبي[١] المفتي قائم في الامة مقام النبي صلى الله عليه وسلم والدليل عَلَى ذلك امور (احدها) النقل الشرعي في الحديث ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم : وفي الصحيح : بينا انا نائم أُتيت بقدح من لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر ابن الخطاب قالوا فما اولته يارسول الله قال العلم : وهو في معنى الميراث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم نذيراً لقوله تعالى « انما انت نذير » وقال في العلماء « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » الآية واشباه ذلك (والثاني) انه نائب عنه في تبليغ الاحكام لقوله : الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب : وقال بلغوا عني ولو آية وقال: تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم : واذا كان كذلك فهو معنى كونه قائماً مقام النبي (والثالث) ان المفتي شارع من وجه لان مايبلغه من الشريعة اما منقول عن صاحبها واما مستنبط من المنقول فالاول يكون فيه مبلغاً والثاني يكون فيه قائماً مقامه في انشاء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتهد انشاء الاحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل عَلَى وفق ماقاله وهذه هي الخلافة عَلَى التحقيق[٢] بل القسم الذي هو مبلغ فيه لابد من نظره فيه من جهة فهم المعاني من الالفاظ الشرعية ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها عَلَى الاحكام وكلا الامرين راجع اليه فيها فقد قام مقام الشارع ايضاً في هذا المعنى وقد جاء في الحديث : ان من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه : وعَلَى الجملة فالمفتي مخبر عن الله كالنبي وموقع للشريعة عَلَى افعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ونافذ امره في الامة بمنشور الخلافة كالنبي ولذلك

(١) في الموافقات جزء ٤ (٢) يشير الى حديث اللهم ارحم خلفائي

سموا اولي الامر وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » والادلة عَلَى هذا المعنى كثيرة

(بيان ان المفتي والعالم والمجتهد والفقيه الفاظ مترادفة في الاصول)

قال الشهاب ابن قاسم العبادي في شرح قول امام الحرمين في الورقات « وصفة المفتي الخ : والمجتهد والمفتي واحد . وقال في شرح قوله « وليس للعالم ان يقلد » اي المجتهد المطلق فانه المراد من العالم كالمفتي حيث اطلق في الاصول

وقال ايضاً في شرح قول المحلي : والمفتي هو المجتهد : يحتمل ارادة اتحادهما مفهوماً وارادة اتحادهما ماصدقا ولعل الثاني اقرب انتهى

وقال السبكي في جمع الجوامع والمجتهد الفقيه : قال المحلي : كما قال فيما تقدم نقله عنه في اوائل الكتاب : والفقيه المجتهد لان كلا منهما يصدق عَلَى مايصدق عليه الآخر: قال العطار اي فهو ليس من قبيل التعريف وانما هو من قبيل بيان الما صدق فتساوى الافراد واختلف المفهوم

وفي فتح القدير لابن الهمام : قد استقر رأي الاصوليين عَلَى ان المفتي هو المجتهد فاما غير المجتهد ممن يحفظ اقوال المجتهد فليس بمفت والواجب عليه اذا سئل ان يذكر قول المجتهد عَلَى وجه الحكاية فعرف ان مايكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي وطريق نقله لذلك عن المجتهد احد امرين اما ان يكون له فيه سند اليه او يأخذه عن كتاب معروف تداولته الايدي نحو كتب محمد بن الحسن ونحوها لانه بمنزلة الخبر المتواتر او المشهور .

(مااشترطه الاصوليون في المفتي)

قال الامام الصيرفي : موضوع هذا الاسم يعني المفتي لمن قام للناس بامر دينهم وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه وناسخه ومنسوخه وكذلك السنن والاستنباط ولم يوضع لمن علم مسألة وادرك حقيقتها فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ومن استحقه افتى فيما استفتي

وقال ابن السمعاني : المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط الاجتهاد والعدالة والكف عن الترخيص والتساهل (١)

(١) ارشاد الفحول للشوكاني

وقال الامام الشاطبي[1] المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس عَلَى المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم الى طرف الانحلال والدليل على هذا انه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ومقصد الشارع من المكلف الحمل عَلَى التوسط من غير افراط ولا تفريط فاذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع ولذلك كان ماخرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراسخين وايضاً فان هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الاكرمين وقد رد عليه السلام التبتل وقال لمعاذ لما اطال بالناس في الصلاة : افتان انت يامعاذ : وقال : ان منكم منفرين . وقال : عليكم من العمل ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا . وقال احب العمل الى الله مادام عليه صاحبه وان قل وورد عليهم الوصال . وكثير من هذا وايضاً فان الخروج الى الاطراف خارج عن العدل ولا تقوم بـه مصلحة الخلق اما في طرف التشديد فانه مهلكة واما في طرف الانحلال فكذلك ايضاً لان المستفتي اذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض اليه الدين وادى الى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد واما اذا ذهب بـه مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة والشرع انما جاء بالنهي عن الهوى واتباع الهوى مهلك والادلة كثيرة

فعلى هذا يكون الميل الى الرخص في الفتيا باطلاق مضاداً للمشي على التوسط كما ان الميل الى التشديد مضاد له ايضا وربما فهم بعض الناس ان ترك الترخص تشديد فلا يجعل بينهما وسطاً وهذا غلط والوسط هو معظم الشريعة وام الكتاب ومن تأمل موارد الاحكام بالاستقراء التام عرف ذلك واكثر من هذا شأنه من اهل الانتماء الى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية بحيث يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناء منه عَلَى ان الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وحرج في حقه وان الخلاف انما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة فان اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها وان الخلاف انما هو رحمة من جهة اخرى وان الشريعة حمل عَلَى التوسط لاعلى مطلق التخفيف — والا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرج ومخالف للهوى ولا على مطلق التشديد فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره فانه مزلة قدم على وضوح الامر فيه انتهى

(١) موافقات جزء ٤

وقال الامام ابو اسحق الشيرازي في اللمع [1] في باب صفة المفتي والمستفتي : وينبغي ان يكون المفتي عارفاً بطرق الاحكام وهي الكتاب والذي يجب ان يعرف من ذلك مايتعلق بذكر الاحكام والحلال والحرام دون ما فيه من القصص والامثال والمواعظ والاخبار ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الاحكام ويعرف الطرق التي يعرف بها مايحتاج اليه من الكتاب والسنة من احكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والمجاز والعام والخاص والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم ويعرف من اللغة والنحو مايعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابهما ويعرف احكام افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومانقتضيه ويعرف الناسخ من ذلك والمنسوخ واحكام النسخ وما يتعلق به ويعرف اجماع السلف وخلافهم ويعرف مايعتد به من ذلك وما لا يعتد به ويعرف القياس والاجتهاد والاصول التي يجوز تعليلها وما لايجوز والاوصاف التي يجوز ان يعلل بها وما لا يجوز وكيفية انتزاع العلل ويعرف ترتيب الادلة بعضها على بعض وتقديم الاولى منها ووجوه الترجيح ويجب ان يكون ثقة مأمونا لايتساهل في امر الدين انتهى

وقال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : وينبغي ان يكون المفتي ظاهر الورع مشهوراً بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة (ثم قال) : شرط المفتي كونه ثقة مأموناً منزهاً عن الفسق وخوارم المروءة فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح النظر والاستنباط متيقظاً سواء فيه الحر والعبد والمرأة والاعمى والاخرس اذا كتب او فهمت اشارته

قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح : وينبغي ان يكون كالراوي في انه لا يؤثر فيه قرابة وعداوة وجر نفع ودفع ضر ولأن المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص فكان كالراوي لا كالشاهد وفتواه لايرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي

(قال) وذكر صاحب الحاوي ان المفتي اذا نابذ في فتواه شخصاً معيناً صار خصماً معانداً فترد فتواه عَلَى من عاداه كما ترد شهادته عليه اذا وقعت انتهى

(فتوى الفاسق والمستور واهل الاهواء والخوارج)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : نقل الخطيب البغدادي اجماع المسلمين

(١) من أهم كتب الاصول وقد طبع مع بعض تعليقاتنا عليه

عَلَى ان الفاسق لاتصح فتواه (لغيره) وانه يجب عليه اذا وقعت له واقعة ان يعمل باجتهاد نفسه

واما المستور وهو الذي ظاهره العدالة ولم تختبر عدالته باطنا ففيه وجهان اصحهما جواز فتواه لان العدالة الباطنة يعتبر معرفتها عَلَى غير القضاة والثاني لاتجوز كالشهادة

قال الصيمري : وتصح فتوى اهل الاهواء والخوارج ومن لايكفر ببدعته ولا بفسقه :

(بحث الفتوى للقاضي)

قال الامام النووي : والقاضي كغيره في جواز الفتيا بلا كراهة هذا هو الصحيح وقيل له الفتوى في العبادات ومالا يتعلق بالقضاء وفي القضاء وجهان لاصحابنا احدهما الجواز لانه اهل والثاني لا لانه موضع تهمة وقال ابن المنذر تكره الفتوى في مسائل الاحكام وقال شريح انا اقضي ولا افتي :

(تقسيم المتأخرين المفتي الى مستقل وغير مستقل)

قال الامام النووي قال ابو عمرو — ابن الصلاح — المفتون قسمان مستقل وغيره فالمستقل شرطه مع ماذكرناه ان يكون فقيهاً بمعرفة ادلة الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما التحق بها عَلَى التفصيل وقد فصلت في كتب الفقه فيسرت وان يكون عالمًا بما يشترط في الادلة ووجوه دلالتها و بكيفية اقتباس الاحكام منها وهذا مستفاد من اصول الفقه = وعارفاً من علوم القرآن والحديث والناسخ والمنسوخ والنحو واللغة والصرف واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن معه من الوفاء بشروط الادلة والاقتباس منها = ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك = عالمًا بالفقه ضابطًا لامهات مسائله وتفاريعه فمن جمع هذه الاوصاف فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى به فرض الكفاية وهو المجتهد المطلق المستقل لانه يستقل بالادلة بغير تقليد وتقيد بمذهب احد

قال ابو عمرو : وما شرطناه من حفظه لمسائل الفقه لم يشترط في كثير من الكتب المشهورات لكونه ليس شرطاً لمنصب الاجتهاد لان الفقه ثمرته فيتأخر عنه وشرط الشيء لايتأخر عنه وشرطه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وصاحبه ابو منصور البغدادي وغيرهما واشتراطه في المفتي الذي يتأدى به فرض الكفاية هو الصحيح وان لم يكن كذلك

ثم لا يشترط ان تكون جميع الاحكام على ذهنه بل يكفيه كونه حافظاً لمعظمها متمكناً من ادراك الباقي على قرب

وهل يشترط ان يعرف من الحساب ما يصحح به المسائل الحسابية الفقهية حكى ابو اسحق وابو منصور فيه خلافاً لاصحابنا والاصح اشتراطه .

ثم انما يشترط اجتماع العلوم المذكورة في مفت مطلق في جميع ابواب الشرع واما مفت في باب خاص كالمناسك والفرائض فيكفيه معرفة ذلك الباب كذا قطع به الغزالي وصاحبه ابن برهان (بفتح الباء) وغيرهما ومنهم من منعه مطلقاً واجازه ابن الصباغ في الفرائض خاصة والاصح جوازه مطلقاً

(القسم الثاني المفتي الذي ليس بمستقل) ومن دهر طويل عدم المفتي المستقل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى ائمة المذاهب المتبوعة [1]

وللمفتي المنتسب حالات « احداها » ان لا يكون مقلداً لامامه لا في المذهب ولا في دليله لاتصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوكه طريقه في الاجتهاد وادعى ابو اسحق هذه الصفة لاصحابنا وحكي عن اصحاب مالك واحمد وداود واكثر الحنفية انهم صاروا الى مذاهب ائمتهم تقليداً لهم

والصحيح الذي ذهب اليه المحققون ما ذهب اليه اصحابنا وهو انهم صاروا الى مذهب الشافعي لا تقليداً له بل لما وجدوا طرقه في الاجتهاد والقياس اسد الطرق ولم يمكن لهم بد من الاجتهاد سلكوا طريقه وطلبوا معرفة الاحكام بطريق الشافعي « قال النووي » قلت هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في اول مختصره وغيره بقوله : مع اعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره

ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجماع والخلاف

« الحالة الثانية » ان يكون مجتهداً مقيداً في مذهب امامه مستقلاً بتقرير اصوله بالدليل

«١» نقل العلامة السفاريني الحنبلي في بعض رسائله عن العلامة ابن حمدان انه قال : ان الاجتهاد المطلق الآن ايسر منه في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دونا وكذا كل ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية واصول الفقه والعربية وغير ذلك لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة ونار الخير والجد خامدة وعين الخشية والفكرة جامدة اكتفاء بالتقليد وخلوداً الى الراحة وعدم التسديد وبالله التوفيق اه

غير انه لا يتجاوز في ادائه اصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالماً بالفقه واصوله وادلة الاحكام تفصيلا — بصيراً بمسالك الاقيسة والمعاني — تام الارتياض في التخريج والاستنباط قيما بالحاق ماليس منصوصاً عليه لامامه باصوله « الى ان قال النووي » ثم ظاهر كلام الاصحاب ان من هذا حاله لايتأدى بـه فرض الكفاية

ثم قد يستقل المقلد في مسألة او باب خاص كما تقدم وله ان يفتي فيما لانص فيـه لامامـه بما يخرجه عَلَى اصوله وهو الذي عليه العمل واليـه يفزع المفتون من مدد طويلة ثم اذا افتى بتخريجه فالمستفتي مقلد لامامه لا له هكذا قطع به امام الحرمين في كتابه الغياثي قال الشيخ ابو عمرو : ينبغي ان يخرج هذا على خلاف حكاه الشيخ ابو اسحق الشيرازي وغيره ان مايخرجه اصحابنا هل يجوز نسبته الى الشافعي رحمه الله والاصح انه لاينسب اليه

ثم ذكر النووي بقية حالات المفتي المنتسب اضربنا عنها لقلة جدواها ولانها فرعت لزمن غير هذا الزمن

وقال العلامة الفناري في فصول البدائع في مسائل الفتاوي: يجوز الافتاء للمجتهد اتفاقاً وللحاكي قول مجتهد حي سمعـه منه مشافهة لان علياً رضي الله عنه اخذ بقول المقداد عن النبي عليه السلام في المذي ولذا يجوز للمرأة ان تعمل في حيضها بنقل زوجها عن المفتي

اما — الافتاء — لحاكي قول ميت فمنعه الاكثرون اذ لاقول للميت لانعقاد الاجماع مع خلافـه وانما صنفت كتب الفقـه لاستفادة طرق الاجتهاد من تصرفهم ومعرفة المتفق عليه والمختلف فيه قال في المحصول : والاصح عند المتأخرين جوازه لوجهين «الاول» انعقاد الاجماع عَلَى جواز العمل بهذا النوع من الفتوى وله معنيان «١» ان احكام الشريعة المحمدية باقية الى آخر الزمان لكونـه خاتم النبيين وكل من المجتهدين يثبت الحكم على انـه كذلك فهم وان اختلفوا في تعيين الحكم مجمعون ضمناً عَلَى بقائـه وجواز تقليد من بعدهم «٢» ان المجتهدين السابقين المختلفين اجمعوا صريحاً على ان من بعدهم اذا اضطروا الى تقليد الميت لعدم الاجتهاد جاز لهم ذلك « الثاني » اذا كان المجتهد الميت ثقة عالماً والحاكي عنه ثقة فاهماً معنى كلامه حصل عند العامي ظن ان حكم الله تعالى ماحكاه والظن حجة حتى لو رجع الى كتاب موثوق بـه جاز ايضاً كذا في التحصيل

قال في فتاوي العصر في اصول الفقه لابي بكر الرازي رحمه الله فاما مايوجد من

(الحادي عشر)

اذا ظهر للمفتي ان الجواب خلاف غرض المستفتي وانه لا يرضى بكتابته في ورقته فليقتصر عَلَى مشافهته بالجواب

وليحذر ان يميل في فتواه مع المستفتي او خصمه ووجوه الميل كثيرة لاتخفى ومنها ان يكتب في جوابه ما هو له و يترك ما هو عليه

وليس له ان يبدأ في مسائل الدعوى والبينات بوجوه المخالص منها واذا سأله احدهم وقال : باي شيء يندفع كذا وكذا لم يجبه كيلا يتوصل بذلك الى ابطال حق [1] وله ان يسأله عن حاله فيما ادعى عليه واذا شرحه له عرفه بما فيه من دافع وغير دافع

(قال الصيمري) : و ينبغي للمفتي اذا رأى للسائل طريقاً يرشده اليه او ينبهه عليه : يعني مالم يضر غيره ضرراً بغير حق (قال) كمن حلف لا ينفق على زوجته شهراً يقول تعطيها من صداقها او قرضا او بيعاً ثم تبرئها وكما حكي ان رجلا قال لابي حنيفة رحمه الله : حلفت اني اطأ امرأتي في شهر رمضان ولا اكفر ولا اعصي : فقال : سافر بها :

(الثاني عشر)

قال الصيمري : اذا رأى المفتي المصلحة ان يفتي العامي بما فيه تغليظ وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له ولامثاله ممن قل دينه ومروءته

(الثالث عشر)

يجب علي المفتي عند اجتماع الوقائع بحضرته ان يقدم الاسبق فالاسبق كما يفعله القاضي في الخصوم [2] وهذا فيما يجب فيه الافتاء فان تساووا او جهل السابق قدم بالقرعة والصحيح انه يجوز تقديم المرأة والمسافر الذي شد رحله وفي تأخيره ضرر بتخلفه عن رفقته ونحو ذلك عَلَى من سبقهما الا اذا كثر المسافرون والنساء بحيث يلحق غيرهم بتقديمهم ضرر كثير فيعود الى التقديم بالسبق او القرعة

---

(١) ليعتبر بذلك بعض المحامين وامناء الفتوى وكتاب المحاكم الذين يلقنون المخالص بأجر او بغير اجر وليذكروا ما أُخذ عليهم في ميثاق الايمان من النصيحة للخلق والقول بالحق والقيام بالقسط والشهادة بالعدل اه منه

(٢) هذا الادب من اهم مايجب العناية به لاسيما عَلَى القاضي وارى للقاضي وقت حضوره لسماع الدعاوي ان يقف عَلَى بابه حاجبا يدخل عليه مدعياً بعد آخر وفي ذلك بله الترتيب وانتظام امر مجلسه وراحة البال قيامه بما يجب من سماع الدعوى باصغاء تام

(الرابع عشر)

قال الصيمري وابو عمرو : اذا سئل عن ميراث فليست العادة ان يشترط في الورثة عدم الرق والكفر والقتل وغيرها من موانع الميراث بل المطلق محمول على ذلك بخلاف ما اذا اطلق الاخوة والاخوات والاعمام فلا بد ان يقول في الاخوات من اب وام او من اب او من ام

واذا كان في المذكورين في رقعة الاستفتاء من لا يرث افصح بسقوطه فقال : وسقط فلان وان كان سقوطه في حال دون حال قال وسقط فلان في هذه الصورة او نحو ذلك لئلا يتوهم انه لا يرث بحال

قال الصيمري وغيره : وحسن ان يقول : تقسم التركة بعد اخراج مايجب تقديمه من دين او وصية ان كانا

(الخامس عشر)

اذا رأى المفتي في رقعة الاستفتاء خط غيره ممن هو اهل للفتوى [1] وخطه فيها صحيح موافق لما عنده قال الخطيب وغيره : كتب تحت خطه « هذا جواب صحيح وبه اقول » او يكتب « جوابي مثل هذا » وان شاء ذكر الحكم بعبارة اخص من عبارة الذي كتب واما اذا رأى فيها خط من ليس اهلا للفتوى فقال الصيمري : لا يفتي معه لان في ذلك تقرير المنكر بل يضرب عَلَى ذلك [2] بامر صاحب الرقعة وله انتهار السائل وزجره وتعريفه قبح ما اتاه وانه كان واجبًا عليه البحث عن اهل الفتوى وطلب من هو اهل لذلك [3] (قال) والاولى في هذا الموضع ان يشار عَلَى صاحبها بابدالها فان ابى ذلك اجابه شفاها (قال ابو عمرو) : اذا خاف فتنة من الضرب عَلَى فتيا العادم الاهلية

وسكون المجلس مما يشوش عليه في شأنها وتفرغ قلبه للقضاء فيها وتوحد وجهته اليها واما ماعليه الآن من دخول مدع باثر آخر بعقب سائل وتزاحم المدعين والكتاب فذاك مما يجب التفكر باصلاحه وارى ايضًا ان يعلن القاضي عدم قبول الزيارة لاحد ما كائنًا من كان وقت جلوسه للحكم والقضاء وعسى ان يتفكر في ذلك ان شاء الله اه منه

(١) اي على القاعدة القديمة من توارد العلماء بخطوطهم على فتوى واحدة قبل احتكارها بفرد في القرون الاخيرة اه منه

(٢) اي يعلم بالقلم عليه بخط مستطيل اشارة الى عدم صحته اه منه

(٣) سيأتي بيان ذلك مفصلا في آداب المستفتي اه منه

ولم تكن خطأ عدل الى الامتناع من الفتيا معه فان غلبت فتاويه لتغلبه عَلَى منصبها بجاه او تلبيس اوغير ذلك بحيث صار امتناع الاهل من الفتيا ضاراً بالمستفتي فليفت فان ذلك اهون الضررين وليتلطف مع ذلك في اظهار قصوره لمن يجهله

اما اذا وجد فتيا من اهل وهي خطأ مطلقا لمخالفتها القاطع او خطأ على مذهب من يفتي ذلك المفتي عَلَى مذهبه قطعاً فلا يجوز له الامتناع من الفتيا تاركا للتنبيه عَلَى خطاءها اذا لم يلق ذلك غيره بل عليه الضرب عليها عند تيسره والابدال او تقطيع الرقعة باذن صاحبها او نحو ذلك واذا تعذر ذلك وما يقوم مقامه كتب صواب جوابه عند ذلك الخطاء ثم ان كان المخطيء اهلا للفتيا فحسن ان يعاد اليه باذن صاحبها اما اذا وجد فيها فتيا اهل الفتوى وهي عَلَى خلاف ما يراه هو غير انه لا يقطع بخطاءها فليقتصر عَلَى جواب نفسه ولا يتعرض لفتيا غيره بتخطئة ولا اعتراض قال صاحب الحاوي : لا يسوغ لمفت اذا استفتي ان يتعرض لجواب غيره برد ولا تخطئة ويجيب بما عنده من موافقة او مخالفة (١)

(السادس عشر)

اذا لم يفهم المفتي السؤال اصلا ولم يحضر صاحب الواقعة قال الصيمري كتب : يزاد في الشرح لنجيب عنه او لم افهم مافيها فاجيب (قال) وقال بعضهم لا يكتب شيئًا اصلا (قال) ورأيت بعضهم كتب في هذا يحضر السائل لنخاطبه شفاها .

قال الخطيب : ينبغي له اذا لم يفهم الجواب ان يرشد المستفتي الى مفت آخر ان كان والا فليمسك حتى يعلم الجواب .

قال الصيمري : واذا كان في رقعة الاستفتاء مسائل فهم بعضها دون بعض او فهمها كلها ولم يرد الجواب في بعضها او احتاج في بعضها الى تأمل او مطالعة اجاب عما اراد وسكت عن الباقي

(السابع عشر)

ليس ينكر ان يذكر المفتي في فتواه الحجة اذا كانت نصاً واضحًا قال الصيمري : لا يذكر الحجة ان افتى عامياً ويذكرها ان افتى فقيهاً (قال) ولم تجر العادة ان يذكر

(١) ليتأمل اللبيب كلام الامام النووي هذا المأثور عن هؤلاء الاعلام وكيف لم يسوغوا لمن كان من اهل الفتوى ورجالها ان يتعرض لفتوى غيره واوجبوا ان يجيب بما عنده ولينظر من يتطفل عَلَى فتاوي الاعلام برد او تخطئة وبينه وبين مقامها بعد الثريا عن الثرى وليعتبر وليستعبر اه منه

في فتواه طريق الاجتهاد ووجه القياس والاستدلال [1] الا ان تتعلق الفتوى بقضاء قاض فيومي فيها الي طريق الاجتهاد ويلوح بالنكتة وكذا اذا افتى غيره فيها بغلط فيفعل ذلك او ينبه عَلَى ماذهب اليه

وقد يحتاج المفتي في بعض الوقائع الى ان يشدد ويبالغ فيقول : وهذا اجماع المسلمين او لا اعلم في هذا خلافا او فمن خالف هذا فقد خالف الواجب وعدل عن الصواب او فقد اثم وفسق او وعَلَى ولي الامر ان يأخذ بهذا ولا يهمل الامر وما اشبه هذه الالفاظ عَلَى حسب ماتقتضيه المصلحة ويوجبه الحال

(الثامن عشر)

قال الشيخ ابو عمرو : ليس له اذا استفتي في شيء من المسائل الكلامية ان يفتي بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك فان كانت المسألة مما يؤمن في تفصيل جوابها من ضرر الخوض [2] كان الجواب تفصيلا وعَلَى هذا ونحوه يحمل ما جاء عن بعض السلف من الفتوى في بعض المسائل الكلامية وذكر امام الحرمين في كتابه الغياثي ان الامام يحرص ما امكنه عَلَى جمع عامة الخلق علي سلوك سبيل السلف في ذلك [3] (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

---

(١) يعني الفتاوى الموجزة لعامي او من لا يرغب الا في الحكم وحده واما الفتاوى التي طلب فيها الاسهاب في ذلك فليس الكلام فيها كما بيناه قبل اه منه

(٢) كأن كانت لتحقيق حق او فصل خلاف او اراد المستفتي الوقوف عَلَى اطراف المسألة وماذهب اليها ارباب المقالات فلا مانع من التفصيل بل هو من اهم مايجب لتمحيص الحق كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاويه من بسطه المقال في ذلك وكذلك غيره ممن توسع في ذلك من ائمة الفتوى والاجتهاد اه منه

(٣) اسهب حجة الاسلام الغزالي في ايثار مذهب السلف والدعوة اليه في كتابه الجام العوام عن علم الكلام وكذا الامام الذهبي في كتابه العلو وقبله شيخه شمس الدين ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية عَلَى حرب المعطلة والجهمية وكلها مطبوعة متداولة بحمده تعالى اه منه

في ارض الجليل

تتمة ماورد في الجزء الاول

جبلان في هذا الصقع يقدسهما المسيحيون لما لهما من الشأن في تاريخ الدين وهما من اجمل الجبال يبعثان النفوس الى عبادة الخالق تعالى وتوحيده ونعني بهما جبل الطور وجبل الكرمل . فالاول عَلَى مقربة من الناصرة قائم في الجو وسط سهل يزرعيل يعلو عنه خمسمائة متر ويعلو عن سطح البحر ٦٠٢ مترين وهو جميل المنظر ومحله عجيب في ارباته ورواثه وتجد في منحدراته شجر السنديان والخروب والبطم والمصطكى وغيرذلك. وقد ذكر بعض سياح الافرنج الذين زاروا هذه الديار في القرن التاسع للميلاد انه كان يصعد الى قمة الجبل من سلم طوله ٤٣٤٠ درجة والطريق الى القمة يدل عَلَى ذلك ومسطح القمة ١٢٠٠ متر طولا و ٤٠٠ متر عرضاً وفي احد سفوح الجبل آثار مدينة عبرانية قديمة تسمى الدبورة او ابو عمود وكانت مطلة عَلَى الوادي الذي كان طريق الزوار والجيوش المصرية قديماً فموقعه من احسن المواقع الحربية وفي سفح جبل تابور وفي سنة ٥٣ م حدثت ملحمة كبرى بين اسكندر بن اريستوبول واوليسوس كابينوس احد قواد بومبينوس الامبراطور الروماني و بعد قرن عند ما انتقض اليهود عَلَى الرومانيين احدث يوسفوس قلعة على قمة الجبل وكذلك فعل المسلمون في القرن الثالث عشر للميلاد فاقاموا حصناً منيعاً تجد اليوم بعض آثاره وقد تقاسم الروم واللاتين لعهدنا سطح الجبل وجعلوه اديارا .

كان جبل الطور ذا شأن عظيم عَلَى عهد الصليبيين لاشرافه عَلَى بلاد الأُردن . قال ياقوت : والطور جبل بعينه مطل على طبرية الأُردن بينهما اربعة فراسخ عَلَى رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الارجاء يجتمع في كل عام بحضرتها سوق ثم بنى هنالك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قلعة حصينة وانفق عليها الاموال الجمة واحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ ه وخرج الافرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس امر بخرابها حتى تركها كأَمس الدابر .

و يقول مؤرخو الصليبيين ان الذين خرجوا من وراء البحر من الافرنج طالبين للقدس سنة ١٢١٧ م كانوا اندراوس الثاني صاحب المجر وليوبولد دوق النمسا وغليوم

كونت فلاندر ولويس البافاري ويوحنا دي بريان ملك القدس وهوج دي لوزنيان صاحب قبرص جاؤا في خمسة عشر الفاً من رجالهم وحاولوا مرتين فتح قلعة الطور فارتدوا عنها خائبين فرأى الملك العادل قطعاً لاطماعهم وحرصاً عَلَى السلام ان يدك ذاك الحصن بعد خمس سنين من بنائه وفي سنة ١٢٦٣ جاء الظاهر بيبرس البندقداري من مصر في جيش ضخم وعسكر في منحدر جبل الطور وخرب فيما قيل الاماكن الدينية التي كانت فيه وجعل عاليها سافلها وفي سنة ١٦٣١ نال قنصل دوقية طوسكانيا في صيدا من الامير فخر الدين المعني رخصة تجيز لرهبنة الاخوات القاصرين ان يقيموا في جبل الطور ومنذ ذاك العهد اصبح هذا الجبيل معاهد للعبادة والنسك

هذه لمعة من تاريخ الطور ويقال له جبل التجلي كما يقال له جبل تابور ٠ اما الكرمل فهو ايضاً من الحصون المهمة قال ياقوت: كِرْمل بالكسر ثم السكون وكسر الميم ولام هو حصن عَلَى الجبل المشرف عَلَى حيفا بسواحل بحر الشام وكان قديماً في الاسلام يعرف بمسجد سعد الدولة ٠ ولذا يغلط الناس اليوم في فتحهم كاف الكرمل والصحيح كسرها وهذا الجبل اطول من الطور يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي عَلَى طول ٣٤ كيلومتراً ويختلف عرضه من ٥ الى ٨ كيلومترات ولا يبلغ علوه في الشمال الغربي اكثر من ثلثمائة متر عَلَى حين يبلغ في الوسط ٥٤٠ متراً وهو مشرف عَلَى البحر من جهة وعَلَى سهل يزرعيل الفسيح من جهة أُخرى

ومعنى كرمل بالعبرانية الحديقة ورد ذكره في التوراة اشارة الى الجمال والخصب وهو من اشهر [1] جبال غربي الأُردن يبتدئ من رأس قرب حيفا وينتهي بوادي الملح مقابل يتنعام طوله نحو ١٢ ميلا واعلى رؤُوسه عند عسفيا نحو ١٧٢٩ ويعرف هذا الجبل بجبل النبي الياس لانه اقام فيه وكان الكرمل في كل عصر موطن التفكر والعزوف عن الدنيا وذلك في ايام الوثنية والنصرانية حتى ان الفيلسوف فيثاغورس اليوناني كثيراً ما كان يذهب للتدبر والتفكر في الكرمل المقدس وفي عهد دارا بن يستاسب ملك الفرس (٥٢١ — ٤٨٥ ق٠م) كان يعبد في الكرمل كوكب المشتري وقال بعض مؤَرخي الرومان ان الكرمل نفسه كان يعبد فلم يكن فيه معبد ولا هيكل بل ليس فيه الا مذبح وعباد يتعبدون وكان في النصرانية معبداً لرجالها حتى نشأت في القرون الوسطى فيه رهبنة الكرمليين المشهورة في المشرق والمغرب وهو اليوم مقسم بين

(1) جغرافية الكتاب

اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين اقاموا فيه الاديار وغرسوه بانواع الاشجار واستقلوا به حتى لا يطرقه طارق الا بجعل او اذن وهو مطل على حيفا وعكا ناظر الى بلاد الجليل ولاسيما سهل يزرعيل اومرج ابن عامر المعروف في التوراة ببقعة مجدو وبقعة مجدون ووادي يزرعيل وهو (١) مرج واسع واقع بين جبال الجليل وجبال السامرة طوله من الشرق الى الغرب ٢٤ ميلا وعرضه من ميلين الى ١٢ ميلا وهو مثلث الشكل وقاعدة هذا المثلث ضلعه الشرقي وهو خط يمتد من جبل جلبوع والدحي وتابور الى جبال الجليل او الناصرة ومن هذه القاعدة يتفرع ثلاثة فروع نحو الشرق فرع بين جلبوع والدحي وفرع بين الدحي وتابور وهوالاخصب والاشهر وفرع بين تابور وجبال الناصرة وعند هذه القاعدة ترتفع الارض فيتحول مجرى الماء الى الشرق والغرب و يشق هذا السهل من الشرق الى الغرب نهر قيشون المسمى الآن المقطع ومع كل ماهو عليه من الاهمال الآن لايزال هذا السهل في غاية الخصب وكان اعظم ساحة حرب في هذه البلاد ٠

نعم ان العناية بهذا السهل قليلة لان اصحابه اغنياء كانوا ابتاعوه فيما بلغنا بحيلة ورشوة وذلك ان قراه كانت لاناس من الفلاحين ضعاف ارادت الحكومة منذ نحو اربعين سنة ان تسجل قراهم لتتقاضى منها ضرائب وكان الفلاح يرتعش من سماع الضرائب ويخاف ان يعرف بانه مالك ارض فابوا ان يسجلوها باسمائهم تفاديًا من الظلم الذي كان ينال الفلاح يومئذ فازمع والي سورية اذ ذاك ان يبيع تلك القرى او سهل يزرعيل برمته باعتباره من الاراضي الاميرية المحلولة فما كان من اولئك الاغنياء الا ان احتالوا لتباع كلها صفقة واحدة وهي ثماني عشرة قرية لا يقطعها الفارس في اقل من ثماني ساعات طولاً وذلك حتى لا يتيسر لاحد الاهالي ان يشتريها فرشوا الوالي فيما قيل بثلاثة آلاف ليرة وابتاعوها باقل من خمسة عشر الف ليرة وجلسوا يلعبون بالميسر مع الوالي في دارهم ولم يمض الهزيعان الاولان من الليل الا وقد خرج الوالي كما دخل صفر اليدين من المال الذي ناله من طريق الرشوة فاضر بالامة والدولة معًا لان اولئك الاغنياء خسروه في القمار ليلا ما كان ناله منهم رشوة في النهار ٠ وهكذا حرم اصحاب هذه القرى الحقيقيون منها بجهلهم وسوء ادارة الحكومة اذ ذاك وتشتتوا في البلاد وبعضهم استخدموا اجراء في قرى الاغنياء وكانوا من قبل في نعمة ولكن من يأخذ البلاد

(١) جغرافية الكتاب

بغير حرب يهون عليه تسليمها فان اولئك المالكين زهدوا فيما ملكوا لانهم بعيدون عنها والارض لمن يقوم عَلَى تعهدها فهو هو مالكها الحقيقي لامن يكتفي من ربعها بماحصل . فاباع بعض اولاد اولئك الاغنياء ما ورثوه من آبائهم واكثرها انتقلت الى ايدي الجمعية الصهيونية و يوشك ان يباع مابقي ولكن بمئات الالوف من الليرات لارتقاء الاسعار ولان الصهيونيين آلوا عَلَى انفسهم ان يملكوا فلسطين وارض الميعاد . و يبذلوا فيها مهما كلفتهم

ولابأس هنا من الاشارة الى الجمعيات الاسرائيلية وماترمي اليه من المقاصد فهي عدة جمعيات منها جمعية احياء فلسطين وهي منتشرة في عامة الاطراف ومنها تتفرع جمعية معاونة فلاحي اليهود وصناعهم في فلسطين وسورية وهذه الجمعية روسية ولهاتين الجمعيتين فروع كثيرة في القدس ويافا واعمالها وحيفا واعمالها وصفد و بلاد بشارة وحوران وعبر الأُردن و يقدر الخبيرون عدد افرادها بمئة وخمسين الف نسمة يزيد عددهم كثيراً بما ينضم اليهم كل شهر من اخوانهم الاوربيين الذين يرحلون بدينهم من اوربا الى الارض المقدسة . وعدا هاتين الجمعيتين فان للاسرائيليين اناساً من مشهوري اغنيائهم مثل روتشيلد و بركم وفليرو وفتيفيوري وغيرهم ممن ابتاعوا الاراضي لابناء نحلتهم وامدوهم بالمال ليتوفروا على استثمارها عَلَى نحو ماتشاهد في زمارين مما يدل بلسان حاله ان الصهيونيين سيعيدون مجد آبائهم في فلسطين و يستولون عليها وهاك مايقوله العارفون بهذه المسألة التي يهتم لها كل من يعرف تاريخ السياسة و يغار عَلَى مصلحة البلاد فقد قال احدهم [1] ان آمال اليهود في استرداد فلسطين بلاد آبائهم واجدادهم واعادة مجدهم وملكهم اليها قديم يعود الى عهد الرومان وتؤيده حروبهم العديدة مع المملكة الرومانية وفي كل واقعة منها في حروب اليهود ليوسيفوس آيات بينات على ذلك ولكن هذه الآمال غاضت بعد ان شتتهم في الارض ادريانوس في القرن الثاني بعد المسيح وفرق جامعتهم وابعدهم عن صهيون او اورشليم او القدس عاصمة مملكتهم القديمة ومدينة هيكلهم العظيم ولكنها مالبثت ان ظهرت في صورة التمني في عهد قسطنطين الذي اذن لهم بالدنو مرة في السنة من اسوار بيت المقدس ليندبوا مجدهم الزائل ومازالوا الى يومنا هذا يدنون من حائط الحرم الشريف الخارجي المسمى بالبراق و يتذكرون مجد ملوكهم وعظمة هيكلهم ومدينتهم ويطلبون من الله ان يعيد ماخسروه

(١) نجيب افندي نصار

ولكن رجال النهضة منهم لم يقفوا عند حد التمني فألف الدكتور هارتسل الجمعية الصهيونية التي جعلت همها الوحيد جمع المال وتوحيد كلمة اليهود على اختلاف لغاتهم وبلدانهم وجمعهم في بلد واحد امين يحصنونه اعظم تحصين بحيث لا يستطيع احد مهاجمتهم وفاوض الدكتور المذكور حكومة عبد الحميد في ذلك ولم ينجح فعهدت الجمعية الصهيونية الى الايكا بالاستعمار التدريجي كما عهد الى جمعية الاتحاد الاسرائيلي (اليانس اسرائيليت) بالتهذيب والتعليم وبقيت تعمل على جمع المال وتوحيد كلمة اليهود واقناع رجال الحكومة الدستورية بحسن مقاصدها

نعم ان الجمعية [1] الصهيونية اليهودية ورفيقاتها جمعيات ايكا وفاعوليم واليانس وغيرها ساعيات في استرجاع فلسطين التي وعدهم بها ربهم في الاصحاح الثاني والثلاثين من ارميا من الكتاب المقدس الباحث عن اسر بابل لليهود والذاكر وعد الرب برجوعهم الى فلسطين بقوله في آخره :

« يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهوداً في ارض بنيامين وحوالى اورشليم وفي مدن يهودا ومدن الجبل ومدن السهل مدن الجنوب لاني ارد سبيهم يقول الرب اهـ » وذلك بعد ماسبتهم حكومة الكلدان على انهم لم يستطيعوا البقاء من بعد ذلك لانهم اصبحوا محل التنازع بين حكومة الرومان في مصر وحكومة الرومان في انطاكية ثم انقرضوا ولم يبق لهم ملك ولا دولة والآن عملاً بهذه الآية يشترون الاراضي في فلسطين على حساب الفضة ويشرطون البيع على ان يكون الثمن فضة ويكتبون الصكوك ويشهدون وهكذا تراهم لا يفترون طرفة عين وهم يتجسسون الاخبار عن الذين تأخرت حالتهم المالية من اهل هذه البلاد وهي عبارة عن لواء عكاء باجمعه ولواء القدس ولواء نابلس وقسم من لواء الكرك وبعض من قضاء عجلون ويطمعون البائع بالثمن الفاحش ويكتبون الصكوك ويشهدون عليها ويسجلونها عند محرر المقاولات وعند بعض القنصليات وكانت الحكومة قبلاً منعت استعمارهم ولكن بما بذلوه من الدنانير التي تسحر الباب الخائنين من الحكام والمستخدمين استطاعوا ان يستولوا على ثلاثة ارباع قضاء طبرية ونصف قضاء صفد واكثر من نصف قضاء يافا والقدس والقسم المهم من نفس حيفا وبعض قراها واليوم يسعون للدخول الى قضاء الناصرة ليستولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة والمعروف

(١) شكري افندي العسلي

اليوم بمرج بني عامر الذي يشقه الخط الحجازي من الغرب الى الشرق وكل ذلك باسماء العثمانيين وبدلالة سماسرتهم الخائنين الذين يعدون انفسهم من سراة القوم وامجاد البلاد وهكذا اشتروا الكثير من القرى واستولوا عليها وهم لايخالطون العثمانيين ولا يشترون منهم شيئاً ولهم بنك انكلو فلسطين يقرضهم بفائدة لاتتجاوز الواحد في المائة في السنة وقد جعلوا كل قرية ادارة فيها مدرسة وكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام ولهم راية لونها ازرق وفي وسطها خاتم سليمان وتحته كلمة عبرانية معناها «صهيون» لانه جاء في التوراة ان اورشليم ابنة صهيون ويرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في اعيادهم واجتماعاتهم ويترنمون بالنشيد الصهيوني وقد احتالوا على الحكومة فقيدوا انفسهم عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً وهم لايزالون حاملين الجوازات الاجنبية التي تحميهم وعندما يصيرون الى الحاكم العثمانية يظهرون جوازاتهم ويدعون الحماية الاجنبية ويحلون دعاويهم واختلافاتهم فيما بينهم بمعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة ويعلمون ابناءهم الرياضة البدنية واستعمال السلاح وترى بيوتهم طافحة بالاسلحة وفيها كثير من المارتين ولهم بريد خاص وطوابع خاصة وغير ذلك مما يبرهن على انهم بدأُوا بتأسيس مقاصدهم السياسية وتأليف حكومتهم الخيالية فاذا لم تضع الحكومة حداً لهذا السيل الجارف لايمضي على فلسطين زمن الا وتراها اصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفيقاتها او شعبها المذكورة

اليك بعض مايقال في الاستعمار الصهيوني وعواقبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهو مضر باتفاق العقلاء المجردة نفوسهم عن الاغراض وهناك استعمار آخر في فلسطين والجليل وهو اقل منه خطراً ونعني به قدوم الجالية من الاوربيين ليتخذوا هذه البلاد موطناً لهم عَلَى ان لاينسوا مساقط رؤُوسهم ويظلوا من تبعة دولهم كالالمان في يافا وحيفا مثلاً

فقد اتت عشرات من الأُسرات الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونزلت في ذينك البلدين فارة بدينها من المانيا الى هذه الارض المقدسة وهي من طائفة حرة اسمها شيعة الهيكليين او احباب اورشليم أُنشئت سنة ١٨٦٢ في امارة ورتمبرغ في المانيا عقيب الحركة الدينية التي احدثها هوفمان الذي ذهب الى ان الرأي الحالي في دين النصرانية لايكون سبيلا الى ان يحيا المتدينون بها حياة مسيحية حقيقية فاخذ اشياعه على انفسهم ان يقيموا ملكوت الله في الارض بان يبدؤُوا الذهاب من ارض

الموعد ومنها ينبثون في اوربا ليجددوا حياة الكنيسة والمجتمع وهم يفسرون نبوات العهد القديم تفسيراً حسناً فشرعوا سنة ١٨٦٨ بانشاء مستعمرة في حيفا وفي الوقت نفسه انشأُوا مستعمرة لهم في يافا ولهذه الطائفة الآن اربع مستعمرات يناهز سكانها ١٣٠٠ وقد ساعدت عَلَى استعمار البلاد وفتحت للالمان باب التدخل في شؤُوننا احياناً ·

ولو عقل من يساكنون هؤُلاء الالمان من اهل حيفا ويافا لقلدوهم في نشاطهم وتنظيم بيوتهم وحدائقهم · زرْ حيَّ الالمان او مستعمرتهم في الشمال الغربي من حيفا وألقِ عليها نظر المتدبر تجدهم لايزيدون عن سبعمائة نسمة ولهم مدرستان ومعبدان · مرح رائد الطرف في تلك الطرق المعبدة المنسقة والبيوت القائمة على نظام واحد تحيط بها الحدائق الصغرى الغاصة بكل غض ويانع المستوفية شروط المرافق والمنافع وتعال معي بعدها ننظر الى مافي جوارها من بيوت الوطنيين واحيائهم فماذا تجد ؟ تجدها بؤْرة الاوساخ ومثال الخلل ونموذج الاتكال ورموز الجمود والخمود · طف واعتبر ببناتهم العاملات وبناتنا الخاملات ثم انصفنا وانصفهم منا · هل ترى رجالنا في اقتدارهم عَلَى مستوى بناتهم في تربيتهن ونشاطهن · اما التنظير بين رجالنا ورجالهم فهذا لايقول به حتى اضيق الناس عقلاً

شرذمة من المطرودين من بلادهم نزلوا بلادنا فقراء معدمين لايملكون غير مضائهم وبعض حرف يحسنونها فساعدهم بعض موسريهم عَلَى ابتياع عشرات من الافدنة من ارض بلادنا فعمروها كما ترى عَلَى النسق الالماني ولم تمض بضع سنين حتى وفوا بنشاطهم ديونهم واثروا ولا اثراء ابن البلاد الذي ورث مئات الافدنة واصبحوا يغبطون حتى من كبار اغنيائنا ونحن من امرهم حائرون باهتون لانعمل ولا نتحرك كأَن الفتور قد كتب علينا والغرور مسجل في صحائف حياتنا وكأَنهم خلقوا من طينة غير طينتنا وعقل يستحيل علينا ان نلحق شأوه ·

وما ننس لاننس تلك الحديقة التي زرناها في المستعمرة الالمانية في حيفا وقد تجلى لنا فيها المضاء الغربي في اجلى مظاهره حتى لظنناها في حديقة من حدائق فرنسا او المانيا · حديقة لاتبلغ مساحتها فداناً دمشقياً (١) وفيها معظم مايجود في الارض الحارة من صنوف البقول والاشجار جعلت مساكب وقسمت طرقاً وقد قيل لنا ان دخل صاحبها منها لايقل عن خمسين الف قرش في السنة فلم يسعنا الا ان نقول سبحان الله السر في

(١) الفدان الدمشقي ٢٤٠ قصبة مربعة والقصبة سبعة اذرع في مثلها

السكان لا في المكان · نعم السر في السكان ولا عجب اذا رأينا الالمان في مقدمة دول الارض بعلومهم وصناعتهم واختصائهم في الفنون وعندهم مثل هذا الشعب النشيط الذي يعلم بعمله اهل النشاط من الامم دروساً سامية فما بالك به مع الخاملين ·

وعلى ذكر حيفا لا بأس بايراد نبذة موجزة من تاريخها لنسلسله الى حالتها اليوم فنقول :

كانت حيفا قديماً تسمى قلمون وليس لها ذكر في التوراة وتاريخها القديم غامض لا شأن له · ولقد كان الساحل من نصيب قبيلة عازر ولما وصل الاسرائيليون الى هذه البلاد لم يستطيعوا ان يستولوا على مدينة من المدن الساحلية ومن جملة الملوك الذين غلبهم جوزوي في شمالي فلسطين كان الملك جوشانان ملك الكرمل والكرمل كانت كما يقول المؤرخ بلين على الجبل المسمى باسمها وكان اسمها قديماً اكباتان وكان في جوار حيفا او قلمون مدينة اسمها سيكامينوس اي مدينة الصبار لكثرة هذا الشجر في ارضها فكانت قلمون وسيكامينوس مدينتين متنافستين تعمر الاولى وتخرب الثانية وهكذا كانت المنافسة بينهما سجالاً الى القرون الوسطى وقد زالت سيكامينوس من لوح الوجود ابد الدهر · فتاريخ المدينتين كما قال برنابه ميسترمان ممزوج بعضه في الآخر · ولقد روى التاريخ ان بطليموس لاتيرحاكم جزيرة قبرص بعد ان طردته امه كليوبطرا من مصر جاء سنة ١٠٤ ق·م لنجدة عكا وكان يحاصرها اذ ذاك اسكندر جانى ملك يهودا فانزل جنده وكان ثلاثين الفاً في مدينة سيكامينوس وفي اوائل التاريخ المسيحي لم تكن سيكامينوس ذات شأن هي وسائر المدن المجاورة لها وكانت مدينة عكا على رأي سترابون ارقى تلك البلاد وتجيء بعدها قيسارية *Césarée*

وكثيراً ما يذكر اسم الكرمل وبعض المدن مثل سيكامينو بوليس وبوكولو بوليس وكروكوديبو بوليس وغيرها وذكر المؤرخ بلين اموراً كهذه · وقد ازهرت مدينة سيكامينوس ومدينة قلمون في القرن السادس للميلاد ·

ومعنى حيفا بالعبرانية الرأس او الارض الداخلة في البحر لانها أنشئت في جوار الكرمل وهو لها معتصم وملجأ وحيفا القديمة كانت في مكان لا يبعد كثيراً عن حيفا الجديدة عرفت آثاره كما ان مدينة سيكامينوس تبين انها على اربعة كيلو مترات من حيفا القديمة وقد اكتشفت بعض آثارها وعادياتها وهي رومانية يونانية

موازية لجزيرة قبرص ولم تزل (١) في ايدي المسلمين الى ان تغلب عليها كوفرى الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤ وبقيت في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٣ (١١٨٧) وكانت حيفا من نصيب الملك تنكرد الذي اصبح اميراً عَلَى بلاد الجليل من طبرية الى حيفا ولما سقطت عكا في ايدي الافرنج سنة ١١٩١ خرب صلاح الدين حيفا نكاية بالصليبيين حتى لا ينالهم منها الا الخراب . ولكن هؤلاء جددوا بنيانها ولما غادروا سورية سنة ١٢٩٢ ظلت حيفا خاملة الذكر الى ان كان القرن الثامن فاستولى عليها الشيخ ظاهر العمر كما استولى عَلَى ارض الجليل ودكها فجعل عاليها سافلها ثم اعاد بناءها وبنى عليها سوراً وانشأ له قصراً من جنوبها يطل عليها .

والظاهر عمر هذا كان من أسرة بدوية اسمها بني الزيادنة ورث من ابيه الحكم على مدينة صفد واستولى عَلَى طبرية سنة ١٧٣٨ م وعَلَى عكا سنة ١٧٤٩ فاصبح شيخاً على اعمال الجليل كلها وكان يميل الى العمران بحيث يشبه باعماله الامير فخر الدين المعني امير الدروز في القرن الحادي عشر للهجرة وقد تقاتل الشيخ ظاهر العمر مع ابنائه انفسهم ثم غدر به احد رجاله احمد باشا الجزار واستولى عَلَى الحكومة دونه . واستولى بونابرت عَلَى حيفا سنة ١٧٩٩ وبعد بضعة ايام ضربه الاسطول الانكليزي ضربة قاضية وفي سنة ١٨٣٧ احتلت عساكر ابراهيم باشا المصري مدينة حيفا وفي سنة ١٨٤٠ أُصيبت حيفا ولا سيما حصنها باضرار جسيمة من قذائف الاساطيل الانكليزية والنمساوية والعثمانية ومنذ غادرها الجيش المصري ظلت بلا حامية الى المدة الاخيرة وقد جعلت قضاء واخذت بعض السفن التجارية ترسو فيها قليلا فتنقل اليها البريد والبضائع وتحمل منها حبوب حوران وحاصلات الجليل وقد زادت مكانة بجعلها سنة ١٣٢٠ مبدأً للسكة الحديدية الحجازية فانشئت في ضاحيتها محطة مهمة ومعامل وانابير فاخذت المدينة تعمر بذلك حتى كادت بما بلغته تنسي ذكر المواني المجاورة لها .

و يقدر سكانها الآن بنحو عشرين الف نسمة نحو نصفهم اسرائيليون مهاجرون لم يقيدوا في دفاتر الحكومة سوى ستمائة منهم والباقون مسلمون ومسيحيون ويقف عليها مدى السنة زهاء ٣٠٠ باخرة و٧٠٠ مركب ويحمل منها زهاء عشرين الف طن من الحبوب والذرة والسمسم والزيت ويصدر اليها ما تبلغ حمولته عشرة آلاف طن من البضائع

وماء البلد من آبار فيه بعض الملوحة وقد كان يمكنها الاستقاء من ينابيع بقربها

(١) ياقوت في المعجم

ولاسيما من نهر المقطع اوقاديشا الفاصل بين ارض الجليل وفينيقية او بين ارضها وارض عكا لو صحت العزية عَلَى ذلك . وهواؤها جيد ومناظرها الطبيعية رائقة ويكثر فيها النخيل .

اما عكا وهي الآن مركز اللواء وقضاء طبرية وقضاء صفد وقضاء الناصرة من اعمالها وبعبارة ثانية هي قاعدة بلاد الجليل عَلَى ما اصابها من الانحطاط الشديد . ويؤخذ مما ورد في سفر القضاة ان عكو (١) اي عكا لم تكن مدينة اسرائيلية ولم تصبح مستعمرة يهودية الا بعد ازمان طويلة . وكان اليونان يربطون عكا بفلسطين ثم دعيت بعد باسم بطولمايس نسبة الى احد بطالسة مصر وربما كان بطليموس ابن لاغوس وذكر مؤلفو الرومان والنقود التي عثر عليها من عهدهم ان عكا كانت مستعمرة للامبراطور كلوديوس وكانت ذات منعة من حيث هي مدينة بحرية واستولى عليها العرب سنة ٦٣٨ ففقدت اذ ذاك اسمها اليوناني

قال ياقوت العكة الرملة حميت عليها الشمس وعكة اسم بلد عَلَى ساحل بحر الشام من عمل الأردن وهي من احسن بلاد الساحل في ايامنا هذه واعمرها قال ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البشاري : عكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزيادة ولم تكن عَلَى هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون وكان قد رأى صور واستدارة الحائط عَلَى ميناها فاحب ان يتخذ لعكة مثل تلك الميناء فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك فقيل له لا يهتدي احد الى البناء في الماء في هذا الزمان ثم ذكر له جدنا ابو بكر البناء وقيل له ان كان عند احد فيه علم فهو عنده فكتب اليه وأُتي به من القدس وعرض عليه ذلك فاستهان به والتمس منهم احضار فلق من خشب الجميز غليظة فلما حضرت عمد يصفها عَلَى وجه الماء بقدر الحصن البري وضم بعضها الى بعض وجعل لها باباً عظيماً من ناحية الغرب ثم بنى عليها الحجارة والشيد وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاظ ليشتد البناء وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى اذا علم انها قد استقرت على الرمل تركها حولا كاملا حتى اخذت قرارها ثم عاد فبني من حيث ترك وكلما بلغ البناء الى الحائط الذي قبله ادخله فيه وخيطه به ثم جعل عَلَى الباب قنطرة والمراكب كل ليلة تدخل الميناء وتجر سلسلة بينها وبين البحر الاعظم مثل صور قال فدفع اليه الف دينار سوى الخلع والمركوب واسمه عليه مكتوب الى اليوم قال وكان العدو قبل ذلك يغير عَلَى المراكب

(١) ذكرها بلدكر لسورية وفلسطين

وفتحت عكا في حدود سنة ١٥ عَلَى يد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان وكان لمعاوية في فتحها وفتح السواحل اثر جميل ولما ركب منها الى غزوة قبرص رمها واعاد ما تشعث منها وكذلك فعل بصور ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك وكانت فيها صناعة بلاد الأُردن وهي محسوبة من حدود الأُردن ثم نقل هشام الصناعة منها الى صور فبقيت عَلَى ذلك الى قرابة ايام الامام المقتدر ثم اختلفت ايدي المتغلبين عليها وعمرت عكة احسن عمارة وصارت بها الصناعة الى يومنا ذا وهي للافرنج قال ياقوت : وكانت قديماً بيد المسلمين حتى اخذها الافرنج ومقدمهم بغدوين صاحب بيت المقدس من زهر الدولة بن امير الجيوش منسوب الى امير الجيوش بدر الجمالي او ابنه وكان فيها من قبل المصريين فقصدها الافرنج براً وبحراً في سنة ٤٩٧ فقاتلهم اهل عكة حتى عجزوا عنهم لقصور المادة بهم وكان اهل مصر لا يمدونهم بشيء فسلموها اليهم وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا جماعة أُخرى حملوهم الى خلف البحر وخرج زهر الدولة حتى وصل الى دمشق ثم عاد الى مصر ولم تزل في ايديهم حتى افتتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في جمادى الاول سنة ٥٨٣ وشحنها بالرجال والعدد والميرة فعاد الافرنج ونزلوا عليها وخندقوا دونهم خندقاً وجاءهم صلاح الدين ونزل دونهم واقام حولهم ثلاث سنين حتى استعادها الافرنج من المسلمين عنوة في سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ واحضروا اسارى المسلمين وكانوا نحو ثلاثة آلاف وحملوا عليهم حملة واحدة فقتلوهم عن آخرهم . والنسبة اليها عكي وقد نسب اليها قوم وقد رسمها عماد الدين الاصفهاني في الفتح القسي بالالف المقصورة تارة «عكا» وبالالف الممدودة أُخرى

وقد استولى بودوين الاول عَلَى عكا سنة ١١٠٤ م بمعونة اسطول جنوي له وجعلها الصليبيون ميناء مهمة لا لانزال جيوشهم بل ميناء تجارية فكانت ترسو فيها سفن الجنويين والبنادقة والبيزانيين وبعد وقعة حطين سقطت عكا بيد صلاح الدين وفي سنة ١١٨٩ حاصرها من البر الملك كي دي لوزنيان ومن البحر اسطول بيزاني واستولى عليها ريشاردس قلب الاسد ملك الانكليز سنة ١١٩١ م فاصبحت منذ ذاك الحين الجادة العظمى للنصرانية في فلسطين وكانت معسكر الفرسان ودعوها باسم احدى فرقهم وكانت تدعى القديس يوحنا فقالوا عنها St-Gean d'Acre وفي سنة ١٢٩١ استولى عليها الملك الاشرف بعد مقاومة شديدة فقضى بالاستيلاء عليها عَلَى سلطة الافرنج من هذه البلاد . فبقيت عكا اهم ميناء ينزل فيه حجاج الغربيين الى الارض

المقدسة وفي حوالى منتصف القرن الثامن عشر استولى الشيخ ظاهر العمر عَلَى الجليل الاسفل وعَلَى جزء عظيم من الجليل الاعلى واتخذ عكا مقر امارته فعادت اليها نضرتها وخلفه في الامارة احمد باشا الجزار الذي وسع حدود امارته فامتدت شمالاً الى نهر الكلب وبعلبك وجنوباً الى قيسارية واشتهر بمبانيه التي جلب لها المواد من عسقلان وقيسارية وغيرهما . وبدأ الفرنسيس سنة ١٧٩٩ يحاصرون عكا وبعد ثماني وقائع سالت فيها الدماء الى الاباطح اضطر نابوليون ان يرجع عنها واستولى ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ علي المدينة فنهبت وخربت ولكنها عادت فنهضت من كبوتها وفي سنة ١٨٤٠ خربت الاساطيل الانكليزية والنمساوية ثغر عكا فخرب بذلك كل اثر من آثارها القديمة ثم تعاقب الخراب الاقتصادي عليها فكانت تجارتها رائجة لانها كانت سوق الحبوب التي ترد اليها من الداخلية ولا سيما من حوران فسقطت من هذه الوجهة خصوصاً لما قامت بعض موانئ سورية مثل بيروت وطرابلس وحيفا ويافا تنازعها في مكانتها وأُنشئت سكك حديدية ربطت معظم هذه الموانئ بالمدن الداخلية وبقيت عكا في نجوة من الارض ضعيفة في تجارتها وهاجرها كثير من اهلها ومنهم اناس من كبار تجارها وارباب الاملاك بها .

وقفنا عَلَى سورها نطل عَلَى ثغر عكا الذي اهرقت في سبيل الاستيلاء عليه دماء غزيرة ذاك السور الذي اعجز بمناعته صلاح الدين وجيوشه وتدبيره فارتد عنها غير ما مرة واهرق الصليبيون دماءهم في بسط ايديهم عليها ثم زحزحوا عنها بعد وقائع تشيب لهولها الرؤوس وهكذا طمح فيها الفاتحون لانهم كانوا يعتبرونها مفتاح سورية . ولطالما كانت عكا ترمي من برها وبحرها بالقذائف والنيران وكانت مجزرة يهلك فيها الانسان الانسان .

وقفنا على اسوارها ننظر الى المدينة التي اعجزت الملك الناصر والملك الظاهر بونابرت ونتأمل في ارباضها القاحلة اليوم وكم جثة دفنت فيها وفي بحرها وهو يحدجها بعينه الزرقاء كم ابتلع من اسطول بما فيه . وقفنا وفكرنا ملياً في حال البشر يقتتلون على بسط سلطانهم وتكبير رقعة بلدانهم ويرتكبون كل منكر في سبيل المجد والفخار رأيناهم في القديم يقتتلون بحجة دينية واليوم هم كذلك ولكن حجتهم مدنية وانسانية وما المقصود في الواقع ونفس الامر الا الاستيلاء والتغلب وتوسيع نطاق الحكم والسلطان

وقفنا عَلَى اسوار عكا نندب في نفسنا الضعف البشري وقد تمثلت لنا على النفس جلال

ذلك البلد وذكرنا ارواح الخلق تباع في كل عصر بيع السماح ولو اردنا ان نأتي هنا عَلَى لمعة من تاريخه لاقتضى له مجلد برأسه · وهاك الآن نموذجاً واحداً مما جرى لاجلها في القرون الوسطى قاله ابو الفدا حاضرها بنفسه : ان السلطان الملك الاشرف سار بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى العساكر الشامية وامرهم بالحضور وان يحضروا صحبتهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وسائر عسكر حماة صحبته الى حصن الاكراد وتسلمنا منه منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري حمل مائة عجلة ففرقت في العسكر الحموي وكان المسلم اليَّ منه عجلة واحدة لاني كنت اذ ذاك امير عشرة وكان مسيرنا بالعجل في اواخر فصل الشتاء فاتفق وقوع الامطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد ودمشق فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة ومرنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شهراً وذلك مسير نحو ثمانية ايام للخيل عَلَى العادة وكذلك امر السلطان الملك الاشرف بجر المجانيق الكبار والصغار مالم يجتمع عَلَى غيرها واشتد عليها القتال ولم يغلق الافرنج غالب ابوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها وكان يحضر الينا مراكب مقببة بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ ومازالوا بها حتى فتحت وكان في داخل البلد عدة ابرجة عاصية بمنزلة قلاع دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيئاً يفوق الحصر من كثرته ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالابرجة ولم يتأخر منهم احد فامر بهم فضربت اعناقهم عن آخرهم حول عكا ثم امر بمدينة عكا فهدمت الى الارض ودكت دكا ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا عَلَى عكا واخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا عَلَى من بها من المسلمين ثم قتلوهم فقدر الله عز وجل في سابق علمه انها تفتح في هذه السنة (٦٩٠) في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة علي يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين

وهذا القول ينبئك بمكانة عكا واغتباط المؤرخ باستخلاصها من الاعداء ·

ومن مدن الجليل صفد ولم يتيسر لنا زيارتها للامطار المتهاطلة ولموقعها في قمة جبل وهي ترى من طبرية وعَلَى بضع ساعات منها ومعظم سكانها يهود وبعض المسلمين من مهاجرة الجزائر وليس في اهلها العريق فيها للسبب الذي اورده ابو الفدا في حوادث

سنة ٦٦٤ قال وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر بعساكره المتوافرة من الديار المصرية وسار الى الشام وجهز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا ونزل الملك الظاهر عَلَى صفد ثامن شعبان وضايقها بالزحف وآلات الحصار وقدم اليه وهو عَلَى صفد الملك المنصور صاحب حماة ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين وفتحها في تاسع عشر شعبان المذكور بالامان ثم قتل اهلها عن آخرهم ·

ولقد كانت صفد في القرن السابع مملكة يقال لها مملكة صفد ومضافاتها (١) وصفد حصن بقبة جبل كنعان في ارض الجرمق كانت قرية فبني مكانها حصن سميت صفت ثم قيل صفد وهو حصن منيع وكان بها طائفة من الفرنج يقال لهم الداوية فحصرهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وفتحها وقتل كل من فيها على رأس تل بالقرب منها ثم رممها وبنى في وسطها برجاً مدوراً سماه قلة ارتفاعه في السماء مائة وعشرون ذراعاً وقطره سبعون ذراعاً والى سطحه طريقان يصعد في الطريق الى اعلاه خمسة افراس صفا بلا درج في ممشى حلزوني وهو ثلاث طبقات ابنية ومنافع وقاعات ومخازن وتحته كله بئر للماء من الشتاء يكفي لاهل الحصن من الحول الى الحول اشبه بمنارة اسكندرية وبهذا الحصن بئر تسمى الساقورة وعمقها مائة وعشرة اذرع في ستة اذرع بذراع النجار والدلاء التي لها بتاتي من الخشب تسع البتية نحو قلة من الماء وهما بتيتان في حبل واحد يسمى سرباق كغلظ زند الانسان وكلما وصلت بتية الى الماء وصلت الأُخرى الى رأس البئر وكلما وصلت واحدة الى رأس البئر وصلت الاخرى الى الماء وعلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين واصابع تتعلق الاصابع في حافة البتية الملآنة وتجذبها الكفان فينصب الماء في حوض يجري فيه الى مقره فاذا انصب الماء من البتية حصل القصد والجاذب لهاتين البتيتين مرمة هندسية بقسي ودوائر وحركات ولا يزال ذلك السرباق راكباً على بكرته طرداً وعكساً يمنة ويسرة وحول المرمة بغال معلمات تدور بذلك فاذا سمع البغل الدائر خرير الماء وجر السلسلة انقلب راجعاً عَلَى عقبه ودار يمشي في مرتبته بخلاف ما كان يمشي الى ان يسمع خرير الماء وجر السلسلة فينقلب دائراً على خلاف دورته كذلك وهي من اعاجيب الدنيا فاذا وقف واقف وتكلم كلمة واحدة في رأس البئر سمع رجع صوته بتلك الكلمة نازلا نحو لحظة جيدة حتى يبلغ الماء ثم يعود اليه فيسمعه كما قالها فان صاح وغلب سمع دوياً واضطراباً بذلك الصياح كالرعود لبعد الماء وعمقه · ومن اعمال صفد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الانصاري المعروف بشيخ الربوة

مرج عيون وارض الجرمق وهي مدينة قديمة عادية كانت بها طائفة من العبرانية ينسبون اليها يقال لهم الجرامقة والكنعانيون بوادي كنعان ابن نوح ومن عملها جبل بقيعة وبه قرية يقال لها البقيعة لها امواه جارية ولها سفرجل مليح وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم وجبل الزابود مشرف عَلَى صفد والزابود قرية وبها ايضاً قرى كثيرة

وفي بلاد الجليل او عمل الأُردن قرى داثرة ذكر بعضها ياقوت في معجمه مثل (كفر صبت) وهي قرية عند عقبة طبرية و (كفر عاقب) وهي قرية عَلَى بحيرة طبرية من اعمال الأُردن ذكرها المتنبي فقال :

اتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذب

ومثل (كفرمندة) قرية بين عكا وطبرية بالأُردن يقال لها مدين المذكورة في القرآن والمشهور ان مدين في شرقي الطور وفي كفرمندة قبر صفوراء زوجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها والصخرة باقية هناك الى الآن (عصر ياقوت) وفيه ولدان ليعقوب يقال لهما اشير ونفتالي

و (دبورية) بليد قرب طبرية من اعمال الأُردن قال احمد بن منير

لئن كنت في حلب ثاوياً فنجني الغبير بدبورية

و (دير التجلي) على الطور زعموا ان عيسى عليه السلام علا عليهم فيه و (خيارة) قرية قرب طبرية من جهة عكا قرب حطين بها قبر شعيب النبي عليه السلام عن الكمال بن العجمي و (عفربلا) بلد بغور الأُردن قرب بيسان وطبرية و (الصنبرة) موضع بالأُردن مقابل لعقبة افيق بينه وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشتو بها و (أَربد) بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأُردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب عليه السلام وهم وان وايساجار وزبولون وكاد فيما زعموا و (اسكندرونة) قال ياقوت وجدت في بعض تواريخ الشام ان اسكندرونة بين عكا وصور و (اكسال) قرية من قرى الأُردن بينها وبين طبرية خمسة فراسخ من جهة الرملة ونهر ابي خطرس لها ذكر في بعض الاخبار كانت بها وقعة مشهورة بين اصحاب سيف الدولة بن حمدان وكافور الاخشيدي فقتل اصحاب سيف الدولة كل مقتلة .

عكا و (صفورية) كورة و بلدة من نواحي الأُردن بالشام وهي قرب طبرية و (الاقحوانة) موضع بالأُردن من ارض دمشق عَلَى شاطيء بحيرة طبرية حدث هشام بن الوليد عن ابيه قال خرج قوم من مكة نحو الشام وكنت فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأُردن من ارض الشام اذ رفع لنا قصر فقال بعضنا لبعض لو ملنا الى هذا القصر فاقمنا بفنائه حتى نستريح ففعلنا فبينما نحن كذلك اذ انفتح باب القصر وانفرج عن امرأة مثل الغزال العطشان فرمقها كل منا بعين وا تق وقلب عاشق فقالت: من اي القبائل انتم ومن اي البلاد قلنا: نحن اضاميم من ههنا وهناك فقالت افيكم من اهل مكة قلنا : نعم · فأنشأت تقول

من كان يسأل عنا اين منزلنا　　فالاقحوانة منا منزل قمن
وان قصري هذا مابه وطني　　لكن بمكة امسى الاهل والوطن
اذ نلبس العيش صفواً مايكدره　　قول الوشاة وما ينبو به الزمن
من كان ذا شجن بالشام ينزله　　فبالاباطح امسى الهمُّ والحزن

ثم شهقت شهقة وخرت مغشية عليها فخرجت عجوزة من القصر فنضحت الماء على وجهها وجعلت تقول في كل يوم لك مثل هذا مرات تالله للموت خير لك من الحياة فقلنا ايتها العجوز ما قصتها فقالت: كانت لرجل من اهل مكة فباعها فهي لا تزال تنزع اليه حنيناً وشوقاً ·

هذا ماتيسر نقله مما تأثرت به النفس في رحلة قصيرة الى تلك الكورة في الشهر الماضي · ولو وفق اهالي عكا الى تحقيق مايفكرون به ويلتمسونه من الحكومة من الحاق لوائهم بولاية سورية لاصبحت مدينتهم او حيفا ميناءً مهمة لدمشق ومورد التجارات من اوربا ومصدر الغلات من بلادنا ولعاد لبلاد الجليل بهاؤُها القديم ولما اضر ذلك بعمران بيروت وطرابلس ضرراً يذكر اذ كل بلد ينال اذ ذاك حظه من الرقي · وقد كان الفكر الشائع يوم بوشر بمد شعبة من السكة الحجازية من حيفا ان تسقط بيروت عن مكانتها التجارية فرأيناها بعد ان تم ذلك الخط قد زادت بيروت مكانة ولم يغادرها من التجار الا افراد قلائل وعمرت حيفا بعض الشيء واذا جعلت لهذه ميناء ترسو فيها السفن آمنة كما هي الحال في بيروت ترتقي ايضاً زيادة ولا تضر بغيرها

والعمران كالثروة لايحلو وينفع الا اذا كان موزعاً بين البلاد عَلَى التساوي وحبذا يوم يكون فيه لكل ميناء من موانئ سورية صغيرة كانت او كبيرة مرفأ امين للسفن وخط حديدي يصلها بالبلاد الداخلية ولو بخطوط زراعية ضيقة يومئذ يقال ...

اخبار وافكار

اللبن الرائب

كتب الاستاذ متشنكوف بحثاً في مجلة المجلات الفرنسوية ابان فيه مزايا اللبن الرائب او الحامض في معالجة بعض الامراض افتتحها بقوله ان الناس كانوا يفزعون من الهواء الاصفر ويموتون منه الوفاً ايام لم يكن كوخ قد اكتشف ميكروباته فلما اكتشفها سهلت على الناس الوقاية فصاروا يتخيرون المياه الجيدة فينجون منه ومن لم تساعدهم الحال عَلَى استجادة المياه كاهالي بطرسبرج عمدوا الى غلي الماء فنجوا من فتكات هذا المرض الوبيل ومثل ذلك يقال في جراثيم الطاعون والحمى وغيرها من الامراض فانها لما ظهر السبب فيها بطل العجب وذكر انه جرب وجرب كثيرون فوائد اللبن الرائب للمصابين ببعض امراض المعدة فثبتت فائدتها كل الثبوت في المستشفيات والمصاح ونفع في الحمى التيفوئيدية ايضاً وقال ان في احشائنا جراثيم سامة لا يقتلها الا حامض اللبن وانه جرب ذلك منذ ١٢ سنة في نفسه وكان في الثالثة والخمسين من عمره فامتنع عن جميع المشروبات الروحية واقتصر عَلَى الماء واللبن الرائب والشاي الخفيف والطعام المطبوخ وامتنع عن كل ماهو نيء فجادت صحته عَلَى كثرة مشاغله وبعدت همته بحيث يعمل ساعات طويلة عملا متواصلا بدون ان يعروه ملل بذلك فهو يوصي الشبان ان يجروا على طريقته في تناول الالبان الحامضة اذ تساعدهم سنهم على الانتفاع منها وربما اطالت حبل آجالهم كما وقع لحائك عمره مئة وثلاث سنين بحثوا عن معيشته فرأوه عَلَى اقتصاده في مأكله يتناول بكثرة الملفوف المختمر Choucroute وفيه شيء من الحامض اللبني والخلاصة فان الاستاذ المشار اليه يضرب منذ سنين عَلَى هذا الوتر من بيان منافع اللبن وقد وافقه الآن عَلَى رأيه بعد التجارب الطويلة كثير من اطباء الروس والبولونيين والالمانيين والفرنسويين وغيرهم ولا يبعد ان يؤثر صوته فيدخل اللبن الرائب عَلَى الطريقة العربية والتركية والمصرية والبلغارية الى بلاد لم يكن يدخلها من قبل بفضل هذا التنويه به

الطباعة

كانت البعثة الاثرية الايطالية عثرت في جزيرة كريت منذ سنين على إطار من

وقد توصل العلماء الآن الى حلها بعض الشيء فتبين لهم انها تقرأ من اليمين الى الشمال وهي عبارة عن نشيد للصلاة وانها اشبه بالخط الهيروغليفي او المسند المصري وانها اول اثر مطبوع ظفر به مما دل ان الطباعة في شواطىء البحر الرومي قديمة كما كانت في الصين

الرهبنات

روت المجلة الباريزية ان عدد الرهبنات الدينية التي وقفت انفسها على بذل الاحسان ومعاونة البائس من نوع الانسان مابرحت آخذة بالانتشار في المانيا وقلَّ عدد البرتستنتية منها فلرهبنة الدياكوني او الشماسية ٨٤ ملجأ منها ٥٤ في المانيا والباقي في غيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠٠ اخ و ٢٥٠٠٠ اخت الا انه قلَّ في العهد الاخير انخراط النساء في هذا السلك لانه قل الاعتماد عليهن في المستشفيات كما كان سابقاً ولكن يزيد عدد من يمرضن المرضى في بيوتهم عن ذي قبل والرهبنات الكاثوليكية تنمو اكثر من غيرها فقد كان في بروسيا منذ ٢٥ سنة ٧٤٦ ملجأ فيها ٧٠٠٠ اخ واخت فغدت سنة ١٩٠٧ ٢١١٣ ملجأ اعضاؤها ثلاثون الفاً منهم اربعة آلاف اخ وستة وعشرون الف اخت اي ان الرهبنات الكاثوليكية قد زاد عددها اربعة اضعاف

قتلى الالكحول

اعظم المسائل الاجتماعية التي يتعاورها ارباب البحث والنظر في الغرب مسألة انتشار الالكحول بين الجمهور حتى انهم حسبوا ماعند فرنسا من اماكن لبيعها فبلغت ٤٧٧،٠٠٠ يصيب كل ثمانين نسمة منها محل واحد او محل لكل ثلاثين بالغاً ومعظمها من الخمور القتالة المزورة وكل يوم يفتح في فرنسا سنة اماكن للبيع بحيث تهلك هذه الامة عما قريب اذا لم تنظر في امرها وبذلك تشوهت الخلق وضعفت الاجسام حتى اضطرت الحكومة ان تترك كثيراً من الذين دعتهم لحمل السلاح لعدم اقتدارهم عليه وكثر عدد المنتحرين فزاد عددهم اربعة اضعاف ما كان عليه قبل اربعين سنة وكذلك عدد المجانين وزادت الجرائم حتى قدروا ان ثلثي المجرمين هم من المسكيرين او من ابناء السكيرين . والامة هناك تحارب الالكحول كما تحارب الاعداء بما تتوفر على نشره من الكتب والرسائل والنشرات والمجلات والجرائد والمحاضرات والخطب ولابد ان توفق الى

آثار مصرية

اكتشفت بعثة المانية في مصر الوسطى في الحفريات التي قامت بها في مكان اسمه ابو صير الملك كثيراً من الاواني والمدى المعمولة من الصوان والعظام والعاج المنحوت وتاريخ هذه الذخائر يرد الى زمن عرف فيه التاريخ اي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد ٠

الآداب الانكليزية

منح احد نبلاء بريطانيا عشرين الف جنيه لكلية كمبردج في انكلترا لتؤسس بها درساً في الآداب الانكليزية تسميه درس الملك ادوارد السابع ٠ وانشأوا في انكلترا جمعية دخلها الناس في كل البلاد التي يتكلم فيها بالانكليزية غايتها اشراب القلوب حب الشعر اذ ثبت ان المدنية المادية الحالية لاتحلو الا اذا احتفظ الناس فيها بالخيال في الحياة

معهد كارنيجي

افاد لسان البرق ان المستر كارنيجي الغني الاميركي الشهير قد تبرع بعشرة ملايين دولار أخرى للمعهد الذي انشأه عَلَى اسمه في نيويورك فبلغ مجموع ماتبرع به من ماله خمسة وعشرين مليون ريال اميركي فاكرم بامة فيها مثل هذا الكريم وببلاد تخرج مثل هذا الغني الذي لايكاد يصدقه ابن الشرق لولا صدوره عن قوم لايتكلمون الا عن عقل ولا يميلون لغير المحسوسات ٠ اما هذا المعهد الذي احتفل مؤخراً بافتتاحه فليس له نظير في العالم وسيكون له شأن كالمجمع العلمي الذي انشأه باستور عَلَى اسمه في مدينة باريز ٠ ومعمل باستور يعنى خاصة بعلم الجراثيم (بكتريولوجي) والمعالجة بالمصل Serothérapie والكيمياء الحيوية والامراض السارية اما معهد كارنيجي فهو ضرب من ضروب المستشفيات العجيبة لايقبل فيه الا المرضى الذين تخلى عن طبهم الاطباء وقطعوا بانهم اقرب الى الموت منهم الى الشفاء وهو قصر عظيم جداً يذكر باعظم قصور ملوك الشرق الاقدمين وفيه من مظاهر الرفاهية والراحة والجمال احسن ما ابرزته عقول الغربيين وهو يطل عَلَى نهر فتشرف النفوس من ورائه عَلَى مناظر تأخذ بمجامع القلوب وهو مؤلف من احدى عشرة طبقة يصعد اليها بمصاعد وادراج واسعة وفيها ردهات وغرف وحجر فسيحة ٠ وليس طول الغرف الخاصة بالمرضى اكثر من ١٦ متراً وعرضها ٨ امتار وفي كل واحدة منها سبع سرر فقط وليس للغرف زوايا وقرن بل هي ابنية مدورة

ذات قباب وذلك حتى لا يعلق الغبار زواياها عَلَى ان العناية في النظافة ليس وراءها غاية فالبيوت تفتح من تلقاء نفسها بمجرد مس الذراع او الرجل او الركبة لها مسًّا خفيفًا و بذلك لاينال الايدي شيء من الجراثيم وهناك محل عظيم لمداواة المرضى بالماء البارد والتغير الجسماني Métabolisme وآخر للتصوير الشمسي ورابع للراديوم وللمستشفى خزانة كتب عظيمة جعلت تحت امر اطباء المحل وتلامذتهم وله اناس موظفون للخدمة والاشراف عَلَى الاعمال وكلهم من خيرة القوم وسيأتي عَلَى هذا المعهد العلمي الانساني يوم نسمع بالاختراعات والاكتشافات التي تتم فيه بفضل تلك العقول الراجحة التي اجتمعت تحته وانقطعت الى خدمة الانسانية فيه بفضل المحسن الاميركي و بيض اياديه

قراءة الدماغ

بعد ان اتقن الغربيون علم قراءة الافكار بالتنويم المغناطيسي قام اليوم احد علماء الانكليز بعد البحث الطويل يكتشف تركيب الدماغ الانساني وميزاته وذلك بقياس الذهن بطرق وحسابات لاتخطيء فيمكنه ان يعرف طبقة عمل الدماغ معرفة اكيدة بالوقوف عَلَى درجة المقاومة في المجرى العصبي وذلك في الجزء الاسفل من مجموع الدماغ

المداواة بالراديوم

اكد احد جراحي الانكليز انه شفى بعنصر الراديوم الذي اكتشف منذ اثنتي عشرة سنة بعض الامراض مثل فالج الوجه والآلام العصبية والرثية وامراض الجلد والسرطان والصلع · وادعى طبيبان من كلية كنغبسرغ ان الراديوم يشفي من الهواء الاصفر والخناق ·

واكد احد اطباء الروس ان الراديوم يشفي الاكمه والاعمى · واذا تم ذلك فلا يبقى عَلَى العلم الا اختراع دواء لاحياء الموتى تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا

برابرة بوليفيا

بوليفيا او بيرو العليا احدى جمهوريات اميركا الجنوبية بلاد واسعة البقاع تبلغ مساحتها ١٫٢٢٢٫٢٨٠ كيلومترًا مع ان سكانها لا يتجاوزون ٢٫١٥٩٫٠٠٠ ومابرحت بعض اصقاعها عَلَى حالتها من الهمجية الاولى ومن السكان الذين رآهم الرحالة هرزوك في بوليفيا الشرقية وثبت له من اخلاقهم انهم من عنصر واحد هم وكوارايوس قبائل السيريانوس فان هؤلاء الهمج لم يرتقوا درجة واحدة في الحضارة منذ العصر الحجري فهم يستعملون

الحديد وادواتهم القاطعة هي من الصدف الذي تقذف به الشواطئ وبها يقطعون ويحتون يعيشون عيش البادية في الغابات وتمتد الاصقاع التي ينزلونها الى ريوغراند وسان ميكل الى الشرق مما وراء ريو بلانكو . وهم لا يلبسون ثياباً وزينتهم الوحيدة عبارة عن عقد يتخذونه من اسنان القرود ومن حبوب يسلكونها في اسلاك بدون ان يخرقوها بآلة ما . واكواخهم وقلما يأوون اليها مؤلفة من اغصان النخيل واوراقه يدعمها جذع من الشجر وليس لهم من السلاح غير اقواس من خشب النخل طولها متران وسهام منه ايضاً طولها ثلاثة امتار ورأسها محدد . ولا يعرف اصل هذا الشعب معرفة اكيدة .

المانيا وكلياتها

كان للكليات في المانيا خلال النصف الاول من القرن الماضي عمل عظيم في حياة تلك الامة العقلية والاخلاقية والسياسية ففي سنة ١٨١٠ رأى فريدريك غليوم الثالث صاحب بروسيا ان تستعيض المانيا عن القوى المادية التي افقدها اياها نابوليون بقوى ادبية فأسس كلية برلين ليلقي في قلوب ناشئة الامة فكراً علمياً سليماً ويعلمهم بالكلام والمثال ان يخصوا ارواحهم للعلم وقلوبهم للوطن . ومن مجتمعات الطلبة نشأت الدعوة الى الوحدة الالمانية وكانت المانيا الى ذاك العهد مقسمة الى امارات مشتتة الكلمة ضعيفة السلطان ففادى الطلاب في هذا السبيل بكل عزيز ولطالما جنحوا الى الثورات وقتلوا وقتل منهم في سبيل تأييد دعوتهم . فمن الكليات نشأت الانقلابات الكبرى في الفلسفة والدين والعلم وكان الالمان الى ذاك العهد امة فكر وشعر يقولون في انفسهم انهم تركوا البر لجارتهم (فرنسا) تنصرف فيه على ماتشاء والبحر لأخرى (انكلترا) تعمل ماتريد ولم يبق لهم الا الاحتفاظ بالسماء وهي منزل العقل . وهذه الوحدة السياسية التي كان يراها بعضهم من الخيال قد تحققت في العلم والعمل بفضل الكليات التي كانت مركز الحياة الوطنية . وانا اذا صرفنا النظر عن اهل الادب والصناعات نجد جميع كبار الرجال في المانيا من اساتذة تلك الكليات . ولما نضجت الافكار على تلك الصورة قام بسمرك قبيل الحرب الالمانية الفرنسوية ووحد بين تلك الامارات وعلم اولئك العاملين ان النشرات والدعوات تعمل الى حد محدود ولا بد لتحقيق الغرض بعد ذلك من النار والبتار . انتهى عمل الكليات السياسي سنة ١٨٧٠ ولكنها ظلت صاحبة الحق في حفظ تراث الاجداد وقديم الامجاد فهي التي تعلم الناس التجديد ولكن مع النظر الى القديم ابداً .

كان في اواخر القرن التاسع عشر ثلاثة انواع من الكليات في اوربا الكلية الانكليزية التي هي اصل الكلية الاميركية والكلية الفرنسوية والكلية الالمانية التي اقتبست اسلوبها بلاد السكندياويين او الدانيمرك واسوج ونروج وروسيا الا قليلا ٠

فالكلية الانكليزية تقرب من نسق القرون الوسطى لاعلاقة لها مع الحكومة بل هي مستقلة في ادارة شؤونها ومداخيلها واساتذتها وتقصد الى التربية العلمية بل الى التهذيب العام الذي يجب للمهذب Gentleman ان يكون له منه نصيب ٠ اما الكلية الفرنسوية فهي تابعة للحكومة مباشرة عَلَى نحو ما اراد معدل نظامها نابوليون الاول وغايتها اعداد الطلبة لان يتعلموا ماينفعهم في ميدان الحياة الاستقلالية والكلية الالمانية نشأت بين الكليتين الانكليزية والفرنسوية فاخذت من هذه ومن تلك [1] والغاية منها ان لاتخرج علماء صرفًا ولا رجال صناعات ممتازين بل ان تهذب طلابها تهذيبًا يتيسر لهم معه ان يستعدوا لدخول المجتمع والتصدر فيه فليست الغاية اذاً ان تخرج تلك الكليات اساتذة وحكامًا ورجال دين للحكومة ولا ان تعد محامين واطباء للامة بل ان تعلمهم تعليمًا علميًا وتلقنهم الخطة التي يجب عليهم ان يسيروا عليها وتطلعهم عَلَى اساليب البحث والنقد وتقوي فيهم اخلاق العلماء كالعفة وخلو الغرض وسعة الفكر وتلقنهم شيئًا من العلوم المساعدة وان ينظروا نظرة اجمالية في الميدان الذي يجب عليهم ان يجروا فيه وبالجملة تؤهلهم الى ان يتموا هم بانفسهم مابدأ به اسلافهم ٠ فالطالب المتخرج من كلية المانية يتعلم ماهو العلم اذا اقترن بعلم خاص فلا يكتفي بشهادة ينالها فيحق له بها ان يقضي او يشفي او يعلم او يلقن الدين لمواطنيه بل يقضى عليه ان يتمرن سنة في الفرع الذي يريد الاخصاء فيه ثم يقدم فحصًا بعد ان تكون المدرسة قد اعدته للنظر الاجمالي في الحياة العلمية ٠ ولرجال الدين والاساتذة والمحامين والقضاة والموظفين والاطباء في المانيا الذين يتخرجون من الكليات طبقة خاصة ومنزلة سامية بين قومهم لاينالها الا الضباط لاسباب خاصة ولكن الصيارف والتجار وارباب الصناعات والاملاك مهما بلغوا من الغنى والذكاء والاعتبار وخدموا المصلحة العامة فهم دون اولئك الذين تخرجوا من الكليات بمنزلتهم ٠ وتناغي القوم في الاعمال الحرة علم طبقات الامة الالمانية

(١) تتألف الكلية الالمانية من اربع جامعات جامعة اللاهوت (برتستانتية او كاثوليكية) وجامعة الحقوق وجامعة الطب وجامعة الفلسفة وهذه الجامعة الاخيرة ماثل في فرنسا جامعة الآداب والعلوم

ان ارباب الصناعات والتجارات وغيرهم من طلاب المال والغنى لايعيشون مهما بلغوا من الذكاء الا للثروة ولذلك تكون منزلتهم في الانظار دون العاملين بافكارهم وعقولهم

يقولون ان العلم لاينجح الا باطلاق الحرية للمتعلم يتعلم عَلَى ما يشاء والمعلم يعلم كما يشاء وهذا موجود في الجملة في الكليات الالمانية فان الاستاذ وان كان امر تعيينه يرجع الى الحكومة وتحكم هذه في اختيار من يعرضون عليها فهو لا يعيش من رواتب تؤديها اليه الحكومة بل انها تدفع له جزءًا صغيراً والباقي يتكفل به الطلبة فيدفعون اجور الدروس التي يحضرونها والطلبة لايفحصون آخر السنة بل هم احرار وعمدة الكليات مستقلة تدبر شؤونها بذاتها و ينظر في انتخاب الاستاذ الى قيمة ما يحسنه من العلم لا الى ما يمتاز به من صفات التعليم مثل جودة الالقاء وسهولته والمعلم لايتعب في القاء دروسه لانه يعلم تلاميذه بالعلم اكثر من النظر

وفي المانيا طبقة من الاساتذة مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال ولهم الحق ان يدرسوا في الكلية التي يريدونها و يقبضوا من طلبتهم اجور دروسهم و يختاروا موضوعات مسامراتهم ومحاضراتهم و يشرعون و ينتهون من دروسهم في الاوقات التي يختارونها وترى الطالب في الكلية لايحتاج لشيء سوى ان يدفع المخصص لها وسواء حضر ام لم يحضر تعلم ام لم يتعلم لا يسأل عن عمله ويكاد لايفحص الا في بعض المواد القليلة كما انه حر في الدروس التي يختارها

يعلم الالمان ان اطلاق الحرية للطالب عَلَى هذا النحو لايخلو من حمله عَلَى الكسل ولكن يرون ان لها فوائد اخرى فان الطالب يكون قد قضى في المدارس الابتدائية والوسطى نحو عشر سنين تابعاً لنظامها المدقق حتى اذا بلغ العشرين او نحوها كان حرياً في الكلية ان يتعلم كيف يعمل بنفسه ويحبب اليه عمله بدون سائق يسوقه وكيف يوجه وجهته ويحدد رغبته في التعلم فيعمل عَلَى ذوقه برضاه لا مدفوعاً بسائق نحص يجب عليه ان يتخطاه · فالكلية الالمانية تضمن للطالب فيها تهذيب العقل من جهة وتربية الارادة والخلق من جهة أُخرى وذلك باطلاقها حرية طالبها فتعامله معاملة رجل حر عاقل له حق التصرف باحواله ولسان حالها « اعمل مايروقك واعلم فقط انك ستجني ما زرعت · »

كثير في الاغاني الالمانية مايشير الى ان حرية الطالب اثمن شيء وانها من اوصافه

الخاصة به فالفتى لايحضر دروس الكلية للحصول عَلَى معارف تنفعه للقيام بحرفة ما في المستقبل وما هذا المطلب الا ثانوي بل ان الغاية التي يسعى وراءها في سنيه الثلاث في الكلية هو ان يصبح رجلاً وتكون له شخصية . يعينه عَلَى ذلك اساتذته واترابه ومن هنا نشأت فائدة جمعيات الطلبة لان الطالب يتعلم فيها امرين مهمين الطاعة واحترام الناس له . والطلبة المتقدمون يطبعون على ذلك الطلبة المتأخرين او المحدثين بمحافظتهم عَلَى قواعد لهم يسنونها وبالمحافظة عليها ينبعث في الطالب شعور الشرف وعزة النفس فى الحياة المشتركة وتقوى ارادته عَلَى الصدمات فهو اذا خلص من سلطته في منزله بين ابويه يكون لتلك الجمعيات عليه شيء من السلطة الادبية فبالكلية لايصبح رجلاً عالماً ومهذباً فقط بل صاحب اخلاق . ولقد صدق احد من وصف الكليات في الغرب فقال ان الكليات الفرنسوية تنقصها الحرية والكليات الانكليزية يعوزها العلم وفي الكليات الالمانية لاينقص هذا ولا ذاك

قام مجد المانيا قديماً بمن نبغ فيها من الفلاسفة ثم بمن نبغ فيها من القواد والجند ومجدها اليوم مناط الا قليلا بارباب الصناعة والتجارة من ابنائها . ومعلوم ان حاجة المدنية الحديثة ماسة للاخصاء في العلوم والتفرد في الصناعات والمانيا لاتجهل ان قوتها في جهاد الامم السلمي بمن لديها من الاخصائيين الكثيرين كثرة لانظير لها عند الامم الاخرى ولذا بذلت العناية للمدارس الفنية والاخصائية حيث يتعلم الشبان علوماً توجد لهم مراكز في الصناعة واذ جعلوا في اواخر القرن الماضي من حق هذه المدارس ان تمنح لقب دكتور للمتخرج بها كما تمنح الكليات فقدت هذه بعض الاقبال عليها ان لم يزد كما هو المأمول

وبعد فما برح الاساتذة الذين اوجدوا في الكليات روح الوحدة الالمانية وربوا رجال الامة تلك التربية السياسية المهمة يتوفرون عَلَى الاحتفاظ بهذه الوحدة حتى صح عَلَى الالمان ولايزال صحيحاً ما كان قاله بسمرك وقد رأى جماهير الطلبة سنة ١٨٩٥ تجيء لتهنئته بعيده الثمانيني : منذ رأيت هذه البلوطات الالمانية الحديثة (ويعني بها الشبان الالمانيين) لم يبق عندي اقل قلق عَلَى مستقبل المانيا .

صور تتغنى وتتكلم

ان النجاح الذي صادفته الصور المتحركة بتمثيل الاشباح عَلَى الستار قد جعل المفكرين يدأبون لتتميم الفائدة باضافة آلة الفونوغراف او الحاكي ليتهيأ لجمهور المشاهدين التمتع برؤية الاشباح وسماع اصوات ممثليها في آن واحد . وقد وفق مؤخراً الكاتبين كواد

71

الفرنساوي للجمع بين عرض صور الممثلين واسماع الجمهور اصواتهم بحيث تأتي حركاتهم واصواتهم طبقاً للمألوف من اصوات الممثلين الحقيقيين وحركاتهم

وطريقه ذلك ان يتكلم الممثل اولاً او يغني و يؤثر امام آلتي الفونوغراف والتصوير فيأخذ الحاكي اصواته على حدة وترسم آلة التصوير حركاته الموافقة لاصواته ثم يوصل بين هاتين الآلتين بقضيب من حديد لتتم المواصلة الكهربائية بينهما . وتوضع آلة التصوير وراء الجمهور حسب المعتاد . و يوضع الحاكي بالقرب من الستار ويديرهما معاً مجرى كهربائي فتتحرك الآلتان بسرعة واحدة فتتفق بذلك الاصوات التي تصدر من الحاكي مع الحركات التي تدير صورها آلة السنياتوغراف او الصور المتحركة . فيرى المشاهد اشخاصاً ترقص او تمشي او تركض او تتحرك بحركات غير هذه ويسمع ما تفوه به من الاصوات المطابقة فيخالها اشخاصاً طبيعية لها قوة الحركة والنطق

قفل يفتح بصوت صاحبه

في جملة الاختراعات الحديثة قفل للابواب والصناديق له فوهة مثل فوهة آلة التلفون وله جهاز خاص فلا يفتح الا اذا تكلم صاحب القفل او غيره في الفوهة كلمة اصطلاحية يفتح بها القفل بمجرد دخول الصوت المركب من مقاطع تلك الكلمة . فاذا زادت المقاطع اونقصت تغير فعل الصوت في آلة القفل فيمتنع على الفاتح

غير ان لهذا الاختراع عيوباً اخصها عدم انفتاح القفل اذا كان الصوت ابح ولذلك فاذا أُصيب صاحب القفل بزكام شديد فلا يبقى بامكانه ان يفتح بابه او صندوقه ما لم يطلع صديقاً له على كلمة السر ليلفظ بها في فوهة القفل وفي ذلك ما فيه من الاعنات وكشف السر

تلقيح التربة بالبكتيريا

درس بعضهم خواص نوع من البكتيريا فوجد ان له خاصة امتصاص عنصر النيتروجين من الهواء وغيره وبثه في التربة التي يعيش فيها . وامتحن تلقيح الارض بهذا النوع من البكتيريا فوجد انه يزيدها خصباً وانه يحسن غلتها خصوصاً اذا وضع في التربة شيء من المواد التي ينمو فيها هذا الميكروب من مثل البوتاس والحامض الفصفوريك والكلس . وسيكون لهذا الاكتشاف شأن عظيم في الزراعة

آلة لتطهير هواء المنازل

اخترع الاستاذ شارل ريشه من باريس آلة تنقي هواء المنازل مما يكون فيه من

الغبار والجراثيم الحيوية . وهذه الآلة تقذف قطرات صغيرة من الغليسرين يلصق بها الغبار فتحمله ساقطة به الى الارض . ولها مروحة تجذب الهواء اليها ليسهل رشه بالغليسرين فيتهافت جميع هواء البيت شيئًا فشيئًا الى تجاه المروحة فيتطهر بهذه الطريقة السهلة

شعر الرأس

يمكن شعرة عادية من شعر الرأس ان تحمل ثقلاً يزن ست اواق طبية . ويبلغ معدل شعر الرأس نحواً من ثلاثين الف شعرة ويمكنه ان يحمل ثقلاً يزن عشرة قناطير واذا فتل معاً فانه يحمل هذا الثقل ومقدار ثلثه ايضاً . ولذلك فان نساء قرطاجنة الحرائر كن يقدمن شعورهن الكثة عندما حاصر الرومانيون مدينتهن ليصنع منها حبال قوية تقذف بها الحجارة من المجانيق

بندقية بدون صوت

تحشى ببارود بدون دخان

اخترع المستر هيرام برسي مكسيم الاميركاني انبوباً صغيراً يناط بفم البندقية فيضعف قوة صوت البارود حتى يكاد لا يسمع للبندقية صوت عند اطلاقها . وهذا الانبوب عبارة عن قطعة مجوفة من الفولاذ قطرها نحو قيراط ونصف وطولها نحو خمسة قراريط ولها في جوفها حلقات معدنية لولبية نائئة من جدرانها الداخلية تجعل الغاز الذي ينفلت من البارود عند اطلاقه يدور في هذه الحلقات قبلما يخرج الى الفضاء . فيفقد بذلك قوته ويخرج من فم الانبوب ضعيفاً لا قوة له عَلَى تمزيق الهواء واحداث الصوت المعروف وذلك لان صوت البنادق انما يحدث من غاز البارود الذي ينفلت من فوهة البندقية حالما تخرج منه الرصاصة فيحلق في الهواء اي انه يخرج بهيئة حلقات لها شكل الفطر . فتدفع هذه الهواء دفعاً شديداً تمزقه فيها تمزيقاً فيسمع له الصوت الذي نعرفه

اما بواسطة هذا الانبوب الذي يدخل فيه فم البندقية ادخالاً محكماً فيدور غاز البارود في الحلقات اللولبية في باطنه فيفقد قوته لانه لا ينطلق تواً . فيخرج وله صوت يماثل صوت الغاز اذا اطلق من زجاجة « كازوزه » بعد ان تزحزح الفلينة قليلاً فينفلت ضعيف القوة بحيث لا يسمع له صوت الا عَلَى بعد بضع خطوات لشدة ضعفه . وقد جرب المخترع اختراعه هذا فحشا عدة بنادق ببارود لا دخان له واطلقها جميعًا عَلَى

هدف بحضور جم غفير فكان رصاصها يخترق الهدف والمشاهدون لا يرون دخاناً ولا يسمعون صوتاً الا صوت وقع الرصاص على الهدف · واذ رأت الحكومة الاميركية خطورة هذا الاختراع وتعرض الناس بواسطته لاعتداء القتلة الاشرار اذا تمكنوا من التسليح بهذا السلاح الذي يأمنون معه افتضاح امرهم عمدت الى قانون تسنه منعاً لما عساه ان يترتب على هذا الاختراع من الضرر والاخلال بالامن العام

طبقات الهواء العليا

وجد بالامتحان ان حرارة الهواء تقل كلما صعدنا في الجو حتى نبلغ علو نحو عشرة آلاف متر (٣٣ الف قدم) ومن ثم تأخذ الحرارة بالازدياد قليلاً ازدياداً قانونياً · وقد وجد ان هذه الطبقة العليا السخنة تعم جميع الجهات فوق المناطق الاستوائية والمعتدلة والمتجمدة شمالاً وجنوباً · فهذا الانقلاب في حرارة اعالي الجو يدل على امكان اختلاف تركيب طبقات الهواء السفلى عن طبقته العليا وقد ملأ بعض الكيميين زجاجات من الهواء من طبقاته المتعددة الى علو يتجاوز ٤٦ الف قدم وحلل ذلك فوجد ان عنصر الهاليوم يختفي بتاتاً على علو ٤٦ الف قدم وعدا ما ذكر فان ركاب المناطيد قد كشفوا طبقة هادئة في اعالي الجو وسيكون من وراء درسها نفع في الاسفار الجوية

اللحم الاحمر واللحم الابيض

في جملة الحيوانات الحمراء لحم البقر والغنم والخيل والخنازير البرية والوعول والارانب والحمام والبط والاوز وسمك سليمان او السلطان ابراهيم · وقد يكون لحم بعض هذه الحيوانات داكناً · اما العجول والخنازير الداجنة والارانب الاليفة وسمك الشبوط وابو منقاد والكركند والسراطين فلحمها ابيض او كثيف اللون · واما الطيور فجآجئها اي صدورها بيضاء اللحم وافخاذها سمراء اللون · وبالضد من ذلك الضفادع فان افخاذها بيضاء اللحم وما بقي منها اسمر اللون · وكثير من اصناف السمك كالحنكليس وغيره يجمع بين اللونين الاسمر والابيض · وقد تبين من الابحاث العلمية ان لهذه الالوان علاقة بالقوة والنشاط · فتكون العضلات الكيفيئة اللون على الجملة اكثر نشاطاً من التي لونها احمر او اسمر لانها تنقلص بسرعة ولكنها تكل قبل العضلات السمراء اذ انها تفرز مقداراً اعظم من الحامض اللكتيك (او اللبنيك) وهو نتيجة التعب والدليل عليه

ولذلك فيمكننا ان نحكم عَلَى نشاط الحيوان وعَلَى مقدار ما يتحمله من التعب بالنسبة الى غيره من لون لحم عضلاته · والقاعدة لذلك ان ما كان لحمه ابيض كان كثير الحركة والنشاط وما كان احمر اللحم او اسمره كان اقل نشاطاً في حركته ولكنه اكثر تحملاً للاتعاب

تعجيل نمو النبات

كانت الطريقة المعول عليها لانماء النبات انماء صناعياً ان يعالج بالاثير فيسرع نموه وتنضج ثماره قبل اوانها · غير ان العلامة مولِش قد كشف طريقة اسهل من هذه واقل نفقة وهي: ان يغمس مايراد انماؤه من النبات مقلوباً في ماء تبلغ درجة حرارته بين ٣٠ و ٣٥ بمقياس سنتيغراد · ويبقى مغموساً مدة تسع ساعات الى اثنتي عشرة ساعة وبعد ذلك ينقل الى غرفة مظلمة رطبة حرارتها تبلغ درجة ٢٥ ويبقى هناك الى ان تبتدئ الاوراق تظهر فينقل حينئذ الى مغرس زجاجي و يعامل معاملة النباتات التي تربى في المغارس الزجاجية الدافئة · وامتحن احدهم هذه الطريقة في الزنابق فازهرت بعد نحو اربعين يوماً مع ان ماغرس منها غرساً عادياً لم تظهر اوراقه في هذه المدة مما يدل عَلَى شدة تعجيل نمو النبات بهذه الطريقة السهلة الاجراء القليلة النفقة

ثمن الراديوم

كان يمكن قبلاً ان يشرى الجزء من الف من الغرام من الراديوم بعشرة فرنكات اما في سنة ١٩٠٩ وما بعدها فبلغ ثمن هذا الجزء خمساً واربعين ضعفاً اي ٤٥٠ فرنكاً · و بما ان الراديوم يستخرج من الاتربة الزفتية فتراب الزفت في ضواحي معمل كورنش بالقرب من لندن يساوي ثمناً يفوق ثمن تراب الذهب والماس

شباك الصيد

دل اختبار صيادي السمك في جهات متفرقة عَلَى تأثير لون الشباك بالاسماك فصار من المقرر ان من يستعمل شبكة زرقاء اللون يصيد اكثر كثيراً ممن يستخدم الشباك العادية السمراء اللون · وذلك لان لون الشبكة الزرقاء يماثل لون ماء البحر فينتفي بذلك خوف السمك من الدنو منها

آلة جديدة للحلاقة

اخترعت في اميركا آلة جديدة تحلق شعر الوجه بموسى مجهزة بآلة كهربائية بدون

ان تمسها يد انسان • والموسى واق من المطاط وغيره يقي الحد من الجرح • ولا نظن ان هذا الاختراع يسر الحلاقين عندنا اذا تهافت الناس عَلَى شراء هذه الآلة وصاروا يحلقون لحاهم بواسطة الكهربائية ويأمنون شر جراح المواسي التي قد تنقل العدوى من مصاب بمرض جلدي في وجهه الى الاصحاء •

عضو جديد للحس

اكتشف فرتر في الهرة عضواً خاصاً للحس موءلفاً من بضع شويكات نابتة في الجلد بجانب رسني قائمتيها الاماميتين • وكانت هذه الشويكات قد وجدت في حيوانات عديدة غير الهرة من مثل القواضم والحيوانات الدرداء (التي لااسنان لها) والمفترسة وذوات الاربع السافلة في سلم الاحياء • وتوجد هذه الحاسة خاصة في الحيوانات التي تتلقف طعامها باكفها والتي تزحف او تتسلق الاشجار • ولكنها لاتوجد في القردة لانها تعتاض عنها بما لها من الامتياز في استعمال ايديها وللآن لم يمكن الاستدلال على وجود هذه الحاسة في الكلاب

سفينة لرصد المغنطيسية

عزم بعض محبي العلم في اميركا عَلَى السياحة في جهات القطبة الجنوبية وغيرها لرصد مغنطيسية الارض فابتنوا سفينة خالية من الحديد والفولاذ • فصنعت جدرانها ومساميرها وسائر مافيها من الخشب منعاً لتأثير ما قد يكون فيها من المواد المعدنية في المغنطيسية التي تقاس بآلات خاصة في السفينة

خليل سعد

طنين الآذان

تختلف الاهتزازات التي يسمعها المصابون بالصمم او بطنين الآذان فيظنون تارة انهم يسمعون صفيراً حاداً واخرى انهم يسمعون جلبة مثل صوت الزيز والصرصور والجرادة وطوراً يسمعون صوت انغام من جوقة موسيقية فيها الطبل والطنبور والجلاجل والصنوج او رنة اجراس وتغريد طيور شديدة بحيث يتراءى للسامع بانه في بيت حمام وقد تمر الشهور والمصاب بالصمم او طنين الاذن يسمع هذه الاصوات فتحول دون سماعه الاصوات الخارجية • والمصابون بالصمم والخرس معاً ليسوا عرضة لهذا المرض بل ان جميع المصابين بالتهاب الشرايين les artério_scléreux هم عَلَى الجملة مصابون به وتختلف درجاته فيهم • وقد بحث الدكتور ملواج الفرنسوي

في اسباب هذا المرض فقال ان اكثرها ناشئة من اختلال وضع سلسلة الكعب وان التغميز (التمسيد) نافع في اكثر حالات هذا المرض ٠

تعليم الجغرافيا

الجغرافيا كلمة يونانية معناها رسم الارض اوصورة الارض عرفها العرب بتقويم البلدان او رسم الارض وكان لها شأن من عنايتهم ونبغ فيها مشاهير خدموها خدمة جلى في القرون الوسطى [1] وعدم عناية من يشتغلون بالعلوم الاسلامية بها في القرون الاخيرة نشأت منه امور مضرة ومنها مايضحك حتى ان كثيراً من جرائدنا العربية بل ومجلاتنا تغلط في ايراد اسماء البلدان والانهار والجبال والاقطار وكثيرمنها لايعرف جغرافية مملكته بل قلّ جداً من خاصتنا اليوم من يحسن جغرافية قطره فالسوري مثلاً لايستطيع ان يحدد لك بلاد فينيقية ولا جبال سنير والجليل ومؤآب واللكام ولا يعرف كم في سورية من بحيرات او من مدن عامرة وكذلك المصري قلما يعرف مركز الوجه البحري من الوجه القبلي واي بلاد الاقاليم اعمر وفي ايها يجود القطن اوتجد اثراً للصناعات وهكذا الحال في ابن العراق وابن تونس وابن الحجاز وابن اليمن دع عنك مايلزم العثماني خاصة معرفته من احوال الولايات العثمانية كلها حتى ان من الفوا في الجغرافية من الاتراك خلطوا في اسماء الاعلام خلطاً يكاد يرفع الثقة من كل ماكتبوه وكذلك الحال فيمن كتبوا من المصريين واطلعنا عليه من كتبهم وان من الاسف ان يرد في احدى مجلاتنا المعتبرة ان سورية هي من آسيا الصغرى كما من الاسف ان تقول بعض جرائدنا ان بلاد نجد خضعت لاحكام الدولة العلية مع ان نجداً قطر عظيم له اميران الآن ابن سعود وابن الرشيد نخلطه الكاتب مع لواء اسمه نجد من اعمال البصرة وقالت احدى جرائدنا ان ولاية وان من الولايات القريبة من الاستانة مثل بورصة مع ان واناً هي في اقصى تخوم الولايات العثمانية الى الحدود الفارسية والروسية وقالت أخرى انهم انشأوا خط تلفون بين غلطة واشقودرة فعربت Scutari باشقودرة مع انها اسكدار احدى احياء الاستانة ويا بعد مابين اشقودرة والاستانة وقالت احدى جرائد الاستانة الكبرى ان والي بيروت زار جبلة مركز جبل الدروز مع ان جبلة على الساحل من اعمال بيروت وجبل الدروز في داخلية سورية لاعلاقة لها مع والي بيروت الى غير ذلك مما يقع امثاله لصحافتنا كل يوم وهم يبحثون في بلادهم فما بالك بهم اذا تجاوزوها

(١) المقتبس م ٤ ص ٢٢٤

74

الى الصين والهند واوستراليا واميركا واوربا وافريقية . وربما لا يخبط بعضهم عند كلامه على جغرافية الولايات المتحدة او فرنسا او انكلترا مثلاً بقدر ما يخبط في كلامه على ولايته نفسها اذ يكون قد درس جغرافيتها في مدارس الفرنسيس والاميركان والانكليز حق الدراسة في كتب جيدة ونظر الى كرة الارض او المصورات فطابق ماقرأه في الكتاب على المشاهد

ولكن علماء الجغرافيا في اوربا اليوم يرون تعليم هذا الفن على تلك الصورة متعباً للذهن لا يلبث الطالب ان ينساه متى خرج من المدرسة واذا ذكر منه فلا يذكر الا اجماليات لا تغني من التفصيل شيئاً فقالوا اي فائدة للطالب ان تذكر له ان في المقاطعة الفلانية كذا من الانهار والرؤوس وشبه الجزر والجبال والمدن والعساكر وهو يعتقد بان ما يتناوله من هذا العلم هو من الكماليات لا غناء منه الا بقدر ما في حسن الخط والرياضة الجسمية وكم من عالم رديء الخط ومن اديب لا يحسن اللعب على الحبل ولا يقفز مترين ولا يستطيع السير على قدميه ساعة او التصعيد في جبل .

بيد ان فن الجغرافية نافع في التربية نفع الرياضيات فهو علم تعقل وتدبر وهو علم صلات الارض بالانسان ولذلك كان له شأن في تثقيف العقل فيه يدرك المرء جسامة البحر المحيط وعظم غابات اميركا واخلاق زنوج افريقية ويعودنا النظر الى البلاد التي نعيش فيها ولا نعرف من امورها الطبيعية شيئاً فلا نقدر ابعادها ولا قممها واوديتها ومضايقها وجوفها ولا لم كانت الاشجار الفلانية تجود في الساحل ولا تجود في الداخلية كل ذلك مما تعلمه الجغرافيا اليوم فبها نعرف تركيب طبقات الارض واشكال النواتئ والمناخ وكيف تنبعث المياه واشكال ما يعيش فيها من الحيوانات والنباتات والانسان . وتدل كيف ان المرء مستعبد لقوى العالم واسير في الارض وانى له ان يجاهدها و يتغلب عليها و يبين الصلة المتبادلة بين الارض والانسان

وفي القرن الماضي بدت الجغرافيا في مظهر جديد بما توفر لها من علوم طبقات الارض والطبيعة واصول الشعوب وعلم قياس البحار وعلم الاحداث الجوية والحيوان والنبات والاقتصاد السياسي ورحلات من وصفوا الامم وصفاً مجرداً ووصفوا بلادهم وصفاً مدققاً وتمت لها اكتشافاتها ولم يبق الا شيء يسير من الارض يحاول العلماء اليوم ان يكتشفوه ونعني به القطب الشمالي والقطب الجنوبي . وكم ذهب في هذا السبيل من رجال وصرف فيه من اموال .

فغدا هذا العلم يبحث في مختصراته ومطولاته عن الحوادث الكبرى في الجغرافيا الطبيعية والجغرافية الاقتصادية ولكن علماء الجغرافيا ينتقدون اليوم تلك الطريقة التي كانت مثل الرجوع بعد تلاوة الكتاب الى المصوَّرات او رسمها كما هو الحال في بعض مدارس الشرق النظامية قائلين ان الجغرافيا لا تعلم في قاعة الدرس وهي مقفلة عَلَى هذه الصورة وان احسن الطرق في تلقينها ما تعلمه الطالب في الارض التي يتعلم جغرافيتها فيطوف فيها مع استاذه ويريه سهولها وجبالها وبحيراتها وانهارها وخلجانها وبركانها وقالوا ان تبعة تدريس الجغرافيا عَلَى هذا النحو عظيمة لانها في الغالب تضطر الاستاذ ان يصحب معه ثلاثين او اربعين طالباً الى اماكن وعرة ولكنها جميلة وقد جرب بعضهم هذه الطريقة في التدريس فكانت طريقته انجع في الاستظهار وتطبيق التعلم عَلَى الحس اكثر من تلاوة كتاب والنظر الى مصوَّر فيحيط الطالب بالصقع وكل ما فيه من ظواهر الطبيعة اكثر ممن يسيحون وهم في القطارات لا يعرفون من البلاد الا مايكتب لهم ان يطلعوا عليه من نوافذ مركبتهم · والاساتذة الذين يمثلون صقعاً لتلاميذهم بالتصوير الشمسي اورسم المسطحات او الطواف في الضواحي يغرسون فيهم ذوق النظر والتشبيه ويضمنون لهم الفرح الكبير فاذا علمت الجغرافيا على هذه الصورة ولا سيما ما كان منها مختصاً بمملكة المتعلم يكون لها شأن عظيم في تربية قوى المتعلمين فلا تدخل في عقولهم مبادىء مهمة فقط بل تعلمهم النظر والتدبر فيكون منها مجموعة تتكون منها احسن اداة في التربية العامة واقوى عامل في التعليم العملي فيتلقى الطالب من تعليمها عَلَى هذه الصورة اصولاً ينتفع بها في حياته يوم خروجه من المدرسة ·

انتشار الالمان

قالت احدى المجلات الانكليزية المعتبرة : اخذت المانيا ترمي جهاراً الى تكبير بلادها في الشرق والغرب فان المحالفة الالمانية النمساوية تقوى كل يوم وتقترب روسيا منها بابتعادها عن انكلترا ويزيد الالمان في مداخلتهم في البلاد كلها بانهم يؤسسون فيها المدارس والجرائد ويمثلون الروايات ويقيمون الحفلات الموسيقية ويحتكرون التجارة بالتدريج وقد فتحوا حديثاً في مدريد مدرسة نجحت نجاحاً كثيراً وللالمان في البلاد العثمانية صحافة خاصة والمانيا تتقدم من جهة تخومها الغربية بخطا سريعة ولكنها ثابتة متينة وكأنا بالبلجيك وقد اصبحت عما قريب جزءاً متماً لاجزاء المملكة الجرمانية وسيكون شأنها شأن امارتي [illegible] كادت مدينة انفرس وهي سوقها الكبرى تصبح [illegible]

ورؤوس اموالها ونفوذها وتنظر المانيا جهاراً الى بلاد القاع (هولاندة) والمستعمرات الهولاندية تريد ان تضمها اليها وان المانيا عَلَى مايتراءى من حالها قد اختطت لها خطة ستضم بها اليها اراضي جديدة وسيكون ذلك في اول فرصة متى حدث بينها وبين فرنسا او انكلترا مشكل

النسر عند السوريين

في مجلة تاريخ الاديان الفرنسوية ان الناظر في النواويس والقبور في سورية القديمة يجد صورة نسر وغراب وتاج محفورة في الحجر . واحياناً لايشاهد صورة غراب او تاج ولكن قلما شوهد ناووس مهمٌ الا وقد زبرت عليه صورة نسر تارة منفرداً وحده وجناحاه مبسوطان وأُخرى بين ذراعين اشارة الى الصلاة وطوراً يحمل الميت عَلَى ظهره بكل مافي جناحيه الواسعين من قوة . وانا لنشاهد هذا النسر عَلَى القبور الرومانية في عصر الامبراطورية بحيث يدعو ذلك الى الظن بان النسر السوري قد نقل عَلَى هذا الوجه الى المدافن الرومانية ومنه نشأ الرمز الامبراطوري اي علم النسر الذي تحمله الكتائب . اما وجود النسر في القديم فذلك لانه يعتبر في بعض الاديان السامية خادماً للشمس وهو الذي يحمل اليها الارواح التي انفصلت عن الاجسام المستعبدة عَلَى الارض . وانتقل هذا المعتقد السوري الى رومية حيث كانوا يذهبون الى ان النسر يحمل الامبراطرة الى السماء . والنسر هو الحيوان المقدس للرب المشتري دام هذا الاعتقاد طويلا وقد عثر عَلَى مسلة من القرن الرابع تمثل صورة امبراطور يسير في النعش وامامه نسران يدلانه عَلَى الطريق وكانت هذه الحالة امتيازاً للقياصرة يمتازون به عن الشعب . وهكذا نرى نفوذ الاديان السامية الاولى مؤثراً في معتقدات العالم الروماني

الحركة التجارية في روسيا

يؤخذ من بيانات سنة ١٩١٠ في روسيا ان روحاً جديدة اخذت تدب في التجارة ففي تقرير ادارة الرسومات عن ستة الاشهر الاولى من السنة المذكورة انه بلغت الزيادة في اثمان البضائع الداخلة الى البلاد مايربو عَلَى ١٢٥ مليون ريال . والاصناف التي زاد ورودها بكثرة هي الحديد والخشب وزادت صادرات الجلود ٢٥ بالمائة عما كان عليه والمعلوم ان زيادة طلب الحديد دليل على حركة صناعية

تجارية فالقسم الاوفر من الحديد هو لمد خطوط حديدية ففي سنة ١٩٠٨ زيد الى مجموع ما عند روسيا من الخطوط الحديدية ٢١٥ ميلاً وفي سنة ١٩٠٩ زيد ١٣٧ ميلاً واما في الستة الاشهر الاولى من سنة ١٩١٠ فقد زيد الى مجموع ما عندها من السكك الحديدية ٢٧٥ ميلاً وهي عازمة الآن على بناء ٣٠٠٠ ميل

الانتفاع بالكلاب بعد التربية

الكلاب من جملة الوسائل التي تتخذها جمعية الصليب الاحمر لتخليص الجرحى من ساحة الحرب ولفرع الجمعية في فرنسا ادارة خاصة بتربيتها لهذه الغاية فهم يعلمونها ان تفتش عن الجرحى في الليل او اثناء النهار فاذا حظي احد هذه الكلاب بجريح يأتي اما بندقيته او قبعته الى حيث يقيم الراهبات فعندها يرشد جماعة منهن الى مكان الجريح وقد اتخذ المدربون لتلك الكلاب الوسائل الفعالة في تمرينها حتى لا تنبح عندما تظفر بجريح لئلا تزعجه بنباحها واما في المانيا فهم يمرنون الكلاب على ان تقيم بجانب الجريح عندما تظفر به وتنبح الى ان يأتي من يأخذه من جماعة الراهبات

ساعة من الزهور

زار حديثاً الموسيو فالير رئيس جمهورية فرنسا مدينة بيرن من اعمال سويسرا وهي من اشهر المدن في العالم لصنع الساعات فتقدمت اليه ساعة مصنوعة من الزهور الطبيعية قطر دائرتها ٦ اقدام وهي معمولة من البنفسج والشقائق وعقاربها من زهور مختلف لونها عن لون دائرتها والارقام من زهور يختلف لونها عن الجميع والزهور كلها مغروسة في اصاصي « علب » صغيرة وقد احكم صانعها ضبط حركتها الى درجة انها لا تقل في ضبط الوقت عن احكم الساعات

ازالة الثلج

البخار احدث طريقة لازالة الثلج عن الخطوط الحديدية وذلك بتوليد البخار في المحطة يسحب في انبوبين من حديد يمر كل واحد منهما تحت احد قضيبي السكة فاذا نزل الثلج يذوب لحماوة الحديد

الموسيقى عن بعد

وفق حديثاً احد سكان سان فرنسيسكو قاعدة ولاية كليفورنيا من الولايات المتحدة لان ينقل صوت الفونوغراف بواسطة التلفون الى مسافة ٥٠٠ ميل وقد جرب ذلك

جماعة من الخبيرين بفن الكهرباء فكان الكل يسمعون صوت الفونوغراف عن بعد يخرج الالحان بكل وضوح

اكبر مزرعة حمام في العالم

اكبر مزرعة لتربية الحمام في العالم هي في ولاية كليفورنيا وهذه المزرعة مؤلفة من ثمانية افدنة من الارض شيدت عليها حظائر الحمام . وقد بلغ عدد ماتنتجه من الحمام ٤٥٠،٠٠٠ طير في السنة لايقل عدد المفرخين منها عن ١٠٠،٠٠٠ طير ومعدل الثمن الذي يباع فيه ذلك الحمام من ريالين الى اربعة ريالات ومع ذلك فلم تعد بفائدة عظيمة على صاحبه لكثرة مايتكبده من النفقات فهي كل يوم تأكل ٦٠،٠٠٠ اوقية انكليزية من الحبوب عدا اجور المستخدمين الذين يقومون بخدمتها و يحافظون عليها وعلى صغارها من الجرذان والفيران والطيور الجوارح

الافيون

قالت مجلة الاجتماع الاميركية : بلغ ثمن ماصدر من الافيون من الهند الانكليزية الى الصين من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٩٠٤ ما قيمته ٨٥٢٢٠ مليون روبية اي اكثر من ١٠٠ مليون روبية كل سنة وكان كل ماربحته بلاد الهند من الافيون الصادر الى آسيا الشرقية عامة من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٩٠٦ ٤٣٦،٠٠٠،٠٠٠ جنيه وابتدأت تجارة الافيون في الصين سنة ١٧٦٧ فصادفت مقاومة شديدة من الحكومة والشعب الصيني معاً ولكن الحكومة الانكليزية ارغمت الجميع على قبول دخول الافيون الى بلادهم

المواشي والمراعي

اشتهرت اوستراليا بتربية الماشية وكثر عددها في تلك البلاد حتى اصبح الكلأ غير كاف لاطعامها فعمد الاستراليون الى سقي الاراضي لتنبت عشباً يفي بالمطلوب ولما كان ماء الانهر لايمكنه ارواء كثير من الارض حفروا آباراً ارتوازية فاصبحت الارض التي تسقى من ماء تلك الآبار ٣١،٠٠٠،٠٠٠ فدان .

اموال الانكليز

بلغت الاموال التي اقرضها الانكليز الى غيرهم من الامم حتى آخر السنة الماضية ٢،٦٩٣،٧٣٨،٠٠٠ جنيه ودخلهم منها ١٣٩،٧٩١،٠٠٠ وقد اقرضوا في السنين الثلاث الاخيرة مابلغ مجموعه زيادة على المجموع السابق ٥١٦ مليون ليرة انكليزية فبلغ

ما اقرضه الانكليز لسكان الولايات المتحدة ٦٨٨ مليون جنيه وما اقرضوه للجمهورية الفضية ٢٦٩ مليوناً وللمكسيك ٨٧ مليوناً وللبرازيل ٩٤ مليوناً ولشيلي ٤٦ مليوناً ولاوراغي ٣٥ مليوناً ولبيرو ٣٢ مليوناً ولسائر جمهوريات جنوبي اميركا ٢٣ مليوناً ولمصر ٤٤ مليوناً ولروسيا ٣٨ مليوناً وللدولة العلية ١٨ مليوناً ولاسبانيا ١٩ مليوناً ولايطاليا ١١ مليوناً ونصفاً وللبرتغال ٨ ملايين ولفرنسا ٧٠٠٧١٠٠٠٠ ج وللمانيا ٦٠٠٦١٠٠٠٠ ومجموع مايدينه الانكليز من اموالهم للبلاد الخارجية ١٠٦٣٨٠٠٠٠٠٠٠ ج . وللمستعمرات والهند ١٠٥٥٤١٥٢٠٠٠٠ ج . او ثمانون مليار فرنك هذا مع ان المشهور بان فرنسا اكثر الدول غنى واوسع الامم في بسط يدها بالدين لمن يريد مع ان ديونها لاتبلغ سوى اربعين مليار فرنك اقرضتها لغيرها في البلاد الخارجية

الجرذان

لاشك في ان الجرذان تسبب كثيراً من الامراض الوافدة كالطاعون فقد فكر الكثير في طريقة لمحوها مع ان البوم يفتك في عدد وافر منها كل سنة ومع الاسف ان الصيادين في اميركا يقتلون كل ماعثر الواحد منهم عليه ففي فرنسا والمانيا حموا هذا الطير عدو الجرذان الطبيعي فبرهنت التجربة فائدته للزارعين والصيادين معاً

اكبر مرساة

اكبر مرساة في العالم وزنها ٢/١ ١٥ طناً ووزن سلسلتها ١٠٠ طن وهي لاكبر باخرة في العالم عرضت في معرض الهندسة والمكانيكيات في لوندرا

مطاعم الاولاد الصغار

لاشك في ان الاولاد الصغار احوج من غيرهم الى الاطعمة الوافرة الغذاء ولكن هذا لايتيسر وقت الظهر لاغلب اولاد المدارس العمومية في المدائن الكبرى لعدم استطاعة الاولاد الذهاب الى بيوتهم لتناول الفطور وجلهم من أُسرات فقيرة لاتستطع ان تطعمهم في المطاعم قرب المدرسة شيئاً من الطبخ لغلاء اثمان الطعام فيها فهم يعطون اولادهم بضعة دريهمات يبتاعون بها شيئاً من الكعك والشاي والقهوة او الشوكلاته ليسدوا بها رمقهم ففكرت الآنسة مابيل كتير من الشهيرات بفن تدبير المنزل العملي في حال اولئك الاولاد وان هذا الطعام لايقوم بما فيه من الغذاء بحاجة اجسامهم فطلبت الى لجنة المعارف في مدينة نيورك بان تجرب مطعماً في احدى المدارس العامة بتناول

فيه الاولاد فطورهم من الخبز مع البطاطا او البندورة او المكرونة مع البندورة او ما تيسر من انواع الخضر مطبوخاً مع اللحم لقاء ثلاث (سنتات) يدفعها كل طفل فرخصت لها لجنة المعارف واعدت لها غرفة ومطبخاً في احدى المدارس فابتدأت تلك الآنسة بعملها وكانت تحسب النفقة والدخل بكل دقة فكانت النتيجة انها لم تكلف ادارة المعارف سوى عطلة المحل ومصروف الغاز والماء وفحصت ادارة الصحة العامة بعد ثلاثة اشهر من ابتداء العمل اجسام الاولاد الذين كانوا يأكلون في هذا المطعم واجسام الاولاد الذين كانوا يكتفون من الفطور بشيء من الكعك والشاي او الشوكلاتة فوجدت ان صحة الاولين احسن من الآخرين وزاد معدل وزن الآخرين بنسبة عشرة الى خمسة الى زيادة وزن اجسام الآخرين · فطلبت ادارة المعارف الى الآنسة المذكورة بان تؤلف لجنة تحت ادارتها وتوسع نطاق عملها الى عدة مدارس وخصصت لها في ميزانية المعارف ١٥٠ ريالاً كل سنة على كل مدرسة تؤسس فيها مطعماً لتقوم بالعجز اه ملخصاً عن مجلة الآورلوك

ثروة الامم

نشرت احدى المجلات الايطالية مبحثاً في ثروة يابان وقاستها بامم الحضارة اليوم فتبين منها انها افقر الدول الكبرى بأسرها فاذا حسبنا مجموع ثروة يابان نجد انها اذا ملكت مئة فان ايطاليا تملك ٢٦٩ والنمسا ٣٨٤ وروسيا ٥٥١ والمانيا ٦٨٣ وفرنسا ٧٤٣ وانكلترا ١٠٠٨ والولايات المتحدة ١٣٩٧ وما من دولة كثرت ديونها مثل مملكة الشمس المشرقة فانها تبلغ ٢٢ في المئة من مجموع ما تملك عَلَى حين يبلغ دين ايطاليا ١٧ في المئة وروسيا ١٤ وفرنسا ١٤ والمانيا ١٠ والنمسا ٧ وانكلترا ٧ والولايات المتحدة ١ واذا كان الفرد الياباني يملك ١٠ يانات مثلا فان الايطالي يملك ٢٣ والنمساوي ٢٨ والالماني ٤٢ والفرنساوي ٤٢ والانكليزي ٥٢ والاميركاني ٧٣ · وما من بلد في الارض تكثر فيه الضرائب عَلَى الرعايا (ماخلا البلاد العثمانية) مثل يابان فان الفرد فيها يدفع ١٢ في المئة من ايراده اما الايطالي فانه يدفع ١٢ و ٢ في المئة والنمساوي ١١ و ٣ والفرنساوي ٩ و ٧٠ والانكليزي ٨ و ٨٠ والالماني ٦ و ٣٠ والاميركي ٣ و ٣٠

الجهر بالقراءة

من محاضرة للمسيو اميل بوترو احد شيوخ العلم في فرنسا في هذا الموضوع ما تعريبه : من انجع الوسائط المختلفة في التعليم والتربية عَلَى ما ارى القراءة بصوت عال · ولطالما ذكرت تلك المطالبات التي كان يتلوها علَى مسامعنا في صبانا احد الاساتذة الماهرين في

التلاوة آونة الفراغ · وتأثير البيان كل يوم في نفوس الناس مشاهد محسوس فاذا تركنا التمثيل جانباً الآن الا نرى ان القاء الخطيب لخطابه يزيد في تأثيره في القلوب · الا تلاحظون كيف يعنى الاستاذ عند ايراده جملة من الكلام البليغ يذكره بالصورة التي تلي بها

فلقد ادرك القائمون عَلَى التربية في كل زمن مكانة الجهر بالتلاوة فكان في آثينة اول معلم يتولى تربية الطفل رجلاً يعرف قليلاً من النحو كانت مهمته الاولى ان يدرسه اقوال الشعراء فكان يترقى بالتدريج في انشاد جملة بعد جملة من كلام هوميروس او از يودوس والتلامذة يرددون مايقول وكانت تلاوة الاسفار المقدسة في الكنائس المسيحية بصوت جهوري من اهم الاجزاء الجوهرية في العبادة في كل زمن · ونرى اليوم علماء التربية قد اقروا عَلَى فائدة التلاوة الجهرية · واتفق لي ان تأكدت ما لهذا التمرين من الشأن في المداس الالمانية فان له ولاسيما في مدارس البنات الشأن الاول فيقصدون ان ينبهوا في العقول الشعور الوطني بتأثير النطق والمهارة في انتقاء الكلام وتنبيه الافكار الى الشعور بالجمال وبيان مكانة المؤلفين من الذكاء

وما برح عندنا (فرنسا) اجل رجال الادارة والتعليم والصحافة يعنون كل العناية ببعث النفوس في المدارس عَلَى حب القراءة فقبلت وعملت في هذا السبيل امور جميلة من العبث ان تحدثوا بها واكتفي في هذه المسامرة ان ابين تأثير القراءة الجهرية وكيف ينبغي للقارىء ان يقرأ حتى يتجلى هذا التأثير فاقول : ان القراءة تبعث في الخطاب روحاً · وفي هذه الكلمة جواب سؤالنا الاول ولكن ما هو سر هذه الحياة واي معنى لهذه الاستعارة ؟ فقد شبه افلاطون الخطاب بالتصوير في قوله : « ان الحال في الكتابة كما هو في التصوير فان الصورة تتراءى للانظار حية ولكن اذا سألتها لاتحير جواباً وهكذا الحال في الخطب المكتوبة فاذا سمعتها تظن انها تفكر ولكن اذا سألتها بعض ايضاح عن الموضوع الذي تخوض عبابه تجيبك جواباً واحداً ابداً · وان خطاباً اذا اهين واحتقر ظلماً يحتاج على الدوام لمعونة من ابي عذره اما هو فعاجز عن الدفاع عن نفسه »

ومعنى ذلك ان المؤلف اذا لم يكن مستصحباً لكلامه لافائدة من تصوراته فهو اذا تلا كلامه يحفظ في ذهنه حوادث وافكاراً واحكاماً وتجارب وتحقيقات ادت به الى تلك النتائج ولذلك تحف حول كل فكر عبر عنه بالكتابة مواكب غير مرئية من الافكار التي تشرح

الكلام وهي من توابعه . والخطاب المكتوب وحده لا يقوم بالافصاح عن تلك المعاني المستترة وصوت الانسان هو الكفيل باثارة فكر الحضور عَلَى الانتباه لما فيه من الدقائق فان الوفًا من صور الكلام ليست سوى شروح تعين على ادراك القصد من الافكار والصلات بينها وتعارض الاشكال وتقاربها والصورة الخاصة بالاشياء والغاية التي ينتهي اليها الفكر بل هو العمل بذاته الذي انصرف اليه الكاتب الذي يتجدد في فكر القارئ والمستمع بل هو الذكاء الراقد في غشائه المادي يتنبه ويحيي النفس . هذا هو التأثير الاول من الجهر بالتلاوة وهو من آكد الطرق وافعلها في تفهيم الكلام بجلاء والتعمق في اسراره .

لا ادري ما في الصوت البشري من سر يرسل الى الانسان فيبلغ شغاف قلبه . هذا السر اشبه بما يسمى في الطبيعيات الاهتزازات الحادثة في آن واحد . فترى القارئ والسامعين يهتزون معاً واضطراب الاول يفعل في الآخرين وبالعكس وبتأثير العقل الذي يذكرون صنعه تنشأ هذه الظاهرة فهو الذي يحيا فيهم وحبه للحقيقة والجمال وها اصل المكتوم من افكاره ينبعث في روح احبابه . وهكذا لا يفهم القارئ غيره بل يحبب المؤلف الى سامعي كلامه فبسماع صوته يضيع اللسان المكتوب ماله من الكثافة والمادة ويغدو رمزاً خالصاً ويتسرب بالتدريج الى النفوس الباحثة ويصبح كالصلة والعائد بين تلك الارواح نفسها . وبينا تترنح الاعطاف تنفتح ابواب النفس عَلَى ما ينبغي ويشرع العقل يخاطب عقلا آخر مثله

وعَلَى هذا فان التلاوة بصوت جهوري تعلم وتشعر بنشاط غريب . وما الفهم والشعور بقوة الا باعث عَلَى الارادة الا قليلا ومن صحت ارادته كان حرياً بان يبدأ بالعمل . فمن تلاوة المصنفات الجليلة تنشأ افكار سامية يكون من اثرها ان نرقى نحن الى مستواها ونتفهم مغازيها فتفعل في افكارنا وافعالنا

اما كيفية القراءة فقد قال لي رجل مشهور بالتفنن والرياضات ان احسن الطرق لاجادة القراءة هو ان يتلفظ الانسان عَلَى وجه الصحة محافظاً عَلَى المخارج بحسب ما يعطيه الكلام والخطاب يفعل في النفوس كما تشاء ويفكر فيه الذهن بذاته وان من يحاول ان يشرح فكر المصنف يحشر نفسه بينه وبين المؤلف حشراً عَلَى غير داع . ولمثل هذا الفكر انشأ بعض نوابغ الشعراء منذ بضع سنين تمثيل روايات اللعب المعروفة بـ Marionnette حرصاً منهم عَلَى سلامة هذا الفن وممثلو هذه القصص لا يحاولون عَلَى الاقل ان يقوموا مقام المؤلف .

ومن المحقق ان الواجب ان يقرأ ما في النص وان لا يحاد عما فيه فان بعضهم يحرفون ما يجدونه مسطوراً امام اعينهم خفة منهم او عادة لهم الفوها ان يكتفوا بما حصل او لقلة لين في ملكتهم او لاهتمامهم بالموضوع تاركين ما تقضي به الامانة للتأثير في فكر السامع بقدر ما يعطيه الكلام .

وانه ليحرم على المربي ان يزيد وينقص من عنده ليلفت بذلك النظر الى نفسه كما يفعل بعض الممثلين فيزيدون من عندهم لحة منهم واعتداء ليجوزوا استحسان الحضور لهم . وان ينجح مرب يقصد من تلاوته عَلَى تلاميذه ان يعجبوا بقريحته وكذلك لا تكون تلاوته لتسلية سامعيه كما يفعل بعض العامة فان الافكار العالية واللهجة الجميلة ليست من ادوات السرور والحظ بل يتوخى فيها ان يشترك سامعها بالحياة العالية المنبعثة من فكر قائلها . وليس للقارىء ان يتطلب اعجاب السامعين به فيصفقوا له ويشكروه بل عليه ان يفنى امام من ينقل قوله بلسانه فيكون لسان حاله الامين فقط وهو وسامعوه عَلَى مستوى واحد من هذه الوجهة فليس له الا ان ينكر نفسه وبذلك يضمن له النجاح .

ولا تتأتى للقارىء افادة سامعيه الا اذا شعر بما يقرؤه واحبه ليحببه الى النفوس اما التصنع من المربي فهو اسلوب مضر متى فاجأه فيه تلاميذه تفقد منه الثقة والالفة اللتان هما شرط في نفوذه عليهم وليس اجدر من السير مع الفطرة والطبع في التلاوة وان يتحد بروح المؤلف وذاته وجوهره

ينظر في كلام المؤلفين الى العصور التي قالوها فيها ليعلم انهم ثمرة تلك القرون التي عاشوا فيها فلا يأبى عليهم القارىء ذلك لئلا يخدعهم ويغشهم ولكن كلام الاعاظم نافع في كل زمن لانهم يكتبون كتابة تنفع عَلَى غابر الدهر يكتبون والمستقبل نصب اعينهم متوخين الكمال المطلق وعَلَى هذا فعلى القارىء ان لا يكتفي بابلاغ احساسه الخاص بل ان يظهر الامور التي يذهب الكاتب عَلَى جليتها ولا يتيسر له ان يستعبد سامعيه الا اذا خاطب حواسهم كما يخاطب قلوبهم واذهانهم وان يبهجهم بثقة لسانه ولا يفوته ان الالسن خلقت لتتكلم فقد كتب البشر اللغة المحكية قبل ان ينطقوا باللغة المكتوبة

ولجودة الصوت شأن عظيم في التلاوة فالواجب ان تخرج الكلمات عَلَى ايسر وجه ورنين واطلاق وان يتلو الانسان منتصباً عَلَى رجليه ما امكن او مستنداً عَلَى مؤخر كرسيه وان يخرج الكلام بقدر ما يعطي من دون اكراه ويكون جرسه ... حياً

لطيفاً رخيماً · وغريب كم للطف الصوت من تأثير في مجامع قلوب السامعين واعدادهم لتلقي الافكار فان من اهم الاجزاء الجوهرية في الالقاء جودة التنفس فالواجب ان يكون التنفس حرًا لاقليلاً ولا كثيراً لطيفاً لا يشعر به ·

ثم تجب العناية بالتلفظ ومعلوم كم هو ينفع ويضر · ورب خطاب جميل اضر به فساد اللفظ ولاختلاف التلفظ في علائق الناس نفوذ حقيقي كثيراً مالايقبل النسبة مع قدر هذا الخلق العقلي · والتلفظ عَلَى وجه عام يدل عَلَى المحيط الذي عاش فيه الانسان والقدر من التربية التي بلغها فهو نمام ينم عليك لمن لم يعرفك · اذاً فينبغي صرف الجهد ان يكون اللفظ صريحًا صحيحًا ظريفًا · واهم جزء في هذا الباب اخراج الحروف من مخارجها وهناك امر له دخل في احسان التلاوة وهو الاجمال اللائق بالكلام واظهاره في مظهر متناسب مع سائر اجزاء الخطاب فيجب اولاً ان يضم مايجب ضمه ويفصل ما يمثل من الجمل افكاراً متخالفة فيتردد التالي بين الوصل والقطع في العبارات فالوقف المهم ينمّ عليه اللفظ · قال كوت Got ان الوقف واخراج الحروف من مخارجها هما من اهم الشروط الاساسية في جودة القراءة · وكم من وقف يقوم مقام وصل ففي اللفظة الواحدة تنجذب المخارج المختلفة الى واحدمنها وتنقطع الجملة بعد كلمة او بضع كلمات والقطعة بعد جملة والخطاب بعد ايراد بعض افكار عامة · وتجب اجادة النغمة وتنويعها على ما يليق بنظام وقلة تكلف ويعمد في الاحيان الى السذاجة في النطق عَلَى الترتيل والتلحين وان يتأنى في الالقاء لئلا يطيل المرء الخطاب عَلَى السامعين من حيث يريد اختصاره · ويزن الكلام فيبدأ بعد الوقف بسكون ثم يجهر رويداً رويداً فان الوزن قانون الحياة اذا وقع تطبيقه في الخطاب يملك صاحبه نفوس المخاطبين ويستهويهم ويدب الروح فيما يعرضه على مسامعهم

وينتج من هذه الملاحظات سواء كانت علمية او عامة انه لاتتأتى القراءة بصوت عال بدون ان يعد القارئ ما يريد تلاوته فان الارتجال في القراءة كما قال كوت لتلاميذه هي الليالي القمراء في الخطاب اي ان نورها مشكوك فيه لا تظهر كل حين

ولا يجب ان يستعد القارئ فقط بل ان يعد سامعيه ايضاً فيبدؤه باعطاء مايلزم من الشروح ثم يتلو بلا انقطاع فان الشرح اثناء الالقاء ينقص من بهجة الكلام · ويستدل القارئ عَلَى نجاحه في تلاوته من السكوت وقلة الحركة بين الجمع المستمع فاذا سادا فهناك الاستحسان والا فان الجلبة والحركة لاتنشآن الا من توزع النشاط الذي لاسبيل اليه بين اناس منتبهين حقيقة

تطهير الغرف

جربوا في احدى المدارس بانكلترا طريقة لتطهير الغرف وذلك انهم يبلون كمية من نشارة الخشب بسائل مضاد للعدوى فتنثر تلك النشارة في ارض الغرفة مساءً وعند الصباح تكنس فكانت النتيجة ان صحة التلامذة والمعلمين تحسنت عما كانت عليه ٠

الفقر في انكلترا

ذكر بعض علماء الاحصاء ان انكلترا قد نهضت منذ اربعين سنة كما نهضت البلاد الأُخرى في العلم والصناعة والتربية وتدبير الصحة والاسعافات والمعونات فهي وحدها تنفق عَلَى التربية والصحة واعانة البائسين اربعين مليون جنيه بالنسبة لسنة ١٨٧١ وكان يرجى ان تخفف هذه النفقات الشقاء ولكن الامر زاد تفاقماً عَلَى العكس فكانت انكلترا تنفق سنة ١٧٧٦ — ١٥٥٧٠٠٠ جنيه في السنة عَلَى الفقراء فصارت تنفق سنة ١٩٠٦ — ١٤٢٧٨٦٠٠٠ ج وهي اليوم تعول ١٧٠٠٠٠٠ من السكان منهم ٥٣٨٠٠٠ تعولهم مدى حياتهم و ٥٣٠٩٠٠ تعولهم مدة طويلة و ٦٤٠ الفاً تعولهم من شهر الى سنة ٠ وان البالغين من الرجال منذ السنة السادسة عشرة الى الخامسة والستين المحتاجين للمعونة ليزيد عددهم اكثر من النساء ومن الدواعي الى ذلك كثرة انهيال الناس من القرى الى المدن ٠ ويرى الكاتب ان انكلترا تساعد عَلَى انتشار البؤس بما تمده الى اهله من المعونات فيكسلون ويرتكبون المحرمات عَلَى انها اذا سنت قانوناً للشيوخ تقل في بلادها بواعث الشقاء بالتدريج

الحسبة في الاسلام (١)

نشرت المجلة التونسية الفرنسوية مقالة في الحسبة جاء في خاتمتها ان العرب باختلاطهم مع الرومانيين والبيزنطيين والفرس والهنود صفت اذهانهم واقتبسوا الصناعات والفنون وهكذا جلبت الى افريقية انواع القرميد الملون والاقمشة الحريرية والجوخ الدقيق والالبسة الجميلة ونقل العبيديون الى القيروان وتونس صناعات مصر ٠ وجاء بعدهم ملوك الصنهاجيين ولا سيما الامير ابو الحسن بن علي بن تميم المعز بن باديس وبعد ان عقدوا هدنة مع ملوك النصارى في صقلية اخذوا يتبادلون الهدايا والاعلاق النفيسة وذلك سنة ٥٢٩ هـ ٠

وانشأ بنو حفص في تونس ابنية جميلة ونشروا العلوم والصناعات وملأُوا خزائن

(١) راجع المجلد الثالث من المقتبس ص ٥٣٦ و ص ٦٠٩

الكتب بالاسفار الكثيرة فوهب ابو زكريا الحفصي ٣٦ الف مجلد من كتبه وانشأ المدارس ومنها مدرسة الشماعين ومسجد القصبة ومنارته الحالية حيث لايزال اسمه منقوشاً عَلَى حائطها الى اليوم وهو الذي انشأ الاسواق الموجودة الى عهدنا في تونس والمتأفقة الشهرة فانشأ سوق العطارين والشوسة اى سوق الحفصي ومات سنة ٦١٤ هـ في غنى ونعمة٠

وفي ايامه نزح الى تونس اناس من الاندلسيين ممن طردوا من اسبانيا فاكرم عثمان باي وفادتهم ومد المحتسب لهم يد المعونة فجعل فقراءهم عند اناس من اهل البلاد يعملون لهم واذن لغيرهم ان يسكنوا حيث ارادوا٠ فابتاع اولئك النازحون املاكا واسعة واراضي ذات ينابيع غزيرة وانشأوا فيها ابراجاً وتناسلوا ونزل معظمهم مدينة تونس بحيث يسوغ لنا ان نقول انهم مدنوا اهلها بما حملوه اليهم من مدنيتهم وصناعاتهم٠ بل قد أسسوا مدناً مهمة مثل سليمان وبالي ونيانو وقرومباليا وتوركي وجديدا وزغوان وطوبوربه وجريش الواد(؟) ومجاز الباب وتاستور وسلوقية والعالية وقلعة الاندلس وغرسوا الزيتون والتين وانشأوا الحدائق وعمروا الطرق ودمثوها بما اتوا به من بلادهم الاصلية من محادل (ملاسة) وما برح هؤلاء المهاجرون الى اليوم يمتازون عن غيرهم وهم في تونس طبقة الاحرار٠

وقد انتهت الحال بان جعلت بعض اعمال المحتسب في تونس بيد مجلس العشرة الاعيان وكلهم ينتخبون من اهل تونس ومن اصل اندلسي ماخلا اثنين يكون احدهما من صفاقس والثاني من جربة ويجب ان يكونوا كلهم من اهل المذهب المالكي ومن معلمي الشواشية اي صناع الطرابيش ماخلا الجربي والصفاقسي واليهم يرجع الامر في فصل قضايا التزوير في الشواشية والاشراف على عملها وان يكون صباغها جيداً وكان نقيب حرفة الشواشية تحت امرهم

وكان من خصائص مجلس العشرة النظر في غش البضائع وهو يحكم عَلَى الجيد منها والعاطل فيما اذا حدث اختلاف بين البائع والمشتري وذلك بوساطة امين التجار ولم يكن اعضاء هذا المجلس يقبضون راتباً ولا يحضر عضو جربة وصفاقس في مجلس العشرة الا اذا عرضت مسائل تجارية٠ وكان لاعضاء هذا المجلس امتيازات خاصة كأن يكون لهم حق التصدر عَلَى سائر التجار ويجلسون في بعض الاحوال بالقرب من الباي٠ وقد تولت محكمة العرف اليوم ما كان يتولاه مجلس العشرة سابقاً من امور الاحتساب يحكمون فيما يعرض من المسائل كما يحكم اهل الخبرة وهذه المحكمة مؤلفة من امين التجار وعشرة معاونين٠ وقد اخذ شيخ المدينة ينظر في بعض الاعمال التي كان يتولاها المحتسب

سابقاً فهو يرأس نقباء الحرف وحكمه لا يقبل النقض والابرام فيما يحدث من الاختلافات في مسائل الصناعات وهو المكلف بحجز اموال المفلسين و بيعها في تونس وتوزيع ماحصل من اثمانها عَلَى ارباب الديون عَلَى اختلاف تابعيتهم وهو يبيع الاملاك التي رهنها بعض التونسيين ومشايخ الحارات هم اليوم مضطرون الى ان يقدموا بياناً مطبوعاً بمن يولد و يتوفى في احيائهم من الوطنيين وهؤلاء المشايخ اليوم صورة مصغرة من المحتسبين امس

الانسان والمدنية

نشرت مجلة الاقتصاد الانكليزية مقالة جاء فيها انه يستدل من الاحصاءآت بان معدل تولد البشر اقل في الاغنياء مما هو بين الفقراء وانقص بين ارباب الاشغال العقلية مما هو بين الأميين ارباب الصناعات والعملة بحيث يسوغ لنا ان نقول عَلَى الجملة بان بين كثرة النفوس والمدنية عداوة حتى ان الحضارة يوم تبلغ اوجها لا يبقى عَلَى الارض احد يستمتع بها · وقد اوردت المجلة ارقاماً لاثبات حجة هذه الدعوى فقالت ان الامراض التناسلية هي في الاغنياء اكثر منها في الفقراء وفي المدن ولاسيما الكبرى اكثر منها في الارياف حتى انه ليتعذر من اجلها عَلَى النساء ان يلدن كثيراً او ان يكتفين بولد واحد · وكذلك يحدث مثل هذا التأثير من الامراض العصبية والعقلية التي هي تابعة لارتقاء المدنية كما يتبع الظل الجسم · والسبب الرئيسي في قلة الولادات قلة الرغبة في ان يرزق الناس اولاداً لان المدنية كلما تقدمت ينظر الى الاولاد بانهم حمل وضيق عَلَى ابويهم

طعام الاقوياء

قل من المسائل التي تضاربت فيها الآراء تضاربها في تعيين كميات الطعام وكيفيته عَلَى مايليق بالانسان وادت الابحاث الحديثة الى ان طعام الانسان يختلف باختلاف الجنس والمهنة والمناخ ولكن الدكتور سيبرت قد اجتاز هذا الحد وهو يؤكد بعد مشاهداته الشخصية مدة خمسين سنة لاشهر مصارعي اميركا ان كل انسان يحتاج الى طعام خاص به فقد قال من مقالة له ان اقوى رجل عرفه هو المصارع الشهير سيجفريد اتى الى محلي — لان الدكتور المذكور مؤسس محل يأتي اليه المصارعون و يعيشون تحت نظارته — وهو في العشرين من عمره و بعد ان تمرن مدة ثلاثة اشهر زادت قوته زيادة عظيمة وكان الطعام الذي يختاره لنفسه اغلب مايكون من الخضر والحليب والخبز مع قليل من اللحم وكان عشاؤه قليلاً من الحليب مع شيء من السكر وقطعة من الخبز مدهونة بزبدة

وعلى هذا الطعام اصبح على شيء من القوة في اطرافه وظهره جعلته من اشهر المصارعين مع قلة اشتهاره بالحذق وخفة الحركة وكثيرون ممن اعرفهم ارادوا ان يحذوا حذوه في طعامهم فكان اغلبهم يصابون بسوء الهضم وهكذا المصارع بيتروس باريوثر كان في صباه ولداً منبوذاً لا يأكل في اغلب الاوقات سوى شيء من الخبز الناشف لفقره وبعد ان قضى مدة في الخدمة العسكرية اتخذ الصراع مهنة وفي السابعة والعشرين من عمره اثبت انه اقوى رجل من وزنه فهو يرفع وزنه من الاثقال الى فوق رأسه سواء كان بيده اليمنى او اليسرى وهو معتدل في اكله يفضل الاطعمة البسيطة . وقد شاهدت كثيراً ممن يأكلون اكثر من هذين الرجلين ويتناولون اللحم بكثرة وهم دونهما بمراحل في القوى واحتمال التعب . اه معرباً عن مجلة العلم الاميركانية

تواريخ

المكتشف والمستعمر من البلاد والجزر في العالم

اكتشف كولمبس اميركا في ١١ تشرين الاول سنة ١٤٩٢ . اكتشفت جزائر (اندر ينوفزي) بين آسيا واميركا سنة ١٧٦٠ . استعمر البرتقاليون «انغولا» سنة ١٤٨٢ ثم استعمرتها انكلترا سنة ١٦٥٠ . ادخلت انكلترا غرس الشجر الى (انغولا سنة ١٦٥٠) . استعمرت انكلترا «أنتيفو» سنة ١٦٣٢ . اكتشف المكان المعروف بممر رئيس الملائكة سنة ١٤١٩ . استعمرت هولاندا جزيرة (اريوبا) سنة ١٦٣٤ . اكتشفت مملكة البرتقال جزيرة (ازورس) سنة ١٤١٩ . اكتشف خليج (بافن) سنة ١٦٢٢ اكتشفت جزائر (باهاما) سنة ١٦٥٩ واستحوذت عليها انكلترا سنة ١٧١٨ . اكتشفت (تبربروس) واستعمرت سنة ١٦١٤ . استعمرت انكلترا جزيرة (بربودا) سنة ١٦٢٨ . اكتشفت جزيرة (باريننفن) في حزيران سنة ١٧٩٣ . حصنت هولاندا مدينة باتافيا جزيرة في جاوه سنة ١٦١٨ . اكتشفت جزر (برمودا) واستعمرت سنة ١٦١٢ . بدئ باستعمار بوسطن (ماس) في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٠ . مرت مراكب الانكليز في خليج (باي) لاول مرة في ٢١ آذار سنة ١٧٨٧ . عمرت فرنسا جزيرة (بوربون) سنة ١٦٧٢ . اكتشفت برازيل سنة ١٤٨٦ وعمرها السبانيول سنة ١٥١٥ . ثم استعمرتها هولاندا سنة ١٦٢٤ . ثم تولتها برتقال سنة ١٦٥٤ . اكتشفت جزيرة بريطانيا نحو سنة ٩٠ للمسيح . عمرت (كالدونية) في اميركا سنة ١٦٩٩ . اكتشفت كلفرنيا في اميركا سنة ١٥٤٣ . اكتشف (قابون) كندا سنة ١٤٩٩ .

ثم اكتشفتها فرنسا سنة ١٥٠٨ · اكتشفت جزائر كاناريا سنة ١٣٤٤ واهدبت الى اسبانيا سنة ١٣٩٣ · اكتشف رأس بلانكو في افريقية سنة ١٤٤١ · اكتشفت بريطانيا رأس بريطانيا سنة ١٥٨٤ ثم استحوذت عليه فرنسا سنة ١٦٣٢ ثم استرجعته انكلترا سنة ١٧٤٥ ثم استرجعته فرنسا سنة ١٧٤٨ ثم استردته انكلترا سنة ١٧٥٨ · اكتشف رأس جزائر (ديفرد) سنة ١٤٤٧ · اكتشف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٧ واستعمرته هولاندا سنة ١٦٥١ · طافت السفن حول رأس (هورن) لاول مرة سنة ١٦١٦ · اكتشفت (كارولينيا) احدى الولايات المتحدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦٢٩ · اكتشفت جزائر (كريبني) سنة ١٥٩٥ · اكتشف كولمبس جزيرة (الهررة) في سنة ١٤٩٢ · استعمرت فرنسا جزيرة سابيني سنة ١٦٣٥ · اكتشفت جزيرة سيلان سنة ١٥٠٦ · اكتشفت جزيرة (خاتام) في حزيران سنة ١٧٩٣ · اكتشفت اسبانيا (شيلي) في اميركا سنة ١٥١٨ وغزاها الاسبانيون سنة ١٥٤٠ · يمم البرتقاليون الصين لاول مرة سنة ١٥١٧ وحكم في سنة ١٦٣٥ التتر بعض مقاطعاتها · اكتشفت جزيرة القديس خريستوفورس سنة ١٥٩٥ وعمرتها انكلترا سنة ١٦٢٦ · اكتشفت مملكة « الكونغو » سنة ١٤٨٢ واستعمرتها برتقال سنة ١٤٨٦ · استعمرت روسيا القريم سنة ١٧٨٤ · اكتشفت كوبا سنة ١٤٩٢ واستعمرت سنة ١٥١١ · استعمرت هولاندا (كوركوا) سنة ١٦٣٤ · استعمرت (دربيني) سنة ١٧٠٠ · اكتشف مضيق (دفس) سنة ١٥١٢ · اكتشف كولمبس جزيرة (ديسيدا) سنة ١٤٩٤ · اكتشفت جزيرة القديس (دومينكو) سنة ١٤٩٢ · اكتشف كولمبس « دومينيكا » في سنة ١٤٩٣ · اكتشفت جزيرة الشرق سنة ١٧٢٢ · اكتشف البرتقاليون شرقي الهند سنة ١٤٩٧ وأمها الانكليز في سنة ١٥٩١ ثم الهولانديون في سنة ١٥٩٥ ثم رهط من انكلترا سنة ١٦٠١ ورهط من فرنسا في السنة نفسها ثم رهط من الدنيمرك في سنة ١٦١٢ · اكتشفت جزائر (فولك لاندا) في سنة ١٥٩٢ · اكتشف « القبطان قابون » فلوريدا في اميركا سنة ١٥٠٠ واستعمرت سنة ١٧٦٣ اكتشف « مضيق مرو بشير » سنة ١٥٥٨ اكتشفت جزيرة الثعالب في شمالي المحيط الباسيفكي سنة ٧٦٠ · اكتشفت جزائر « كالاباغوس » سنة ١٧٠٠ انس القائد (اوغلترب) مستعمرة جورجيا الولايات المتحدة سنة ١٧٣٩ · استعمرت هولاندا جزيرة كوري سنة ١٦١٧ · استعمرت فرنسا جزيرة « غرنادا » سنة ١٦٥٢ اكتشفت (غرنيلاندا)

في سنة ١٥٨٥ واستعمرت في عامي ١٧٢١ و١٧٣١ · اكتشف كولمبس جزيرة (غودلوب) سنة ١٤٩٣ واستعمرتها فرنسا سنة ١٦٥٣ اكتشف البرتقاليون شاطئ « غينينا » سنة ١٤٨٢ وباشر القبطان هاوكن في «انفلشمن» من نواحي ذلك الشاطئ بتجارة الدقيق سنة ١٥٦٣ اكتشفت جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٥٠٢ وملكتها انكلترا سنة ١٦٠٠ وعمرتها سنة ١٦٥١ اكتشفت جزيرة « هودو » في المحيط الباسيفيكي في حزيران سنة ١٧٩٣ اكتشف القبطان هدسن خليج هدسن المسمى باسم مكتشفه سنة ١٦٠٧ اكتشف « ايسلاندا » احد قطاع البحر من الدنيماركيين سنة ١٨٦١ اكتشف كولمبس « جاميكا » سنة ١٤٩٤ واستعمرها الاسبانيون سنة ١٥٠٩ اكتشفت يابان سنة ١٥٤٢ وزارها جماعة من الانكليز سنة ١٦١٢ اكتشف الروسيون « كامتسكاتكا » سنة ١٧٣٩ اكتشفت جزائر «لدرن» سنة ١٥٢١ اكتشفت جزيرة « لي روتش » على مقربة من جزيرة « فوكلند » السابق ذكرها سنة ١٦٣٧ اكتشف الفرنسيس «بوزيانا» في الولايات المتحدة غربي نهر مسيسبي العظيم سنة ١٦٣٣ واستعمروها سنة ١٧١٨ وسلموها الى الولايات المتحدة او تنازلوا عنها سنة ١٨٠١ اكتشف البرتقاليون مدغسكر سنة ١٥٠٦ اكتشفت جزيرة (مديريا) في سنتي ١٣٤٤ و١٤١٨ اكتشفت « نعلان » سنة ١٥٢٠ اكتشفت جزيرة « مرغلانته » سنة ١٤٩٣ استعمر اللورد بلتيمور « مركندا » سنة ١٦٣٣ و بلغت نفقات استعماره ٤٠٠٠٠ ليرة انكليزية اكتشفت جزيرة « موريتوس » سنة ١٥٩٨ واستعمرت سنة ١٧٢١ حكم الاسبانيون المكسيك سنة ١٥١٩ = ١٥٢١ اكتشف منتريال كندا سنة ١٥٣٤ واستعمرت سنة ١٦٢٩ اكتشف كولمبس «مونتسرت» في غربي بلاد الهند سنة ١٤٩٣ واستعمرتها انكلترا سنة ١٦٣٢ استعمرت انكلترا « نيفس » سنة ١٦٢٨ اكتشفت « كلدونية » الجديدة سنة ١٧٧٤ استعمرت انكلترا الجديدة سنة ١٦٢٠ اكتشف قابوت « فونلندا » الجديدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦١٤ اكتشفت « غيونيه » سنة ١٦٩٩ اكتشف الهولانديون «هولاندا» الجديدة سنة ١٦٢٧ واستعمرتها انكلترا سنة ١٧٨٧ استعمر الاسوجيون « نيوجرمي » في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٧ اكتشفت اسبانيا المكسيك سنة ١٥١٨ اكتشفت « زيلاندا » الجديدة في سنة ١٦٦٠ ثم في سنة ١٧٦٩ · بنيت « بليموث » واستعمرت سنة ١٦٢٠ استعمرت نيويورك في الولايات المتحدة سنة ١٦٦٤ اكتشف الممر الشمالي الشرقي الى روسيا سنة ١٥٥٣ استعمرت « نوفا سقوتية » سنة ١٦٢٢ اكتشفت نوفازمبية سنة ١٥٥٣ اكتشفت

جزائر جورجيا الثلاث في ١٨ حزيران سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة « هايها » حيث قتل القبطان كوك سنة ١٧٧٨ اكتشف خرائب مدينة النخل في صحراء سورية سنة ١٦٧٨ استعمرت « باناما » سنة ١٥١٦ اكتشفت « بارغواي » سنة ١٥٢٥ استعمرت بنسلفانيا الولايات المتحدة سنة ١٦٨٠ اكتشفت « بيرو » سنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيون جزائر فيلبين سنة ١٥٢١ اكتشف مضيق « بث » في غربي الهند في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٠ اكتشفت « بورتوريكو » سنة ١٤٩٧ استعمرت هولاندا « سابا » سنة ١٦٤٠ استعمرت « سالم ماس » في الولايات المتحدة سنة ١٦٢٨ اكتشفت جزائر « سندويش » في المحيط الباسيفكي سنة ١٧٧٨ استعمرت سفانا سنة ١٧٣٢ اكتشف شاطئ « سيراليون » سنة ١٤٦٠ اكتشفت جزائر « سوشي » في المحيط الباسيفكي سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة سليمان في اميركا سنة ١٥٢٧ اكتشفت جزائر سومور سنة ١٥٢٧ اكتشفت هولاندا جزيرة القديس « يوستينس » سنة ١٦٣٢ اكتشف نهر سانت لورانس واستعمره الفرنسيس سنة ١٥٠٨ اكتشفت جزائر سوفولك سنة ١٧٦٤ استعمرت انكلترا « سورنيم » سنة ١٧٦٤ واستعمرت (سورت) سنة ١٦٠٣ اكتشفت جزائر « ثاتي » شرقي الهند في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٥ استعمر الهولانديون « توباغو » سنة ١٦٤٢ اكتشف الاسبانيون جزائر بترقارس سنة ١٥٨٣ استعمر الاسبانيون « بترافيرمه » سنة ١٥٢٤ اكتشفت جزيرة « ترانيداد » سنة ١٤٩٨ استعمرت روسيا « برقرثي » سنة ١٧٥٢ اكتشف السر والتر فرجينيا سنة ١٥٨٤ اكتشف كولمبس غربي الهند سنة ١٤٩٢ اميركا : يوسف جرجس زخم

تفنن العرب

صرح احمد بك زكي في المؤتمر الدولي الذي عقد في الشهر الماضي بمصر لتحسين حالة العميان ان علماء العرب قد سبقوا الاوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب « نكت الهميان في نكت العميان » لصلاح الدين الصفدي وقال انه يرجع الى ابن الشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان واذا كان المسيح عليه السلام يقول اعطوا ما لقيصر لقيصر فيجب ان نعترف بان اول مخترع لطريقة الكتابة بالحروف البارزة هو شرقي عربي هو عَلَي بن احمد بن يوسف بن الخضر المشهور بزين الدين الآمدي الذي فقد بصره في اول عمره وشرع بطريقة رفته لاثمان جميع الكتب التي كانت في مكتبته انه كان كما

83

اشترى كتاباً الف ورقة عَلَى شكل حرف من الحروف ولصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هي التي يستعين بلمسها عَلَى معرفة ثمن الكتاب واستطرد الى القول بان زين الدين الآمدي المتوفى سنة ٧١٢ هجرية او ١٣١٢ ميلادية سبق «برايل» الى اختراع طريقة الكتابة بنحو ستمائة سنة لان برايل الفرنسي لم يخترع طريقته الا منذ ستين عاماً فقط

قلنا وعجيب تفاني المصريين في احياء المدنية العربية فاذا اثبت صديقنا احمد زكي بك ان العرب اخترعوا طريقة الحروف البارزة فقد اثبت في السنة الماضية صديقنا احمد تيمور بك ان العرب سبقوا الاوربيين في الطيران فقال :

مهما نسينا او تناسينا فلن ينسى التاريخ ابا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس كلما ذكر زبلن وسنجر واضرابهما فان من يرجع البصر في صفحاته يجد بين من خصهم الله بمواهب في استخراج العلوم واستنباطها اسم هذا الحكيم مقروناً بالغرائب والمدهشات فهو اول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات عَلَى غير رسم ومثال ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلا يخيل للناظر انه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر يداعبه

سماء عباس الاديب ابي القا سم ناهيك حسن رائقها

من ابيات تركت ذكرها لقذاعة هجوها . وهو الذي احتال في تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في ظهره لانه لم يعمل له ذنباً ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه وفيه يقول الشاعر المتقدم ذكره من ابيات

يطم على العنقاء في طيرانها اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

فنرى من ذلك ان الرجل كان من اسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان ولا يغض من اختراعه تقصيره عن الشأو البعيد فيه فذلك شأن كل مشروع في بداءته وحسبنا ان منتحلي هذه الصناعة مع ما مر عليهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها الى اليوم افلا يكون من الانصاف التنويه بذكر هذا المخترع

طول الحياة

ثبت ان مدة الحياة البشرية آخذة بالازدياد فقد كان معدلها في اوربا خلال القرون

معظم شركات ضمان الحياة ان يعيدوا النظر في قوانينهم ويتساهلوا في ضمانة النفوس وسبب هذه الزيادة في الاعمار ما بلغته العلوم الطبية في الخمس والعشرين سنة الاخيرة من الارتقاء فتغلبت عَلَى الامراض السارية . فالغشاء الذي كان يصيب حنجرة الطفل المصاب بالخناق كان فيما مضى يودي بحياته وهو اليوم لا يزعج الجراح لما فيه من وسائط الشفاء العاجل بفضل الحقن تحت الجلد بمصل الخناق وغير ذلك من التدابير ويقل اليوم المصابون بالحمى التيفوئيدية والقرمزية وذات الجنب اكثر من الزمن السالف والسل يعالج بوسائط تظهر نتائجها الحسنة اليوم بعد اليوم والتهاب السحايا الدماغي الشوكي *La méningite cérébro spinal* قد قل عدد الهالكين من المصابين به عن خمس اوست سنين الى ثلاثة ارباع . وقد تغلبت الوسائط التحفظية والطبيعية في مقاومتها لانواع الفساد البكتيري فظهرت بها نتائج موءثرة بحيث تمكنت بالتدريج لافراز السميات المرضية المسببة للحمى

ومع هذا فان بعض المتشائمين من الاميركيين قد نشروا هذه الايام مفكرة تبعث عَلَى القلق حسبوا فيها معدل عدد الوفيات في الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم الجديد والقديم وحققوا اسباب الوفاة فصرحوا بان الارقام التي يستشهد بها في دعوى طول الحياة ليست صحيحة اذ يقتصر فيها عَلَى احصائيات الاولاد فقط لان هوءلاء يبلغون في الواقع سن الفتوة ولكن الاضطرابات التي تبدو في تراكيبهم في سن الشباب تظهر موءثراتها في الحال . فالمشاهد يدل الآن عَلَى ان الاولاد تقل الوفيات فيهم ولكن من بلغوا من الرجال سن الشيخوخة قلائل .

ومن رأي الاستاذ فيشر في نيويورك انه يندر وجود اشخاص هم في مأمن من الاوجاع المهلكة مثل النقرس والرثية « الروماتيزم » وسوء الهضم والبول السكري ومرض برايت والزائدة الدودية قال ان الرجال والنساء عرضة لعوادي الاعداء المستترين عَلَى اختلاف في الدرجات فالحياة بالنسبة الى كل واحد منهم ليست في الحقيقة طويلة بل هي متسعة ومعنى ذلك ان الرفاهية التي تحيط بالحياة تقصر حبلها . ومن جملة تلك السعة في الرفاهية التغيير الذي طرأ عَلَى الطعام فان الناس بالغوا في التأنق فيه حتى انهم ليقتلون انفسهم وهم لا يشعرون . وقد بلغ من هذه التبدلات انك لا تجد امرءاً حتى في العيال المستورة يقنع بالاقلال من الطعام عَلَى النحو الذي كانوا عليه فيما غبر . فنشأ من هذا التفنن في الطعام [illegible] عضوية لا يحتاط لها يسعى الناس الى زيادة [illegible] مختارين .

فالناس يكثرون من تناول الاطعمة وكثيراً مايفرطون ويبحثون عن الاطعمة المحضرة انواع التحضير اللذيذ وكثيراً مايشفعونها بالمقبلات والاشربة الالكحولية ويتعرضون لما ينجم عنها من المضار بل يستقبلون عن رضى الامراض المعدية وما يتبعها من الاوصاب ٠ ولقد انحشوا في التأنق فتراهم يعنون كل العناية بالولد فيحظرون عليه كل مايضر به حتى اذا نجا من اخطار الطفولية واصبح رجلا يلقي بنفسه كل يوم مختاراً في هذه المهالك وهو لايبالي ٠ الناس كلهم يطمعون في الحياة ماخلا بعض شذوذ ولكنهم لايهتمون بما يجب القيام به لاطالة حبل الحياة

وبعد فان فيشر وجمهور علماء الصحة يعلقون شأناً عظيما عَلَى مجموع التراكيب التي توءثر في حركة الطعام في التركيب النامي لتجعله صالحًا للقيام بجميع الوظائف اللازمة لانقاذ الحياة ونشوءها بل اطالتها ٠ متى ازدردت الاطعمة عَلَى ماينبغي ووزعت في الاقنية والاحشاء عَلَى النحو الذي يوجبه علم منافع الاعضاء فالتدبير الغذائي يجري عَلَى نظام راسخ فلا يحدث ادنى عارض ويظل الجسم سالمًا يقاوم الطواريء فتمضي السنون وهو صحيح وتكون الشيخوخة قليلة المزعجات عَلَى صاحبها ٠ اما اذا تمت حركة الطعام عَلَى طريقة معتلة رائدها الاهمال وقائدها الاختلال ولا سيما فيما يختص بعمل الآلة الهاضمة فتنشأ من ذلك اوجاع لاتلبث ان تكون مزمنة تضعف تركيب الجسم وتسلمه الى الامراض الباطنية

لايكفي المرء ان يأكل ليعيش بل الواجب لحماية الحياة وجعلها مقبولة واطالة حبلها ان يعلم كيف يقوم بعلم الاكل ولا يعد هذا فنًا فقط بل هو علم وهوراس فلتشر الاميركاني هو رأس الدعاة الى هذه الطريقة في عدم الاسراف في الطعام وتجويد القضم والخضم ليجود الهضم فقد كان هو نفسه مستخدمًا في بيت تجاري في شنغاي وكان كمواطنيه من الاميركان يحب الرياضات البدنية وله صحة جيدة قوي العضلات ينصرف الى الشاق من الرياضات في الهواء الطلق مثل المشي والركض والقفز والعراك وغيرها من الالعاب وهو يلين اعصابه ٠ وكان من نتائج نشاطه ومعرفته ان جمع ثروة مهمة فحدثته نفسه ان يغير طرز حياته ويذوق من جميع اللذات التي يسمح له بها كيسه فمال الى تخير الاطعمة الفاخرة وآثر القصف عَلَى القصد فاخذ يطعم عَلَى خوانه كل يوم من الالوان المتبلة واللحم الغريض الحنيذ والخمور الجيدة ماساءت باستعماله معدته وكان يقضي الليالي في التدخين وتعاطي الاشربة فظهر الاثر السيء في هذه الطريقة من

استعاضته عن المشي عَلَى الاقدام بالركوب في العجلات فسمن سمناً مفرطاً حتى لم يمض الا قليل من الزمن الا وقد انكره اصحابه فكثر دمه وتورمت خدوده وثخنت رقبته واخذت تظهر عَلَى سحنته اعراض الاستعداد لداء الصرع

وفي ذات يوم اصيب عقيب اكلة اكلها بفتور في جسمه دعاه الى التفكر في صحته فازمع بما فيه من عزيمة ان يعدل عن طريقته في التغذية ويختار غيرها تكون اشد في الانتظام وان يتخلص من السمن والربالة لما ينشأ عنهما من الضرر وطفق يسير بجسمه الى نظام مضمون ذاهباً الى ان الجسم لاتغذيه كمية الغذاء ولا كيفيته بل شروط الهضم فيه وتبين له ان ذلك مناط بلوك الطعام فسن هذه القاعدة وهي : « عَلَى من يريد ان يعمر طويلاً ان يلوك طعامه كثيراً » . هدته التجارب الى هذه الطريقة التي نسبت اليه فسميت الطريقة الفلتشرية وهي عبارة عن خمس نصائح « ١ » ان ينتظر المرء الشهوة للطعام « ٢ » ان تستدار الشهوة للطعام في اختيار الاطعمة « ٣ » ان يمضغ الطعام بحيث تستخرج منه جميع المادة المغذية وتترك اللقمة تسوغ الى المعدة من نفسها « ٤ » ان يخصص للطعام مايقتضي له من الوقت ولا يعجل في ازدراده وان يذكر الانسان ابداً انه في صدد تناول طعامه فيصرف ذهنه الى ما هو بسبيله عَلَى وتيرة منظمة ويطرد عن نفسه كل ما يلقيها في اضطراب « ٥ » ان يقتنع ان كل وجبة هي عمل واجب في الحياة وان يحسن القيام به بحيث يتوفر له الوفاء بهذه الغاية .

بالغ فلتشر بذاته في التدقيق بهذه القاعدة فلم تمض الا بضعة اسابيع الا وتغير تركيبه . وعاد فازهر شبابه والطف قوامه وخف ثقله فامسى ٨٠ كيلوغراماً بعد ان كان ١٨٠ ثم ماعتم ان عاد اليه بعودة قوته الطبيعية نشاطه العقلي . وزال ذاك التعب الذي كان يشعر به ايام كان سميناً مشحماً وشعر بضرورة المشي عَلَى الاقدام وان يعود الى ما كان اخذ نفسه به من انواع الرياضات في شنغاي . فظهر له ان قد تغير كيانه وعادت قواه الى نشاطها في صباه وصفا ذهنه ورأى من نفسه استعداداً الى العمل وبالجملة شعر كأنه رجع عشرين سنة في عمره الى الوراء وانه سيعمر طويلاً بعد . كل هذا نشأ من تدقيقه في تلك القواعد الخمس التي سنها ومبالغته في الاحتفاظ بها والجري عليها واخذ يقلل من كمية غذائه بدون ان يقتصر منها على مايسهل هضمه وخضمه كما يفعل بعض من يمتنعون عن اللحوم ويكتفون بالبقول وان يمتنع عن المشروبات الروحية امتناع الزهاد بل كان ينتفع بما يدخل جوفه ويتخذ اسباب حسن الهضم فيما يأكل ويشرب فلا يدخل

في بلعومه غذاء الا اذا اجاد لوكه جيداً . ولم يكتف فلتشر بما وصل اليه من هذه التجارب الصحية النافعة بل اراد ان يعم استعمال هذه الطريقة فكتب ماجرى له في الجرائد والمجلات ونشره في كراريس وزعها بلا ثمن عَلَى قومه فضحكوا منه بادئ الرأي الا ان علماء الصحة اضطروا بعد حين الى امعان النظر فيما اتاه الرجل وجربوا بانفسهم طريقته فاسفرت لهم عن نجاح واوصى الناس بها حتى صار اشياع المذهب الفلتشري اليوم يعدون بالملايين في الغرب .

وقد تبع فلتشر في طريقته الاستاذ باولو الروسي منذ سبع سنين فتبين له ان التغذية الحسنة متوقفة عَلَى الشهوة الى الطعام وهذه هي الباعث الاقوى عَلَى هضمه والانتفاع به في الجسم فالجوع يحبب الى النفوس الاطعمة عَلَى اختلاف ضروبها والاطعمة لاتفيد الا اذا رغبت فيها النفس . ولا يحسن ما على المائدة من الصحاف وينفع المتناول منها الا اذا كان هذا في فراغ من الذهن يمكنه من تقدير الالوان حق قدرها . فسرور المواكلين وطيب الاحاديث من العوامل النافعة في الهضم . والسرور عَلَى الخوان لاينشأ من اجادة الطبخ والتنطع في اختيار الالوان بل بما يبدو عَلَى وجوه المجتمعين على الطعام من الابتسام

ومعلوم انه يقتضي للجسم لتجديد الانسجة وتوليد الحرارة الحيوانية اللازمة كل يوم لحفظ مرونته والقيام بوظائفه التنفسية كمية محدودة من المواد الذهنية والزلالية وعلماء الصحة والاجسام والاعضاء عَلَى اختلاف منهم في ذلك فمنهم من يقول بالاقلال من تناول اللحوم والاقتصار عَلَى البقول والالبان والثمار والبيض والارز والزبدة ومنهم من يرى تناول اللحوم ضرورية لكل عامل يعمل بعضلاته والحقيقة ان التوسط في الامر خير وابقى . فالاكثار من اللحوم يسمم الجسم وربما حدثت منه في كثير من الاحوال مضار في الصحة منبهة القوة العصبية ومنهكة قوى الكبد والكلى وعَلَى العكس في تناول البقول فان الاقتصار عليها يؤدي الى اضطرابات هاضمة من شأنها ان تحدث ضرراً في المعدة وعليه فاكل اللحم لايؤذي بقدر مايتوهمه بعضهم بل لايؤذي الا عدم الوقوف عند حد في تناوله .

وقد رأى احد علماء منافع الاعضاء من الالمان انه يكفي لغذاء الفرد كل يوم ١١٨ غراماً من اللحم وغيره من المواد الدهنية وقال لابأس بجعلها ١٤٥ غراماً لمن يعمل بيديه وقال غيره لاحرج من ابلاغها الى ١٥٠ غراماً . واكد احد علماء الانكليز بان من

عمد الى استعمال طريقة فلتشر في الاقتصاد في الطعام واجادة مضغه يتأتى له ان ينقص نحو الثلث مما يأكل وتجود صحته

وقد جرب اساتذة من اميركا طريقة تنقيص وجبات الاكل فتخلصوا من امراض كانت تؤلمهم مثل اوجاع الرثية «الروماتيزم» والشقيقة والمرة السوداء فعادت اليهم صحتهم ونشاطهم ومنهم من كان اصيب بالسل في الدرجة الاولى فاتخذ طريقة فلتشر فنجا من الموت واصبح يستطيع ان يتعاطى اعماله العقلية ساعة او ساعتين متواليتين بدون عناء

وقصارى القول انه قد ذكر من اعتمدنا عليه من الافرنج في نقل هذا المبحث ان الحياة هي عمل مجموع الوظائف التي تقاوم الموت . واحسن طريقة في تأثير هذه المقاومة هي ان يتعلم الانسان علم الاكل والقيام عليه . فالحياة هي علم معرفة التغذية . فمن لنا بشيوع طريقة فلتشر في بلادنا فيزيد المتمعون بصحتهم و يكثر النشاط عَلَى الاعمال البدنية والعقلية و يستغنى عن الطب الا في الامراض التي يستحيل الآن زوالها من العالم

ان لتعليم الناس تدبير الصحة اثراً معروفاً عند الام في نهوضها وهو من شأن الصحف والمدارس فالصحافة في هذه الديار قائمة علي قدر الامكان بما يفرض عليها في هذا الشأن ولو سار التعليم الابتدائي في الشرق عَلَى نحو ما هو عليه في الغرب لانتفع الناس بما يتلى عليهم و يكتب لهم اكثر مما ينتفعون ولا سبيل الى ذلك الا بتلقين المدارس مثل هذه القواعد فعلى اساتذة مدارسنا ومديريها ان يلقوا عَلَى الاولاد مثل هذه القواعد فتتشربها نفوسهم منذ الصغر لتنفعهم وتنفع عيالهم في الكبر .

مخطوطات ومطبوعات

ذيل
على طبقات الحنابلة

اطلعت في الجزء الاول من المجلد السادس من مجلة المقتبس على ما كتبتموه عن (المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد) فسرتني عنايتكم بالحنابلة كما تعنون بغيرهم لما آلت اليه حالهم في هذه العصور الاخيرة من قلة رجالهم وندرة كتبهم وانطماس اخبارهم بعد ان ازهرت بهم مدارس بغداد ومصر والشام وغيرها وافعمت بتآليفهم خزائن الكتب المشهورة وصدعت باحكامهم اركان البدع المنتشرة على مايلاقونه من الفتن والمحن (الى يومنا هذا) قال ابو الوفا ابن عقيل البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ وهو ما هو وقد سئل عن الحنابلة (هم قوم خشن تقلصت اخلاقهم عن المخالطة وغلظت طباعهم عن المداخلة وغلب عليهم الجد وقلّ عندهم الهزل وعزت نفوسهم عن ذل المراياة وفزعوا عن الآراء الى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل وغلبت عليهم الاعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع واخذوا ما ظهر من العلوم وما وراء ذلك قالوا الله اعلم ولم احفظ على احد منهم تشبيهاً انما غلب عليهم (الشناعة لايمانهم بظواهر الآي والاخبار من غير تأويل ولا انكار) والله يعلم اني لا اعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام) ٠

هذا وقد رأيت ان اكتب اليكم عن ذيل صنف بعد الكتاب المنوه به للسيد محمد كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المتوفى سنة ١٢١٤ في نسخة خطية عندي ذكر في مقدمته سبق ابي الحسين محمد ابن القاضي الكبير ابي يعلى الفرا الى وضع طبقات الحنابلة واختصار شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المقدسي له (ولم نره كذيل الجمال يوسف بن عبد الهادي المقدسي وذيل تقي الدين بن مفلح) وتذييل الحافظ زين الدين بن رجب عليه وجمع العليمي كل ذلك في المنهج الاحمد طبقاته المذكورة ثم ابتدأ الغزي ذيله من اول القرن العاشر حيث وقف سلفه العليمي حتى وصل الى آخر القرن الثاني عشر في ١٨٠ صفحة فجاء فيه من رجال العلم والدين امثال جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي صاحب المؤلفات الحديثية والطبية والتاريخية المدهشة

المتوفى سنة ٩٠٩ وشرف الدين موسى الحجاوي مفتي الحنابلة بدمشق وصاحب متن الاقناع المتوفى في حدود سنة ٩٦٠ والشيخ مرعي الكرمي المقدسي ثم المصري صاحب التآليف في كل فن المتوفى سنة ١٠٣٣ وابي الفلاح عبد الحي العكري الدمشقي صاحب شذرات الذهب في اخبار من ذهب الذي بدأه من الهجرة الى سنة الف منها وبني مفلح وبني الشويكي وبني الرحيبي وبني البلباني وبني الجراعي وبني المواهبي واعلام من الديار النجدية والنابلسية رحمهم الله تعالى ·

وقد وقع في نفسي أن اجمع تراجم رجالنا في هذه المائة سنة الاخيرة وصلاً لهذه السلسلة البديعة فوفقت ولله الحمد لجمعها في ٤٦ صفحة

وحبذا لو صحت الاحلام بطبع طبقات العليمي فذيله المنوه به غير انه بالنظر لعظم هذا المشروع الذي يحتاج فيه الى التعاون عَلَى نفقات الطبع الباهظة وقلة الحنابلة في دمشق بحيث لا يتجاوزون اصابع الكف ارى من الواجب عَلَى من عرف تاريخهم ووقف عَلَى سيرهم ان يشتركوا بسهام الطبع لا كون اولهم اقداماً واعظمهم سهماً واشكرهم ·

دمشق : محمد جميل الشطي

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

بمطبعة الصبر في جونية من لبنان سنة ١٩١٠ و١٩١١ المجلد الاول ص ٤٦٢ والثاني ص ٤٨٠

اجاد المعربان الفاضلان في نقل هذه المفاوضات والرسائل السياسية من الافرنجية الى اللغة العربية لانها مادة تاريخية مهمة وادلة يصح بها نقل الناقل ورواية الراوي وكلام المتكلم خصوصاً وقد قلت الكتب السياسية التاريخية التي وقع فيها ذكر سورية · والمجلدان وان كان اكثر ما يدور عليه محورهما له مسيس شديد بسياسة لبنان الا ان سائر اقطار سورية لها علاقة قوية بذلك خصوصاً وادي التيم والبقاع ودمشق وغيرها من البلاد التي نشبت فيها تلك الفتنة المشؤومة المعروفة بفتنة الستين « ١٨٦٠ م » التي انتهت بمنح لبنان استقلالا اداريا بمساعدة فرنسا وانكلترا · ومعلوم ان السياسيين لا يجوز لهم ان ينشروا اموراً تتعلق مباشرة بسياسة دولهم الا اذا مضى عليها خمسون سنة ولذلك كانت لا تزال اولئك السياسيين الاجانب الذين كان لهم دخل في سياسة سورية عا

ذاك العهد ان ينشروا ماكتب في هذا الشأن ليكون تاريخاً ٠ فالشكر كل الشكر لناشري هذا السفر النافع ومعربيه، وعسى ان يترجم العارفون باللغات كل ماله مساس بحالة هذا القطر لتعم به الفائدة ونعرف ماذا يقول فينا خصومنا او اولياؤنا لنا اوعلينا

فصل القضاء

في الفرق بين الضاد والظاء تأليف احمد عزت افندي طبعت في مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٨ (ص ١٦٨)

جمع واضع هذه الرسالة نحو ١٨٥٠ لفظة عربية قد يشتبه التفريق بينها فيما اذا كانت تكتب بالضاد او الظاء مرتباً لها عَلَى حروف المعجم مترجماً لها الى اللغتين العثمانية والفارسية وقد قال في المقدمة ان جمعاً من العلماء الاعلام صنفوا في هذا الشأن كالامام ابن مالك والحريري وابن سهل النحوي وغيرهم لكنهم لم يرتبوا ماصنفوه عَلَى حروف الهجاء فصعب استخراج المقصود على من يعتني بهذا الغرض ٠ فنشكر للمؤلف عنايته بسد هذه الثلمة ونرجو ان يحذو حذوه في التأليف كل من اوتوا طرفاً من العلم وشدوا شيئاً من الادب

سيرة الفاتح

تأليف نامق كمال بك وتعريب عبد الله افندي مخلص طبع في مطبعة الكرمل بحيفا ص ١٣٢

اجاد صديقنا بتعريب هذه السيرة لرجل العثمانيين العظيم فاتح القسطنطينية وحبذا لو توفر على تعريب غير ذلك من الآثار التاريخية عن اللغة التركية خاصة لانه كاتب مجيد باللغتين ٠ وهذه اللغة قليلة النقل عن التركية كما ان هذه قليلتها عن العربية ٠ والامم لاتتعارف الا اذا تعاورت النقل احداهما عن الاخرى ٠ وعلى كل فنشكر المعرب ونرجو له التوفيق الى اتمام خدمته العلمية

الجاذبية وتعليلها

لجميل صدقي افندي الزهاوي طبعت بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٣٢٦ ش و ١٩١٠ م ص ٧١

اعتاد الاستاذ صاحب هذا الكتاب ان يأتي الحين بعد الآخر بمبتكرات من افكاره تدل على طول باع وذكاء جنان كما فعل في كتابه الكائنات وفي مقالاته التي اوادها

تغيير الخط العربي وابداله بحروف له اخترعها واسقاط القوافي من الشعر العربي وجعل كل بيت من القصيدة ذا قافية واحدة وآخر كتبه هذه الرسالة اللطيفة في الجاذبية خالف فيها اهل هذا الفن في الغرب وقال ان الجاذبية في الحقيقة هي دافعية تنشأ من دفع الاجسام بعضها لبعض وان مايتراءى للناس انه جذب انما هو في الحقيقة تغلب قوة دافعة على قوة دافعة اضعف منها فالحجر يسقط عَلَى الارض لان الاجرام التي في السماء تدفعه الى جهتها والارض تمنع بحيلولتها دفع السماء من الجهة المقابلة . وهذه الرسالة وان حوت مالا يقره عليه اهل الفن فانها دات على ان المؤلف ضرب في العلوم المادية بسهم وانه جريء في كل اصلاح يحاوله . والشجاعة الادبية مما ينقص كثيراً من الكاتبين فله منا الشكر عَلَى هديته ومن العربية الثناء على خدمتها في الفنون كما يخدمها في الآداب

ابحاث واقتراحات في التشريع المصري الحالى

الف اميل افندي بولاد احد رجال المحاماة في القاهرة رسالة في اصلاح المجالس الحسبية وتناقض الاحكام الاهلية ولزوم انشاء محكمة نقض وابرام مدنية وضوابط صحيفة الاستئناف بالقانون الاهلي والدعوى العمومية والصلح الجنائي القضائي وغير القضائي وقانون النفي الاداري واخطار تطبيقه وكل هذه المباحث تهم ابن وادي النيل اكثر من غيره لان قضاءه وان كان ممزوجاً بالقضاء الاسلامي والقضاء الفرنسوي الا انه خاص بامة لها اصطلاح خاص وعادات خاصة فنشكر لوطنينا المحامي غيرته عَلَى الحق والبلاد التي يسكنها

دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية هذه السنة ايضاً دليلها هذا وهو يحتوي عَلَى عناوين التجار السوريين في الارجنتين والارغواي والبرازيل وتشيلي وكثير من الفوائد التجارية والاحصائية بعضه بالعربية واكثره بلغة تلك البلاد

حديقة الجنان في تاريخ لبنان

تأليف الخوري اسطفان ضو طبع بالمطبعة الجامعة في البترون (لبنان) سنة ١٩١١ ص ١٤٤

لبنان جبل من جبال المملكة العثمانية بتاريخه وجغرافيته وعمرانه فكل ما اخدم به

جبل لبنان فلا هله غرام بذلك وعادة بالتوفر عَلَى اظهار محاسنه ومن الكتب الجديدة في هذا الشأن كتاب حديقة الجنان (؟) وهو مختصر في تاريخ الجبل وما وقع فيه من الحوادث وطرأ عليه من اختلاف الاحكام والحكام السابقين منذ سنة ٦٠٠ الى سنة ٧٨٨ ؛ ويليه الجزء الثاني . ولو كان المنورون من اهل كل بلد يعنون بتدوين تاريخ بلادهم واصقاعهم ما امكن لما بقي مكان مجهول حاله في هذه الديار فانا نرى اناساً دونوا وقائع طرابلس وآخرون عنوا بتاريخ حماه وغيرهم سطروا تاريخ حمص و بعضهم ذكروا لبنان فليت اهل كل بلد يدونون ما يجب عليهم لبلدهم من هذا القبيل واذا فعلوا يخدمون التاريخ العام

دروس الصرف والنحو

تأليف الشيخ محي الدين الخياط يشتمل عَلَى اوليات الصرف واوليات النحو طبع بالمطبعة العصرية في بيروت ص ١٠٤

اقتضت طبيعة النهضة في سورية ان تؤلف لها الكتب المدرسية بحسب ذوق العصر حسنة التنسيق والتبويب وممن يتوفرون على هذا الشأن مؤلف هذا الكتاب احد فضلاء بيروت وفيه تمارين عملية يفهمها الطالب الصغير فشكراً له عَلَى هذه العناية ووفق الى اتمام هذه الاقسام لنفع طلاب الآداب

وجوب الحمية عن مضار الرقية

تأليف السيد ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني الحضرمي الاستاذ بمدرسة دار العلوم في حيدر اباد دكن بالهند طبع بمطبعة الاما في سنقافورا سنة ١٣٢٨ ص ١١٢

كان السيد محمد بن عقيل من افاضل الحضارمة في سنقافورا الف كتاباً سماه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية اتى فيه بالبرهان التاريخي والديني اموراً اقره عليه بعض العلماء وانكرها عليه بعضهم وممن الف في الانتصار له الاستاذ ابو بكر المشار اليه ففند ما قاله بعضهم ممن رموا السيد ابن عقيل بالتشيع وقال ان المسألة مسألة تاريخية دينية لاتقدح بمذهب من يقول الصريح فيها واورد لذلك نصوص المؤرخين وغيرهم بعبارات رشيقة وانا لنرجو ان تكون هذه الرسالة آخر مايؤلف في موضوع فرغ منه اوكاد وان تصرف تلك القرائح فيما ينهض بالامة من عثارها اليوم . ومعاوية ان توليناه اولم نتوله فقد لقي حسابه وجزاءه

لباب الخيار في سيرة المختار

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبعة ثانية فيها زيادات وفوائد طبعت على نفقة المكتبة الاهلية في بيروت ص ١٣٦

نشر المؤلف هذا الكتاب لتعليم ناشئة المسلمين سيرة صاحب شريعتهم عليه الصلاة والسلام وقد صدره باجمال عن العرب قبل الاسلام ووصف بلاد العرب واخلاقهم وعاداتهم وجميع ما يتعلق بسيرة صاحب الرسالة وآدابه وغزواته ونشر دعوته . ونسقه عَلَى عادته تنسيقاً يحبب تلاوته الى القارئ بعبارة سهلة جزلة وقد قدر المؤلف مساحة جزيرة العرب بمليون ومئة الف ميل مربع او ٣،١٥٦،٥٥٨ كيلو متراً مربعاً او ١٢٦ الف فرسخ مربع وعمل حسابها بالميل والكيلو متر والفرسخ فجاء الحساب متقارباً وقدر نفوسها باثني عشر مليوناً وقيل عشرة ملايين . والكتاب لا يستغني عنه طلاب المختصرات ولذلك عولت المدارس الاسلامية عَلَى تدريسه ونعما فعلت

العادات

لخليل افندي سركيس طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٩١١ ص ١٦٠

صاحب هذا الكتاب هو مؤسس جريدة لسان الحال البيروتية وصاحب المطبعة الادبية خدم الطباعة العربية زمناً وهو اليوم بكتابه هذا يريد ان يخدم العادات العربية بوضعه لها مختصراً في مصطلحات الزيارات والولائم والاعراس . والمآتم وآداب المحافل وغيرها مما هو جار عند الشعوب المتمدنة كتبه لطبقة خاصة من الامة العربية بل اخص من الخاصة لان معظم ما فيه من العادات يتعذر القيام به الا على من الفوه من اهل الطبقة الراقية في الغرب فما اورده من هذا القبيل لا يتأتى تطبيقه الآن عَلَى المرأة المسلمة مثلاً لان الشرط الاول مفقود عندها وهو اختلاط الرجال بالنساء و يتعذر كل التعذر العمل به عند غير المسلمين اذ يجب ان يكون لهم محيط يساعد عليه ومال يتوسعون في البذل منه وكنا نود لو قال المؤلف ان هذا كتاب في عادات الغربيين فطبقوا منها ما يمكن تطبيقه . على ان ما كتبه يحتوي عَلَى فوائد مهمة لا يستغني عنها انسان في مجتمع مهما انحطت مكانته وقلت نعمته ومدنيته

المقتبس

الفتوى في الاسلام

تابع لما في الجزء الماضي

(آداب المستفتي وصفته واحكامه(١))

« الاول »

المستفتي كل من لم يبلغ درجة المفتي فهو فيما يسأل عنه من الاحكام الشرعية مستفت بتقليد من نفسه

والمختار في التقليد انه قبول قول من يجوز عليه الاصرار على الخطاء بغير حجة عَلَى عين ماقبل قوله فيه

ويجب عليه الاستفتاء اذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها

فان لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل الى من يفتيه وان بعدت داره وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الايام والليالي

« الثاني »

يجب عليه قطعاً البحث الذي يعرف به اهلية من يستفتيه للافتاء اذا لم يكن عارفاً باهليته

فلا يجوز له استفتاء من انتسب الى العلم وانتصب للتدريس والاقراء وغيرها من العلماء بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك

ويجوز استفتاء من استفاض كونه اهلاً للفتوى وقال بعض اصحابنا المتأخرين : انما

«١» عن مقدمة شرح المهذب للنووي

يعتمد قوله انا اهل للفتوى لاشهرته بذلك ولا يكتفى بالاستفاضة ولا بالتواتر لان الاستفاضة والشهرة من العامة لا يوثق بها وقد يكون اصلها التلبيس واما التواتر فلا يفيد العلم اذا لم يستند الى معلوم محسوس : والصحيح هو الاول لان اقدامه عليها اخبار منه باهليته فان الصورة مفروضة فيمن وثق بديانته ويجوز استفتاء من المشهور المذكور باهليته

قال الشيخ ابو اسحق الشيرازي رحمه الله وغيره : يقبل في اهليته خبر العدل الواحد

قال ابو عمرو : ينبغي ان يشترط في المخبر ان يكون عنده من العلم والبصر ما يميز به المتلبس من غيره فلا يعتمد في ذلك عَلَى آحاد العامة لكثرة ما يتطرق اليهم من التلبيس في ذلك

واذا اجتمع اثنان او اكثر ممن يجوز استفتاؤهم فهل يجب عليه الاجتهاد في اعيانهم والبحث عن الاعلم والاورع الاوثق ليقلده دون غيره فيه وجهان (احدهما) لا يجب بل له استفتاء من شاء منهم لان الجميع اهل وقد اسقطنا الاجتهاد عن العامي وهذا الوجه هو الصحيح عند اصحابنا العراقيين (والثاني) يجب لانه يمكنه هذا القدر من الاجتهاد بالبحث والسؤال وشواهد الاحوال وهذا الوجه قول ابي العباس ابن سريج واختاره القفال المرزوي وهو الصحيح عند القاضي حسين والاول اظهر وهو الظاهر من حال الاولين

قال ابو عمرو رحمه الله : لكن من اطلع علي الاوثق فالاظهر انه يلزمه تقليده كما يجب ارجح الدليلين واوثق الروايتين . ثم هذا يلزمه تقليد الاورع من العالمين والاعلم من الورعين فان كان احدهما اعلم والآخر اورع قلد الاعلم عَلَى الاصح

وفي جواز تقليد الميت وجهان (الصحيح) جوازه لان المذاهب لا تموت بموت اصحابها (والثاني) لا يجوز لفوت اهليته كالفاسق (قال النووي) وهذا ضعيف لاسيما في هذه الاعصار

(الثالث)

هل يجوز للعامي ان يتخير اي مذهب شاء قال الشيخ ينظر ان كان منتسباً الى مذهب بنيناه عَلَى وجهين حكاهما القاضي حسين في قول ان العامي هل له مذهب ام لا (احدهما) لا مذهب له لان المذهب لعارف الادلة فعلى هذا له ان يستفتي من شاء من حنفي وشافعي وغيرهما (والثاني) له مذهب فلا يجوز له مخالفته

وان لم يكن منتسباً بني عَلَي وجهين حكاهما ابن برهان في العامي هل يلزمه ان

يتمذهب بمذهب مفت يأخذ برخصه وعزائمه « احدهما » لا يلزمه كما لم يلزمه في العصر الاول ان يختص بتقليده عالمًا بعينه فعلى هذا هل له ان يستفتي من شاء ام يجب عليه البحث عن اسد المذاهب واصحها اصلا ليقلد اهله فيه وجهان مذكوران كالوجهين السابقين في البحث عن الاعلم والاوثق من المفتين « والثاني » يلزمه وبه قطع ابو الحسين الكيا (١) وهو جار في كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء واصحاب سائر العلوم

« الرابع »

اذا اختلفت عليه فتوى مفتيين ففيه خمسة اوجه للاصحاب « احدها » يأخذ باغلظها « والثاني » باخفها « والثالث » يجتهد في الاولى و يأخذ بفتوى الاعلم لا الاورع كما سبق واختاره السمعاني الكبير ونص الشافعي رضي الله عنه عَلَى مثله في القبلة « والرابع » يسأل مفتيًا آخر فيأخذ بفتوى من وافقه « والخامس » يتخير فيأخذ بفتوى ايهما شاء واختاره ابو اسحق الشيرازي وجماعة

قال الشيخ ابو عمرو : المختار ان عليه ان يبحث عن الارجح فيعمل به فانه حكم التعارض فيبحث عن الاوثق بين المفتيين فيعمل بفتواه :

وقال النووي: الذي اختاره الشيخ ليس بقوي بل الاظهر احد الاوجه الثلاثة وهي الثالث والرابع والخامس والظاهر ان الخامس اظهرها لانه ليس من الاجتهاد وانما فرضه ان يقلد عالمًا اهلا لذلك وقد يفعل ذلك بأخذه بقول من شاء منهما والفرق بينه و بين مانص عليه في القبلة ان اماراتها حسية فادراك صوابها اقرب فيظهر التفاوت بين المجتهدين فيها والفتاوى اماراتها معنوية فلا يظهر كثير تفاوت بين المختلفين والله اعلم

« الخامس »

قال الخطيب البغدادي : اذا لم يكن في الموضع الذي هو فيه مفت الا واحد لزمه فتواه وقال ابو المظفر السمعاني : اذا سمع المستفتي جواب المفتي لم يلزمه العمل به الا بالتزامه « قال » ويجوز ان يقال انه يلزمه اذا اخذ في العمل به وقيل يلزمه اذا وقع في نفسه صحته « قال السمعاني » وهذا اولى الاوجه قال الشيخ ابو عمرو : لم اجد هذا لغيره وقد حكى هو بعد ذلك عن بعض الاصوليين انه يلزمه الاجتهاد في اعيان المفتين ويلزمه الاخذ بفتوى من اختاره باجتهاده

(١) بكسر الكاف وفتح الياء لفظ عجمي معناه الكبير القدر المقدم بين الناس (ابن خلكان)

قال الشيخ : والذي تقتضيه القواعد ان يفصل فيقال : اذا افتاه المفتي نظر فان لم يوجد مفت آخر يلزمه الاخذ بفتواه ولا يتوقف ذلك عَلَى التزامه لافي الاخذ بالعلم به ولا بغيره ولا يتوقف ايضاً عَلَى سكون نفسه الى صحته وان وجد مفت آخر فان استبان ان الذي افتاه هو الاعلم الاوثق لزمه بناء عَلَى الاصح في تعينه وان لم يستبن ذلك لم يلزمه ما افتاه بمجرد افتائه اذ يجوز له استفتاء غيره وتقليده ولا يعلم اتفاقهما في الفتوى فان وجد الاتفاق او حكم حاكم لزمه حينئذ

« السادس »

اذا استفتى فافتي ثم حدثت تلك الواقعة له مرة أخرى فهل يلزمه تجديد السؤال فيه وجهان « احدهما » يلزمه لاحتمال تغير رأي المفتي « والثاني » يعمل به وهو الاصح لانه قد عرف الحكم اولا والاصل استمرار المفتي عليه وخصص صاحب الشامل الخلاف فيما اذا قلد حياً وقطع فيما اذا كان ذلك خبراً عن ميت فانه لا يلزمه والصحيح انه لا يختص فان المفتي عَلَى مذهب الميت قد يتغير جوابه عَلَى مذهبه

« السابع »

له ان يستفتي بنفسه وله ان يبعث ثقة يعتمد خبره ليستفتي له وله الاعتماد عَلَى خط المفتي اذا اخبره من يثق بقوله انه خطه او كان يعرف خطه ولم يشك في كون ذلك الجواب بخطه

« الثامن »

ينبغي للمستفتي ان يتأدب مع المفتي ويجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك ولا يومئ بيده في وجهه ولا يقل له ماتحفظ في كذا او ما مذهب امامك ولا يقل ان اجابه هكذا قلت لنا ولا يقل افتاني فلان اوغيره بكذا ولا يقل ان كان جوابك موافقاً لمن كتب فاكتب والا فلا تكتب ولا يسأله وهو قائم او مستوفز او على حالة ضجر او هم او غير ذلك مما يشغل القلب

و ينبغي ان يبدأ بالاسن الاعلم من المفتين و بالاولى فالاولى ان اراد جمع الاجوبة في رقعة وان اراد افراد الاجوبة في رقاع بدأ بمن شاء وتكون رقعة الاستفتاء واسعة ليتمكن المفتي من استيفاء الجواب واضحاً لامختصراً مضراً بالمستفتي ولا يدع الدعاء لمن يستفتيه قال الصيمري : فاناقتصر عَلَى فتوى واحد قال ماتقول رحمك الله او رضي عنك او وفقك الله اوسددك ورضي عن والديك وان اراد جواب جماعة قال ماتقولون

رضي الله عنكم او ما تقول الفقهاء سددهم الله تعالى ويرفع الرقعة الى المفتي منشورة ويأخذها منشورة فلا يحوجه الى نشرها ولا الى طيها

« التاسع »

ينبغي ان يكون كاتب الرقعة ممن يحسن السؤال ويضعه علَى الغرض مع ابانة الخط واللفظ وصيانتهما عما يتعرض للتصحيف « قال الصيمري » يحرص ان يكون كاتبها من اهل العلم وكان بعض الفقهاء ممن له رياسة لا يفتي الا في رقعة كتبها رجل فقيه من اهل العلم ببلده

وينبغي للعامي ان لا يطالب المفتي بالدليل ولا يقل لم «قال النووي» : فان احب ان تسكن نفسه لسماع الحجة طلبها في مجلس آخر او في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى مجردة وقال السمعاني : لا يمنع من طلب الدليل وانه يلزم المفتي ان يذكر له الدليل ان كان مقطوعاً به ولا يلزمه ان لم يكن مقطوعاً به لافتقاره الى الاجتهاد ويقصر فهم العامي عنه

(العاشر)

اذا لم يجد صاحب الرقعة مفتياً ولا احداً ينقل له حكم واقعته لا في بلدة ولا في غيره قال الشيخ — ابن الصلاح — هذه مسألة فترة الشريعة الاصولية وحكمها حكم ماقبل ورود الشرع والصحيح في كل ذلك القول بانتفاء التكليف عن العبد وانه لا يثبت في حقه حكم لا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك فلا يؤاخذ اذن صاحب الواقعة باي شيء صنعه فيها والله تعالى اعلم

هذا ما أثرناه عن شرح المهذب للنووي

(من افتى بالحديث الصحيح مخالفاً لمذهبه)

قال الامام النووي [1] صح عن الشافعي رحمه الله انه قال : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا قولي : وروي عنه : اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث واتركوا قولي : او قال : فهو مذهبي : وروى عنه هذا المعنى بالفاظ مختلفة

وقد عمل بهذا اصحابنا في مسألة التثويب واشتراط التحليل من الاحرام بعذر المرض وغيرها مما هو معروف في كتب المذهب

وقد حكى ابو اسحق الشيرازي في ذلك عن الاصحاب فيها ممن حكى انه افتى بالحديث

(١) في مقدمة شرح المهذب

من اصحابنا ابو يعقوب البويطي وابو القاسم الدارلي ، وممن نص عليه ابو الحسن الطبري في كتابه في اصول الفقه ، وممن استعمله من اصحابنا المحدثين الامام ابو بكر البيهقي وآخرون

وكان جماعة من متقدمي اصحابنا اذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وافتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث : انتهى

وفي شرح الهداية لابن الشحنة — من كبار الحنفية — : اذا صح الحديث وكان عَلَى خلاف المذهب عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به فقد صح عنه انه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن ابي حنيفة وغيره من الائمة (١)

وقال الامام السندي في حواشيه عَلَى فتح القدير — من كتب الحنفية — (٢) : الحديث حجة في نفسه واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح لا يعمل به حتى يعرضه عَلَى رأي فلان وفلان فانما يقال له انظر هل هو منسوخ ام لا ، اما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر فان تطرق الاحتمال الى خطاء المفتي اقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث ، قال ابن عبد البر : يجب عَلَى كل من بلغه شيء ان يستعمله عَلَى عمومه حتى يثبت عنده ما يخصصه او ينسخه ، وايضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطاء المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطل الباطل وقد اقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ، ولا يعرض احتمال الخطاء لمن عمل بالحديث وافتى به بعد فهمه الا واضعاف اضعاف حاصل لمن افتى بتقليد من لا يعلم خطوه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلاف ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه في المسألة

(١) نقله العلامة ابن عابدين في رد المحتار

(٢) نقله الامام الفلاني المحدث الشهير ذو الاسناد العالي في كتابه ايقاظ الهمم وهو مطبوع

عدة اقوال ، وهذا كله فيمن له نوع اهلية اما اذا لم يكن له اهلية ففرضه ما قال الله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » واذا جاز اعتماد المستفتي عَلَى ما يكتبه له المفتي من كلامه او كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل عَلَى ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالجواز ولو قدر انه لم يفهم الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث انتهى كلام السندي ملخصا وقد اطال من هذا النفس العالي رحمه الله ورضي عنه

(ايثار الفتوى بالآثار السلفية)

قال ابن القيم في اعلام الموقعين : اعلم ان فتاوى الصحابة اولى ان يؤخذ بها من فتاوى التابعين وفتاوى التابعين اولى من فتاوى من بعدهم ، وكلما كان العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم اقرب كان الصواب فيه اغلب ، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل فان عصر التابعين وان كان افضل من عصر تابعيهم فانما هو بحسب الجنس لابحسب كل شخص شخص ولكن المفضلون في العصر المتقدم اكثر من المفضلين في العصر المتأخر وهكذا الصواب في اقوالهم اكثر من الصواب في اقوال من بعدهم : وتتمة كلامه درر لايستغنى عن مراجعتها

(عناية المفتي بتعليل الاحكام و بيان اسرارها)

قال الغزالي في المستصفى : ان في معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة للقلوب الى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة الى التصديق فان النفوس الى قبول الاحكام المعقولة الجارية عَلَى ذوق المصالح اميل منها الى قهر التحكم ومرارة التعبد ولمثل هذا الغرض استحب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها وكون المصلحة مطابقة للنص وعَلَى قدر حذقه يزيدها حسنا وتأكيدا اه ومن احسن المؤلفات في اسرار الشريعة اعلام الموقعين وحجة الله البالغة

(حظر الفتوى بنسخ نص الا بنص)

قال الامام ابو محمد بن حزم في مقدمة المحلى : ولا يحل لاحد ان يقول في آية اوفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض مايقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر

او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب انتهى

وقال العلامة ابو النصر القزاني [1] القورصاوي في كتابه الارشاد : ان الاعتصام بالكتاب والسنة اصل اصيل من اصول الدين والناس رفضوا هذا القطب حتى حسبوا ان الحديث الموجب للعمل مفقود ، وان السبيل دون الوصول اليه مسدود ، ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها ، واستطار في الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء (الى ان قال) فيقال لهؤلاء المخترعين هذا القول الذي وصفناه هل تجدون هذا الذي قلتم عن احد يلزم قوله والا فهلموا دليلا عَلَى مازعمتم

فان ادعوا قول احد من علماء السلف بما زعموا من كون الاخبار الثابتة بنقل الثقات حجة عَلَى المجتهدين لا عَلَي غيرهم طولبوا به ، ولن يجدوا هم ولا غيرهم الى ايجاده سبيلا ،

وان ادعوا فيما زعموا دليلا يحتج به يقال ماذلك الدليل ٠ فان قالوا ان الحديث يحتمل الوضع يقال ليس الذي يقوم حجة خبر كل من نصب نفسه محدثاً بل ماروا واسنده الائمة المتقنون المعروفون بالصدق والامانة والثقات الراسخون في العلم عن قوم مرضيين عندهم وصححوه مثل مالك بن انس ومسلم بن الحجاج ومحمد بن اسماعيل البخاري ومحمد بن ادريس الشافعي واحمد بن حنبل ومحمد بن عيسى الترمذي وسليمان بن اشعث السجستاني وغيرهم من الائمة المعروفين ، وكتبهم باسانيدهم بين العلماء معتمدة مشهورة حتى قالوا ان الحديث اذا نسب اليهم فكأنه اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قد فرغوا من الاسناد واغنونا عنه ، ومن ثم لزم الاخذ بنص احدهم عَلَى صحة السند او الحديث او ضعفه فكما ان المجتهد يعتمد عَلَي ثبوت الخبر عَلَي الاسناد من جهة الثقات فكذلك غيره ، وكما ان خبر الواحد الثقة عن الواحد الثقة حجة يلزم به العمل عَلَى المجتهد وهو محجوج به فكذلك غيره ، وكما يجب علينا الاتقاء من حديث لا يعرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه فكذلك عَلَى المجتهد

وايضا ان الخبر يقين باصله لانه من حيث انه قول الرسول عليه السلام لايحتمل الخطأ وانما الشبهة باعتبار النقل حيث يحتمل السهو والنسيان ، وقول الفقيه يحتمل

---

(١) هو عبد النصير بن ابراهيم البلغاري كان من كبار علماء قزان الحنفية ومن الداعين الى الكتاب والسنة وسلوك طريق السلف له مؤلفات عديدة منها كتابه هذا المسمي بالارشاد للعباد طبع في قزان ١٣٢١ مع كتاب آخر في تراجم رجاله اسمه المرصاد في تراجم رجال الارشاد

الخطأ باصله اذ هو يجتهد فيخطيء ويصيب واما باعتبار نقله فاكثره خال عن السند اصلا فكما ان وضع الخبر محتمل وصحة الاسناد يدفعه فكذلك وضع الرواية محتمل ولا اسناد حتى يدفعه

والصحابة رضي الله عنهم كانوا متفقين عَلَى ترك الرأي بالسنة وهو حجة شرعية فكيف لا يترك التقليد بها وهو ليس بحجة اصلا

فالواجب عَلَى من بلغه الحديث ان يعمل به هذا في فقهاء الصحابة رضي الله عنهم فكيف فيمن دونهم وقد صح عن الشافعي رضي الله عنه انه قال : اذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي فانه مذهبي : وقال علي بن محمد القاري : وهذا مذهب كل مسلم ·

واما قولهم : الحديث يحتمل النسخ والتأويل : قلنا اذا ظهر ناسخه فلا نزاع في سقوط العمل به وان لم يظهر فلا يترك العمل بالدليل الثابت لاحتمال النسخ بل يعمل به حتى يظهر ناسخه ، ولو صار الدليل متروكا بكل احتمال لم يبق دليل معمولاً به الا ترى الى مانقله اصحاب الاصول عن ابي حنيفة ومحمد وحسن بن زياد رضي الله عنهم ان الحديث وان كان منسوخاً لايكون ادنى درجة من الفتوى مالم يبلغه النسخ ، وايضا قد شاع عن الفقهاء الرجوع عن قول الى قول فهذا القول الذي يخالف الخبر الصحيح يجوز ان يكون قولاً مرجوعاً عنه فيكون كلا قول فكيف يترك الحديث الثابت باسناده لاحتمال النسخ ولا تترك الرواية الخالية عن السند لاحتمال رجوع قائلها بل الظاهر انه لم يبلغه الحديث ولو بلغه لرجع اليه او كان ذلك المروي مذهبه فبلغه الحديث وترك مذهبه بالحديث ورجع اليه احساناً للظن به فانه ان خالف الحديث لقلة المبالاة والتهاون به سقطت عدالته فلا نقبل روايته وفتواه

وكذلك قولهم : يترك النص لاحتمال كونه مؤولا : قلنا احتمال التأويل اما ان يكون ناشئاً عن قرينة او خفاء فيه كما اذا كان مشتركاً اومشكلا اومجملاً مثلاً اولا فان كان الثاني فلا عبرة للاحتمال اصلا اذ المراد من الكلام ظاهره عند خلوه عن قرينة تصرفه عنه والعقلاء لايستعملون الكلام في خلاف الاصل عند عدم القرينة والا لبطل فائدة التخاطب ، والفرار عن ظل جدار غير مائل لتوهم السقوط ينسب الى السفه ولا كذلك اذا كان مائلا ، وان كان الاول فان قدر عَلَى ترجيح احد المعاني المحتملة بالرأي فيعمل بما ترجح عنده وان لم يقدر على الترجيح وكان جواب المسألة مما اشتهر

وظهر وانجلى عن اصحابنا ارجو ان يسع الاعتماد عليه والعمل به ان شاء الله تعالى ، الا ترى الى قول العلماء ان التمسك في الاصول بالكتاب والسنة واجماع الامة مع المجانبة عن الهوى والبدعة وفي الفروع بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظن انه اعلم واورع

وايضا كما ان التأويل محتمل في الحديث كذلك يحتمل في فتوى الفقيه فان جاز فهم المراد من الفتوى لظهوره جاز فهم المراد من الحديث ايضاً لظهوره ، وليس الفقيه باقدر عَلَى التفهيم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا القول الذي احدثوه وحكيناه عنهم من لزوم الاعراض عن سنن النبي واحاديثه صلى الله عليه وسلم بالشبه التي وصفناها احقر واصغر من ان ينقل و يثار ذكره اذ هو قول محدث وكلام خلف يستنكره اهل العلم وحججهم داحضة عند العقلاء ، واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فلا حاجة في رده باكثر مما شرحنا اذ قدر المقالة وقائليها القدر الذي وصفناه والله المستعان عَلَى دفع ماخالف السنة ومذهب اهل السنة وعليه التكلان انتهى كلامه بحروفه

(وجوب تحري المفتي من الاقوال ارجحها)

ان مما يدعو للنظر والتروي في الفتيا كثرة المذاهب والاقوال في المسألة فليس مذهب احق من مذهب ولا قول ارجح من آخر الا بالدليل والبرهان الذي يدعمه و يؤيده و يبينه اجلى بيان

وقد اتفق الاصوليون كافة عَلَى وجوب اتباع المفتي الاقوى دليلا والاقوم برهانا من اي مذهب كان قال الامام النووي في مقدمة شرح المهذب : ليس للمفتي ولا للعامل في مسألة القولين ان يعمل بما شاء منها بغير نظر بل عليه العمل بارجحهما :

وقال العلامة ابو النصر القزاني الحنفي[1] في كتابه الارشاد : وليس للمفتي الفتوى باحد القولين او الوجهين من غير نظر بل عليه العمل بالارجح والجمهور من المحققين قالوا : ان العمل والفتوى بالمجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظنه اعلم واورع ولذلك ترى المنتسبين الى مذهب يفتون بخلاف قول امامهم كالحنفية يقلدون ابا حنيفة فيما لم يظهر عَلَى خلاف قوله دليل اقوى من دليله واذا ظهر الدليل الراجح عَلَى دليله يفتون و يعملون عَلَى خلاف قوله و يقولون الفتوى على قول ابي يوسف او على قول محمد او عَلَى قول زفر مثلا و ينقلون قول ابي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية

(١) المنوه به قبل

على خلافه وكذلك ابو يوسف او محمد مثلا ممن ينتسبون لمذهب ابي حنيفة فانهم يقلدونه فيما لادليل عندهم واذا قام الدليل عَلَى خلافه يفتون بغير قوله لان الواجب متابعة الدليل الواضح عند قيامه والتقليد انما يصار اليه عند الضرورة مقدرة بقدرها انتهى

وقال الامام ابن هبيرة في الايضاح : اذا خرج [1] من خلاف الأئمة المجتهدين متوخياً مواطن الاتفاق ماامكنه كان آخذاً بالحزم عاملا بالاولى وكذلك اذا قصد في مواطن الخلاف توخي ماعليه الاكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فانه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بقول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصراً في حكمه عَلَى اتباع مذهب ابيه اوشيخه مثلا فاذا حضر عنده خصمان وكان ما تشاجرا فيه مما يفتي الائمة الثلاثة بحكمه نحو التوكيل بغير رضا الخصم وكان الحاكم حنفيًا وعلم ان مالكا والشافعي واحمد اتفقوا عَلَى جواز هذا التوكيل وان ابا حنيفة يمنعه فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الائمة الثلاثة الى ماذهب اليه ابو حنيفة بمفرده من غير ان يثبت عنده بالدليل ماقاله ولا اداه اليه اجتهاده فاني اخاف عليه من الله عز وجل ان يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (وكذلك) ان كان القاضي مالكيا واختصم اليه اثنان في سؤر الكلب فقضي بطهارته مع علمه بان الفقهاء كلهم قد قضوا بنجاسته وكذلك) ان كان القاضي شافعياً واختصم اليه اثنان في متروك التسمية عمداً فقال احدهما هذا منعني من بيع شاة مذكاة وقال آخر انما منعته من بيع الميتة فقضي عليه بمذهبه وهو يعلم ان الائمة الثلاثة عَلَى خلافه (وكذلك) ان كان القاضي حنبلياً فاختصم اليه اثنان فقال احدهما لي عليه مال فقال الآخر كان له عليّ مال ولكن قضيته فقضي عليه بالبراءة مع علمه بان الائمة الثلاثة على خلافه . فهذا [2] وامثاله مما ارجو ان يكون اقرب الي الخلاص وارجح في العمل اه

وقال الامام ابن عبد البر في جامع العلم : الواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس عَلَى الاصول عَلَى الصواب منها وذلك لايعدم فان استوت الادلة وجب الميل مع الاشبه بماذكرنا بالكتاب والسنة فاذا لم يبن وجب التوقف ولم يجز القطع الا بيقين فان اضطر احد الى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه

---

(١) يعني الحاكم او المفتي المقلد والا فالمجتهد لايمشي الا مع الدليل واذا عني القضاة والمفتون بما قال ابن هبيرة فتح للامة مخارج من مهام كثيرة وابوابا تقتضيها سماحة الاسلام

(٢) [illegible]

جاز له مايجوز للعامة من التقليد واستعمل عند افراط التشابه والتشاكل وقيام الادلة عَلَى كل قول بما يعضده قوله صلى الله عليه وسلم البر مااطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك في الصدر فدع مايريبك الى مالا يريبك : هذا حال من لا يتم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وافتاها بذلك علماؤها

واما المفتون فغير جائز عند احد ممن ذكرنا قوله لا ان يفتي ولا يقضي حتى يتبين له وجه مايفتي به من الكتاب او السنة او الاجماع اوما كان في معنى هذه الاوجه انتهى وهو خلاصة الخلاصة ولباب اللباب وما الطف قول الماوردي : يلزم الاجتهاد في كل حكم طريقه الاجتهاد انتهى والمجتهد فيه قال الغزالي هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي وقد ذكر الامام ابن القيم في اعلام الموقعين ان من افتى بقول يعلم ان غيره ارجح منه انه خائن لله ورسوله وللاسلام اذ الدين النصيحة (قال رحمه الله) وكثيراً ماترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب ولا يسعنا ان نفتي بخلاف مانعتقده فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونقول هذا هوالصواب وهو الاولى ان يؤخذ به

وههنا لا بد من التنبيه على انه ليس كل مايقال عنه ضعيف هو ضعيف حقيقة فقد سرى التقليد في كل شيء حتى في التضعيف وليس القول الضعيف ماضعفه فقيه برأيه لتوهم مخالفة قاعدة عنده اوقياس اونظير كلا ان الضعيف ماخالف دليلا صحيحاً من نص اوقياس قويم وكم من قول مضعف هو صحيح برهاناً ونظرا واوفق للمصلحة ولحكمة الشارع ويرحم الله القائل

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فعلى المفتي ان يمحص الاقوال ولا يغتر بمجرد التضعيف بل يجري وراء الاسد برهاناً الاصلح عمرانا وقد قال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »

(الحذر من الفتاوى في تحسين البدع ووجوب الرجوع الى مآخذها)

قال الامام ابن الحاج المالكي رحمه الله في كتابه المدخل : وليحذر ان يغتر العالم او يميل الى بدعة لدليل قام عنده على اباحتها من اجل استئناس النفوس بالعوائد او بفتوى مفت قد وهم او نسي اوجرى عليه من الاعذار مايجري عَلَى البشر وهو كثير بل اذا نقل اباحة شيء من هذه الامور عن احد من العلماء فينبغي للعالم بل يجب عليه ان ينظر الى مأخذ العالم المسألة وجوازه اياها من اين اخترعها وكيفية اجازته لها لان هذا الدين

والحمد لله محفوط فلا يمكن ان احداً يقول فيه قولا بغير دليل ولو فعل ذلك لم يقبل منه وهو مردود عليه وتتمته نفيسة فليرجع اليه (١)

وقال الامام محمد البلاطنسي في خلال فتوى له : ان الواجب على الشخص ان يلزم طريق السنة ويجتنب سلوك البدعة ولا يغتر بكثيرة الفاعلين لها ولا بكون العامل بها والمواظب عليها عالماً او مرموقاً بعين الصلاح

وقال الامام ابو شامة الدمشقي : واكثر مايؤتى الناس في البدع بهذا السبب بكون الرجل مرموقاً بالاعين فيتبعون اقواله وافعاله فتفسد امورهم مع تمادي العهد ونسيان اول هذا الامر كيف كان وقال شيخنا البلاطنسي رحمه الله : ان اهل الزمان انما اتوا من قبل انهم يفتون في كل مايسألون عنه ولا يدرون اصابوها ام اخطؤها والمناكر الفظيعة لا ينتبهون لها ولا ينكرونها سئل الامام مالك رضي الله عنه عن ثماني واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لاادري فالله المستعان عَلَى هؤلاء الذين شهواتهم غالبة على ديانتهم ويفتون بما ينقدح في اذهانهم ولا يقدرون انفسهم عما لايعرفونه واكثرهم ينطبق عليه الحديث الذي في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا .

(قال الامام ابو بكر الطرطوشي)فتدبروا هذا الحديث فانه يدل عَلَى انه لا يؤتى الناس من قبل علمائهم فقط وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماؤهم افتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله

قال وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريفاً فقال: ماخان امين قط ولكنه اؤتمن غير امين فخان (قال)ونحن نقولماابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل واضل انتهى

(استفتاء القلب)

روى الامام احمد والدارمي في مسنديهما عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم قال « استفت قلبك البر مااطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ماحاك في النفس وتردد في

(١) ليتأمل في هذا من يؤلف في بعض البدع ويظهرها بقالب شرعي في زعمه تزلفاً الى العامة وتفانياً في العادات ومعاندة لمن افتى ببدعتها مكابرة قاتله الله منه

الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » يشير الى التورع عما هو حلال في الفتوى بحسب ظاهر الحال ولكنه يجد حزازة في قلبه فكل من وجد حزازة واقدم مع مايجده في قلبه فذلك يضره لانه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وتفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام من احياء علوم الدين

(تغير الفتوى بتغير الاحوال والرد الى المصالح)

عقد الامام ابن القيم في اعلام الموقعين فصلا لتغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعادات « وقال » هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم عَلَى الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه مايعلم ان الشريعة الباهرة التي في اعلى رتب المصالح لاتأتي به فان الشريعة مبناها واساسها عَلَى الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة في شيء وان ادخلت فيها بالتأويل الخ والبحث جدير بالمراجعة وللامام نجم الدين الطوفي مبحث واف في المصالح المرسلة لايستغني عن مراجعته مفت ولا حاكم[١]

(بحث قولهم في الفتوى هذا حكم الله او فما حكم الله في كذا)

المستفتي اما ان يسأل عن حكم منصوص عليه او مجتهد فيه ففي الاول لاخلاف في جواز قوله : فما حكم الله : وقول مفتيه هذا حكم الله : لان حكم الله كما قال الغزالي في المستصفى خطاب مسموع او مدلول عليه بدليل قاطع وفي الثاني اعني المجتهد فيه ان قلنا عَلَى رأي الجمهور ان لله فيه حكماً معيناً يتوجه اليه الطلب وقد يصيبه المجتهد وقد يخطئه فلا يسوغ ان يقال فما حكم الله ولا هذا حكم الله لانه مغيب وهو مثل دفين يعثر عليه المجتهد بالاتفاق فلمن عثر عليه اجران ولمن اخطأه اجر واحد لاجل سعيه وطلبه وان قلنا على رأي غيرهم انه ليس في الواقعة التي لانص فيها حكم معين بل الحكم يتبع الظن والفرض عَلَى كل مجتهد ماغلب عَلَى ظنه فله ان يقول ماحكم الله بمعنى ماشرعه واذن فيه وذلك هو ماغلب عَلَى ظن المجتهد

وقد لخص هذه المسألة العلامة العضد في شرح مختصر المنتهى بقوله المسألة اما لاقاطع

(١) طبع في مجموعة متون في الاصول

فيها من نص اواجماع اوفيهاقاطع اما التي لاقاطع فيها فقد اختلف فيها فقال القاضي — ابو بكر الباقلاني — والجبائي كل مجتهد مصيب بمعنى انه لاحكم معيناً لله فيهاوحكم الله فيها تابع لظن المجتهد فما ظنه فيها كل مجتهد فهو حكم الله فيها في حقه وحق مقلده[1] وقد قيل لله فيها حكم والمصيب واحد وهوماللجمهور

وقد استدل للجمهور بحديث بريدة[2] قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميراً عَلَى جيش اوسرية اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال له واذا حاصرت اهل حصن فارادوك ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم عَلَى حكمك فانك لاتدري اتصيب فيهم حكم الله ام لا قال المجد ابن تيمية وهو حجة في ان ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق عند الله واحد[3]

وكذلك بحديث اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر فدل ان فيه خطأ وصواباً

وقد اجيب عن الحديث الاول بما حكاه العلامة الشوكاني في نيل الاوطار قال وقد قيل ان هذا الحديث لاينتهض للاستدلال به على ان ليس كل مجتهد مصيباً لان ذلك كان في زمن النبي والاحكام الشرعية اذ ذاك لاتزال تنزل وينسخ بعضها بعضاً

(١) اي فهو مصيب بمعنى انه ادى ما كلف به لانه بذل وسعه واللازم في الاجتهاد ليس الا بذل الوسع لانه المقدر عليه فكل مجتهد مصيب اي اذا افتى بشيء فقد اصابه

(٢) رواه الامام احمد ومسلم والترمذي وصححه

(٣) وممن ذهب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فقد حكى عنه تلميذه شمس الدين ابن القيم في اعلام الموقعين سماعاً انه قال حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم فجرت حكومة حكم فيها احدهم بقول زفر فقلت له ماهذه الحكومة فقال هذا حكم الله فقلت له صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به والزم به الامة قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله او نحو هذا من الكلام وصدر ابن القيم هذا البحث في الجزء ٣ ص ٤١٨ بقوله لايجوز للمفتي ان يشهد عَلَى الله ورسوله بانه احل كذا اوحرمه اواوجبه اوكرهه الا لما يعلم ان الامر فيه كذلك مما نص الله ورسوله عَلَى اباحته او تحريمه او ايجابه او كراهته بخلاف ماوجده في كتابه الذي تلقاه عمن قلده الى آخر ماذكره وقد علمت مبنى الخلاف في هذه المسألة اهـ منه

ويخصص بعضها ببعض فلا يؤمن ان ينزل عَلَي النبي صلى الله عليه وسلم حكم خلاف الحكم الذي قد عرفه الناس :

واجاب الامام الغزالي في المستصفى عن الحديث الثاني بقوله والجواب من وجهين «الاول» ان هذا هو القاطع عَلَى ان كل واحد مصيب اذ له اجر والا فالمخطئ الحاكم بغير حكم الله تعالى كيف يستحق الاجر (الثاني) هو انا لاننكر اطلاق اسم الخطإ عَلَى سبيل الاضافة الى مطلوبه لا الى ماوجب عليه فان الحاكم يطلب رد المال الى مستحقه وقد يخطئ ذلك فيكون مخطئاً فيما طلبه مصيباً فيما هو حكم الله تعالى عليه وهو اتباع ماغلب عَلَى ظنه من صدق الشهود وكذلك كل من اجتهد في القبلة يقال اخطأ اي اخطأ ماطلبه ولم يجب عليه الوصول الى مطلوبه بل الواجب استقبال جهة يظن ان مطلوبه فيها (ثم قال) « فان قيل » ولم كان للمصيب اجران وهما في التكليف واداء ما كلفا سواء « قلنا » لقضاء الله تعالى وقدره وارادته فانه لو جعل للمخطئ اجرين لكان له ذلك وله ان يضاعف الاجر عَلَي اخف العملين لان ذلك منه تفضل ثم السبب فيه انه ادى ما كلف وحكم بالنص اذ بلغه والآخر حرم الحكم بالنص اذ لم يبلغه ولم يكلف اصابته لعجزه ففاته فضل التكليف والامتثال

والبحث جدير بالعناية وقد جوده حجة الاسلام الغزالي في المستصفى فارجع اليه

(الحذر من رد النص بالتأويل)

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من ائمة الشافعية [1] : ان الفقه في الدين منزلة لايخفى شرفها وعلاها ولاتحتجب عن العقول طوالعها واضواها وارفعها بعد فهم كتاب الله المنزل البحث عن معاني حديث نبيه المرسل اذ بذاك تثبت القواعد ويستقر الاساس وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس لكن شرط ذلك عندنا ان يحفظ هذا النظام ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام وترد المذاهب اليه وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه

واما ان يجعل الفرع اصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحيل ويحمل عَلَى ابعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول فذلك عندنا من اردء مذهب واسوء طريقة ولانعتقد انه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة وكيف يقع امر مع

(١) في خطبة شرح الالمام كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته اه

رجحان منافيه وانى يصح الوزن بميزان مال احد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة العصبية واين يقع الحق من خاطر اخذته العزة بالحمية الخ

(الفتوى في امر لم يقع)

قال الامام ابو شامة رحمه الله في كتابه (المؤمل في الرد الى الامر الاول) ما مثاله : كان الصحابة اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى و يود كل منهم لو كفاه اياها غيره وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع و يقولون للسائل عنها : اكان ذلك : فان قال لا قالوا : دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه : كل ذلك يفعلونه خوفا من الهجوم عَلَي ما لا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه : انتهى

(المواضع التي يجب فيها عَلَى المفتي المناظرة او يستحب وشرح فوائدها)

قال حجة الاسلام الغزالي في المستصفى : المحصلون يعتقدون وجوب المناظرة لغرضين واستحبابها لستة اغراض

(اما الوجوب) ففي موضعين (احدهما) انه يجوز ان يكون في المسألة دليل قاطع من نص او مافي معنى النص او دليل عقلي قاطع فيما يتنازع فيه في تحقيق مناط الحكم ولو عثر عليه لامتنع الظن والاجتهاد فعليه المباحثة والمناظرة حتى ينكشف انتفاء القاطع الذي يأثم و يعصى — المجتهد — بالغفلة عنه (الثاني) ان يتعارض عنده دليلان و يعسر عليه الترجيح فيستعين بالمباحثة عَلَي طلب الترجيح فانا وان قلنا على رأي انه يتخير فانما يتخير اذا حصل اليأس عن طلب الترجيح وانما يحصل اليأس بكثرة المباحثة

(واما الندب) ففي مواضع (الاول) ان يعتقد فيه انه معاند فيما يقوله غير معتقد له وانه انما يخالف حسداً اوعناداً او نكراً فيناظر ليزيل عنهم معصية سوء الظن و يبين انه بقوله عن اعتقاد واجتهاد (الثاني) ان ينسب الي الخطأ وانه قد خالف دليلا

قاطعاً فيعلم جهلهم فيناظر ليزيل عنهم الجهل كما ازال في الاول معصية التهمة (الثالث) ان ينبه الخصم على طريقه في الاجتهاد حتى اذا فسد ما عنده لم يتوقف ولم يتخير وكان طريقه عنده عتيداً يرجع اليه اذا فسد ما عنده وتغير فيه ظنه (الرابع) ان يعتقد ان مذهبه اثقل واشد وهو لذلك افضل واجزل ثوابا فيسعى في استجرار الخصم من الفاضل الى الافضل ومن الحق الى الاحق (الخامس) انه يفيد المستمعين معرفة طرق الاجتهاد و يذلل لهم مسلكه ويحرك دواعيهم الى نيل رتبة الاجتهاد و يهديهم الى طريقه فيكون كالمعاونة على الطاعات والترغيب في القربات (السادس) وهو الاهم ان يستفيدهو وخصمه تذليل طرق النظر في الدليل حتى يترقى من الظنيات الى ما الحق فيه واحد من الاصول فيحصل بالمناظرة نوع من الارتياض وتشحيذ الخاطر وتقوية المنة في طلب الحقائق ليترقى به الى نظر هو فرض عينه ان لم يكن في البلد من يقوم به او كان قد وقع الشك في اصل من الاصول او الى ما هو فرض عَلَى الكفاية اذ لابد في كل بلد من عالم مليء بكشف معضلات اصول الدين وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب متعين ان لم يكن اليه طريق سواه وان كان اليه طريق سواه فيكون هو احدى خصال الواجب فهذا في بعض الصور يلتحق بالمناظرة الواجبة

فهذه فوائد مناظرات المحصلين اه وهو من احسن ما كتب فيها و به يعلم ان الدخول في المناظرة انما هو للمجتهد وقد صرح به حجة الاسلام عليه الرحمة ايضاً في بحث آداب المناظرة من كتاب العلم في الاحياء واما المقلد فقد قال عليه الرحمة في كتابه فيصل التفرقة : ان شرط المقلد ان يسكت و يسكت عنه : في كلام بديع ينبغي مراجعته وما الطف قول ابن سهل : فما اضيع البرهان عند المقلد والله اعلم

(نموذج من فتاوى القرن السابع وتوقيع عدة مفتين على فتوى واحدة)

في فتاوى تاج الدين الفزاري الشهير بابن الفركاح — من ائمة الشافعية — ما مثاله

(واقعة)

قرية موقوفة على شخصين على سبيل الاشاعة الوقف الصحيح الشرعي فوضع شخص يده عَلَى نصف الارض واستغلها وبقي النصف الآخر في يد الشريك فهل يكون الحاصل من مغل النصف الباقي بين الشريكين ام لا

اجاب الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح المقدسي [1] اذا كانت مشاعة غير

(١) من كبار علماء دمشق مدفون في مقبرة الصوفية المعروفة بالبرامكة

مقسومة فالغصب واقع عليهما ومغل مالم توضع عليه اليد بينهما لايختص به الشريك الذي هو في يده

وصحح عَلَى جوابه عبد الكريم الانصاري

وكتب قاضي الحنفية الصدر سليمان : نعم يكون بينهما الا ان يكون نماء ملكه

وكتب بعض الحنابلة : نعم يكون ذلك بينهما عَلَى حسب شرط الواقف

وفيها ايضاً ما مثاله

(حادثة)

وقعت لنقيب الاشراف بدمشق سنة (٦٦٦) كان قد حوسب فخرج عليه في الحساب ستة آلاف فقال : صرفتها في المداراة عن الوقف : فقال الاشراف : مانعرف ما المداراة بين لنا ما اردت به : فقال : مايلزمني ذلك شرعاً : فكتب في ذلك سؤال

فكتب تاج الدين : ان لم يكن المتولي حاكما فعليه بيان جهة المداراة ويكون ضامناً ان اصر عَلَى الامتناع من البيان . وساعده النجم الموقاني على ذلك

وكتب البرهان المراغي : انه لا يلزمه بيان المداراة :

فلما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من شوال من السنة المذكورة عقد مجلس بالعادلية عند قاضي القضاة ابن خلكان وحضر النقيب وقال : ان الفقهاء افتوا انه لايلزمه بيان المداراة : فناظره الشيخ [١] في ذلك فرجعوا الى قوله وهذا لان المداراة من غير الحاكم لابد من تفسيرها لانها في مظنة الاجتهاد فانه قد يعتقد مصلحة ما ليس مصلحة الخ

وفيها ايضا ماصورته :

(واقعة)

كان بدمشق شخص يعرف بناصر الدين ابن مجاور في سنة (٦٧٣) وقف غراسا على مغارة الدم بجبل قاسيون ظاهر دمشق واشهدنا بالوقفية ولم يكتب كتاب وقف فلما توفي كان لبيت المال في ميراثه نصيب فنازع وكيل بيت المال في الغراس فكتب محضر مضمونه ان ابن مجاور وقف ذلك الغراس عَلَى مغارة الدم وعَلَى مصارفها وقفاً صحيحاً شرعيا فقال الوكيل المصارف مجهولة وكتب في ذلك سؤال

(١) يعني تاج الدين الفزاري صاحب الفتاوى المنقول عنها

فكان الجواب ان المصارف الجهات المعينة فى كتاب وقف مغارة الدم المتقدم عَلَى وقف هذا الغراس

ولما حضر الشهود عند القاضي كانت صورة شهادتهم : انهم يشهدون عَلَى اقرار ابن مجاور انه وقف ذاك الغراس على مغارة الدم : ولم يقولوا وعلى مصارفها

فتوقف القاضي لذلك في الحكم ونازع الوكيل وقال : ان هذه الشهادة لا تقبل : فكتب في ذلك سوءال

اجاب تاج الدين فيه بان هذه الشهادة يثبت بها الوقف ويحكم الحاكم بالوقف بها مستدلاً عَلَي ذلك بانهما شهدا علي اقراره بالوقف ومطلق الاقرار بالوقف محمول عَلَي الصحيح والصحيح ما اجتمع فيه الشرائط المعتبرة فيه

وساعده عَلَي ذلك البرهان المراغي والشيخ محي الدين النواوي وغيرهما

وفيها ايضا مانصه

(واقعة)

وقف وقفاً صحيحاً شرعياً عَلَي بعض جهات البر وحكم به حاكم من حكام المسلمين واستثنى الواقف النظر فيه لنفسه مدة حياته وله ان يفوض ذلك الى من يرى في حياته وبعد وفاته وكذلك كل من آل اليه النظر في هذا الوقف له ان يفوضه الي من يراه اهلا لذلك في حياته وبعد وفاته ولم يجوز هذا الواقف لناظر من النظار في هذا الوقف ان يفوضه الا الى من يعلم عدالته وامانته وصلاحه ويختار من هو عَلَي هذه الصفات من اقرب الناس الي الواقف ثم الاقرب فالاقرب الى الاعلى من نسله فان لم يكن من عصبته احد موصوف بهذه الصفات فعند ذلك يفوض الى من هو علي هذه الصفات من عشيرة هذا الواقف فان لم يوجد منهم احد فوضه الى من هو علي هذه الصفات من الاجانب عَلَي حسب ما يراه وان كان الابعد عَلَي هذه الصفات والاقرب عارياً عنها فيقدم الموصوف بهذه الصفات على الاقرب ومتى عاد الاقرب الى هذه الصفات واتصف بها عاد النظر اليه ومتى مات الناظر من غير وصية ولا تفويض كان النظر بعده مفوضاً الى الاقرب فالاقرب الى الواقف من الموصوفين بهذه الصفات عَلَي الشرط المذكور فان مات الناظر ولم يفوض الى احد ولم يبق من عشيرة الواقف المذكور احد موصوف بهذه الصفات كان النظر في الوقف مردوداً الى كل حاكم يتولى الحكم بمدينة كذا فاسند الواقف النظر في ذلك الى اخيه زيد ثم ان اخا الواقف اسند النظر الى ولده عمرو ان لم يكن

للواقف احــد اقرب منه ثم ان عمراً اسند الى ولده بكر مع وجود من هو اقرب الى الواقف فهل يصح اسناد عمرو ام لا واذا لم يصح فيكون النظر الى اقرب الناس للواقف بشرط الوقف واذا كان الاقرب الى الواقف امرأة وهي موصوفة بالصفات المشروطة في النظر فهل يعود النظر اليها لكونها اقرب الى الواقف ام لا

اجاب الزين ابن المنجا الحنبلي : لايصح اسناد عمرو الى ولده مع وجود من هو اقرب منه الى الواقف واذا مات عمرو ولم يجعل النظر الى من له جعله كان النظر الى الاقرب الى الواقف الموصوف بما ذكر واذا كان الاقرب امرأة موصوفة بما شرط وكان الوقف لايتضرر بنظرها لقيامها بالواجب فيه اما بنفسها واما بنائبها كان النظر اليها وكتب : كتبه ابن المنجا الحنبلي

وكذلك بعده ابراهيم بن احمد بن عقبة الحنفي

اجاب التقي ابن تيمية الحنبلي : لايصح اسناد عمرو والحالة هذه بل يكون النظر الى اقرب الموجودين الى الواقف من المتصفين بالصفات المشروطة بمقتضى شرط الواقف اذ التفويض الفاسد كلا تفويض وسواء كان رجلا او امرأة لانتظام العموم لها وقد فوض عمر رضي الله عنه وقفه الى حفصة وكتب : كتبه احمد بن تيمية ،

ووافقه على ذلك الشرف المقدسي الشافعي

هذه نموذجات من فتاوى القرن السابع وهكذا ماقبله فيرى الواقف ان الوقائع والنوازل والاقضية كانت تعرض عَلَى انظار عدة من اولي العلم ليرى كل فيها مايؤديه اليه اجتهاده وقد يدلي بعضهم بحجة اقوى و برهان اقوم فيفيئ الى فتواه من افتى بخلافه وقد رأيت في هذه الفتاوى — فتاوى الفزاري — من رجع بعد فتواه الى ما كتبه مفت آخر في واقعة وعبارتها فيها : فلما افتى الشيخ بذلك وكتب خطه رجع التقي ابن حياة اليه ورجع عما كان كتبه مع الجماعة واعتمد عليه انتهى وهكذا يكون العلم الصحيح والسعي وراء الحق في المسائل دون تعصب لامام او تقيد بمذهب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

الكلمات الدخيلة

منذ اخذت الصحف تصدر في العربية اي منذ زهاء ثمانين سنة شعر الكتاب والمترجمون بالحاجة الى ترجمة بعض الالفاظ الافرنجية الى العربية فبدأ بذلك الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووضع بعض الالفاظ العربية لمدلولات افرنجية شاعت اليوم حتى عدت كأنها من متن اللغة الاصلي ثم تبعه من جاء بعده ولاسيما المترجمون في مصر وسورية ومن جملتهم الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الطبيب والبيان والضياء الذي عرّب بعض الالفاظ وغيرهم من اللغويين المعاصرين

وفي سنة ١٣١٠ عقد في مصر مؤتمر لغوي مؤلف من بعض العلماء واللغويين تليت فيه بعض الكلمات لبعض الالفاظ الشائعة مثل «مرحى» لكلمة برافو و«برحى» عَلَى النقيض من الاولى و«مدره» للمحامي و«المسرة» للتلفون و«عم صباحاً» لبونجور و«عم مساء» لبونسوار و«البهو» للصالون و«القفاز» للجوانتي او الكفوف و«النمرة» للنومرو «والوشاح» للكوردون و«الطنف» للبالكون و«الحراقة» لمركب التوربيدو «الجديلة» للمودة و«المرب» للكلوب و«الحذاقة» لشهادة البكلوريا و«العاطف او المعطف» للبالطو وحصب الارض بالحصباء للمكادام و«المشجب» للشماعة اوبور تمانتو

ثم انفرط عقد ذاك المجتمع وكان عبد الله افندي البستاني من لغويي بيروت وضع لفظة (آنسة) لمداموازيل و«عقيلة» لمدام ثم وضع احمد بك تيمور (١) ثلاثين كلمة وهي

«ملة القلم» المدة بضم اوله وهي مايعلق بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة

«بوية الجزم اوطلاء الاحذية» اليزندج او الارندج بفتحتين وهو السواد يسود به الخف

«صحبة الورد» الطاقة وهي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصحبة وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بحزمة البقل

«نشان التعليم» الدريئة بفتح فكسر وهي الحلقة يتعلم الرامي عليها.

«الكشك» اصله بالفارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق.

«العطفة» الردب بفتح الراء وسكون الدال وهو الطريق الذي لاينفذ.

(١) المقتبس م ٣ ص ٢١٤

« العديل »السلف او الظأب من المظآبة وهي ان يتزوج انسان بامرأة و يتزوج آخر باختها . اما التجاب بتشديد الباء من باب التفاعل فهو ان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .

« قشرة الجرح » الجلبة بضم فسكون وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء

« الطاقية »السكبة بفتح فسكون وهي خرقة تقور للرأس كالشبكة .

«ناظر العمارة اومقدم الفعلة » الوهين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يحثه عَلَى العمل .

« اليشمق» اللفام بكسر اوله وهو النقاب يكون عَلي طرف الانف فان كان عَلَى الفم فهو اللثام

« السردين »الصير بكسر اوله وهو كما في القاموس السميكات المملوحة يعمل منها الصحناة وفسر الصحناة بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة . فعلى هذا يجوز اطلاق الصحناة عَلَى كل مايقدم امام الطعام من المشهيات كالصير ونحوه المسمى عند الاعاجم Hors d,œuvre يمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو سمك صغار تعالج بالملح وتوكل

« العزبة » كأنها محرفة عن العزوبة بالفتح وهي الارض البعيدة المضرب الى الكلأ وصوابها الضيعة اوهي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى « العزبة »واظنها مستعملة الى الآن بهذا المعنى بالبلاد الشامية

« مضرب الكورة » الطبطابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يلعب بها بالكرة و يقال لها ايضاً الميجار بكسراوله وهو كما في المخصص الصولجان الذي تضرب به الكرة

« المزة »النقل بالفتح او بالتحريك وهو مايعبث به الشارب او يتنقل به عَلَي شرابه من فاكهة ونحوها . والعامة تقول نقل بضم فسكون وهو خطأ قديم نبه عليه ائمة اللغة .

« اللباس الرسمي »السواد وهولون اتخذه بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عندهم عَلَي لباس اسود خاص بالامراء والعلماء وذوي الاخطار وكان الرجل اذا اراد الذهاب الى ديوانه او مقابلة خليفته قال لغلامه عَلَيَّ بسوادي وسيفي .

« ثياب الحزن » السلاب بكسر اوله وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحدتها سلبة بفتحتين وتسلبت المرأة وسلبت بتشديد اللام اذا لبستها وهو مثل احدت الا ان الاحداد يكون عَلَي الزوج خاصة والتسلب علي الزوج وغيره .

« الحبل الحاجز في الطريق » عند اصلاحها او في احتفال كبير . الماصر وهو كما في مختصر العين للزبيدي حبل عَلَى طريق اونهر تحبس به السفن او السابلة . واقتصر في اللسان عَلَى انه الحبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير .

« المعدية » المعبر كمنبر وهو المركب الذي يعبر به .

«عقدة وشنيطة »الانشوطة بضم فسكون وهي عقدة يسهل انحلالها اذا مددت باحد طرفيها انحلت . وتقول نشطت الانشوطة من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها

« الحصان البوني Poney او Pence » المكبون والانثى المكبونة وهو الفرس القصير القوائم الرحيب الجوف الشخت العظام ولا يكون المكبون اقعس ومعنى الاقعس في الخيل المطمئن الصهوة المرتفع القطاة .

« الشال »الطيلسان وقد فسره اللغويون بانه ضرب من الاكسية واقتصروا عَلَى ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السجيني فسره في كتابه المسمى بالعمى الاكبر في عين من انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يجعل عَلَى الرأس فوق نحو عمامة ويغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلقى طرفاه عَلَى الكتفين اه وهو كما ترى قريب جداً من معنى الشال .

« رخو الكرباج »الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي اللسان وشيبا السوط سيران في رأسه وشيب السوط معروف عربي فصيح اه

« الجرسون او السفرجي » لم اقف عَلَى لفظ مفرد يدل دلالة تامة عَلَى« الجرسون » وقد ذكر اللغويون النَدل بضمتين وفسروه بخدم الدعوة قالوا سموا ندلا لانهم ينقلون الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل يندل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا مفرده فارجو ممن وقف عَلَى لفظة اخرى او على مفرد الندل ان يتفضل بنشره افادة للجمهور . عَلَى اني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني بفتحتين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لنادل كخادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي الحكم فيه الا بالنص الصريح .

« القطن الزهر » اصطلح المصريون عَلَى تسمية القطن قبل حلجه بالزهر وعربيته الفصيحة المكمهل بصيغة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن مادام فيه الحب والقطن الحليج كأمير هو ما استخرج حبه ويسميه المصريون بالشعر . اما شجرة القطن فتسمى الزعبل بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه

« السنارة » الشص بفتح اوله او كسره وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك واما الصنارة بكسر الصاد المهملة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشديدها فهي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صادها سينا ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوعة

« الجاكيتة Jaquette » اصطلح الكتاب عَلَى تسمية « البالطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكيتة كالبالطو الصغير فلا حرج اذا سميناها بالعطيف تصغير ترخيم للمعطف ·

« البيرة السوداء » البيرة خمر الشعير وعربيتها الجعة وزان هبة فيجوز ان يقال الجعة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ليلي فما المانع من اطلاقها عَلَى هذا النوع من البيرة

« عمود الغاز » الماثلة وهي منارة المسرجة كما في القاموس

« البونية Coup de poing » الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين تقبضها قال طرفة بن العبد

بطيء عن الجلى سريع الى الخنا   ذلول باجماع الرجال ملهد

و يقال فيه ايضاً الصقب بفتح فسكون وصقبه اي ضربه بجمع كفه ·

وبقيت الحال عَلَى هذا المنوال تشتد الحاجة الى مفردات عربية كلما كثر المترجمون وكان لبعض المجلات عمل مهم في هذا الشأن فوضع اربابها وموآزروها الفاظاً كثيرة منها ماشاع ومنها مالم يرزق الحظوة من الشيوع بين الكتاب الى ان قام في السنة الماضية اعضاء نادي دار العلوم في القاهرة وهم من الغيورين عَلَى خدمة اللغة لان معظمهم ممن احكموا كتابتها وقواعدها و بيانها احكاماً يكاد لايكون وراءه غاية وهم الحلقة الموصلة بين اهل التربية الحديثة واهل التربية القديمة بل هم مثال التربية العربية العصرية فرأوا نفع الله بهم العربية ان يختاروا بعض الاكفاء منهم يؤلفون لجنة علمية تتوفر عَلَى هذا الغرض من وضع الالفاظ العربية للمفردات العامية او الاجنبية التي سرت الى لغتنا من لغات اوربا او من اللغتين الفارسية والتركية فوضعوا حتى الآن طائفة صالحة من هذه الالفاظ وها نحن نثبتها فيما يلي ايذاناً بفضل اولئك العاملين وبياناً للمشتغلين باللغة من اهل الاقطار العربية الاخرى عسى ان ينظروا فيها نظرة ثانية او ان يقروا اللجنة عَلَى ماوضعت وان كان المصريون هم في الحقيقة ائمة اللغة والقائمون عَلَى تعهدها اكثر من غيرهم من الشعوب

وهاك ماقررته اللجنة حتى الآن من الالفاظ :

« استمارة » يرى اعضاء النادي استعمال استئمارة وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استيمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا اثبات التاء لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي اخذ امره ·

« انفيتياترو » ترجمت بلفظ مدرج منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها ·

« بلوك نوت » تعريبها اضمامة ومعناها الاوراق منضمة ·

« بويه » نظرت اللجنة فيما يستعمل للتلوين فوجدته عَلى نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة صبغ كصبغ الثياب والورق وما اشبه · ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة طلاء كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

« تخته بوش » وهو مايسميه الافرنج « Véranda » وتعريبه نجيرة فقد جاء في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها نصب ولا غيره ·

« ترابيزة او طاولة » رأت اللجنة من هذا المسمى انواعاً : فمنها ماهو للاكل وهذا خوان ويسمى حين وضع الاكل عليه مائدة · ومنها ماتوضع عليه الاشياء المختلفة وهذا منضدة مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحر المتاع وخياره · ومنها ماهوللكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة مكتب المستعملة ·

« ترسينه » ان مايخرج عن البناء منه ماهو مغطى وهذا يسمى كنه ومنه ماهو مكشوف وهذا طنف والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار · على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي شرفة وقد كثر استعمالها وورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة مستشرف

« جول » اختارت لها اللجنة لفظة مرمى على ان كلمة محج الشائعة في سورية تؤدي نفس المعنى

« خارطة » وصحيحها خريطة

« دوسيه » تعريبها ملف

« شماعة او تعليقة » وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين اولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة غدان وهو في اللغة قضيب تعلق عليه الثياب والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة شجاب

102

« طابور » الكلمة عربية حرفت وصحيحها تابور

« كارت فيزيت » سبق اختيار بطاقة الزيارة ولا مانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال بطاقة كما يقول الافرنج كارت

وقد رأت اللجنة ايضاً استبدال « سينماتوغراف » بكلمة خيالة وهي كل ما تراءى لك من الصور و « فونغراف » بالحاكي « وميموغراف » بمطبعة النضح و « تيبرايتر » بمطبعة الازرار لانها اتخذت قاعدة عامة في قسمة المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من مطبعة مضافة الي اكبر مميز لتلك المطبعة · على ان كلمة الآلة الكاتبة او الكاتبة فقط اقرب من مطبعة الازرار

« اسبتالية » قالت اللجنة : كان من الممكن ان نجاري المتقدمين في اختيارهم كلمة بيمارستان ولكن رأينا ان كلمة مستشفى مع ادائها المعنى تماماً اسهل نطقاً من الكلمة الاولى واكثر دوراناً عَلَى الالسنة والاقلام

ونرى ان كلمة مستوصف اولى بالتعبير عن « الكلينيك »

« وبوفه Buffet » اختارت اللجنة لهذا المعنى كلمة مقصف — وقد سبق استعمالها لان معنى القصوف في اللغة الاقامة في الاكل والشرب وهذا هو معنى بوفه اما استعمال القصف في اللهو فغير عربي ·

اما خزانة الطعام والشراب فقد استعمل لها المتقدمون كلمة سكردان

« بريمة Tire-bouchon » بزال ومعناه في اللغة : حديدة يفتح بها الدن وهو قريب من البريمة الحالية ففي هذا الاطلاق توسع

« تلغراف » استحسنت اللجنة الكلمة المستعملة برق ورسالة برقية

« تباشير » الكلمة عربية محرفة وصحيحها طباشير

« ديبلوم » شهادة عالية وقالت لم توافق اللجنة عَلَى الشهادة النهائية ولاعلى الشهادة العليا لان الديبلوم ليست كذلك بل بعدها ماهو اعلي منها · اما « شهادة الحذاقة » التي اشار اليها احمد تيمور بك فربما وضعت بعد لما هو ارقى من تلك الشهادة

« عفارم » اختارت اللجنة كلمة مرحى وهي كلمة تقولها العرب للاصابة في الرمي فيمكن التوسع فيها ·

« قومسيون » استنسبت كلمة لجنة المستعملة لان معنى اللجنة الجماعة يجتمعون في الامر ويرضونه وذلك معنى القومسيون

« اتومبيل » سيارة · كلمة استعملت وتعارفها الكتاب فوافقت اللجنة عَلَى استعمالها ·
« اكسبرس » قطار سريع مع كثرة الاستعمال يستغني عن الموصوف ويكتفى بالسريع كالمعتاد · « بدرة » غمنة · في القاموس الغمنة الاسفيداج والغمرة تطلي بها المرأة وجهها وهو موافق لمسمى بدرة ·« بزرميط » هجين · لمن ابوه خير من امه · مقرف · لمن امه خير من ابيه · مخلط · اذا لم تلاحظ الخيرية في احدى الجهتين · « بنطلون » سروالة ·
« ترتوار » طوار · في القاموس طوار الدار ويكسر ما كان ممتدا معها وهذا ممتد مع الشارع ·« تمرجي » ممرض كلمة عربية مستعملة في معنى التمرجى ·« تملي » دائمى ·
« جهجهون » جزاف · استعملها الفقهاء للبيع من غير كيل او وزن ولم تر اللجنة بأساً بالتوسع فيها ·« دونامة » اسطول · كلمة استعملها المتقدمون من المؤرخين في معنى الدونامة · « روماتزم » رثية · في القاموس الرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين ·
« زنبلك » دوّرة · في القاموس يقال لكل مالم يتحرك ولم يدر دوارة وفوارة بفتحهما فاذا تحرك ودار فهو دوارة وفوارة والزنبلك متحرك فرأت اللجنة ان الدوارة اقرب الكلمات العربية الى معنى الزنبلك ·« صالون » بهو · استعمل الكتاب كلمة بهو في الصالون والمعنيان متقاربان · « صندوق القمامة » صندوق القمامة ·« قشلاق » ثكنة · في القاموس الثكنة مركز الاجناد ومجتمعهم عَلَى لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم جمعه ثكن كصرد · « يمكخانة » حواطه · لمحل الاكل · مطعم · للوكاندة الاكل ·
« برجل » دوارة · فرجار · بركار · في القاموس الدوارة الفرجار وقد ارتضتها اللجنة لانها عربية محضة والكلمتان الاخريان من تعريب علماء الهندسة المتقدمين وقد استعملتا كثيرا في كتبهم فرأينا ان نبقي عليهما · « كروكي » رسم تقريبي · قد اختير ترجمة الكلمة غير العربية بما يؤدي معناها لعدم اتصال علم اللجنة بكلمة عربية تؤدي هذا المعنى ·
« هدوم » ملابس · اصل الهدم الثوب البالي او المرقع اوخاص بكساء الصوف جمعه اهدام وهدام فاستعمل العامة مفرده في غير ماوضع له وجمعوه عَلَى غير وجهه وكلمة ملابس تؤدي المعنى المراد · « ناموسية » كلة · في القاموس الكلة غشاء رقيق يتوقى به من البعوض وهي الناموسية بعينها اما الحجلة فلم ترضها اللجنة لانها خاصة بما تجلى فيه العروس ·

(نوته) مذكرة ، كناشة ج كناشات اشتق كلمة مذكرة من الفعل المقصود من هذا الاسم وهو التذكير وهذا مااختارته اللجنة واما كناشة فقد اختارها الاستاذ الشيخ حمزة وقد قال صاحب شرح القاموس ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها

الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وترى اللجنة انها تستعمل لما قاله صاحب شرح القاموس (اجنده)

(قماش) نسيج اصل القماش ماعَلَى وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذاله قماش وليس هذا المعنى هو المراد بكلمة قماش وانما يريدون بها المنسوجات فكلمة نسيج طبقه

(قومندان) قائد اصل الكلمة اعجمية وكلمتها العربية قائد يقال قائد الجيش وقائد الفرقة وقائد الفرسان وقائد المشاة. (قواص) حاجب استعملت حاجب لتؤدي معنى قواص وهي موافقة. (طرحة) خمار الخمار النصيف وهي ماتغطي به المرأة رأسها وقد كانت الطرحة مستعملة قديماً في الطيلسان وقد يقولون الطراحة فالخمار اقرب الى المعنى المقصود من الطرحة. (حزورة — فزورة) احجية قال في القاموس كلمة محجية مخالفة المعنى للفظ وهي الاحجية. (شنطة) عيبة قال في اللسان العيبة وعاء من ادم يكون فيها المتاع. « شادوف » شادوف جميع الكلمات التي وردت للجنة ليس فيها مايدل عَلَى مسمى شادوف مع استعمالها في معان اخرى وهذه الكلمات هي (١) دالية وهي المنجنون والناعورة والمنجنون الدولاب يستقى عليه او المحالة يسنى عليها والمحالة البكرة العظيمة وكل هذا بعيد عن معنى الشادوف (٢) السانية وهي الغرب وادانه والناقة يسقى عليها والغرب الدلو العظيمة

لهذا رأت اللجنة ان تستبقي كلمة شادوف بازاء ذلك المعنى المعروف وخصوصا ان الصيغة عربية كثيرة الورود وقال الاستاذ الشيخ حمزة انها كلمة مصرية معروفة عند العرب. « فنار » منار المنار موضع النور ويظهر ان كلمة فنار مخلطة من الكلمة العربية منار والكلمة اليونانية فار. « فرشة » فرجون محسة من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في القاموس: الفرجون كبرذون المحسة وقال في مادة حس: الحس نفض التراب عن الدابة بالمحسة للفرجون (كماشة) كماشة قال في القاموس الكمش ضرب من صرار الابل وصرار الابل شد ضرعها صرها يصرها صرا وهو نوع من القبض الذي يراد به التمكن من الشيء فرأت اللجنة ان هذا من التجوز الذي يتسع مثله ولا حاجة بعد الى تغيير كلمة مثل هذه والذهاب الى الكلمات العامة مثل ملقط ومقبض وما شاكل ذلك.

« كالون » قفل وغلق اختير الغلق لذلك الذي تسميه العامة « كالون » والقفل يستعمل عند العامة في مسمى معروف فيبقى دالا عَلَى ذلك المسمي وهو المنفصل عن الباب ويستعمل له عروتان يربطها القفل بلسانه. « برميل » برميل وردت للجنة

تسع كلمات لم تر واحدة منها صالحة لان تطلق عَلَى مسمى البرميل وهي (١) الزبيل ومعناها كما في القاموس القفة او الجراب او الوعاء والقفة والجراب مسماها مخالف لمسمى البرميل شكلا ومادة والوعاء عام (٢) الزكرة زق للخمر والخل والزق السقاء او جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره وليس معنى البرميل هذا (٣) فنطاس ومعناه حوض السفينة يجتمع فيه نشافة مائها وسقاية لها من الالواح يحمل فيها الماء العذب للشرب ولاتزال الكلمة مستعملة في معناها مع التوسع (٤) مخزن وهي عامة لكل مايخزن فيه الشيء اي يحرز (٥) المقلد وهو الوعاء فهو عام (٦) العس وهو القدح العظيم (٧) الحب ومعناه الجرة والضخمة منها او الخشبات الاربع توضع عليها الجرة ذات العروتين (٨) الدن وهو الراقود العظيم او اطول من الحب او اصغر وله عس لا يقعد الا ان يحفر له وهو المعروف بالزلعة او الخابية (٩) الراقود وهو مثل الدن

رأت اللجنة بعد نظرها هذه الكلمات ان تقر عَلَى استعمال كلمة برميل لانها ادل عَلَى مسماها ولم يوجد من الكلم العربية امامها ما يقوم مقامها وقد قال الاستاذ الشيخ حمزة ان برميلا بكسر الباء عربية صحيحة . « حرملة » إتب ومئتبة حرملة . في القاموس الاتب والمئتبة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين وهو قريب من معنى الحرملة . وقد بحثت اللجنة عن اصل هذه الكلمة وكيف استعملها الناس مع الطلاوة العربية فوجدت ان الحريملة شجرة تنشق جراؤها عن الين قطن ويحشى به مخاد الملوك لخفته ونعومته فلا يبعد ان هذه الحرملة كانت تحشى بهذا القطن للتدفئة فسميت باسم شجرتها وكبر اسمها ولذلك ابقتها اللجنة . « البشاورة » الطلاسة . في القاموس الطلاسة خرقة يمسح بها اللوح . « شخير النائم » غطيط . غط النائم صات

« الدورية الليلية » عسس . عس طاف بالليل وهو نفض الليل عن اهل الريبة وهو عاس جمعه عسس . « الرغاوي » الرغاوَى — الزبد . وضعت اللجنة كلمة الزبد وقال الاستاذ الشيخ حمزة الرغاوى اي الرغوة اي الزبد والجمع رغاوى كل ذلك عربي صحيح . « طازه » طازج . طازج تعريب طازه وكان من عادة العرب في التعريب ان يلحقوا بالكلمات المنتهية بمثل هذه الهاء جيما كما قالوا فالوذج ونموذج وغير ذلك . « الدش » الرشاش . الرش نفض الماء والرشاش مشتق منه

« عفش » اثاث . الاثاث متاع البيت . (حجر الحمام) نسفة . في القاموس النسفة حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل سمي به لانتسافه الوسخ من الرجل

(طاولة اللعب) نرد . (عماص) غمص ان سال . رمص ان جمد . الغمص ماسال من الرمص غمصت العين كفرح فهو اغمص والرمص وسخ ابيض . يجتمع في الموق رمصت عينه كفرح فهو ارمص والتقييد من وضع الاستاذ الشيخ حمزة

« عود الفرن » محش . المحش حديدة تحش بها النار اي تحرك كالمحشة

« مصلحة الفرن » المطردة . المطردة خرقة تبل ويمسح بها التنور ومثلها الطريدة

(هلب السفينة) انجر كلوب . الانجر مرساة السفينة وهو خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست معرب لنكر . والكلوب من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في شرح القاموس ومن المجاز كلاليب الباز مخالبه جمع كلوب

(هلب البئر) حصرم . الحصرم الحديدة يخرج بها الدلو من البئر .

(هباب اللمبة) سناج . السناج اثر دخان السراج في الحائط .

(مضرب الكرة) طبطابة . الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها الكرة

(فارة النجار) مسحج . المسحج المبراة يبرى بها الخشب . (تصبيرة) لمجة . اللمجة مايتعلل به قبل الغداء . (ابعدية) ضيعة . الضيعة العقار والارض المغلة

(قزان) مرجل . المرجل القدر من الحجارة والنحاس مذكر

(اضبش) غطمش الغطمش الكليل البصر اما الضبش فلم نره . (الرمش) الهدب الهدب شعر اشفار العينين وهو ماتريده العامة برمش . (دوخة) دوار الدوار شبه الدوران يأخذ في الرأس . (فلينة — سداد الزجاجة) صمام صمام القارورة سدادها.

(مصفاة نحو ابريق الشاي) فدام الفدام المصفاة وابريق مفدم عليه مصفاة

(البريشون) الثرب في القاموس الثرب شحم رقيق يغشي الكرش والامعاء جمعه ثروب واثرب وتعرفه العامة بهذا الاسم ولكنهم يبدلون الثاء تاء فيقولون ترب

(اوزى) حمل في القاموس من معاني الحمل الجذع من اولاد الضأن فما دونه والجمع حملان واحمال . (قشرة البيض الخارجة) قيض في القاموس القيض القشرة العليا اليابسة عَلَى البيضة . (القشرة الداخلة) غرقيء في القاموس الغرقيء القشرة الملتزقة ببياض البيض . (بياض البيض) الزلال . (صفار البيض) المح في القاموس من معاني المح صفرة البيض . (المضيفة) الثوي في القاموس الثوي كغني البيت المهيأ له اي للضيف . (شبشب) كوث في القاموس الكوث القفش الذي يلبس في الرجل والقفش الخف القصير . (موضة) بدع — بدي في القاموس البدي الامر المبدع

والبدع الامر الذي يكون اولا جمعه ابداع ٠ (انتيكة) عاديٌّ في القاموس العادي الشيءُ القديم — كأنه منسوب الى عاد ٠ (خر بطة البحر) راهنامج في القاموس الراهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب يسلك به الرّبابنة البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها (طقة واحدة) وجبة القاموس الوجبة الاكلة في اليوم والليلة او اكلة في اليوم الى مثلها من الغد ٠ (وش الفرش) ظهارة الظهارة نقيض البطانة وظاهر بينهما طابق ٠ (سيخ الشواء) سفود في القاموس السفود حديدة يشوى بها وتسفيد اللحم نظمه فيها ٠ (مونة البناء) ملاط الملاط الطين يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط اي يطلي والساف كل عرق من الحائط والعرق كل صف من اللبن والآجر في الحائط والساف المدماك ٠ (تقاوي) بذر البذر ماعزل للزراعة من الحبوب جمعه بذور و بذار

(الوجاق) الوطيس الوطيس التنور ٠ (الصنفرة) السفن من معاني السفن قطعة خشناء من جلد ضب اوسمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة

(الدربكة) الكوبة الكوبة الطبل الصغير المخصر ٠ (الطهارة) الختان ٠

(الاسترادا) المنصة المنصة في الاصل ماترفع عليه العروس واستعير لذلك المكان المرتفع الذي يصعد اليه بدرج لالقاء درس مثلا ٠ (الدربزين) الدربزين ورد ذكر الدربزين في القاموس تفسيراً للجلفق واختيرت الكلمة لاستعمالها وغرابة الاخرى

(النجفة) الثريا اصل الثريا علم لمجموعة من النجوم متضامة استعيرت لهذا المعنى لما بينهما من التشابه في التضام والانارة ٠ (ضيان) متين المتانة الصلابة والكلمة العامية تستعمل في الشيءُ ذي الصلابة والتحمل فهو معنى متين ٠ (النفير) البوق البوق بالفم الذي ينفخ فيه ويزمر ٠ (سباطه) قنو القنو الكباسة جمعه اقناء وقنوان والكباسة بالكسر العذق والعذق هو ماتعبر عنه العامة بالسباطة اما معنى السباطة لغة فهي الكناسة تطرح بافنية البيوت ٠ (المقشة) المقشة قش الرجل اكل من هنا وهنا ولف ماقدر عليه من الخوان والشيءُ جمعه وكله مناسب لما تصنعه تلك الاداة والقشيش والقشاش اللقاطة ٠ (معية) حاشية الحاشية اصل الرجل وخاصته والاخير نص في المعنى المراد بمعية ٠ (بدلة) حلة الحلة ماتركب من ثوبين ازار ورداء وكذلك البدلة دائماً ٠

« ياقة القميص » زيق زيق القميص بالكسر ماحاط بالعنق منه ٠ « سواري » فرسان ٠ (الاستيك) النوط معلق كل شيء ٠ (شلتة) حشية الحشية الفراش المحشو ٠

كتاب المدهش

الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي هو محدث حافظ مفسر فقيه واعظ اديب قال فيه العليمي في طبقاته انه استاذ الائمة حبر الامة بحر العلوم سيد الحفاظ فارس المعاني والالفاظ فريد العصر قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان القرآن قامع المبتدعين سلطان المتكلمين ولد سنة احدى عشرة وخمسمائة لانه وجد بخطه تصنيف له في الوعظ ذكر انه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقال (ولي من العمر سبع عشرة سنة وكان يحزر مجلسه في الوعظ علي الدوام بعشرة آلاف او خمسة عشر الفاً قال عَلَى المنبر في آخر عمره كتبت باصبعي هاتين الفي مجلد وتاب عَلَى يدي مائة الف واسلم عَلَى يدي عشرون الف يهودي ونصراني اجتمع فيه من العلوم مالم يجتمع في غيره سئل عن عدد مصنفاته فقال زيادة عَلَى ثلثمائة واربعين مصنفاً منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ماهو كراس واحد ولم يترك فناً من الفنون الا وله فيه مصنف . وقال بعضهم انه كان يحضر مجلس وعظه مائة الف او يزيدون وهذا مبالغة لا يستطيع انسان يوصل صوته اليهم ولا جامع او ساحة ان تجمعهم والمقصود انهم كانوا الوفاً من المستمعين وقد قال عن نفسه انه صنف وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقيل عنه انه كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة وجل غذائه الفراريج والمزاوير ويعتاض عن الفاكهة بالاشربة والمعجونات ولباسه الابيض الناعم المطيب

والمدهش من جملة كتبه ورد ذكره في قائمتها وهو في مجلدين [1] مكتوب بخط مشرقي مشكول كله وقد دفعناه الى صديقنا السيد عبد القادر المبارك فكتب عليه مايلي :

من المخطوطات القديمة لابن الجوزي كتاب المدهش قال كاتبه في خاتمته كان الفراغ من نسخه في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة جاء في مقدمته بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

(١) منه نسخة في خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني الجزائري من فضلاء دمشق واشرافها ولا نعرف لها ثانية

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين فخر الاسلام زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه : الحمد لله الذي لامنتهى لعطاياه ومنحه حمداً يقوم بالواجب في شكره ومدحه وصلى الله عَلَى اشرف نبي وافصحه وعَلَى آله واصحابه وازواجه مااستن طرف في مرحه (اما بعد) فاني قمت بحمد الله في علم الوعظ باصحه واملحه وآثرت ان انتقي في هذا الكتاب من ملحه والله الموفق في كل عمل لاصلاحه وقد قسمته خمسة ابواب . الباب الاول في علوم القرآن وبيانه . الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها . الباب الثالث في علوم الحديث . الباب الرابع في عيون التواريخ . الباب الخامس في ذكر المواعظ وهذا الباب ينقسم قسمين . قسم فيه ذكر القصص وقسم فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق اه

وذكر في باب علوم القرآن وبيانه ستة فصول يقع كل فصل منها في نحو صفحة واحدة فذكر في الفصل الاول اقسام الخطاب في القرآن وفي الثاني ماورد فيه من ضروب الامثال وفي الثالث ما جاء فيه اخص واحسن مما بمعناه من الكلمات التي تدور عَلَى الالسنة وفي الرابع ما اتحد من الآيات المتشابهة في المعنى واختلف في اللفظ وفي الخامس ماتغاير من الآيات بزيادة بعض الحروف والكلمات او نقصانها وفي السادس ماتغاير من الآيات بتقديم او تأخير

ثم ذكر بعد هذه الفصول اربعة وعشرين باباً سماها ابواباً منتخبة من الوجوه والنظائر ذكر فيها معاني هذه الكلمات : او . ادنى . الانزال . الارض . الامر . الانسان . الباء . الحق . الخير . الدين . الذكر . الروح . الصلاة . عن . الفتنة . في . القرية . كان . كلا . اللام . لولا . من . الواو . الهدى .

ثم اتى عَلَى الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها وقسمه عَلَى ثلاثة عشر فصلا قال في اول فصل منه : لما كانت اللغة تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لايخفى على سامعيه ولايحتمل غير ظاهره والثاني المشتمل عَلَى الكنايات والاشارات والتجوزات وكان هذا القسم هو المستحلى عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنما قال عارضوه باي القسمين شئتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا ومتى وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان احلى واحسن قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

فشبه النظر بالسهم لحلي عند السامع وقال ايضاً :

فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف اعجازاً وناء بكلكل

فجعل لليل صلباً وعجزاً وصدراً على جهة التشبيه وقال غيره

من كميت اجادها طابخاها لم تمت كل موتها في القدور

اراد بالطابخين الليل والنهار · فنزل القرآن عَلَى عادة العرب في كلامهم ومن عاداتهم التجوز · وفي القرآن « فما ربحت تجارتهم · يريد ان ينقض · ومن عاداتهم الكناية · ولكن لا تواعدوهن سراً · اوجاء احد منكم من الغائط» واكثر الفصول الباقية ترجع الى بيان سعة اللغة وفقهها على اسلوب فقه اللغة لابي منصور الثعالبي

والباب الثالث في علوم الحديث وجله يتعلق ببيان اسماء المحدثين والمحدثات وتمييز مايكثر فيه الالتباس و بيان المتفق والمفترق و يقال له ايضاً المؤتلف والمختلف ثم انتقل الى الباب الرابع في عيون التواريخ اتى فيه عَلَى نبذ من امهات المسائل التاريخية فمنها قوله : كان اول ملوك الارض ملك فارس وملكهم دارا ملك نحو مائتي سنة ثم ملك بعده خمسة وعشرون ملكا فيهم امرأتان وكان آخر القوم يزدجرد هلك في زمن عثمان رضي الله عنه فكان ملكهم خمسمائة سنة وكسراً وكان اظرفهم ولاية ذو الاكتاف فانه لا يعرف من ملك وهو في بطن امه غيره لان اباه كان قد مات ولا ولد له وانما كان هذا حملا فقال المنجمون هذا الحمل يملك الارض فوضع التاج على بطن الام وكتب الى الآفاق وهو جنين وسمي سابورا وانما سمي ذا الاكتاف لانه حين ملك كان ينزع اكتاف مخالفيه وهو الذي بنى الايوان وبنى نيسابور وسجستان والسوس وما زال الملك يتنقل بعده فيهم الى ان ملك انوشروان وكان آخرهم وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية وخمسون الف دابة والف فيل الا واحداً وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات لثمان مضين من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ولما دخل المسلمون المدائن احرقوا ستر باب الايوان واخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً ·

قال ومن العجائب انه ولد في ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسعين ومائة المأمون ومات الهادي واستخلف الرشيد وفيه اجدبت الارض في سنة ثماني عشرة وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوي الى الانس فآلى عمر رضي الله عنه ان لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيى الناس

واستسقى الناس بالعباس فسقوا وفيها كان طاعون عمواس مات فيه ابو عبيدة ومعاذ وانس وفي سنة اربع وستين وقع طاعون بالبصرة وماتت ام اميرهم فما وجدوا من يحملها وفي سنة ست وتسعين كان طاعون الجارف هلك في ثلاثة ايام سبعون الفاً ومات فيه لانس ثمانون ولداً وكان يموت اهل الدار فيطبق عليهم الباب وفي سنة احدى وثلاثين ومائة مات اول يوم في الطاعون سبعون الفاً وفي اليوم الثاني سبعون الفاً وفي اليوم الثالث خمدت ؟ الناس وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة ذبح الاطفال واكلت الجيف وبيع العقار برغيفين واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين الف درهم

وقد عقد المؤلف رحمه الله في الباب الرابع في عيون التواريخ فصلا مستقلا افرده بذكر الزلازل والآيات المشتملة علي دواعي العبر والمواعظ والزواجر وها هو بنص حروفه

زلزلت الارض عَلَى عهد عمر رضي الله عنه في سنة عشرين · ودامت الزلازل في سنة اربع وتسعين اربعين يوماً فوقعت الابنية الشاهقة وتهدمت انطاكية · وفي سنة اربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة فمات منها خمسة عشر الفاً · وفي السنة التي تليها رجفت الاهواز وتصدعت الجبال وهرب اهل البلد الى البر والسفن ودامت ستة عشر يوماً · وفي السنة التي تليها مطر اهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض فقتل بها ثلاثمائة وسبعون انساناً وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك اعف عن عبادك · ونظروا الى اثر قدم طولها ذراع بلا اصابع وعرضها شبران والخطوة الى الخطوة خمسة اذرع او ست تبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً · وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة انتقضت البيوت عَلَى سكانها فمات منهم خلق كثير وانكفأت قرية بالغوطة عَلَى اهلها فلم ينج منهم احد الا رجل واحد · وزلزلت انطاكية فمات منها عشرون الفاً · وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاقامت نيفاً وخمسين يوماً وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والاهواز ثم ذهبت الى همذان فاحرقت الزرع ثم ذهبت الى الموصل فمنعت الناس من السعي فبطلت الاسواق وزلزلت هراة فوقعت الدور · وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وجه طاهر بن عبد الله الى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة واربعون درهما وفيه صدع وذكر انه سمع لسقوطه هدة مسيرة اربعة فراسخ في مثلها وانه ساخ في الارض خمسة اذرع · وفي سنة اربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ثم

107

صارت الى نيسابور والى الري ثم الى همذان والى حلوان ثم الى العراق فأصاب اهل بغداد (وسر من رأى) حمى وسعال وزكام وجاءت كتب من المغرب ان ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف باهلها فلم ينج منهم الا اثنان واربعون رجلا سود الوجوه فاتوا الى القيروان فاخرجهم اهلها وقالوا لهم انتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوا فيها ·

وفي سنة احدى واربعين ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد من غروب الشمس الى الفجر ولم يكن مثل هذا الا عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم · وفي السنة التي تليها رجمت قرية يقال لها السويداء بناحية مصر بخمسة احجار فوقع حجر منها عَلَى خيمة اعرابي فأحرقها ووزن منها حجر فكانت زنته عشرة ارطال · وزلزلت الريّ وجرجان وطبرستان ونيسابور واصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد · وزلزلت الدامغان فهلك من اهلها خمسة وعشرون الفاً وتقطعت جبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والارض اصوات عالية وسار جبل باليمن عليه مزارع حتى اتى مزارع قوم آخرين · ووقع طائر ابيض دون الرخمة وفوق الغراب عَلَى دلبة بحلب لسبع مضين من شهر رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله حتى صاح اربعين صوتاً ثم طار فجاء من الغد فصاح اربعين صوتاً وكتب صاحب البريد بذلك واشهد خمسمائة انسان سمعوه · ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر ابيض عَلَى جنازته فصاح بالفارسية والخوزية : ان الله قدغفر لهذا الميت ولمن شهده · وفي سنة خمس واربعين ومائتين زلزلت انطاكية فسقط منها الف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً وسمع اهلها اصواتاً هائلة من كوى المنازل · وسمع اهل تنيس صيحة هائلة دامت فمات منها خلق كثير وذهبت جبلة باهلها · وفي سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية حجارة بيضاً وسوداً · وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل (كذا) فاصبحوا ولم يبق من المدينة الا اليسير فاخرجوا من تحت الهدم خمسين ومائة الف بيت · وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب فرأوا في البرية صور اناس من حجارة ورأوا امرأة قائمة عَلَى التنور وهي من حجارة والخبز الذي في التنور من حجارة · وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هبت ريح بفم الصلح شبهت بالتنين جرفت دجلة حتى ذكر انه بانت ارضها واهلكت خلقاً كثيراً واحتملت زورقاً منحدرا وفيه دواب فطرحته في ارض جوخا (كذا)

وفي سنة عشرين واربعمائة جاء برد هائل وقعت بردة حزرت ثمانية وخمسين رطلا فكانت كالثور النائم · وفي سنة اربع وثلاثين زلزلت تبريز فهدم سورها وقلعتها وهلك تحت الهدم خمسون الفاً · وفي سنة اربع واربعين واربعمائة كانت بارجان زلازل انقلعت منها الحيطان فحكى من يعتمد عَلَى قوله انه كان قاعداً في ايوان داره فانفرج سقفه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد · وفي سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بفلسطين هلك فيها خمسة عشر الفاً وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت وغاب البحر فساح في الارض فدخل الناس يلتقطون فرجع عليهم فاهلك منهم خلقاً كثيراً · وفي سنة اثنتين وستين خسف بايلة · وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد هدة عظيمة في اقطار بغداد · قال شيخنا ابو بكر بن عبد الباقي : انا سمعتها فظننت حائطاً قد وقع ولم يعلم ما ذلك ولم يكن في السماء غيم فيقال رعد · وفي السنة التي تليها وقعت زلزلة بناحية الشام فوقع من سور الرها ثلاثة عشر برجا وخسف بسميساط وقلب بنصف القلعة · وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة زلزلت الارض ببغداد يوم عرفة فكانت الحيطان تمر وتجيء · وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد فامتلأت منه الشوارع والدروب ولم يسمع قبله بمثله · وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بجيرة اتت عَلَى مائتي الف وثلاثين الفاً فأهلكتهم وكانت في مقدار عشرة فراسخ في مثلها · وفي السنة التي تليها خسف بجيرة وصار مكان البلد ماء اسود وقدم التجار من اهلها فلزموا المقابر يبكون عَلَى اهلهم · وزلزلت حلوان فقلع الجبل واهلك خلقاً كثيراً · وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلداً من بلاد الاسلام فمنها ما هلك كله ومنها ماهلك بعضه · اه

وهنا انشأ المصنف رحمه الله الباب الخامس في ذكر المواعظ فبدأ في القسم الاول منه بقصة آدم و بناء الكعبة وقصة نوح وعاد وثمود والخليل والذبيح وذي القرنين ولوط و يوسف وايوب وشعيب وموسى والخضر و بلعام وقارون وداود ومريم وعيسى وسليمان وزكريا ويحيى واهل الكهف وبداية امر نبينا محمد عليه وعَلَى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقصة الغار واهل بدر وذكر اسماء من شهدها مرتبة عَلَى حروف المعجم ثم من يعرف بالكنية دون الاسم وختم هذا القسم من الوعظ بفصل ذكر فيه بناء علي بن ابي طالب بالسيدة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وها انا ذا انقل للقراء اقصر قصة من تلك القصص السة والعشرين لتكون انموذجا يعرف به اسلوبه الغريب في بابه

108

قال في قصة ثمود مانصه : لما اعرضت ثمود عن كل فعل صالح بعث اليهم للاصلاح صالح فتعنت عليه ناقه هو اهم بطلب ناقة فخرجت من صخرة صماء تقبقب ثم فصل عنها (اي خرج منها) فصيل يرغو فارتعت حول نهي (بكسر فسكون اي غدير ماء) نهيهم عنها في حمى حماية (ولا تمسوهـا بسوء) فاحتاجت الى الماء وهو قليل عندهم فقال حاكم الوحي « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » وكانت يوم وردها تقضي دين الماء بماء درها فاجتمعوا في حلة الحيلة على شاطيء غدير الغرور فدار قدار « ابن سالف عاقر ناقة صالح الذي هو اشقى ثمود » حول عطن (فتعاطى فعقر) فصب عليهم صبيب صاعقة العذاب الهون فحين دنا ودندن دمغهم دمار (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) فأصبحت المنازل لهول ذلك النازل كان لم تغن بالامس اه

والقسم الثاني يشتمل على مائة فصل كمقامات الزمخشري في اطواق الذهب وعبد المؤمن الاصفهاني في اطباق الذهب من حيث الموضوع والتفنن في الاساليب الناجعة المؤثرة في الموعوظ وهذا القسم يستوعب نحواً من خمسة اسداس الكتاب وقد اكثر فيه من الاشعار مستشهدا بها على حسب مايقتضيه المعنى الذي يريد تصويره في مخيلة السامع وربما كان الشعر في هذا القسم مساوياً للنثر او يزيد وكله او جله من نظم غيره وانما يذكره تمثلاً واستشهاداً

قال في الفصل السادس والسبعين

ذكر الاحباب والوطنا ... والصبا والالف والسكنا
فبكى شجواً فحن له ... مدنف بالشجو حلف ضنى
ابعدت مرمى يد رجمت ... من خراسان به اليمنا
من لمشتاق تميل به ... ذات سجع ميلت فننا
لم تعرض في الحنين بمن ... مسعد الا وقلت انا
لك ياورقاء اسوة من ... لم تذيقي طرفه الوسنا
بك انسي مثل انسك بي ... فتعالي نبد ما كمنا
نتشاكى مايجن فان ... نحت شجواً صحت واحزنا
انا لا انت البعيد هوى ... انا لا انت الغريب هنا
انا فرد ياحمام وها ... انت والالف القرين ثنى
اسرحا رأد النهار معاً ... واسكنا جنح الدجى غصنا

وابكيا ياجارتي لما لعبت ايدي الفراق بنا
اين قلبي ما صنعت به ما ارى قلبي له سكنا
كان يوم النفر وهو معي فأبى ان يصحب البدنا
أبه حادي الفراق حدا ام له داعي الفراق عنى

ومن قوله في بعض الفصول : ويحك اجتنب حلواء الشره فانها سبب الحمى وخل خل البخل فانه يؤذي عصب المروءه · ان عوجلت امراضك فعولجت والا مللت واملت · لو احتميت عن الخطإ لم تحتج الى طبيب · من ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة

ومن قوله في هذا الفصل : كان داود اذا اراد النياحة نادى مناديه في اندية المحزونين فيجتمعون في مأتم الندب فتزداد الحرق بالتعاون

يابعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي عَلَى شجنه
كلما جد النحيب به زادت الاسقام في بدنه
ولقد زاد الفؤاد جوى هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى كلنا يبكي عَلَى سكنه

يامذنبين مصيبتنا في التفريط واحدة وكل غريب للغريب نسيب · ومن قوله في فصل آخر :

اخواني انتبهوا من رقدات الاغمار وانتهبوا لحظات الاعمار وقاطعوا الكسل فقد قطع الاعذار الاعذار واسمعوا زواجر الزمن فما داجى الدجى ولقد نهر النهار وخذوا بالحزم فقد شقي من رضي بشفا جرف هار · ومنه : واعجبا يتأمل الحيوان البهيم العواقب وانت لاترى الا الحاضر ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ولا بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ومن هذه صفته في امور الدنيا فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ·

ومنه : ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى · اول فعل لها تمزيق العمر بكف التبذير كالخرقاء وجدت صوفاً · اخل بها في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك او عليك · نادها بلسان التذكرة يانفس ذهب عرش بلقيس وبلي جمال شيرين وتمزق فرش بوران · وبقي ذلك رابعة

ومنه : ياصبيان التوبة طبيبكم متلطف تارة بالتشويق وتارة بالتخويف هذه الطير اذا انشق بيضها عن الفراخ علم الاب والام ان حوصلة الفرخ لاتحتمل الغذاء فينفخان

109

الريح في حلقه لتتسع الحوصلة ثم يعلمان ان الحوصلة تحتاج الى دبغ وتقوية فيأ كلان من صاروج الحيطان وهو شيء فيه ملوحة كالسبخ ثم يزقانه اياه فاذا اشتدت الحوصلة رقياه الي الحب فاذا علما انه قد اطاق اللقط منعاه بعض المنع فاذا جاع لقط فاذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالاجنحة اذا سألها الزق فتأملوا تدبيري لكم في المواعظ . ومنه : الدنيا غرارة غدارة مكارة . تظن مقيمة وهي سيارة . ومصالحة وقد شنت الغارة

نح عن نفسك القبيح وصنها وتوق الدنيا ولا تأمنها
لاتثق بالدنا فما ابقت الدنـ يا لحي وديعة لم تخنها
انما جئتها لتستقبل المو ت واسكنتها لتخرج عنها
تستحل الدنيا وما لك الا ما تبلغت او تزودت منها
وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحدوثة تكون فكنها

ومن فصل آخر :

ياساعياً لنفسه في المهالك . دنا الرحيل ونضو النقلة بارك . متى تذكر وحشتك بعد ايناسك . متى تقتدي من ناسك بناسك . كأنك بك قد خرجت عن اهلك وولدك . وانفردت عن عددك وعددك . وقتلك سيف الندم ولم يدك (يدفع ديتك) ورحلت ولم تحصل من ندمك الا عَلَى عض يدك

كأنك لم تسمع باخبار من مضى ولم تر في الباقين مايصنع الدهر
فان كنت لاتدري فتلك ديارهم محاها مجال الريح بعدك والقطر
عَلَى ذاك مروا اجمعين وهكذا يمرون حتى يحشرنهم الحشر
فحتا مَ لا تصحو وقد قرب المدى وحتى مَ لايتجاب عن قلبك السكر
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لاينفع الذكر

ومن فصل آخر : كان محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية من القرآن ابكتني : (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) كيف لاتذهب العيون من البكا وما تدري ماذا اعد لها سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ومضت الشقاوة لابي جهل قبل وجوده . وخوف العارفين من سوابق الاقدار قلقل الارواح هيبة . لاتسل مع تحكم (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) قوي قلق العلماء

اترى سئلوا لما رحلوا ماذا فعلوا ام من قتلوا
احليف السوم اقل اللوم فعندي اليوم لهم شغل

ادني جـزعي لم يبـق معي قـلب فيعي منذ احتمـلوا
جلدي سلبوا جسدي نهبوا كمـدي وهبوا كبدي تبلوا
هيهات افيق اذليس تطيق هذا ايليـق فما العذل
لمـا ذرفـت عيـني وقفت اترى عرفت مابي الابـل
ولحـى اللاحي وهـو الصاحي وهمـو راحي وانـا الثمـل

ومن فصل آخر : ياتائهاً في ظلمة ظلمه ٠ياموغلا في مفازة تيهه ٠ياباحثاً عن مدية حتفه ٠ ياحافراً زبية هلكه ٠ يامعمقاً مهواة مصرعه بئسما اخترت لاحب الانفس اليك ٠ ويحك تطلب النجاة ولست عَلَى الطريق ٠ هز الزمان بوعظه فماً فما سمعت : لينذر من كان حياً

ومنه :

الى اي حين انت في زي مجرم وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتلاقي الذل غير مكرم
فثب واثقاً بالله وثبة ماجد ترى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

ومن فصل آخر

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والارواح تختلس
ذا اللب فكر فما في الخلد من طمع لابـد ماينتـهي امـر وينعكس
اين الملوك وابناء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهمو في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
اضحوا بمهلكة في وسـط معركة صرعى وماشي الورى من فوقهم يطس
وعمهم حدث او ضمهم جدث باتوا وهم جثث في الرمس قدحبسوا
كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهمو بين الورى ونسوا
والله لو نظرت عيناك ماصنعت يد البلى بهمو والدود يفـترس
من اوجه ناضرات حار ناظرهـا في رونق الحسن منها كيف تنطمس
واعظـم باليـات مابهـا رمق فليس نبـقي وهـذا وهي تنتهس
وألسن ناطقـات زانهـا ادب جفت وما شانها بالآفة الخرس
لستهمو السـن لـلدهر فاغرة فاهـا فآهـاً لهم اذ بالردى وكسوا
حتى م ياذا النهي لاترعوي سفهاً ودمـع عينك لايهمي وينبجس

ومن قوله في الفصل الاخير : هذه قصص النجاة قد امليتها فعنوانها هذه جوارشات

المواعظ قد جمعتها فاعجزتها ثم قال في الختام لمن اصغي واصف . افي عزمك اتباعي فأقف . الليل يضج من نومك . والنهار يستغيث من قبح فعلك .

يا ايها الراقد كم ترقد قم ياخليلي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته حظاً اذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الالباب اهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

وكان بودي — لولا خشية الاملال من الاطالة وعدم اتساع نطاق المجلة — ان استوفي نقل بعض فصول (هذا المدهش) برمتها لما تضمنته من محاسن البلاغة واسلوب الحكيم وجودة المعنى والمبنى مما جمع بين اللذة والفائدة ودل عَلَى سمو مدارك المؤلف وسعة فضله وغزارة مادة علمه كما يظهر من ترجمته فعسى ان يقيض الله له من خدمة العلم وناشري الويته من يجيد طبعه ويستخرج للناس جواهر كنزه فيحظى بالربح عاجلا وآجلا مع تخليد الذكر الجميل والاثر الحسن والسلام

اخبار وافكار

العين الكهربائية

اخترع الاستاذ روزنك الروسي آلة تكون بمثابة عين كهربائية تظهر بها اضطرابات المعدة واسرار اعماق البحار واسرار البراكين بجلاء ووضوح كما تتمثل لنا اذا كانت امام العين مباشرة وقد بناه عَلَى الاكتشاف الحديث للاشعة الكاتوديكية فينطبع الموجود بمرآة من نوع الروتاتيف وتظهر الصورة بتأثير مجرى كهربائي . ويتأتى انزال هذه الآلة الى قعر البحر ووسط البركان والمعدة كما ينزل المسبار لسبر الابعاد فيها فترى الاشياء في الظلمات كما ترى في النور بل ترى بها المعادن المدفونة في بطن الارض اذا أُريد ان ينظر فيما اذا كان ثمت خطر عَلَى العملة في المناجم ويفيد هذا الاختراع فوائد كلية في الاعمال الصناعية وفي الفنون الحربية والبحرية وفي غير ذلك وبهذه الآلة تتم عدة اختراعات كانت موقوفة عَلَى مثل هذه العين الكهربائية

تعقيم اللبن

اخترع الدكتوز هرنغ من فارسوفيا آلة لتعقيم اللبن تقتل بها الجراثيم الضارة بدون ان يفقد شيئاً من خاصيته وذلك بأن يغلى من ٦٥ الى ٧٠ درجة ثم يبرد بواسطة هذه الآلة التي تعقم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ سنتمتراً مكعباً من اللبن والآلة المذكورة حوت الشروط اللازمة التي يحفظ بها اللبن خاصياته الطبيعية والكيماوية ولونه وطعمه ورائحته ومواده الدهنية وغيرها وبها يتأتى ابقاؤه ثمانية ايام بدون ان يحمض

برزخ جديد

عمدت روسيا ان تفتح برزخاً يصل بحر البلطيق بالبحر الاسود وطول هذا البرزخ ٢١٥٠ كيلومتراً ويقدر ماينبغي لذلك من النفقات ٤٥٠ مليون فرنك تكون السهام للروسيين فقط كما تكون جميع الادوات اللازمة لهذا العمل روسية محضة ويقول القائمون به انه يرجى ان يكون دخل هذا الخليج ٨٠ مليون فرنك كل سنة

مرعى الكتب

يذكر القراء اسم المسيو البر سيم مؤلف الكتاب (المقتبس م ٣ ص ٣٧٧ و ٤٥٧ و ٧٣٥) الباحث العلامة الذي اثبت بان عمرو بن العاص لم يحرق مكتبة الاسكندرية في الفتح بامر عمر بن الخطاب عَلَى مايتهمهما بعضهم بذلك ظلما وقد كتب المؤلف الآن مبحثاً في «المجلة» الافرنسية قال فيه ماحاصله : شدد (جول فالي) في كتابه الاخير في كلامه عَلَى تأثيرات الكتاب السيئة فقال انه طالما آذى قارئه بما ينبعث منه من الافكار وخصوصاً كتب الاقاصيص والسير والغرام فلا تجد منتحراً الا وقد سبقت له مطالعة اساليب الانتحار في كتاب ولا امرأة غادرت بيتها متهتكة الالانها تلت القصص الغرامية ولا قاتلا الا سهلت له ماهو بسبيله مطالعة الكتب وكم اثرت الكتب في كبار الرجال فكانوا صرعاها في الحقيقة امثال مورجة وموسه و بالزاك وساند. قال سيم اما الكتاب عَلَى التحقيق فهو كاللسان كما قال ازوب فيه الخير والشر هو رابطة الحياة المدنية ومفتاح العلوم به تعمر المدن وتنظم وبه يعلم الناس ويقنعون ويحكم الحاكمون والمسيطرون وبه تتم اول الفروض عَلَى المرء من حمد الله كما انه اشر ما في العالم واصل كل خصام وبلاء ومولد القضايا ومبعث الشقاق والحروب فاذا قيل انه لسان حال الحق فهو ايضاً لسان حال الضلال بل النميمة والغيبة.

فالمؤلف اذاً قد غالى في وصف سيئات الكتاب فنظر اليه من وجه وترك الوجه الآخر وهو وجه الحسنات وفاته الخير الذي يسديه والعلم الذي ينشره والعزاء الذي تتعزى به النفوس والغذاء الذي تتغذى به الارواح فقد قال سلفستردي ساسي : ماقط عراني الم من الآلام التي تداهم القلب الا وعالجته فزال بمطالعة ساعة وقد قال الفيلسوف شيلر يخاطب قريحته: «ماذا اكون لولاك اني اجهله ولكنني ارتعش عندما ارى مئات والوفاً من الناس حرموا منك» . ولذا اتوخى هنا ان القي نظرة فيمن احبوا الكتب واولعوا بها وجعلوا فيها لذتهم بل سمرهم بحيث خصوا بها كل شيء وصرعوا بها مختارين راضين

وكم من مولع بالكتب طال عمره كأن الكتب مما يطيل حبل الاجل فلو تتبعت سير الرجال منذ عهد ايراتوستين (٢٧٦ — ١٩٥ ق م) الى دانيال هوية (١٦٣٠ — ١٧٢١) لوجدت كثيرين من المعمرين المولعين بل المجنونين بحب الكتب ومنهم كيتي الفيلسوف والعالم تيرس والعالم كيزو واللغوي لتره والعالم ارنست لوكوفيه وغيرهم من المعمرين من اهل القرن الماضي والذي قبله وما منهم من قصرت سنه عن السبعين ومنهم من بلغ المئة واكثر . وشيخ رجال الادب اليوم في فرنسا المغرم بالكتب المشهور فرنسوا فرتيول بلغ السابعة والتسعين من عمره ولا يزال الى اليوم في صحة ونشاط بين كتبه الكثيرة واحبابه الموالين له

واقدم صرعى الكتب ايراتوستين الفيلسوف الجغرافي الرياضي اليوناني من اهل القرن الثالث قبل المسيح دعاه بطليوس من آثينة الى الاسكندرية ليفوض اليه ادارة المكتبة التي انشأها فيها واذ كف بصره في آخر عمره آثر الموت عَلَى ان يحرم من مطالعة الكتب ويحرم من دروسه المعتادة فانتحر جوعاً . واحدث صرعى الكتب شارل ديديه (٨٠٥ — ١٨٦٤) مؤلف رحلات كثيرة عَلَى الشرق كف بصره فآثر الانتحار عَلَى العيش بدون تلاوة وهكذا فعل . ومثله ستانيسلاس كويارد (١٨٤٦ — ١٨٨٤) العالم المستشرق استاذ اللغة العربية في كوليج دي فرانس فانه لما استحكم منه المرض فضل الانتحار على ان يعيش في راحة اضطرارية منقطعاً عن عمله . ومثله الطبيعي الباحث الالماني اميل بسلس (١٨٤٧ — ١٨٨٧) اضاع في غرق مجموعاته الثمينة وسطت النار بعد سنين عَلَى مكتبته وجميع مخطوطاته فرأى الانتحار افضل من تحمل الم تلك الرزية التي اصابته

ومات بريان الاميركاني حزناً عَلَى كتبه الثمينة وكان اعطاها في حال غفلة لاحدى

المكاتب ومات كوجه الافرنسي لانه رأى عشرة آلاف من كتبه تنتقل الى يد غير يده وكذلك اللغوي ريشارد برونك مات لان الحالة المالية اضطرته ان يخرج عن ملكه بعض كتبه العزيزة · ومن الناس من حزنوا وهلكوا لما رأوا مجموعاتهم تنهب او تعطل وكم من علماء وادباء وخازني كتب قضوا بما وقع فوق رؤوسهم من الكتب والاسفار الثمينة الثقيلة او وقعوا من سلم وهم بصدد وضع كتاب في بيته او رفه او اخراجه منه وكم من عالم احرق كتبه باهماله وذلك بشمعة سرى لهيبها الى ورق او احرق نفسه بشمعة كما فعل تيودورمومسن المؤرخ الالماني الذي نقل النار الى شعره الطويل الابيض فمات من اثر حروق وكم من مولع بالكتب مثل بولارد (١٧٥٤ — ١٨٢٥) الذي جمع مكتبة فيها ستمائة الف مجلد ملأ بها تسعة بيوت وانهكه التعب في جمعها ونقلها فكانت سبب هلاكه

ومن الناس من قضوا على انفسهم بصنعهم وانصرافهم الى المطالعة والاستغراق في الكتب ومن هذه الطبقة انكتيل دو بورون (١٧٣١ — ١٨٠٥) المستشرق المشهور ناقل كتاب الزاند افستا الفارسي الى الافرنجية وموجد الدروس الآسياوية في اوربا وعارف لغاتها كلها كان مقتراً في مأكله وملبسه مستغرقاً فيما اخذ به نفسه حتى انه لقلة هندامه ونظافته كان يظن انه شحاذ فيعطيه بعض المارة دارهم متصدقين عليه فقضى عقيب انهاك قوته في العمل ومن غرائبه انه عين عضواً في المجمع العلمي ولما كان زاهداً في التشريفات ولا يعنى بغير المطالعة من امور الحياة اضطر الى الاستقالة · وكم من رجل حرم نفسه الطعام والادام بل الدفء والثياب ليقتني بدريهمات يدخرها كتاباً ومنهم انطون ماكليابشي (١٦٣٣—١٧١٤) العالم الفلورنسي المولع بالكتب كان يعيش احقر عيشة وامامه كنوز من المال انفقها على خزانة كتبه في فلورنسا وكذلك يوسف اندراوس زالوسكي اسقف مدينة كيف في بولونيا ١٧٠١—١٧٧٤ حصر كل وقته وقواه حتى جمع خزانة كتب حوت مائتي الف مجلد فنهبها الروس سنة ١٧٩٥ ومن المولعين بالكتب ومطالعتها من كانوا يكرهون انفسهم على عدم النوم ويغسلون ارجلهم بالماء البارد وهم في ابرد الاقاليم لئلا يناموا ثم يضعون المنبه على اوقات يعينونها ومن المولعين بالكتب نابوليون الاول حرم نفسه انواع الراحة لاول امره حتى اقتنى بعض الكتب وعلم اخاه في المدرسة ومنهم يواكيم لوول « ١٧٨٦— ١٨٦١ » المؤرخ البولوني العالم بالكتب والنقود نفته حكومته فنزل بروكسل عاصمة البلجيك وكان عزيز النفس لا يقبل

معونة احد وهو في فقر مدقع والفصل شتاء وهو لامال له يبتاع به وقوداً يصطلي عليه في البرد القارس فاحتال بعض اخوانه ان يكـتروا بجانب غرفته غرفة و يدخلوا انبوب الموقدة من غرفته، بعد ان اخذوا رأيه واظهروا له ان غرفتهم لاندفأ الا عَلَى هذه الصورة فقال لهم اعملوا ماشئتم وهكذا توصلوا الى تدفئته بدون ان يشعر و يدفع درهماً .

وكثير من الناس من ماتوا فوق كتبهم او امامها حتف انفهم ومنهم بترارك الاديب الكبير (١٣٠٤—١٣٧٤) والفيلسوف الصقلي انطون فلامينو من اهل القرن السادس عشر ومنهم سوليه الفرنسوي الذي آثر الوحدة عَلَى كل اجتماع وكانت حياته مثال العامل المجد وكتب بيتين لتحفرا عَلَى قبره معناهما : « ولدت يتيما وعشت وحدي في شبيبتي و كذلك في شيخوختي وهاءنذا وحدي هنا « في القبر » الى اليوم »

سلك بحري

تقول المجلات العلمية ان السلك البحري الذي سينجز هذا الشهر بين المانيا واميركا الجنوبية قد بلغ طوله ١١٩٢٠٠٠٠٠ كيلومتر (؟) آخذاً من امدان الى تنريف فمونرونيا عَلَى شاطيء افريقية الغربي ومن هناك الى ليبريا آخذاً الى برنامبوكو فالبرازيل اما الفرع الثالث الذي يصل بين افريقية والعالم الجديد فطوله ٤٥٠٠ كيلو متر

لحم الكلاب

انتشر اكل لحم الكلاب في المانيا ولاسيما في امارة ساكس ولحمها اغلى من لحم الخيل و يذبحون سبعة آلاف كلب كل سنة في تلك الامارة لتناول لحومها

سكان الولايات المتحدة

لم يكن للولايات المتحدة احصاء معروف حتى سنة ١٨٢٠ أ يدل عَلَى سكانها وحركة الهجرة اليها وقد تبين بالاحصاء انه دخل من ذاك العهد سنة ١٩١٠ ٢٠ مليوناً من المهاجرين اكثرهم من الطليان والعناصر النمساوية المجرية . وليس الانكليز والايرلنديون والسكاندناويون والالمان قلائل بعدهم . وكان سكان اميركا الى حرب الاستقلال من اصل انكليزي خاصة وفيهم كثير من الايكوسيين والايرلنديين هربوا من بلادهم تخلصاً من ظلم الحكومة الانكليزية ثم جاء الالمان فالهوكنوت الفرنسويون والايكوسيون وزادت الهجرة عندما اشتد غلاء البطاطا في ايرلندا سنة ١٣٤٧ وبعد ثورة المانيا

وكان الشمال الغربي من بلاد اوربا اولاً هو الذي يهاجر منه المهاجرون بكثرة الى الولايات المتحدة ثم سرت هذه البدعة الى سكان جنوبي اوربا وهم اليوم اكثر الاوربيين هجرة · ومن الغريب ان البلغاريين والرومانيين والصربيين لم يهاجروا كما هاجر غيرهم من سكان اوربا مع انه هاجر كثيرون من اهل البوسنة وبولونيا وغاليسيا كما اخذ يهاجر اليوم كثير من اهل الممالك العثمانية ولاسيما اهل سورية وارمينية ·

انكلترا والسلام

ظهر من احصاء حديث ان انكلترا عَلَى الرغم مما تسعى اليه في حفظ السلام قد انفقت في القرن التاسع عشر ثلاثين مليار فرنك عَلَى حرب نابوليون والقريم وجنوبي افريقية وخسرت سبعمائة الف من رجالها وقد افقدتها الهجرة منذ سنة ١٨٢٠ ثمانية ملايين من الانفس هاجروا الى اميركا وكان في الولايات المتحدة وحدها سنة ١٩٠٠ ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ انكليزي اي اكثر من مجموع ما في اوستراليا وافريقية الجنوبية وكندا من الانكليز

امة السواب

في بلاد المجر مستعمرة من السواب نزلتها منذ سنة ١٧١٦ وهو عهد تحرير الامير ارجين لتلك البلاد من حكم العثمانيين ويبلغ عددهم اليوم مليون نسمة ويجتمعون في اقليم بانات واسماء بلدانهم المانية ولكنهم قلما يتعلقون ببلادهم الاصلية وهم كالسكسونيين في ترنسلفانيا باميركا قد انشأوا لانفسهم استقلالاً جديداً رقوه بنشاطهم في كل فرع من فروعه وليس لهم الى الآن مقام رفيع في ميدان الاعمال العقلية ويكاد لا يوجد لديهم اكثر من خمسة عشر مؤلفاً وهم يفاخرون بانه كان من شعرائهم القدماء شاعر اسمه نيقولا لونو ولهجة لغتهم كلهجة ذاك الاقليم وتآليفهم اشبه بالقصص التي كان يتلذذ بها الناس في المانيا منذ مئة سنة

السويد والشرق

عثروا في السويد اثناء الحفر عَلَى كثير من الامتعة والاعلاق يستدل من صورتها انها شرقية او جعلت عَلَى مثال شرقي واستنتج علماء الآثار من ذلك انه كانت من القرن التاسع الى القرن الحادي عشر للميلاد صلات منظمة بين السويد والعالم الاسلامي وربما مع الصين ايضاً فان البلاد الواقعة في جنوبي السويد مملوءة بهذه النفائس والعاديات

فقد عثروا فيها عَلَى ٣٠ الف قطعة من النقود العربية من نقود القرن الثامن الى القرن العاشر ضربت في فارس و بين النهرين وفي غيرها من البلاد الواقعة شرقي بحر الخزر مثل بلخ وسمرقند وعثروا عَلَى آثار منها الفارسي ومنها الصيني ومن جملتها كأس من الفخار مزين بالميناء استخرجوه من مدفن في غوتلاندا يشبه كأساً من القلز كتبت عليه كتابات عربية بحروف كوفية عثر عليه في سوركوت من اعمال سيبيريا.

قالت المجلة الآسياوية وجميع هذه المكتشفات ينجلي بها كلام مؤرخي العرب والروم البيزنطيين والايسلنديين الذين ذكروا مكانة التجارة السكانداوية في روسيا والمملكة البيزنطية و بلاد الاسلام وبما ظفر الباحثون في روسيا وسيبيريا بمثل هذه الذخائر وبها تسهل معرفة الطرق التجارية التي كان سلكها التجار بين السويد والشرق وان ماعثر عليه ايضاً في جنزوف من الاسلحة والادوات وانواع الحلي ليدل عَلَى انها سويدية الشكل ممزوجة باصل عربي او رومي و يرى المسيو ارن ان نهري الفولغا ودنيبر كانا هما الطريقين الاعظمين الواصلين بين بلاد السويد وفنلندا من جهة و بينها و بين بلاد الشرق من أُخرى فكان يتيسر لتجار السويد ان يجتازوا الفولغا الى حد بحر الخزر مما يوافق عليه موءلفو العرب فقد قالوا ان الاجتماع كان في جنوبي هذا البحر فيصادفون في طريقهم في بلغار « جنوبي قازان »وفي اتيل« جنوبي استرخان »تجاراً قدموا من فارس وتركستان ليقايضوا معهم بضائعهم وكان سكان السويد يسيرون في نهر دنيبر حتى يبلغوا المملكة البيزنطية ٠ وقد سرت التأثيرات الاسلامية الى اعالي نهر دنيبر اذ قد ظفر الباحثون بالقرب من مدينة «كيف» بعقود سلكت في عدة اسلاك وهي من الصناعة الاسلامية ٠

قلنا ولا عجب اذا عثروا هناك عَلَى آثار للعرب فقد ذكر المرحوم حسن افندي توفيق من رجال النهضة العلمية المصرية في كتابه رسائل البشرى انه وجد نقلا في بعض الكتب عن القزويني في كتاب له يسمى آثار البلاد مايستدل منه ان ابا بكر محمد الاندلسي الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة المتوفى في الاسكندرية سنة ٥٢٠ قد ساح في ارض المانيا ووصف بعضاً من بلادها فوصف مدينة مينس وسماها مغناجه ووصف بعضاً من بلادها فوصف مدينة شليزڤيك وسماها شلشويق وذكر لنا الاستاذ المرحوم ان احد علماء الجغرافيا من الالمان ذكر له انه عثر في معجم ياقوت عَلَى ذكر مدن في حدود اسكانديناڤيا من شمالي اوربا فاذا صح الامر وكان ياقوت ذكر بعض هذه البلاد استفاد من ذلك الباحثون من اهل السويد ان طريق التجارة كان ايضاً من البحر

قاصدين الى المانيا فجنوبي شرقي اوربا حتى يقاضوا تجار العرب والروم بتجاراتهم ويستدل من كلام ابن رندقة ان السياحة كانت ميسورة في المانيا في القرن الخامس والسادس للهجرة وهو غريب فتأمل ·

يابان الحديثة

اختلفت الروايات في تقدير رقي يابان في مادياتها وقد كتب احد العلماء في مجلة العالمين البارزية مقالة في هذا الصدد جاء فيها ان قليلا في الشعوب من سارت سير اليابان في رقيها بسرعة فقد اثبتت قوة بحريتها وبريتها في حربين عظيمتين خرجت منهما ظافرة وبلغت الدرجة الرابعة بحريتها بين الدول وعادلت تجارتها الخارجية تجارة اوستراليا وكندا واحسنت بالانتفاع جدا الانتفاع من مناجمها وصناعاتها · وسككها الحديدية واسلاكها البرقية والتلفونية كما لدولة عظمى · وتقدر ثروتها بسبعين مليار فرنك وبفضل الادارة المنظمة بلغت ميزانيتها ملياراً ونصف مليار فرنك ولم يكن لحكومتها سنة ١٨٦٨ ادنى مورد ولا تجبي اقل ضريبة وكانت تدفع ديونها الباهظة بالقروض او باصدار اوراق واستدانت سنة ١٩٠٥ اربعة مليارات ابتاعت بها سككها الحديدية وستحول ديونها كلها قريبًا بفائدة اربعة في المئة والحكومة في يابان تملك ادارات البريد والبرق والتلفون وقد انشأت خطوطًا حديدية طويلة على حسابها وفي سنة ١٩٠٦ انزعت من جميع الشركات مالهم من الخطوط الحديدية في بلادها واحدثت هذه الحكومة من سنة ١٨٦٨ الى ١٨٨٥ اهم الصناعات الحديثة في بلادها تضاهي بها اهل الغرب في مدنيتهم · يقولون ان آسيا متأخرة بمدنيتها خمسين سنة عن اوربا اما المدنية في يابان فانها ارقى من كثير من ممالك اوربا نفسها

التعليم في رومانيا

رومانيا مملكة من ممالك البلقان كانت تؤدي الجزية للدولة العلية من سنة ١٣٩٢ الى سنة ١٧١٦ ثم حكمتها مباشرة واستقلت نهائيًا سنة ١٨٧٨ منفصلة عن العثمانية في مؤتمر برلين وهي مؤلفة من امارتي مولدافيا والفلاخ ومساحتها السطحية ١٣٩٥٤٧ كيلومتراً وقد نشرت نظارة معارفها مؤخراً احصاء بعدد الاميين والمتعلمين من ابنائها عن سنة ١٩٠٩ اي لمرور ٢٨ سنة على جعل رومانيا مملكة تبين منه ان اولاد رومانيا يجب عليهم ان يدخلوا المدرسة الابتدائية العامة من السنة السابعة الى الرابعة عشرة واذا رأت ادارة المعارف ضرورة تكره اولياء الاولاد ان نعلموا اطفالهم في مدارس اعدادية

خاصة من سن السادسة الى السابعة واذا جاوز الولد الرابعة عشرة من سنه ولم يدخل مدرسة يضطر الى دخولها ويمكث فيها سنة زيادة اما من تعلموا مايجب تعلمه قبل ان يبلغوا الرابعة عشرة فيقضى عليهم اذا كانوا من ابناء القرى ان يواظبوا على مدارس المراجعة . وللاولياء الاولاد ان يعلموا اولادهم في بيوتهم او في مدارس خاصة تعترف بها الحكومة واذا قدر لبعض الاولاد ان اخفقوا في امتحان سنتين من خصوص السنة المدرسية تقيد اسماؤهم في مدارس الحكومة على سبيل المعونة وقد بلغ عدد الاولاد الذين هم في سن الدراسة ٨٢٧٫٨٨٣ طفلا وطفلة في القرى و ١١٠٫٥٧٣ في المدن وعدد مدارس القرى ٤٦٩٥ فيها ٦٤٦٠ معلما وعدد طلابها وطالباتها ٥٠٤٢٩٧ منهم ٣٣٣٣٧٨ صبياً و١٧٠٩١٩ ابنة وبلغ عدد مدارس المدن ٣٧٨ فيها ١٣٢٤ معلماً و٨٠٦٥٤ تلميذاً منهم ٤٦٢٧٦ ذكراً وفي رومانيا ٢٦٠ مدرسة خاصة فيها ٢٤٧٢٧ تلميذاً و٨٨ ملجأ معظمها للاسرائيليين تؤوي ٣١٢٦ ولداً سنهم دون السابعة .

قالت مجلة الاقتصاديين بعد ايراد بعض ماتقدم ونفقات المعلمين في هذه المدارس تؤديها الحكومة خاصة وقد كانت سنة ١٩١٠ — ١٣ مليون فرنك و٢٩٧٫٢٧١ فرنكا ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٩ ان اهالي رومانيا بلغوا ٤٫٧٦٣٫٦٩٩ ذكوراً واناثاً سنهم اكثر من سبع سنين منهم ١٫٨٠٩٫٤٣١ يقرأون ويكتبون و٢٩٥٤٢٦٨ أمياً ومعدل الاميين في المدن ٢٦ في المئة في الرجال و٤٨ في المئة من النساء و٤٩ في المئة من الرجال في القرى و٤٣ في المئة من النساء فيها و ٢١٠٥٦٠٥ من هؤلاء الاميين تجاوزت سنهم الحادية والعشرين فنجوا من قانون المعارف الذي يقضي بتعليم الاولاد الى هذه السن و٨٥٠٠٠٠ أمي تختلف سنهم بين السابعة والحادية والعشرين وقد بذلت العناية من وراء الغاية منذ عشر سنين لنشر المعارف بين غير المتعلمين من الرومانيين ولكن الامر صعب والتغلب عليه بعيد الآن . قلنا اما المملكة العثمانية فلا تعرف حتى الآن عدد أمييها من متعلميها بل لاتعرف عدد سكانها لان كل شيء فيها موكول الى التوكل والبركة لا الى الحساب والتقدير

احتكار المجلات

شاعت في الولايات المتحدة اشاعة احدثت ضجيجاً وقلقاً في عالم الصحافة وذلك ان النقابة المالية التي يرأسها المثري الشهير مورغان تريد ان تحتكر المجلات الكبرى في تلك الديار لان احد اعضاء هذه النقابة قد ثبت انه ابتاع عدة مجلات وهو مدير شركة كول

التي لها ثلاث مجلات عظمي يبلغ ما تطبع ١٧٠٠٠٠٠ نسخة وقد اشترى مورغان سهاماً كثيرة من شركة أُخرى يريد ضمها الى شركة كرول ويخشى مديرو المجلات ان لايكون هذا الاحتكار داعياً يضطرهم لانزال اجور الاعلانات · والذي نعجب منه في الاكثر ان المطبوع من ثلاث مجلات هو هذا القدر من العدد

سكان الهند

افاد لسان البرق انه بلغ سكان الهند في الاحصاء الاخير ٣١٥ مليوناً وهو نمو هائل دل على استتباب اعلام الامن وتوفر مرافق الحياة والصحة والثروة في تلك الاقطار الواسعة

المرأة والرجل

اقترحت مجلة « ادلة الترقي » الفرنسوية عَلَى ارباب الافكار وحملة العلم والادب في فرنسا ان يكتبوا لها آراءهم في طلب المرأة التساوي بالرجل في حقوق الانتخاب وهو المطلب الذي اشتد النساء في المانيا وانكلترا والنمسا وفرنسا في المطالبة به في العهد الاخير لما ظهر من اقتدارهن ومسابقتهن الرجال الى ورود حياض العلوم والمعارف فكتب لها الكاتبون وبعض الكاتبات الشهيرات بآرائهم فكانت في الاكثر مجمعة عَلَى وجوب تساوي النساء بالرجال في هذا الشأن وان اشتراكهن الرجل في الانتخاب حسن وربما كانت آراؤهن اميز من آراء الرجال في كثير من الاحوال

كارنيجي والسلام

بعد ان دفع المثري الاميركي كارنيجي عشرة ملايين دولار للسعي في ابطال الحروب من الارض وتعهد باداء اربعين مليوناً آخر قوي الامل بان يرفع السلام اعلامه عَلَى الارض وقد ألف حكومة واشنطون لجنة من ٢٤ رجلاً من كبار ساسة الاميركان للنظر في هذا الامر · قال كارنيجي في كتابه الى هذه اللجنة « اني اودع اليكم مبلغ عشرة ملايين دولار لتستعملوه في الاسراع بابطال الحرب الدولية هذه الوصمة القذرة في وجه المدنية الحديثة » وقد وصف احد الالمان كارنيجي الاميركي وقال انه رآه في السنة الماضية وهو في السن الثالثة والسبعين فرحاً مسروراً كأنه في الاربعين وقوة جسمه ناشئة من رياضته وهو حسن الظن في الامور قوي الثقة بالمستقبل شعاره : « كل [illegible] لان كل امرء في تحسين اليوم بعد اليوم في هذه الدنيا » وكيف

لا يقول هذا وثروته تبلغ عشرة مليارات من الفرنكات هو ابن نساج ايكوسي (انكليزي) فقير جاء اميركا يبحث له عن عمل ولا تسل عن مروره يوم جاء الى ابيه بستة فرنكات اكتسبها لاول مرة من عمله في اسبوع وهو لا يزال يذكر تلك اللذة وان ربح بعد ذلك الملايين والمليارات ومن جملة حسنات كارنيجي انه اسس الفي مكتبة لامته سبلها عَلَى المطالعة والمراجعة

اصل المصريين

القى الاستاذ اليوت سميث محاضرة في مدينة مانشستر من بلاد الانكليز في اصل المصريين قال فيها : ان معرفة أصل قدماء المصريين كان موضوع بحث الكثيرين من زمن اليونان والرومان الذين دهشوا من اعمال الامة المصرية الهائلة وعاداتها الغريبة · وقد بدأت الاكتشافات الدالة على اصل المصريين في سنة ١٨٩٤ باكتشاف الاستاذ بتري مقابر بين البلاص ونقاده في شمال مدينة طيبة كان داخلها اجسام واشياء تاريخها سابق لتاريخ الأسرات التي حكمت مصر · وقد دل ذلك الاكتشاف على ان الاجسام التي وجدت قبل ذلك لم تكن مصرية بحتة بل كانت خليطاً من اجناس مختلفة · واخذ كثير من المؤرخين يضعون نظريات بنوها عَلَى ماعثر عليه اناس لاعلم لهم بالآثار بطريقة غير منظمة وهم عَلَى غير علم بما تدل عليه من الآثار التاريخية والفوائد الخطيرة العلمية قال ان من حسن حظه انه بدأ في بحثه في مصر من سنة ١٩٠٠ وهو الوقت الذي ثبت فيه تمام الثبوت ان مقابر نقاده كان مدفونا فيها اجسام من قبل بدء التاريخ وامكن كذلك معرفة اعمار هذه المقابر معرفة تامة ومن سنة ١٩٠٠ تم كثير من اعمال الحفر والتنقيب اطلع عليها باجمعها و بحث فيها بحثا دقيقاً · وقد دلت البراهين الثابتة على ان المدنية المصرية قبل تدوين التاريخ كانت منتشرة في اعالي فروع نهر النيل الى بلاد الحبشة ومن هناك الى شاطيء البحر الاحمر

وكان من عادة المصريين قبل حكم الأسرات التي حكمتهم ان يدفنوا موتاهم واضعين رؤوسهم نحو الجنوب ولما اتت الأسرة الرابعة حدث اختلاط في الاجناس في الوجه البحري وبدأت الموتى تدفن ورؤوسها نحو الشمال · وكان المصريون يعتبرون سكان شاطيء البحر الاحمر اجدادهم ويقدسونهم ويسمونهم (بنطا) اي انهم من دم واحد ومواطنيهم

وقبل بناء الاهرام اخذ المصريون في الاختلاط التام بالاجناس الأخرى وقبل ان

بدأ تاريخ الأُسرات المالكة كان المصريون قد اكتشفوا معدن النحاس فصنعوا منه اسلحة فتحوا بها الوجه البحري ولما اتحد الوجهان (القبلي والبحري) ظهرت الأُسرة المالكة الاولى وفي هذا الوقت افتتح المصريون شبه جزيرة سينا وسواحل سورية الى ان وصلوا الى جبل لبنان وادخلوا في غرب آسيا فوائد النحاس واستعماله وكان هذا الاختلاط بالامم الاخرى باعثاً على تقدم المدنية المصرية فتقدموا في ذلك العصر تقدماً باهراً . وكانوا يعبدون آله الشمس (رع) عَلَى الدوام ولم تأت الأُسرة الخامسة حتى انتشرت عبادة هذا الآله انتشاراً كبيراً وربما كان ذلك راجعاً الى تأثير فتح البلاد السورية

وفي آخر العصر الحجري اتى الى اوربا اناس عن طريق آسيا الصغرى وكانوا يستعملون القلز ولهم عادات مختلفة في دفن موتاهم وقد تعقبت بقايا هذا الجنس فوجدت انها تتصل بنفس المكان في سورية الذي كان يأتي منه المهاجرون الى مصر في عهد بناء الهرم الاول حيث تعلموا استعمال النحاس من المصريين وكان عبورهم من مضيق البوسفور الى اوربا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ثم اختلطوا من ذلك الوقت بمن كانوا عائشين في العصر الحجري وعَلَى ذلك فالجنس المسمى بالألبيين نسبة الى الالب هم من نسل هؤلاء الاقوام الآسيويين ولما اتت الأُسرة المالكة الخامسة ظهرت دلائل وجودهم في مصر الوسطى ثم في نهايتها ثم اخذت تقاطيع المصريين وسحنهم تتغير تدريجيا

وكان من عادة الاجانب في مصر ان يطلقوا شواربهم وقد اكتشفوا اجساماً من آخر الأُسرة المالكة الثالثة الى السادسة مدفونة في الجيزة وسقارة وميدوم من هذا النوع وفحصت جماجمهم والخلاصة ان قدماء المصريين قبل بدء الأُسرات المالكة والجنس الذي كان عَلَى شواطيء البحر الابيض في القسم الحديث من العصر الحجري المسمى (Mediterranean Neolithic race) من دم واحد . وفي حكم الأُسرة الرابعة امتزج المصريون والاجانب بسبب الحركة الكبرى التي كانت في غرب آسيا وترقوا في ذلك العهد رقياً كبيراً

لغة الاسبرانتو

اخترع طبيب العيون الروسي الدكتور زامنهوف من فارسوفيا منذ سنة ١٨٨٧ لغة مساعدة دولية سماها الاسبرانتو واقبل بعض الناس في العالم المدني عَلَى تعلمها اقبالاً جاوز حد المأمول فانتشرت في روسيا وفرنسا والمانيا ثم تعدت الى سائر الممالك وجاوزت

بحر الظلمات الى اميركا وعقدت لها مؤتمرات في سنين مختلفة وعواصم مختلفه اهمها مؤتمر درسد وكان فيه ٤٢ نائباً عن ٤٢ أُمة مختلفة لغتها عن لغة جارتها · وهذه اللغة مؤلفة من حروف لاتينية اختار لها مخترعها ابسط التراكيب وسهل التلفظ بها بحيث يتأتى لابن الغرب ان يدرسها في بضعة اسابيع وهي من انفع ما يكون لتسهيل الصلات بين ابناء الحرفة الواحدة من مختلفي اللغات فبلغة الاسبرانتو يتفاهم الاطباء والاساتذة والمهندسون والعلماء والتجار من اي امة كانوا وقد صار لهذه اللغة الآن مئة جريدة منها مايكتب بها فقط ومنها مايكتب بها وبلغة البلاد التي تصدر فيها وينشرون بها مجلة علمية تبحث في علم الانسان والحيوان والاجتماع والنبات والطب والرياضيات ولها مجلات أُخرى ادبية فنية وقد بلغ عدد جمعياتها في اميركا ٢٨٠ وفي آسيا ٣١ وفي اوربا ١٢٠٣ وفي افريقية واوستراليا ٣٩ منها ٢٢٢ جمعية في المانيا فقط وناهيك باقبال الالمان عَلَى كل مايفيد وتأنيهم في الاخذ من الجديد · وقد قال من كتب عن لغة الاسبرانتو مؤخراً انها ليست واسطة للمعاملات اليومية بين البشر بل هي الواسطة الوحيدة للقضاء على الوف من المشكلات تنجم في الغالب من اختلاف اللغات وهي تبدو عياناً عند مايراد الاتحاد مع اجنبي غريب في اي عمل كان فلغة الاسبرانتو لاتضر باللغات الموجودة بل اصبحت لغة ثانية لكل مدني من الناس وهذا نافع جداً للافراد والانسانية

اللغة الموقتة

تألفت في باريز جمعية عامة من الاساتذة بعثت الى رئيس الجمهورية محضراً تصف فيه فضائل اللغة الموقتة التي الفتها قالت فيه ان هذه اللغة ساذجة عملية لاتكلف معانيها كبير درس وعناء وبها يتيسر لجميع سكان الارض ان يلفظوا ويقرأُوا ويكتبوا ويستهلوا ويطبعوا ويخابروا بالبرق والتلفون بدون سابق درس في كل اللغات واللهجات مهما كانت منحطة (كلغة الجركس والداغستان مثلا) وان يفهموها احسن فهم واسرعه واكثر مما يتأتى لهم بالاساليب المعتادة · وقد ذهب هؤلاء الاساتذة الى ان اصعب ما في اللغات التلفظ بها واملاؤها فرأَوا ان يكتب الانسان كما يقرأُ وان يدل بحرف واحد عَلَى كل كلمة وان كل صوت يعبر عنه بالحرف نفسه في كل اللغات التي يقع فيها ولذلك اخترعوا الف باء مؤلفة من ٤٥ حرفاً منها ذو علائم واشارات وتسهيلاً لتعلم هذه اللغة اخترعوا دفاتر يشرحون في الصفحة الاولى منها قواعد تلك

اللغة واصولها وقد تركوا الثانية بيضاء لتطبيق هذه اللغة عَلَى العمل والتمرن فيها ووضعوا ملايين من هذه الدفاتر في المطاعم والفنادق ومكاتب البريد والمخازن والمحطات والمدارس ليصبو كل انسان ان يجرب بنفسه تعلم هذه الطريقة وبذلك تتم بث دعوتها وتنتشر بين الناس اقصى الانتشار ويقول مخترعو هذه اللغة ان حسناتها اذا أُضيفت الى لغة الاسبرانتو تزيح الجهل الذي هو مبعث الحروب والثورات والشقاء الخاص والبلاء العام وان لغتهم اداة صلة معقولة بين مطبعة غوتمبرغ مخترع الطباعة وآلة اديسون مخترع الفونوغراف اي بين العالمين القديم والجديد

الانكليزية الفرنسية

اخترع احد الاساتذة لغة جديدة مزج بها اللغتين الانكليزية والافرنسية وهي نوع من لغة الاسبرانتو تنفع ابناء هاتين اللغتين فقط وقد وزع كراسة بمنافع لغته اباعها من الجمهور · فقالت عنه المجلات ان هذه هي النتيجة الاولى لاختراعه واستضحك منها كل من تلاها وهذه نتيجة ثانية · وقالوا ان هذه اللغة اشبه باللهجة الفلامندية المعقدة المعروفة في بلاد البلجيك

التثاؤب

كثيراً ما كان الاطباء يقولون بشناعة التثاؤب حتى قال ابقراط ان التثاؤب كالشهقة يشع من صاحبه كما هو ضار في غيره وان احسن علاج للتوقي من التثاؤب ان يطيل المتثائب نفسه · وقد قام في العهد الاخير طبيبان في اوربا يريان ان لا بأس بالتثاؤب وانه نافع لامراض الحلق ومن يحسن التثاؤب جادت رئتاه وجميع مجاري تنفسه ولكن الواجب ان يتمرن المرء على التثاؤب كما يتمرن على تنفس الهواء فيجب ان تشتغل بالتثاؤب اعصاب الصدر والحلق معاً وان يكون عميقاً ملياً ما امكن وان يتثاءب المتثائب وذراعاه مبسوطتان بحيث يبدل الهواء الذي يجري في الدماغ والقلب والاحشاء كل التبدل ويكثر من اخراج النفس وبذلك قد يسهل البلع على من لا يستطيعه وتقل اضطرابات السمع عَلَى المصابين بها وهي تكون مصاحبة لزكام الحلق اما طريقة التثاؤب فسهلة للغاية وهي عبارة عن ان يتثاءب المرء ست اوثماني مرات متوالية بالعاً ريقه بعد كل مرة قالت المجلة التي نعرب بها واذ كان التثاؤب مما تنفر منه طباع الحضور في مجلس وقد يؤدي الى ان يحذو حذوه غيره فالواجب عَلَى الانسان كما قال الاخلاقي لابرويير ان يتثاءب في بيته لئلا يزعج غيره بما يكره

غابة تحت الارض

اكتشفت في ساندي هوك في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة غابة تحت الارض عَلَى بعد ١٣٠ متراً عمقاً بينما كانوا يحفرون آباراً ارتوازية واشجارها عظيمة جداً قطر الواحدة نحو سبعة امتار . والغالب ان هذه الغابة قد انهالت عليها الرمال فطمتها ويؤملون ان يعثروا في هذا المكان عَلَى كميات وافرة من العنبر الاصفر

اجور المنازل

اشتدت وطأة الغلاء في اجور المنازل في عواصم العالم المدني فبانت فوق طاقة العاملين والمحترفين ففي احصاء اخير ان في مدينة برلين ٥٢٠٤٤١ مسكناً منها ثمانون في المئة مؤلفة من غرفتين ومطبخ وهذا مما يضر بصحة من يسكنون في مثل هذه المحال في بلد يتجاوز سكانه المليونين اي ان تسعين في المئة يسكنون في مثل هذه المساكن المتلاصقة وقد كان الرجل يسكن منذ قرن ونصف بانفاق خمسة في المئة من دخله وارتقت الاجور سنة ١٨٥٠ الى عشرة في المئة واليوم لا يستطيع السكنى باقل من ١٥ الى ٢٠ في المئة وربما اضطر بعض الاساتذة ان ينفقوا نحو ربع مشاهراتهم ليسكنوا بيوتاً لائقة بهم في الجملة والسبب في زيادة الاجور بدعة المضاربات في اراضي البناء في المدن . والناس في الغرب يطلبون تدخل الحكومات في مسائل الاجور وان تنشأ لجان لتفتش المساكن

لغة الفرنسيس

عقد مؤتمر في بروكسل للنظر في اختيار لغة دولية تقوم بالغرض المطلوب لدول اوربا من كل وجه فكان القائلون بتفضيل اللغة الافرنسية اكثر من غيرهم وقد كان للقائمين بهذا الامر عضد قوي من رجال الكليات في العالم ماخلا المانيا فانه لم تسبق دعوتها الى هذا الغرض اما المتأدبون والعالمون وارباب الاعمال العقلية فقد فضلوا كلهم لغة هوغو وراسين عَلَى غيرها من لغات اوربا

الاولاد والكسب

نشر مجلس الصحة في كليفورنيا من الولايات المتحدة نشرة قال فيها ان تعليم الولد الى سن العشرين يكلف في كليفورنيا ٤١٥٠ دولاراً اي نحو الف ليرة عثمانية وان قيمة الولد في تلك السن تساوي ٤٠٠٠ دولار وبذلك يمكن ان يثمن الشاب في سن الثلاثين

بـ ١٦ الف دولار على التعديل المتوسط اي انه يربح منه ١٢ الف دولار في عشر سنين ويكون قد كلف ١٠١٥٠ دولاراً فيبقى الربح الصافي ٥٨٥٠ دولاراً فكل من يربي ولداً يأتيه بربح صاف الى سن الثلاثين بـ ٥٨٥٠ دولاراً ومعدل مايكلف الولد في المدارس في الولايات المتحدة ٢٩٠٠ ريال فاذا حسب العاملون الدارسون من اهل كلفورنيا بلغت قيمتهم ٦٦٨٩٥٠٠٠٠٠٠٠ ريال اونحو ضعفي سائر موارد الثروة والحكومة تفقد كل سنة مئة مليون ريال في تلك الولاية بالامراض والموت الفجائي الذي يمكن تلافيه لو حسنت العناية بالصحة اكثر من ذلك . هذا مايساويه سكان ولاية واحدة هناك فكم يساوي سكان ثلاثين ولاية عثمانية !

الاشتراك والبلديات

كتب صاحب مجلة « ادلة الترقي » مقالة في الحركة الاجتماعية وتأثير اشتراك البلديات في اوربا قال فيها ان ارتقاء الصناعات وانشاء المعامل دعا الى تباعد المسافات بين دور العملة ومحال اعمالهم فاستدعى ذلك تنظيم الترامووايات ومدها الى الاماكن البعيدة واضاءة الشوارع بالانوار الكهربائية او الغازية ولكن رأت بعض البلديات ان الترامووايات هي لشركات لاتنظر الا الى ربحها فابتاعتها منها ناظرة في استثمارها كما فعلت بلدية فينا الى مصلحة الاهلين اولا فنتجت من ذلك نتائج حسنة وهكذا نظرت المجالس البلدية في المدن الكبرى وبعض الصغرى الى حالة المساكن فانشأت بعضها مساكن صحية للعملة باجور زهيدة وكانت مدينة زوريخ متقدمة عَلَى المدن عامة فخربت ربع المدينة القديمة وبنت مكانها مساكن منظمة عَلَى هندسة وشوارع حسنة وحدائق عامة وخاصة وانشأت ادارة ترسل مقداراً من النور في السنة لكل بيت وماء سخناً للحمامات كل يوم واذ كانت مسائل اللحم والخبز واللبن من المسائل المشكلة عَلَى الفقير ايضاً مثل مسائل البيوت الصحية الرخيصة رأت بعض بلديات المانيا ان تفتح على نفقتها مسالخ ومخازن لبيع اللحوم باثمان معتدلة فتخلص العملة بذلك من احتكار القصابين وكذلك فعلت بلدية بودابست وانشأت مخبزاً تبيع منه الخبز للعملة باثمان حسنة بالنسبة لسائر الخبازين حتى اضطروا ان يجاروها ويرحموا الفقير . ومنحت بلدية رومية نصف مليون ليرة لانشاء بيوت للعملة رخيصة صحية وانشأت بلدية ميلان صيدلية ارتقت ارتقاء مدهشاً وبها انحل عقد المحتكرين من الصيادلة وتراجع امرهم وانشأت بلديات بعض مدن انكلترا معامل لتعقيم اللبن وبيعه من المراضع وغيرهم تبيعهم اياه خالصاً لاغش فيه

وكذلك فعلت بعض البلديات في المانيا واخذت على نفسها بعض البلديات تجهيز الموتى باثمان بخسة لانقاذ الفقراء من مخالب الدافنين والمكفنين واشتطاطهم في الاجور وانشأت بعض البلديات صناديق للتوفير للعملة اتت بنتائج حسنة كما ان جميع هذه الاعمال التي قامت وتقوم بها البلديات قد نفعتها ماديا كما نفعت الطبقة البائسة والمتوسطة بها وكل هذه الاعمال يقصد بها قيام الجماعة منظمين امرهم بنظام المجالس البلدية ليدفعوا عن الفقير والعاجز بل عن مجموع امهم غوائل احتكار الافراد لمصالح العامة والحاجيات الضرورية ويعملوا على مافيه مصلحة الناس عامة لامصلحة اناس مخصوصين . وكانت انكلترا اول من فكر في مثل هذه الاعمال النافعة فعسى ان نكون نحن آخر من يفكرون في احتذاء ذاك المثال النافع والهدي الرافع

لغة دولية مزدوجة

عرض جماعة من العلماء سنة ١٩٠٠ مشروعاً نافعاً في ربط عهود الوفاق بين كل من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وهو ان تتداول حكومات هذه الممالك في عقد عهد تضطر بها كل منها أُمتها ان تتعلم لغة الاخرى اجباريا في المدارس فكما يتعلم الانكليزي والاميركي اللغة الانكليزية في مدارس بلاده يتعلم اللغة الافرنسية كذلك وكما يتعلم الافرنسي لغته في مدارسه يتعلم معها الانكليزية مضطر ايضاً وقد قال ابو عذر هذا الفكر المسيو بول شابليه ان انتشار اللغة الانكليزية قليل في قارة اوربا اللهم الا في بعض السواحل القليلة وهكذا في افريقية الشمالية . والانكليزية منتشرة في اميركا الشمالية والجنوبية وشرقي آسيا ولكل لغة من هاتين اللغتين منطقة انتشرت فيها ولم تنازعها فيه الاخرى فاذا جرى وفاق من هذا القبيل تقوى كل من اللغتين قوة هائلة خصوصاً وان لكل لغة من تينك اللغتين اناساً بل امماً ترغب في تلقفها وتفهمها فللتجارة اللغة الانكليزية وللسياسة والسياحة والمجالس اللغة الافرنسية . ولكن جاء هذا الاقتراح في غير اوانه اذ كانت على ذاك العهد توترت العلائق بين فرنسا وانكلترا واخرجت الثانية الاولى من فاشودة وكانت انكلترا مهتمة بحرب البوير فلما صفا جو الصلات اليوم بين الدولتين قام صاحب هذا الفكر يعرضه على الانظار فوفق الى اقناع احد كبار الاغنياء في اميركا فتعهد ان ينفق على تحقيق هذه الامنية كل مايلزمها من المال ويقول العارفون ان هذا التدبير افضل من اختراع اللغات الصناعية وستنتج منه نتائج كبرى عملية لتلك الامم الثلاث من حيث الماديات والمعنويات . ونحن نقول ان هذا الفكر نافع جداً في

المملكة العثمانية ايضاً ولا سبيل الى ترقيتها الا اذا تعلم الاتراك لغة العرب وتعلم العرب لغة الترك وبذلك يحصل التفاهم ويزول كل خلاف وهذا رأي كبار عقلاء الدولة وقد سئل عن معنى سوء التفاهم الواقع بين العرب والترك فقال لا سبيل الى ازالته الا اذا تركنا العرب وعربنا الاتراك ·

حفظ الاسماك

اخترعوا في باريز آلة تخرج ثلجاً كالثلج الطبيعي حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل وهذه الآلة نافعة في حفظ الاسماك اذ قد ثبت ان بعض الاسماك في البحيرات والانهار يهلك كثير منها لان الثلوج والجليد تنقطع عنها فجأة وبهذه الآلة الجديدة ينزل الانسان الثلج على الاماكن التي يريدها ويحفظ السمك بطعمه ولذته في الابعاد الشاسعة وعلى متن البواخر التي تشق العباب بين قارات الارض الخمس اياماً وليالي وباستعمالها اقتصاد عشرين في المئة من ادوات الثلج الصناعي او الجليد المعروف في هذه الديار

مدارس الشعب في انكلترا

نشرت مجلة التربية لمحة لاحد قدماء مديري المدارس الانكليزية في ترقي مدارس الشعب (Public schools) هناك منذ خمسين سنة جاء فيها ان مدارس الشعب في انكلترا تقسم الى قسمين قسم يدعى في العادة الابتدائي والآخر الثانوي · ولفظة ثانوي مأخوذة من الافرنسية وربما كان كوندورسه [1] هو اول من استعملها سنة ١٧٩٢ فالمدارس الابتدائية يتعلم فيها ابناء العملة منذ صغرهم حتى سن الخامسة عشرة ولا يعلم فيها غالباً غير اللغة الانكليزية وهي اشبه بمدارس اختيارية انشأتها الكنيسة وهي تنفق عليها ويرد تاريخها الى بضعة قرون · اما برنامج دروسها فهو منظم الآن على طريقة واحدة تحت ادارة مجلس المعارف والحكومة تنفق عليها وتراقبها وتكره القوم على تعليم اولادهم فيها

وليس لهذه المدارس مثيل في وحدتها في المدارس الثانوية او في المدارس العالية · وقد جمعت طريقة التعليم فيها بين الطريقة القديمة والطريقة الحديثة اذ فعلت

---

(١) هو فيلسوف رياضي فرنسوي مشهور قام بالدعوة الى الجمهورية ولما سقط في ايدي المستبدين او كاد آثر ان يتجرع السم لينجو من الاهانة بصلبه ولد سنة ١٧٤٣ ومات سنة ١٧٩٤

فيها المؤثرات السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية واضطرت ان تخرج طلبة ينتقلون منها الى كليتي اكسفورد وكمبردج

يبدو لك التعليم الثانوي في انكلترا لاول وهلة مرتبكاً فله مدارس قديمة واخرى جديدة ومدارس تنال رواتب من الحكومة واخرى ليس لها رواتب ومدارس دينية واخرى مدنية فقط ومدارس لها مجلس ادارة واخرى ليس لها ذلك ومدارس تقبل أعطيات الحكومة وأخرى تستنكف من قبولها ومنها المحافظة بالطرق القديمة في تدريسها ومنها من اتت عَلَى القديم فدكته واستعاضت عنه بالجديد من الاصول وقصارى القول انك تجد مدارس من جميع الطبقات والدرجات والصفات ومدارس الشعب هي في الجملة التي لها مجلس ادارة وليست ملكاً لاحد وتبقي تلامذتها الى ان يبلغوا التاسعة عشرة من اعمارهم وتبعث بقسم من قدمائهم الى كليتي اكسفورد وكمبردج . فتخرج بهذا التعريف المدارس الخصوصية والاستعدادية والمدارس الصغرى والمدارس التجارية والصناعية والمدارس التي لا تعلم اللاتينية واليونانية والمدارس الثانوية التي أنشئت حديثاً تحت حماية الحكومة ويقصد منها ان تعم التربية العامة في الطبقات الوسطى وتعليمها تعليماً تجارياً او صناعياً او تخريج اساتذة للمدارس الابتدائية .

و بين مدارس الشعب والمدارس الثانوية في انكلترا اختلاف حقيقي فالاولى تكون عَلَى الاكثر داخلية واساتذتها ممن تخرجوا في الكليات العظمى وتلامذتها يأتون من بيوت آبائهم مباشرة او يكونون متخرجين في المدارس الاستعدادية واجور التعليم فيها غالية ويعلمون فيها اللاتينية واليونانية ولها ارتباط كلي مع الكليات اما المدارس الثانوية فتلامذتها خارجيون والسواد الاعظم منهم يتخرجون قبل في المدارس الابتدائية واجورها خفيفة ولا يعلمون فيها الا قليلاً من اللاتينية ولا اثر لتعليم اليونانية فيها وقلما يبقى التلامذة فيها بعد سن السادسة عشرة او السابعة عشرة وهي تحت نظارة Board of éducation ادارة التربية والحكومة المحلية . و بعد فقد نشأت مدارس الشعب كما قلنا عَلَى صور شتى فمنها ما انشأته الاديار والبيع ومنها ما انشأه الملوك او الافراد او شركات او جمع لها المال بالاكتتاب العام فهي تسد حاجة ابناء من يديرون شؤون البلاد وقوائم دروسها تنفع من يريدون التدرج والترقي منها الى الكليات او الى الجيش ويعملون الاعمال الحرة ويستخدمون في الوظائف الملكية في العاصمة والمستعمرات والممالك في الفروع

العالية التجارية والصناعية وفي هذه المدارس نحو ثلاثين الف طالب وربما كان في المدارس التي تعد الطلبة للدخول فيها بعد نحو عشرة آلاف

والسبب الاعظم في كون مدارس الشعب واقفة في اصولها عند حد محدود ارتباطها بالكليات ولأن مديري شؤونها واساتذتها وتلامذتها هم من ارباب الاملاك او الذين يتعاطون الصناعات الحرة · واهل هذه الطبقة في انكلترا هم من المحافظين في السياسة والتربية وربما كان لهذه المدارس من قدمها مادة لبقائها حتى الآن ولذا فان شركاتها أو جمعياتها تدعو فيها الى التعلق باذيال الماضي · ولشهرة المدرسة وتقاليدها وأسلوبها شأن اعظم من شأنها في التربية العملية او التعليم الراقي ·

و يعيش تلامذة هذه المدارس داخليين لا في بيت واحد متسع بل في بيوت منفصلة بعضها عن بعض يوسد امر النظر فيها الى اساتذة ويختلف عدد المتعلمين في كل مدرسة منها بين ١٢ الى ٥٠ وربما زاد عن هذا القدر يعيشون عيشة اجتماعية ودية ويتحابون على نحو مايتحاب الاتراب و يتعاطفون تعاطف الاخوة ولجميع هذه المدارس الكبرى معابد يصلون فيها على وتيرة دائمة ان لم تكن متصلة بكنيسة · وللدين فيها تأثير شديد · والعامل الرئيسي في نجاح معلم في المدارس الابتدائية طريقته وأسلوبه وفي استاذ الكلية سعة علمه وفي مدارس الشعب اخلاقه ولذلك تجد المعلمين والمتعلمين في هذه المدارس الاخيرة مرتبطين بحب مدارسهم والاخلاص لها ارتباطاً ينم عن سير المدرسة واخلاقها وتقاليدها ومن مباديء هذه المدارس ان تمنح تلامذتها ثقة كبرى وقد فوضت قسماً مهماً من المراقبة والنظام في بيوت المدرسة ومحال اللعب للمسنين منهم وللرياضات شأن عظيم جداً في حياة المدرسة وفي تربية الاخلاق

وقد وصف اللورد بيكو نسفيلد هذه المدارس بقوله : ان مايعجبني في مدارس الشعب هو ان طلبتها يعيشون في الهواء الطلق و يبرعون في جميع الالعاب الرياضية ولا يتكلمون الا بلسان واحد وقلما يقرؤن · حقاً ان هذه الطريقة في التربية غير تامة ولكنها لم يسبق لها نظير منذ عهد اليونان

وقال احد علماء التربية ان مدارس الشعب كانت تنجح كثيراً في تخريج الرجال · وعلى ما دخل هذه المدارس من الاصلاحات لاتزال تنظر اليها نظراً ثانوياً ولا ترمي الا الى غاية واحدة وهي ان تخرج رجالاً اكفاء امناء وطنيين مسيحيين و بعبارة ثانية اعضاء نافعين في الكنيسة والحكومة

120

وان مادخل من الاصلاح عَلَي هذه المدارس منذ خمسين سنة وما يرجى ادخاله لايتأتى فهمه عَلَى حقيقته الا بالرجوع الى تاريخها فانا نراها الى اليوم تدرس اللغتين الميتتين اللاتينية واليونانية بل قد جعلتهما المادة الجوهرية في التعليم الحر ويكفي ان نقول ان السبب في دخول هاتين اللغتين الى التعليم العالي في الغرب المسيحي هو ان الكنائس كانت بجوهرها في القرون الثلاثة الاولى يونانية الاصل وكذلك اللغة والنظام والفلسفة . وباللغة اليونانية بلغت الآداب عَلَي اختلاف فروعها ماعدا الفقه اوج كمالها . واصبحت اللاتينية في خلال القرون اللاحقة في جميع غربي اوربا لغة المستنيرين من الناس وفي القرون الوسطى جعلت الكنيسة وكانت اذ اذاك القوة المربية الوحيدة في اوربا اللغة اللاتينية لغة عامة . وعَلَى عهد النهضة [١] انتشرت الآداب واللغات الاولى انتشاراً عظيماً في ايطاليا ثم تلتها حركة الاصلاح المهمة فى مدارس المانيا بقيام ستورم وملانكتون [٢] وكان يدافع عن اللغات الاصلية دعاة متحمسون لامثل ايراسم [٣] فقط من رجال الادب بل مثل لوثيروس من رجال الاصلاح الديني فان هذا دعا رؤساء الحكام في جميع مدن المانيا الى تأسيس مدارس تدرس تلك اللغات القديمة حتى قال بعضهم «يجب علينا ان نرتبط بحب اللغات ارتباطاً زائده الثبات كما ارتبطنا عن رضى بالانجيل فانا اذا لم نحتفظ باللغات لن نحتفظ بالانجيل» ولقد اثرت بانكلترا مثل هذه العوامل فكانت بعد عهد الاصلاح تعد اللغة اللاتينية لغة الكنيسة ولغة من تطمح نفسه الى المناصب الرسمية وظلت اللاتينية لغة العلم والسياسة الى سنة ١٦٦٠ ولكن مدارس الشعب لم ترجع عن طريقتها في التعليم الا بعد ان قامت المانيا وفرنسا وعنيت باصلاح التعليم العالي لما له من الشأن في تكوين الوطنية وهذا لم يتم الا في اوائل منتصف القرن الماضي والى

---

(١) النهضة *La Renaissance* هي اسم يطلق على التجديد الادبي والعلمي والصناعي الذي حدث في اوربا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ساعد عَلَى هذه النهضة اختراع الطباعة التي بها عم بين الاوربيين انتشار الافكار كما ساعدها اختراع النقش الذي عم الصناعات والتغالي في التحف والرسوم وبدأت هذه النهضة من ايطاليا ومنها انتقلت الى فرنسا وغيرها من ممالك اوربا

(٢) *Mélanchton* عالم لاهوتي الماني صديق لوثيروس صاحب الدعوة البروتستانتية ١٤٩٧ — ١٥٦٠

(٣) عالم هولاندي لقب بفولتير اللاتين ١٤٦٧ — ١٥٣٦

ذاك العهد كان تلامذة تلك المدارس يكتبون باللغة اللاتينية و ينظمون بها ولا يدرسون الافرنسية الا قليلا اما الالمانية فكانوا يجهلونها كما يجهلون العربية وكانوا يعنون عناية خاصة بتلقين مبادئ الرياضيات ولاسيما الهندسة الوصفية وكان الاساتذة يجيدون في تعلم اللاتينية واليونانية والعلوم الرياضية وهم شيوخ يدرسون هذه المواد منذ اربعين سنة اكثر من المحدثين لان خواتيم من يمارسونها احسن من مباديها والحال ليس كذلك في مدرسي التاريخ والادب والعلوم والاقتصاد السياسي فان هذه الموضوعات تضعف كلما قيلت وتنوقلت فادرك رجال العلم اذ ذاك ان هذه المواد لاتنبه ذهن التلاميذ ولا تلتئم مع مصلحتهم لان ليس فيها نفع عام

دام ذلك حتى اخذت بعض الكليات بعد سنة ١٨٦٧ تنفق من حسابها لتعليم بعض التلامذة فعندها اضطرت معظم مدارس الشعب الى تقديم تعليمها فمن التلامذة من اختاروا طريقة التعليم الحديثة بدون تعلم اليونانية وتعمقوا باللغة الافرنسية والالمانية والتاريخ واصبحت مواد كثيرة اختيارية لمن يريد ان يتعلمها ومنهم من اخذ يميل الى الاخصاء اي التخصص بعلم واحد ولا سيما في المدارس المهمة

وها قد اصبحت هذه المدارس اليوم ولها معامل كيماوية ومراصد فلكية وخزائن كتب ورقي فيها تعليم الآداب الانكليزية واللغتين الافرنسية والالمانية وعدلت فيها الكتب وصرفت العناية الى تعليم العلوم ومنها علم التربية واصبح تعليم الموسيقى من المواد المهمة في التدريس وطلبة هذه المدارس يدخلون في مسائل اجتماعية مهمة من مثل معاونتهم للفقراء والاخذ بناصر الضعفاء في الاحياء الفقيرة من المدن الكبرى ويتعلمون التعليم الوطني او واجبات الوطني في المدارس المهمة ومعظم كبار الطلاب يتعلمون التعليم العسكري ليستعدوا به الى نيل رتب الضباط في الجيش البري وكثير منهم يتعلم صناعة يدوية كالنجارة مثلا . كل هذا والغرض اليوم من هذه المدارس لم يفت القائمين بها وهي ان تربي الاخلاق وترقي المدارك ولكنها لم تبلغ في الامر الثاني درجة عالية وذلك ناشئ من تأخر نمو العقل في ابناء الانكليز فيظن الاساتذة ان عقول طلابهم كسلانة لاتعمل وقد قال اميرسون الفيلسوف الاميركاني : « ان التربية هي مايبقى في اطوارنا وعقولنا عند ماننسى ماعلمتنا المدرسة اياه » وقال الاستاذ سدلر : تشتد القوة الحيوية في التربية الى قوة الثقة بالنفس والاخلاص في المعتقد فاذا لم يكن للمربي رسالة يريد تلقينها لعقل من يربيه وابلاغها لروحه يتعذر وصوله الى وضع أسس الشخصية الادبية وهي المصادر

121

التي هي احسن مافي الحياة الشخصية والحياة الوطنية · فمبدأ التربية ايضاً منبعث من هذه الرسالة الروحية التي يبلغها الاستاذ وبدونها تضمحل قوتها الحيوية

هذا ماعربناه من كلام الاستاذ الانكليزي وقد امل لهذه المدارس نجاحاً اوكد في هذه الخمسين سنة التالية لما يعتورها من الاصلاح التدريجي فماذا يقول ابن هذه البلاد عندما يذكر مايكتبه عنا علماء التربية والاجتماع فقد قال احد الالمان ممن قضوا عشرين سنة في العراق ان الامة العربية تموت الموت التدريجي لفساد طريقة التعليم فيها فاللهم قيض لمدارسنا الاهلية والرسمية والدينية من يصلحها الاصلاح الحقيقي ويعوضها من اصول التعليم المطول الممل باصول حديثة ترقي الخلق والعقل ومن الخطط (البرنامج) المطولة التي هي طلاء ظاهر بخطط مختصرة ظاهرها كباطنها

التربية في سويسرا

نشر الاستاذ ستودر الانكليزي مبحثاً له في التربية السويسرية واذ كان ممن تربوا في مدارسها قديماً غدا كلامه جديراً بالثقة والنقل قال مانعربه عن احدى مجلات التربية الباريزية : التعليم في سويسرا على ثلاث درجات ابتدائي او موجز وثانوي وعال وكلها ذات صبغة ديمقراطية يجلس على مقاعدها ابناء جميع طبقات المجتمع كتفاً الى كتف وقد قضى قانون الاتحاد السويسري منذ سنة ١٨٧٤ ان يكون التعليم الابتدائي اجبارياً مجانياً وتراعى حرية الوجدان فيه بيد ان تطبيق هذه القاعدة تختلف باختلاف الاقاليم فترى مدة الدروس لاتتشابه في كل اقليم وكذلك التعليم الديني يختلف بحسب البلاد · ومن اقاليم سويسرا مايكره فيها الولد عَلَى البقاء في المدرسة من السنة السادسة الى الرابعة عشرة ومنها ماتكون مدة الاجبار من السابعة الى الخامسة عشرة ومنها مايسمح للولد ان يخرج من المدرسة في الثالثة عشرة بعد ان يؤدي امتحاناً وعَلَى كل تلميذ ان يحمل دفتراً ينبئ بهويته · وكذلك الحال في قائمة الدروس فانها تختلف كل الاختلاف لان الاقاليم والبلديات لها مطلق الحرية ان توفق الدروس عَلَى حسب الاحوال المحلية بحيث يقال ان اعضاء المجالس البلدية في كل قرية لهم اليد العليا عَلَى كل مايتعلق بالتعليم فيحددون بحسب ارادتهم اوقات العطلة ومدتها ويختارون المعلمين ويوافقون على احداث مدارس او ابنية جديدة ويتعهدون بالاهتمام بانفسهم شؤون مدارسهم وتفتيش صفوفها في مدد معينة والنظر في راحة الاساتذة والتلامذة · وما من مجلس من هذه المجالس يتوقف في بذل اقصى العناية بامور التعليم · والحكومة تؤدي نفقات المدارس الابتدائية

وفي بعض الاماكن تعطي للاولاد الكتب ولوازمهم المدرسية من المدرسة كما تعلمهم مجانًا وفي ايام الشتاء يقدم للاولاد طعام الغداء بثمن زهيد جداً واحيانًا بدون ثمن

تكاد تكون جميع المدارس من املاك الحكومة وليس معنى ذلك بان ليس ثمت بعض مدارس اهلية خاصة فان بعض المدارس تتوخى في تعليمها غاية مخصوصة و بعضها تسعى الى منافسة المدارس العامة ولكنها خاضعة لشروط فجميع الاولاد الذي يقرؤن في مدينة نوفشاتل عَلَى اساتذة خاصة او يختلفون الى مدارس خاصة يمتحنون كل سنة امام لجنة من المحكمين وتجبرهم الحكومة عَلَى دخول مدرسة عامة اذا رأت ان نجاحهم في دروسهم غير مرض. وعَلَى كل استاذ يعلم لنفسه تعليما حراً ان يكون حاملا شهادة او يمتحن امتحانًا خاصًا في المواد التي تعادل مايدرس في مدارس الحكومة. والمدارس الخاصة في كل طرف من اطراف سويسرا خاضعة لتفتيش الحكومة

والتعليم الثانوي مجاني ايضًا في معظم الاقاليم ويعطى التلميذ في بعضها لوازمه من كتب وغيرها بلا عوض اما في التعليم العالي فان التلامذة يدفعون اجوراً ولكنها طفيفة جداً والتلميذ الفقير المدقع يتعلم مجانًا اذا اراد مهما كان استعداده. وليس للكليات موارد خاصة ماخلا كلية بال وكلية او كليتين قديمتين

ولا يطلب من المعلم في التعليم الابتدائي ان يميز بعض التلامذة اذا رأى فيهم نبوغًا اذ ينظر الى الاولاد كلهم نظراً واحداً ولا تفادي بمصلحة السواد الاعظم من اجل مصلحة طبقة مختارة لان الامة تتألف خاصة من ارباب العقول المتوسطة لامن النوابغ.

المدارس الداخلية غير معروفة في سويسرا وما خلا بعض مدارس المعلمين فالحكومة ليس لها الا مدارس خارجية لان عمل الابوين في تربية الاولاد مما لايقبل المناقشة في سويسرا عَلَى ان الحكومة قد جعلت من حقها مراقبة الابوين الذين يقضى عليهما ان يطعما اولادهما و يلبساهم عَلَى ماينبغي ومن حقها ايضًا ان تقتص من الآباء المتساهلين في العناية باولادهم وتكرههم ان يؤدوا عنهم مايقوم بكفايتهم من الرزق

وكانت العناية بالرياضات قليلة في مدارس سويسرا ويهتم المعلمون اهتمامًا شديداً بذاكرة الولد لانهم ينظرون الى التعليم بانه غاية لاواسطة اما اليوم فقد ادخلوا الالعاب الرياضية والتمارين اليدوية والحمامات المدرسية والاعمال الزراعية وقللوا مدة الدروس. عدلوا بعض قوانين التعليم في سويسرا منذ بضع سنين ناظرين فيها الى ترقية الاخلاق باعتبارها الغاية الرئيسة في التربية ورأوا ان التعليم الديني هو العامل الاعظم في تهذيب

الاخلاق واذ كان من الواجب مراعاة حرية الوجدان عملا بالدستور السويسري رأت بعض الاقاليم ان تجعل التوراة اساس التعليم او تدريس الاخلاق الطبيعية وخصصت ساعات معينة لدرس المعتقدات الدينية · ورأى المصلحون في الايام الاخيرة ان يرفع من التعليم تعلم الدساتير والقواعد والحقائق المجردة التي كان يقضي عَلَى التلميذ استظهارها ويعمد الى ارادة الطفل وبحثه الخاص فقط · وقد جعلت ولاية تسين اول بند من قانونها المدرسي ان الغاية من التربية ان يخرج الطفل انساناً يفكر ويعمل وعليه تبعة مايعمل · تريد بذلك ابعاد الطفل عن درس الاساليب التي تبعد الذهن عن التصور النافع او التي لا غاية لها لان استظهار كمية من الالفاظ لا علاقة بينها وبين الاختبار الشخصي فيقوم مقامها الفاظ تطلب معاونة الولد وتخوله حريته في العمل والتصور · فسويسرا لا تكتفي بان تعلم ابناءها القراءة والكتابة والحساب بل هي تنظر الى التعليم نظراً ابعد تريد تربية الصحة والاخلاق وان تبعد عن المتعلم كل مايضر بخلقه وتهذيبه

وقد كثرت في سويسرا منذ بضع سنين مدارس الزراعة والتجارة والصناعة عَلَى اختلاف ضروبها وأُنشئت مدارس لتدبير المنزل يتعلم فيها البنات ادارة شؤُون البيوت والخياطة والطبخ والكي والغسيل وغير ذلك · وجميع هذه المدارس هي عبءٌ ثقيل عَلَى الحكومة ومع هذا فان الحكومة لم تغفل عن التعليم العالي فلسويسرا سبع كليات عامرة والاجور فيها زهيدة للغاية لان القوم ايقنوا ان الطبقة الراقية في حكومة ديمقراطية يجب ان تكون من اقوى عناصر الامة واكثرها ذكاء وهذه قد تكون فقيرة

والظاهر ان غاية ماترمي اليه التربية في سويسرا سعادة الامة عامة والفرد خاصة وذلك ببذر كل البذور الصالحة وتعهدها بما ينميها والاشراف عَلَى القوى النافعة وكل مافي المرء من الميول الشريفة · وينظر في هذه التربية ايضاً الى اصلاح كل ماسفل وتبدل من اخلاق الطفل والاخذ بيد كل وطني ليكون منه انسان مستقل كثير الثقة بنفسه مسؤُولا عن حقوقه وخصائصه راغباً في القيام بكل واجباته نحو بلاده والناس اجمعين · وكيفما كان الحال في نقص الاساليب المتبعة في سويسرا عَلَى قلة المعلمين فالواجب ان يعترف بانها لم تكتف بالالفاظ اللطيفة في معنى التربية فهي عَلَى ضيق مواردها قد بذلت عن سعة في سبيل تهذيب الشعب وفادت بكل مالديها من المال والقوة لخدمة غرض تراه مرتبطاً كل الارتباط بنجاح الامة وبقائها

درس في الصحة

لايكفي التعقل في تناول الغذاء عَلَى نظام خاص لحفظ الصحة بل الواجب الجري عَلَى قوانينها . فكن يا هذا مغرماً بالنظافة وحب الماء والاغتسال كما تحب اعز الاشياء عليك فمن غسل اطراف جسمه واعتاد الوضوء في الاوقات المعينة ضمن لجلده الرشح المنشط والمرونة النافعة فالماء البارد يشد المسام والحار يمددها والافضل في كثير من الاحوال الاعتماد عَلَى الماء الفاتر فحمامات المياه الباردة تقوي الجسم وتنشطه والحمامات الفاترة تسكن هياج الاعصاب وتزيل التعب والحمامات الشديدة الحرارة تحط البدن وتضعفه .

دع على الدوام نوافذ مسكنك مفتحة ليدخله النور والهواء على ما يجب سواء كان في الصيف او الشتاء ولا تخف الهواء يتخلل منافذ ابوابك فانك اذا قللت من الانفاق عَلَى التدفئة تنجو من امراض كثيرة والغرف التي لايدخلها هواء هي بؤرة امراض دائمة كالزكام وذات الجنب وامراض الحلق والصدر والوفدة النازلة . دع الهواء — كما قال احدهم — يجري الى غرفتك حتى في فصل البرد فانه يحمل في جناحيه غذآء لرئتيك ومطهراً لبيتك .

تعلم جودة التنفس فان الناس يجهلون الا قليلا هذا العلم الواجب تعلمه والعمل به . فبالهواء يتجدد دمنا وتحمل الحياة الى جميع حواسنا وهو الذي يعين وظائفنا الطبيعية والنفسية على البقاء والاعتدال ومن انفع الامور في جودة الصحة ان يطيل المرء تنفسه في ساعات معينة ويتنفس بملء رئتيه وان تكون الثياب واسعة لاتضيق عَلَى الصدر يتنفس بان يعد من الاعداد من الواحد الى الستة ويكون تنفسه من انفه وفمه مغلق وتدوم هذه الرياضة عشر دقائق ومن الغد تمكث ثماني ثوان في تنفسك وثماني في حبس النفس وثماني في اخراج النفس من الرئة وهكذا تطيل كل يوم مدة التنفس وتجعله بنظام وتأن بحيث ينفذ الهواء الى ادنى طيات رئتيك ويملأ دمك بالاوكسيجين مبعث الحياة للراحة والصحة . واحسن رياضة في التنفس ما كانت في الخلاء وانت متمدد عَلَى العشب بالقرب من الاشجار او انت سائر بخطا معينة في طريق يحمل اليه الريح أرج المروج والغابات ومن واظب عَلَى مثل هذه الرياضة زاد نشاطه واستطاع قمع نفسه

اغتنم اوقات فراغك واصرف كل يوم ساعتين من وقتك للسير عَلَى قدميك فالمشي احسن انواع الرياضات يزيل كما يقول الافرنج صدأ الاعضاء وهو وقاء من الهزال

وتصلب البدن وشفاء للجسم به يخف و يزيد مرونته وتنتظم حركاته . اذا فعلت هذا تنجو من السمن والربالة الضارة وتبقى اعصابك حافظة مرونتها ونشاطها الى ايام الشيخوخة

فكما ان المشي ينفع من حيث الطبيعة ينفع ايضاً من حيث الاخلاق لانه يصفي النفس و يطهر الروح و ينظم الفكر و يطرد الابخرة و يأتي على الاحقاد فيطفئها و يوحي الى النفس المطالب الحسنة الشريفة والواجب ان تكون الخطا في المشي كبيرة لاتقل عن نحو ٧٠ سنتيمتراً وان تمس رؤوس الاصابع الارض اكثر من العقب وان يتعاقب اهتزاز الذراعين

والراحة مطلوبة عقيب العمل وخير الراحة ما كان منقطعاً بمعنى ان راحة ربع ساعة بعد ساعة من العمل افضل من راحة ساعة عقيب اربع ساعات في العمل . واذا اقتضى للمرء ان يواصل عمله ساعات فعليه متى فرغ منه ان يعمد لاسباب الراحة كلها كأن يستلقي على كرسي طويل و ينزع ثيابه التي تضغط على صدره ويمدد ساقيه وذراعيه و يبطل حركة اعصابه و يطبق جفنيه و يطرد عنه اهتمام النفس و يجلب اليها من الصور ما يضحكها فيذكرها ببقعة جميلة من الارض و بمتنزه حسن للرياضة فتمر به اللحظات كما يمر الماء المنعش و يغوص الفكر في سحاب سلام كأنه نصف نائم . واياك ان تعزف نفسك عن صرف ثلاثين دقيقة في هذا السكون فانك بها تستعيد قواك وتعوض الآلة العاملة مايلزم لها من الزيت لتعمل عملها .

اذا عرفت ان الاكثار من كل شيء ضار فاياك والاكثار من الراحة ايضاً فاذا كان استعمالها معوضاً للصحة ما فقدته فالاكثار منها يجلب الامراض لامحالة لان قلة الحركة والكسل تغيران الصحة اكثر مما يغيرها التعب . والاكثار من العمل ولا الاقلال منه .

المسافة قريبة بين الراحة والاغفاء فخير النوم ما كان متناسباً مع سن الانسان فقد قالوا ان ابن ٣ الى ٤ سنين يقتضي له من النوم ١٢ ساعة ومن سن الرابعة الى السابعة ١١ ومن السابعة الى السادسة عشرة ١٠ ومن السادسة عشرة الى الحادية والعشرين ٩ و يقتضي للبالغين ثماني ساعات . وقلة النوم داعية الى الامراض لان فقر الدم وتعب الاعصاب والضعف تنشأ على الاغلب من قلة النوم

نم على الاقل بعد ساعتين من الطعام ويجب ان تكون غرفتك مفتحة النوافذ بعض

الشيء اذا كان الفصل غير شتاء وتكتفي بوضع ستارة عليها حتى لا يدخل الهواء مباشرة الى وجهك واضطجع عَلَى الجانب الايمن حتى لا تتأثر حركات القلب وعود نفسك التنفس من انفك لتنجو من يبوسة الحلق والغطيط وتناس ما وقع لك من اعمال النهار وكن كأنك لا تفكر والنوم موافيك من ذاته لا محالة

وعَلَى اصحاب المزاج الدموي ان يستعملوا الوسادة تحت رؤوسهم حتى لا يهجم الدم عليها اما اصحاب الامزجة الضعيفة والذين ابتلوا بفقر الدم فينامون ورؤوسهم واطئة ما امكن

يجب ان يكون الفراش في وسط الغرفة لا في زاوية ضيقة منها وان يكون غير محاط بالستور لئلا يمنع نفوذ الهواء اليه . والنوم عَلَى فراش الريش مضر . وخير الفرش ما كان الفراش الاسفل محشواً بالقش والاعلى بالصوف وفراشان يكفيان للراحة . والواجب اطفاء النور في غرفة النوم لان النور يتعب العيون و يأخذ كمية من الاوكسجين لا تستيقظ في الصباح بعجلة فتقفز من سريرك عَلَى حين فجأة بل دع حواسك تستعيد قواها ورأسك يطرد سحب النوم عن الجفون ولا بأس بان تكسل بضع دقائق ثم تنهض من فراشك لان الهبوب من النوم فجأة والدم محتقن والاعصاب غير مستوفزة يحدث شيئاً من الاضطراب قد لا تكون نافعة

للبرد تأثير كبير في امراضنا فانا في حال الصحة نحمل في احشائنا ورئاتنا ولعابنا جراثيم ذات الرئة والخناق والنزلات فبادنى سبب تهجم عَلَى انسجتنا وتلقي الاضطراب فيها كأن نتعرض لبرد او لمطر طويل او نلبس جوارب رقيقة ترشح ماء ولذلك وجب التوقي من هذه الامور واختيار البسة تدفئ ولا ينفذ منها ماء الى البدن او الاطراف . وان ثوبين خفيفين محكمين يمسكان حرارة الجسم اكثر من ثوب واحد غليظ . واحسن ما يدفئ في البلاد الباردة في صميم صبارة القر تلك الادثرة التي يحشونها بالفرو و يلبسونها في الغرب و بعض بلاد الشرق . والعناية كل العناية بتدفئة الرجلين . واذا خرج المرء من غرفة حارة فعليه ان يمسك منديله و يضعه عَلَى فمه ومنخريه حتى لا يدخل الهواء البارد من الخارج الى الرئة الا ببطء وكذلك الحال في الاماكن الحارة جداً فانها ضارة تحقن الدم كالاماكن الباردة كثيراً والواجب في شهري تموز وآب ان يمتنع المرء عن تناول المثلجات مهما حدثته نفسه بتناولها وان لا يتعرض للشمس وهو حاسر عن رأسه وان يستعمل المظلة كل من كان دموياً

وخير الطرق لاستمتاع المرء بشبابه وان تكون ايام حياته طويلة وكلها ربيعاً ان يطرد عنه الخوف والتألم والغم والاضطرابات عَلَى اختلاف انواعها ويحسن ظنه في المستقبل فلا يستدعي بنفسه الشيخوخة ففناء الجسم موقوف عَلَى عمل المرء نفسه لا عَلَى الايام التي مضت عليه فكم من شيخ حفظ صحته بتعهدها ودفعه عنها كل ما يضر بها وكم من شاب ظن نفسه مقبلا عَلَى ورود حياض الموت لوسواس اصابه وهموم وغموم دعاها تستولي عليها وان علماء الصحة ليقولون ان الحياة قد تطول الى اكثر من مئة سنة اذا لم يطرأ عليه طارئ غير منتظر فعلى من يحب حياته ان لا ينقصها بصنعه بل يعمل لغذائها ومنامها ولباسها وعملها كل ما يجعلها بهجة مفرحة

لغة الولد

نشر احد اساتذة انكلترا في مجلة المدرسة مقالاً في المكانة المعلقة على لغة الأُم فقال ان التلامذة من ابناء التاسعة الى الرابعة عشرة يجب ان يخصصوا عشر ساعات في الاسبوع لدراسة لغتهم الاصلية . فمن الوهم الفاضح ان يذهب بعضهم الى انه من الممكن تعليم الاولاد معنى الانشاء والذوق الادبي اذا لم يكونوا متمكنين كل التمكن من لغتهم . وباطل اعتقاد من يعتقد بغناء اللغات الاجنبية في التربية . بل ان تعلم لغة غريبة قبل احكام المرء لغته الاصلية احكاماً راسخاً وتبريزه في اساليبها ضار لا بلغته وملكتها فقط بل في تربية عقل التلميذ ايضاً

اما الجمهور وعامة الناس فيذهبون الى غير هذا المذهب فقد قال اللورد الفرستون في جريدة التربية يوم افتتاح مدرسة ما طالما قاله غيره وهو ان الواجب عَلَى الابناء ان يتعلموا لغة اجنبية في صباهم حق تعلمها لان ما يتعلمونه منها في سن الحداثة في بضعة اشهر يرسخ في نفوسهم اكثر مما يتعلمونه في سنين متى كبروا . نعم ان الحواس الصوتية هي في الطفل الين منها في غيره ولكن الحبال الصوتية ليست هي كل ما يلزم لتعلم لغة فان من المجرب ان الطفل الذي تعلم اللغة الهندستانية ينساها بعد سنين . قال الكاتب اما نحن فاننا نؤمن عَلَى كلام جريدة التربية ومجلة المدرسة وهو ان تزاد الساعات المخصصة لدرس اللغة الاصلية وان تؤخر ما امكن دراسة اللغات الاجنبية او القديمة ريثما يستتم التلميذ ملكة لغته وان يتجرد التعليم الابتدائي من دراسة اللغات الحية وفي ذلك من الغناء والنفع من كل وجه ما لا ينكر لبيب محله . هذا ما عربناه ويا ليت نظارة المعارف العثمانية تنظر فيه نظر تدبر فان التعلم في مدارسنا بالحالة التي هي عليه

من العقم بحيث امسى عدمه خيراً من وجوده لانها قضت ان لا يعلم التلاميذ حتى في المدارس الابتدائية شيئاً من لغتهم العربية واكتفت بتلقينهم فقط اللغة العثمانية ويا ليتها تحسن تعليمها فيخرج التلامذة بعد الدراسة لم يتعلموا لغتهم ولا لغة حرصت نظارة المعارف عَلَى نشرها كالعقعق اراد ان يمشي كالحجل فنسي ممشاه ولم يمش مثله ·

العمل اليدوي

من الغريب ان البلاد التي قل أُميوها هي التي جعلت اساس التعليم فيها الاعمال اليدوية واعتبرت التهذيب العلمي ثانوياً فقد جرت بلاد الدانيمرك والسويد ونروج عَلَى طريقة تربي فيها ملكة الصناعات قبل الاشتغال بالمعقولات والمنقولات وجعلت غاية المدارس هناك ان تعد ابن الشعب لاكتساب رزقه فهو يجتهد في حرفة له يختارها ليبرع فيها ولا يجبر عَلَى العمل اجباراً بل تجعل له مكافآت مالية يتناولها بحسب تجويده عمله وفي خلال تلك المدة يتعلم الولد ماينبغي له من التربية اللازمة لعامل واذا نبغ من بينهم نابغ ونبه منهم نابه يخرج من بين تلك الصفوف بطبيعة الحال · وقد جربت ايطاليا هذه الطريقة في تعليم الصناعات وتهذيب الاولاد الذين ارتكبوا جرائم فحبسوا واستعاضت عن تلعيبهم باعمال صغيرة سهلة مثل طي المقوى والحبك وعمل السلال مما يعمله المرء في العادة وهو يغني او يتحدث مع غيره فراقت هذه الاعمال الاولاد السجناء خصوصاً وانهم يتقاضون عن اعمالهم اجوراً وان كانت طفيفة لكنها تغرس فيهم ملكة الحذر والاحتياط ولذا قل فيهم من يحيد اثناء هذه الاعمال عما يقضي به النظام وجاء منهم وطنيون نافعون لا حانقون عَلَى الدهر لا يدرون كيف يسيرون

رعب الاولاد

وضع المسيو فاراندونك سؤالين عَلَى تلامذة بعض مدارس بلجيكا وهما : من اي شيء تخاف اكثر وما السبب؟ ومن اي شيء زاد خوفك كثيراً يوم كنت طفلا وعَلَى اي سبب تعلقه ؟ فاتاه الف وخمسمائة جواب نشرها واستخرج منها ما استنتجه في مجلة علم النفس فتبين له ان الصبيان اكثر من البنات خوفاً من الاسد ورجال الشرطة ومن آبائهم وامهاتهم ومن الوحدة والماء والاشباح والمستقبل والبنات يرعبن في الاكثر من الحيوانات ولاسيما من الذئب والدب والجراذين والفيران ويخشين اكثر من الصبيان الآلام الطبيعية والرجال والمركبات عَلَى انواعها والظلمة والرعد والبرق · وان الداعي [illegible] من عدم مماشاته لمحيطه لان ارادته لا دخل لها في هذا الشأن بتاتا

بل ان تخلفه عن السير مع محيطه ناشيء من ضعفه ومعظم الرعب في الاطفال ينشأ لهم من حواليهم وحدث ماشئت ان تحدث عن الرعب الذي يستولي حتى عَلَى الكبار في السن لان الاوهام غرست فيهم منذ الطفولة ٠ قال ومن انواع الخوف ماينفع الجنس الانساني والولد ايضاً وهو الخوف النافع في الاحايين اي ان الجبناء وهم في الاغلب العاقلون قد ينجون بحياتهم في احوال كثيرة ٠

الاوائل

من الموضوعات التي اشتغلت فيها في دار غربتي موضوع الاوائل ٠ فقد بحثت حتى جمعت فيه مجموعة كبرى اخذت معظمها عن اللغة الانكليزية ٠ وهي تشغل اكثر من اربعمائة صفحة من صفحات مجلة المقتبس

وغرضي من جمعها ان اضع في هذا الموضوع كتاباً خاصاً ذهاباً الى ان العربية مفتقرة اليه ولا سيما ان المغاربة قد عنوا به عناية خاصة لمكانته ولا يضر المشارقة ان يحذوا حذوهم

ولقد سرني ماعرفته من ان عيسى افندي اسكندر المعلوف الباحث المعروف قد عني بهذا الموضوع ٠ ولا ريب عندي في انه متى وقف عَلَى عنايتي به ايضاً سيسر لان غرضه وغرضي يرميان الى مساعدة المشتغلين بالكتابة عَلَى جعل العربية غنية بالمباحث التي يفاخرنا بها اهل الغرب

وهذا بعض ماعربته بهذا الباب واضفت اليه بعض الحواشي لزيادة الفائدة

اول بندقية اخترعت سنة ١٦٤٦ واول مدفع سنة ١٨٨٦

اول ملعب للتمثيل بناه الرومان في رومية سنة ٦٩ ق ٠ م

نشر صليبيو اسبانيا لاول مرة في اوروبا ارقام الحساب العربي في القرن التاسع للمسيح

اول رئيس قتل في الولايات المتحدة ابراهيم لنكلن في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٥

اول انسان اكتشف الخليج الفاصل بين كرنيلاند واميركا الشمالية القبطان (بافن)

اول مخترع للمنطاد [1] (غوزماك) اليسوعي في سنة ١٧٢٩ واول من استعمله (مونتفولر) في سنة ١٧٨٢

اول مصرف افتتح في الولايات المتحدة مصرف فيلادلفيا ٠ افتتحه رهط من اكابر

(١) يظن ان المنطاد اخترع قبل ذلك العهد بزمن طويل

البلاد في ١٧ حزيران سنة ١٧٨٠ برأس مال قيمته ٨٣٦٩١٦ دولاراً (١)

اول مخترع للبارومتر (٢) (فورسيلي) اخترعه في سنة ١٦٤٨

اخترعت الحراب لاول مرة في (بايون) (فرنسا) سنة ١٦٧٠

اول طبيب اذاع تقرير جريان الدم في الرئة (ميشل سربفتس) الفرنساوي في سنة ١٥٥٣

اول مخترع لتجليد الكتب ملك (برغامة) ظهر اختراعه في سنة ٨٨٧

اول من استعمل الخميرة في الخبز الانكليز سنة ١٦٥٠

اول قناة في العالم اقيمت في مصر بين نهر النيل والبحر الاحمر

اخترع ورق اللعب في فرنسا واستعمله الملك كارلس السادس للتسلية سنة ١٣٨٠

ادخلت المركبات الى فينا لاول مرة في سنة ١٥١٥ والى لندن في سنة ١٥٨٠

اخترع الشطرنج سنة ٦٠٨ ق · م

سافر الاميركان الى الصين لاول مرة سنة ١٧٨٤

عرف الخزف الصيني لاول مرة في سنة ١٥٩١

اكتشف الكلوروفورم في اميركا وجرمانيا سنة ١٨٣١

اول كلية اقيمت في الولايات المتحدة كلية (هارفرد) المعروفة اليوم بجامعة هارفرد · أُسست سنة ١٦٣٨

زرع القطن لاول مرة في ولاية فرجينيا احدى الولايات المتحدة سنة ١٦٢١ وأُرسل الى البلاد الاجنبية لاول مرة سنة ١٧٤١

اعتبر ميلاد المسيح عيداً لاول مرة في سنة ٩٨

طاف اسطول مجلان لاول مرة حول الارض في سنة ١٥٢١

اخترع العرب الساعات الدقاقة في سنة ٨٠٠ والايطاليان في سنة ١٢٠٠

اكتشف الفحم الحجري لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٢٤

سكت العملة لاول مرة في التاريخ المعروف في الصين سنة ١٢٠٠ ق · م وفي رومية سنة ٥٧٦ ب · م وفي انكلترا سنة ١١٠١ ب · م

---

(١) الدولار الاميركي عبارة عن ٢٩ غرشاً عثمانياً وكسوراً ومعناه ريال

(٢) البارومتر ميزان ثقل الهواء او قوة حفظه

126

أنشئت في باريس سنة ١٢١٥ اولى الكليات من نوعها [1]

ذكر البيع لاول مرة في سفر التكوين عندما بيع يوسف بن يعقوب من المصريين

استعملت ابرة الملاّحين في الصين سنة ٢٦٣٤ ق٠م وفي اوربا سنة ١١٨٠ ب٠م

اول اجتماع عقده مجلس الامة في الولايات المتحدة في فيلادلفيا في ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٧٤

ولدت النصرانية في اسبانيا سنة ٣٦ وفي بريطانيا سنة ٦٠ وقيل في القرن الخامس وفي فرنقونية وفلاندرس في القرن السابع وفي لومبارديا ونيورنفيا وهيس في القرن الثامن وفي اسوج والدنيمارك وبولاندا وروسيا في القرن التاسع وفي هنغاريا وسكلافونيه في القرن العاشر وفي فانداليا وبروسيا في القرن الحادي عشر وفي بومرانية وليتوانيا وقسم من بلاد التتار في القرن الرابع عشر وفي افريقية في القرن الخامس عشر وفي الهند والصين في القرن السادس عشر

صنعت الاواني الخزفية لاول مرة في (فانزا) سنة ١٤٥٠

بوشر لاول مرة بتقطير المشروبات الروحية في القرن الثاني عشر وفي ايرلندا في سنة ١٥٩٠

نشأ من احتكاك كرتين من الكبريت احداهما بالاخرى في سنة ١٤٦٧ اول فكر او رأي او تصور لكيفية استخدام الكهربائية وفي سنة ١٧٤٦ اكتشفت اشعتها في ليدن وفي سنة ١٧٥٦ كيفية ارسالها بالاسلاك

اول رجل فاه في اميركا بعبارة (تحرير العبيد) ابراهيم لنلكي في اول كانون الاول سنة ١٨٦٣

اكتشف فن النقش عَلَى صفائح نحاسية لاول مرة سنة ٥٠٤ ق٠م وعَلَى الخشب سنة ١٤٢٣ في فلاندرس وعَلَى الفولاذ سنة ١٨٣٠

اول مكتشف لفن الطبع عَلَى الحجر (سينفيلدر) الالماني حوالى سنة ١٧٩٦

استعملت المغلفات لاول مرة في سنة ١٨٣٩

اخترع حفر الخطوط سنة ٥١٢

اخترعت اول آلة لاطفاء النار سنة ٦٦٣

(١) اعني الكلية التي لها درجات وفروع خاصة بكل علم

نشرت الراية(١) الاميركية لاول مرة في كمبردج ماستشوستس في اول كانون الثاني سنة ١٧٧٦

استجلب الغاز لاول مرة الى لندن لانارة الحوانيت والشوارع في سنة ١٨١٤ والى بلتيمور الولايات المتحدة سنة ١٨٢١

اخترع مرغتيني التذهيب سنة ١٢٧٣

هجر النور(٢) مصر سنة ١٥١٥

عرف الصينيون لاول مرة صناعة عمل الزجاج(٣) سنة ٢٠٠ ق٠م والرومان سنة ٧٩ق٠م وفي سنة ١١٨٠ اخذ الانكليز يستعملونه للنوافذ والشبابيك وفي سنة ١٧٥٧ للقناني والاوعية ٠ وذلك بعد ان ادخل (بندكت) هذه الصناعة الى انكلترا سنة ٦٧٤ب٠م

صنعت اول مرآة في (لامبث) سنة ١٦٧٣ او في (لانكستير) سنة ١٧٧٣

اخترعت المطحنة(٤) في ايرلندا سنة ٢١٤

يرد اختراع البارود الى الصينيين وانتشار معرفة اختراعهم في الغرب الى سنة ١٣٢٤

أعدت المركبات للاجرة لاول مرة في لندن سنة ١٦٢٥

بوشر استعمال مسحوق الشعر لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠ وفي سنة ١٧٩٥ ضربت الحكومة الانكليزية على كل من يستعمله ضريبة سنوية قدرها ليرة انكليزية قديمة(٥)

اول معمل للمناديل (المحارم) انشئ في بيسلي في اسكوتلندا سنة ١٧٤٨

---

(١) ناشر تلك الراية جورج واشنطن اول رئيس للولايات المتحدة وقد وافق على نشرها مجلس الامة رسمياً في ١٤ حزيران سنة ١٧٧٧

(٢) النور ويسمونهم ايضاً النَّوَر نزحوا عن بلاد الفراعنة ايام زحف الاتراك بقضهم وقضيضهم على تلك الديار وتشتتوا في جميع اصقاع اوروبا

(٣) المصريون اسبق الامم لهذه الصناعة فقد عرفوها سنة ١٧٤٠ ق٠م

(٤) يراد بها الجاروشة التي يرد تاريخ استعمالها في الشرق الى اكثر من عشرين قرناً قبل المسيح

(٥) قيمة الليرة الانكليزية القديمة ٢١ شليناً وكانت من عملة بلاد غينيا

اخترعت القبعات (البرانيط) في باريس سنة ١٤٠٤ واستعملت في لندن لاول مرة سنة ١٥١٠

انشئ علم النسب حوالى سنة ١١٠٠

اخترعت الساعة الرملية في اسكندرية سنة ٢٠٤ ق٠م وادخلت الى رومية سنة ١٥٨ ق٠م

استخرج العظلم [١] في كرولينا الولايات المتحدة سنة ١٧٤٧

جرب التطعيم او التلقيح في الجرمين لاول مرة سنة ١٧٤١

بوشر في انكلترا بضمان السفائن سنة ١٥٦٠

اكتشف الحديد سنة ١٤٠٦ ق٠م بواسطة احتراق جبل (ايدا) وصب في انكلترا لاول مرة سنة ١٥٤٤ واكتشف في فرجينا اميركا سنة ١٧١٥

بنيت البواخر الحديدية لاول مرة في سنة ١٨٣٠

اكتشف (جنسن) لاول مرة سيارة صغيرة للمشتري سنة ١٥٩٠

استعمل زيت الكاز للتنوير لاول مرة سنة ١٨٢٦

بوشر بتقبيل رجلي البابا لاول مرة سنة ٧٠٩

اخترعت جوارب الحبك او شغل السنارة في اسبانيا نحو عام ١٥٥٠

صنعت السكاكين او المدي لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٥٠

أقيمت المدارس في جميع المدن الرئيسة في انكلترا لاول مرة سنة ١٨١٠

نسج الشاش وخيوط الحرير والكتان لاول مرة في بيسلي سنة ١٧٨٤

يرد اول دور من ادوار القرميد الى الرومان [٢] وفي سنة ١٦٢٥ امر كارلس الاول بتقطيعه بقوالب

اعترف لاول مرة بطائفة (الكوكر) [٣] المعروفة بالفرندس اي الاصدقاء في سنة ١٧٠٢

---

(١) العظلم (بالعين) النيل أو النيلة

(٢) طالعت مقالة منذ بضع سنوات لاحد علماء الآثار في اميركا ذكر فيها ما شاهده من خرائب بابل ونينوى وعزا القرميد الى البابليين

(٣) (الكوكر) فرقة من فرق النصرانية

اخترع ميمون المصري حروف الهجاء [1] في عام ١٨٢٢ ق٠م

علق جرس الحرية المشهور في اميركا لاول مرة سنة ١٧٧٦ في ساحة دار الاستقلال في مدينة فيلادلفيا

نسج الكتان لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٥٣

يرد تاريخ اكتشاف المرايا الى سنة ١٣٠٠

اخترع القسيس كينف في انكلترا انوال الحياكة سنة ١٧٨٧

ذكر المؤرخون لاول مرة استعمال القرعة بمبلغ من الدراهم سنة ١٦٣٠

اخترع روجر باكون النظارة المكبرة في انكلترا سنة ١٢٦٠

اكتشف (ماموث) [2] في سيبريا سنة ١٨٠٦

اخترع انكسيمندار الخرائط والكرات سنة ٦٠٠ ق٠م

يرد اختراع الورق المعروف بالرخامي الى احد الجرمانيين في القرن السابع عشر

استعمل الكبريت لاول مرة سنة ١٨٢٩

اخترع المكرسكوب [3] لاول مرة في جرمانيا سنة ١٦٢١

أسس اول دير في العالم حيث اعتزلت الراهبة انطوني [4] سنة ٢٧٠ واول دير في فرنسا اسسه القديس مارتن سنة ٣٦٠

اخترع الابر احد الهنود في انكلترا سنة ١٥٩٨

«١» عزي ايضاً هذا الاختراع الى الفينيقيين

(٢) هو حيوان ضخم جداً يقال انه اضخم حيوان عرف عَلَى وجه البسيطة

(٣) المكرسكوب هو المجهر وقد اخترع المزدوج منه سنة ١٦٢٤ والشمسي سنة ١٧٤٠

(٤) بعث قسطنطين الرابع الى عدد كبير من رهبان افسس وراهباتها يأمرهم بابدال ملابسهم السوداء بملابس بيضاء ونبذ عاداتهم وتصوراتهم وطقوسهم الدينية الا انهم رفضوا امره رفضاً ولذلك امر بسمل عيونهم ونفيهم وطردهم وقد باع عدة اديار من اديارهم وقبض ثمنهـا وانفقها في جملة ماانفقه عَلَى شهواته وملذاته وعجرفته وكبريائه٠

ولم يقتصر اضطهاد اولئك المساكين المنصرفين الى عبادة خالقهم على ذلك فقط بل ان مجلس الحكومة والامة اصدر قراره يومئذ بقهرهم واذلالهم وطردهم

اخترعت علامات الموسيقى سنة ١٠٧ ونقحت سنة ١٣٣٠ وطبعت سنة ١٥٠٢

أسس جوزف سمث الديانة المورمنية [1] في سنة ١٨٣٠!

اول نسخة جريدة طبعت في الغرب سنة ١٤٩٤ . واول جريدة يومية ظهرت سنة ١٦١٥ اسمها فرنكفورت واول جريدة انكليزية صدرت سنة ١٦٢٢ دعيت اخبار الاسبوع واول اعلان ظهر في سنة ١٦٤٨ واول جريدة اميركية طبعت في بوسطن (ماس) سنة ١٦٩٠ اسمها (حوادث الجمهور) واول جريدة يومية في الولايات المتحدة أنشئت في بنسلفانيا سنة ١٧٨٤ اسمها (بنسلفانيا باكت) واول جريدة سيارة في اميركا أنشئت في ١٥ ايار سنة ١٧٧٥

اخترع الارغن سنة ٧٥٥

أسست جامعة اكسفورد في انكلترا سنة ٨٨٦ وهي الاولى من نوعها

يرد عهد الدهن الى زمن نينوس حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م

صنعت الاوراق المالية لاول مرة في اميركا سنة ١٧٤٠

صنع الورق من الخرق في مصر سنة ١٠٨٥ وفي الصين من الحرير سنة ١٢٠ ق.م

اخترع الرق [2] اطاليوس ملك برغامة سنة ٨٨٧

سنت شريعة حصر الامتياز لاول مرة في الولايات المتحدة في ١٥ نيسان سنة ١٧٩٠

ادخلت صناعة الترصيف الى باريس لاول مرة سنة ١١٨٥

اخترع فن ترصيع اللؤلوء سنة ١٦٨٦

استعمل (الريش) اقلاماً للكتابة لاول مرة سنة ٦٣٥

أسس فيلادلفيا [3] وليم بن سنة ١٦٨٢

---

(١) المورمن شيعة من شيع النصرانية مقيمة في يوتا احدى الولايات المتحدة ولهم هيكل يعد افخم واضخم ما شيد من نوعه في هذه البلاد . وهم يعتقدون بتعدد الزوجات حتى ان الكثيرين منهم تزوجوا بأكثر من عشر زوجات . وقد قام وقعد لهذا الاعتقاد ولاسيما للعمل به الشعب الاميركي الراقي واخطر مجالس الامة الى سن شريعة تحظر عملهم بذلك الاعتقاد . ولهذا السبب ترى حكومة الولايات المتحدة تمنع دخول كل مهاجر قائل وعامل بتعدد الزوجات الى بلادها

(٢) الرق نوع من الجلد استعمله القدماء للتدوين

(٣) فيلادلفيا ثالث مدينة في الولايات المتحدة بعدد السكان وثامن مدينة في العالم

اختُرع الفونغراف (١) توماس اديسن سنة ١٨٧٧

صنع الفوسفور لاول مرة سنة ١٦٧٧

بوشر بفن التصوير لاول مرة في انكلترا سنة ١٨٠٢ وأُتقن في سنة ١٨٤١

اخترعت الأخلة (٢) لاول مرة في فرنسا وقد استجلبتها كاترينا هاورد (٣) واستعملتها لاول مرة في انكلترا وقد صنعت في المصانع الاميركية لاول مرة سنة ١٨٣٢

صبت الغلايين المصفحة بالرصاص لاول مرة سنة ١٥٣٩

استعملت الطبنجات او الفرود لاول مرة فرقة من الفرسان سنة ١٥٤٤

صنع القير او الزفت والقطران من مقلع فحم لاول مرة في (برستول) سنة ١٧٧٩

اخترع الدمام (٤) في باريس سنة ١٤٧٠

رقيت صناعة الخزف السكسوني (٥) لاول مرة ١٧٦٧

بنيت كوات المدافع في البوارج الحربية لاول مرة سنة ١٥٤٥

أُسس اول بريد (٦) بين فينا وبروسيلس في سنة ١٥١٦

اصلح (ودغود) صناعة الفخار اصلاحاً عظيماً لاول مرة سنة ١٧٦٣

منح اكبر انجال العترة المالكة في انكلترا لقب أميروالس لاول مرة سنة ١٢٨٦

---

(١) سماه فقيد اللغة العربية الشيخ ابرهيم اليازجي (الحاكي) ودعاه صاحب الهدى (الندي)

(٢) الأخلة تجمع على خلال ويسمونه ايضاً دسار ومعناه (دبوس ابرة) وقد كان الفرنسيس والانكليز قبل اختراع الاخلة يستعملون الأشرطة والشرج (البريم او الخرج) والكلاليب (الشريط المعدني المعقف) والسفافيد الصغيرة المصوغة من الذهب والفضة والنحاس

(٣) كاترينا هاورد هي الملكة زوجة الملك هنري الثامن الذي تولى العرش الانكليزي في ٢٢ نيسان سنة ١٥٠٩ وهو الملك الحادي والعشرون من ملوك الانكليز اولهم الملك وليم الاول ابتدأ ملكه في ١٤ تشرين الاول سنة ١٠٦٦

(٤) الجفص

(٥) السكسوني هو الانكليزي

(٦) بوشر بتأسيس البرد بالطراد بين لندن وسائر بلدان انكلترا في سنة ١٦٣٥ وفي سنة ١٨٤٠ بوشر باستعمال طوابع البريد فيها وفي سنة ١٨٤٦ في الولايات المتحدة

اخترعت الطباعة [1] سنة ١٤٤١

ابتدأ الاصلاح الديني في جرمانيا سنة ١٥١٧ وفي انكلترا سنة ١٥٣٢

يرجع تاريخ اختراع انوال الشرائط الحريرية الى [2] القرن السابع عشر في جرمانيا

صنعت ملابس الملاحين لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠

افتتحت المدارس العمومية في الولايات المتحدة لاول مرة حوالي سنة ١٦٤٢

سار اول قطار حديدي [3] للركاب في انكلترا في ٢٧ تشرين الاول ١٨٢٥

---

(١) يرد فن الطباعة الى زمان الاشوريين والبابليين ايام كانوا يطبعون كتاباتهم على الواح صغيرة من الطفال اي الصلصال . اما الطباعة الحديثة فقد عزي اختراعها الى رجل يدعى فوست Faust في سنة ١٤٤١ ونسب ايضاً الى آخر يقال له كاستر L. Kaster وانه اخترعها سنة ١٤٢٣ اي قبل ان اخترعها Faust بثمانية عشر عاماً وقد اذاع فن الطباعة رجل اسمه غوتنبرغ Cutenberg في عام ١٤٥٤

وقد طبع Faust السابق الذكر وانسان آخر يدعى شوفر Schooffer اول توراة في سنة ١٤٥٦ واول كتاب باللغة اللاتينية اسمه Psolter سنة ١٤٧٧

وفي سنة ١٤٧٧ ادخل الى انكلترا احد التجار في لندن الطابعة الخشبية . واول مطبعة انكليزية أنشئت في وستمنترابي وبقيت حتى سنة ١٤٩٤

وفي سنة ١٥٣٥ طبع Guan Hablos المكسيكي كتاب Exala Espiritual وهو اول كتاب طبع في اميركا في سنة ١٥٣٥ وفي سنة ١٦٣٩ أنشئت اول مطبعة في كمبردج الولايات المتحدة وفي سنة ١٦٢٦ ادخلت اليها الطباعة بالالوان

(٢) عزي ايضاً هذا الاختراع الى اسوج

(٣) سار اول قطار للركاب في بلتيمور واوهايو الولايات المتحدة في ١٨٢٨ واول قطار للشحن في كونس (ماس) في ١٨٢٦ واول قطار بخاري قطع ١٦ ميلاً من البني الى سكنيلتادي في ١٨٣٠ واول قطار للنوم في ١٨٣٠

وفي ١٦٦٢ اخترع المرجل وفي ١٧٠٥ منح الامتياز بآله نيوكمن البخارية وفي ١٧٧٣ اتقنها جمس وط الانكليزي وفي ١٧٧٩ اخترع اوليفر ايفنز الاميركي آلة الضغط وفي

اخترع دولاب الغزل في برنسوك سنة ١٥٣٠

اخترعت النظارة « العوينات » سنة ١٢٩٩

اصلحت الانصاب في الولايات المتحدة لاول مرة سنة ١٨٧٣

اخترع احد الفلمنكيين [1] آلة اللف في لندن سنة ١٧٩٢

قيل ان استعمال البرادع [2] المعروفة اليوم يرجع الى سنة ٣٨٥

اول استعمال تمليح الفسيخ [3] يرد الى الهولانديين وقيل ان اول مخترع للمنشار هو تاليوس الكاتب اليوناني [4] صنع ملح البارود لاول مرة في انكلترا سنة ١٦٢٥

ادخل الهودج [5] الى انكلترا سنة ١٨٣٤

١٧٠٧ اخترعت انبوبة البخار في فرنسا ثم زاد باتقانها وما يتبعها من الآلات جانوثان هيولس الانكليزي في ١٧٣٦ ثم وليم هنري الاميركي في ١٧٦٣ ثم جمس ريومزي الاميركي في ١٧٨٦ ثم جان فيتش الاميركي في السنة نفسها

وقد كلفت السكك الحديدية في الولايات المتحدة تسعة آلاف مليون دولار « ٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠ » وكلف قطار الدرجة الاولى للركاب ٨٥٠٠ دولار وقطار النوم ١٥٠٠٠ دولار وبلغ معدل نفقات الخطوط الحديدية على مسافة ميل ٣٠٠٠٠ دولار ومعدل ربح كل مركبة يومياً مئة دولار وثقل كل عجلة ٥٠ طناً اي ٢٠٠ قنطار وقوتها تجر ٢٤٠٠ طن ويبلغ اطول خط حديدي في الولايات المتحدة ٨٠٠٠ ميل والخط الكندي الباسيفيكي هو اكثر امتداداً من سواه شرقاً وغرباً فهو ممتد من كوبك الى الاوقيانس الباسيفيكي واعلى قطر الولايات المتحدة قطار دنفر وريوكراند ونسبة قطر اوروبا الى قطر اميركا هي كنسبة قطر سورية الى قطر اوربا فقطر اميركا ارقى قطر العالم بلا مدافع اليوم

(١) الفلمنكيون هم الهولانديون

(٢) البرادع تجمع على بردعة ومعناها جلال او رحل او سرج

(٣) الفسيخ سمك يعرف بالرنك

(٤) عزي ايضاً هذا الاختراع الى دودليوس اليوناني بيد ان الاظهر ان مخترعها هو تاليوس . قيل انه اخترعها بعد ان نشر قطعة حطب بفك حية

(٥) الهودج من مصنوعات العرب

أُعطيت البراءة(١) باستعمال آلة الخياطة لاول مرة في انكلترا سنة ١٧٥٥ واتقن هذه الآلة ايلياس هاوي الاميركي في سنة ١٨٤٦ وآلة الخياطة هي المعروفة عند العامة « بالمكنة »

اخترع تيخوبراهي سدس الدائرة (٢) في اغسبورغ في سنة ١٥٥٠

صنع الصابون (٣) فى لندن لاول مرة سنة ١٥٢٤

ذكر السكر (٤) لاول مرة الطبيب بولس اغينتا سنة ٦٢٥

استعمل الفرار (٥) لاول مرة سنة ١٥٤٠

اخترع كرخر اليسوعي البوق في سنة ١٦٥٢

اخترع احرف الطباعة الحديثة وليم غد الصائغ في ادينبرغ في ١٧٣٥

أسس المدارس الاحدية لاول مرة روبرت ريكس الانكليزي في انكلترا في ١٧٨١

اخترعت الساعات الشمسية في ٥٥٨ ق·م وفي رومية في ٣٠٨ ق·م

اخترعت الدباغة في ١٧٩٥

ادخل الشاي الى اوربا لاول مرة في ١٦١٠ جلبه الهولانديون من الهند والهنود من الصين

استعمل الفرنساويون آلات البرق (٦) لاول مرة في ١٧٩٤ والانكليزيون في ١٧٩٦

اول « تلغراف » سلك كهربائي امتحن بين مدينة باديفتن ودراتون انكلترا في ١٨٣٥ (٧)

«١» الامتياز

«٢» سدس الدائرة مزولة او آلة يتخذها الربان لرصد النجوم

(٣) قيل ان مخترع هذه الصناعة (غابولس)

«٤» مصدر السكر الصين · استخرج في صقلية عام ١١٤٨ وفي مديريا عام ١٤١٩ وفي جزائر كناري عام ١٥٠٣ وفي غربي الهند سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٦٤١ محص في باربادوس الهند واستجلب منها الى انكلترا سنة ١٥٦٩ و في سنة ١٧٥١ زرع قصب السكر في اميركا في نيواورلنز و بنيت فيها اول مطحنة للسكر سنة ١٨٥٨

«٥» يقال له ايضاً راؤوف وزئبق وهي مادة تلصق عَلَى اقفية الواح زجاجات المرايا حتى تنعكس الصور بواسطتها

«٦» اخترعت آلات السلك البرقي « التلغراف » في ١٦٨٧

«٧» في السنة نفسها اخترع تلغراف مورس

اول تلغراف فحص في اميركا بين بلتيمور والعاصمة واشنطن في ١٨٤٤ واول رسالة برقية ارسلت في هذه البلاد في ١٨٥١ من دوفر الى كالي واول رسالة برقية قطعت المحيط الاتلانتيكي في ١٨٥٨

عرض «الحاكي» التلفون المدعو جرس كبراهام لاول مرة في معرض سينتسنيال فيلادلفيا في ١٨٧٥

اخترع اسحق نيوتن الفيلسوف المرقب في ١٦٩٢

صنعت الخيطان لاول مرة في معمل بيسلي اسكوتلاندا في ١٧٢٢

اخترع الثرمومتر[١] دربيل الهولاندي في ١٦٢٠ وزاد بتحسينه ريومر في ١٧٣٠ وفارنهيت في ١٧٤٩

اخترع الدكتور هيلس المهواة[٢] سنة ١٧٤٠

اخترعت الكمنجة حوالى ١٤٧٧ وادخلها الى انكلترا الملك كارلس الثاني

يرد اول دور من ادوار استعمال اوراق الحيطان[٣] الى اسبانيا وهولاندا ١٥٥٥ اما الاوراق المخملية فقد استعملت اولا في ١٦٢٠

استجلب الدخان[٤] لاول مرة الى انكلترا من فرجينيا الولايات المتحدة في ١٥٨٣

اخترعت الساعات الحديثة في ١٤٧٧ في جرمانيا وادخلت لاول مرة الى انكلترا في ١٥٧٧

قيل ان اختراع مطحنة الماء يرد الى عهد محاصرة الغوطيين لرومية في ٥٥٥ وان مخترعها الاول هو رجل اسمه بلسار يوس

ذكر الدوارة[٥] لاول مرة فيغريوفيوس اليوناني وانها نصبت على رأس برج اثينا الذي بناه فيرشس

اول جاب[٦] للاموال رجل دعي صولون عاش سنة ٥٤٠ ق٠م

يوسف زخم

«١» الثرمومتر ميزان الحرارة «٢» المهواة آلة لتجديد الهواء «٣» اوراق الحيطان يستعملها الاميركيون لتزيين جدران منازلهم وابنيتهم بدلاً من التكليس «٤» مصدر الدخان كوبا «٥» الدوارة هي من نوع الدواليب المستعملة لآلة الآبار الارتوازية «٦» جباية الاموال اقدم من عهد صولون اليوناني فقد كانت الاموال تجبى في

حدائق الاطفال ومدارسهم

كتبت احدى المعلمات الفرنسويات مقالة في احسن الطرق لتربية الاولاد قالت فيها ان البداءة بتعليم الطفل تكون عَلَى الغالب بتعليمه مبادئ القراءة خاصة والظاهر ان القراءة هي الواسطة الوحيدة لتنبيه جميع حواسه على حين فجأة . وقد شغل هذا الموضوع بال كثير من ارباب العقول وقام في سويسرا منذ نحو مئة سنة اثنان من رجال التربية الثقات احدهما بستالوزي في مدينة زوريخ والآخر الاب جيرارد في مدينة فريبورغ ووضعا موضع العمل طريقة جديدة من شأنها ان تزكي عقل الطفل عَلَى أيسر وجه منذ ادراكه قال فنيلون الاخلاقي الفرنسوي ان ذكاء الطفل كلهيب شمعة يحركها الريح وهي ابداً في اهتزاز فالغاية اذاً من التربية هو ان يمد ذاك اللهيب بالمادة اللازمة بان يدفع هبة خفيفة لتساعده عَلَى الانبعاث عَلَى خطة مستقيمة عالية متوخين ان لا نطفئها بحركة سريعة منا بل الواجب كما قال بستالوزي ان نحسن تسليك الطفل ونعفيه من النظر المبهم الى المدارك الصريحة واذ كانت بالحواس تحدث التأثرات اقتضى ان نقرب بين الطفل وبين الامور التي يقتضي عليه دراستها فيعلم معنى الالفاظ التي يتكلم بها على مايجب ويضاف الى تعليم عقله تعليم عملي باليد وتعليمه هذا التعليم بين السادسة والعاشرة وقال غيره يجب ان يعني بالطفل لتنبيه احساسه منذ اول ادراكه لان الولد ليس هو في الحقيقة الا رجلا ولكنه صغير . وقال آخر ان الولد اب الرجل وافضل الطرق في تعليمه كما قال فريبل ان يقرب من الطبيعة فيدرك رحمة الله ويتعلم قدرته وصنعه في الوجود ويحترم كل ما له حياة وذلك بان يعلم تربية بعض النباتات والنظر الى ماحوله فيعلم نفسه بنفسه كأن يعطى الولد كرات ومكعبات وعصياً واشكالاً ورسوماً واشياء يثنيها ويفتلها ولاسيما ما كان منها طبيعياً يعطى منها بحسب المواسم فيتناول زهراً في الربيع مثلاً وتفاحة في الخريف او الشتاء او غير ذلك مما تنبت الارض في المواسم

بابل ونينوى قبل عهد صولون بمدة قرون واذ من الطبيعي ان الاموال لم تجب آنئذ بدون اناس يجبونها فكثير من الجباة قد سبقوا صولون بهذه الوظيفة التي كان اصحابها ولا يزالون عَلَى الغالب سائرين على طرق الظالمين والمستبدين في الشرق

الاربعة فاذا كان تفاحاً يستصحب الولد الى السوق وتبتاع ويشرح له كيف نمت وكبرت وتوصف له الاشجار وجذوعها والاوراق والارض ثم ترسم له تلك التفاحات وتقطع وتنقى ويجعل له منها مربى او تشوى له في الفرن ثم يذكر كيف يصنع العصير ويصفون له المركبة والحصان والسوط وغير هذا كل ذلك يرسم له عَلَى اللوح والولد يقلده ويشفع ذلك باغان واشعار متعلقة بالموضوع وتتوسع المربية في شرح ذلك للطفل بدون ان تحيد عن الغاية الاصلية المطلوبة وبذلك يعمل عقل الطفل ويقلد في عمله فيجمع الى التربية العلمية والادبية التربية العملية لمعاناة الفنون والصناعات .

وقد انتشرت طريقة فريبل في التربية علي هذا النحو في سويسرا والمانيا والبلجيك وهولاندة والسويد وانكلترا وفرنسا واميركا ودخلت خصوصاً في دور اللقطاء والبائسين وأنشئت في باريز مدرسة عَلَى هذا النمط انشأتها آنسة متعلمة واخذت تربي الاطفال هذه التربية المعقولة جاعلة مع حدائق الاولاد دروساً تلقى عليهم بالعمل في حفظ الصحة وعلم النفس والكيمياء والنبات وتدبير المنزل فجعلت محيط تلك المدرسة متناسباً مع مايراه الطفل في بيت ابيه ليس فيه مافي صنوف المدارس من المناظر المدهشة مثل القماطر السود والمقاعد العالية بل فيها صور ونقوش وازهار وطيور واثاثها مناضد وكراسي صغيرة تناسب طول الطفل ومن الاولاد من يبقى طول النهار في المدرسة فيتيسر لادارتها ان تعلمه اموراً كثيرة في تدبير المنزل وتغرس فيه اصول النظام والنظافة وذلك بان تتركه مثلا يعمل طعامه بنفسه حتى اذا رجع في المساء الى بيته وعمره في الخامسة عَلَى الغالب يلاحظ عَلَى والدته ان لا تطرح قشر البطاطا او قشر البيض بل ان تحفظها لتنظيف القناني والزجاجات وآخر يطلب الى والده ان يضع كل يوم بيومه اجرة المدرسة عَلَى حدة حتى تتجمع في آخر الاسبوع مخافة ان يجيء يوم الدفع ولا يكون في البيت درهم لاداء قسط المدرسة وهكذا يتعلم الطفل تدبير البيت والاقتصاد المنزلي منذ يعي على نفسه ويغرسون فيه فكر الاحسان والعدل وحسن العشرة والالفة حتى لا يستوحش من الناس كما هي عادة الاطفال وهي عادة ضارة شائعة ويعلم قدر الصناعات وفكر الأسرة فتتنبه فيه عزة النفس فلا يقول لشيء لااستطيع عمله ومنذ السنة الخامسة يرفض ان يلبسه ثيابه احد او يسرح شعره ويمشطه ويهندمه احد فيكون مسؤولا عن عمله وتنمو فيه قوة الارادة والشعور بالنظر كما ينمو فيه الاحساس الديني والكمالي والاحترام والحشمة وبالجملة ترتقي فيه التربية قبل ان يهتم بالتعليم

132

فاذا خرج الطفل من هذه المدرسة ويدخلها وهو بعد الثانية من سنه في الغالب ويخرج منها بعد السابعة يحسن ان ينظم اموره لانه تعلم منذ نعومة اظفاره الطاعة والنصيحة فلا يصعب عليه متى دخل المدرسة ان يتلقى بقبول حسن مايلقيه عليه معلمه او يفزع اذا جاء من بيته الى المدرسة الابتدائية مباشرة بل يكون بحسب سنه قد الف البحث والتفكر والنظر والتأمل في الاشياء ويجمع معلوماته ويصل بينها برباط واحد وربما كانت بهذه الطريقة افكاره قليلة ولكنها الى الجلاء والوضوح اميل وفيها تسلسل معقول

ويحسن الولد التفكر وحصر ذهنه وهو ماينفعه عند ما يجيء دور تعليمه القراءة فلا يستصعبها ويمل منها بل تكون له ميسورة سهلة سريعة ويحصر الذهن في موضوع يتعلم الولد الاهتمام بالاشياء المحيطة به او التي تمسه مباشرة فهو يعرف الوجود ويحبه ويقدر نعمه قدرها ويذكر صانعها وتكون قد تنبهت حواسه وترقت وكذلك رغبته في النظر والمعرفة وبهذه الطريقة تقوى ارادته وتمهر يده وبما يتعلمه من الهندسة الابتدائية العملية يقدر بذهنه الابعاد والخطوط ويسهل عليه النسب وبالرسم يتعلم نقل الصور المستعملة في البيت ويدرك بنفسه انه لايستطيع ان ينقلها كما هي ويبحث عن طريقة توصله الى نقلها كما هي ويتعلم ملاحظة الاشكال وتقليدها وبذلك تتربى عينه ويده في آن واحد . ولا تسل عما تحدث هذه الطريقة عندما يجيء وقت الكتابة اذ تكون يده اعتادت رسم الاشكال وما الحروف الا اشكال ولكنها لاتنطق كالرسوم وعينه تساعد يده وكم ولد يرسم الحروف والكلمات التي يراها وهو يتعلم على هذه الطريقة بدون ان يفهم معناها . وتعلم الكتابة لايتعب به عقله ولا جسمه بل يتعلمه كأنه يلعب ويرسم . قالت الكاتبة فمدرسة حديقة الاطفال هي مدرسة التربية وعليها يصدق هذا التعريف: التربية هواء وقانون وحياة .

قرطاجنة والعرب

بعث المسيو برتولون من المشتغلين بعلم تاريخ الانسان Anthropologie الى المجمع العلمي القرطاجني في تونس ببحث بين فيه الفروق بين جماجم القرطاجنيين منذ ٢٤٠٠ سنة وجماجم التونسيين المعاصرين جاء فيه ان علماء الانسان يتوصلون الى درس الاخلاق الرئيسة لمعرفة مميزات عنصر من العناصر بالنظر اولاً الى قامات اهله فمن اجناس الامم من يغلب عليها طول القامات مثل الايكوسيين والسويديين ومنهم من يكونون قصارها مثل اللابونيين والسارديين والصقليين ثم ينظر الى الوان البشرة والعيون والشعور وحجم الجماجم

والانف والعيون والوجه فيقدرون المقياس الاعلى بمئة ومن بلغ طول رأسه من ٧٠ الى ٨٦ كان معدوداً في طوال الوجوه ثم يقاس الطول مع العرض وتجري النسبة بينهما وقد قاس في تونس مئة جمجمة قديمة جداً يظن انها من جماجم القرطاجنيين من القرن الرابع قبل الميلاد و ٢٣ جمجمة حديثة من جماجم التونسيين فاستبان ان نساء القدماء يشبهن بتقاطيعهن نساء المحدثين الا قليلاً وان الاختلاف محسوس بين رجال اليوم ورجال امس وان العقول كانت واحدة في القرطاجنيين والتونسيين وكان كثيرون من القرطاجنيين طوال القامات ومميزاتهم كمميزات قبائل الغرب العظمى المعروفة في التاريخ باسم النوميديين وثبت له ان سكان ضواحي تونس يشبهون اولئك القدماء في قاماتهم وان سكان قرطاجنة وتونس ظلوا متشابهين منذ القديم الى يومنا هذا على ما طرأ عليهم من الطوارىء السياسية وبعيد ان يكون قدماء القرطاجنيين من فينيقية لان الفينيقيين عرفوا بضيق جبهاتهم وكانت اواسط رؤوسهم منبسطة واستدل من حفريات مدافن صيدا ومن قياس هيكل عظام الملك تابنيت بن اشمونازار الذي وجد في احدى النواويس الصيداوية أن القرطاجنيين لم يشبهوا الفينيقيين بجنسهم وان القرطاجنيين اختلطوا باهل عنصر طويلة رؤوسهم وكذلك الحال في عيون الصيداويين انها كانت اكثر استدارة من عيون القرطاجنيين وانوف الفينيقيين اصغر من انوف القرطاجنيين وبذلك ظهر ان سكان قرطاجنة (المستعمرة الفينيقية) في القرن الرابع لم يكونوا من عنصر يشبه العنصر الفينيقي وان سكان قرطاجنة من اصل العنصر الذي انشأ المدنية في بحرايجيه (الارخبيل) اي اجداد المدنية اليونانية كما استدل الباحثون في اصول مدنية شواطىء البحر الابيض ان هؤلاء الافريقيين القرطاجنيين قد نني فيهم الطوارىء من الفينيقيين الذين حلوا ديارهم فكان اهل قرطاجنة فينيقيين ثم رومانيين ثم عرباً قال: وعلى فرنسا ان تنظر الى ماتم في هذا السبيل من صبغة التونسيين لتعيدهم الى صبغتها لان حكم العرب قد اتاهم بقانون سنه رعاة لرعيان فصعب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجني ولذا انحط اي انحطاط عما كان عليه زمن الفتح الروماني . قال وان مبادىء التنظيم الذي بقيت آثاره الى اليوم في تونس مثل البلديات والصناعات وصناعة الخزف والبناء والهندسة ليست من اختراع العرب كما يقال بل هي بقايا من المدنية القديمة السابقة للاسلام فسدت على عهد الفاتحين واعمالهم العقيمة . قلنا وبمثل هذا المتعصب الفرنسوي ممن يمدون اقلامهم بالسم الزعاف ليكتبوا عن العرب جهلاً منهم او تجاهلاً مابرح استعمار فرنسا متأخراً عن غيره من الامم وسيتراجع عمرانها كلما قويت شأفة الماحكين والسفسطائيين من ابنائها

المقتبس

البرجان

Les Borgans ou Varègues

من هم البرجان الذين كثر ذكرهم في كتب العرب التاريخية القديمة وما اسمهم باللغة الفرنجية ؟ هذا سؤال يجب ان يقف عَلَى جوابه كل من يهمه الاطلاع على اخبار الاقدمين والامم السالفة . فأقول : اذا اردنا الوضوح في هذه المسألة يجدر بنا ان نقسم البحث الى ثلاثة اقسام وهي : قسم نذكر فيه كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم . وقسم نذكر فيه آراء لغويي العرب وقسم نأتي فيه عَلَى ما صرح به علماء الافرنج ومستشرقوهم ثم نختم هذه الابواب الثلاثة بخاتمة تكون بمنزلة فصل الخطاب .

١° . القسم الاول كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم

اول من ذكر البرجان من جغرافيي العرب هو اول مؤلف عربي صنف في وصف البلدان اعني به ابا زيد احمد البلخي صاحب « كتاب صور الاقاليم » المتوفى ليلة السبت لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٢هـ (=٣ تشرين الثاني ٩٣٣م) اذ يقول: « اما مملكة الاسلام فان شرقيها (في عهد المؤلف) الهند وفارس . وغربيها مملكة الروم وما يتصل بها من الارمن واللان والبرجان والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك . وشماليها مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الاتراك ومنها بحر فارس » اهـ المطلوب من ايراده .

وقال ابن خرداذبة : « والعمل الثاني (من بلاد الروم) عمل تراقية وحده من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ومن الغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر » وقد

جاء في كتاب المسالك والممالك ذكر البرجان مراراً عديدة وكلها بهذا المعنى

وقال ابن الفقيه في كتاب البلدان : « واليها (اي الى الري) تقع تجارات ارمينية وآذربيجان وخراسان والخزر وبلاد برجان . » اه

واما اليعقوبي فلم يتعرض لذكرهم . وممن ضرب صفحاً عن ذكرهم ايضاً الاصطخري وابن حوقل والمقدسي وقدامة بن جعفر والبكري والبيروني

وقال ابن الوردي عن ارض البرجان ماحرفه : « هي ارض عظيمة واسعة بها من البرجان امم لاتحصى وهي امة طاغية قاسية بلادهم واغلة في الشمال » ويقول عن ارض البلغار ليبين لك انها ليست ارض اولئك كما زعم ذلك بعض المتأخرين او المعاصرين : « هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس في الشتاء الى ثلاث ساعات ونصف ساعة . » قال الجواليقي :«ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ماصلي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل الاقامة والتسبيح . وعماراتها متصلة بعمارة الروم . وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهي مدينه عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب . »

وقال الطبري (١ : ١٨ – من ولد يوان : الصقالبة وبرجان . (وفي ١ : ٢٢٩) وملك (افريذون ابنه)سلماً : الروم والصقالبة والبرجان وما في حدود ذلك» . (وفي ١ : ٩٠٠) :«وانوشروان غزا برجان ثم رجع فبنى الباب والابواب . » (وفي ٢ : ١٣١٧)وفي هذه السنة (اي سنة ٩٨)اغارت برجان عَلَى مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فامده سليمان بن عبد الملك بمسعدة او عمرو بن قيس في جمع فمكرت بهم الصقالبة . ثم هزمهم الله بعد ان قتلوا شراحيل بن عبدة . » اه (وفي ٣ : ٧٧٥)وقتل في هذه السنة (سنة ١٩٣) نقفور ملك الروم في حرب برجان »(وفي ٣ : ١٤٥٠)وقد كان اذن (ملك الروم في سنة ٢٤٦هـ) لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه . » اه

وقال المسعودي في كتاب التنبيه :« وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وماجوج . » وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ان السبب في ذلك (في انتصار الملك قسطنطين عَلَى اعدائه) ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان وانه قيل له : استنصر به عَلَى عدوك تنصر عليه» اه .

وقال (في ص ١٤١) : وقد دخل كثير منهم (من الاجانب) في وقتنا هذا في

جملة الروم كدخول الارمن والبرغر وهم نوع من الصقالبة والبجناك من الاتراك فشحنوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشامية وجعلوهم بازاء برجان وغيرهم من الامم المتأبدة بهم والمحيطة بملكهم ... وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطية والتنازع في ذلك . وقول من قال ماوراء الخليج كان من ارض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعلمه بالموضع وحصانته حتى اذن له في بنائها »

وقال (في ص ١٦٤) لحق (يسطنيانس)بملك الخزر مستنجداً به وتزوج هناك فلم ير عندهم مايحب فصار الى طرفلا ملك برجان .... وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه ان يحمل اليه في كل سنة خراجاً وكان يفعل ذلك ...

وقال (في ص ١٦٨) وكان مقتل نقفور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٣ وقد اتينا عَلَى اخباره مع الرشيد وحروبه ابرجان وقتلهم اياه .»

وقال (في ص١٨٣)«وقد ذكر »خبرالسور المسمى بالرومية مقرون نُيخس تفسيرذلك السور الطويل الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التي وراء القسطنطينية .. »

وقال« في ص ١٨٤ »وقرب من هذا الجبل «جبل القبق» من الامم كاللان والسرير والخزر وجرزان والابخاز والصنارية وكشك والكاسكية وغيرهم والابر وبرجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة ..

وقال« في ص ١٩١ »ومن جاورهم(اي الروم)من الممالك:من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ...

وقال (في ص ١٩٦) «وقدذكرنا» ماجرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة..

وقال المسعودي في كتابه الآخر مروج الذهب : (٢ : ١٦ طبعة باريس) « وشن الغارات (اي ملك البرغر يريد البلغار) حولها (اي حول القسطنطينية) الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة ... » وقال (في ص ٣١١ من ذلك الجزء)..وقد كان له (اي لقسطنطين الملك) في بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لخوف دخله من بعض ملوك آل ساسان.. »وقال (في ص ٣١٤)وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيها ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان اوغيرهم من الامم فكانت الحرب بينهم سجالا نحواً من سنة ... وقال(في٣:٦٦)الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاشبان والياجوج والماجوج

والترك والخزر و برجان واللان والجلالقة . . . وقال (في ص ٧٨) ولربما اجتمع عليهم (على اهل الاندلس) من الامم من ولد يافث من الجلالقة و برجان وافرنجة وغيرها من الالسن . . . وقال « في ٣٨:٤ » عمل الترك الخاقان سبع مائة فرسخ في خمسمائة . « اي طوله . . . وعرضه . . . » عمل الخزر واللان سبع مائة فرسخ في خمسمائة فرسخ . عمل برجان الف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ . عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ . وقال « في ٧:١٣٤ » وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل مدينة زبطرة من الثغر الخزري ففتحها بالسيف . . .

وقال ابن رسته : الاقليم السادس يبتدئ من المشرق و يمر على بلاد ماجوج ثم على على بلاد الخزر فيقطع بحر طبرستان الى بلاد الروم فيمر على جرزان واماسيا وهرقلة وخلقيذون والقسطنطينية و بلاد برجان و ينتهي الى بحر المغرب .

الاقليم السابع يبتدئ من المشرق من شمال ياجوج ثم يمر على بلاد الترك ثم عَلَى سواحل بحر طبرستان مما يلي الشمال ثم يقطع بحر الروم فيمر ببلاد برجان والصقالبة و ينتهي الى بحر المغرب .

واما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانهُ يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغزغز وارض الترك ثم عَلَى بلاد اللان ثم عَلَى الابر ثم على برجان والصقالبة و ينتهي الى بحر المغرب .

وقال في موضع آخر : ومن هذه المدينة (اي رومية) تركب البحر فتسير ثلاثة اشهر حتى تنتهي الى بلاد ملك برجان وتسير منها في جبال وعقاب شهراً واحداً حتى تنتهي الى بلاد فرنجة » اه .

وقال ياقوت : برجان بالجيم . بلد من نواحي الخزر . قال المنجمون : هو في الاقليم السادس وطوله اربعون درجة وعرضه خمس واربعون درجة وكان المسلمون غزوه في ايام عثمان رضه . » اه .

وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ (١:٦٤) سمعت قوماً من برجان يسمونه (اي الله) ادفوا . فسألتهم عن اسم الصنم فقالوا : فغ . » وقال (في ٣:٢٦) فمنهم (من اولاد يافث) الترك والخزر والصقالبة وبرجان واشبان و ياجوج وماجوج ستة وثلاثون لساناً . » وقال (في ٤:٥٣) الاقليم السادس : يبتدئ من المشرق فيمر على

بلاد ياجوج وماجوج ثم عَلَى بلاد الخزر ثم على وسط بحر جرجان الى بلاد الروم فيمر عَلَى جرزان وهرقلة وقسطنطينية و بلاد برجان الى بحر المغرب · قال اهل هذا العلم : اما ماوراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج فيمر على بلاد التغزغز وارض الترك وعَلَى بلاد اللان ثم على بلاد برجان ثم عَلَى شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب · » اه

وقال ابو الفداء في تقويم البلدان : برشان بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة ثم الف ونون في الآخر · و يقال لها ايضاً برجان بالجيم · كانت قاعدة البلاد · قال ابن سعيد : و برشان كانت قاعدة الامة الذين يقال لهم برجان وكان لهم شهرة و بأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وابادوهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر · » اه ·

وقال القرماني : برجان بلاد غائصة في جهة الشمال فيها قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة و بالعكس واهلها مجوس · » اه · وقال عن بلغار : مدينة عظيمة (كذا والمراد هنا قاعدة البلغار) عَلَى ساحل بحر مانطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط · وحولها من امم الترك ما لا يعد ولا يحصى · والبرد عندهم شديد جداً لا يكاد الثلج ان ينقطع عن ارضهم صيفاً وشتاء · » اه ·

وقال ابن الاثير في (١ : ٢٨ من طبعة مصر) ومن ولد بوان (والاصح يوان بالمثناة التحتية) الصقالبة و برجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع فيها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم · وقال (في ١١٦) ثم ملك اسطينان (اي أسطنيانس او يسطنيان) المعروف بالاخرم تسع سنين ايام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان · ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب · ثم ملك السمين المعروف بالطرسومي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك ايام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجاً كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقاً كثيراً فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفاً · » · وقال (في ص ١١٧) وجرى بين نقفور و بين برجان حرب سنة ١٩٣ فقتل فيها · » اه · وقال (في ص ١٥٤) عن كسرى انوشروان عاد الى

المدائن وغزا البرجان ثم رجع وارسل جنده الى اليمن » . اه ثم قال (في ص ٥٥ !) وقوي امره (اي انوشروان) وغزا فرغانة والبرجان وعاد فبنى مدينة الشابران . » اه. وقال (في ٥ : ١٠) وفي هذه السنة (اي ٩٨) فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد اغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة فكتب الى سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا . » اه .

وانت ترى ان ما نقلناه هنا عن ابن الاثير يكاد يكون نص الطبري بعينه . ومثل هذين النصين كلام ابن خلدون فلهذا نضرب صفحاً عن ذكره . والى هنا ايضاً انتهى ماجمعناه من كتب اشهر المؤرخين واهل التخطيط وان كان ثم غير هولآء الا انهم يعدون من النقلة لا من المصنفين الاصليين . وهذا يدلك على سبب عدولنا عن ذكر نصوصهم لاستغنائنا عنهم باقوال الكتاب الاقدمين اصحاب القدم الراسخة في هذا الموضوع

٢ً القسم الثاني نصوص لغويي العرب

قال الفيروز ابادي في القاموس : برجان كعثمان : جنس من الروم . « وزاد السيد المرتضى في تاج العروس : » يسمون كذلك قال الاعشى :

وهرقل يوم ذي ساتيذ مـا   من بني برجان في الباس رجح

يقول : هم رجح على بني برجان اي هم ارجح في القتال وشدة البأس منهم .» اه . وهذا الكلام كله هو نص ابن منظور بحرفه . وقد اخذه المرتضى عنه ولم ينبه عليه .

وقال ابن الوردي : البرجان امة بل امم طاغية مثلثون . بلادهم متوغلة في الشمال وسيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم . » اه .

وقال في المعرب للجواليقي : برجان . اسم اعجمي وقد تكلمت به العرب قال الاعشى : « من بني برجان في الناس رجح . »

وقال الجوهري في الصحاح :

« وهرقلاً يوم ذي ساتيذما   من بني برجان ذي الباس رجح . »

ولم يزد على هذا القدر مع اختلاف الرواية بينه و بين صاحب اللسان والتاج .

وقال المطرزي في المغرب : برجان جنس من الروم بلادهم قريبة من القسطنطينية و بلاد الصقالبة قريبة منهم .

وقال صاحب الاوقيانوس : برجان عَلَى وزن عثمان اسم جنس من الروم وفي كتاب المغرب للمطرزي (ماذكرناه آنفاً) وفي كتاب الخريدة لابن الوردي (مانقلناه فويق هذا) ثم قال : وعليه فيؤخذ من هذا الكلام وعن سائر ماورد في كتب تخطيط البلدان ان برجان و بغدان هما بلاد وجيل معروفان يكونان وراء نهر الطونة . فمن المحتمل اذاً ان تكون كلمة برجان معربة عن بوجاق (كذا . ويراد ببوجاق البلاد المعروفة باسم بسرابية) بل ولعل الارجح ان تكون برجان تعريب بغدان . » اه تعريباً

ومن الغريب ان القلقشندي الذي وضع كتاباً في الانساب وذكر انساب كثير من الاجيال والامم والشعوب لم يتعرض لذكر البرجان . وممن اغفل التنويه بهم سائر اللغويين من العرب كصاحب الجمهرة وتهذيب اللغة والمحيط والمجمل والمخصص والمحكم والجامع لديوان العرب والعباب واساس البلاغة والمصباح المنير ومجمع البحرين ومطلع النيرين والبابوس الى آخر ماهناك .

واما صاحب محيط المحيط اي البستاني فانه نقل كلام المطرزي ولم يصرح باسم المنقول عنه . وصاحب اقرب الموارد لم يذكر البرجان بمعنى هذا الجيل من الناس . ونقف عند هذا الحد من ذكر نصوص اللغويين .

القسم الثالث رأي مستشرقي الافرنج

ذهب اغلب المستشرقين الى ان المراد بالبرجان : البلغار . وهذا لايمكن ان يكون صحيحاً البتة كما سنثبته في ذيل هذا القسم . عَلَى ان بعضاً منهم انتبهوا الى ما في هذا التوحيد بين اللفظين من الغرابة والبعد لرؤيتهم كثيرين من كتاب العرب جمعوا في عبارة واحدة بين البرجان والبلغار وميزوا بين الجيلين تمييزاً بيناً فاستنتجوا ان القومين ليسا بواحد بل هما اثنان وان كانا في اغلب الاحايين متحالفين متفقين في الهجوم والدفاع وفي القتال والقراع .

عَلَى ان بعض الافرنج ذهبوا الى ان المراد بالبرجان في بعض عبارات الكتاب من العرب قوم يكونون في افرنجة (افرنسة) وهم المعروفون باسم البرجون او البرغون اي هم المعروفون باللغة الفرنسوية باسم Bourguignons وهم محقون في ذلك . مثلاً ماقال المسعودي في عبارته (في ٢ : ١٦) وفي عبارته (في ٣ : ٧٨) فلا شك ان المراد بالبرجان

هناك البرجون او البرغون . وهذا التصحيف قريب من البرجان فظن المؤلف الاول او ناسخ الكتاب ان البرجون والبرجان شيء واحد . والحال : ان الامر عَلَى خلاف ما يظن وان كان بين اللفظين تناسب في الاشتقاق . ولهذا نقد اصاب الفاضل بربيه دمينار Barbir de meynard حينما ذكر هذه العبارة : « و بثن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة » ان المراد بهولاء البرجان : Les Bourguignons لكنه لم يصب في قوله انهم البلغار في كلام المسعودي في ٣:٦٦ و٣:٧٨ ثم ٧ : ١٣٤ ثم ٤:٣٨ فلو ذكرهم باسمهم البرجان كما فعل في ٢ : ٣١١ و ٢ : ٣١٥ لكان اولى له ولهذا نقد اصاب في مواطن واخطأ في مواطن أُخرى .

واما العلامة دي كوي M. J. de Goeje فانه لم ينقل الى اللاتينية اسم البرجان كل مرة وردت في الطبري . واما في ترجمته لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة فانه نقلها الى لفظة بلغار Bulgares في ص ٩٢، ١٠٥، ٢٥٧ واما في ١٧ و٢٥٧ فقد ابقاها عَلَى لفظها « برجان » . كأنه قد اكتفى بما المع اليه وبان المراد من البرجان « البلغار » .

وقد صرح فريتاغ انه لا يعرف عَلَى التحقيق من هم هؤلاء المعروفون باسم البرجان . عَلَى انه في الآخر ذهب الى ان قولهم : اسرق من برجان « يراد بهم هؤلاء الاقوام . وقد قال في مستهل كلامه عن البرجان برجان اسم لص اولصوص . وقد تابعه في هذا الوهم قزميرسكي . وقد وهم كلاهما . فان اللص المشهور باسم برجان هو غير جيل البرجان فاللص برجان كان من ناحية الكوفة . صلب لسرقته فسرق وهو مصلوب . وذلك انه قال لحافظه « مر الى تلك الخربة فان لي فيها مالا وانا احفظ برذونك . فلما غاب عنه قال لواحد مر به : خذ البرذون فهو لك . » (راجع فرائد اللآل في مجمع الامثال ١ : ٢٩٣)

واما برجان الآخرون فهم اقوام يجاورون البلغار ويسوابهم . وكانوا اهل غزو لا لصوصاً شأن سائر الناس في غابر العصور قبل العمران الحديث . ولهذا فقول فريتاغ وقزميرسكي انهم من اللصوص وهم ظاهر وخبط بين فليحفظ . هذا فضلا عن انك لا ترى واحداً من ابناء العرب ذهب الى ان اللص برجان هو من قوم البرجان . او ان البرجان هم من اللصوص ومنه قولهم « اسرق من برجان . » كقولهم هم اسرق من قوم برجان »

والظاهر ان اول مستشرق ذهب الى ان البرجان هم البلغار العلامة كاترمير في الكتاب الذي نشره في باريس لمؤلفه رشيد الدين وترجمه الى اللغة الفرنسية مع

حواش نفيسة تزري بعقود الجمان . وقد رأيت هذا الكتاب مراراً عديدة في مكتبة الحاج علي الآلوسي من مبعوثي بغداد . وهو اليوم في الاستانة ومكتبته مقفلة لا يدخلها داخل ولو كان من اخص اقربائه . ولما كان مقام كاترمير من ارفع المقامات في العلم تابعه الكثيرون اعتماداً عليه . والبائن ان العلامة رينو Reinaud في ترجمته لكتاب تقويم البلدان تأليف ابي الفداء لم يقطع كل القطع برأي وطنيه كاترمير لانه ابقى كلمة برجان على حالتها في ص٢٨٣ من الجزء الاول من المجلد الاول وفي ص٣١٣ من ذلك الجزء بعينه . ثم قال ما معربه : « الظاهر كلمة « برجان » تعني بعض الاحيان « البلغار » المجاورين لنهر الطونة . راجع حواشي المسيو كاترمير على كتاب تاريخ رشيد الدين ص ٤٠٥ وراجع ايضاً تصنيف المسيو دوصون في كلامه عن اقوام جبل قاف ص ٢٦٠ ومن المرجح ايضاً ان هذا الاسم يشمل الابر والصرب . اه كلام رينو

فانت ترى انه لا يجزم بصحة هذا القول كل الجزم بل يذكره بكل تحفظ وتحرز لانه رأى انه اذا صح هذا التأويل في مواضع فهو لا يصح في عدة مواطن

واما اقوى براهين كاترمير على ان البرجان هم البلغار المجاورون لنهر الطونة هو هذا على ما اتذكر : « يقول المسعودي ان يستنيان الثاني المشهور بالاخرم لاذ بتاوفيل ملك البرجان والحال ان كتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار اذن البرجان هم البلغار » اه كلام العلامة محصلا بمعناه . فاقول : نص المسعودي هو هذا : « وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خروج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغار والصقالبة وغيرهم » فيتضح من هذا الكلام ان البرجان غير البرغار او البلغار والا لما فرق بين اللفظين بل انهم قوم محالفون للبرغار كما كان الصقالبة محالفين لهم ايضاً واكتفاء اليونان بذكر البرغار فقط لا يدل على انه لم يكن معهم برجان وصقالبة بل انما ذهبوا الى ذكر البلغار اما لكثرتهم واما لشهرتهم واما لانهم اذا ذكروا البلغار فهم قراء اوائك الزمان حلفاء البلغار ايضاً البرجان والصقالبة او لعل هناك سبباً آخر لا يصل الى معرفته عقلنا القاصر .

وعلى كل حال فان كلام المسعودي صريح كل الصراحة ان البرجان قوم كانوا مع البلغار وليسوا اياهم . بل هم الذين نعنيهم في كلامنا الآتي

واما آراء سائر المستشرقين فلا حاجة الى ذكرها لانه اذا كان مقدموهم وزعماؤهم على هذا التأويل فلا يبعد تأويل من جاء بعدهم واخذ عنهم بعداً يذكر ومن ثم تكون

آراؤهم منحصرة في ثلاثة تآويل: فالاغلب يذهب الى انهم والبلغار جيل ومنهم من يقول بان البرجان في بعض المواطن تفيد البرجون اوالبرغونيين والطائفة الاخرى تبقي اللفظة عَلَى وجهها لانها لم ترهاموافقة لمعنى البلغار

عَلَى ان هناك مذهبًا رابعًا بل وخامسًا لا ينسب او ينسبان الى واحد من المستشرقين بل الى عالم جليل من علماء الاتراك ولغوييهم اريد به عاصم افندي صاحب الاوقيانوس ومترجم القاموس فانه يظن ان البرجان تعريب بوجاق ويرجح عليه كون اللفظة تعريب بغدان وكلا اللفظين وان كانايتقاربان في الكتابة الا انهما يبتعدان كل الابتعاد في النطق والتلفظ هذا فضلا عن ان ابدال الحروف وسننه لاتوافق كل الموافقة هذا التصحيف البعيد الوقوع الا بتكلف وتعمل واعنات لا إعنات وراءه

٤ً خاتمة النبذة وفيها ذكر رأينا

من قرأ بترو وتدبر ما كتبناه الى هنا وانعم النظر في الشواهد التي نقلناها عن كتبة العرب عَلَى اختلاف عصورهم يحكم حكماً باتًا بأن البرجان غير البلغار وبالعكس واليك خلاصة ماقاله العرب عنهم مجموعة هنا :

البرجان جيل من الناس بلادهم غائصة في جهة الشمال في قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة · وبالعكس · واهلها مجوس طغاة بغاة قساة وسيرهم منقطعة عنا لبعدهم وجفاء طباعهم · وقد تنصروا في عصور النصرانية الاولى بعد ان غادروا بلادهم واقاموا بجوار البلغار من جهة وبقرب الصقالبة من الجهة الاخرى وكانوا تارةً مهادنين للبلغار ومواليهم ومحالفيهم وطوراً اعداءهم وهاجمين عليهم وغازين اياهم · شأن الجار للجار · فهذا كله لايصح الا عَلَى الامة المعروفة عند الافرنج باسم Varègues ويقال فيها عندهم Variagues او Varangiens كما ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الثآء الفارسية المثلثة الفوقية بآء موحدة تحتية سهل سبب تعاقب الثآء والبآء · والكلمة هي في الاصل Warg ومعناها «المنفي» او « الافاق » ثم توهموا فيها الافراد كما هو الامر حقيقة فجمعوها عَلَى فعلان فقالوا فيها « برجانًا » كما قالوا في جمع ظهر « ظهرانًا » ·

والبرجان عَلَى التحقيق قوم افاقون اصل اغلبهم من اسكنديناوية ثم انضم اليهم اناس آخرون من عناصر اخرى كالروس والصقالبة والأبر والسرب والبلغار فاجتمع

منهم امة قائمة بنفسها قاتلها الالمانيون فافنوها عن آخرها ·

هذا ماظهر لنا على وجه التحقيق بعد ان طالعنا عدة مؤلفات عربية وافرنجية وبعد ان وقفنا على آراء بوغودين Pogodine وشلوتزر Schlœtzer وجدعونوف Gédéonov وكستوماروف Kostomarow وهوفائسكي Hovaïsky وكانتس Kanitz وآمي بوه Ami Boué وليجه L. Léger ودلاڤلاي E. de Laveleye وغيرهم ·

وان كان لواحد من القرآء مايهدم رأينا بمعول براهينه فليأتنا به ونحن له من اعظم الشاكرين لان غايتنا البحث عن الحقيقة لا التمسك برأينا فمتى ما رأينا وجهها الصحيح نسير للحال بضيائه · وفقنا الله الى مابه كل خير بغداد : ساتسنا

الفتوى في الاسلام

« تتمة ماورد في الجزئين الماضيين »

(حاجة المفتين الى معرفة العلوم الرياضية)

ان هذه العلوم الجليلة — الرياضية — كان عني بها من سلفنا وائمتنا من لايزال اسمه كالبدر في السماوات وعلمه وآثاره مرجعاً لحل العويصات مثل الحافظ بن حبان صاحب الصحيح وحجة الاسلام الغزالي وفخر الدين الرازي وولي الدين ابن خلدون والامام ابن رشد وسيف الدين الآمدي والحرالي وابن عبد ربه وابن الصلاح وابي الصلت الداني الاندلسي والرشيد بن الزبير الاسواني والمبشر بن فاتك الاموي والشيخ السويد والفخر الفارسي والقطب المصري والموفق عبداللطيف البغدادي وابن البيطار وافضل الدين الخونجي وشمس الدين الاصفهاني وابن النفيس والقطب الرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وبدر الدين ابن جماعة وقاضي القضاة الهروي وعلاء الدين البخاري وشهاب الدين ابن المجدي والتقي السبكي ومن لايحصى من الائمة كما تراه في طبقات الحكماء وفي حسن المحاضرة للسيوطي وسواهما من تواريخ الاعلام ووفيات الاعيان وكثر من كان فيهم من القضاة والحفاظ والرواة والمتكلمين والمفتين العدول الثقات ولو ضم اليهم غيرهم لبلغ مجلدات

كل من عني بهذه العلوم—الرياضية—علم مسيس الحاجة اليها وادرك موضع الكمال منها فراح يضرب منها بسهم ويخوض منها في بحر

تخلل كتب الفقه مالا يحصى من فروع هذه العلوم وكم توقف القضاء والافتاء في النوازل على الالمام بهذه الفنون

اليس تحرير سمت القبلة يتوقف عَلَى معرفة اصول فن الميقات وكذا تحرير اوقات الصلوات في البلاد عَلَى معرفة عروضها واطوالها المقررة فى علمها

وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الارض اومقادير السقيامن الانهار اوالدمن يتوقف عَلَى فن الهندسة والمقاييس

وهكذا التقاضي في وقف عَلَى بلد من بلاد دولة من الدول معينة ارتيب في كون تلك البلد من حوزتهاوحدودها يتوقف عَلَى علم الجغرافيا (تقويم البلدان)فمنه يعلم دخولها في شرط الواقف اوعدم دخولها

وهكذا افتى من المحققين غير واحد ان لمن له معرفة بعلم هيئة الفلك ان يعمل بحسابه في صوم رمضان والفطر منه بل افتى تقي الدين السبكي لما كان قاضي القضاة بدمشق في رسالة سماها (العلم المنشور في اثبات الشهور) ان من شهد برؤية الهلال في رمضان او ذي الحجة مثلا ودل الحساب عَلَى انه لاتمكن رؤيته ان تلك الشهادة ترد (قال) لان قبول الشهادة انما هو عند عدم الريبة ووجود الاحتمال اما مع القطع باستحالة الرؤية للبرهان الجلي في ذلك فلا تقبل تلك الشهادة وتحمل عَلَى الغلط او الكذب (قال) لانه اقوى من الريبة لانه مستحيل عادة ، وبين رحمه الله في هذه الرسالة مايجب عَلَى القاضي من التثبت في ذلك وما ينبغي له من الالمام بعلم الهيئة والميقات او تقليد من يثق به في ذلك ليكون عَلَى بصيرة مما يقبل من الشهادة في ذلك او يرد

ورسالته هذه من انفس الرسائل المضنون بها

وبالجملة فحاجيات الفنون الرياضية في الاقضية والاحكام وفي العبادات والمعاملات اوسع من ان يدخلها الحصر ولا غنى للقاضي والمفتي عن الالمام بها كما اوضحنا

(تحري المفتي في مسائل الطلاق المجمع عليه والاقوى دليلا)

مما يجب عَلَى كل مفت — بمعنييه الخاص والعام — ان يتحري ويتروى ويحتاط في مسائل الطلاق ما اجمع عَلَى وقوعه او قوى الدليل فيه معقولا او منقولا واما التسرع

بالفتوى بجل العصمة لمجرد قول غير مجمع عليه او المدرك في سواء او قول الصحب والتابعين رضوان الله عليهم عَلَى خلافه — هذا التسرع من الامور التي جرت الويلات عَلَى كثير من العائلات وكم افضت الى التحيل بما لا يرضاه الشارع ولا يلتقي مع اصول ملته السمحاء ، ومن العجب ان صور الحلف بالطلاق وانواع التعاليق فيه التي افردت لها تآليف خاصة وافعمت بطون الاسفار لا ترى منها مسألة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا واقعة مأثورة عن الصحب رضوان الله عليهم لانها مما حدثت بعد قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في بعض فتاويه (١) لما احدث الحجاج بن يوسف تحليف الناس بأيمان البيعة وهو التحليف بالطلاق والعتاق والتحليف باسم الله وصدقة المال وقيل كان معها التحليف بالحج تكلم حينئذ التابعون ومن بعدهم في هذه الايمان وتكلموا في بعضها عَلَى ذلك فمنهم من قال اذا حنث بها لزمه ما التزمه ومنهم من قال لا يلزمه الا الطلاق والعتاق ومنهم من قال بل هذا من جنس ايمان اهل الشرك لا يلزم بها شيء ومنهم من قال بل هي من ايمان المسلمين يلزم فيها مايلزم في سائر ايمان المسلمين واتبع هؤلاء مانقل في هذا الجنس عن الصحابة وما دل عليه الكتاب والسنة (قال) كما بسط في موضع آخر

وبالجملة فاهم مسائل الطلاق الآن مسألة الحلف به وبالحرام . والتعليق عليه . وطلاق السكران . وطلاق الغضبان . وجمع الثلاث في كلمة دفعة واحدة . والطلاق في الحيض . ويندرج تحت كل صور شتى يرى الواقف عَلَى مذاهب السلف فيها اقوالاً وفتاوي عديدة وقد أسلفنا ما اتفق عليه كلام المحققين من وجوب التحري في المسائل المختلف فيها وبذل الوسع في مسألة القولين لترجيح احدهما

ومما يعين المفتي عَلَى الترجيح الصحيح مراجعته الكتب التي جمعت اقوال السلف في هذه المسائل وهي المحلى لابن حزم وفتاوى ابن تيمية وكتاب اقامة الدليل على بطلان التحليل له ايضا واغاثة اللهفان الكبرى لابن القيم واغاثة اللهفان الصغرى في طلاق الغضبان لابن القيم ايضاً وزاد المعاد له ايضاً وكذلك مراجعة كتب النوازل في فقه المالكية ومطولات كتب اصحاب الائمة نفعنا المولى بعلومهم فالواقف عليها يجد من سماحة الاسلام ويسر الدين ورفع الحرج في هذا الباب مايجعله كله السنة تنطق بحمده تعالى عَلَى هذه الرحمة

---

(١) جزء ٣ ص ٥٣ من فتاويه المطبوعة

(حكم تولية طالب الافتاء)

هذا الحكم يعلم بالاولى مما ذكروه في القضاء ومن احسن ما كتب فيه ماقاله الامام الماوردي — من كبار ائمة الشافعية — في كتابه الاحكام السلطانية وعبارته :

فاما طالب القضاء وخطبة الولاة عليه فان كان من غير اهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً وصار بالطلب مجروحاً

وان كان من اهله عَلَى الصفة التي يجوز معها نظره فله في طلبه ثلاثة احوال (احدها) ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقص علمه واما لظهور جوره فيخطب القضاء دفعاً لمن لا يستحقه ليكون فيمن هو بالقضاء احق فهذا سائغ لما تضمنه من دفع منكر ثم ينظر فان كان اكثر قصده ازالة غير المستحق كان مأجوراً وان كان اكثره اختصاصه بالنظر فيه كان مباحا

(والحالة الثانية) ان يكون القضاء في مستحقه ومن هو اهله ويريد ان يعزله عنه اما لعداوة بينهما واما ليجر بالقضاء الى نفسه نفعاً فهذا الطلب محظور وهو بهذا الطلب مجروح

(والحال الثالثة) ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال عليه فيراعي حاله في طلبه فان كان لحاجته الى رزق القضاء المستحق في بيت المال كان طلبه مباحاً وان كان رغبة في اقامة الحق وخوفه ان يتعرض له غير مستحق كان طلبه مستحباً فان قصد بطلبه المباهاة والمنزلة فقد اختلف في كراهية ذلك مع الاتفاق عَلَى جوازه فكرهته طائفة لان طلب المباهاة والمنزلة في الدنيا مكروه قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

وذهبت طائفة اخرى الى ان طلبه لذلك غير مكروه لان طلب المنزلة مما ابيح وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام الى فرعون في الولاية فقال « اجعلني عَلَى خزائن الارض اني حفيظ عليم » فطلب الولاية ووصف نفسه بما يستحقها به من قوله « اني حفيظ عليم » وفيه تأويلان (احدهما) حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وهذا قول عبد الرحمن بن زيد (والثاني) انه حفيظ للحساب عليم بالالسن وهذا قول اسحق بن سفيان وخرج هذا القول عن حد التزكية لنفسه والمدح لها لانه كان لسبب دعا اليه انتهى

(اشتراط علم المولي باهلية من يوليه لصحة التولية)

قال الامام الماوردي : تمام الولاية معتبر باربعة شروط (احدها) معرفة المولي للمولى

بانه عَلَى الصفة التي يجوز ان يولى معها فان لم يعلم انه عَلَى الصفة التي تجوز معها تلك الولاية لم يصح تقليده (والشرط الثاني) معرفة المولي بما عليه المولى من استحقاق تلك الولاية بصفاته التي يصير بها مستحقًا لها وانه قد تقلدها وصار مستحقًا للاستنابة فيها ثم ذكر تتمة الشروط في تولية القضاء مما يدل عَلَى اعتبارها فيما هو دون تولية القضاء من الافتاء والتدريس والوعظ والارشاد والخطابة والامامة بالأولى ولله در المشوعر الأكبر في قوله

وما سقطت يومًا من الدهر امة — من الذل الا ان يسود دميمها
اذا ساد فيها بعد ذل لئيمها — تصدى لها ذل وقدَّ اديمها
وما قادها للخير الا مجرب — عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله — ولكن لتدبير الامور حكيمها

وبالجملة فاعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض الأعمال للقادرين عليها مما يوجب صيانة الحق ويشيد بناء العدل ويحفظ نظام الامور من الخلل ، ويشفي نفوس الامة من العلل ، وهذا مما نحكم به بداهة العقل وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض وثبت بها نظام كل موجود ، وكل من تتبع تواريخ الامم وكان بصير القلب علم انه ما انقلب عرش مجدها الا لتفويض الاعمال لمن لا يحسن القيام عليها ويضع الاشياء في غير مواضعها « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

(حكم الاشتراط في الفتوى ان تكون عَلَى مذهب معين)

يستفاد هذا مما اوضحه الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في القضاء (قال) : ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ، ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيًا لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره لما يتوجه اليه من التهمة والمايلة في القضايا والاحكام واذا حكم بمذهب لايتعداه كان انفى للتهمة وارضى للخصوم

(قال الماوردي) وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لاتوجبه « لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق »

« ثم قال » : فلو شرط المولي وهو حنفي او شافعي على من ولاه القضاء ان لايحكم الابمذهب الشافعي او ابي حنيفة فهذا على ضربين « احدهما » ان يشترط ذلك عموماً في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقاً لمذهب المولي او مخالفاً له ، واما صحة الولاية فان لم يجعله شرطا فيها واخرجه مخرج الأمراو مخرج النهي وقال : قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله عَلَى وجه الأمر او لا تحكم بمذهب ابي حنيفة عَلَى وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرطفاسداً سواء تضمن امراً او نهياً ، و يجوز ان يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه اوخالفه

فان اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء عَلَى ان لاتحكم فيه الابمذهب الشافعي او بقول ابي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها عَلَى شرط فاسد ، وقال اهل العراق تصح الولاية و يبطل الشرط ثم ذكر الضرب الثاني وفصل فيه فانظره وقال الامام ابو زيد الدبوسي — من اكابر اصحاب الامام ابي حنيفة رحمه الله — في كتاب تقويم الادلة في اواخر باب الاستحسان : وكان الناس في الصدر الاول اعني الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين يبنون امورهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكتاب ثم بالسنة ثم باقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مايصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخالفه بقول علي رضي الله عنه في مسألة اخرى ، وقد ظهر من اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله انهم وافقوه مرة وخالفوه اخرى عَلَى حسب ما تتضح لهم الحجة ولم يكن المذهب في الشريعة عمريا ولا علويا بل النسبة كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا قروناً اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فكانوا يرون الحجة لا علماءهم ولانفوسهم فلما ذهب التقوى من عامة القرن الرابع وكسلوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفياً و بعضهم مالكياً و بعضهم شافعياً ينصرون الحجة بالرجال و يعتقدون الصحة بالميلاد عَلَى ذلك المذهب ثم كل قرن اتبع عالمه كيفما اصابه بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع فضل الحق بين الهوى اه كلام الامام ابي زيد وللبحث مقدمة مدهشة فليرجع اليها وقد نقل نحواً من ذلك شيخ الصوفية محيي الدين ابن عربي في الباب الثامن عشر وثلثمائة من الفتوحات المكية في معرفة منزل نسخ الشريعة

المحمدية وغير المحمدية بالاغراض النفسية عافانا الله واياك من ذلك فليتدبر من يحب الانصاف

(الحسبة على المفتين وامثالهم)

قال الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي : ينبغي للامام ان يتصفح احوال المفتين فمن صلح للفتيا اقره ، ومن لا يصلح منعه ونهاه ان يعود وتوعده بالعقوبة ان عاد ، وطريق الامام الى معرفة من يصلح للفتوى ان يسأل علماء وقته ويعتمد اخبار الموثوق بهم انتهى

وقال الامام الماوردي في الاحكام السلطانية : واذا وجد — المحتسب — من يتصدى لعلم الشرع وليس من اهله من فقيه او واعظ ولم يأمن اغترار الناس به في سوء تأويل او تحريف انكر عليه التصدي لما هو ليس من اهله واظهر امره لئلا يغتر به

وقال ابن القيم : من افتى الناس وليس باهل للفتوى فهو آثم عاص ومن اقره من ولاة الامور على ذلك فهو آثم عاص قال ابو الفرج ابن الجوزي : ويلزم ولي الامر منعهم وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس بل هؤلاء اسوأ حالا من هؤلاء كلهم واذا تعين على ولي الامر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين « قال » وكان شيخنا شديد الانكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : اجعلت محتسباً على الفتوى : فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب انتهى

(دلالة العالم للمستفتي على غيره)

قال ابن القيم : هذا موضع خطر جداً فلينظر الرجل الى من يدل عليه وليتق الله فانه اما معين على الاثم والعدوان واما معين على البر والتقوى وقد سأل الحافظ ابو داود — صاحب السنن — الامام احمد عن رجل يسأله عن مسألة فيدله على من يسأله فقال : اذا كان يعني الذي ارشده اليه متبعاً ويفتي بالسنة :

وذكر بعد ورقات انه اذا علم ان السائل يدور على من يفتيه بغرضه في تلك المسألة فيحمل استفتاءه تنفيذاً لغرضه لا تعبداً لله باداء حقه فلا يسعه ان يدله على غرضه اين كان بل ان علم المفتي فيها نصاً عن الله ورسوله فلا يسعه تركه الى غرض السائل وان

كانت من المسائل الاجتهادية ولم يترجح له قول لم يسغ له ان يترجح لغرض السائل « وهذه المسألة جديرة بالمحافظة عليها » وليرجع الى تتمتها في كلامه

(هل يقول المفتي في المسألة قولان ونوادر في ذلك)

قال الامام ابن القيم في الاعلام : لايجوز للمفتي تخيير السائل والقاؤه في الاشكال والحيرة بل عليه ان يبين بيانًا مزيلا للاشكال متضمنًا لفصل الخطاب ولا يكون كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث فقال : يقسم بين الورثة عَلَى فرائض الله عز وجل : وكتبه فلان

« وسئل آخر » عن صلاة الكسوف فقال : تصلي عَلَى حديث عائشة ·

« وسئل آخر » عن مسألة من الزكاة فقال : اما اهل الايثار فيخرجون المال كله واما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه ·

« وسئل آخر » عن مسألة فقال : فيها قولان · ولم يزد

« قال ابو محمد ابن حزم » وكان عندنا مفت اذا سئل عن مسألة لايفتي فيها حتى يتقدمه من يكتب فيكتب هو : جوابي فيها مثل جواب الشيخ · فقدر ان مفتيين اختلفا في جواب فكتب تحت جوابهما : جوابي مثل جواب الشيخين · فقيل له انهما قد تناقضا فقال : وانا اتناقض كما تناقضا ·

« قال ابن القيم » : وكان في زماننا رجل مشار اليه بالفتوى وهو مقدم في مذهبه وكان نائب السلطان يرسل اليه في الفتاوى فيكتب : يجوز كذا او يصح كذا او ينعقد كذا بشرطه · فارسل اليه يقول : تأتينا فتاوى منك فيها : يجوز او ينعقد او يصح بشرطه نحن لانعلم شرطه فاما ان تبين شرطه واما ان لاتكتب ذلك « قال » وسمعت شيخنا — ابن تيمية — يقول : كل احد يحسن ان يفتي بهذا الشرط وهذا ليس بعلم ولا يفيد سوى حيرة السائل وتنكده

(وكذلك) قول بعضهم في فتاويه : يرجع في ذلك الى رأي الحاكم : « قال » فياسبحان الله : لو كان الحاكم شريحا واشباهه لما كان مرد احكام الله ورسوله الى رأيه فضلا عن حكام زماننا والله المستعان

« وسئل » بعضهم عن مسألة فقال : فيها خلاف : فقيل : كيف يعمل المفتي (فقال) يختار له القاضي احد المذهبين

« قال ابو عمرو ابن الصلاح » كنت عند ابي السعادات ابن الاثير الجزري فحكى لي عن بعض المفتين انه سئل عن مسألة فقال : فيها قولان فأخذ يزري عليه وقال : هذا حيد عن الفتوى ولم يخلص السائل من عمايته ولم يأت بالمطلوب . وللبحث تتمة فليرجع اليه في كلامه رحمه الله

(اجناس الفتيا التي ترد على المفتين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : المفتي اذا سئل عن مسألة فاما ان يكون قصد السائل فيها معرفة حكم الله ورسوله ليس الا . واما ان يكون قصده معرفة ما قاله الامام الذي شهر المفتي نفسه باتباعه وتقليده دون غيره من الائمة ، واما ان يكون مقصوده معرفة ما ترجح عند ذلك المفتي وما يعتقده فيها لاعتقاده علمه ودينه وامانته فهو يرضى بتقليده هو وليس له غرض في قول امام بعينه ، فهذه اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

فغرض المفتي في القسم الاول ان يجيب بحكم الله ورسوله اذا عرفه وتيقنه لا يسعه غير ذلك

واما في القسم الثاني فاذا عرف قول الامام بنفسه وسعه ان يخبر به ولا يحل له أن ينسب اليه القول ويطلق عليه انه قوله بمجرد مايراه في بعض الكتب التي حفظها او طالعها من كلام المنتسبين اليه فانه قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم باقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم منصوصاً عن الائمة بل كثير منه يخالف نصوصهم ، وكثير منهم لا نص لهم فيه ، وكثير منهم يخرج على فتاويهم ، وكثير منهم افتوا به بلفظه او بمعناه

فلا يحل لاحد ان يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه فما اعظم خطر المفتي واصعب مقامه بين يدي الله تعالى

واما القسم الثالث فانه يسعه ان يخبر المستفتي بما عنده في ذلك مما يغلب على ظنه انه الصواب بعد بذل جهده واستفراغ وسعه ومع هذا فلا يلزم المستفتي الاخذ بقوله وغايته انه يسوغ له الاخذ به ، فلينزل المفتي نفسه في منزلة من هذه المنازل الثلاث وليقم بواجبها فان الدين دين الله والله سبحانه لا بد سائله عن كل ما افتى به والله المستعان

ولا يخفى ان في القسم الأول ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص بل هو اللازم ما امكنه

فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان هو عمدة الصحابة واصلهم الذي يرجعون اليه وقد اسهب في ذلك بما لا يستغنى عنه فليراجع

(استعانة المفتي بمراجعة كتب المذاهب واختلاف الائمة)

في جمع الجوامع وشرحه « و » نرى « ان الشافعي ومالكا وابا حنيفة والسفيانين » الثوري وابن عيينة « واحمد » ابن حنبل « والاوزاعي واسحق » ابن راهويه « وداود » الظاهري « وسائر ائمة المسلمين [١] عَلَى هدى من ربهم » في العقائد وغيرها وقال الشعراني في الميزان وقد اجمعوا عَلَى انه لا يسمى احد عالما الا ان بحث عن منازع اقوال العلماء وعرف من اين اخذوها من الكتاب والسنة : « وقال » ان الشريعة كالشجرة العظيمة المنتشرة واقوال علمائها كالفروع والاغصان « وقال » ان الشريعة المطهرة جاءت شريعة سمحة واسعة شاملة قابلة لسائر اقوال ائمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم فيما هو عليه في نفسه عَلَى بصيرة من امره وعَلَى صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة بالامة « وقال » نقلا عن الامام الزركشي في آخر كتاب « القواعد » له ما مثاله : ان مطلوب الشرع الوفاق ورد الخلاف اليه ما امكن كما عليه عمل الائمة من اهل الورع والتقوى كابي محمد الجويني واضرابه فانه صنف كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي عَلَى مذهب معين انتهى ثم قال الشعراني ، وقد بلغنا انه كان يفتي الناس بالمذاهب الاربعة الشيخ الامام الفقيه المحدث المفسر الاصولي الشيخ عبد العزيز الديريني [٢] وشيخ الاسلام عز الدين ابن جماعة المقدسي والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي والشيخ علي النبتيتي الضرير ، ونقل الشيخ الجلال السيوطي رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء انهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الاربعة لاسيما العوام الذين لا يتقيدون بمذهب ولا يعرفون قواعده ولا نصوصه ويقولون حيث وافق فعل هؤلاء العوام قول عالم فلا بأس به انتهى وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة امام الحرمين ما مثاله والامام لا يتقيد بالاشعري ولا بالشافعي لاسيما في البرهان وانما يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده :

«١» ومنهم ائمة السلالة الطاهرة الذين حمل عنهم علم جم وفقه كبير وترى تسميتهم في نيل الاوطار للامام الشوكاني وفي غيره ايضاً

«٢» قال الشعراني بعد : صنف — الديريني — كتاب الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة افتى فيها عَلَى المذاهب الاربعة

وذكر في ترجمة ابيه الجويني انه الف كتابا سماه المحيط لم يتقيد فيه بمذهب وانه التزم ان يقف عَلَى مورد الاحاديث لايتعداها ويجتنب جانب العصبية للمذاهب : كما قدمه الشعراني . وذكر في ترجمة ابن جرير ان المحمديين الاربعة — ابن جرير وابن خزيمة وابن نصر وابن المنذر كانوا يذهبون مع اجتهادهم المطلق وكان كل منهم مجتهداً مطلقا لايقلد احداً ولهم من الاختيارات مادونه السبكي في تراجمهم وهذا باب يطول استقصاؤه وقد عد السيوطي في حسن المحاضرة من المجتهدين في مصر وحدها ما اناف عَلَى السبعين فكيف بغيرها وكل من هؤلاء انما كان يفتي بما يؤديه اجتهاده وكان يتفق لكثير من هؤلاء وامثالهم من جمع الكتب المنوعة للاستفادة بما فيها مايدهش وقد حكى السبكي في طبقاته في ترجمة الامام عبد السلام ابن بندار انه دخل الى بغداد من مصر ومما معه عشرة جمال عليها كتب بالخطوط المنسوبة في فنون العلم [1] وقال الشعراني ايضا : ان كل مقلد اطلع عَلَى عين الشريعة المطهرة — ادلتها — لايؤمر بالتقيد بمذهب واحد وربما لزم المذهب الاحوط في الدين مبالغة منه في الطاعة . والى نحو ماذكرناه اشار الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله . ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي هو وامي فعلى الرأس والعين وما جاء عن اصحابه تخيرنا وماجاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال . « ثم قال » اذا علمت ذلك فيقال لكل مقلد امتنع عن العمل بقول غير امامه في مضايق الاحوال امتناعك هذا تعنت لاورع لانك تقول لنا انك تعتقد ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم لاغتراف مذاهبهم من عين الشريعة « ثم قال » وكان الامام ابن عبد البر رحمه الله تعالى يقول : لم يبلغنا عن احد من الائمة انه امر اصحابه بالتزام مذهب معين لايرى صحة خلافه بل المنقول عنهم تقريرهم الناس عَلَى الفتوى بعمل بعضهم بعضا لانهم كلهم عَلَى هدى من ربهم « وكان » يقول ايضا . لم يبلغنا في حديث صحيح ولا ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احداً من الامة بالتزام مذهب معين لايرى خلافه وماذلك الالان كل مجتهد مصيب . « وكان » الزناتي من ائمة المالكية يقول : يجوز تقليد كل من اهل المذاهب في النوازل . وقد اطال الشعراني في هذا البحث واجاد والقصد ان توسع المفتي في مراجعة مذاهب الائمة واقوالهم ممايعينه عَلَى الاقوى والارجح في النازلة، اذ ليس الحق وقفا عَلَى مذهب اوكتاب

(١) ومما اغرب عنه انه كان يفتخر بالاعتزال ويتظاهر به حتى عَلَى باب نظام الملك — الوزير الشهير — فيقول لمن يستأذن عليه : قل ابو يوسف القزويني المعتزلي .

وبالجملة فلا سبيل للوقوف على الضالة المنشودة الا بتتبع مطاوي الكتب وخبايا الاسفار ، وبمقدار رفع الهمة في ذلك بمقدار تنور الأفكار ، قال العلامة العطار في حواشيه على شرح جمع الجوامع [١] من تأمل ماذكره من تصدى لتراجم الائمة الاعلام علم انهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاحكام الدينية لهم اطلاع عظيم عَلَى غيرها من العلوم واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع يدل علي ذلك النقل عنهم في كتبهم والتصدي لدفع شبههم واعجب من ذلك تجاوزهم الى النظر في كتب غير الاسلام [٢] « قال » فاني وقفت على مؤلف للقرافي [٣] رد فيه عَلَى اليهود شبهاً اوردوها عَلَى الملة الاسلامية لم يأت في الرد عليهم الا بنصوص التوراة وبقية الكتب السماوية حتى يظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ثم هم مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الاشعار ولطائف المحاضرات ، « ثم قال » ومن نظر فيما انتهى اليه الحال في زمن وقعنا فيه علم ان نسبتنا اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قصارى امرنا النقل عنهم بدون ان نخترع شيئاً من عند انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه المرتبة بل اقتصرنا عَلَى النظر في كتب محصورة الفها المتأخرون المستمدون من كلامهم نكررها طول العمر ولا تطمح نفوسنا الى النظر في غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام تخلصنا عنه بان هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه او مسألة اصولية قلنا لم نرها في جمع الجوامع فلا اصل لها او نكتة ادبية قلنا هذا من علوم اهل البطالة وهكذا فصار العذر اقبح من الذنب . واذا اجتمع جماعة منا في مجلس فالمخاطبات مخاطبات العامة والحديث حديثهم ؛ فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لانتفطن لها وان تفطنا لها بالغنا في انكارها والاغماض عن قائلها ان كان مساوياً . وايذائه بشناعة القول ان

«١» صفحة ٢٢٥ جزء ٢

«٢» وقد قال السبكي في طبقاته في ترجمة كمال الدين ابن يونس شارح التنبيه — احد ائمة الشافعية — تبحر في جميع فنون العلم وتفرد بعلم الرياضي وكان اهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل ويشرح لها هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لايجدون من يوضحها لهم مثله ، وكان اثير الدين الابهري — مؤلف ايساغوجي — يفضل ابن يونس عَلَى الغزالي انظر ترجمته رحم الله الجميع

«٣» طبع

كان ادنى ونسبناه الى عدم الحشمة وقلة الادب ، واما اذا وقعت مسألة غامضة من اي علم كان عند ذلك تقوم القيامة وتكثر القالة ويتكدر المجلس وتمتلئ القلوب بالشحناء وتغمض العيون على القذى ، فالمرموق بنظر العامة الموسوم بما يسمى العلم اما ان يتستر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق او يهذو بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ،

« وقالوا سكرنا بحب الآله وما اسكر القوم الا القصع »

فحالنا الآن كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه ببغداد

« مافي الديار اخو وجد نطارحه حديث نجد ولا خل نجاريه »

وهذه نفثة مصدور فنسأل الله السلامة واللطف اه كلام العطار وموضع الاستشهاد منه تأسفه عَلَى الاقتصار عَلَى مافي الايدي من الاسفار مع ان الدواء الناجع هو التنقيب عما خبأته ايدي السلف من جواهر العلم ونفائس الفوائد وبالله التوفيق

(اعراض المفتي عن المقلد الخصم)

المقلد هو الذي لايصل فهمه الى درك الدليل او لايريد ان يصل ، اقعدته الفطرة عن اللحاق باولي العلم ، اوقنع بالتخلف عن السباق مع ابطال النظر واقطاب الفهم ، فلما ماتت قوته النظرية كان قصاراه ان يقف مع قول مفتيه ، ويجرع من الكاس الذي يسقيه ، فاذا تحكك بالدليل ، واخذ يخوض مع الابطال في القال والقيل ، دل عَلَى تطفله ، وفضوله وتمحله وتعديه طوره ، ومجاوزته قدره فلهذا يجب الاعراض عنه ، وان تحجب مخدرات المناظرة منه ولما ابتلي الائمة قديما بالمقلدة المماحكين ، وضعوا لدرء جدلهم قوانين ، قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتابه فيصل التفرقة [1] وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستتبعاً لا تابعاً واماماً لامأموماً ، فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد ، وطالب لصلاح الفاسد « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر اه وقال رضي الله عنه في « احياء علوم الدين » في الباب الرابع من ابواب العلم في مباحث المناظرة وتلبيس المناظرين ما مثاله : اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر

«١» مطبوع مرارا

مفيد ومؤثر هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم « ثم قال » و يطلعك عَلَى هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون عَلَى طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الى ان قال) الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وما يشكل عليه يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد اه

وقال رضي الله عنه ايضاً في كتاب آداب تلاوة القرآن في اسباب موانع الفهم الاربعة ما مثاله في الثاني (ثانيها) ان يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه ، فان لمع برق عَلَى بعد و بدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك من غرور الشيطان فيتباعد منه و يحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية : ان العلم حجاب : وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم انتهى

وما اجمل قول الجاحظ عليه الرحمة : "(١) التقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن ، نصراؤه قد عكسوا الامور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك ان من نظر و بحث وقابل ووزن احق بالتبين وأولى بالحجة انتهى

(ما على المفتي اذا عرف الحق)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الايمان . اتفق العلماء عَلَى انه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد احد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر عَلَى الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه

(١) من فصل للجاحظ مطبوع مع فصول له في الجزء الثاني من الكامل للمبرد

واما ان كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل مايقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ ان اخطأ كما في القبلة

واما ان قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان معه الحق فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً وان كان متبوعه مخطئا كان آثما وهؤلاء من جنس مانع الزكاة ومن عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فان ذلك لما احب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك اصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث « ان يسير الرياء شرك » اهـ كلامه عليه الرحمة

(تورع المفتي عن التضليل والتكفير)

مما يزين العالم كبر عقله وشدة رزانته وحصافة لبه ، ومما يشينه ويزري به طيشه وحمقه وخفته وتسرعه، فتراه بذلك يهوي من حالق وان ناطح الجوزاء بعرفانه بحق او بغير حق فيحفظ اللسان صيانة الانسان « وهل يكب الناس في النار علَى مناخرهم الا حصائد السنتهم »

قال حجة الاسلام الغزالي في « فيصل التفرقة » . اذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لايصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكث من الايدي من لايدرى لقل الخلاف بين الخلق [1]

(وقال) رضي الله عنه ايضاً . واعلم انه لاتكفير في الفروع اصلا الا في مسألة واحدة وهي ان ينكر اصلاً دينيا علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر (ثم قال) ولو انكر ماثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا فصار كون الاجماع حجة مختلفا فيه

« وقال ايضاً » ولايلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه

« وقال ايضاً » كأن كل واحد لايرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً وكيفما

(١) اقول هو بمعنى قول سقراط . لو سكت من لايعلم لسقط الاختلاف

كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه

وكتابه رضي الله عنه هذا فيصل التفرقة مما يهم كل نبيه مراجعته ومطالعته فلم يؤلف في موضوعه مثله

وقال الامام ابن حزم في الفصل [1] في الكلام فيمن يكفر ولا يكفر ما مثاله : اختلف الناس في هذا الباب الى ان قال وذهبت طائفة الى انه لايكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ان اصاب الحق فاجران وان اخطأ فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن عَلَي رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم « الى ان قال » والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لايزول عنه الا بنص او اجماع . واما بالدعوى والافتراء فلا « الى ان قال » واما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب عَلَى الخصم وتقويل له مالم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً

وتتمة البحث من نفائس العلم فليرجع اليها

(اتقاء المفتي التسرع في دعوى الاجماع)

كثيراً مايمر بمطالع كتب الفقه دعوى الاجماع في بعض المسائل او النوازل ولا سند له الا عدم العلم بالمخالف فيأتي اسير التقليد فينقله عَلَى اعتقاد انه مجمع عليه مع ان الواجب عليه اما التنقيب جهده في سائر بطون الكتب الفروعية واسفار الخلاف حتى يسقط عَلَى الحقيقة في دعوى الاجماع او يحذف كلمة الاجماع من نقله وعزوه فقد ظهر فيما لا يحصى من المسائل المدعى فيها الاجماع ان وراءها خلافاً في مذاهب اخرى بل في كتب منتشرة قد لاتخلو خزانة عالم منها ، وما الطف قول شمس الدين الاصفهاني — من كبار ائمة الشافعية — في شرح المحصول . الحق تعذر الاطلاع على الاجماع الا اجماع الصحابة حيث كان المجمعون وهم العلماء منهم في قلة واما الآن وبعد انتشار الاسلام وكثرة العلماء فلا مطمع للعلم به « قال » وهو اختيار « الامام » احمد مع قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه عَلَى الامور النقلية « قال » والمنصف

(١) جزء ٣ ص ٢٤٧

يعلم انه لاخبر له من الاجماع الا مايجده مكتوبا في الكتب ومن البين انه لايحصل الاطلاع عليه الا بالسماع منهم او بنقل اهل التواتر الينا ولا سبيل الى ذلك الا في عصر الصحابة واما من بعدهم فلا انتهى كلام الاصفهاني

ووجه الاتقاء والتورع في دعوى الاجماع في بعض الاحكام هو ان الاجماع — على ما عرفه الاصوليون — اجتماع علماء المسلمين على حكم من الاحكام : ولذا قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : واماقول بعض الائمة كالفقهاء الاربعة وغيرهم فليس بحجة لازمة ولا اجماعا باتفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم انهم نهوا الناس عن تقليدهم وامروهم اذا رأوا قولا في الكتاب او السنة اقوى من قولهم ان يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة و يدعوا اقوالهم ولهذا كان الاكابر من اتباع الائمة الاربعة لايزالون اذا ظهر لهم دلالة الكتاب والسنة عَلَى مايخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك انتهى وفي معالم الاصول · اذا افتى جماعة ولم يعلم لهم مخالف فليس اجماعاً قطعاً اذ لا يعلم ان الباقي موافقون ولا يكفي عدم علم خلافهم فان الاجماع هو الوفاق لا عدم علم الخلاف انتهى

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان يجتمع اهل الحل والعقد في صعيد واحد على امر واحد اتفاقاً بلفظ صريح ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى انقراض العصر عند قوم ومن هذا علم حد الاجماع (وقال ايضاً) وانما يعرف ذلك — مواضع الاجماع — من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لايحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لايحصل تواتر الاجماع به (قال) وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل (قال) فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والاستقلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بيسير انتهى كلام حجة الاسلام نفعنا المولى بعلومه

(المفتي والعالم بازاء من ينبزه بالالقاب)

ان العالم لما اخذ الله عليه الصدع بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لايخاف في الله لومة لائم كان مرضاً من اعداء انفسهم وعبيد اهوائهم للشنآن والنبز بالالقاب فتراهم ان وجدوه يميل للنظر في الادلة عَلَى الاحكام والوقوف عَلَى مآخذ المذاهب

والاقوال وتحري الاقوم والاصلح بدون تعصب لامام ولا تحزب لآخر نبزوه بالاجتهاد وسموه (مجتهداً) تهكماً مع انه بذلك لم يقم الا بواجبه ، وان ابصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات وتشويقه لاقتطاف ثمارها سموه (طبيعياً) وان رأوا حثه عَلَى البذل والانفاق في سبيل الله ودعواه الموسرين للعطف عَلَى البؤساء لقبوه (اشتراكياً) وان سمعوه يتكلم في الزيارة المشروعة وينهى عما احدث فيها او يتكلم عَلَى انواع الشرك المقررة في السنة او يزجر عن الغلو في الصالحين دعوه (وهابياً) [1] الى غير ذلك من افانين اقوالهم ونبزهم بالالقاب لكل من لايمالئهم على ميولهم ولا يسايرهم عَلَى اهوائهم . ولهم في كل عصر تلقيب جديد ونبزمبتدع

العالم الحكيم لايأبه لهذه الالقاب اذاصدع بالحق ولاتحزنه بل يعيرها اذنا صما لانه يجري عَلَى ما يوجبه دينه ، و يفرضه عليه يقينه ، وهو مايرضي ربه وخالقه تعالى فان رضاء الناس غاية لاتدرك وانى للعاقل ارضاء اهواء متباينة ومنازع متناقضة

ما الذ الالقاب التي تتنوع عَلَى المصلح وهو ساع الى خير قومه وما اوجب الترحيب بها والابتسام لها فأن امامه من الانبياء وورثيهم ما يعزيه ويسليه وكفى بهم اسوة وما اصدق قول ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم : انه لم يأت احد بمثل ماجئت به الاعودي : رواه البخاري

الثبات على تحمل المشاق والصبر الجميل من الواجبات المحتمة عَلَى كل داع الى حق والصدمات التي يجدها البطل المقدام يجب ان تقابل بثبات الجأش وان تكون كلما تجددت باعثةً عَلَى تجدد القوى ومواصلة العمل والسير ولذلك قرن تعالى في كتابه الحكيم التواصي بالحق بالتواصي بالصبر وصدق الله العظيم

(خوض بعض المفتين في التلفيق)

مسألة التلفيق من غرائب المسائل المحدثة المفرعة عَلَى القول بلزوم التمذهب للعامي وهو قول لايعرفه السلف ولا ائمة الخلف وقد اتفقت كلمتهم عَلَى ان العامي لامذهب له ومذهبه مذهب مفتيه .

---

(١) الوهابية طائفة مقلدة للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ولاصحابه وحاملي فقهه في الاصول والفروع وقد بسط الكلام في شرح احوالهم العلامة الجبرتي مفتي مصر في تاريخه وهو متداول ومطبوع مراراً

ترى الفقيه من القرون المتأخرة لو سئل عن رجل مسح بعض رأسه اقل من ربعه في وضوئه ثم خرج منه دم وصلى يجيبك بان صلاته باطلة لان عبادته ملفقة من مذهبين يخرج منها قول لا يقول به احد هذا قصارى جوابه في فتواه ومبلغ علمه عَلَى دعواه مع انه لو فرض انها حدثت في القرون الأولى وسئل عنها مفت سلفي لكان نظره في صحتها او فسادها الى الدليل المبيح لها او الحاظر ولا يمكن ان يتصور ان يقول له: عملك هذا ملفق او هذا تلفيق وانما يأمره بالفعل او بالترك استدلالا او استنباطا فحسب، ولذلك لم يسمع لفظ التلفيق في كتب الائمة لا في موطآتهم ولا في امهاتهم بل ولا في كتب اصحابهم ولا اصحاب اصحابهم ولا يبعد ان يكون حدوث البحث في التلفيق في القرن الخامس ايام اشتد التعصب والتحزب ودخلت السياسة في التمذهب، واضطر الفقهاء للاعتياش والارتياش الى التشدد في ذلك والتصلب، فمسألة التلفيق اذن من مسائل الفروع ولا دخل لها في الاصول فأن مسائل الاصول هي مباحثه التي يستمد منها معرفة الاستنباط والاستنتاج مما لاجله سمي الاصول اصولا فمن اين ان يعد منها التلفيق الذي لم يخطر عَلَى بال احد في القرون الاولى ولا سمع به،

اتسع امر التأليف في القرون المتأخرة وادخل في كل فن ماليس منه بل امتلأ مثل الفقه من الفرضيات أضعاف اضعاف الواقعيات فلو وازنت بين اسلوب المتقدم والمتأخر في اي فن لدهشت من تباينهما عجبا فكانت كتب المتقدمين لا تخرج عن موضوع الفن قيد شبر حتى استفحل الأمر في التأليف وجرى من جرائه مانعاه غير واحد من الحكماء وقد الم بشيء من ذلك القاضي ابن خلدون في مقدمة تاريخه

والمقام لا يتسع لبسط هذا البحث الذي تتجاذبه امور عديدة لمعرفة منشأه من اختلاف السياسة ودخول عوائد الامة الغالبة عَلَى المغلوبة قسراً وتبدل المناحي والمطالب في تلقي العلم والتوسل لنيله فاختلط جيد الكتب بغيره وتبدلت العادات بغيرها وصارت المراتب والمناصب وقفاً عَلَى هذا السبيل لا تنال بغيره فتبعها ضرورة امر التأليف فجرى عَلَى سنتها ومنهاجها وصار التمذهب اصلا راسخا وتعددت لاجله الفرق الاسلامية كل يدعو لامام ورائده السياسة والمادة فنشأ مانشأ وتولد ماتولد مما لاعهد للسلف به بل بينه وبين سيرهم الاول بعد المشرقين يعرف ذلك كله من دقق في فلسفة التاريخ واستقرأ قواعد الفاتحين واصول الدول واستكنه رجالها وحلية العصر والمصر في كل مملكة وجيل وقد بسطناه في مقالة خاصة والقصد ان التلفيق الذي يبحث عنه المتأخرون

ينبغي للمفتي اذا استفتي عن مسألة منه ان ينظر الى مأخذها من الكتاب اوالسنة اومدركها المعقول منها واما تسرعه الى القول بالتلفيق بطلاناً او قبولاً فعدول عن مهيع السلف عَلَى ان مايسمونه بعد تلفيقا بقطع النظر عما ذكرنا في شأنه ربما رجع الى نوع الرخص التي يحب الله ان تؤتى وللشيخ مرعي الحنبلي — احد فقهاء الحنابلة المشاهير — رسالة في جواز التلفيق للعوام وهي رسالة نفيسة قال : لان العلماء نصوا عَلَى ان العامة ليس لهم مذهب معين (قال) وقد قال غير واحد لايلزم العامي ان يتمذهب بمذهب معين كما لم يلزم في عصر اوائل الامة (قال) والذي اذهب اليه واختاره القول بجواز التقليد في التلفيق لابقصد تتبع ذلك بل من حيث وقع ذلك اتفاقاً خصوصاً من العوام الذين لا يسعهم غير ذلك (الى ان قال) ولا يسع الناس غير هذا و يؤيده انه في عصر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع كثرة مذاهبهم وتباينهم لم ينقل عن احد منهم انه قال لمن استفتاه الواجب عليك ان تراعي احكام مذهب من قلدته لئلا تلفق في عبادتك بين مذهبين فاكثر بل كل من سئل منهم عن مسألة افتى السائل بما يراه مجيزاً له العمل من غير فحص ولا تفصيل ولو كان ذلك لازما لما اهملوه خصوصاً مع كثرة تباين اقوالهم انتهى

وقال العلامة الدسوقي — من فقهاء المالكية في مصر — في حواشيه عَلَى شرح خليل في بحث الفتوى من خطبة الكتاب ما مثاله وفي كتاب الشبرخيتي امتناع التلفيق والذي سمعناه من شيخنا نقلا عن شيخه الصغير وغيره ان الصحيح جوازه وهو فسحة (قال الدسوقي) و بالجملة ففي التلفيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقتان المنع وهو طريقة المصاروة والجواز وهو طريقة المغاربة ورجحت انتهى

وقال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب ادب القاضي : المقلد له ان يقلد اي مجتهد شاء «ثم قال» : وانا لا ادري ما يمنع هذا « اي تتبع الرخص واخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد اخف عليه » من النقل او العقل ، وكون الانسان يتتبع ما هو اخف عَلَى نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما خفف عن امته انتهى

نقول هذا اقناعاً لمن يهوله امر التلفيق و يزعم ان الحكم بجوازه شيء نكر مع ان امامه من الافاضل ممن نكبرهم من قال بجوازه لابل من صححه ورجحه أما نحن فانا نرى الرجوع في مسائله إلى سنة السلف والائمة في مثلها كما اوضحناه و بالله التوفيق

(ما يعمل المفتي اذا فحص اقوال الائمة)

ذكر ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب القضاة الذين ولوا قضاء مصر في تولية قضاء مصر لابراهيم بن الجراح سنة ٢٠٤ ما مثاله : عن عمر بن خالد قال : ماصحبت احدا من القضاة كابراهيم بن الجراح كنت اذا اعملت له المحضر قرأته عليه اقام عنده ماشاء الله ان يقيم و يرى فيه رأيه فاذا اراد ان يقضي به دفعه لي لانشئ منه سجلا فاجد في ظهره قال ابو حنيفة كذا وفي سطر قال ابن ليلى كذا وفي سطر آخر قال ابو يوسف كذا وقال مالك كذا ثم اجد على سطر منها علامة له كالخطة فاعلم ان اختياره وقع على ذلك القول فانشئ المسجل عليه انتهى وهكذا حق المفتي ان ينظر في الواقعة الى اقوال الائمة و يفحصها و ينعم النظر حتى اذا استبان له قوة احدها توكل على الله تعالى وافتى به والائمة باجمعهم لم يغادروا في النوازل بذل الوسع حتى اجتمع من اقوالهم الكثير الطيب ووجد فيها الامثل فالامثل واعني بالنوازل ما تجدد على عهدهم واما المأثور فما كان عن الصحب رضوان الله عنهم فكذلك يتخير فيه الامثل وما كان عن الحضرة النبوية فهناك فصل الخطاب والله الموفق

(تتمة الآداب في هذا الباب)

نختم هذا البحث الجليل بما جاء في الاقناع وشرحه [١] في كتاب القضاء والفتيا مما لم نذكره قبل وعبارته مع شرحه

يحرم الحكم والفتيا بقول او وجه من غير نظر في الترجيح اجماعا [٢]

ويجب ان يعمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه اجماعا قاله الشيخ [٣]

و ينبغي ان يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم حذراً مما يصورونه في سوء الاتهم لئلا يوقعوه في المكروه

ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به (قال الشيخ): لايجوز استفتاء الا من يفتي بعلم او عدل :

---

(١) هو من اهم كتب الفروع عند الحنابلة ولا يستغني عنه مفت ولا قاض لسبره من الفروع ما لا يوجد في غيره جزى الله طابعه وواقفه خيراً

(٢) تقدم لنا هذا واعدناه تذكراً به لكثرة التساهل فيه

(٣) يعني به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

و يلزم المفتي تكرير النظر عند تكرار الواقعة وان حدث مالا قول فيه تكلم فيه حاكم ومجتهد ومفت

وينبغي للمفتي ان يشاور من عنده ممن يثق بعلمه الا ان يكون في ذلك افشاء سر السائل او تعريضه للاذى او مفسدة لبعض الحاضرين فيخفيه ازالة لذلك

ولا يلزم جواب مالا يحتمله السائل لقول علي — كما في البخاري — حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وفي مقدمة مسلم عن ابن مسعود : ما انت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم

ولا يلزم جواب مالا نفع فيه لخبر احمد عن ابن عباس انه قال عن الصحابة : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم

وللمفتي قبول هدية لكن لا ليفتيه بما يريده مما لا يفتي به غيره والا حرم قبولها

وللمفتي رد الفتيا ان خاف غائلتها او كان في البلد من يقوم مقامه في الفتيا والا لم يجز له ردها لتعينها عليه (والتعليم كذلك)

ومن قوي عنده مذهب غير امامه لظهور الدليل معه افتى به واعلم السائل

ويجوز للمفتي العدول عن جواب المسؤول عنه الى ماهو انفع للسائل

وللمفتي ان يدله عَلَى عوض ما منعه عنه وان ينبهه عَلَى ما يجب الاحتراز عنه لان ذلك من قبيل الهداية لدفع المضار

واذا كان الحكم مستغرباً وطأ قبله ماهو كالمقدمة له

وله الحلف عَلَى ثبوت الحكم احياناً لآية « قل اي وربي انه لحق » وآية « فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » والسنة بذلك كثيرة

وله ان يكذ لك مع جواب من تقدمه بالفتيا اذا علم صواب جوابه فيقول : جوابي كذلك والجواب صحيح وبه اقول :

واذا سئل المفتي عن شرط واقف لم يفت بالزام العمل به حتى يعلم هل الشرط معمول به في الشرع او من الشروط التي لا تحل مثل ان يشرط ان يصلي الصلوات في التربة المدفون بها الواقف ويدع المسجد او يشعل بها قنديلا او سرجاً لان ذلك محرم كما تقدم (لصاحب الاقناع) في الجنائز [1]

(١) في كتاب تيسير الوقوف عَلَى غوامض احكام الوقوف للامام المناوي في الفصل الثالث في الحادثات والواقعات من الكتاب الثاني قال (حادثة) بالشام في القرن السابع

149

ولا يجوز اطلاقه في الفتيا في اسم مشترك اجماعاً بل عليه التفصيل في الجواب ، فلو سئل المفتي هل له الاكل في رمضان بعد طلوع الفجر فلا بد ان يقول : يجوز بعد الفجر الأول لا الثاني . وارسل الامام ابو حنيفة الى ابي يوسف يسأله عمن دفع ثوباً الى قصار فقصره وجحده هل له اجرة ان عاد وسلمه الى ربه وقال ابو حنيفة ان قال ابو يوسف نعم اولا اخطأ ففطن ابو يوسف وقال ان قصره قبل جحوده فله الاجرة لانه قصره لربه وان قصره بعد جحوده لا اجرة له لانه قصره لنفسه . (وسأل) ابو الطيب الطبري قوماً من اصحابه عن بيع رطل تمر برطل تمر فقالوا يجوز فخطأهم فقالوا لا فخطأهم فقال : ان تساويا كيلا جاز : فهذا يوضح خطأهم المطلق في كل ما يحتمل التفصيل

ولا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبع الحيل المحرمة والمكروهة ولا تتبع الرخص لمن اراد نفعه ، فان تتبع ذلك فسق وحرم استفتاؤه ، وان حسن قصد المفتي في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخلص المستفتي بها من حرج جاز

وللمستفتي العمل بخط المفتي وان لم يسمع الفتوى من لفظه اذا عرف انه خطه وحقيق بالمفتي ان يكثر من هذا الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل

وهو ان شخصاً وقف وشرط على المؤذن ان يقوم بالتسبيح اواخر الليل على العادة (فاجاب) ابن تيمية وتبعه بعضهم بان ذلك بدعة مكروهة باتفاق المسلمين وما كان مكروهاً لم يكن لاحد ان يأمر به ولا يعلق استحقاق الرزق به ولا يلزم فعله وان شرطه الواقف اه بحروفه وما الطف ما لخصه الامام ابن القيم في اعلام الموقعين في شروط الواقفين بقوله بعد مقدمات : وبالجملة فشروط الواقفين اربعة اقسام شروط محرمة في الشرع وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشروط تتضمن ترك ما هو احب الى الله تعالى ورسوله وشروط تتضمن فعل ما هو احب الى الله تعالى ورسوله ، فالاقسام الثلاثة الاول لاحرمة لها ولا اعتبار والقسم الرابع هو الشرط المتبع الواجب الاعتبار وبالله التوفيق ، وقد ابطل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط — الثلاثة — كلها بقوله : من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز لاحد اعتباره ولا الزامه وتنفيذه ، ومن تفطن لتفاصيل هذه الجملة التي هي من لوازم الايمان تخلص بها من آصار واغلال في الدنيا واثم وعقوبة ونقص ثواب في الآخرة وبالله التوفيق : وذكر قبل ان قولهم : شرط الواقف كنص الشارع : ليس على اطلاقه وانما ينزل على هذا التفصيل فارجع الى تفصيله في الجزء الثالث من اعلام الموقعين

فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

هذا ما يسر المولى بفضله جمعه من عدة مصنفات ، كما يظهر في العزو اليها في الاصل او التعليقات ، والمقام جدير بالعناية ، لذوي الدراية ، والله ولي الهداية ،

دمشق : جمال الدين القاسمي

اوغست كونت وفلسفته (١)

« تمهيد »

نبغ في فرنسا بعد نقض الاوضاع القديمة كثيرون من المفكرين الذين بحثوا في نظريات الاجتماع وفي طليعة هؤلاء النابغين الفيلسوف اغست كونت . وقد اختلف الباحثون في مذهبه على مركزه الفلسفي فوضعه قوم بين دمتر وفوريه وقالوا بوحدة آرائهم مع اعترافهم لكونت برجاحة العقل وتوفر المكتسبات الفنية وجعله آخرون بين هيوم ولابنج وامثالهما فأخطأ الفريقان مركزه وغرّ الاولين ما رأوه بين الطرق التي انتهجها الفلاسفة الثلاثة الى مقاصدهم من التشابه فشغلهم ذلك عن النظر في ضعف الرابطة بين مرامي كونت الباحث في تجديد شروط الاتحاد الاجتماعي ومرامي دمتر وفوريه وانفرد كونت عمن سواه بمبدأه المشهور ان النظام الاجتماعي لا يمكن تغييره الا اذا جعلت التصورات النظرية في الهيئات الاجتماعية خاضعة لتأثير الفن وادمجت في ما سواها من المستنبطات البشرية وهذه الخاصة تفسح لكونت مجالاً بين فلاسفة الاجتماع الناشئين في القرن الثامن عشر وتربطه بتورغوي ومونتسكيو وقوندورسه الذي كان كونت يدعوه بابيه الفلسفي وهو تصريح يكفي لاثبات مانقول

يصعب علينا ان نلخص في هذه الصفحات فلسفة كونت المودعة في ستة مجلدات ضخمة ولا سيما ان كتاب الغرب الذين اجالوا اقلامهم في الموضوع كستوارت ميل وغيره ممن درسوا فلسفة كونت عن كثب والفوا في انتقادها لم يوضحوا مذهبه ايضاحاً

(١) معربة عن التركية

يزيل اللبس والايهام ويوقف المطالع عَلَى حقائقه · ولم يكن بين من كتبوا في هذا المبحث من اوضح لنا كيف اقتبس كونت فلسفته من الرياضيات وما الذي دعاه الى تقسيم المعلومات البشرية الى ستة فروع كبرى وكيف بدأت فلسفته بفكر رياضي وانتهت بفكر اجتماعي ·

ولا يتسنى لنا ان نفهم حقيقة هذا الفيلسوف الا اذا درسنا ترجمته فنحن بادئون بها وصائرون الى مذهبه الفلسفي

ترجمته

هو ايزيدور — اغست — ماري — فرانسوا قزاويه كونت (Conte) ولد في قصبة مون پيليه سنة ١٧٩٨ وكان والده يجبي الخراج في القصبة المذكورة وبعد ان اتم التحصيل الابتدائي في مدرستها دخل دار الفنون في باريس فامتاز فيها بعصيانه للقوة الرسمية الحاكمة واحترامه الشديد للكمال الخلقي والفكري وثباته الراسخ في توخي غايته ولم يطل مكثه فيها سوى سنتين رأس بعدها احتجاجاً عَلَى احد اساتذتها آل الى اخراجه من المدرسة فعاد الى موطنه حتى كانت سنة ١٨١٦ فأمَّ باريس غير مكترث باعتراض والديه الشديد واقام فيها يحصل قوته بالقاء دروس خاصة في الرياضيات وجعل همه تحدي بنيامين فرانكلين الذي كان يدعوه سقراط زمانه في معيشته عَلَى انه امتاز عن جميع الفلاسفة بصلابة العزم والثبات عَلَى مبدأه فلم تلوه عنه حياة تبكي تعاسة وشقاء

وضاق به العيش في باريس فحدثته النفس بالهجرة الى اميركا وكان عَلَى وشك ان يؤمها لولا صديق ثنى عزمه عن المهاجرة بجملة اوردها في عرض حديث تجاذبا اطرافه عن « الفكر العملي » في العالم الجديد فقال له صديقه ان لا كرنج (رياضي فرنساوي شهير) لو ذهب الى اميركا لم يجد عملاً يقوم بأوده سوى مسح الارضين · فعدل كونت عن السفر واقام في باريس يعالج الحياة المرة ويتبلغ بثمانين ليرة يتقاضاها راتباً سنوياً من احدى المدارس التي انتدبته لتعليم الرياضيات حتى سعى له اصدقاؤه بوظيفة تدريس في دار المسيو كازيمير بريه المشهور فدخلها ووجد هناك اسباب الراحة والهناء غير ان المعيشة لم ترقه لحنينه الى الحرية التي اضاعها فلم يستقر به المقام اكثر من ثلاثة اسابيع ودع بعدها مضيفيه وعاد الى حاجته السابقة وقناعته الفطرية وقلما يكون الفقر في الشبيبة داعية الشر الا اذا كان الشاب الفقير متعلماً فتساعده الحاجة حينئذ

على ان يكون اميل الى الحقيقة منه الى الخيال

وسنة ١٨١٨ اتصل كونت بهنري دوسان سيمون ابن اخت الدوق دي سان سيمون المشهور وكان في عهده من كبار كتاب المذكرات السياسية فكان لهذا الاتصال تأثير شديد في نظريات كونت الفلسفية

كان سان سيمون يوم لزمه كونت في الستين من عمره ولم يكن ذا شهرة طائرة غير ان غرابة حياته واحواله الاجتماعية وافكاره السياسية تستوقف الانظار فقد قضى الرجل عمره ساعياً بماله من الملكة العقلية الرائعة لتطبيق خيالاته على حقائق الاشياء والتربية الفنية لم يكن لها اقل اثر في هذا الرجل لانه لم ينشأ عليها ولا شعر بلزومها على انه كان خبيراً بالاتحاد الاجتماعي وله في السياسة المثبتة وترقي البشر كثير من الافكار الخطيرة ولكنه لم يبنها على محاكمة منطقية بل هي اشبه بتخيلات الشعراء

هذا الفيلسوف القديم سحر كونت فلم يستطع ان يفكر في حقيقته الا بعد ان فارقه حتى انه لقبه بالمخرق في حديث له بعد ان انقطعت اواصر ودهما ولم يستطع الا ان يعترف بنفوذه عليه وتأثيره في تربيته الفلسفية واشتدت وطأة التأثير على كونت حتى ناء بها وهنأ نفسه يوم مغادرته سيمون بخلع هذا النير عن عاتقه . وتعرف ما كان للفيلسوف الشيخ من اليد عند كونت من كتاب بعث به الاخير الى صديق له يقول فيه : ان سيمون اراني الخطة الفلسفية التي اسلكها فانا مطرد السير فيها كل عمري غير ملتفت الى ورائي وهذا الاعتراف الصريح لا يحط من قدر كونت ولا يناقض ارجحيته العقلية وتفوقه بدرجات على صديقه الشيخ ولا ينقص من قدره انه اخذ كثيراً من افكاره التي اقام عليها بناءه الفلسفي من افكار سيمون المضطربة وخلاصة القول انه لا يصح ان نعد كونت تلميذاً لسان سيمون ولا مقلداً له وكل ما في الأمر ان الشيخ اوقف صديقه الشاب على نقطتين مهمتين كان لهما الشأن الاكبر في فلسفة الاخير اولاهما ان الحوادث السياسية هي كالحوادث الطبيعية يمكن جمعها وربطها بقوانين مقررة وثانيتهما ان غرض الفلسفة الاصلي البحث في القضايا الاجتماعية فتناول كونت هذا المبدأ وتوسع في بسطه وشرحه توسعاً لم يخطر للشيخ في بال

دامت صحبة الرجلين ست سنوات ثم بدأت بالانحلال لما اوقر كونت من سلطة سيمون الثقيلة وما دخل على نفس الشيخ من القهر والحسد لما رأى ميزة الشاب عليه بمداركه ومواهبه وحدثت ثمت حادثة قطعت العلائق التي رثت ووهت وملخصها ان سان سيمون

نشر كتاباً في الاجتماع انتحل فيه معظم افكار كونت لنفسه فغضب الاخير وعاتب صديقه عتاباً مرًّا ولم يكن سبيل للتوفيق بين الرجلين فكان فراقهما ابدياً

وتزوج كونت سنة ١٨٢٥ فزاد ذلك في اسباب تعاسته وشقائه لان أُسرته وهي شديدة التعصب للملكية والكاثوليكية اغضبها زواجه المدني فاقلقته باحتجاجها الا ان ذلك لم يمنعها من الاحتفاء بزوجته وشخص العروسان الى مونبيليه فأقاما فيها هنيهة سئمت الزوجة فيها عيشة القرية ذات النسق الواحد وبدأ نزاع انتهى بفراق الزوجين كما سيجيء وقد كتب كونت الى صديق مخلص في السنة الاولى بعد زواجه يقول: «ان الاحزان اغرقتني والهواجس استحوذت عليَّ فاضطررت ان افادي من سعادتي بجزء إذا لم يكن اعظم اجزائها فهو الذها واحلاها»

نمو الافكار السامية في هذه البيئة الرديئة يحرك في النفوس مواضع الدهشة والاعجاب ويحملها عَلَى احترام الفيلسوف الذي كان يقوم على تنشئتها والخطوب المتوالية تفسد نظام حياته وكان الفشل حليفه في كل اعماله فاخفق في ايجاد تلامذة يتلقون افكاره وآراءه ولم يجبه سوى شخص اضجرته الوحدة فودع استاذه غير آسف

وفي هذه الاثناء اخذت افكار الفيلسوف بالتكامل وشرع بنشر مقالات في جريدة المنتج (لوبرودكتور) كان يتقاضى عنها بعض الدريهمات ولما أيس من بث افكاره بواسطة تلاميذه عمد الى القاء محاضرات واعلن عن المحاضرة الاولى سنة ١٨٢٦ راجياً ان يصيب بذلك شهرة وان يفوز بنفع مادي يستعين به عَلَى حاجته وفقره وشجعه احد اصدقائه عَلَى ذلك بقوله « ان كثيرين يبحثون في آرائك وافكارك غير ذاكريك بشيء فاعلن انك انت صاحبها » فعمل فيلسوفنا بنصيحته وسمع المحاضرة الاولى رجال من جلة علماء فرنسا ونخبة ادبائها

وما كاد طالع السعادة يبسم لكونت ويتحدث الناس باسمه وفضله حتى داهمته الكوارث فمني بنزيف دماغي عقيب المحاضرة الثالثة لأن ثورة افكاره انعقدت بتأثره لشقائه العائلي فأصيب بمرض عضال عاناه سنة فلما اخذ بالنقه من مرضه فكر فيما آلت اليه حاله وابصر التعاسة آخذة بسبله فيئس من الحياة وعول على الانتحار غرقاً في نهر السين ثم عدل عن الانتحار وبدأ يسترجع قواه العقلية والجسدية

وفي هذا الدور التعس عقد لكونت عقد ديني ايضاً غير ان ذلك لم يمح شيئاً من اختلال بيته وكان المرض قد اثر فيه تأثيراً شديداً فظهرت عليه امارات الجنون فقام الفلاسفة

من معارضي كونت يقبحون طريقته ويتخذون هذه الحادثة حجة على سخف رأيه وفساد تعليمه ويقولون ليس من العقل في شيء ان يتبع الانسان مذهب مجنون وهذا تحامل مجرد يقصد منه تضييع تأثيره فقد أصيب نيوتن قبله بمرض دماغي فلم ينقص ذلك شيئاً من حرمته والاعجاب بكتابه المسمى (پرنسيب) الذي وضعه عقيب ذلك المرض

وبعد ان استجم كونت قواه عاد سنة ١٨٢٨ الى القاء المحاضرات ونشر المجلد الاول في دروس الفلسفة الموجبة سنة ١٨٣٠ بعد تعب كثير وعمل طويل بدأ سنة ١٨٢٦ ولم يكن عمله في المجلدات الخمسة التي تلته اقل عناء فانه لم يتمكن من نشر المجلد السادس الا سنة ١٨٤٢

كانت الاثنتا عشرة سنة التي قضاها الفيلسوف في التأليف سني خير وبركة عليه ذاق في خلالها السعادة المادية لانه دعي في سنة ١٨٣٨ الى امتحان الطلبة الذين يتوافدون من كل صوب الى كلية باريس وانتدبته مدرستان كبيرتان لتعليم الرياضيات فأصبح دخله السنوي اربعمائة ليرة ولما كان عهد لويس فيليب دعاه المسيو كيزو يه رئيس الوزارة ليدرس تاريخ الفنون وقال له « إذا كان هناك اربع كراسي لتدريس تاريخ الفلسفة وجب علينا ان نخصص كرسياً على الاقل لظهور العلوم المثبتة وارتقائها » فدل الوزير بذلك على ميله للفلسفة الحسية ولولا اشتغاله بما فوق الطبيعة ايضاً لتقدمت في عهده تقدماً باهراً

وفي كتاب ارسله كونت الى زوجته مايدل على رقة قلبه وسمو عواطفه فقد قال لها في ذلك الكتاب « لا اود ان اصف لك هنا الحبور الذي تفيض نفسي به لما أرى الشاب فاز في امتحانه وقرب من آماله الذهبية انت تضحكين من ذلك ولكنني لا اتمالك من ان اذرف دموعي »

وكان كونت يفكر دائماً في سعادة الآخرين ويسعى الى منفعتهم بكل سبيل وهذا الاهتمام الدائم حمله عَلَى القاء الخطب والتدريس في المجتمعات العامة من سنة ١٨٣١— ١٨٤٨ على ما كان يعترضه من الموانع وفي هذه السنة حدثت ثورة في باريس اظهر فيها كونت عطفه على المجتمع فقد كان يفضل السجن عَلَى الدخول في الفرق الوطنية التي أُلفت يومئذ ومع انه لم يدع الناس لحمل السلاح على الملكية فانه لم يقسم لها يمين الاخلاص

ولم يكن كونت يتأثر من مشاهدة الروايات مع انه كان كثيراً ما ينتاب الملعب فالمفجعات (تراجيدي) في نظره ظواهر مصنعة ليس فيها من الحقيقة الا ظل لطيف

فقل اكتراثه بها و بماسواها القصص المضحكة (كوميدي)

وقد كتب احد تلامذته عن احواله وصفاته الشخصية ماياتي :

دقت ساعة لوكسنبورغ الثامنة وكان صدى صوتها لايزال يرن في الآذان حين فتح باب الغرفة ودخل رجل قصير القامة ممتلئ الجسم نظيف الثياب ملتح ممعن في قص شواربه حتى لم يبق لها ظل وكان يكتسي الاثواب السوداء و يتأنق في لبسه فكلما رأيته تخاله مدعواً الى وليمة وكانت عقدة رقبته لامعة كأن المكواة مرت عليها حديثاً فاقترب الرجل من اريكته المعدة له وراء المنضدة ووضع علبة السعوط أمامه وبعد ان استمد مرتين ومر القلم عَلَى الصحيفة ليرى ملئه شرع بكتابة الدرس بادئاً فيه بقوله : كنا قلنا انه في مثلث غير معين كالمثلث ا ب ج الخ .

ودام درسه ثلاثة ارباع الساعة والطلبة يدونون الموضوعات المهمة في مذكراتهم ليتمكنوا من مراجعتها عَلَى حدة ثم سحب من جيبه دفتراً آخر فاعاد تلاوة الدرس السابق وظل حتى الساعة التاسعة فتناول حقته ونفض ما على معطفه من السعوط وكانت يده في جيب عطفه وفتح الباب وخرج بسكينة تامة .

قلنا آنفاً انه نشر المجلد الاخير من فلسفته الموجبة سنة ١٨٤٢ وبينا المرء يتخيل عظم المكافأة التي يجب اسداؤها لهذا الفيلسوف عَلَى اثنتي عشرة سنة صرفها في الجهد والتعب المضنك يجد ان جزاءه كان تزايد المشكلات والخطوب التي تضيق الصدر وتضغط عَلَى الفكر ففي تلك السنة تفاقم الشقاق بينه و بين زوجته فأدى الامر الى انفصالها بعد ان خصص لها مائتي ليرة راتباً سنوياً ونرى من العبث البحث في هذه المسألة لان احوال الزوجين الخاصة لايطلع عليها حتى اخاص اصدقائهما وظلت مادام كونت بعد الانفصال تفكر في سعادة زوجها ودامت المراسلات الودية بينهما مدة سنين

وأصيب كونت بحادثة ثانية اثرت فيه وهو ان طابع المجلد السادس علق عَلَى الكتاب حواشي ينكر فيها حملة كونت الشديدة على اراغو فغضب الفيلسوف لذلك وخاصمه بالمحاجة فربح دعواه

واشد المصائب التي نكب بها هو انه ذكر منتخبيه للاشراف عَلَى الامتحان في المجلد الثالث بما لايستحب فادى ذلك الى ضياع نصف راتبه الزهيد فضاق كونت بالعيش ذرعاً وانبأ بفقره صديقاً له منذ بضع سنين وهو المستر جيمس استيوارت ميل احد علماء المنطق الانكليزيين الذي اثرت فيه افكار الفيلسوف واستمد منها معظم افكاره وآرائه في

اصول المنطق وقد كثرت مراسلات الصديقين ونشر جزء منها في المدة الاخيرة فهاج رغبة الجمهور للاطلاع عَلَى سائرها

ولما انتهت اليه كتب الفيلسوف هاجت فيه الخاصة التي عرف بها من عطفه الشديد عَلَى الرجال العظام ورثائه لشقائهم فنهض الى مساعدته وطرق ابواب ثلاثة من اصدقائه هز اعطافهم لمساعدة الفيلسوف فتعهدوا بتقديم مائتي ليرة له سنويًا وكان ذلك سنة ١٨٤٥

ولم يوفق كونت لعمل شيء يدل عَلَى شعوره بجميل الانكليز فلما عاد اليهم ميل في السنة التالية اعطاه الاول مبلغًا زهيدًا ورفض الاثنان الآخران مساعدته قائلين يجب عَلَى كونت ان يعول نفسه بنفسه فلما أخفق استيوارت في مساعدة صديقه بهذه الوسيلة اشار عليه بكتابة مقالات للصحف الانكليزية وتعهد له بترجمتها فرضي كونت اولاً بهذا الطلب ثم عاد الى هوسه واغتراره فأخذ يتهم الانكليز بفساد الاخلاق مما اسخط استيوارت وباعد مابين الصديقين حتى انتهى الامر بانقطاع المراسلات ومن كلام كونت في هذا الصدد قوله : لماذا يترك الرجل بعد موته مبلغًا من المال لمتفنن لم يعرفه وهو لا يعد مساعدة الرجال الذين عرفهم في حياته فرضًا طبيعيا ؟ ان الانكليزيين صرحا انهما يخدمان فيلسوفا لا يقولان بقوله والرجل يجب ان لا يتبذل في انتشار مبدأه الا مساعدة الذين يرتئون رأيه وقبوله معونة من سواهم حطة من قدره

وما زال كونت يدفع لامرأته مائتي ليرة سنويًا من ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٨ إذ هبطت رواتبه بدون سبب الى ثمانين ليرة ففتح المسيو ليتره وبعض الاصدقاء اكتتابًا لمساعدته فجمعوا من المال ما وسع عَلَى كونت ردحًا من الزمن وقد كان في جملة المشتركين بهذه الاعانة المستر ستيوارت ميل الذي لم يمنعه استياؤه من معاملة كونت عن مساعدته واسعافه

ويرى المطالع ان كونت لم يتصرف مع اصدقائه تصرفًا يليق برجل عظيم مثله لان نفسه جمعت الى خصاله الحميدة من رسوخ العزم وقوة الارادة والثبات والمثابرة عَلَى خدمة البشر نقائص مشينة من الغرور والعجرفة وإذا جاز التمثيل شبهنا كونت ببروتوس وكاتو

وإذا اراد الانسان ان يحب كونت وجب عليه ان يتصور حالته التعيسة وحياته المظلمة وخطوبه المتواترة وهو بين هذه الظلمات دائب على انجاز مهمته لا يكل ولا ينثني فما زال يركب الى غايته الخطوب حتى فاز بما اراد وكانت القوانين

153

الاساسية للعلوم الموجبة قبل عهده مطلقة مبهمة فجاء كونت موضحاً لها بما يزيل الاشكال ويقيم لها حدوداً بينة فكثر لذلك حساده ومزاحموه

ولم يكن كونت يكتب كلمة قبل ان يقرر الموضوع ويكتبه جملة فجملة بعد تهيئتها في ذهنه ومتى فرغ من احضارها جلس يكتب بيراع سيال فيسجل سلسلة من الافكار تجري على املاته بدون انقطاع ولا تردد لقوة ذاكرة كونت واستغنائه عن العود الى المذكرات ولكن اسلوبه الكتابي لم يكن بالحلة اللائقة لافكاره البراقة واذا كنا لانتوقع منه كتابة كالشعر في تأثيرها وسلاستها الا ان الكتابة في ارقى الموضوعات العلمية اذا لم تكن طلية مجها اكثر العلماء جلداً على الاستقصاء واذا قايسنا اسلوب كونت بغيره من الفلاسفة كهيوم وديدرو وباركله رأيناه ثقيلاً جافاً وربما وقعت في كتاباته على بعض العبارات المتينة الا ان جميع اصطلاحاته خالية من سلامة الذوق في الانتخاب وقد كان يكثر من ادوات الحال في بعض الجمل حتى لايثبت على مطالعتها الا من أوتي الصبر الجميل من تلامذته ولكن قوة فكره ونفوذ نظره وسمو آرائه تشرع له السبيل الى ذهن القارىء وتستر هذه النقيصة وتضعف تأثيرها واذا كانت مؤلفاته عظيمة فاسلوبه لا يؤلف جزءاً من تلك العظمة القائمة بماهية الافكار والممثلة رجاحة العقل الذي اوجدها . وركاكة اسلوبه ناشئة عن عدم مطالعته مؤلفات بلغاء الكتاب فهو لم يقرأ الا علماً كان يسميه علم حفظ الصحة الدماغية وقبل ان يتم فلسفته الموجبة لم يطالع سوى دواوين اثنين او ثلاثة من الشعراء في مقدمتهم دانتي واهمل ماسوى ذلك حتى قراءة الرسائل والمجلات ولكن اصدقاءه كانوا ينبئونه بكل حادثة جديدة في عالم الفن فأدى هذا الانقطاع الى تحرير نفسه من قيود الاجتماع والمؤثرات وظلت افكاره بمعزل عن الاعتبارات الخارجية واذا كان افاده من هذه الوجهة فقد اضره من الوجهة الاخرى فافرط في اهماله وضعف شعوره بالعالم الخارجي وقد وضحت فيه هاتان النقيصتان في اواخر ايامه

وقبل ان نتم ترجمة كونت نسرد حادثة جرت له سنة ١٨٤٥ يوم تعرف الى مادام دي ڤو :

كانت هذه العقيلة ايماً لأن زوجها حكم عليه بالسجن المؤبد ولانعرف الا اليسير عن اوصاف المرأة واخلاقها وكل مانعلمه هو انها وضعت قصة رفعتها في عيني كونت الى مستوى مادام جورج صاند ولم تكن هذه القصة في ذاتها شيئاً يستحق الذكر الا انها

دلت على ذوق سليم وفطرة حميدة فتوثقت بينهما روابط الولاء واصبحت العقيلة عزاءه في احزانه وافاضت على نفسه روح الهدوء والسكينة ولو طالت مودتهما لم يظهر اضطراب الفكر في كتب كونت الاخيرة الا ان الاقدار التي ناصبت الفيلسوف طول حياته فجعته بريحانة نفسه وموضوع سلوته سنة ١٨٤٦ فجزع لفقدها جزعاً شديداً ولازمه الحزن والغم فكان يخرج الى ضريحها مساء كل اربعاء اذا توارت الشمس في الحجاب يبلله بقطرات دموعه ويجثو في النهار ثلاث مرات احتراماً لذكرها فيستغرق في احزانه ويستسلم الى الجزع وكان تلامذته يقولون انه يقدم لها من الاحترام ما قدمه دانتي لحبيبته باتريس ويشبهون حاله بحال دالامبر بعد وفاة ليلياس

الباحثون في حياة كونت يقسمونها الى شطرين احدهما يمتد حتى تعرفه الى العقيلة دي ڤو والآخر بعد ذلك و يفرقون بين الشخصين كونت الذي كتب الفلسفة الموجبة وكونت الذي الف في السياسة الموجبة الا ان اعداءه يأبون كل تفريق في هذا الصدد و يقولون ان المختل الذي كتب في السياسة هو نفسه الذي كتب في الفلسفة

ولم يكد كونت ينتهي من نشر فلسفته الموجبة حتى بدأ بنشر سياسته وهذه بالطبع تستند الى تلك فنشر المجلد الرابع والاخير في سنة ١٨٤٨ وفي هذه السنة حدثت ثورة في فرانسا لم تبد طلائعها حتى هرع كونت الى تأليف جمعية دعاها الموجبة توقع ان يكون لها من الشأن في هذه الثورة ما كان لنادي الجاكوبيين في ثورة ١٧٨٩ واذا كان كونت لم يدرك جميع آماله في انشاء هذه الجمعية فقد ادرك بعضها باجتماع تلامذة الفيلسوف ووضعهم مذهباً فلسفياً جديداً كما يهوى ويختار

وكان كونت سنة ٤٩و٥٠و٥١ يلقي في القصر الملكي (باله رويال) في باريس محاضرات متتالية يحضرها عامة الناس وخاصتهم فيبحث في فلسفته ومعتقداته ودعاويه وقد ختم محاضرته الاخيرة بقوله :

« باخدمة البشرية والفلسفة والحقيقة يجب ان تتولوا زعامة العالم لأن ذلك حقكم الصريح واقصى اماني الانسانية تأليف حكومة اخلاقية مادية فكرية فان الحكومات التي قامت على دعامات الكثلكة والبروتستانية سقطت لان الناس اتخذوها وسيلة لاضرام الثورات وقضاء اللبانات »

ومن غرائب الاتفاق ان يقوم بعد هذه المحاضرة ببضعة اسابيع رجل يدعو الناس الى طاعته لا ليخدم الانسانية بل لدعواه انه صاحب الحق بالسلطة المطلقة وان يحمل

الناس عَلَى معرفته كذلك بالقوة القاهرة

وسنة ١٨٥٢ نشر كونت رسالة في مذهب الانسانية اظهر فيها ارتياحه الى ضربة لويس نابوليون للحكومة وانشائه جمهورية هو فيها الحاكم المطلق ومهما يكن من قيمة الفكر السياسية نجد عذراً لكونت في انه كتبه وهو لا ينتظر ان تؤول الحال لما آلت اليه من الضغط والاستبداد والجام المطبوعات

وأصيب كونت سنة ١٨٥٧ بداء السرطان وقضى في خامس عشر ايلول فانتهت حياة مرة تنكر لها الزمان وفي هذا اليوم من كل سنة يجتمع تلامذة الفيلسوف من انكليز وفرنساويين فينوهون بذكره و يقومون بمراسم سنوها لانفسهم وقد قبض كونت وهو دون الستين وهنا لا يسعنا الا ان نشارك جون مورلي في حزنه لعاقبة من اشد عواقب العمر ايلاماً وهي « ان يقضي ارباب الذكاء الخارق في تهالكهم عَلَى نشر افكارهم قبل ان يدركوا امانيهم وتنقاد لهم رغباتهم »

« فلسفته »

لا تعرف المقادير الا بقياسها وقياسها تواً يستحيل في الغالب وابسط الشواهد ما يعترضنا من المصاعب في قياس طول بالوحدة المترية اذ يشترط في صحة القياس ان ينطبق المتر على السطح كل الانطباق وادنى نتوء او غور يخل بالاستواء يعيد هذا القياس متعذراً تلك اهون المصاعب تعثرنا في اقل البسائط فكيف بها في ارقى المركبات كتقدير الابعاد بين الاجرام السماوية

ذاك ما قاد الفكر البشري الى وضع العلوم الرياضية فاذا تعذر او استحال علينا ان نقيس مساحة او نقدر كمية مباشرة توسلنا الى ذلك بالطرق الرياضية فجمعنا بين ما لا يقاس تواً و بين ما يقاس واستخرجنا الاولى من الثانية على قاعدة التناسب

فلكي نقيس مساحة نمثلها بشكل هندسي كالمثلث مثلاً ونعتبر المناسبة بين الاضلاع والزوايا فتسهل علينا معرفة المساحة · بهذه الوسيلة و بغيرها من نوعها تمكن الفكر البشري من تقدير الابعاد بين اجرام السماء وارتقى الى معرفة حجومها واشكالها الحقيقية وظواهرها الطبيعية وسعتها وامتدادها وقوة جاذبيتها الى غير ذلك من المعلومات التي بلغها بالوسائل الرياضية وغرض الرياضيات مقايسة الكميات وتقديرها بالواسطة وذلك يدرك بمعرفة النسبة بينها فالرياضيات اذن علم تستخرج بواسطته الكميات المجهولة من الكميات المعلومة

للمناسبات الصريحة الموجودة بينها

ماهي الكمية ؟

عرف الرياضيون الكمية انها مايقبل الزيادة والنقصان ويمكن تقديره بالوحدة القياسية (١)

فالعدد والطول والسطح والحجم والزمان والمكان وسرعة الجسم ووزنه وغيرهما من الاركان الداخلة في الحوادث الطبيعية هي كميات تتوفر صفتي الكمية فيهما وقد اكتفى الرياضيون بالمعلومات النسبية فلم يخطر لهم ذات يوم ان يحثوا في ماهية المكان والزمان والمادة لانها الأسس التي تقوم عليها المعارف البشرية فليس في الوسع ان تثبت او تعرّف ولهذا السبب حصر الرياضيون همهم في كشف النواميس التي تؤثر في هذه الكميات واظهار النسبة بين ما اجتمع منها في حادثة واحدة بدون ان يحاولوا بلوغ معلومات مطلقة

والرياضيات تثبت لنا ان في وسعنا استخراج بعض الكميات الداخلة في احدى الظواهر الطبيعية من البعض الآخر اذ لابد من وجود روابط بينها ولم يشهد الناس حتى اليوم ظاهرة فقدت فيها هذه الروابط ولكنها قد تدق حتى يتعذر على الباحث اكتشافها

اذا ابدلنا كلمة « كميات » في تعريف الرياضيات بكلمة « حوادث » كان لنا تعريف العلم الحقيقي فهو ما اوضح بعض الحوادث ببعضها الآخر مستنداً في ذلك على العلاقات الموجودة بينها . وكل علم يجمع طائفة من الحوادث ويؤلف بينها ويستخرج من جمعها نواميس عامة ويضع قواعد اذا جرينا عليها عرفنا نتائج حادثة بقياسها عَلَى حادثة ثانية من نوعها فاذا عجز عن ذلك لم تصح تسميته علماً

ثم اننا اذا جاعلنا كلمة «النواميس الطبيعية » بدلاً من « العلاقات بين الحوادث» كان ذلك اصح وقد خدمت الرياضيات في تعيين هذه العلاقات فوق خدمة كل ما سواها من العلوم فهي تدلنا على اقصى مايراد بالعلم واذا شئنا ان نقع عَلَى فكر صحيح في تحديده وجب علينا الرجوع الى الرياضيات فان الاصول العامة التي يقتضي ان يسري عليها الفكر في

(١) زاد المتأخرون الشرط الثاني من شروط الكمية اما المتقدمون فقد اكتفوا بالشرط الاول فكانت صلابة الجسم في عرفهم كمية لانها تقبل الزيادة والنقصان الا انها ليست كذلك عند المتأخرين فمع ان الاجسام تختلف في الصلابة الا ان هذه الصلابة لاتقاس بالوحدات

الابحاث لانصادفها في غير الرياضيات وليس من علم آخر يماثلها في حل المسائل حلاً تاماً و يفضي الى استخراج النتائج بدقة وضبط . هذه هي النقطة التي بدأ منها مذهب الكونتيزم لواضعه اوغست كونت

استنبط الفيلسوف التحديد العام للعلم من الرياضيات واقتبس منها الاصول التي يجب ان يجرى عليها في الابحاث العلمية اما اساس فلسفته فهو : ان الحوادث [1] كافة تجري عَلَى قوانين مقررة والعقل البشري يعجز عن معرفة منشأ الحوادث الازلي ومنتهاها الابدي وهذه حقيقة لاينكرها من كان ذا مشاركة في العلوم الطبيعية لأنه يعلم ان الغاية من ايضاح الحادثة الطبيعية ليس الا اظهار الاحوال والشروط التي يمكن معها حدوث مثلها وتعيين علاقتها بغيرها من الحوادث واليك مثلاً عَلَى ذلك

اكتشف نيوتن الجاذبية العامة فاوضح بها جميع الحوادث الفلكية وبين ان كثيراً من الحوادث التي كان الناس يتوهمون ان لاعلاقة بينها كالخسوف والكسوف والمد والجزر انما هي مظاهر مختلفة لحادثة واحدة عامة كنا نعبر عنها بالثقل فبتنا نفسر جميع الحوادث الفلكية بالجاذبية العمومية ولكننا نعجز عن معرفة ماهية الجاذبية وعلتها الاصلية فاذا سئلنا في ذلك لم يكن عندنا جواب وليس هذا كل مافي الامر بل ان الفلسفة الموجبة تثبت لنا ايضاً اننا لن نستطيع ادراك ذلك فعلينا ان نتخلى عن هذه المباحث لعلماء مافوق الطبيعة فاذا قال قائل ان اهتزازات الجواهر الفردية يسبب ذلك الثقل لا يكون قد اوضح مبهماً لان الاشكال ينتقل من الثقل الى الاهتزازات فلا يلبث المستطلع ان يسأل عن سبب الاهتزاز ايضاً

اذا اردنا ان نفهم الصفة المميزة للفلسفة المثبتة وجب علينا ان نتتبع الفكر البشري في ادوار ارتقائه وقد وضع كونت لذلك قانوناً عاماً اقنعته بصحته معلومات العصر الحاضر وشهادات العصر الماضي

وهذا القانون هو ان كل فرع من المعارف يمر في ثلاثة ادوار متعاقبة او حالات مختلفة اولها « الدور الوضعي » والثاني « الدور المجرد » والثالث « الدور المثبت » [2]

Etat fictif. Etat Abstrait Etat positif.

---

(١) ليس المقصود بالحوادث هنا الحوادث الطبيعية فقط بل ربما شملت الحوادث الاجتماعية

(٢) ودعاها ايضاً Etat théo-logique, métaphysique, scientifique

ونكتفي بذكر هذا القانون بدون ان نتقدم الى اثباته او معرفة نتائجه

شبه كونت الفكر البشري بخضوعه لنواميس الارتقاء وحالاته الثلاثة التي تتعاقب عليه بالانسان في ادواره الثلاثة من طفولة وشبيبة وهرم

ونشأت ثلاثة مذاهب مختلفة لايضاح الحوادث في الادوار الثلاثة اولها « الفلسفة الوضعية » والثاني « الفلسفة المجردة » والثالث « الفلسفة الموجبة » والاول مبدأ ارتقاء الفكر الانساني والثالث غاية ما بلغه والثاني الحلقة المتوسطة بين الاثنتين

اتجه فكر الانسان في الفلسفة الوضعية للبحث في اسباب الحوادث الازلية وغاياتها الابدية فتلقى تلك الحوادث آثاراً من فواعل ذات ارادة مطلقة يعزو اليها كل ماشاهده بدون ان يفكر في النواميس والسنن

وارتقت هذه الفلسفة فبدأت الفلسفة المجردة التي اقامت « القوى المجردة » مقام الفواعل الوهمية وهذه القوى عارية من الهيولى تسبب الحوادث المشهورة

اماالفلسفةالمثبتة فقد اقتنع واضعوها ان الفكر الانساني يستحيل عليه ان يدرك معلومات مطلقة فصرفوا نظرهم عن البحث في منشأ الكائنات ومصيرها وقصروا همهم على معرفة نواميس الحوادث فمزجوا بين المشاهدات والمحاكمات العقلية لاكتشاف هاتيك النواميس

لما ارتقت الفلسفة الموضوعة حتى قال الناس بالله واحد يدبر الكون بلغت اوج الكمال وغاية الارتقاء وادركت الفلسفة المجردة نهاية شوطها عند ماردت الحوادث الى الطبيعة ودعتها بالقوة العامة المجردة

اماالفلسفة المثبتة فهي تسعى لتوضح ان جميع المحسوسات ظواهر مختلفة لحادثة عامة فمتى تيسر لها ذلك بلغت ارقى درجاتها على ان هذا الارتقاء غير متيسر في الاحوال الحاضرة ولاتدل ظواهر الحال على امكان ذلك في المستقبل فاذا استطعنا ان نفسر حوادث النور والحرارة والصوت والكهربائية وشيئاً من حوادث المغناطيسية بقولنا انها نتيجة تموجات فاننا لانستطيع ان نفسر الحادثات الفلكية على هذا الوجه والفلسفة المثبتة جاهدة في اظهار العلائق بين الحوادث او القوانين الطبيعية وصفتها المميزة صرف الفكر البشري عن البحث في ماهية الحوادث لأنها لاتخوض في هذا المبحث بل تدعه الى الفلسفة المجردة التي توضح الأزل والأبد بسهولة تامة وتستقصي الاسرار العلوية حتى ادق خفاياها

يتساءل القارئ بعد ان عرف غاية الفلسفة الموجبة عن الحد الذي بلغته وعلى اي شيء يتوقف اكمالها وها نحن متطرقون في بحثنا الى ذلك

لم تمر المعلومات البشرية في الادوار الثلاثة بسرعة واحدة ولا ادركت الحال الثابتة في آن واحد بل كان اسرعها الى ذلك الحوادث الفلكية لبساطتها وسهولتها وتلتها الحادثات الفلسفية فالكيموية فالعضوية

ويتعذر علينا تعيين بدء انقلابها على التدقيق ولكننا نعلم انها اخذت بالارتقاء مذ أنشئت دور العلوم في اثينا والاسكندرية ومذ حمل العرب العلوم الطبيعية الى غربي اوربا وارشدوا اهليها الى نواميسها وما زالت تتكامل وتتدرج في مراتب الارتقاء حتى نبغ باكون وديكارت وكپلروغاليله فأثرت مآتيهم في الافكار البشرية تأثيراً شديداً ووضعت أسس الفلسفة الموجبة التي بدأت بالانتشار والشيوع منذ ثلاثة عصور ولكنها لم تحط بكل انواع الحوادث فإن هنالك نوعاً لم تذكره وهو الحوادث الاجتماعية

هذه الحوادث لاتزال محجبة النواميس كثيرة الابهام لم يكشف عن اسرارها الغطاء ولا استطاعت العلوم ان تحصرها تحت قوانين عامة وقد وضع الفكر البشري علم الميكانيكيات والحيوان والنبات وحان الزمان الذي يضع فيه علم الاجتماع فكان كونت اول من سمت به افكاره نحو هذه الغاية فرمى اليها في موسوعات مجلداته الستة التي اودعت ملخص المعلومات البشرية لان كونت لم يقصر همه فيها على الفلسفة الاجتماعية بل تعمد تدوين الفلسفة الموجبة فبحث في كل علم الى حد اظهار علاقته بغيره من العلوم واظهر تدرج كل منها في الارتقاء ودخوله في الدور الموجب وجعل اساس بحثه تعاقب الحوادث وارتباطها المنطقي فقسم العلوم الى ستة فروع كبرى تنضوي تحتها فنون مختلفة واليك هي :

(١) ٠ — الرياضيات (mathématiques)
(٢) ٠ — الهيأة (الفلك) (Astronomie)
(٣) الفلسفة الطبيعية ٠ — (Physique)
(٤) الكيمياء (Chimie)
(٥) الفلسفة العضوية (Physique organique)
(٦) الفلسفة الاجتماعية (Physique sociale)

وقدم كونت العلوم الرياضية بالذكر لأنها اقدم العلوم الموجودة واكملها وهي

اول ما دخل في الفلسفة الموجبة وقد راعى كونت في ترتيب هذه الفروع تاريخ ثبوتها ومما لاريب فيه ان الرياضيات بدأت مثبتة وما زالت ترتقي من اقدم عهدها الى اليوم وتلتها الهيأة فالفلسفة الطبيعية فالكيمياء فالحكمة العضوية رقي بها الى هذه الدرجة كپلر وغاليله ولافوازيه وبلنويل اما الفلسفة الاجتماعية فان كونت حسبها لم تؤسس بعد · واختلفت الفنون في بلوغ هذه المرتبة لتفاوت درجتها في السهولة فكان ابسطها اقربها الى الثبوت ·

وشرع كونت يفكر بعد ذلك في تعاقب هذه الفنون وارتقائها من ابسط النظريات الرياضية الى ارقى التصورات الاجتماعية فان ذلك الاستقصاء انما هو تتبع ارتقاء الفكر البشري والحوادث تجري عَلَى تسلسل طبيعي وهذا التسلسل هو بمثابة رابطة عامة بين النظريات المثبتة في الفنون المختلفة ورأى كونت ان بعضها يجب ان يكون له تأثير في الآخر فجعل العلوم الرياضية اول حلقة من السلسلة لأنها فعلت فيما بعدها لترقيته الى مرتبة الثبوت وجعل الفلسفة الاجتماعية الحلقة الاخيرة

قايس كونت بين الفكرين الرياضي والاجتماعي فلم يجد مندوحة عن ان يتخذ الاول دليلاً عَلَى نظريات الثاني المثبتة حتى اذا امكن حصر الارتقاء البشري تحت قوانين معينة استبدل الرياضيات بالفلسفة الاجتماعية لأنه وجد الاولى غير كافية لتأسيس فلسفة حقيقية تامة حتى قال : ان ما بذله المفكرون من المساعي في العصور الماضية لايجاد فلسفة جديدة تحل محل الفلسفة الموضوعة ذهب ادراج الرياح لان الذين حاولوا ذلك ارادوا ان يتخذوا الرياضيات ركناً ويشئوا مذهبهم باختلاف طفيف او كبير واذا امكن اقتباس حقيقة من الرياضيات فلا يمكن التوسع في ذلك الفكر وجعله عاماً فان الحوادث الرياضية التي ضبطت قوانينها (الهندسة والميكانيك) هي في غاية السذاجة فلا يمكن تطبيق شرائعها على المركبات وكثيرون من الرياضيين في عصرنا الحاضر يقولون ان غرائب الحوادث الفلكية والحوادث الاجتماعية الناتجة عن ارادة البشر وقدرتهم غير خاضعة لنواميس معينة

في الفلسفة الحكمية والكيموية لانجد خوارق مما يحملنا عَلَى القول ان جميع الحوادث هي ذات سنن مقررة لاتتغير ولكن الحوادث المبهمة المغلقة لايظهرها على هذا الشكل الا الفلسفة الاجتماعية فرجح لدى كونت ان يقيم مذهبه عَلَى نقطة اجتماعية وسعى في كشف النواميس الثابتة لهذه الحوادث وقد كان الباحثون قبله يستندون الى افتراضات او يستعينون

بفلسفة ما فوق الطبيعة فاراد كونت ان يجرد المبحث مما يخامره من الاوهام و يدخله في حال مثبتة

وكان كونت يقول بحرية الوجدان المطلقة يريد بذلك ان كل فكر وكل تعبير يستعمل للافصاح عنه يجب ان يعفى من كل انواع الجزاء من التنبيه البسيط الى الحكم بالجناية وتبسط في القول عَلَى ذلك حتى ادعى ان ليس من حرية وجدان في الهيأة والحكمة والكيمياء والفيسيولوجيا لان المرء اذا لم يقبل مبادئها الاساسية اتهم بالهوس وليست الحال كذلك في الاجتماعيات لان المبادئ القديمة قد اضمحلت ولم تخلفها بعد مبادئ جديدة

اما اصول علم الاجتماع فكانت كغيرها من الاصول العملية تستخلص من التجارب والمشاهدات عَلَى سبيل القياس والاستقراء فيطالع المستقرئ حوادث بسيطة يضع لها النواميس ثم يترقى الى الحوادث المركبة بطريق القياس فيستخرج قوانينها اذ ليس في وسع الباحثين استنباط القوانين العامة مباشرة من ملاحظة الحوادث المركبة ولكن كونت لاحظ ان الحال في العلوم الاجتماعية ليست كذلك فان حوادثها البسيطة تتألف من افعال الافراد وحواسهم ونواميس هذه لاتختص بها بل تشمل الطبيعة البشرية ذاتها والحوادث الاجتماعية انما هي نتائج تلك البسائط

وقد كان العلماء الى عهد كونت يحاولون اخذ العلم الاجتماعي المثبت من قوانين الطبيعية البشرية العامة ثم يجعلون الوقائع التاريخية دليلاً عَلَى صحة تلك الاستنتاجات فرد كونت هذه النظرية وقال اذا دلت القوانين العامة عَلَى مالا يؤيده شاهد من التاريخ وجب علينا ان نحكم بفساد التاريخ واختلاله لان صفحاته الاولية مهزعة وكلما اعرق الناس في الحضارة ازدادوا دقة في تدوين الحوادث واذا كان التاريخ يدلنا عَلَى مجرى الرقي البشري في غابر العصور فهو لا يوجب اتخاذ ذلك المجرى سنناً ولا يضع قانوناً فمتى شئنا معرفة القوانين تعين علينا ان نعود الى علم النفس (البسيكولوجيا)

ان قوانين الطبيعة البشرية العامة هي في جملة موضوعات علم الاجتماع غير انها تختلف في استعمالها عن القوانين في العلوم الطبيعية فان التجارب الخصوصية في هذه تؤدي عن طريق القياس الى استخراج القوانين العامة وفي العلم الاجتماعي نبلغ الناموس العام من التجربة الخاصة ثم نستخرج عن طريق القياس نتيجة تؤيد صحته

والفلاسفة الذين اشتغلوا في نظريات الاجتماع لم يكونوا يعتبرون التاريخ سلسلة

من الاسباب والنتائج بل كانوا يتلقونه كاقاصيص متفرقة لا رابطة بينهـا حتى جاء كونت فبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد وجعل التاريخ من اكبر مآخذ العلم الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي — كما قال استوارت ميل — واذا كان لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لايجاده وفلسفته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي ستخلد اسمه بين مشاهير الفلاسفة

دمشق : جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس عَلَى عبد تقي نقيصة اذا صحح التقوى وان حاك او حجم

(ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب اهملوا الصناعات بل استنكفوا منها لانهم لم يقولوا (آل الحائك) خشية تحقير المضاف والحقيقة هي ان قدماء العرب لم تنصرف افكارهم الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا منسوجات غيرهم فلم يتقنوا الحياكة على انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما تفننوا فيه منها مثل الموركو والكوردوفان لنوعين من الجلود التي دبغها العرب الاول في مراكش والثاني في قرطبة . والدامسكو للنسيج الدمشقي المشجر . والدامسكين للترصيع المعدني الدمشقي والموصلين لنسيج عرفت به الموصل وصناعة الشفار والسيوف التي اخذوها من دمشق الى غير ذلك مما لايحصى . ولهم تآليف كثيرة في الصناعات يحضرني منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها . ورسالة اخرى في مايطرح على الحديد والسيوف حتى لاتنثلم ولا تكل للكندي ايضاً . وغيرهما كثير لامحل لذكره الآن . ولقد ذكر جاهليو العرب بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معلقته مشبهاً الناقة :

كقنطرة الرومي أقسم ربهـا لتكتنفن حتى تشـاد بقرمد

وقوله :

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر   كسبت اليماني قده لم يجرد

وقوله :

وعينين كالماويتين استكنتا   بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكروه كثيراً في اشعارهم مثل قول النابغة :

وعريت من مال وخير جمعته   كما عريت مما تمرُّ المغازل

وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في الالياذة بلسان هكطور بطل ترواده عند توديع زوجته اندروماك وطلبها منه ان لا يسير الى الحرب من موشح بليغ :

ولكلٍّ عمل فامضي كفى   واشغلي اعمال ربات السديل

فلك النسج وفتل المغزل   ولنا اعمال سمر الذبل

ووصف هيلانة تطرز بابرتها في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً   بحواشي البرفير والارجوان

وبرأس الخياط ترمم فيه   واقعات ابلت بها الفتنان (١)

وقال ابو العلاء المعري (٢) في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن   م وخلوا كتابةً وقراءه

وقال ند-ملتن كبير شعراء الانكليز مايقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب : « اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول اله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » : وقول موسى الهادي الخليفة العباسي لامه الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لقضاء امالهم : « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك. امالك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك » . وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على سبيل المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لاتخف عيلةً ولا تخش فقراً   ياكثير المحاسن المختاله

لك عين وقامة في البرايا   تلك غزالة وذي فتاله

---

(١) هذه الابيات من الالياذة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

(٢) راجع ترجمة المعري في السنة الماضية (الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب هذه المقالة

واقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وامكنتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منهم ماوصلت اليه يد البحث تذكرة لقوم يعقلون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف بزازين وعمر بن الخطاب دلالاً فتاجراً . والوليد بن المغيرة وابو العاص اخو ابي جهل حدادين . والنضر بن الحارث عواداً يضرب بالعود . والعاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل . وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كانا خزازين يبيعان الخز (وهو التباس يقع في التصحيف) . والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن مخرمة . وكان مالك بن دينار وراقاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً . وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد العجم الى ماوراء النهر جمالاً . وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للنبال . وابو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم . وعبدالله بن جدعان نخاساً يبيع الجواري . والحكم ابن ابي العاص خصاء يخصي الغنم ومثله حريق بن عمر والضحاك بن قيس الفهري وابن سيرين

وكان سفيان بن عيينة معلماً ومثله الضحاك بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبدالحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيدالله القاسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهذيب وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف . وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً (يبيض الثياب) وابو العتاهية الزاهد يبيع الفخار في الكوفة فسمي الجرار . وابو تمام الشاعر كان سقاء وقيل خادم حائك . والمتنبي ابن سقاء في الكوفة . والعكبري في اول امره منجماً ثم صار نحوياً . وحماد عجرد الشاعر باري نبال . وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصر ويبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يخرط الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبدالله القفال المروزي الفقيه يعمل الاقفال . وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد . وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه بواباً فسمي بابن البواب . وابو القاسم الزاهي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) . واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا منسوبين الى عمل الغزل على طريقة النسبة عند الخوارزميين اذ يقولون القصاري والعطاري في القصار والعطار .

وابو بكر ازهر بن سعد السمان الباهلي البصري كان يبيع السمن . وابو غالب تمام التياني اللغوي القرطبي كان يبيع التين . وابو القاسم الجنيد لقب بالخزاز والقواريري لانه هو عمل الخز ووالده عمل القوارير . وابو علي الحسين الكرابيسي البغدادي نسب الى بيع الكرابيس وهي جمع كرباس بالفارسية بمعنى الثياب الغليظة وهي اشبه بالخام عندنا . وابو محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء ويبيعها . وابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد حلج القطن فنسب اليه . ومؤيد الدين الطغرائي نسب الى كتابة الطغراء . وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات باع الزيت ومثله كثيرون لقبوا بلقبه مثل محمد بن زيات وزير المعتصم وغيره . وابو عمرو خليفة بن الخياط العصفري نسب الى الخياطة والصبغ بالعصفر . وابو المعالي سعد بن علي المعروف بالحظيري (بالظاء المشالة) الوراق لقب بصناعته دلال الكتب . ورشيد الدولة فضل الله الهمذاني طبيب خربنده التتري كان في اول عمره عطاراً فصار يدبر ممالك التتر . وابو منصور عبد الملك الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعملها فراء . وابو القاسم عثمان الانماطي الفقيه كان يبيع الانماط وهي البسط التي تفرش . وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . وابو الحسن علي بن عبد الله السمسماني اللغوي نسب الى السمسم . وابو الحسن علي بن الحسن القاضي الملقب بالخلعي كان يبيع الخلع لاملاك مصر . وابو الحسن بن وصيف المعروف بالناشيء الاصغر كان جده وصيف مملوكاً وابوه عبد الله عطاراً وهو حلاء اي عامل الحلي النحاسية للتزين . وابو القاسم عمر الخرقي الفقيه نسب الى بيع الخرق اي الثياب البالية . وابو القاسم عمر بن محمد المعروف بابن البزري نسب الى عمل البزر وبيعه والبزر عندهم اسم للدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصبحون اي يسرجون المصابيح . وكان ابن سيرين المشهور بتعبير الرؤيا ابن صانع قدور من نحاس . وابو عمرو المطرز الباوردي غلام ثعلب كان مطرزاً . وكان والد البحراني الشاعر الاربلي تاجراً يتردد الى البحرين ويصيد اللآلئ من مغاوصها . وفخر الملك وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي كان ابن صيرفي . وابو بكر الرازي الطبيب كان في اول امره مغنياً عواداً . وابو الحزم مكي الضرير المقري النحوي كان ابن صانع انطاع . ونصر الخبزأرزي الشاعر كان يخبز ارغفة الارز بمربد البصرة . وابو الفرج محمد الغساني الملقب بالوأواء كان منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه . وكان بشار ابن برد الشاعر الشهير ابن طيان حاذقاً

بصناعته واخواه بشر وبشير كانا قصابين · وفتيان الشاغوري لقب بالمعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك · وابو محمد القاسم الحريري نسب الى بيع الحرير او عمله · والقاضي ابو بكر محمد الباقلاني البصري نسب الى بيع الباقلى · وابو الحسين الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة · وسراج الدين الورّاق الشاعر الوراقة · وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي لقب بالمهندس لحذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحات حجارة ونجاراً واكثر ابواب البيمارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالعادل في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس على نفسه واصلح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص · وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف النجارة واشتغل الآلات الهندسية وكان عواداً وعمل الارغن · والبديع الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب · وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي البغدادي العالم نسب الى نقش السيوف والجدران لممارسته ذلك وحذقه به · وابو العباس محمد بن صبح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبيعه · وابو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج · وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي الملقب بالقزاز القيرواني نسب الى عمل القز وبيعه · ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب المروية فنسب اليها · وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق وبيعها · وابو يزيد وثيمة الوشاء كان يتجر بالثياب المصنوعة من الابريسم الموشاة · ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقتنى مكتبة من صناعته · وشمس الدين الدهان الدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان · والنصير الحمامي كان يتحرف باكتراء الحمامات ويستجدي بشعره · وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد ويبيعه · وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة · وابو عبد الله محمد بن الكيزاني الشافعي المعروف بابن الكيزاني الشاعر كان بعض أجداده يعمل الكيزان ويبيعها فنسب اليها · وابو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن الرداد المؤذن البصري عمل المقياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة · ونجم الدين المنجنيقي الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً على المنجنيقيين ببغداد فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

160

وعدت الى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالين من قصد حائط

ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره فمال الى العلم واتقنه . وكان علي بن رضوان الطبيب بن فران . ومن اغرب العلماء ارباب الصناعات كشاجم الشاعر فان اسمه منحوت من صناعاته فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك

ومن متأخري العلماء من نسب الى الصناعات مثل القزديري وابن الطباخ وابن العطار والاسطواني وابن الكيال وابن السقاف وابن السمان وابن الحجار وغيرهم كثير

وممن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد مارسوها ابو جعفر احمد المرادي النحاس النحوي المصري . وابن الخياط الدمشقي . وابو بكر بن عياش بن سالم الخياط الاسدي الكوفي . وابو محمد سعيد بن الدهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر الحداد الشاعر الاسكندري . وابن الدهان الموصلي المعروف بالمهذب . وابن شاس المنعوت بالخلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نصر عبد السيد ابن الصباغ الفقيه . وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي اللغوي . وابو الحسن علي بن القصار اللغوي . وابو بكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرفاء الاندلسي الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن الصائغ الحلبي . وابو المحاسن شهاب الدين الشواء الحلبي الشاعر . وابن النجار الدمشقي الشاعر . وابراهيم الحائك وقيل المعمار او الحجار غلام النويري المصري الشاعر الزجال . وبكر بن علي الصابوني . وجوبان القواس الشاعر . وابن البيطار النباتي الشهير . وعبد الله بن محمد المغربي الملقب بالعطار الشاعر . وعبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط . وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التميمي . وابو المعالي البقال الاديب . وابن الصفار الماردبني . وابو حفص الشطرنجي شاعر المهدي وابنته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الشاعر . ومجاهد بن سليمان المعروف بالخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد بن الصابوني الصدفي الاشبيلي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن النجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الأُخر مثل ابي عبد الله

الفرضي الحاسب . وابي حفص عمر بن الفارض الشاعر . وابن المعلم الواسطي الشاعر . وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب . والبتاني الراصد وغيرهم كثير

ومنهم من تدل اسماؤهم عَلَى انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتعاطوها مثل ابي سليمان حفص ابن سليمان الخلال الهمداني فانه لم يكن خلالاً ولكنه كان يجلس الى محل للخلالين قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال . ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صحب ابا اسحق ابراهيم بن السري الزجاجي فنسب اليه . وابو سعيد الصدفي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر . وكثير من العلماء لقبوا بالعسكري ولم يكونوا عساكر ولكنهم نسبوا الى (سر من رأى) الملقبة بالعسكر حيث نشأوا لان المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر ومنهم ابو الحسن العسكري من اهل القرن الثاني للهجرة . ومنهم من سموا باسم عسكر مكرم من كور الاهواز مثل ابي القاسم محمد العسكري وغيره . وابو الحسن الكسائي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل مرة عَلَى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب اليه . وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه قاشان في بلاد فارس . وكمال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء ومن النكت باسمه انه قيل عنه (الفراوي الف راوي) . وابو بكر الآجري الفقيه لم ينسب الى صناعة الآجر (القرميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد . وابو بشر محمد الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته كانت الوراقة فلقب بالوراق وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توهم بعضهم انه وضع الشطرنج أو صنعه والصحيح انه اشتهر باللعب فيه . والفراء النحوي اللغوي الكوفي كان يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا اللقب وابو عمرو بن دراج القسطلي نسب الى قسطلة في الاندلس لا الى عمل القساطل للمياه . ويونس الصدفي المصري الفقيه لم يعمل الصدف بل لسبب آخر سمي بالصدفي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا اللقب . ومحمد بن الحسن الصائغ العروضي اقام بالصاغة زماناً يقرئ الناس فلقب بالصائغ الى غير ذلك وهم كثيرون

هذا ماوصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعته تبصرة وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير . عَلَى ان الافرنج كثيرو

الولع بالصناعات مما سأفرد له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى . ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين واسماء الأُمر التي تذهب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها . فحبذا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرانينا وولع مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدراهم و يشغل الاوقات و يعود عَلَى البلاد بالنفع والا فان اقتصارنا على العلوم اللغوية واللسانية جمود فلنتخذها مفتاحاً للعلوم الطبيعية:

بزراعة وصناعة وتجارة تجد البلاد تقدماً وفلاحا
اسباب عمران فشيد صرحها وخذ العلوم لنيلها مفتاحا

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا مراء ان من يشتغل بالكتابة ويتوغل في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الالفاظ المفردة مايربك ذهنه واذا راجع كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يجلوله وجه الصواب فان علماء العربية على كثرة ما ألفوا في علمي الصرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتنبيهات والمفردات ما قد ترى بعضه في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العنوان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وقد اجتمع لديَّ كثير من هذه الدقائق فلم ادخرها لنفسي بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأدباء من وراء نصبي فائدة وابتغاء تخليص العبارة من علل الخطأ فان في بعض المنشورات الحديثة ما يذوب له قلب البلاغة وتدمع له عين الفصاحة واكبر نصير لتلك المنشورات على تشويه محيا البيان اختلاط الغث بالسمين فبينا تمر فيها بالبليغ اذا بك قد وقعت في ارك تركيب حتى ان المنشورات العامية العبارة اخف جناية عَلَى الفصاحة مما اجتمع فيه الصحيح بالمعتل فيلتبس عَلَى الضعفاء من اهل الادب العليل بالصحيح والخطأ بالصواب فيتخذون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة عَلَى الفصاحة فمن هنا تعلم ان نشر مثل هذه المقالات المتمة للناقص والمبينة للمبهم هي أوسع فائدة واجل نفعاً وأرفع شأناً من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه تربي عَلَى الالوف كما هي الحال في علم العربية

الدقيقة الاولى

قد اجازوا ان تخاطب جماعة النساء خطاب الواحدة كما أجازوا ان ينعت و يخبر عن الجمع المكسر بالصفة مفردة فيقولون عيونهم نائمة وما اجمل العيون الحوراء . ولم أجد من نبه عَلَى ذلك فيما وقفت عليه من كتب النحو والصرف مع انه وارد في كلام من بنيت عَلَى كلامهم قواعد التصريف والاعراب قال علقمة بن علف المري وهو من شعراء الحماسة

ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود

وقال آخر

قد كتب الحسن علي وجهه يا أعين الناس قفي وانظري

فقال الاول (رجالك) مكان (رجالكن) وقال الثاني (قفي وانظري) مكان (قفن وانظرن)

الدقيقة الثانية

من حق الضمير ان يطابق مرجعه تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وتثنية وجمعاً وكذلك اسم الاشارة كما هو معلوم عند صغار الطلبة ما خلا اسم الجمع فقد فضلوا في الاضمار له مراعاة اللفظ عَلَى مراعاة المعنى قلت لكن متى كان المقام يقتضي الكثرة كانت مرعاة المعنى عين مقتضى الحال فيقال هؤلاء قوم كرام وهذا قوم كريم وهذا شعب شجاع وهؤلاء شعب شجعان وكذا حكم اسم الجنس فيقولون ورق خضر باعتبار المعنى وورق أخضر باعتبار اللفظ قال ابو خراش الهذلي

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها وتظهر في اطرافها الورق الخضر

ولم اجد من زاد عَلَى ذلك لكني رأيت في كلام من يوثق بهم جواز مطابقة الضمير واسم الاشارة للخبر. فان كان المرجع مؤنثاً والخبر مذكراً أجازوا الاتيان بضمير المذكر. وكذا اذا كان المرجع مذكراً والخبر مؤنثاً . مثال الاول قول التبريزي في شرح الحماسة « فائدة اذن هو انه أخرج البيت مخرج الجواب » ومثال الثاني ماجاء في كامل المبرد من قوله « اذا صب لبن حليب عَلَى حامض فهي المرخة » وهذا فاش في كلام الفصحاء وقد جاء في سورة الانعام « فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي » مكان هذه ربي . قال صاحب الكشاف « فان قلت ما وجه التذكير في قوله « هذا ربي » والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارةً عن شيء واحد . وقال صاحب انوار التنزيل « ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث »

الدقيقة الثالثة

متى أريد بالمفرد العموم ولو لم يكن اسم جنس جمعي كالشجر او اسم جمع كالشعب والقوم جاز ان يعامل في نعته والاضمار له والاخبار عنه معاملة الجمع وهذا مبني عَلَى اعتبار المعنى فقد جاء في سورة الانعام « وما من دابةٍ في الارض ولا طائرٍ يطير بجناحيه الا امم امثالكم » قال الزمخشري « فان قلت كيف قيل امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه دالا عَلَى معنى الاستغراق ومغنيًا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم عَلَى المعنى » وقال البيضاوي و « جمع الأمم للحمل عَلَى المعنى » ومثله في القرآن ايضاً « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا » وذلك لان قوله كم من ملك في معنى كم ملائكة

الدقيقة الرابعة

في الفرق بين « نادها لو تسمع » وبين « حيها هل تسمع »

قال التبريزي في شرح قول مويلك في رثاء امرأته

أمرر عَلَى الجدث الذي حلت به أم العلاء ونادها لو تسمع

ويروى « حيها هل تسمع » والفرق بين (لو) هنا وبين (هل) ان (لو) فائدته الشرط هنا والكلام به كلام من غلب القنوط عليه من ادراكها تحية من زارها و (هل) من حيث كان للاستفهام يصير الكلام به كأنه كلام راج او طامع في سماعها ويكون المعنى حيها وانظر هل تسمع

الدقيقة الخامسة

حق رب ان تدخل عَلَى الماضي ولكنها جاءت في سورة الحجر داخلة علي المضارع حيث قال « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » قال الزمخشري لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود

الدقيقة السادسة

ان الفاء التي تلي همزة الاستفهام انما يراد بها التعقيب قال الزمخشري في تفسير قول القرآن « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك

الدقيقة السابعة

(فضلاً) مصدر يتوسط بين الادنى والاعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاده عن

الوقوع عَلَى نفي الاعلى واستحالته فيقع بعد نفي اما صريح كقولك لا يملك فلان الدرهم فضلاً عن الدينار واما ضمني نحو · وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان ترقى الى الكلام المؤسس عَلَى علمي المعاني والبيان · واكثر الكتبة المعاصرين ذاهلون عن هذا الحكم فيستعملون فضلاً في الايجاب كقولك زيد بارع في صيد البر فضلاً عن براعته في صيد البحر وهو مخالف للقاعدة المذكورة مغاير لمنهج البلغاء

الدقيقة الثامنة

قد فشا في كتب علماء الصرف ان (يدع و يذر) قد اميت ماضيهما حتى صار ذلك معلوماً لصبيان المكاتب ولم اعثر في قديم الكلام عَلَى مايخالف ذلك الا في بيت من قصيدة عينية لسويد بن ابي كاهل اليشكري وهو

فسعى مسعاتهم في قومه ثم لم يظفر ولا عجزاً ودع

قال الشارح : اي سعى مسعاة ابيه في قومه فلم يظفر بالمراد ولا ترك عجزاً الا استعمله والقصيدة من مختارات المفضل الضبي فيؤخذ من ذلك ان للمضطر ان يحيي ما أُميت كما احياه سويد

الدقيقة التاسعة

لم يذكر النحاة شيئاً في اعراب (حاش لله) وهي في موضع النصب عَلَى المصدرية · وانما بقيت عَلَى بنائها كبقاء « عن » عَلَى بنائها في نحو جلس من عن يمينه · ذكر ذلك الزمخشري في تفسير سورة يوسف

الدقيقة العاشرة

من سنن العرب انهم يقولون في نحو بني العنبر بلعنبر وكذلك يفعلون في كل مافيه ألف ولام اذا لم يكن ثم ادغام فيقولون بلعجلان وبلحارث في بني العجلان و بني الحارث فان كانت لام التعريف مدغمة مثل النمر لم يحذفوا النون من بني

الدقيقة الحادية عشرة

اذا توالت النعوت او الاحوال وترك العطف كان ذلك اشارة الى ان كل نعت صفة كال عَلَى حدة كقول الزمخشري في مقدمة الكشاف « انشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه »

الدقيقة الثانية عشرة

قد اجاز العروضيون وصل همزة القطع لاقامة الوزن وقد عثرت في شرح القصيدة

التي هجا بها حسان بن ثابت مسافع بن عياض التيمي عَلَى ما نصه « قوله اواصحاب اللوا الصيد » خفف الهمزة . وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها عَلَى الساكن كقولك من ابوك كذا ذكره المبرد في كامله

الدقيقة الثالثة عشرة

ان كثيراً من كتب النحو المتداولة تنص علي وجوب نصب الفعل بعد فاء السبب في جواب النفي والصحيح ان ذلك غالب لاواجب بدليل قول الحارثي وهو من شعراء الحماسة

فما حيلتي ان لم تكن لك رحمة   علي ولا لي منك صبر فأصبر

وقد جاء في القرآن بالرفع بعد الفاء حيث قال « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ذكر ذلك سيبويه والدماميني ونقله الصبان في باب النواصب

الدقيقة الرابعة عشرة

ان (احداً) لا يستعمل الا مسبوقاً بالنفي ما لم يضف نحو قام أحد الاربعة او يقع نعتاً لله نحو هو الله الاحداو يصاحب اسماء العدد كقولك عندي احد وعشرون رجلا هذا ما صرح به في كتبهم ولقد رأيت البلغاء يستعملونه قبل النفي كقول الزمخشري واعلم ان احداً غيره لا يقوم مقامه فيؤخذ من ذلك ان الشرط مصاحبة النفي سواء تقدم ام تأخر خلافاً لما يفهمه اكثر الادباء من وجوب الوقوع بعد النفي

الدقيقة الخامسة عشرة

قد انكر احد من ادركنا من اهل العصر علي احد المعاصرين قوله « قال يوحنا فم الذهب » وقال الصواب ان يقال الذهبي الفم . قلت ان هذا الانتقاد خطأ لان فم الذهب لقب ليوحنا فهو بدل منه لا نعت له عَلَى حد قولهم جاء زيد زين العابدين . وذهب عمرو انف الناقة

الدقيقه السادسة عشرة

قد انكر بعضهم استعمال المربض لغير الغنم استدل بنصوص من كتب اللغة كالصحاح والمصباح . وقد رأيت في الصفحة ٦٢٦ من الجزء الاول من الكشاف في تفسير سورة يوسف ما نصه « وهو جاثم في مربضه اي الطائر » ومثل الزمخشري جدير بان يوثق بكلامه

الدقيقة السابعة عشرة

قد انكر بعضهم جمع برهان عَلَى برهانات وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ في

الصفحة الثامنة ما نصه « ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة فيكون انكاره خطأ وانتقاده غلطاً

الدقيقة الثامنة عشرة

قد يخبر عن الجمع بالمفرد ولكن عَلَى تأويل قال القرآن « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » انما وحد ضداً وحقه ان يكون جمعاً لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم وقال القرآن ايضاً « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام يريد ذوي جسد ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي جسد من الاجساد ومثله «وما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين» ومن هذا الباب قول القرآن ايضاً « ثم نخرجكم طفلاً » قال المفسر . طفلاً حال اجريت عَلَى تقدير كل واحد

الدقيقة التاسعة عشرة

قد ورد في الشعر خطاب المرأة بضمير الرجال وذلك كقوله

فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم لشيء ولا اني من الموت أفرق

وكقول سعيد بن حميد يخاطب محبوبته فضل الشاعرة

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً وبعض الظن اثم ومنكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

ومن هذين الشاهدين تعلم انه يخاطب المرأة بضمير المؤنثة المخاطبة وبضمير جمع المذكر العاقل وهو جائز حيث يؤمن اللبس

الدقيقة العشرون

اذا كان المتكلم في فن ثم شرع في فن آخر من الكلام يصدر الكلام الجديد بقوله (اعلم) تنبيهاً علي الانتقال — ذكر ذلك الزمخشري في كشافه

الدقيقة الحادية والعشرون

من سنن العرب ان يستغنى بذكر الشيء عن ذكر نقيضه قال المثقب العبدي

ولا تعدي مواعد كاذبات تمرُّ بها رياح الصيف دوني

اراد رياح الصيف والشتاء فاجتزأ بواحد منهما ومثل ذلك قول القرآن « سرابيل تقيكم الحر » لم يذكر البرد وهي تقي الحر والبرد فترك البرد اجتزاء بذكر الحر

الدقيقة الثانية والعشرون

من التراكيب المستفيضة الواردة عن البلغاء ما تقدر فيه الجملة بالمفرد . من ذلك

قولهم ما ترى لنا أنهرب ام نقيم والتقدير ما ترى لنا الهرب ام الاقامة . وهذا لم اجد من تعرض لذكره . نعم قالوا في باب ام المتصلة انها تقع بين جملتين في تأويل المفرد نحو قول القرآن « سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون »

عَلَى أنهم لم ينبهوا عَلَى ان الجملة تسبك بمصدر الامع الاحرف المصدرية

الدقيقة الثالثة والعشرون

قد رأيت من الادباء من ينكر استعمال صار بمعنى حصل وهذا خطأ جلبه نقص العلم فهي تأتي بمعنى حصل ومن تتبع كتب اللغة يرها واردة بهذا المعنى في عدة مواضع من ذلك ما جاء في مادة (و ق ع) ونصه « وقع في ارض فلاةٍ صار فيها »

الدقيقة الرابعة والعشرون

ان اكثر الأدباء يرون قول العامة بقي فلان بفرد يد خطأ وصوابه « بيدٍ واحدةٍ » والحال انه عربي فصيح فقد جاء في اخبار دعبل في كتاب الاغاني فحلف انْ لا يبيعها (اي الحلة) او يعطوه بعضها ليكون في كفنه فاعطوه فردكم اي كمّاً واحداً وقد ورد هذا في غير الاغاني من كتب البلغاء

الدقيقة الخامسة والعشرون

لم أرَ من نص علَى ان حيث تقع في مقام التعليل مع انها وردت للتعليل في كلام البلغاء كالزمخشري والبيضاوي قال الاول « والامر عَلَى عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون » وقال الثاني وما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام » وهي في كلام هذين الامامين بمعني لانّ

الدقيقة السادسة والعشرون

اذا جاز في لفظ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى فان روعي احدهما في جملة جاز ان يراعى الآخر في أخرى . قال في سورة الحجر « وما تسبق أمة أجلها وما يستأخرون » وقال غلاق بن مروان وهو من شعراء الحماسة

فاضحت زهير في السنين التي مضت   وما بعد لا يدعون الا الاشائما

الدقيقة السابعة والعشرون

اذا قيل لا اشجع من عمرو ولا أجبن من خالد ولذلك يشبه بهما كل متناهٍ في الشجاعة وكل متناهٍ في الجبن يكون المراد ان كل متناهٍ في الشجاعة يشبه بعمرو وكل متناهٍ في الجبن يشبه بخالد — لا ان كل متناه في الشجاعة يشبه بخالد ولا كل متناهٍ في الجبن يشبه بعمرو

خلافاً لما يماري فيه من يدعون التعمق في علم العربية وانما هم واقفون عند ظواهرها وتعزيزاً لهذا اروي لك ما يبين لك الامر كالصبح قال البيضاوي في تفسير سورة يوسف « وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما اه يريد ان كل متناهٍ في الحسن يشبه بالملك وكل متناهٍ في القبح يشبه بالشيطان

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

المقتبس

الفروق

للعرب كتب كثيرة في الفروق افردوها في التأليف وقد ذكر منها صاحب كشف الظنون رسالة في فروق الاصول وأُخرى في فروق فروع الحنفية للكرابيسي النيسابوري المتوفى سنة ٧٧٤ وغيرها للشيخ الكرابيسي السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٢ وثانية اسمها فروق الكرابيسي المسمى بتلقيح المحبوب ورابعة في فروق فروع الشافعية لابن سريج وأُخرى للجويني ولابن النقاش وللترمذي (٢٥٥) وللأرموي (٧٧٢) قال ذكر الاسنوي في مطالع الدقائق ان المطارحة بالمسائل ذوات المأخذ المؤتلفة المتفقة والاجوبة المختلفة المفترقة من مآثر افكار العلماء وقال قد رأيت لاصحابنا في هذا المعنى تصانيف منها ما هو موضوع لهذا المعنى بخصوصه ومنها ما هو مشتمل على اعم منه فمن الاول كتاب الجمع والفروق للشيخ ابي محمد الجويني ومنه كتاب الوسائل في فروق المسائل مجلد ضخم لابي الخير سلامة بن اسمعيل بن جماعة المقدسي ومن الثاني كتاب المطارحات لابي عبد الله القطان ظفر به الرافعي ونقل عنه في كتاب الغصب ومنه المسكت بالسين المهملة والتاء المثناة لابن عبد الله الزبيرى ومنها المعاياة لابي العباس الجرجاني وهذا الباب واسع جداً اشتمل عَلَى الغث والسمين اه

ومن جملة المخطوطات التي حوتها خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني مخطوط فيه اربع رسائل وسم اولها بكتاب المتوكلي يذكر فيه ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية وغير ذلك لجلال الدين السيوطي والثانية الاحاديث الثمانية المنتخبة من نوادر

الاصـول العالية لابي الضيا البوتيجي و يليه حسن النسيم بدار النعيم للطبلاوي و يليه المنتخب من كتاب الفروق لابي هلال العسكري. وليس عَلَى المجموع كتابة يعرف منها تاريخ كتابته الا ان الظاهر من خطه وورقه انه حديث وربما كانت الرسالة الاخيرة منه في الفروق اقدم من الثلاث الاولى لانهـا مكتوبة بخط نختلف عن الخط الاول ولم يذكر فيه اسم صاحبها والغالب انه تركي كتب عَلَى حاشية الصفحة الاولى ما نصه : « الفرق بين الاسامة والاسد ان الاسد اسم للجنس والاسامة علم للجنس. الفرق بين علم الجنس واسم الجنس ان علم الجنس موضوع للماهية المشتركة واسم الجنس موضوع للافراد چلبي » وقال عَلَى الحاشية « الانسان والفرس والبقر فانها علم للحقيقة المشتركة بين المذكر والمؤنث شرح » وفي آخر الرسـالة : « تمت (؟) الكتاب بعون الملك الوهاب . » وبذلك يستدل عَلَى اعجمية الكاتب والمختصر واليك الرسالة برمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اما بعد حمد الله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد وعَلَى سائر رسل الله وملائكته المقربين والرضى عن الصحابة والتابعين فهذه شذرة علقتها من كتاب الفروق لابي هلال العسكري رحمه الله

الفرق بين الاختصار والايجاز ان الاختصار هو القاؤك فضـول الالفاظ من كلام مؤلف سبق حدوثه من غير اخلال بمعانيـه والايجاز هو الكلام على قلة اللفظ وكثرة المعاني

الفرق بين الاطناب والاسهاب ان الاطناب بسط الكلام لتكثير الفائدة والاسهاب بسطه مع قلتها فالاطناب بلاغة والاسهاب عيّ [1]

الفرق بين المحال والممتنع عَلَى ماقاله بعض العلماء ان المحال ما لايجوز كونه ولا يتصور مثل قولك الجسم اسود ابيض في حالة واحدة والممتنع ما لا يجوز كونه ويجوز تصـوره في الوهم مثل قولك للانسان عش ابداً

الفرق بين الانكار والجحد ان الجحد اخص من الانكار لان الجحد انكار الشيء الظاهر لقوله تعالى بآياتنا يجحدون والانكار لشيء خفي لقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها لان النعمة قد تكون خافية ويجوز ان يقال الجحد هو انكار الشيء مع العلم به لقوله تعالى وجحدوا بها والانكار لا يكون مع العلم

[1] وفي الهامش الاقتصار فيما اذا كان اللفظ والمعنى قليلا والاختصار فيما اذا كان اللفظ قليلا والمعنى كثيراً

166

الفرق بين الزور والكذب والبهتان ان الزور هو كذب قد حسن في الظاهر ليحسب انه صدق بخلاف الكذب واما البهتان فهو مواجهة الانسان بما يكرهه

الفرق بين الافتراء والاختلاق ان المفتري يقطع بالكذب ويخبر به والمختلق يبتدئ كذباً ويخبر به

الفرق بين الاقرار والاعتراف ان الاقرار فيما قاله اذاه معاني اخبار عن شيء ماض وهو في الشريعة جهة ملزمة للحكم وقيل بعضهم الاعتراف كالاقرار وقال ابو هلال يجوز ان يقر بالشيء وهو لا يعرف انه اقرّ به ويجوز ان يقر بالباطل الذي لا اصل له ولا يقال لذلك اعتراف انما الاعتراف هو الاقرار الذي صحبته المعرفة بما اقرّ به مع التزام له ولهذا يقال اعتراف بالنعمة ولا يقال اقرار بها فكل اعتراف اقرار وليس كل اقرار اعترافاً ولهذا اختار اصحاب الشروط الاقرار لانه اعم ونقيض الاعتراف الجحد ونقيض الاقرار الانكار

الفرق بين الشكر والحمد ان الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم والحمد هو الذكر الجميل على جهة التعظيم ويجوز ان يحمد الانسان نفسه عَلَى امور جميلة يأتيها ولا يجوز ان يشكرها فالاعتماد في الشكر على توجيه النعمة وفي الحمد عَلَى ما توجبه الحكمة ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الاكفار ولايجوز ان يطلق الحمد الا لله تعالى

الفرق بين الحمد والمدح ان الحمد لا يكون الا عَلَى احسان بخلاف المدح

الفرق بين الجزاء والمكافأة والمقابلة ان الجزاء لا يلزم فيه المساواة بخلاف المكافأة والمقابلة وعورض بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية

الفرق بين الثناء والنثاء عَلَى ما قال بعضهم ان الثناء بتقديم الثاء يكون في الخير والشر والنثاء بتقديم النون لا يكون الا في الشر والصحيح ان الثناء وهو الاول لا يكون الا في الخير وربما استعمل في الشر والنثاء وهو الثاني يكون في الخير والشر

الفرق بين السب والشتم ان الشتم تقبيح امر المشتوم بالقول والسب هو الاطناب في الشتم والاطالة فيه

الفرق بين الشتم والسفه ان الشتم قد يكون حسناً اذا كان المشتوم يستحق الشتم والسفه لا يكون الا قبيحاً

الفرق بين الذم واللوم ان اللوم عَلَى الفعل الحسن والذم لا يكون الا على القبيح .

الفرق بين العتاب واللوم ان العتاب هو يكون على تضييع حقوق المودة والصداقة بخلاف اللوم

الفرق بين المستقيم والصحيح والصواب ان كل مستقيم صحيح وليس كل صواب صحيح مستقيماً

الفرق بين المستقيم والصواب ان الصواب اطلاق الاستقامة على الحسن والمستقيم هو الجاري عَلَى سنن وان كان قبيحًا

الفرق بين الخطأ والغلط ان المخطيء من يقصد الشيء فيصيب غيره واما الغلط فهو وضع الشيء في غير موضعه

الفرق بين اللحن والخطإ ان اللحن في القول فقط والخطأ في القول والفعل

الفرق بين العقد والعهد ان العقد ابلغ من العهد

الفرق بين العهد والميثاق ان الميثاق توكيد العهد وقال بعضهم العهد بين اثنين والميثاق من احدهما

الفرق بين الوعد والعهد ان العهد ما كان بشرط قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم الآية ان لا يخرج من الجنة ما لم يأكل من الشجرة بخلاف الوعد ويقال نقض العهد واخلف الوعد

الفرق بين التفسير والتأويل قيل ان التفسير هو الاخبار عن افراد آحاد الجملة والتأويل الاخبار بمعني الكلام جملة وقيل التفسير افراد ما ينتظمه ظاهر التنزيل والتأويل اخبار بغرض المتكلم وقيل التأويل استخراج معني الكلام لا عَلَى ظاهره بل عَلَى وجه مجاز او حقيقة

الفرق بين الشرح والتفصيل ان الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الاشكال الى التجلي والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن والتفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة عَلَى سبيل الافراد ولهذا قال الله تعالى ثم فصلت من لدن حكيم ولم يقل شرحت

الفرق بين التقسيم والتفصيل ان في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يريد ذكره فقط والتقسيم يحتمل الامرين والتقسيم يفتح المعنى والتفصيل يتم بيانه

الفرق بين القرآن والفرقان ان القرآن اعم و الفرقان هو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر

الفرق بين السلام والتحية ان التحية اعم من السلام

الفرق بين العام والمبهم ان العام يشتمل عَلَى اشياء والمبهم يتناول واحد الاشياء بعينه

الفرق بين فحوى الخطاب ودليل الخطاب ان فحوى الخطاب بالمعنى كقوله تعالى

ولا تقل لهما أف ودليل الخطاب هو ما تعلق بصفة الشيء او عدده او حاله او غايته ونحوها

الفرق بين البيان والفائدة ان البيان لمعرفة غيره والمعرفة لنفسه (؟)

الفرق بين القراءة والتلاوة ان التلاوة لا تكون الا لكلمتين فصاعداً والقراءة تكون لكلمة واحدة

الفرق بين المنازعة والمطالبة ان المطالبة تكون بما يعترف به المطلوب والمنازعة لا تكون الا فيما ينكره المطلوب

الفرق بين المسألة والفتيا ان المسألة عامة في كل شيء والفتيا سؤال عن حادثة

الفرق بين بلى ونعم ان بلى لا تكون الاجواباً لما تقدم من جحوده كقوله تعالى: ألست بربكم قالوا: بلى . اما نعم فلا تكون الا للاستفهام بلا جحود وكقوله تعالى : فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا : نعم

الفرق بين الوسوسة والفزع ان الفزع الاغواء بالوسوسة واكثر ما يكون عند الغضب

الفرق بين الدلالة والامارة ان الدلالة ما يؤدي النظر فيه الى العلم والامارة ما يؤدي النظر فيه الى الظن

الفرق بين الاستدلال والدلالة ان الدلالة ما يمكن الاستدلال به والاستدلال فعل المستدل

الفرق بين النظر والاستدلال ان الاستدلال طلب معرفة الشيء من جهة غيره والنظر طلب معرفته من جهته ومن جهة غيره

الفرق بين النظر والتأمل ان النظر هو ما ذكرناه والتأمل هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون الا في مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملا

الفرق بين النظر والبديهة ان البديهة اول النظر يقال عرفته على البديهة اي في اول احوال النظر

الفرق بين البديهة والروية ان الروية على ما قال بعضهم آخر النظر والبديهة اوله

الفرق بين النظر والفكر ان النظر يكون فكراً ويكون بداهة والفكر ما عدا البديهة

الفرق بين التفكر والتدبر ان التدبر صرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل

الفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي انتظار الخير خاصة ولا يكون الا مع الشك واما الانتظار والتوقع فهو طلب ما يقدر ايقاعه

الفرق بين الانتظار والتربص ان التربص طول الانتظار

الفرق بين الخاطر والنظر ان الخاطر مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب وعند بعضهم انه كلام يحدثه الله تعالى او الملك في سمع الانسان فاذا كان من الشيطان سمي وسواساً وعورض بالاخرس فان له خاطراً ولا كلام له

الفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر يكون ابتداء ويكون عن عزوب والذكر لا يكون الا عن عزوب

الفرق بين العلم والمعرفة ان المعرفة اخص من العلم لانها لا تكون الا مفصلة والعلم يكون مجملا ومفصلا قال بعضهم : ولا يوصف الله بانه عارف قال المؤلف وليس كما قاله

الفرق بين العلم واليقين ان العلم معرفة الشيء على ما هو به او اعتقاده واليقين هو سكون النفس بما علم وبهذا لا يجوز ان يوصف الله باليقين ويقال اليقين لا يزال بالشك وقلّ ان يقال العلم لا يزال بالشك

الفرق بين الشعور والعلم ان الشعور النظر الدقيق الموصل للعلم والعلم اعم

الفرق بين المعرفة الضرورية والالهام ان الالهام ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير فيفعل وبطريق الشر فيترك والمعارف الضرورية اربعة عند المشاهدة وعند التجربة وعند الاخبار المتواتر وعند اوائل العقل

الفرق بين العالم والمحقق ان المحقق هو المتطلب حق المعنى حتى يدركه ولهذا لا يقال ان الله محقق وقيل التحقيق لا يكون الا بعد الشك بخلاف العلم

الفرق بين العلم والعقل ان العقل هو العلم الاول الزاجر عن القبيح وكل من كان زاجره اقوى كان اعقل ولهذا لا يوصف الله تعالى به وقال بعضهم العقل الحفظ يقال عقلت الدراهم اي حفظتها ومن هذا الوجه يجوز ان يقال الله تعالى عاقل اي حافظ الا انه لم يستعمل

الفرق بين الذهن والعقل ان الذهن هو نقيض سوء الفهم وهو عبارة عن وجود الحفظ لما يتعلمه ولا يوصف الله تعالى به والعقل ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذهن والعلم ان الفطنة هي التنبه على المعنى وضدها الغفلة ويجوز ان يقال ان الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غامض وكل فطنة علم لا كل علم فطنة والذهن ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذكاء ان الذكاء تمام الفطنة وفي الذكاء معنى زائد عن الفطنة

الفرق بين الفطنة والحذاقة ان الحذاقة هي سرعة الحركة في الامور واصلها الحدة والتناهي فلما كان الله تعالى لا تتناهى معلوماته، لم يجز ان يوصف بالحذاقة والفطنة ما تقدم

الفرق بين الالمعي واللوذعي ان اللوذعي هو الخفيف الظريف مأخوذ من لذع النار وهو سرعة اخذها من الشيء والالمعي هو الفطن الذكي الذي تبين له عواقب الامور بادنى لمعة اي لوح له

الفرق بين القريحة والطبيعة ان الطبيعة ما طبع عليه الانسان اي خلق والقريحة فيما قال المبرد ما خرج من الطبيعة من غير تكلف وقولهم ماء قراح اي لم يخالطه شيء وللارض الذي لا تنبت قرواح والشجرة اذا جاوزت الدهر قرواحة والفرس القارح القديم السن واما القرح في الجلد والقرحة شبيهه

الفرق بين العلم والفقه ان الفقه هو العلم بمقتضى الكلام عَلَى ماتأمله بخلاف العلم ولهذا لا يقال ان الله تعالى تفقه لانه لا يوصف بالتأمل

الفرق بين السمع والاصغاء ان السمع هو ادراك المسموع والاصغاء طلب ادراكه

الفرق بين السمع والاستماع ان الاستماع هو الاصغاء للمسموع ليفهم بخلاف السمع ولهذا لا يقال ان الله تعالى يستمع

الفرق بين العلم والادراك ان الادراك موقوف عَلَى اشياء مخصوصة وليس العلم كذلك والادراك يتناول الشيء عَلَى اخص اوصافه وعَلَى الجملة فالعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك الا الموجود والادراك طريق من طريق العلم ولهذا العلم قوته وضعفه بالمدرك والدراية هي الفهم

الفرق بين الاحساس والادراك عَلَى ما قاله بعضهم انه يجوز ان يدرك الانسان الشيء وان لم يحس به كما يدركه ببصره ويغفل عنه فلا يعرفه وقال اهل اللغة لما اشعرت به احسست به اي ادركته بحسك وفي القرآن: فلما أحسوا بأسنا وفيه: فتحسسوا من يوسف واخيه اي تعرفوا باحساسهم وقال بعضهم الحس هو اول العلم ومنه قوله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر اي علمه من اول وهلة ولا يجوز ان يقال الانسان يحس بوجود نفسه

الفرق بين العلم والاعتقاد ان العلم اعم فلا يلزم من العلم الاعتقاد بخلاف عكسه

الفرق بين العلم والحفظ ان الحفظ هو العلم بالمسموعات دون غيرها من المعلومات الا

ترى لا يقال حفظت ان زيداً في البيت ولا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ ويجوز ان الحفظ هو العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير تخلل جهل او نسيان ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً ولا يوصف الله بالحفظ لذلك

الفرق بين الذكر والتنبه ان الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان بخلاف التنبه

الفرق بين العلم والاحاطة ان الاحاطة كالدائرة من كل وجه تجيء بمعنى العلم وبمعنى القدرة وقد جاء لفظة الاحاطة في القرآن كثيراً منه قوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطاً وقد احاط بكل شيء علماً والله محيط بالكافرين والعلم مانقدم

الفرق بين المعروف والمشهور ان المشهور هو المعروف عند جماعة كثيرة والمعروف هو المعروف ولو عن واحد

الفرق بين العلم والشهادة ان العلم اعم والشهادة اخص

الفرق بين الشاهد والمشاهد ان المشاهد للشيء هو المدرك له رؤية وقيل رؤية اوسمعاً وهو في الرؤية اشهر ولا يقال ان الله لم يزل مشاهداً لانه يقتضي ادراكاً بجله والشاهد هو يقتضي ذلك

الفرق بين الشاهد والحاضر ان الشاهد للشيء يقتضي العلم بخلاف الحاضر الا ترى انه يقال حضره الموت لاشاهده الموت ولا يصح وصف الموت بالعلم

الفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام التعريض بما علم به والاخبار اظهار الخبر علم به او لم يعلم

الفرق بين العلم والتقليد ان العلم معرفة الشيء واعتقاده عَلَى ما هو به عَلَى سبيل الثقة والتقليد قبول الامر ممن لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة

الفرق بين النسيان والسهو ان النسيان انما يكون عما كان والسهو يكون عما لم يكن يقال نسيت ما عرفته وبهذا يقال سهوت عن السجود الذي لم يكن ويقال النسيان عن ذكر والسهو عن ذكر وعن غيره

الفرق بين السهو والغفلة ان الغفلة تكون عما لا يكون والسهو عما يكون وفرق آخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير ولا يجوز ان يسها عن فعل الغير

الفرق بين النوم والاغماء ان الاغماء سهو من مرض فقط والنوم سهو يحدث من فتور جسم

الفرق بين الظن والحسبان عَلَى قول بعضهم ان الظن ضرب من الاعتقاد والحسبان ليس باعتقاد

الفرق بين الريبة والتهمة وكلاهما مذمومتان ان الريبة في الانسان تورث شكا في صلاحه مثلا والتهمة تورث مقالاً فيه فكل مرتاب متهم وكل متهم ليس بمرتاب

الفرق بين التصور والتخيل ان التصور لا يثبت عَلَى حال وقيل التخيل تصور الشيء عَلَى اوصافه والتخيل والتصور منافيان العلم كما ان الظن والشك ينافيانه

الفرق بين الحماقة والرقاعة ان الرقاعة عَلَى ما قال بعضهم حمق مع رفعة وعلوّ رتبة ولا يقال احمق اذا كان سيداً او رئيساً او ذا مال او جاه

الفرق بين الحياة والعيش ان العيش سبب الحياة من اكل وشرب ونحوهما

الفرق بين الحياة والروح ان الروح من قرائن الحياة والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح وقيل هي جسم رقيق حساس وزعم الاطباء ان موضعها في الصدر من الحجاب والقلب وذهب بعضهم الى انها مبسوطة في جميع البدن وفيه خلاف كثير وسمي جبرائيل عليه السلام روحاً لان الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالروح وبهذا المعنى سمي القرآن روحاً

الفرق بين الروح والمهجة والنفس والذات ان الروح ما تقدم والمهجة خالص دم الانسان الذي اذا خرج خرجت روحه وهو دم القلب والنفس مشتركة يقع على الروح والذات

الفرق بين الاهلاك والاعدام ان الاهلاك اعم من الاعدام فكل اعدام اهلاك وليس كل اهلاك اعداماً

الفرق بين القدرة والقهر ان القدرة تكون عَلَى صغير المقدور وكبيره والقهر يدل عَلَى كبير المقدور

الفرق بين الغلبة والقدرة ان الغلبة من فعل الغالب وليست القدرة من فعل القادر

الفرق بين القهر والغلبة ان الغلبة من نتاج القدرة

الفرق بين القادر والقوي ان القوة اخص والقدرة اعم فكل قوي قادر لا كل قادر قوي

الفرق بين القوة والشدة ان الشدة ليست من قبيل القدرة قال الله تعالى: اشد منهم قوة اي اقوى منهم وفي القرآن ذو القوة المتين اي العظيم الشأن في القوة

الفرق بين الشدة والصعوبة ان الشدة ما ذكرنا والصعوبة تكون في الافعال دون غيرها

الفرق بين الصحة والعافية ان الصحة اعم والعافية اخص

الفرق بين الصحة والسلامة ان السلامة نقيض الهلاك والصحة نقيض السقم

الفرق بين القدرة والطاقة ان الطاقة غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور ولا يقال لله تعالى مطيق

الفرق بين القدرة والاستطاعة ان القدرة اعم والاستطاعة اخص وكل مستطيع قادر لا كل قادر مستطيع

الفرق بين القادر والمتمكن قال بعضهم معناهما واحد وبعضهم فرق والاستطاعة والتمكن من صفات المخلوقين

الفرق بين الدوام والخلود ان الدوام هو استمرار البقاء في جميع الاوقات والخلود هو استمرار البقاء من وقت المبدإ والله تعالى موصوف بالدوام لا بالخلود

الفرق بين الدائم والسرمد ان السرمد هو الذي لا فصل فيه بل اتباع الشيء الشيء

الفرق بين الخلود والبقاء ان الخلود استمرار البقاء من وقت له مبدأ واصل الخلود اللزوم

الفرق بين القديم والباقي ان الباقي هو الموجود لا عن حدوث والقديم ما لم يزل كائناً موجوداً والقديم على الحقيقة هو الذي لا اول لوجوده

الفرق بين الاول والسابق ان السابق يقتضي ان يكون ثم مسبوق والاول لا يقتضي ثانياً الا ترى انك تقول هذا اول موجود ولد لفلان وان لم يولد له غيره واول عبد يملكه حي وان لم يملك غيره وبهذا يبطل قول الملحدين ان الاول لا يسمى اول الا بالاضافة الى الثاني

الفرق بين الحب والود ان الحب فيما يكون يوجبه ميل الطباع والود من جهة ميل الطباع فقط

الفرق بين الارادة والرضا ان الارادة تكون الطاعة قبلها والرضا بها يكون بعدها او معها والرضا نقيض السخط والسخط من الله تعالى ارادة العقاب فينبغي ان يكون الرضا منه ارادة الثواب

الفرق بين الارادة والمشيئة ان الارادة لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى والمشيئة لما يتراخى وقتها فقط

الفرق بين المشيئة والعزم ان المشيئة تقدم والعزم ارادة يقطع بها المريد رويته في الاقدام على الفعل او الاحجام عنه ويختص بارادة المريد لفعل نفسه لانه لا يجوز ان يعزم على فعل غيره

الفرق بين العزم والنية ان النية ارادة متقدمة لتفعل باوقات والعزم قد يكون متقدمًا للمعزوم عليه باوقات او توقت ولا يوصف الله تعالى بالنية ولا بالعزم

الفرق بين الارادة والاختيار ان الاختيار ارادة الشيء بدلاً من غيره بخلاف الارادة

الفرق بين القصد والارادة ان قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره والارادة غير مختصة باحد الفعلين دون الآخر والقصد ايضاً ارادة الفعل في حال ايجاده فقط اذا تقدمته باوقات لم يسم قصداً الا انه لا يقال قصدت ان ازورك غداً

الفرق بين الهم والارادة ان الهم اجراء العزيمة عند موافقة الفعل وقيل الهم تعلق الخاطر بشيء له قدر في الشدة والمهمات الشدائد

الفرق بين الهمة والقصد ان الهمة اتساع الهم وقوته فتقول فلان ذوهمة وذوعزيمة

الفرق بين الغضب والغيظ ان الغيظ يكون من نفسه ولا يجوز ان يغضب عَلَى نفسه لان الغضب ارادة الضرر للمغضوب عليه ولا يجوز ان يريد الانسان الضرر لنفسه

الفرق بين الهم والحزن ان الحزن عَلَى ما فات والهم عَلَى ما هو آت نقلته من غير الكتاب المذكور

الفرق بين الغضب والسخط ان الغضب يكون من الصغير عَلَى الكبير ومن الكبير عَلَى الصغير والسخط لا يكون الا من الكبير فقط

الفرق بين العداوة والشنآن ان العداوة ارادة السوء لمن تعاديه والشنآن عَلَي قول بعضهم طلب العثب عَلَي فعل الغير لما سبق من عداوته

الفرق بين المعاداة والمخاصمة ان المخاصمة من قبل القول والمعاداة من افعال القلوب ويجوز ان يخاصم غيره من غير معاداة وان يعادي غيره من غير مخاصمة

الفرق بين الاختراع والابتداع ان الابتداع ايجاد ما لم يسبق الى مثله بخلاف الاختراع

الفرق بين الفعل والانشاء ان الانشاء هو احداث الشيء حالاً بعد حال من غير ابتداء عَلَى مثال بخلاف الفعل وقال بعضهم الانشاء الابتداء والايجاد من غير سبب والفعل يكون عن سبب وقال آخرون الفعل ايجاد بعد ان لم يكن بسبب وبغير سبب والانشاء ما يكون بغير سبب والوجه الاول اجود

الفرق بين المبدئ والمبتدي ان المبدئ للفعل هو المحدث له ولا يتقدم عليه الا

الله تعالى والمبتدئ بالفعل هو الفاعل لبعضه من غير تتميمه

الفرق بين العمل والفعل ان العمل ايجاد الاثر في الشيء بخلاف الفعل

الفرق بين العمل والصنع ان الصنع ترتيب العمل واحكامه دون العمل

الفرق بين الجعل والعمل ان العمل هو ايجاد الاثر في الشيء والجعل بغير صورته

الفرق بين الاخذ والتناول ان التناول اخذ الشيء للنفس خاصة والاخذ لنفسه ولغيره فهو اعم ويجوز ان يقال التناول يقتضي تسليم شيء بخلاف الاخذ قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

الفرق بين الواحد والفرد ان الواحد يقتضي الانفراد بالذات او بالصفة والفرد نقيض الزوج

الفرق بين الانفراد والاختصاص ان الانفراد ما تقدم والاختصاص انفراد بعض الاشياء بمعنى دون غيره

الفرق بين الواحد والاوحد ان الاوحد من فارق غيره ممن يشاركه في فن من الفنون بخلاف الواحد

الفرق بين الفرد والواحد ان الفرد يفيد التقليل دون التوحيد ولهذا لا يقال لله تعالى فريد كما يقال له فرد

الفرق بين الواحد والمنفرد ان المنفرد يقتضي التخلي والانقطاع عن الغرباء ولهذا لا يقال لله تعالى المنفرد بالنون كما يقال متفرد بالتاء المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك مما يختص به من صفاته وافعاله سبحانه وتعالى

الفرق بين الواحد والوحيد والفريد ان الوحيد والفريد يقتضي التخلي عن الانيس ولا يوصف به الا الله تعالى بخلاف الواحد

الفرق بين التفرد والتوحد ان التفرد بالفضل والنبل والتوحد التخلي

الفرق بين الوحدانية والوحدة ان الوحدة التخلي والوحدانية تقتضي نفي الأشكال والنظراء ولا يستعمل في غير الله تعالى ولا يقال لله تعالى واحد من طريق العدد

الفرق بين الواحد والاحد ان الواحد لا ثاني له والاحد لا يقبل التجزي والواحد يختص بالصفات والاحد بالذات

الفرق بين الكل والجمع ان الكل عند بعضهم هو الاحاطة بالاجزاء والجمع الاحاطة بالابعاض

الفرق بين البعض والجزء ان الجزء لا ينقسم وان البعض ينقسم ويقتضي كلا والجزء يقتضي جمعاً

الفرق بين الجزء والسهم ان الجزء من جملة ماانقسمت عليه والاثنان جزء من العشرة والثلاثة ليست بجزء منها لانها لا تنقسم عليه وكل ذلك يسمى سهماً كما قال بعضهم

الفرق بين الشبيه والمشبه ان الشبيه اعم والمشبه اخص

الفرق بين المثيل والنظير ان المثيلين ما تكافآ في الذات والنظير ما قل نظيره في حسن افعاله

الفرق بين الصفة والهيئة ان الصفة من قبيل الاسماء واستعمالها في المسميات وليست الهيئة كذلك

الفرق بين الجنس والنوع ان الجنس اعم من النوع والصفة

الفرق بين الحظ والقسم ان كل قسم حظ وليس كل حظ قسماً

الفرق بين النصيب والحظ ان النصيب يكون في المحبوب والمكروه والحظ لا يكون الا في المحبوب

الفرق بين الرزق والغذاء ان الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فليس كل ما يتغذى به الانسان رزقاً كالمسروق ليس هو رزقاً للسارق اذ لو كان رزقاً له لما ذم عليه والرزق ما ينتفع به ليدخل الحرام والالزم انه لو عاش عمره بالحرام لم يكن له رزق واما الذم عليه فامر آخر

الفرق بين البر والصلة ان البر يكون بسعة الفضل وبلين الكلام وبالملق بجهل (؟) القول والفعل والصلة المواصلة بالفضل

الفرق بين البر والخير ان البر لا يكون الاعن قصد والخير عن قصد وسهو

الفرق بين الغنيمة والفيء ان الغنيمة اسم لما اخذناه من اموال المشركين بقتال والفيء ما اخذناه من اموالهم بغير قتال اذ سبب اخذه الكفر

الفرق بين القرض والدين ان القرض يستعمل في الدين والنقد بخلاف الدين فكل قرض دين ولا كل دين قرض

الفرق بين السخاء والجود ان الجود كثرة العطاء من غير سؤال والسخاء ان يلين الانسان عند السؤال

الفرق بين الكرم والجود ان الجود ماذكرنا والكرم على وجوه فيقال الله تعالى كريم

اي عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى ما غرّك بربك الكريم اي العزيز الذي لا يغلب والكريم الحسن في قوله تعالى من كل زوج كريم ومثله وقل لهما قولاً كريماً اي حسناً والكرم بالفضل في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي افضلكم ومنه قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم اي فضلناهم والكريم ايضاً السعيد في قوله عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه اي سيد قوم ويجوز ان يقال الكرم اعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان او كثيراً هذا كلام هذا الكتاب وفي كتب الفقه اشياء غير ذلك فلتراجع

الفرق بين الكرم والايثار ان الايثار بذل الشيء مع الحاجة اليه بخلاف الكرم والجود والسخاء

الفرق بين الشح والبخل ان الشح الحرص عَلَى منع الخير والبخل منع الحق

الفرق بين الصمد والسيد ان السيد المالك والصمد يقتضي القوة عَلَى الاصوب

الفرق بين سيد القوم واكبرهم ان سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم وكبيرهم هو الذي يفضلهم في العلم والسن والشرف

الفرق بين مالك وملك ان مالك يفيد مملوكاً وملك لا يفيد ذلك لكنه الامر وسعة القدرة علي ان المالك بيان اوسع من الملك لانك تقول الله مالك الملائكة والانس والجن

الفرق بين مالك ومليك ان المليك يقتضي المبالغة مثل سميع وعليم ولا يقتضي مملوكاً

الفرق بين العظيم والكبير ان الكبير الذي ليس فوقه احد وقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة ولذلك جاز بان يوصف الله تعالى بانه عظيم ولم يوصف سبحانه بانه كبير فقط وقد يعظم الشيء من جهة الحسن ومن جهة التثقيف وفرق بعضهم بين الجليل والكبير بان قال الجليل في اسماء الله تعالى هو العظيم الشأن الذي يستحق الحمد والكبير من يستحق صفة المجد والاجل من ليس فوقه من هو اجل منه

الفرق بين الاله والمعبود ان الاله هو الذي يحق له العبادة فلا اله الا الله وليس كل معبود يحق له العبادة الا ترى ان الاصنام معبودة والمسيح معبود ولا يحق لها ولاله العبادة

الفرق بين قولنا الله وبين قولنا اله ان قولنا الله اسم لم يسم به غيرالله تعالى الّا عَلَى جهة الخطاء واما قول الناس لا معبود الا الله اي لا يستحق العبادة الا الله

الفرق بين قولنا يحق له العبادة وقوله يستحق العبادة ان قولنا يحق له العبادة يفيد

١١٨

عَلَى انه صفة يصح انه منعم وقولنا يستحق يفيد انه قد انعم واستحق

الفرق بين قولنا الله وقولنا اللهم ان قولنا الله اسم وقولنا اللهم نداء اي ياامه

الفرق بين النصير والولي ان الولاية قد تكون باخلاص المودة والنصرة تكون بالمعونة والتقوية ولا تمكن النصرة مع الولاء

الفرق بين الحكم والقضاء والقدر والتقدير ان الحكم الزام قد يكون عن خصومة وقد فصل الامر عَلَى الاحكام مما يقتضيه الشرع والعقل والقضاء والفصل الامر التام(؟) واما المقدر فهو عَلَى ما قاله بعضهم وجود القول على مقدار ما اراده ولا يستعمل الا في افعال الله تعالى واما التقدير فيستعمل في افعاله وافعال عباده

الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة ابلغ من الرحمة

الفرق بين الضر والبؤس ان الضر يكون من حيث لا يعلم المقصود به والبؤس لا يكون الا من حيث يعلم

الفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة قبيحة والمضرة قد تكون حسنة نحو المضرة بالضرب للتأديب والتعليم

الفرق بين الامهال والانظار ان الانظار مقرون فيما يقع فيه النظر والامهال فيه (؟) وقيل الانظار تأخير العبد لانظر في امره والامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله

الفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة التقدم فيما ينبغي ان يتقدم فيه وهي محمودة ونقيضها مذموم وهو الابطاء والعجلة التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة ونقيضها محمود وهي الأَناة واما قوله تعالى: وعجلت اليك رب لترضى فانه بمعنى اسرعت

الفرق بين الهداية والارشاد ان الارشاد الى الشيء هو التطريق اليه والتسنن له والهداية هي التمكن من الوصول اليه

الفرق بين الخير والصلاح ان الصلاح هو الاستقامة علي ما تدعو له الحكمة في الضر والنفع والخير اعم وافعال الله كلها خير

الفرق بين الصلاح والفلاح ان الصلاح ما يتمكن به من الخير او يتخلص به من الشر والفلاح نيل الخير والنفع الباقي

الفرق بين الفساد والقبيح ان الفساد هو التغيير عما تدعو اليه الحكمة والقبيح ما يزجر عن الحكمة

الفرق بين الدين والملة ان الملة اسم لجملة الشريعة والدين اسم لما عليه كل واحد من اهلها

الفرق بين العبادة والطاعة ان العبادة غاية الخضوع ولا تكون الا لله والطاعة الفعل الواقع على حسب الارادة ويكون للخالق والمخلوق.

الفرق بين الدين والشريعة ان الشريعة هي الطريق والدين ما يطاع به المعبود ولكل منا دين وليس لكل منا شريعة

الفرق بين الاجابة والقبول ان القبول يكون للاعمال والاجابة للادعية

الفرق بين الحلال والمباح ان الحلال هو المباح بالشرع والمباح لا يعتبر فيه ذلك الشيء في السوق(؟) مباح لا حلال والحلال خلاف الحرام والمباح خلاف المحظور

الفرق بين الاسلام والايمان ان الايمان طاعة الله الذي يأمن بها العقاب على ضدها والاسلام طاعة الله تعالى التي يسلم بها من عقاب الله هذا كلامه في هذا الكتاب وليس فيه فرق بينهما والفرق مشهور في مظانه في كلام القائلين بالفرق

الفرق بين الفسق والفجور ان الفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى بكبيرة والفجور الانبعاث في المعاصي فلا يقال لصاحب الصغيرة فاجر

الفرق بين الظلم والجور ان الجور خلاف الاستقامة في الحكم والظلم قيل ضرر من حاكم او غيره فهو اعم وقيل وضع الشيء في غير محله وقيل نقصان الحق والجور العدول عن الحق

الفرق بين القبيح والفاحش ان الفاحش الشديد القبح ويستعمل في الصورة فيقال القرد قبيح الصورة لا فاحش الصورة ويقال فاحش القبح فاحش الطول اي جاوز حد الاعتدال مجاوزة فاحشة والقبيح ليس كذلك

الفرق بين الحرام والسحت ان السحت مبالغة في حقيقة الحرام فيقال حرام سحت لا سحت حرام وقيل السحت الحرام الظاهر لان كل سحت حرام لا كل حرام سحت ويجوز ان يقال السحت الحرام الذي لا بركة له

الفرق بين الاثم والخطيئة ان الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الاثم الا تعمداً

الفرق بين الاثم والذنب ان الاثم لغة التقصير والذنب ما يتبعه الذم وقولهم للصبي اذنب مجاز

الفرق بين الوزر والذنب ان الوزر ما يثقل صاحبه ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي والذنب ما تقدم

الفرق بين العدل والقسط ان القسط هو العدل الظاهر البين والعدل قد يخفى

الفرق بين الندم والتوبة ان التوبة اخص من الندم فكل توبة ندم ولا كل ندم توبة اما الحديث الندم توبة اي معظمها كالحج عرفه

الفرق بين الاستغفار والتوبة ان الاستغفار طلب المغفرة والتوبة الندم عَلَى الخطيئة والاقلاع عنها والعزم عَلَى ترك العود ولا يجوز الاستغفار مع الاصرار

الفرق بين التأسف والندم ان التأسف يكون عَلَى الفائت من فعلك وفعل غيرك والندم من افعال القلوب يتعلق بفعل النادم وغيره

الفرق بين العفو والغفران ان الغفران يقتضي اسقاط العقاب ونيل الثواب ولا يستحقه الا المؤمن ولا يستعمل الا في الله تعالى و يستعمل في غيره شاذاً قليلاً والعفو يقتضي اسقاط اللوم والذم ولا يقتضي نيل الثواب و يستعمل في العبد والمراد من العفو والغفران محو الذنوب

الفرق بين الغفران والستر ان الغفران اخص فيجوز ان يستر عنه ولا يغفره

الفرق بين الصفح والغفران ان الغفران ما ذكرناه والصفح التجاوز عن الذنب

الفرق بين الاحباط والتكفير ان الاحباط ابطال الحسنات بالسيئات والتكفير ضده

الفرق بين الثواب والعوض ان العوض يكون عَلَى فعل المعوض والثواب لا يكون على فعل المثيب والثواب يقع مكافأة على الحقوق والعوض يقع عَلَى جهة المسامحة

الفرق بين الثواب والاجر ان الاجر قد يكون قبل الفعل المأجور عليه بخلاف الثواب والثواب قد اشتهر في الجزاء عَلَى الحسنات والاجر يقال كذلك و يقال عَلَى معنى الاجرة على الانتفاع

الفرق بين العذاب والالم ان العذاب اخص من الالم فان العذاب هو الالم المستمر والالم مستمر او غير مستمر

الفرق بين الالم والوجع ان الوجع اعم من الالم

الفرق بين العذاب والعقاب ان العقاب ينبيء عن استحقاق والعذاب يجوز ان يكون باستحقاق و بغير استحقاق

الفرق بين البلاء والنقمة ان البلاء يكون ضرراً و يكون نفعاً والنقمة لا تكون الا عقوبة وشدة وتسمى النقمة بلاء والبلاء لا يسمى نقمة

الفرق بين الخوف والخشية ان الخوف يتعلق بالمكروه ومنزله والخشية تتعلق بمنزلة

المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية

الفرق بين التخويف والانذار ان الانذار تخويف مع اعلام موضع المخافة وان لم يعلم لم يكن انذره

الفرق بين الخوف والفزع ان الخوف ما ذكرناه والفزع ما فاجأه الخوف عند هجوم عارض او صوت ونحوهما وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل

الفرق بين الخوف والوجل ان الخوف يكون من متعد والوجل من غير متعد ومنه قوله تعالى : الذين اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم

الفرق بين الخجل والحياء ان الخجل معنى يظهر في الوجه ارتداعاً بقوة ويجوز ان يكون الخجل عما كان والحياء عما يكون

الفرق بين الرجاء والطمع ان الرجاء هو الظن لوقوع الخير كالامل والخشية والخوف ضدهما والرجاء لا يكون الا من سبب والطمع ما يكون من غير سبب ولهذا مدح الرجاء وذم الطمع

الفرق بين اليأس والقنوط ان القنوط اشد مبالغة من اليأس

الفرق بين الكبر والجبروت ان الجبروت ابلغ من الكبر

الفرق بين العجب والكبر ان العجب بالشيء شدة السرور به والكبر اظهار عظم الشأن وهي العزة والسلطة

الفرق بين الخشوع والخضوع ان الخضوع فعل يرى فاعله وان الخضوع له فوقه واعظم منه والخشوع يكون في الكلام خاصة لقوله تعالى : وخشعت الاصوات للرحمن وقيل هما من افعال القلوب

الفرق بين التواضع والتذلل ان التذلل اظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له والتواضع اظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على المتواضع ام لا

الفرق بين التذلل والذل ان التذلل فعل المتصف به وهو ادخال نفسه في الحكم والذليل المفعول به الذي من قبل غيره

الفرق بين الخضوع والذل ان الخضوع ما ذكرنا والذل الانقياد كرهاً ونقيضه العز

الفرق بين الذل والاهانة ان الذل ما ذكرناه والاهانة ان يجعل كالصغير لا يبالى به

الفرق بين الذليل والمهين ان الذليل ما ذكرنا والمهين هو المستضعف

الفرق بين الحقير والصغير ان الحقير من نقص عن مقداره المعهود والصغير يكون

بالاضافة الى من هو أكبر منه

الفرق بين اليسير والقليل ان القليل يقتضي نقصان العدد واليسير ما يشتد تحصيله او طلبه ولا يقتضي نقصان العدد

الفرق بين الكثير والوافر ان الكثرة زيادة العدد والوفور اجماع اجزاء العدد حتى يكمل حجمه

الفرق بين الجم والكثير ان الجم هو الكثير المجتمع والكثير قد يكون عن مجتمع

الفرق بين العبث واللعب واللهو ان العبث ما خلا عن الارادة والارادة حدوثه واللهو واللعب يتناولها غير ارادة حدوثهما وقيل اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعي الحكم كعمل الصبي واللهو لعب واللعب قد يكون ليس بلهو

الفرق بين المزاح والاستهزاء ان المزاح لا يقتضي تحقير من تمازحه بل ايناسه والاستهزاء يقتضي تحقير من يستهزأ به

الفرق بين الاستهزاء والسخرية ان السخرية تدل على فعل شيء يشتق منه السخرية بخلاف الاستهزاء

الفرق بين المزاح والهزل ان الهزل يقتضي تواضع الهازل لمن يهزل بين يديه بخلاف المزاح

الفرق بين المزاح والمجون ان المزاح ما ذكرنا والمجون صلابة الوجه وقلة الحياء

الفرق بين الحيلة والتدبير ان الحيلة ما أحيل به عن وجهه فيجلب به نفع او يدفع به ضر والتدبير هو اصلاح امره او امر من يلوذ به وقد لا يكون حيلة

الفرق بين الكيد والمكر ان المكر كالكيد الا انه لا يكون الا مع الفكر والكيد اقوى من المكر

الفرق بين الحيلة والمكر ان من الحيلة ما ليس بمكر

الفرق بين الغرر والخداع ان الخداع يستر عنه وجه الصواب ليوقعه في مكروه والخطر ركوب المخاوف رجاء بلوغ المراد

الفرق بين الحسن والبهجة ان البهجة حسن تفرح به القلوب والحسن لا يقتضي ذلك

الفرق بين الحسن والجمال ان الجمال ما يحمد من الافعال والاخلاق وكثرة المال وليس هو من الحسن في شيء

الفرق بين الجمال والبهاء ان البهاء بهارة المنظر بخلاف الحسن

الفرق بين التمام والكمال ان التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بانه تام والكمال اسم لاجماع ابعاض الموصوف

الفرق بين البشاشة وطلاقة الوجه ان البشاشة اطلاق السرور عند اللقاء سواء كان اولاً وآخراً وطلاقة الوجه خلاف العبوس والعبوس تكره الوجه عند اللقاء

الفرق بين الطهارة والنظافة ان الطهارة تكون في الخلقة والمعاني والنظافة لا تكون الا في الخلقة واللباس لا في المعاني

الفرق بين القبيح والوحش ان الوحش المزيل والقبيح في المنظر ويجوز ان يقال الوحش هو المتناهي في القباحة

الفرق بين السرور والفرح ان السرور لا يكون الا بما هو نفع او لذة عَلَى الحقيقة وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص مثلا

الفرق بين الغم والهم ان الهم هو الفكر في ازالة المكروه واجتلاب المحبوب والغم معنى تنغص القلب معه لوقوع ضرر كان او يكون او لتوهمه

الفرق بين الهبوط والنزول ان الهبوط نزول يعقبه اقامة بخلاف النزول

الفرق بين المحض والخالص ان المحض الذي لم يخالطه شيء والخالص هو المختار من الجملة كالذهب المصفى

الفرق بين اخماد النار واطفائها ان الاخماد يستعمل في الكثير والاطفاء في القليل

الفرق بين النجم والكوكب ان الكوكب اسم للكبير من النجوم والنجم علم عَلَى الثريا في صغيرها وكبيرها

الفرق بين الزلزلة والرجفة ان الرجفة الزلزلة العظيمة الشديدة ولهذا سميت زلزلة الساعة رجفة

الفرق بين الرجوع والاياب ان الاياب هو الرجوع الى منتهى القصد والرجوع يكون لذلك او لغيره

الفرق بين المحق والاذهاب ان المحق يكون للاشياء الكثيرة ولا يكون في الشيء الواحد بخلاف الاذهاب ومنه قوله تعالى: يمحق الله الربا اي يمحق ثواب عامله لقوله تعالى: ويربي الصدقات اي ثوابها

الفرق بين العكوف والاقامة ان العكوف هو الاقبال على الشيء والاحساس فيه ومنه الاعتكاف والاقامة لا تقتضي ذلك

الفرق بين الدنو والقرب ان الدنو لا يكون في مسافة بين شيئين والقرب عام في ذلك وفي غيره فيقال قلوبنا تتقارب ولا يقال تتدانى و يقال قرب بقلبه وان كان بعيداً

الفرق بين الوسط والبين ان الوسط يضاف الى الشيء الواحد و بين يضاف الى شيئين فصاعداً تقول قعدت وسط الدار لا قعدت بين الدار و بين القوم والوسط يقتضي اعتدال الاطراف ولهذا قيل الوسط العدل في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطاً الآية

الفرق بين الذوق والطعم ان الذوق ملابسة يحس بها الطعم وادراك الطعم يتبين من ذلك الوجه يقال ذقته فلم اجد له طعماً

الفرق بين الركون والسكون ان الركون السكون الى الشيء بالجبلة والاتصاف والسكون خلاف الحركة وانما يستعمل في غيره مجازاً

الفرق بين التابع والتالي ان التالي فيما قال بعضهم هو التالي وان لم يتدبر بتدبير الاول والتابع انما هو المتدبر بتدبير الاول

الفرق بين قوله مالك لا تفعل كذا و بين قوله لم لا تفعل كذا ان لم لا تفعل كذا اعم لانه قد يكون بحال الى غيره ومالك لا تفعل بحال يرجع اليه

الفرق بين النار والسعير والحريق والجحيم ان السعير هو النار الملتهبة والحريق النار الملهبة المحرقة والجحيم نار على نار وجمر على جمر

الفرق بين النور والضياء ان الضياء ما يتخلل آخر النور

الفرق بين النطفة والمني ان النطفة تفيد انه ماء قليل والمني يفيد انه مستقذر

الفرق بين الصب والسكب ان السكب هو الصب المتتابع والصب يكون دفعة واحدة

الفرق بين التبديل والابدال ان التبديل على ما قال بعضهم تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل شيء مكان شيء

الفرق بين الخوان والمائدة ان الخوان لا يسمى مائدة الا اذا كان الطعام عليها وان لم يكن عليها طعام فهو خوان

هذا آخر ما علقناه من هذا الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفي غيره الفرق بين البشارة والتهنئة ان البشارة الاعلام بما يسر والتهنئة الدعاء بالخير للمرء بعدما علم به ولهذا لما انزل الله توبة كعب بن مالك وصاحبيه ذهب اليه البشير فبشره فلما دخل المسجد جاء الناس فهنؤه الفرق بين الحياء والاغضاء ان الحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيراً من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته اه

رسائل الانتقاد

كلمة الناشر

بينا كنت في خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت عَلَى كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فتأملته فوجدته لمؤلف تونسي معدود من البلغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع عَلَى مآثر الادباء من بني وطني تعلقت رغبتي بتعريف هذا التصنيف . بيد اني لما أخذت اتلو رشيق معانيه واحلل دقائق مبانيه وجدت نقصاً فادحاً بين اوراقه افسد عقد جمله فحل بي من ذلك قلق عظيم . ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس عَلَى اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى ابي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فانجلى خاطري وبادرت في الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافتني صورتها وطابقتها بما لدي عاودني سروري الاول وقوي عزمي اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ واتممت هاته بتلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما نقدمه اليوم للقراء الكرام .

ومن المناسب ان نذكر شيئاً عن الاصلين اللذين اخذنا عنهما . فالاول وهي النسخة التونسية تشتمل عَلَى ستين صفحة شرقية يلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لانطماس الاحرف ودثور كتابتها دع عنك ما لحق الورق من العث الذي اهلك جانباً وافراً منها .

اما القطعة الاندلسية التي اكملنا بها ما ضاع من التأليف فهي تحتوي عَلَى ثماني عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعته في موفي سنة خمس وخمسمائة » وبهذا يستدل عَلَى ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالى سنة ٤٥٠) او قريباً من عهده . ومهما كان الحال فهي أقدم من اختها التونسية الا انها أخصر ولا تشتمل الا عَلَى المقامة الاولى

176

و يلوح لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل معارضة « كتاب العمدة » الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيق القيرواني كما سنبينه في ترجمته . الا ان الرسائل المعارض بها كانت أطول واكثر مما وجدناه وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للمجلس الاول حيث قال : « فاقمت من هذا النحو عشرين حديثاً » فالمظنون انه يقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذي سماه « ابا الريان » كما اختلق الحريري في مقاماته شخص الحارث بن همام واخترع الهمذاني عيسى بن هشام . فعسى ان يساعدني الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس ان كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي اتى عليها الاصل في الرسم وضبطه الا ما نبهت عليه اسفل المتن مع التعاليق

ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب عليّ ان ارفع شكري الخالص للكاتب البليغ والباحث المدقق اخينا في الله محمد بدر الدين افندي النعساني الذي اعانني بعلومه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ودادي الى العالم المستعرب المتمكن صديقي الاستاذ كارلو نالينو الذي اسعفني بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدني باشاراته العلمية وفكره الصائب فجزيا عني خير جزاء والله ولي توفيقي به اهتدي واليه انيب

تونس حسن حسني عبد الوهاب

ترجمة المؤلف (١)

نبغ أبو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدى البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيروان اذذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعقول والمنقول عن افاضل ذلك العصر كابي الحسن القابسي واخذ الفنون الادبية من اساتيذتها كابي اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيهما واجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي اميرافريقية بديوان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهنالك التقى ابن شرف بجماعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصرف من تأليفنا « الادب والادباء التونسيين » الذي عزمنا على نشره قريباً بحوله تعالى

ديوان الملك مثل علي بن ابي الرجال الكاتب رئيس قلم التحرير والمراسلات وابي علي الحسن بن رشيق صاحب العمدة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم . وطبيعي ان وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه الى تتبع الوجهة التي شب عليها وقوي نشاطه اذ كان اولئك الادباء الاجلاء يتسابقون في التقرب بنظمهم ونثرهم الى الامير رغبة في العطايا الهائلة والهبات الطائلة . وحصل عن هـذا التنافس والتزاحم حركة فكرية ادبية لم تر افريقية مثلها في عصر من عصور السلطنة الاسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التي يحج اليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الاندلس . وقد خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هـذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة الى الاول وأخرى الى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الاديبين مناقضات ومهاجات رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومقامات متنوعة لم يصل الينا منها شيء فيما نعلم

حكى ابن شرف المترجم له في كتابه « ابكار الافكار » قال : « استدعاني المعز بن باديس يوماً واستدعى ابا علي الحسن بن رشيق الازدي وكنا شاعري حضرته وملازمي ديوانه فقال : أحب ان تصنعا بين يدي قطعتين في صفة الموز عَلَى قافية الغين . فصنعنا حالاً من غير ان يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعته

يا حبذا الموز واسعاده من قبل ان يمضغه الماضغ
قد لان حتى لا مجس له فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا مأكل طيب فيه والا مشرب سائغ

والذي صنعه ابن رشيق

موز سريعٌ اكله من قبل مضغ الماضغ
فمأكل لآكل ومشرب لسائغ
فالفم من لين بـه ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ للحلق غير بالغ

فأمرنا للوقت ان نصنع فيه عَلَى حرف الذال فعملنا ولم يرَ أحدنا صاحبه ما عمل فكان ماعملته

هل لك في موز اذا ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا يريك كالماء القذى

لو مات مَن تلذذا به لقيل ذا بذا

وما عمله ابن رشيق

لله موز لذيذ يعيذه المستعيذ
فواكه وشراب به يداوى الوقيذ
ترى القذى العين فيه كما يريها النبيذ

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً . ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندري مم نعجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق »

وحكى المؤلف المترجم له ايضاً في كتابه المذكور قال : « استخلانا المعز يوماً وقال أريد ان تصنعا شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض النساء فاني استحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به وكلهن قارئات كاتبات فاحب ان اريهن هذا وادعي انه قديم لاحتج به عَلَى من عابه وآسي به من عيب عليه . فانفرد كل منا وصنع في الوقت فكان الذي قلت :

وبلقيسية زينت بشعر يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق في خدلجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فمعشوق مليح
فان يك صرح بلقيس زجاجاً فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيق

يعيبون بلقيسية ان رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحاً كمثل ما يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز عَلَى ابن رشيق قوله يعيبون وقال : « أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه » فانظر ما الطف هذه المناضلات وما أحلى هذه الحكايات ولولا خوف الاطالة لزدنا من هذه طرفاً تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف عَلَى خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد من هلاليين ورياح وغيرهم واستولوا عَلَى غالب القطر التونسي بعد ما خربوه ودمروه واضطر الامير المعز الى ترك القيروان امام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٤٤٩ هـ) وفر الى المهدية واتخذها دار ملكه وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيته . وفي خلاء القيروان يقول ابن شرف من قصيدة رنانة

بعد خطوب خطبت مهجتي وكان وشك البين أمهارها
ذا كبد أفلاذها حولها وقسمت الغربة اعشارها
اطفالها ما سمعت بالفلا قط فعادت الفلا دارها
ولا رأت ابصارها شاطئاً ثم جلت باللج ابصارها
وكانت الاقطار آفاقها فعادت الآفاق استارها
ولم تكن تعلو سريراً علا الا اذا وافق مقدارها
ثم علت فوق عشور الخطا ترمي به في الارض احجارها
ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس اشفارها
فاصبحت لا تتقي لحظة الا بان تجمع اظفارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهدية مع زمرة شعراء الملك يخدم الامير المعز وابنه تميما الى ان رحل عنها قاصداً جزيرة صقلية لما سمع عن كرم اميرها واليها لحقه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق او بين الخوارزمي وبديع الزمان · فلما اجتمعا بصقلية تسامحا واقاما بها زمناً ثم استنهض يوماً ابن شرف رفيقه على جواز الاندلس فانشد حينئذ ابن رشيق البيتين المشهورين بين الخاص والعام

مما يزهدني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب سلطنة من غير مملكة كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كآل عباد باشبيلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ مسيحي) وخلف ابناً يدعى ابا الفضل جعفراً كان اديباً مجيداً ايضاً اورد له العماد في خريدته والفتح في قلائده قصائد وفصولاً تشهد له بطول الباع ·

اما تآليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب « ابكار الافكار » جمع فيه ما اختاره من نظمه ونثره وهو انفس مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شيء في بعض كتب الادب) · ومنها كتاب « اعلام الكلام » به نخب وملح (مفقود ايضاً) · ثم « رسائل الانتقاد » والمظنون انه الفها بعد هجرته القطر التونسي

كما يستفاد من سياق كلامه في مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة

وها نحن نأتي هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شرف ليرى القارىء براعة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فمن نظمه في الشوق الى بلاده القيروان مدة اقامته بالاندلس

يا قيروان وددت اني طائر فاراك رؤية باحث متأمل
يالو شهدتك اذ رأيتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد تكهل
واذا تجدد لي أخ ومنادم جددت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي هيهات تذهب علتي بتعلل
لو كنت اعلم ان آخر عهدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وله في شكوى الزمان

اني وان عزني نيل المنى لاري حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم

وانشد في المعنى

عتابًا عسى ان الزمان له عتبي وشكوى فكم شكوى الانت له القلبا
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة فلا زال دمع العين منهملا سكبا

وقال ايضًا

وما بلوغ الاماني في مواعدها الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به فكيف لي بقضاء غير مكتوب

ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محا سن أنفس ولو انها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها نور يضيء وان مسست فنار

وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر هما يبثانك الاخبار تطفيلا
ولا تعاتب على نقص الطباع أخًا فان بدر السما لم يعط تكميلا
لا يؤيسنك من أمر تصعبه فالله قد يعقب التصعيب تسهيلا
بع من جفاك ولا تبخل بسلعته واطلب به بدلاً ان رام تبديلا
وصير الارض داراً والورى رجلاً حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وله

اذا صحب الفتى سعد وجد تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد طفيليًا وناد له الرقيب

وله ايضاً

ياثاويا في معشر قد اصطلى بنارهم
ان تبك من شرارهم على يدي شرارهم
أو ترم من أحجارهم وانت في أحجارهم
فما بقيت جارهم ففي هواهم جارهم
وارضهم في ارضهم ودارهم في دارهم

ومن كلامه في التغزل قوله في ليلة أُنس

ولقد نعمت بليلة جمد الحيا بالارض فيها والسماء تذوب
جمع العائبين المصلي وانزوى فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكاس كاسية القميص كأنها لوناً وقدرا معصم مخضوب
هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عسجد مصبوب
مني اليه ومن يديه الى يدي فالشمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله ايضاً

قامت تجرّ ذيول العصب والحبر ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولي الحصا من حليها نبذا وتخلط العنبر الوردي بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت عن واضح مثل نور الروضة المطر
ما لذ للعين نوم بعد ما ذكرت ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به تساقط الدر في اللبات والثغر

وله من خمرية سمية

خليل النفس لا تخلي الزجاجا اذا بحر الدجى في الجو ماجا
وجاهر في المدامة من يرآئي فما فوق البسيطة من يداجي
امط عنك الكرى والليل ساج ودعنا نلبس الظلماء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحًا يعيد هموم النفس لها انفراجا

179

اذا مزجها انتقد احمراراً صببنا المشتري فيها مزاجا

وله بكيت دماً والقاصرات سوافر فلاحت خدود كلهن مورّد
وقد وقف الواشون في كل وجنة عليّ محضر فيه المدامع تشهد

وله يقول لي العاذل في لومه وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة قلت ولا قولك قرآن

وقال قل للعذول لو اطلعت لي الذي عانيته أعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقباً بجنايتي اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وقال فيمن اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماً كم تجور علي فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر فابدلوها بعين خيفة العين

وله ايضاً

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم

وقال يمدح استاذه الكاتب ابا الحسن علي بن أبي الرجال

جاور علياً ولا تحفل بحادثة اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل
اسم حكاه المسمى في الفعال فقد حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا تميز الشمس في الميزان والحمل
وربما عابه ما يفخرون به يشنا من الخصر ما يهوى من الكفل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

ومن نظمه في انواع شتى : قال في العود

سقى الله ارضاً أنبتت عودك الذي زكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليها الطير والعود اخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال في الدرهم والدينار

الا رب شيء فيه من أحرف اسمه نواه لنا عنه وزجر وانذار
فتنا بدينار وهمنا بدرهم وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال من قصيدة في وصف سيف

ان قلت ناراً أتندى النار ملهبة أو قلت ماء أيومي الماء بالشرر

وله من أُخرى

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى فبان باطراف الأسنة شائبا

ومن نثره ما كتبه مستعطفاً عَلَى محبوس في دين :

قد حكمت بسجن الاشباح . وهي سجون الارواح . فأمنن علي ماشئت منهما بالسراح . فالحبس نزاع الارواح . والعقلة أُخت القتلة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب وفقد . وانما بينهما نفس متصاعد . وأجل متباعد . فالحق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد اخرنا الدين . الى يوم الدين .

ومن منثور كلامه في « أبكار الافكار » :

لما فني عمر الامس . وطفيء سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجلت رعود الاوتار في المسامع . وبعث مخارق وابن جامع . فلم يزل ذلك دابنا . ما أقلع سحابنا . حتى مسأنا هجعة . وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجيه بين اقاربه . كالوادي بين مذانبه . تجذبن ماءه وتطلبن ظماءه

وفي العدواة : كم قاطعك من راضعك . وقابحك من مالحك . ونافقك من وافقك . وناصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في انواع شتى : الجود أنصر من الجنود — من بخل بماله . سمح بعرض آله — الباذل كثير العاذل — الكريم كثير الغريم — احذر الكريم اذا افتقر . واللئيم اذا اقتدر — احذر التقي اذا أنكر . والذكي اذا فكر — المطل احد المنعين . واليأس احد الصنعين — العشق احد الرقين . والسلو احد العتقين — رفث الكلام احد السفاحين . وموالاة القبل احد النكاحين — جميل الرد احد الجودين . وبقاء الذكر احد الخلودين — طول الجمود احد القبرين . وبقاء الثناء احد العمرين — بئس النصير التقصير — المتحاسر خاسر — من كثر فجره . وجب هجره — من كرمت خصاله . وجب وصاله — سحابة صيف . وزيارة طيف — الوسيلة جناح النجاح — رب عين اذا رأت زنت — لا كرم بمن حرم — المستلم أحزم من المتسلم .

هذا ما قصدنا ايراده هنا عَلَى ان ما جمعناه من كلام هذا الاديب البارع هو اطول من ذلك وقد لاقينا صعوبات جمة في نظم ما تشتت اذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم فضلاء القطر التونسي والله المسؤل الاعانة

ح . ح . ع

180

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك

قال ابو عبد الله محمد بن شرف القيرواني هذه احاديث صنعتها مختلفة الانواع · موءتلفة في الاسماع · عربيات المواشم · غريبات التراجم · واختلقت فيها اخباراً فصيحات الكلام · بديعات النظام · لها مقاصد ظراف · واسانيد طراف · يروق الصغير معناها · والكبير مغزاها · وعزوتها الى ابي الريان الصلت بن السكن من سلامان [1] · وكان شيخاً همّاً في اللسان · وبدراً تمّاً في البيان · قد بقي احقاباً · ولقي اعقاباً · ثم القته الينا من باديته الازمات · واوردته علينا العزمات · فامتحنا من علمه بحراً جارياً · وقدحنا من فهمه زنداً واريا · وادرنا من بره طرفاً · واجتنينا من ثمره طرفاً · ونحن اذ ذاك والشباب مقتبل · وغفلة الزمان تهتبل · واحتذيت فيما ذهبت اليه · ووقع تعريضي عليه · من بث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعته في كتاب كليلة ودمنة [2] فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم · ونطقوا به على السنة الوحش والبهائم · لتتعلق به شهوات الاحداث · وتستعذب بسمره الفاظ الحداث · وقد نحا بذا النحو سهل بن هرون [3] الكاتب في تأليفه كتاب النمر والثعلب وهو مشهور الحكايات · بديع المراسلات ·

(١) سلامان (بفتح اوله) ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وبه مات نوفل بن عبد مناف · قال حاتم :

اذا حال دوني من سلامان رملة   وجدت توالي الوصل عندي أبترا

(من «معجم ما استعجم» لابي عبيد الله البكري ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنغن سنة ١٨٧٦) · وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان تذكاراً للقبيلة التي ينسب اليها احد اساتذته ومحسنيه ابو الحسن علي بن ابي الرجال الشيباني رئيس قلم الانشاء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف

(٢) كتاب كليلة ودمنة وضعه بيدبا الحكيم الهندي باللغة البهلوية ثم ترجم الى الفارسية ومنها عربه عبد الله بن داذبة بن المقفع (١٠٩—١٤٥ هـ) على عهد ابي جعفر المنصور العباسي ·

(٣) ابو عمر سهل بن هارون بن راهبون الدستميساني اصله فارسي وانتقل الى البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكيماً فصيحاً

مليح المكاتبات · وزور ايضاً بديع الزمان الحافظ الهمذاني وهو الاستاذ ابو الفضل احمد ابن الحسين [١] مقامات كان ينشئها بديهاً في اواخر مجالسه و ينسبها الى راوية رواها له يسميه عيسى بن هشام وزعم انه حدثه بها عن بليغ يسميه ابا الفتح الاسكندري وعددها فيما يزعم رواتها عشرون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة الينا وهي متضمنة معاني مختلفة · ومبنية على معاني شتى غير موءتلفة · لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هزل الى جد · ومن ند الى ضد · فاقمت من هـذا النحو عشرين حديثاً أَرجو [٢] ان يتبين فصلها · ولا تقصر عما قبلها · ولعمري ما اشكر من نفسي · ولا أُثني عَلَى شيء من حسي · الا ظفري بالاقل مما حاولته على ما أُضرمته نيران الغربة من قلبي · وثلمته صعقات الفتنة من لبي · وقطعت اهوال البر والبحر من خواطري · واضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري · لكن نية القاصد وسعة المقصود · اعانا ذا الود عَلَى اتحاف المودود · والله أَسأل توفيقا · ينهج لنا الى الرشد طريقا ·

فمنها

قال محمد [٣] وجاريت ابا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم [٤] واستكشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته في قديمهم

شاعراً شعوبي المذهب شديد التعصب عَلَى العرب · وله مصنفات كثيرة تدل عَلَى بلاغته وحكمته منها كتاب « قله وعفره » وكتاب « نصمه وعصره » عارض بهما كليلة ودمنة في ابوابه وامثاله وزاد عليه بحسن النظام · اما كتاب « النمر والثعلب » الذي نسبه اليه ابن شرف هنا فلم نقف عَلَى ذكره في تآليفه ·

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ اربعمائة كما ذكره ابراهيم الحصري القيرواني في كتابه « زهر الآداب » حيث قال « ان الذي سبب للبديع تأليف مقاماته هو انه رأى ابا بكر بن الحسين بن دريد قد اغرب باربعين حديثاً ذكر انه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره عَلَى طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعمائة مقامة ... » الا ان المتداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط طبعت بمصر وغيرها والمظنون ان في عصر ابن شرف لم يصل الى افريقية سوى عشرين منها

(٢) بالاصل · أَرجوا — (٣) من هنا فقط تبتدئ النسخة الاندلسية —

(٤) وبالنسخة الاندلسية: في ذكر اهل النظام · ومنازلهم في الجاهلية والاسلام —

وحديثهم (١) فقال الشعرآء (٢) اكثر من الاحصاء واشعارهم ابعد من شقة الاستقصاء . فقلت لا اعتبك (٣) باكثر من المشهورين . ولا اذاكرك الا في المذكورين (٤) مثل الضليل والقتيل . ولبيد وعبيد . والنوابغ . والعشو (٥) والاسود بن يعفر . وصخر الغي (٦) وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخيل . وعامر بن الطفيل . والفرزدق وجرير . وجميل بن معمر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجرول . والاخطل . وحسان في هجائه (٧) ومدحه . وغيلان في ميته وصيدحه . والهذلي ابي ذؤيب (٨) وسحيم ونصيب . وابن حلزة الوائلي . وابن الرقاع العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المري (٩) وشعرآء فزارة . ومفلقي بني زراره . وشعرآء تغلب ويثرب . وامثال هذا النمط الاوسط كالرماح . والطرماح . والطثري والدميني . والكميت الاسدي . وحميد الهلالي . وبشار العقيلي . وابن ابي حفصة الاموي . ووالبة الاسدي . وابن جبلة الحلمي . وابي نواس الحكمي . وصريع الانصاري . ودعبل الخزاعي . وابن الجهم القرشي . وحبيب الطائي والوليد البحتري . وابن المعتز العباسي . وعلي بن العباس الرومي . وابن رغبان الحمصي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس بن حمدان . والمتنبي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاحنف الحنفي . وكشاجم الفارسي . والصنوبري الحلبي . ونصر الخبزدزي (١٠) وابن عبد ربه القرطبي . وابن هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي (١١) التونسي . والقسطلي قال ابو الريان لقد سميت مشاهير . وابقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما الضليل (١٢) مؤسس الاساس . وبنيانه (١٣) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخد

(١) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية — (٢) بالنسخة الاندلسية : عدد الشعراء —(٣) وبالنسخة التونسية: اعنتك وهو الاولى —(٤) من ولا اذكر الى المذكورين مفقود من النسخة الاندلسية —(٥) بالنسخة الاندلسية : العشي —(٦) بالنسخة الاندلسية : ومن سواه من اعمى —(٧) بالنسخة الاندلسية : في اهاجيه — (٨) بالنسخة التونسية: وابو ذؤيب الهذلي — (٩) بالنسخة التونسية: المزني وهو ايضاً صحيح —(١٠) بالنسخة التونسية: الخبزري — (١١) بالنسخة الاندلسية : الاياذي وعلي بن العباس الايادي هذا من فحول الشعراء التونسيين خدم بشعره الامراء العبيديين اواسط القرن الرابع وكان معاصراً لابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي (١٢) الضليل هو امرؤ القيس بن حجر الكندي حامل لواء شعرآء الجاهلية — (١٣) بالنسخة التونسية : بنائه —

حتى قال أسيلة مجري الدمع · وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيداء وتامة العنق واشباه هـذا حتى قال بعيدة مهوى القرط [١] وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وشبهه حتى قال قيد الاوابد [٢] ومثل هذا له كثير · ولم يكن قبله من فطن لهذه الاشارات والاستعارات غيره فامتثلوه بعده · وكانت الاشعار قبل سواذج · فبقيت هذه جدداً وتلك نواهج · وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسج · وان كان النهج واما طرفة فلو طال عمره · لطال شعره · وعلا ذكره · ولقد خص باوفر نصيب من الشعر · على ايسر نصيب من العمر · فملأ ارجاء ذلك النصيب بصنوف من الحكمة · واوصاف [٣] من علو الهمة · والطبع معلم حاذق · وجواد سابق واما الشيخ ابو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة · عن جنان الاصالة · فلا تسمع له الا كلاماً فصيحاً · ومعنى مبيناً صريحاً · وان كان شيخ الوقار · والشرف والفخار · لبادئات في شعره وهي دلائله · قبل ان يعلم قائله · واما العبسي [٤] فمجيد في اشعاره · ولا كمعلقته فقد انفرد بها انفراد سهيل · وغبر في وجوه الخيل · وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة · ورقة الغزل وغلظة البسالة · واطال واستطال · وامن السآمة والكلال · واما زهير فاي زهير · بين لهوات زهير · حكم فارس · ومقامات الفوارس · ومواعظ الزهاد · ومعتبرات العباد · ومدح يكسب الفخار · و يبقى بقاء الاعصار · ومعاتبات مرة تحسن · ومرة تخشن وتارة تكون هجواً · وطوراً تكاد تعود شكراً · واما ابن حلزة [٥] فسهل الحزون · قام

---

(١) لم نعثر في شعر امرئ القيس على هذه الجملة ولا التي قبلها · واول من استعمل لفظ القرط في نظمه هو عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

كما ان الاخطل هو اول من وصف الخد بالسهولة وذلك في قوله :

اسيلة مجرى الدمع اما وشاحها فجار واما الحجل منها فما يجري

« ٢ » اشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وهذا البيت يعد من ابتداعات امرئ القيس ومخترعاته

« ٣ » من هنا يبتدئ النقص بالنسخة التونسية فاتممنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

« ٤ » العبسي هو عنترة بن شداد «٥» هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري البكري احد شعراء الجاهلية المجيدين

خطيباً بالموزون . والعادة ان يسهل شرح الشعر بالنثر . وهذا اسهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء [1]

من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل خلال ذاك رغاء

فلو اجتمع كل خطيب ناثر . من اول وآخر . يصفون سفراً نهضوا بالاسحار . وعسكراً تنادي بالنهوض الى طلب الثار ما زادوا عَلَى هذا ان لم ينقصوا منه ولم يقصروا عنه وسائر قصيدته في هذا السلك شكاية وطلاب نصفة وعتاب في عزة وانفة وهو من شعراء وائل واحد اسنة هاتيك القبائل واما ابن كلثوم فصاحب واحدة بلا زيادة انطقه بها عز الظفر وهزه فيها جن الاشر فقعقعت رعوده في ارجائها وجعجعت رحاه في اثنائها وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي اليها وملتها التي تعتمد عليها فلم يتركوا إعادتها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم [2]

عَلَى انها من القصائد المحققات واحدى المعلقات واما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تناهى نضجها ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثف نسجها لم تهلهلها ميعة الشباب ولا وهاء الاسباب ولا لوم الاكتساب فشعره وسائط سلوك وتيجان ملوك واما النابغة الجعدي فتى الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره افصح الناطقين ودعا له اصدق الصادقين وكان شاعراً في الافتخار والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوباً فيه في الجاهلية وطريد ليلى الاخيلية واما العشي باجمعهم فكلهم شاعر ولا كميمون بن قيس شاعر المدح والهجاء واليأس والرخاء والتصرف في الفنون والسعي في السهول والحزون نفق

« ١ » البيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاوٍ يملُّ منه الثواء

يقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان ينشده من وراء سبعة ستور فامر عمرو برفع الستور عنه استحساناً لها . وتروى أجمعوا بدل أبرموا .

« ٢ » قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة ببيت آخر وهو :

يفاخرون بها مذ كان اولهم يا للرجال لشعر غير مسؤم

مدحه بنات المحلق وكان في فقر ابن المذاق وابكى هجوه علقمة [١] كما تبكي الأمة
واما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا ندب دولة زالت او بكى حالة حالت اووصف ربعاً خلا بعد عمران او داراً درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من حشو هذا القبيل كعمرو وزيد وسعد وسعيد واما حسان فقد اجتث بواكر غسان ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فحاجش عن الدين وناضل عن خاتم النبيين فشعر وزاد وحسن واجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتسديد الروح الامين واما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم واول من تغزل في رثاء وهزل في حزن وبكاء فقال في معبد اخيه قصيدته المشهورة يرثيه :
ارث جديد الحبل من ام معبد [٢] وهي من شاجيات القوائح وباقيات المدائح
واما الراعي عبيد فجبل على وصف الابل فصار بالراعي يعرف ونسي ما له من الشرف واما زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك واما عامر ابن الطفيل فشاعرهم في الفخار وفي حماية الجار واوصفهم لكريمة وابعثهم لحميد شيمة واما ابن مقبل فقديم شعره وصليب نجره ومغلى مدحه ومعلى قدحه واما جرول فخبيث هجاؤه شريف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا .
واعاد بلطافة فكره ومتانة شعره قبيح الالقاب فخراً يبقى في الاحقاب ويتوارث في الاعقاب واما ابو ذؤيب فشديد اسر الشعر حكيمه شغله فيه التجريب حديثه وقديمه وله المرثية النقية السبك المتينة الحبك بكى فيها بنيه السبعة ووصف الحمار فطول وهي التي اولها امن المنون وريبه تتوجع [٣]
واما الاخطل فسعد من سعود بني مروان . صفت لهم مرآة فكره . وظفروا بالبديع من شعره . وكان باقعة من حاجاه . وصاعقة من هاجاه واما الدارمي همام [٤] فجوهر

« ١ » هو علقمة بن علاثة هجاه اعشى ميمون دفاعاً عن عامر بن الطفيل بابيات طالعها:
علقم ما انت الى عامر الناقض الاوتار والواتر
« ٢ » قال ابن الكلبي: لا اعلم مرثية اولها نسيب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة: باب الرثاء)

ارث جديد الحبل من ام معبد بعافية قد اخلفت كل موعد
« ٣ » وبقية البيت : والدهر ليس بمعتب من يجزع
« ٤ » الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

183

كلامه · واغراض سهامه · اذا افتخر بملك ابن حنظلة · وبدارم في شرف المنزلة · واطول ما يكون مدى اذا تطاول اخ يار جرير عليه بقليله عَلَى كثيره · و بصغيره عَلَى كبيره · فانه يصادمه حينئذٍ بحر ماد · ويقاومه بسيف حاد · واما ابن الخطفي (١) فزهد في غزل · وحجر في جدل · يسبح اولاً في ماء عذب · ويطمح آخراً في صخر صلب · كلب منابحة · وكبش مناطحة · لا نفل غرب لسانه مطاولة الكفاح · ولا تدمي هامته مداومة النطاح · جارى السوابق بمطية · وفاخر غالب بعطية · وبلغته بلاغته الى المساواة · وحملته جرأته عَلَى المجاراة · والناس فيهما فريقان · و بينهما عند قوم فرقان · واما القيسان (٢) وطبقتهما فطبقة عشقة · توقة · استحوذت الصبابة عَلَى افكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني اشعارهم فكلهم مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه واما كثير فحسن النسيب فصيحه لطيف العتاب مليحه شجي الاعتراب قريحه جامع الى ذلك رقائق الظرفاء وجزالة مدح الخلفاء واما الكميت والرماح ونصيب والطرماح فشعراء معاصرة ومناقضات ومفاخرة فنصيب امدح القوم والطرماح اهجاهم والرماح انسبهم نسيبا والكميت اشبههم تشبيبا واما بشار بن برد فاول المحدثين وآخر المخضرمين وممن لحق الدولتين عاشق سمع وشاعر جمع · شعره ينفق عند ربات الحجال · وعند فحول الرجال فهو يلين حتى يستعطف · ويقوى حتى يستنكف وقد طال عمره وكثر شعره وطما بحره ونقب في البلاد ذكره واما ابن ابي حفصة (٣) فمن شعراء الدولتين وممن حظي بالنعمتين ووصل الى الغنى بالصلتين وكان درب المعول ذرب المقول والد شعراء ومنجب فصحاء ·

(١) ابن الخطفي هو جرير بن عطية بن الخطفي التيمي الشاعر المشهور المتوفى سنة ١١٠ وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجاة ونقائص مثبتة بتأليف خاص

(٢) اولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون ليلى واشعاره فيها متداولة بين الناس · وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكناني رضيع الحسن ابن علي بن ابي طالب توفي في حدود السبعين للهجرة · وغالب اشعاره في معشوقته لبنى بنت الحباب

(٣) هو ابو السمط مروان بن ابي حفصة سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ وتوفي عام ١٨١ ببغداد وله نوادر كثيرة تراجع بمعاجم التراجم

واما ابو نواس . فاول الناس في خرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى . ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلا والصعب سهلا فهلهل المسرد وبلبل المنضد وخلخل المنجد وترك الدعائم وبنى عَلَى الطامي والعائم وصادف الافهام قد نكلت واسباب العربية قد تخاخلت وانحلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت . فمال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما الفوه فتهادوا شعره واغلوا سعره . وشغفوا باسخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده اقوى ومراجه اضوا لكنه عرض الانفق واهدى الاوفق وخالف فشهر وعرف واغرب فذكر واستظرف والعوام تختار هذه الاعلاق واسواقهم اوسع الاسواق فشعر ابي نواس نافق عند هذه الاجناس كاسد عند انقد الناس وقد فطن الى استضعافه وخاف من استخفافه . فاستدرك بفصيح طرده طرفا حد اللسان وحدوده وهو محدود في كثرة التظاهر على من غض منه بالحق الظاهر ليس الا خفة روح المجون وسهولة الكلام الضعيف الملحون عَلَى جمهور العوام لا عَلَى خواص الانام واما صريع [1] فكلامه مرصع ونظامه مصنع وجملة شعره صحيحة الاصول مصنعة الفصول قليلة الفضول واما العباس بن الاحنف فمعتزل بهواه وبمعزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والهجاء ووضعها بين يدي هواه من النساء قد رقق الشغف كلامه وثقفت قوة الطبع نظامه فله رقة العشاق وجودة الحذاق واما دعبل فديد مقبل اليوم مدح وغدا قدح يجيد في الطريقتين ويسيء في الخليقتين وله اشعار في العصبية وكان شاعر علماء وعالم شعراء واما علي بن الجهم فرشيق الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم الخلفاء وله في الغزل الرصافية وفي العتاب الدالية ولو لم يكن له سواهما لكان

(١) صريع الغواني لقب لشاعرين الاول القطامي واسمه عمير بن شييم ابن اخت الاخطل سمي بذلك لقوله :

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب

والثاني وهو الذي قصده ابن شرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصاري من شعراء الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

ومولد مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر المعروف بالبديع

اشعر الناس بها واما الطائي حبيب فمتكلف الا انه يصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجنيس حبذ ذلك او بئس جزل المعاني مرصوص المباني مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه طرفا نقيض وخطبا سماء وحضيض وفي شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من ايام العرب وطارت له امثال وحفظت له اقوال وديوانه مقرو وشعره متلو قال ابن بسام اما صفته هذه لابي تمام فنصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة واعتمدها ملة فما لام من ادب وان اوجع ولا سب من صدق وان اقذع واما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودر رجراج ومعناه سراج وهاج على اهداء منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسر مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته اوراك طبع لا تكلف يعيبه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكلف غزيره لم يهف ايام الحلم ولم يصف زمن الهرم واما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والعبارات الجرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الفنونية والافتخارات الملوكية والهمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد[1]

واما ابن الرومي[2] فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وله في الهجاء ماليس له في الاطراء فتح فيه ابوابا ووصل منه اسبابا وخلع منه اثوابا وطوق فيه رقابا يبقين اعمارا واحقابا يطول عليها حسابه ويمحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المريرة وقوة المرة واما كشاجم فحكيم شاعر وكاتب ماهر له في التشبيهات غرائب وفي التأليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فيرققه ويروقه واما الصنوبري ففصيح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لشواذ القوافي يغسل كدرتها بمياه فهمه الصوافي فتحلو وتدق وتعذب وترق[3] وهو وحيد[4] جنسه في صفة الازهار وانواع الانوار وكان في بعض اشعاره

(١) البيت للفرزدق هجا به نصيباً وقد يروى : اشرفه رجالا عوض اكرمه رجالا

(٢) هنا ينتهي النقص الذي بالنسخة التونسية

(٣) بالنسخة التونسية : فيجل و يدق و يعذب و يرق

(٤) وبالنسخة التونسية : جيد جنسه

بتخالع وفي بعضها يتشاجع وقد مدح وهجا ونثر[1] وشجا واعجب شعره واطرب وشرق وغرب ومدح من اهل افريقية امير الزاب جعفر بن علي[2] منفق سوق[3] الآداب فوصله بالف دينار بعثها اليه مع ثقات التجار[4] واما الخبزرزي[5] فخليع الشعر ماجنه رائق اللفظ بائنه كثيرة محاسنه صحيحة اصوله ومعادنه رائقة البزة مائلة الى العزة تسليه عن الحب الخيانة ويروقه الوفاء والصيانة وله على خشونة خلقه وصعوبة خلقه اختراعات لطيفة وابتداعات طريفة[6] في الفاظ كثيفة وفصول قليلة الفضول نظيفة حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتدم اشياء من مبانيه واهتضم طرفاً[7] من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه واما ابو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان ان شئت ضرباً وطعنا او لفظاً ومعنى ملك زمانا وملك اوانا وكان اشعر الناس في المملكة واشعرهم في ذل الملكة[8] وله الفخريات التي لا تعارض والاسريات التي لا تناقض[9] واما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره العيون الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش في قعره عن جمانه[10] ودره وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو[11] في مدحه وعليه خوارج تتعايا في جرحه والذي اقول ان له حسنات وسيئات وحسناته اكثر عدداً واقوى مدداً وغرائبه طائرة وامثاله ثائرة وعلمه فسيح وميزه صحيح يروم فيقدر ويدري ما يورد ويصدر قال ابو الريان[12] هذا ما عندي في شعراء المشرق وقد سميت لي من متأخري شعراء

(١) بالنسخة الاندلسية : سر بدل نثر — (٢) هو ابو علي جعفر بن علي بن احمد ابن حمدان امير الزاب من اعمال افريقية ومؤسس مدينة المسيلة بالمغرب وقد حاربه الامير بلكين الصنهاجي صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس وبها قتل سنة ٣٦٤ ه ولابي القاسم محمد بن هاني الشاعر الاندلسي في جعفر المذكور مدائح فائقة تراجع في ديوانه — (٣) بالنسخة التونسية : سلع عوض سوق — (٤) من بعثها الى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية — (٥) الخبزي ويروى ايضاً الخبزأرزي هو ابو القاسم نصر بن احمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ (٦) بالنسخة الاندلسية : طريفة — (٧) بالنسخة الاندلسية : تطرفاً عوض طرفا — (٨) بالنسخة الاندلسية : الملك عوض الملكة — (٩) بالنسخة الاندلسية تناهض — (١٠) بالنسخة الاندلسية : حمأته (؟) بدل جمانه — (١١) بالنسختين تغلو (١٢) من قال ابو الريان الى فاما ابن عبد ربه مفقود من النسخة الاندلسية

المغرب من لعمري لا يبعد عن معاصرهم ولا يقصر عن سابقهم فاما ابن عبد ربه القرطبي وان بعدت عنك دياره[1] فقد صاقبتنا اشعاره ووقفنا عَلَى اشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائحه المروانية ومطاعنه في العباسية وهو في كل ذلك فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا في شعره عَلَى علم واسع ومادة فهم مضيءٍ ناصع ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن يتجمل بعده واما ابن هاني محمد الاندلسي ولادة القيرواني وفادة وافادة فرعدي الكلام سردي النظام متين(٢) المباني غير مكين المعاني يجفو بمطبها عن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق يؤثر في النيق وله غزل قفري لا عذري لا يقنع فيه بالطيف ولا يشفع فيه(٣) بغير السيف وقد نوه بملك الزاب وعظم شأنه باجزل الثواب وكان سيف دولته في اعلاء منزلته من رجل يستعين عَلَى صلاح دنياه بفساد اخراه لرداءة عقله ورقة دينه وضعف يقينه ولو عقل لم تضق عليه(٤) معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكفر واما القسطلي (٥) فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بانه المؤخر بالعصر المقدم في الشعر حاذق[6] بوضع الكلام في مواضعه لا سيما اذا ذكر ما اصابه في الفتنة وشكا ما دهاه في ايام المحنة وبالجملة فهو اشعر اهل مغربه في ابعد الزمان واقربه واما علي التونسي فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو بحتري الغرب يصف الحمام فيروق الانام ويشبب فيعشقق ويحبب ويمدح فيمنح اكثر ما يمنح

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين عَلَى احتقار المعاصر واستصغار المجاور · فحاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحبيب قلت : ياابا الريان(٧) اكثر الله مثالك في الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثان فلقد

(١) بالنسخة التونسية : وان بعدت عنا ذكره — (٢) من متين الى كنقطة النظام مفقود من النسخة الاندلسية

(٣) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع — (٤) بالنسخة التونسية : عنه بدل عليه — (٥) القسطلي هو ابو عمر احمد بن محمد بن دراج القسطلي الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢١ هجري والقسطلي نسبة الى قسطيلية احدى الولايات بجزيرة الاندلس (٦) بالنسخة الاندلسية : يوقع بدل يوضع — (٧) من قوله اكثر الله الى محذور الزمان مفقود من النسخة الاندلسية

سبكت فهما وحشيت علما(١)

قال محمد قلت لابي الريان في مجلس عقيب هذا المجلس يا ابا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيبا ومرمى عجيبا ولقد ارغب في ان انال منه نصيبا قال النقد هبة الوالد. وفيه زيادةُ طارف الى تالد ولقد رأيت علماء بالشعر ورواةً له ليس لهم نفاذٌ في نقده ولا جودة فهم في رديه وجيده وكثير ممن لا علم له يفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت انا شديد الرغبة الى فضلك في ان تسهمني من ميزك وعقلك مااستهدي بسراجه على مستقيم منهاجه فاقف من سرائره عَلَى بعض ماوقفت واعرف من متاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت قال نعم اول ما عليه تعتمد واياه تعتقد ان لا تستعجل باستحسان ولا باستقباح ولا باستبرادٍ ولا باستملاح حتى تنعم(٢) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان العجلة في كل شيء موطيءٌ زلوق ومركب زهوق فان من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد عَلَى السامع منه قعاقع فلا يرعك شماخة مبناه وانظر الى ما في سكناه من معناه فان كان في البيت ساكن فتلك المحاسن وان كان خاليا فاعدده جسماً باليا وكذلك اذا سمعت الفاظاً مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما في اضعافها فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فان حسنا فذلك الحظ الممدوح وان قبح احدهما فلا يكن الروح قال: وتحفظ عن شيئين احدهما ان يحملك اجلال القديم المذكور عَلَى العجلة باستحسان ما تسمع له والثاني ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود عَلَى التهاون بما انشدت له. فان ذلك جورٌ في الاحكام وظلم من الحكام حتى تمحص قولهما فحينئذ تحكم لهما او عليهما وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتعاب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها من المحدث الجديد فقال حاكياً لقولهم انا وجدنا اباءنا عَلَى أمةٍ وقال لن نعبد الا ماوجدنا عليه آباءنا وقد قلت انت :

---

(١) هنا تنتهي النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه :« نجزت المقامة باسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته عَلَى محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه اه » ثم عقب ذلك بخط غير منقوط « طالعته في موفي سنة خمس وخمسمائة » وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريباً من عهد المؤلف (راجع ترجمته بالمقدمة) (٢) تنعم مثل تمعن

186

أغري الناس بامتداح القديم وبذم الجديد غير ذميم(١)
ليس الا لانهم حسدوا الحي ورقوا على العظام الرميم

وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للاوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديداً وسيغدو(٢) هذا الجديد قديما

فلا يرعك ان تجري على منهاج الحق في جميع الخلق فبه قامت السموات والارض وبه احكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثالا واملأ اسماعك مقالا وفهمك عدلاً واعتدالا

يتبع

مخطوطات ومطبوعات

حاضر الاسلام ومستقبله

تأليف الاستاذ مونته من كلية جنيف (سويسرا) طبع على نفقة الكتبي بول كوتنر بباريز ص ١٥٧

M.E. Montet . De l'Etat présent et de l'avenir de l'Islam.
Librairie Paul Geuthner, Paris

في رجال العلم في الغرب فئة قليلة تجردت نفوسهم عن الغايات فاذا اصدروا حكمهم على امر يصدرونه اقرب الى الصحة احياناً اكثر ممن تربوا تربية القرون الوسطى وتشبعوا بافكار اهلها او نزعوا منزعاً سياسياً فصارت اقوالهم وافعالهم تصدر وهي ترشح من مادة سياسة دولتهم . ومن اهل تلك الفئة الفاضلة الاستاذ مونته من جامعة جنيف في سويسرا التي ست محاضرات في حاضر الاسلام وماضيه باللغة الافرنسية في « كوليج دي فرانس » بباريز وهي دار العلم العامة ونشرها في كتاب ارسل الينا لنبدي رأينا فيه فرأينا ان نلخص اقواله اولاً ثم نعقب عليها اذا وجدنا داعياً قال في المحاضرة الاولى في الابحاث الاسلامية واحياء نفوس اهل الاسلام وانتشار دينهم ان فرنسا والمانيا

«١» اورد البيتين العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الحريري « ج ١ ص ١٢ » وروى : اولع بدل اغري والحديث بدل الجديد ومالوا عوض رقوا وقوله « ذميم » اصلها « غير الذميم » كما انه اورد لفظ « ورقوا » في البيت الثاني والاحسن عندي ان نقرى « فرقوا » «٢» بالاصل : سيغدوا

وبريطانيا العظمى وهولاندة هي الدول التي لها علاقة كبرى بالمسلمين لان لها في مستعمراتها ملايين منهم تابعين لها وان طبائع الحكومات الخاضعين لها تختلف باختلاف طبائعهم فيمكن ارجاع المسلمين المحكوم عليهم في آسيا وافريقية الى ثلاثة اقسام كبرى الهنود والمالايو والافريقيون وانه يؤثر ان يتكلم على المسلمين الخاضعين لفرنسا بنوع خاص ولا يتعرض لمسلمي الهند وجاوه وسومطرا الا بالعرض

المسلمون البربر يختلفون في طبائعهم عن مسلمي العرب او الفرس او الهنود او الصينيين او المالايو كما تختلف النصرانية اذا نظر اليها نظراً اجمالياً لانها تختلف باختلاف طبائع اهلها بحسب الاقاليم اوربية كانت او اميركية او افريقية او آسياوية

اذا نظر الى البلاد الاسلامية من حيث مجموعها يتأتى ان يقال له الاسلام في الجملة منتشر في جزء عظيم من قارة آسيا وجزء مثله من قارة افريقية وفي بلاد عظيمة جداً من ماليزيا دع عنك النازلين من اهل الاسلام في قارتي اوربا واميركا وعددهم فيهما لا يستهان به

واذا جئنا نحصي عدد المسلمين كان لفرنسا في افريقية منهم ٢٣٦١٠٨٠٠٠ وربما بلغ المسلمون تحت علم انكلترا ٦٨٠٠٠٠٠٠ وتحت حكم هولاندة ٣٨٩٣٨٠٠٠ منهم زهاء ثلاثين مليوناً في جاوة والمسلمون في الصين ثلاثون مليوناً اما سائر بلاد الاسلام فليس لها احصاء يعتمد عليه الا مصر وعددهم فيها ١٠٢٦٩٠٠٠ وسكان المملكة العثمانية ٢٤ مليوناً القسم الاعظم منهم مسلمون وفي ايران تسعة ملايين وفي مراكش مثلهم او اقل او اكثر فيبلغ عدد من ينتحلون الاسلام في العالم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليوناً . ولم يقف الاسلام عند حد البلاد التي انتشر فيها بل تعداها الى غيره شأن اناء صببت فيه زيتاً اكثر مما يسع ففاض على جوانب الآنية

انتشر الاسلام بسرعة منذ اول ظهوره وقليل في الاديان التي شابهته وانبثت دعوته الى اليوم مثله وان النجاح الذي صادفه منذ انتشاره قد كان داعياً الى التقول في اسبابه خطأ اذ عجب الناس كيف انتشرت سلطة محمد واصلاحه خارج جزيرة العرب وقال القائلون ولا يزالون يقولون ان السبب الداعي الى انتشار الدين الاسلامي قد كان منبعثاً من اسباب زمانية كانت من طبيعة محمد والخلفاء الاول وقبل كل شيء دعت اليها القسوة وقوة السيف ولكن الواقع قد كذب هذا الظن اذ لم ينظر الناظرون الى الاسباب المختلفة التي نشأت منها سرعة انتشار الدعوة الى هذا الدين

187

لاشك عندي بان مبادئ الاصلاح الاسلامي كانت بداءة بدء دينية صرفة . فكان محمد رسولاً عَلَى نحو ما عرف العبرانيون رسلاً مثله فقام باعتقاد خالص واتى عَلَى الوثنية وتوخى ان ينقذ مواطنيه من دين بربري سخيف وان يخرجهم من حالة في الاخلاق والمدنية منحطة كل الانحطاط . فلا مجال الى الشك اذاً في اخلاصه وحماسته الدينية التي كانت متشبعة بها نفسه وفكره فقام يدعو بعواطفه الى اصلاحه في مكة ثم في المدينة

ولما نقل مركز اصلاحه الى يثرب لم يلبث عنصر جديد ان ينضم الى ارادته الاصلاحية وهذا العنصر هو الشعور الوطني العربي والفكر الذي اخذ يسري في عقله بتوحيد بلاد العرب توحيداً سياسياً فنشأ بعد ذلك فكر الاصلاح الديني الى فكر جمع كلمة القبائل العربية تحت سلطة دينية وسياسية واحدة ومن هناك نشأت جرثومة مزج السلطتين الدينية والمدنية اللتين تجلى امرهما في الحضارة الاسلامية وكانت سبب عظمتها ومجدها كما ان بذلك يعلل سبب انحطاطها وخرابها وبهذا ساغ ان نميز بين انتشار الدعوة الاسلامية بادئ بدء ووعظ القرآن والهداية الدينية وبين الفتح الحربي وتوحيد سياسة العالم العربي . وهذا التمييز الاساسي الجوهري لا يفجأ به انسان تبحر في دروس التاريخ الديني فان موُرخي الاصلاح الذي قام به لوثيروس وكلفن شاهدون بما كان للسياسة من العمل في نشر المذهب البرتستانتي . وحقًا ان كبار المصلحين في القرن السادس عشر كانوا ارباب وجدانات واخلاق ونوابغ في الدين من الطراز الاول ولكن جذبهم تيار السياسة في عصرهم فعملوا على ان يديروه بحيث يوافق رغائبهم الدينية

وان في تاريخ البابوية امثلة لا تقل عن ذلك في الظهور والدلالة عَلَى الصلة الشديدة في النشوء البشري بين المصالح الروحية والمصالح السياسية والاعتبارات الدينية والاعتبارات العملية والمادية

ولقد ذهب بعضهم مذاهب اخرى في تأويل هذه القضية المعروفة في سرعة انتشار الاسلام لاول امره وارى ان من الباحثين من اوغلوا في تعليل الاسباب على حين يكفي كما بينا ان تعتبر الاسباب العامة الاعتيادية في حياة كل مجتمع بشري فقال بعضهم ان القوة في انتشار هذا الدين نشأت من طبيعة هجرة العنصر العربي الذي كان يبحث عن مخرج يخرج اليه من ارضه لان بلاده كانت ضيقة لا تكفيه وزعم آخرون ان السبب

فى انتشار العنصر العربي والهجرة التي انتهت في القرن السابع للميلاد بنشر الاسلام في جزء مهم من بلاد الشرق كان منبعثاً من بطء التبدل في بلاد العرب الوفاً من السنين فكان من نتيجة ذاك التبدل جفاف تلك الشبه الجزيرة التي تعادل بمساحتها ثلاثة ارباع مساحة اوربا اما نحن فنخشى كثيراً ان يكون هذا التغير الاساسي في المناخ لا يصل بنا الى اوقات عريقة في القدم قبل ان عرف التاريخ

اوجزنا الكلام على هذه الاسباب في انتشار الدعوة الاسلامية لاول عهد الهجرة لان هذا الدين ما برح ينتشر الى اليوم والعاملان الجوهريان فيه عَلَى الدوام هما اللذان اوردناهما اولاً وما انتشار الاسلام في القرن العشرين الا ناشيء من اسباب منها الديني ومنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

فالاسباب الدينية اذا بحثنا فيها كان علينا بادي الرأي ان ننظر فيما اذا كان للاسلام كما للنصرانية مبشرون فانا نرى النصرانية تنتشر في الخارج بواسطة جمعيات التبشير وعوامل منفردة في المذهب البرتستانتي والمذهب الكاثوليكي بواسطة الرهبنات . وليت شعري هل في الاسلام شيء يشبه هذا فالجواب لا ونعم

ففي افريقية مثلاً اناس من المرابطين هم دعاة تبشير حقيقيين وهناك طرق دينية اخذت عَلَى نفسها نشر الدين الاسلامي عَلَى ان الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين انفسهم لان كل مسلم في البلاد الوثنية داعية دين بحد ذاته . المسلم عَلَى الجملة مؤمن مخلص في ايمانه وربما كان ذلك لانه قليل التعلم او كثير الجهل ومن خصائص الاسلام ان يستولي عَلَى المعتقد به فيكون مأخوذاً به قلباً وقالباً ولئن كان ثمت من المسلمين الفاترين الذين قلما يعنون بمثل هذه الامور الا ان الحمية خلق اساسي فيمن يدينون بالاسلام . واني اكرر ان في مطاوي المسلم احياناً شيئاً يشبه المبشر فهو يدعو الى دينه كما كان يعمل الالبيجوي والفودوي في القرون الوسطى يدعو الى دينه وهو متوفر عَلَى تجارته او عامل في صناعته والفرق بين هؤلاء الدعاة الملاحدة قديماً و بين المسلمين اليوم هو ان الاولين كانوا يستعملون سراً هذه الطريقة في بث معتقدهم لان الحاجة كانت تضطرهم الى التقية فراراً بانفسهم من الظلم فيخبؤن كتبهم الدينية في متاعهم وخرائط بضائعهم اما الاسلام فينتشر من نفسه بواسطة القوافل التي ترحل في البلاد الوثنية اوالفتشية ودعاة الاسلام فيما عرفوا به من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة تناسب كل حال بحسب الاقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين اهلها وللوسائط الاجتماعية والاقتصادية دخل كبير في

188

الاسباب الدينية التي يعمدون اليها

وهكذا نرى الدعاة المسلمين قد انشأوا قرى سكنها المهتدون الى دينهم من المحدثين في الاسلام ولطالما انتفعوا من القحط الذي كان يأتي بجرانه في اصقاعهم كما حدث في وانكيا على شاطئ زنجبار ليظهروا دينهم في مظهر الشفقة والاحسان وكم من مرة اعتقوا الرقيق لينشروا معتقدهم كما وقع في واداي فان قافلة من العبيد واصلها من واداي قد اطال اليها يد النهب اهل البادية على حدود طرابلس الغرب ومصر فاشتراهم سيدي محمد بن علي السنوسي وعلمهم في زاويته التعليم الضروري واعتقهم واذ ايقن بعد بضع سنين غناءهم في بث الدعوة اعادهم الى وطنهم ليتوفروا فيه على نشر الاسلام

وان دعاة المسلمين في الاقطار المتمدنة والشعوب المستنيرة ليجرون في دعوتهم على غير هذه الطريقة فيتوخون بمالهم من علم وتعليم راق الى نيل الحظوة من الرؤساء وبواسطتهم يؤثرون في الرأي العام ويسكتون عن بعض العادات المألوفة في ذلك القطر ويتغافلون عن بعض الاوهام الدينية والاحتفالات الوثنية فهكذا ترى المسلمين في الصين وقد فتحت في وجوههم جميع الاعمال فيها لا ينشئون مساجد اعلى من سائر المعابد ولا يضيفون اليها منارات ويوصون اهل ملتهم ان لا ينقطعوا عن الاختلاف الى مواطنيهم في اعيادهم التي لها صبغة دينية وطنية وهم عندما يقومون بالوظائف العامة يقومون بالفروض الدينية التي عينها القانون واذا حاوروا المهذبين من غير اهل دينهم يظهرون لهم الاسلام بانه دين الفطرة ينافي تقاليد الاجداد مجرد عن الزوائد والامور المستحدثة التي علقت بمذهب كونفوشيوس

والمدرسة هي احدى العوامل الفعالة في نشر الدين ايضاً فالمسلمون على الجملة عندما ينزلون ويتوطنون في بقعة جديدة يصرفون اول عنايتهم في انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة وينظر الى المسلم في بلاد زنوج الوثنيين في افريقية بانه ارقى من غيره وبذلك يخف الى التعلم في مدرسته ابناء الوطنيين يريدون ان يصبحوا مثله معلمين مهذبين منظمين

وترى المرأة عند قبائل البجة النازلة بين النيل الازرق واعالي البلاد الممتدة من شمال سطح بلاد الحبشة ارقى بعقلها من الرجل ولذلك يختار دعاة الاسلام تعليمهن والاعتماد عليهن في بث الدعوة على نحو ما يفعل السنوسية بالزنجيات في طوبو . وهذه الطريقة في الدعوة قد اشتهرت هناك في حين ان تعليم المرأة في البلاد الاسلامية مزهود فيه على الغالب

وينتشر الاسلام بالزواج ايضاً فالمسلم يتزوج عَلَى اهون سبب بامرأة من غير عنصره كالعنصر الافريقي او العنصر الصيني او غيرهما عَلَى حين المسلم في الصين يتزوج عن رضى من امرأة من بنات بلاده ولكنه يحاذر ان يزوج بناته من الصينيين غير المسلمين

وينتشر الاسلام ايضاً باشتراء ابناء الوثنيين يربونهم على الدين المحمدي وقد شوهد في الصين اناس من المحمديين يبتاعون بالمال عشرة آلاف طفل في ايام قحط حدث في شانغ تونغ لم يبق فيها ولم يذر

واذا اعتبرنا الاسلام من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية نراه ولا سيما في افريقية قوة اسمى من غيره وواسطة للنجاح من الطراز الاول وذلك ان الاسلام كالنصرانية لم يخرج عن كونه عبارة عن مدنية ذات اصل قديم انتشر انتشاراً طويلاً واتت عليه ادوار في النشوء بطيئة وكتب له ان بلغ في الشرق وفي الغرب اوج مجده وهو اذا انحط الآن وتراجع فلم يبرح له وجود . وكانت هذه المدنية في افريقية حيثما دخلت اسمى من غيرها من حيث الوجهة الادارية والاقتصادية ومن الوجهة العقلية والاخلاقية والدينية ولذا قال احد الباحثين اننا اذا قايسنا مجموع النتائج في بث النصرانية في افريقية وبث الاسلام لا من حيث العدد فان عدد من دانوا بالنصرانية قلائل بالنسبة للمسلمين بل من حيث التأثير العقلي والاخلاقي والاجتماعي في الجماعات والافراد المهتدين يتجلى لنا بلا شك ان الاسلام اسبق في هذا المعنى

فالاسلام بما فيه من مكانة اذا كتبت له الغلبة في الشعوب الافريقية ولا سيما في الزنوج فذلك لان فيه خاصية تلائم الشعوب الافريقية ولا سيما السود منهم فللاسلام بعض الاوضاع الاساسية المناسبة مع الحالة الاجتماعية في الزنوج واعني بذلك تعدد الزوجات والرق وسذاجة الحياة الظاهرة في اهل الاسلام وان هذه السذاجة في الاسلام هي قوة فيه هي قوة في التجنس تؤثر في الزنوج قوة شخصية في تربية النفس بالنفس وتمكين الارادة والشجاعة في قلب كل من دان به ان هذه السذاجة غريبة مدهشة لعمر الحق هي تطبيق حياة السذاجة التي يدعو اليها ارباب النظر السامي من اهل النصرانية في اوربا وافريقية

ومن جملة الاسباب التي دعت الى انتشار الاسلام احوال سياسية قضت عَلَى القبائل وعَلَى الافراد ان يحفظوا مراكزهم بالاسلام وكان ذلك قبل ان تتقاسم دول اوربا بالفعل تلك الاقطار فقبلت قبائل الزنوج الاسلام لتحفظ حياتها لما في الاسلام من الادارة

والنظام و يستقلوا في حكومات لهم مستقلة ذات نظام اجتماعي حي راق وبهذه الواسطة انتشر الدين الاسلامي في بلاد كثيرة من افريقية الوسطى والغربية

وان في تاريخ حياة المامي ساموري اكبر دليل عَلَى ما للمصلحة السياسية من الدخل في بث الدعوة للاسلام فقد كان هذا الرجل قبل الاستيلاء عَلَى مدينة كانكان بحسب اغراضه السياسية فهو وثني لاول امره ثم دان بالاسلام لما اتصل بصوري ابراهيما احد اتباع محمد ومؤسس مملكة تيديان الذي استقل واحتفظ بمدائن كونيا وكانكوما وتوروكوتو وكابادوكو وبعد حين عاد الى الوثنية حتى اذا نشبت حرب كونيا عاد فدان بالاسلام وقد جرى عَلَى تعاليم المرابط ديالو من فتاح جالون والفاعثمان من اهل الطريقة القادرية الذي جاء عقيب ارشاد الحاج عمر فتوطن في تلك البلاد في مدينة اسمها ليانكو ومنذ ذاك العهد ساعده « الفاعثمان » في جميع حملاته وباقتراحه أُطلق عَلَى ساموري بعد فتح كانكان لقب المامي

وهذا المأرب السياسي الذي حمل الوطنيين من الافريقيين عَلَى انتحال الاسلام قد اتت عليه الدول الاوربية اذ لم يجد الزنوج داعياً بعد ان فتحت كل من فرنسا وانكلترا مملكتيهما الافريقيتين ان يعمدوا الى هذه الطرق . فدخول الاوربيين الى افريقية حال دون انتشار الاسلام وبقاء الوثنية في الزنوج في مركزها وربما عاد بعض الوثنيين بعد انتحال الاسلام الى سابق دينهم كما وقع لجماعة اصلهم من قيس وصوننكه او ماركا دانوا بالاسلام واستوطنوا حوالى سنة ١٨٣٠ في شمالي باماكو واغتنوا وتأثلوا بما استرقوه من العبيد الذين توفروا عَلَى حراثة اراضيهم ولما احتل الفرنسيس تلك الجهات وابطل الرقيق ولا سيما في سنة ١٩٠٥ و١٩٠٦ عاد اولئك العبيد الى مواطنهم الاصلية فاضطر اولئك الجماعة ان يغادروا المدينة وينزلوا القرى ليحرثوها بانفسهم والغالب ان عدداً عظيماً منهم عادوا الى الوثنية وهناك امثلة اخرى للردة وهي كما تقدم منبعثة عن سبب سياسي كالسبب الذي دعا الى انتحال الاسلام فالمصلحة الواحدة ظهرت في الوجهتين المتخالفتين واعني بذلك المصلحة حفظ حقوق عنصرهم وامتيازاته

والظاهر اليوم ان الدواعي السياسية في افريقية لا تعمل لما فيه نشر كلمة الاسلام الا من حيث الوجهة المحلية الصرفة وهكذا في الجماعات الوطنيين من غير المسلمين حيث ترى مسلمين من اصل غريب واحياناً كثار العدد ولهم سطوة حقيقية لذلك يصعب عَلَى نفوسهم ان تخضع راضية لمطالب الرؤساء وقد تجد من اولئك الزعماء من يدين بالاسلام

علنا جهاراً وما ذلك الا دليل عَلَى سمو مكانة الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو ذريعة للمدنية

وقصارى ما ينتج من الحوادث التي عرضناها والاحصاءات وطرق الدعوة والاسباب المتنوعة في اسلام من لم يدن بدين الاسلام ان هذا الدين ينتشر و يرتقي وان له المكان السامي بين الاديان التي يبشر بها دعاتها و ينشرها رعاتها · وليس للامثلة في الردة عن الاسلام ونزع كلمته التي ذكرناها سوى شأن ضعيف وهي لا تمنع الاسلام كالنصرانية ان تكون منذ قرون في دور دائم من الرقي والنجاح

ولا يبعد ان يأتي يوم تحدث فيه امور لا يتيسر لنا التنبوء بها مثل اسباب نشر الاسلام التي اتينا على ذكرها فيكون منها انتشار هذا الدين انتشاراً فوق العادة بحيث يعجل في هجوم الاسلام عَلَى بعض الاصقاع من الكرة على نحو ماحدث في تاريخ الاسلام ومهما يكن من هذه الظواهر في المستقبل فالاسلام ليس واقفاً في انتشاره من حيث هو دين بل لا يزال ابداً يزيد بعدد منتحليه والمتدينين به · يروى ان عقبة بن نافع لما سار في جنده سنة ٦٢ للهجرة (٦٧٨) الى اقصى المغرب بعد ان جاز بلاد مراكش بلغ شاطئ بحر الظلمات فقفز على جواده وسط امواج البحر فاصابت المياه صدر حصانه فوقف وهتف قائلاً « اللهم رب محمد اني لو تحل امواج هذا البحر لسرت الى الاقطار المتنائية امجد اسمك في مملكة ذي القرنين اقاتل عن الدين واقضي على كل من لا يؤمن بك »

بيد ان الاسلام قد حقق من الاعمال اكثر مما طمحت اليه نفس هذا القائد الجبار الذي قال ما قال آنفاً فالاسلام قد تجاوز البحار وطاف الاقطار ناشراً رسالة محمد

هذه هي المحاضرة الاولى من الكتاب وهي نموذج صالح منه وقد تكلم في المحاضرة الثانية على اصل الاسلام وما طرأ عليه من البدع والالحاد والمذاهب وفي المحاضرة الثالثة على الاولياء وفي الرابعة عَلَى الطرق الاسلامية والتصوف وعملها الاجتماعي والسياسي وفي الخامسة عَلَى مذهب البابية والبهائية وفي السادسة عَلَى مستقبل الشعوب الاسلامية والميل الى المناحي الحرة في الدين وقد ختم المحاضرة الاخيرة بطلب اتحاد العالم الاوربي مع العالم الاسلامي وان يحسن الاوربيون الى المسلمين ويحسنوا علاقاتهم في الصناعات والتجارة قال : الاسلام من حيث هو دين قوة ادبية فاول شرط في هذه الصلات الحسنة احترام الدين الاسلامي احتراماً مطلقاً وقد اخذ هذا الدين يعرف احسن من ذي قبل حق المعرفة في اوربا بفضل ما نشره بعض العلماء وبعض

السياح فان خبرة الباحثين وسذج الزائرين للبلاد الاسلامية حرية بالنظر وكثير من السياح قد لاحظوا مثل ما لاحظت فقالوا ان احسن منقذ للاوربي في الاصقاع الاسلامية التي يقل اختلاف المسيحيين اليها اي التي تقل راحتهم فيها هو احترامهم للاسلام وليس من الضروري الا في احوال خاصة ان ينتحل المخالفون لدين الاسلام بل يكفي بان يكونوا احباباً للاسلام او بعبارة ابسط محترمين لشعائر هذا الدين . وكم من سائح في البلاد الاسلامية سمع عَلَى اساليب مختلفة ما كان قاله سلطان حايل الى المأسوف عليه هوبر « انت مسلم في بلادي » وبعد فان من الاتحاد بين المسلمين والاوربيين بل بين المسيحيين والمسلمين تنتج ولا شك نتائج حسنة قد ظهرت تباشيرها الآن فان اتحاد الارادات الحسنة في اوربا وارض الاسلام يسهل ولا جرم بالتدريج دخول كثير من الشعوب الاسلامية في تيار المدنية الحديثة . وعساني بهذه المباحث الحقيرة اكون قد حملت حجراً فوضعته في اساس البناء الذي أُقيم الوفاق الحسن بين المسلمين والاوربيين بل بين المسلمين والمسيحيين

والمقتبس يقول بارك الله بكل من تخط يده في تقريب الامم بعضها من بعض خصوصاً متى كان قصده كما هو الظاهر من عبارات الاستاذ مونته خدمة الانسانية والاجتماع لا خدمة سياسة مخصوصة ولا فكر خاص

التعليم في مصر
وحظ المسلمين والاقباط منه

للشيخ علي يوسف طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر (ص ٤١)

لو كان كل المفكرين من الكاتبين والعالمين لا يدونون الا ما يعلمون ولا يقدمون الا على ما يتقنون لما ظهر عوار موءلف ولما بدت مقاتل منشيء وباحث . وامامنا الآن كراسة في التعليم بمصر لمدير سياسة المؤيد اقدم الجرائد الاسلامية وارقاها في القطر المصري وهي خطبة القاها في المؤتمر المصري الاول اجاد فيها كل الاجادة لانه دعم كلامه بالارقام والكتابة بالدليل المحسوس يقرها الموافق والمخالف فقد قال ان البعثات العلمية التي نقلت العلوم والمعارف من اوربا الى مصر وكان لها اعظم عمل في تكوين مصر الحديثة بدورها الجديد كانت اسلامية محضة ليس بينها الا نحو عشرين طالباً من الارمن والروم والسوريين والاحباش وثلاثة من الاقباط وهوءلاء كانوا طلاب وظائف لا ناشري علوم ومعارف ولكن في هذا العهد الاخير قد توجهت رغبات

الاقباط كالمسلمين الى هجرة الاوطان في طلب العلوم والمعارف وان لم يبلغوا في هذا الصدد شأواً يضاهي شأوهم في رغبة التعليم في مصر · فقد بلغ عدد الطلبة المصريين الى سنة ١٩١٠ بفرنسا وسويسرا والمانيا وبلجيكا وانكلترا وايطاليا واميركا والاستانة وبيروت على نفقة آبائهم ٦٨١ طالباً وباضافة هذا العدد الى البعثة المرسلة من قبل الحكومة يكون عدد جميع البعثات العلمية المصرية الحاضرة خارج القطر المصري ٧٤٠ طالباً · واذا شئت ان تعرف مقدار عدد الاقباط في البعثات العلمية الموجودة الآن في القارات المختلفة سواء على نفقة الحكومة او على نفقة آبائهم فانهم لم يبلغوا خمسين طالباً اكثر من نصفهم في كلية بيروت واكثر من ثلثهم على نفقة الحكومة فنسبة الاقباط الى المسلمين في البعثات العلمية الحاضرة كلها لا تكاد تبلغ ٧ في المئة

وبلغ عدد الذين تخرجوا من مدرسة الحقوق الخديوية التي كان اسمها مدرسة الالسن والادارة حتى الآن ٦٥٥ طالباً عدد المسلمين منهم ٤٩٨ وعدد الاقباط ١٣٧

ولم يدخل الى مدرسة الطب التي أنشئت سنة ١٨٢٤ احد من الاقباط الا في سنة ١٨٨٨ وحاملو شهاداتها منهم حتى الآن ٦٦ طبيباً ومن المسلمين ٣٢٧ طبيباً ومن غيرهم من المسيحيين ٢٦ وأنشئت مدرسة دار المهندسين سنة ١٨٣٤ فلم يدخلها قبطي الا في سنة ١٨٩٦ بلغ المتخرجون فيها منهم الى الآن ٣٦ مهندساً مقابل ١٤٨ مهندساً ولم يتخرج في مدرسة المعلمين الخديوية وكان اسمها قديماً مدرسة قلم الترجمة سوى اربعة اقباط فقط مقابل ٨٣ من المسلمين وكذلك قل عن مدرسة المعلمين التوفيقية فانها من سنة ١٨٨٨ حتى الآن لم يخرج منها سوى ١٨ معلماً قبطياً مقابل ٨٨ معلماً من المسلمين وتخرج في مدرسة دار العلوم الخديوية ٤٢٢ استاذاً مسلماً ولا يدخل هذه المدرسة الا المسلمون ويوجد منهم اليوم في مدارس الحكومة بين نظار مدارس ومدرسين ومفتشين ومديري كتاتيب ٢٩٤ شخصاً والباقون في سائر فروع الادارة والاعمال

قال والفضل كل الفضل في ارتقاء مصر الحاضر للوظيفة الكبرى التي قام بها المسلمون وقد احسنوا اداءها مدة قرن كامل سواء كان في جلب انوار المدنية والعلوم والمعارف من الخارج او في تأسيس المدارس وتنظيمها وتعليم ابناء مصر العلوم المختلفة في الادوار المتعاقبة مع اشتغالهم بالتأليف وترجمة الكتب النافعة وانهم الآن اساتذة

المدارس النافعون المفيضون على الناشئة المصرية بركة العلوم والتربية ولم يشترك الاقباط في اداء هذه الوظيفة السامية مع المسلمين بل كانوا عالة عليهم اولاً ثم تلامذة لهم في العهد الاخير وكان مجموع التلامذة المسلمين في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية والخصوصية والعالية سنة ١٩٠٠ بالغاً ٥٩٨٤ تلميذاً ومجموع الطلبة الاقباط فيها ١٥٥٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩٠٥ في تلك المدارس ٧٩٨٩ وعدد الآخرين ٨١٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩١٠ ١١٠٣٨ تلميذاً وعدد الآخرين ٢٢٥٦ وبلغ عدد المكاتب الاهلية التي شرط لها واقفوها ان تعلم اولاد المسلمين فاشتركت الاقباط في تعليم اولادهم تسامحاً منها — عشرين مدرسة فيها ٤٩٤٢ تلميذاً بينهم ٩١٢ قبطياً وبلغ مجموع تلامذة المسلمين في مدارس الاوقاف وكتاتيبها ١٨٨٧ تلميذاً بينهم ٢٤٢ من الاقباط مع ان هذه المدارس هي من اوقاف المسلمين . وختم خطابه بعد الادلة التاريخية والشواهد التي تدل عَلَى بعد غوره في المسائل المصرية الحاضرة بطلب فصل جميع المدارس الاهلية ومدارس الاوقاف عن نظارة المعارف وجعلها ادارة قائمة بذاتها يراعى فيها تنفيذ شروط الواقفين وابطال تعليم الدين المسيحي من جميع مدارس الحكومة لانه لا يجوز تعليم غير الدين الرسمي فيها كما هو المتبع في الممالك المتمدنة . فنثني الثناء الاطيب على غيرة المؤلف عَلَى بلاده وعساه يقف قلمه عَلَى الخوض في مسائلها فقط فالاستئثار بالمزايا كلها ضرب من ضروب المحال والاخصاء في الموضوعات افضل واشرف مادام قول « لا ادري » نصف العلم وكل من تجاوز محيطه والقدر الذي لقنه من العلم والمعرفة سواء كان في الصحافة او في غيرها من فنون التأليف والتعليم يوشك ان يعثر في كل خطوة فيخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهذا ما لا نرضاه للقائمين بانهاض هذا الشرق التعس من كبوته وتعليمه التعليم النافع والادب الرافع

زراعة القطن

تأليف احمد افندي الالفي طبع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩١١ ص ١٤٠

من العاملين المفكرين من ناشئة مصر مؤلف هذا الكتاب وضعه عَلَى هذا الاسلوب المبتكر في زراعة القطن ومقاومة آفاته وتحسين انواعه وذكر فيه جميع ما تجب معرفته لهذه الزراعة المباركة وتجريدها والانتفاع منها وقد قال ان زراعته في القطر المصري بدأت نحو سنة ١٨٢١ م وما زال ينتشر ويشيع حتى بلغت الآن المساحة المزروعة منه اكثر من مليون وستمائة الف فدان محصولها في المواسم الجيدة نحو سبعة ملايين وربع

مليون قنطار ومتوسط ثمن القنطار غالبًا نحو اربعة جنيهات الى خمسة فيقدر ايراد البلاد منه سنويًا نحو ثلاثين مليون جنيه او تزيد وان القطن المصري اجود واعلى جميع اقطار اميركا والهند والصين لايدانيه الا قطن جزيرة سي ايلند باميركا ولكن محصول هذا لا يزيد عن نصف مليون قنطار وكان الوجه البحري مستأثرًا الى ما قبل بضع سنين بزراعة القطن لان الري الصيفي عام فيه اما في الوجه القبلي فكان قاصرًا عَلَى حيز محدود والوجه البحري كناية عن مديريات مصر الواقعة الى شمال القاهرة وهي البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية والمنوفية والقليوبية والوجه البحري عبارة عن المديريات الواقعة جنوبي القاهرة وهي الجيزة والفيوم وبني سويف والمينا واسيوط وجرجا وقنا وأُسوان . والشهير من اصناف القطن المصري الميت عفيفي والاشموني واليانوفتش والعباسي والنوباري . والكتاب فائض بالفوائد الغزيرة لا يستغني عنه من يحب زراعة هذه الشجرة المباركة لانه حوى جميع ما يحتاج الى معرفته للنجاح خصوصًا وهو نافع لابناء سورية ممن يريدون اليوم تعلم زراعة القطن ولا سيما من اهل فلسطين فنحثهم عَلَى اقتنائه للانتفاع به فهو كتاب مادي عملي ليس فيه ما لا يفهم من الاصطلاحات الفنية وهذا من بعض حسناته

الواجبات

تأليف سامي افندي يواكيم الرامي طبع في المطبعة السورية في سان باولو البرازيل سنة ١٩١١ ص ١٧٤

احسن المؤلف وهو من ادباء الجالية السورية نزلاء اميركا الجنوبية في وضع هذا التأليف اللطيف فافاض في واجباتنا نحو نفوسنا وفي بيوتنا وواجبات الابناء نحو والديهم والاخ نحو اخيه والرجل نحو اخيه والرجل نحو زوجته والزوجة نحو رجلها والوالدين نحو اولادهم وواجباتنا نحو اقاربنا واصدقائنا ومعارفنا واعدائنا والجنس بوجه عام والمجاوات وهذا هو الباب الاول وسماه بالواجبات العامة اما الباب الثاني فهو في الواجبات الافرادية نحو واجبات التلميذ والمعلم والصحافي والطبيب والمحامي والمؤلف والحاكم والمحكوم والجندي والتاجر والزارع والصانع والمستأجر والكتاب اخلاقي وعظي حري بالناشئة ان تطالعه وتستفيد منه بتدبر فنشكر لمؤلفه الفاضل

الصاحبي

تأليف احمد بن فارس نشرته المكتبة السلفية في القاهرة ص ٢٤٥

كتاب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها جمعه ابن فارس احد ائمة اللغة في

القرن الرابع من تصانيف من تقدمه فكان له فيه كما قال اختصار مبسوط او بسط مختصر او شرح مشكل او جمع متفرق وفيه من الفوائد الغزيرة ما يجدر بكل طالب ادب ان يتدارسه المرة بعد المرة · وقد اجاد الناشر كل الاجادة باحياء هذا التأليف النفيس نقلاً عن نسخة صحيحة بخط الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي احد حفاظ اللغة في العهد الاخير وقدم له ترجمة حافلة للمؤلف واجاد طبعه بحيث استحق شكر العلم والآداب

مدنية العرب
في الجاهلية والاسلام

تأليف محمد افندي رشدي طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م
(ص ٢٠٠)

البحث في مدنية العرب من اصعب الموضوعات واوسعها لان مظان النقل قليلة وما يوجد منها لا يتيسر لكل طالب وفي مصر منها الشيء الكثير لذلك كنا نأمل ان يكون هذا الكتاب اوسع مادة واصح استشهاداً فقد اقتصر المؤلف على المبتذل المعروف وكان لديه في دار الكتب المصرية مادة واسعة يتأتى الاستقاء منها ليجيء مصنفه لائقاً بشأن العرب ومدنيتهم العظيمة · بيد ان الكتاب اشبه بالكتب التي يراد بها نشر شيء من المعلومات بين العامة كالتي يسميها الفرنسيس Ouvrages de vulgarisation فقد تكلم المؤلف على العلوم التي عرفها العرب واهتمامهم بالسياحات والتجارة واسواقهم وعاداتهم وصفاتهم وحكمهم وحكمتهم العملية ونقل رسائل للمشاهير في السياسة والرياسة والم بتأليف الوزارة والشورى والدواوين وختمه بمقال في اسباب انحطاط الامم وبالجملة فنشكر المؤلف لاهتمامه وغيرته، ونرجو ان يعود الى كتابه فيضيف اليه من كتب العرب التي بحثت في مدنيتهم ومنها المطبوع في اوربا ما تكون به الطبعة الثانية من هذا المصنف تامة حافلة بالبحث والتدقيق

كتب ورسائل ومجلات

« لقطة العجلان » تأليف الامام بدر الزركشي شرحه الشيخ جمال الدين القاسمي

« دروس الصرف والنحو » للشيخ محيي الدين الخياط يشتمل القسم الاول على اوليات الصرف واوليات النحو

« الدروس العربية » للشيخ مصطفى الغلاييني وهو القسم الاول منه في النحو

« التعليم الادبي » لجرجي بك ديمتري سرسق القسم الاول منه في الاخلاق والآداب

« خديجة ام المؤمنين » تأليف عبد الحميد افندي الزهراوي وهي قصة حقيقية تاريخية اجتماعية

« الجوهر المحبوك في نظم السلوك » للسيد علاء الدين علي الملقب بعلوان الحسيني الحموي من اهل القرن العاشر

« واقعة السلطان عبد العزيز » تأليف احمد صائب بك وتعريب محمد توفيق افندي جانا

« نظام الجهاد في الشريعة الاسلامية القديمة » تأليف المسيو كولوزيو
Les lois de la guerre dans l'ancien droit musnlman par S. Colsio.

التقرير السنوي الاول لجمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت والشويفات

برنامج جمعية السيدات والاوانس الكاثوليكيات لتجهيز البنات العرائس الفقيرات في دمشق

خلاصة جمعية ترقي الآداب الوطنية في يافا لسنتها الثالثة

«المدرسة » مجلة فنية تصدر في تونس للسيد عبد الرزق النطامي مدرس الفنون بالخلدونية فيها ملخص دروسه ودروس اخوانه من اساتذة هذه المدرسة في التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضية والحكمة الطبيعية والكيمياء والتاريخ الطبيعي الى غير ذلك من الابحاث المفيدة

« العروس » مجلة نسائية علمية ادبية صحية فكاهية لصاحبتها الآنسة ماري عجمي تصدر في دمشق مرة في الشهر وهي المجلة النسائية الوحيدة في سورية تكتبها كاتبة لا كاتب

« العريس » مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية شهرية لمنشئيها نسيب افندي محمود شهاب ووديع افندي نصار وفاضل افندي الجمل تصدر في حمص وفيها شيء من تاريخ ذاك الوادي وآثاره ونفثات اقلام ادبائه

193

المقتبس

بين بلاد الآراميين والفينيقين (١)

وادي العجم واقليم البلان

يفزع المشتغلون بعقولهم الى الفلاة يروضون افكارهم كلما آنسوا من نفوسهم مللاً وتعباً رجاء ان يخف عنهم ما نابهم فيعاودون اعمالهم بنشاط اكثر ومضاء اوفى واوفر. وعلى هذه السنة جرى كاتب هذه السطور فركب العربة من دمشق بعد ظهر الخميس في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٧ (١٣ نيسان غربي ١٩١١) قاصداً الى قطنا مركز قضاء وادي العجم فبتنا فيه ليلتنا على مثل ما كان النهار سحباً هطالة ورياحاً نكباء وزعازع واعاصير وكنا نود لو نخلص من الغد الى راشيا ولكن حالت الثلوج المتراكمة في سفوح جبل الشيخ دون الامنية فعقدنا العزم على زيارة القنيطرة حاضرة الجولان اولاً ثم نقصد الى جبل عامل ونجعل راشيا (٢) خاتمة المطاف

وعلى هذا ركبنا خيلاً من الغد قاصدين اقليم البلان ومنه الى الجولان في يوم انقطعت امطاره ولم تنقطع رياحه وذارياته وبعد ان سرنا ساعتين في شعاب وهضاب بلغنا قرية بيتيما وتخطيناها لنجتاز نهرها الى كفر حور ولكن عجز حمار مكارنا عن قطع المخاضة اذ لا جسر يعبر عليه بين القريتين وصادف ان كانت عصارات ثلوج جبل

---

(١) نشرنا الثاني مقالات التالية في جريدة المقتبس اولاً وقد اعدنا فيها النظر ثانية الآن ونشرناها هنا للتحفظ

(٢) يرى بعضهم ان ترسم « ريشيا » لا « راشيا » وهذا الرسم اقرب الى الاصل السرياني ويقولون ريشيا الوادي نسبة لوادي سكين كما يقال ريشيا القرية بالقرب من حاصبيا « ريشيا الفخار »

الشيخ قد كثرت عصر ذاك اليوم فاضطرتنا الحال ان نعود ادراجنا الى بيتيما نقضي فيها الليل على ان تخف مياه نهرها من الغد فنستأنف السير

ومعنى بيتيما بالسريانية بيت اليتيم وقيل بيت الماء ولكل مسمى من اسمه نصيب وهكذا فعلنا ونحن نضحك من حكم الاقدار في هذه الديار وكيف ادى ماء النهر وعدم الجسر الى تخلفنا ليلة في الطريق ٠ نعم اضحكنا لان حمار المكاري لم يستطع العبور وانا ورفيقي كيف نسير وحدنا ونهتدي الى ما نقصده من البلاد بدون دليل فقلنا: ياسبحان الله كم من حمار يقطر وراءه بشراً فيؤخرهم عن السير هذا الحال في حمار حيوان فكيف اذا كانت حمراً كثيرة في صور بشرية

ليس في هذا الوادي والاقليم ما يستحق الذكر من الامور التاريخية والاثرية فقد سكت التاريخ عن ذكر حالته في الازمان القديمة كما سكت عن كثير من اقاليم الشام فوادي العجم واقليم البلان ليس لها ذكر في تواريخ القرون الوسطى اللهم الا ما كان من ذكر نهر وادي العجم الاعظم المسمى بنهر الاعوج والمعروف في التوراة باسم فرفر[1] او فرفار او فرفور

وهذا النهر يتكون من عدة عيون ومسايل تنبعث من سفوح جبل الشيخ منها عين في بيت جن ومن ينبوع آخر اسمه المنبج وعدام الشراطيط ووادي الدهامية وعين الطموسية وعين الطيبية وهي اجود تلك العيون تحسن ماء كما يحسن ماء عين الفيجة مياه نهر بردى باختلاطه بها وهكذا تجري اليه عشرات من العيون ومنها نهر بيتيما وعيون عرنة

ويسقي نهر الاعوج او فرفر كثيراً من قرى وادي العجم التحتاني وأهم قرى هذا القضاء قطنا والجديدة وعرطوز وجونية وكوكب والمعظمية وداريا وصحنايا والاشرفية والخيارة وسبينة وسبينات وبلاس والقدم وكفرسوسة والمزة والماجدية وذالنون وام القصور والدير علي والكسوة وزاكية وزغبر وحرجلة والمقيلبية وشورى والطيبة والدرخبية والبويضية ومرجانة والحسينية والاشرفية والعباسة وحوش النفور وحوش مرانة وبراق وخان الشيح وسعسع وكناكر ودير ماكر وشقحب وبويضان وماعص وسبسبة والدثانية والدناجي والزريقية والهبارية وغيرها من الاحواش والمزارع

اما وادي العجم الفوقاني المعروف باقليم البلان فهو قرى سفوح جبل الشيخ او ما يقرب منها وطول هذا الاقليم نحو عشر ساعات وعرضه نحو سبع ساعات يحده جنوباً الجولان وشمالاً وادي

(١) قاموس الجغرافية القديمة لاحمد زكي باشا

194

العجم والديماس وراشيا وشرقاً وادي العجم التحتاني ايضاً وغرباً الى الجنوب حاصبيا واهم قراه عيسم وهي اول الاقليم عَلَى نحو ساعتين من قطنا ومن قراه عين البرج والقلعة و بيتيما وكفرحور و بيت سابر وحينة و بقعسم وعين الشعرة وريمة وعرنة ودربل و بيت جن وحرنة وخربة السوداء وحضر وسحيتة وترنجة وجباتا الخشب ومقروصة وحلس و برقش وكفرقوق وصوجة ورضوان وامياو دير بن والبجاع والصورة وراس العين ورخلة و يعفور

واقليم البلان متوسط بزراعته لكثرة ثلوجه وجليده واهويته عَلَى العكس في وادي العجم التحتاني فان تربته اخصب وتجود فيها الاشجار المثمرة اكثر . وفي بعض قراه الى اليوم عاديات ونواويس تدل عَلَى عمران قديم زاخر وان الآراميين والرومانيين واليونانيين سكنوا هذه البلاد فعمروها ولا تزال اسماء بعض بلاد الاقليم سريانية الى اليوم وقد خلفوا فيها آثاراً صبرت عَلَى كر الليل والنهار وما برحت تنم عن حضارة وذلك مثل آثار بيتيما كفرحور كفرقوق سحيتا وقد شاهدنا في ارض كفرحور ار بعة نواويس عظيمة نقرت في الصخر عَلَى صورة هائلة تدل عَلَى انها مدافن اغنياء وامراء لا مقابر فلاحين فقراء وفي كل قرية نواويس لا تقل عن هذه بمكانتها وقد طمست الايام معالمها فلم يعلم اسم بانيها

والنفوس قليلة في هذين الاقليمين (وادي العجم واقليم البلان) لا تزيد في الاحصاء الرسمي عن خمسة عشر الف نسمة عدا القرى الملحقة بعمل دمشق مثل المزة وكفرسوسة وداريا وصحنايا والاشرفية و بلاس ومع ان البلاد تؤوي مائتي الف واكثر تزيد الهجرة ايضاً الى اميركا تقلل نفوسها سنة عن سنة وسكان هذه البلاد اخلاط بمذاهبهم فيهم المسلمون السنية ومسيحيون روم وكاثوليك و بروتستانت ودروز والدروز اكثرهم مضاء واقداماً عَلَى العمل و يليهم المسيحيون ثم المسلمون فكأن هؤلاء يكفيهم من المفاخر ان تكون حكومتهم منهم ولذلك جعلوا اعتمادهم عليها وكان عليهم ان يعولوا عَلَى تماسكهم ومضائهم كما فعل جيرانهم في اعتمادهم عَلَى انفسهم

ذر قرن الغزالة غداة اليوم في بيتيما وشادينا الصديق الشيخ عبد الرحيم البابلي يردد في حديقة بيت ابي حمد قول الشاعر المنطبق على ما نحن فيه من جمال الموقع وطرب النفس بالطبيعة .

الروض مقتبل الشبيبة مونق   خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلئ عقده   فالزهر منه متوج ومنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى ... فغدت كمائم نوره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى ... منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه ... نشوان يصبح بالنسيم يغبق
والطير ينطق معرباً عن شجوه ... فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غرداً يغني للغصون فينثني ... طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل ... لا يستطيع الرقص ظل يصفق

كان اليوم الثالث معتل النسيم صافي الاديم فجمدنا السير حتى وصلنا الى قرية جباتا الخشب آخر عمل وادي العجم فبتنا في بيت مربود على ان نعاود السير من الغد ولكن عاد الجو فاضطرب وهبت الريح زعزعاً وكثر تهطال الامطار والبرد حتى ذكرنا نيسان بكانون ثم زاد قلق الطبيعة حتى استيقظنا صباح اليوم الثاني وجبل الشيخ قد لبس حلة انصع بياضاً من التي كان مكتسياً بها في اليوم الماضي وركبنا الى القنيطرة ورفيقنا البابلي يردد قول العفيف التلمساني

رياض بكاها المزن فهي بواسم ... وناحت لغير الحزن فيها الحمائم
واودعت الانواء فيهن سرها ... فنمت عليهن الرياح النواسم
يبيت الندى في افقها وهو ناثر ... ويضحي على اجيادها وهو ناظم
كأن الاقاحي والشقيق تقابلا ... خدود جلاهن الصبا ومباسم
كأن بها للنرجس الغض اعيناً ... تنبه منها البعض والبعض نائم
كأن ظلال القضب فوق غديرها ... اذا اضطربت تحت الرياح اراقم
كأن غناء الورق الحان معبد ... اذا رقصت تلك القدود النواعم
كأن نثار الشمس تحت غصونها ... دنانير في وقت ووقت دراهم
كأن ثماراً في غصون توسمت ... لعارض خفاق النسيم تمائم
كأن القطوف الدانيات مواهب ... ففي كل غصن ماس في الدوح خاتم

الجولان

الجولان كورة عظيمة من كور الشام تعد من بلاد حوران يحدها من الشرق نهر العلان ومن الغرب بحيرة طبرية والاردن الاعلى (الرقاد) ويفصلها نهر اليرموك(١)

(١) سماه بلين هيروماكس (Hieromax) وفي التلمود يارموش وسماه العرب الشريعة او شريعة المناذرة نسبة لقبيلة المناذرة التي نزلت فيه

عن بلاد عجلون من الجنوب ونهر الحاصباني بالقرب من بانياس وجبل الشيخ من الشمال وتسمى هذه المقاطعة بالعبرانيه كولان (Golan) كان يطلق هذا الاسم اولاً على مدينة اسرائيلية مقدسة من بلاد باشان تنزلها قبيلة منسي وهي اليوم مدينة سحم الجولان بعينها قرية على كيلومترين شرقي نهر العلان وعلى سبعة كيلومترات من الشمال والشمال الغربي من زيزون ولا يزال فيها بعض آثار وخرائب منها برج مربع علوه ١٥ متراً وبالقرب منه بناء جميل يظن انه كان كنيسة وقد اقام فيها ادمون روتشيلد الاسرائيلي الغني الشهير مستعمرة للاسرائيليين

وكانت الجولان (Gaulanitide) تمتد الى شريعة المناذرة وتعد من بلاد بترا او العربية الصخرية ومن جملة مملكة فيليبس (١) وابلاد الجولان ذكر قليل في تاريخ العرب نزلها الحرث الاعرج الغساني (٢) كما كان الحرث بن ابي شمر بن الايهم ملكاً بالاردن واعل علماء الآثار يوفقون في المستقبل الى الظفر بعاديات لغسان في الجولان كما ظفروا بقليل منها في حوران ولا سيما في جبل بني هلال (٣) الذى كان يعرف قديماً بجبل الريان لكثرة مياهه ويعرف اليوم بجبل حوران او جبل الدروز لان الغساسنة ملكوا هذه الديار وبسطوا سلطانهم ايضاً على دمشق قبل الاسلام وافتتح الجولان شرحبيل ابن حسنة وورد ذكرها في شعر حسان بن ثابت بقوله:

قد عفا جاسم الى بيت راس　　فالجوابي فحارث الجولان

ووردت في شعر ابي نواس في مدحه الخصيب بن عبد الحميد العجمي المرادي امير مصر من قصيدة يصف بها طريقه من بغداد الى مصر

رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا　　من الصبح مفتوق الاديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتها　　مع الشمس في عيني اباغ تغور
وغمرن من ماء النقيب بشربة　　وقد حان من ديك الصباح زمير
ووافين اشراقاً كنائس تدمر　　وهن الى رعن المداخن صور
يؤممن اهل الغوطتين كأنما　　لها عند اهل الغوطتين نذور
واصبحن بالجولان يرضخن صخرها　　ولم يبق من اجرامهن شطور
وقاسين ليلاً دون بيسان لم يكد　　سنا صبحه للناظرين ينير

(١) دليل فلسطين وسورية لبيدكر ودليل الارض المقدسة لمسترمان
(٢) تاريخ ابن واضح (٣) تقويم البلدان لابي الفدا

واصبحن قدفوزن من نهر فطرس وهن عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم وفي الفرما من حاجهن شقور
ولما اتت فسطاط مصر اجارها على ركبها ان لا تزال مجير

قاعدة الجولان اليوم القنيطرة وكانت صغيرة جداً قبل ان ينزلها مهاجرة الجراكسة والداغستانيين منذ زهاء ثلاثين سنة وقد كانت في القرون الوسطى قبل عهد الدولة العثمانية قاعدة البلاد (١) قرية خان « ولا ندري اخان اربنبة او خان الدوير » تارة والشقراء اخرى والجولان اليوم او قضاء القنيطرة هو ثلاث نواح ناحية الشقراء وهي عبارة عن مجدل شمس وجباتاالزيت وبانياس وعين قنيةوعين فيت وزعورة ومغور الشجاعنة والفجر وخان الدوير ومزارع الفضل هذا ما كان منها الى جبل الشيخ اقرب . وناحية الجولان وفيهاقرى الجركس واهمهاالمنصورة وعين الزيوان والصرمان والخشنية وعشيرة التركمان ومزارعها وعشيرة المواوجة والبحاترة وجبا وخان اربنبة وعشيرة الويسية والقصيرين والجعاتين والدياب واراضي البطيحة ومزارعها ونعيمات الطاعة ولهذه العشائر مزارع وقرى تفلح فيها وتزرع واغلب نزولها في المضارب ومساكنهم للفلاحين وايواء الماشية فقط . والناحية الثالثة ناحية الزوية واهم قراها فيق والعال وكفر الما والشجرة وكوية وبيت الرما ومعرية والمناظرة

ويقدرون اليوم مزارع الجولان وقراه كلها بنحو مائة وستين مزرعة وقرية فيها اراض جيدة في الجملة وتجود حبوبها في الاكثر في السنين التي تقل امطارها اما في سني الري الكثير فانها تغرق فبينا تشكو الاقاليم المجاورة الشرق تئن الجولان من الغرق ولذلك تصلح اراضيها لتربية الماشية كثيراً ولا نغالي اذا قلنا انها الاقليم الوحيد الذي يصلح لهذا الغرض كما يصلح « چقور اووه » اي سهل الموات في ولاية اطنة من بلاد الاناضول او الروم كما كان يسميها العرب

وهمة الفلاح في الجولان ضعيفة لأنه في الاكثر لا يملك ارضاً له بضع سنين ليتوفر عَلَى زراعتها بل ان الاراضي مشاعة بين اهل البلد الواحد فبينا يزرع هذه القطعة تراه من قابل تنزع منه وتعطى لغيره وهكذا لايشاهد الرقي في الزراعة الا في مزارع الجراكسة اذ اختص كل فرد منهم باراض تناسب حاله وشانه فاصلحها ما ساعدته مادته وقوته وخدمها عَلَى مثل ما تخدم الزراعة في البلاد التي هاجر منها اي بلاد الروس

(١) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله

196

اليوم و بنى البيوت بالحجر والقرميد وغرس الاشجار وعاش في الجملة احسن من عيشة سكان البلاد الاصليين خصوصاً وان المهاجرين يغلب عليهم الاقتصاد بحيث لا تعهد عندهم المضافات المفتحة الابواب لكل قادم كما هي عند سكان هذه الديار من العرب واكثرهم يعرفون دخلهم وخرجهم . ولو سار الجولانيون الاصليون عَلَى هذه الطريقة لحمدوا سيرهم ولما افتقر الاغنياء منهم باسرافهم اسرافاً لا يعد من الكرم في شيءٍ وبعبارة اوضح لا يعد فضيلة (١)

وبلاد الجولان متسعة الرقعة يقلُّ سكانها بالنسبة لعظم بقعتها ويكفي ان اراضي الفضل وهي من جملة عمل هذه البلاد تمتد من المنصورة قرب القنيطرة جنوباً حتى بانياس شمالاً وشرقاً الى جباتا الخشب وغرباً الى الحولة ولا يطوفها الراكب بالسير المعتدل في اقل من ثلاثة ايام . غلاتها جيدة وفيها بعض الاشجار المثمرة والكروم وكثير من الغابات اجتزناها من القرب من مركز القضاء الى ارض بانياس في زهاء اربع ساعات فرأينا فيها صورة مصغرة من مناخ سورية رأينا فيها الربيع والصيف او الصيف والشتاء في آن واحد . واميرها وهو اليوم محمود الفاعور مالك هذه الاراضي كلها اذا شتا في ارضه بالقرب من الحولة يشتو في حرارة كحرارة الربيع واذا اصطاف يصطاف في الارض النجدية واذا ارتبع يرتبع في واسط حيث بنى قصره عَلَى مثال قصور الاغنياء وهذا الامير حاكم مطلق في عشيرته عرب الفضل المؤلفة من نحو ١٥٠٠ بيت كما قال لي احد افرادها ولا يشاركه في ملكها سوى شيخ الموادجة وبعض البحاترة وهم عبارة عن ١٨٠ بيتاً يملكون جزءاً صغيراً منها ومن عشائر الفضل المجارمة والربيع والفاعور ويجمعها كلها اسم الفضل وكلهم رحالة او منتقلون ولكن رحلتهم في ارضهم لا يتعدونها الى القاصية كما يرحل عرب بني صخر والروالة مثلا واميرهم يدفع ما عَلَى اراضيه من الاعشار الخفيفة وجماعته معفون من الخدمة العسكرية ليسوا مع اميرهم كصاحب ارض مع فلاحيه عَلَى ما هي عليه الحال مثلاً في الغوطة والمرج وقلمون ووادي العجم والجولان يخدمون ارضه ويقاسمهم غلاتها على الخمس او الربع بل هو الحاكم المتحكم

(١) لو لم نكن في هذا القرن الذي يسميه الافرنج قرن النور لذكرنا ما ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الاديب الدمشقي من افراد القرن الثاني عشر في رحلاته الى الروم والقدس والحجاز فقد ملأها باخبار الذبائح التي نحرها له من نزل عليهم فاكل هنيئاً مريئاً ولكن لكل قرن لسان خاص به وكل فتى يغني على قدر ما سقاه الساقي

في اموالهم ودمائهم واعراضهم يأخذ ما يمكنه اخذه منهم وينفقه في وجوه مرافقه والتوسعة على ضيفانه · واهل الجولان مسلمون على الاكثر وليس فيها سوى ثلاث قرى في آخر عملها اسمها عين فيت وزعورة وغجر سكانها نصيرية

وسلطان العدل في هذه البلاد ضئيل بحيث لا يرى حتى بالمجهر والمكبرة لفساد اخلاق الاهلين عَلَى الاكثر ولان الحكومة لا تختار علي الغالب لولاية اعمالها سوى من قلت كفاءتهم في الجملة · قال لي احد فضلاء القنيطرة: لقد راقبت سير الحكومة في في قضائنا منذ نحو ثلاثين سنة فلم ارها الا تقذف علينا باحط عمالها عَلَى الاغلب فاذا اتفق ان تولى العمل الاكفاء المستقيمون لا تطول مدتهم فيفارقوننا ليخلفهم من لا يرجعون الى عقل في احكامهم ولا الى عدل في نظامهم هذا ماسمعته وحققته من مجموع حوادث نقلت لي اما المعارف فلا تجد لها في القضاء عيناً ولا اثراً ويكفي بأن يقال في وصف مدرستيها الاميريتين ان الاولاد يضربون معلمهم ويعبثون بلحيته وعمامته ولكن مادامت ادارة المعارف تفضل من يعرف كلمتين من التركية عَلَى الكفوء من المدرسين ممن لم يسعدهم الحظ بتعلمها من ابناء العرب ومادامت مقلة من رواتب المعلمين هيهات ان تجد احسن من هذه الطبقة لتعليم ابناء البلاد وعندنا ان الجهل المطبق خير من هذا التعليم الناقص الدني لان الفلاح الامي لا يجد له مرتزقاً الامن ارضه وماشيته اما الفلاح الذي تعلم هذا الاسلوب فتكبر نفسه عن الزراعة جهلاً منه وغروراً ولا يحسن عملاً اللهم الا اذا كان خيال درك او بواباً او حراساً

بين قوم هذا حالهم انشأ صديقنا احمد حمدي افندي الداغستاني مطبعة في القنيطرة سماها مطبعة الجولان فعسى ان يخادنه من التوفيق ما خادن بعض قرى سورية او بليداتها التي انتفعت من نعمة الحرية في عهد الدستور نفتحت مطابع وانشأت جرائد او مجلات ونجحت في عملها عَلَى الجملة

الحولة

بتنا الليلة السادسة في بانياس آخر عمل الجولان وحقها ان تعد من الحولة اذا نظرنا الى تقسيمها الطبيعي وبانياس بالقرب من تل القاضي حيث ينبع نهر الاردن او مدينة دان القديمة وبها آثار مهمة للصليبيين وغيرهم من الاسلام وبالقرب منها حصن الصبيبة (١) وهذا الحصن هو القلعة المشرفة عليها في رأس جبل وبينهما نحو نصف ساعة قالوا في

(١) نخبة الدهر لشيخ الربوة

وصف بانياس انها مدينة قديمة حصينة كثيرة الحدائق وهواؤها وبيء وترابها كذلك وبها مياه غزيرة وآثار لليونان قديمة وقال ابو الفدا (١) بانياس اسم لبلدة صغيرة ذات اشجار محمضات وغيرها وانهار وهي عَلَى مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة الى الجنوب والصبيبة اسم قلعتها وهي من الحصون المنيعة قال العزيزي ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج (جبل الشيخ) وهو مطل عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه صيفاً ولا شتاء وقال ابن جبير (٢) في وصف بانياس انها مدينة صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يفضي الى احد ابواب المدينة وله مصب تحت ارحاء وكانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين ولها محرث واسع في بطحاء متصلة يشرف عليها حصن للافرنج يسمى هونين بينه وبين بانياس مقدار ثلاثة فراسخ قال وعمالة تلك البطحاء بين الافرنج وبين المسلمين لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون الغلة عَلَى استواء ومواشيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهم فيها

وخرائب بانياس عَلَى ما انتابهـا من حوادث الايام ولا سيما الزلازل تدل عَلَى عظمة من استولوا عليها ومياهها غزيرة للغاية لو توفرت العناية باخراج الصخور والردوم من طريقها لتضاعفت كميتها ولما كانت تقل عن مياه بردى وللافرنج كلام طويل في عمران هذه القرية الحقيرة اليوم والمدينة العظمى امس فقد قالوا ان اسمها مطابق للاسم اليوناني (Panéas) الذي كان يطلق على هذه المدينة والكورة باجمعها سميت بذلك لمغارة اختصت بعبادة بان (Pan) وهي تحت منبع الاردن وقد انشأ فيها هيرودس معبداً عَلَى اسم اغسطس وانجز ابنه فيليبس بناء هذه المدينة وسماها قيسرية فيليبس تمييزاً لها عن قيسارية فلسطين وقد وسعها هيرودس اغريبا الثاني وسماها نيرونياس وهو اسم اطلق عليها مدة قليلة من الزمن وكان فيها منذ القرن السادس اسقفية تابعة للكرسي الانطاكي واستولى عليها الصليبيون لما فتحوا هذه البلاد هي وقلعة الصبيبة التي لم يبق اليوم منها سوى انقاضها وذلك سنة ١١٢٩ او ١١٣٠ م عند ما حاولوا فتح دمشق وقد قال احد شعرائها في وصف غارتهم

بشطي نهر داريا امور ما توافينا
واقوام رأوا سفك الد ما في جلق دينا
اتانا منهم الف عديداً او يزيدونا

(١) تقويم البلدان (٢) في رحلته

فبعضهم من اندلس   وبعض من فلسطينا
ومن عكا ومن صور   ومن صيدا وتبنينا
اذا ابصرتهم ابصر   ت اقواماً مجانينا
تخالهم وقد ركبوا   قطائرها حرازينا
وبين خيامهم ضموا ا   لخنازر والقرابينا
ورايات وصلباناً   عَلَى مسجد خاتونا

واستولى عَلَى بانياس تاج الدين بوري صاحب دمشق سنة ١١٣٢ م واعيد الاستيلاء عليها سنة ١١٣٩ واستولى نور الدين عَلَى المدينة لا على القلعة سنة ١١٥٧ ثم انقذها بودوين الثالث احد ملوك الصليبيين وعاد نور الدين فاستولى عليها سنة ١١٦٥ ودك السلطان المعظم حصونها ومعالمها وذلك بعد ان استولى الفرنج عَلَى تلك القلعة من سنة ١١٣٩ الى ١١٦٤ واكثر ما فيها الى الآن من الكتابات العربية من القرن السابع . والاطلال من قلعتها من اجمل مناظر سورية لانها تشرف من جهة عَلَى قسم من بلاد الجولان وارض الحولة و بلاد الشقيف و بلاد الاردن

والحولة بحيرة قال بعضهم انها المعروفة في الكتب المقدسة بمياه ميروم (Merom) هكذا يسميها الرومان واما اليونان فيسمونها سمخونيتس واسمها عند العرب الحولة او الملاحة او بحر بانياس قال ابن فضل الله واما بلاد صفد فحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ومن شرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف و بين حولة بانياس ويفهم من هذا ان الملاحة هي غير بحيرة الحولة وهي حوض من الماء عَلَى شكل زاوية الا قليلاً يجري منها الاردن عمقها من ٣ الى ٥ امتار وفيها طيور مائية كثيرة كالبط ونحوه ويكاد لا يدخل اليها من جهة الشمال لكثرتها وكذلك لكثرة النبات المعروف بالبردي النابت عَلَى ضفافها ولا سيما الضفة الشمالية ويتألف من السهل في شمالي البحيرة حوض كبير منظم في الجملة عرضه نحو ساعتين ومعظم هذا الوادي العميق يحتوي على الاكثر عَلَى بطائح وتسوء الصحة هناك ولا سيما بعد جفاف قليل من تلك البطائح التي تتخللها عدة قرى

وحدود الحولة قبلة الطريق الفاصل من نعران الى جسر بنات يعقوب الى قطانة والتليل ومن الغرب الجاعونة والملاحة والخالصة ويمتد الى آبل القمح وشمالاً مزرعة المارية وجسر صريد المتصل بمزرعة حلتا والخرويعة ومغور الشباعنة وبانياس من

سفح جبل الشيخ وشرقاً عين فيت وخربة السمن والمفخرة والغرابة والدردارة

هذا اجمال عن بلاد الحولة وقد ذكر المقدسي في القرن الرابع ان الاقليم المتوسط الهواء اوسط سورية من الشراة الى الحولة فانه بلد الحر والنيل والموز والنخيل . ولو جففت الحولة عَلَى نحو ما يسعى بعضهم بتجفيفها وهو سهل ممكن لا حييت بهما عشرات الالوف من الدونمات قابلة لزراعة البقول والخضر تكفي اهل سورية في فصول السنة الاربعة بل سورية ومصر وغيرهما ولا سيما في فصل الشتاء لمكان الحرارة الطبيعية في تلك الاراضي وكثرة خصبها المريع وشمسها التي لا تكاد تغيب

كأن شعاع الشمس في كل غدوة عَلَى ورق الاشجار اول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها لقبض وتهوى من فروج الاصابع

فعسى ان تصح العزائم عَلَى هذا العمل فينفع في صحة السكان وثروتهم بل صحة البلاد المجاورة وثروة سورية عامة وكم فيها من خيرات لو حسن الانتفاع بها اكفينا موءونة الفقر والهجرة

جبل عامل

لم اجد تحديداً صحيحاً في كتب العرب لهذا الجبل المسمى اليوم بعضه ببلاد بشارة او بلاد الشقيف او بلاد المتاولة (١) فقد قال ابو الفدا (٢) انجبل عاملة من الاماكن المشهورة وهو ممتد في شرقي الساحل وجنوبيه حتى يقرب من صور وعليه الشقيف الذي استرجعه الملك الظاهر بيبرس من ايدي الافرنج وكانت رعاياه في حكم الافرنج وفي شرقيه وجنوبيه جبل عوف « عجلون » وقال ايضاً (٣) واما بنو عاملة فهم ايضاً من القبائل اليمانية التي خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة فمن عاملة عدي بن الرقاع الشاعر

قال في المشترك شقيف ارنون بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس وارنون اسم رجل والشقيف المذكور معقل حصين والشقيف ايضاً شقيف تيرون بكسر المثناة الفوقية وسكون

(١) المتاولة قيل انه مشتق من تولي اي اتخذ ولياً لانهم تولوا آل البيت عليهم السلام اي اتخذوهم اولياء واتبعوهم فصاغوا منها اسم الفاعل متولي فتحرفت حتى صارت متوالي وقيل انهم كانوا يقولون للعلوي « مت ولياً لعلي » فصاغوا منها كلمة متولي ثم صارت متوالي . واسم المتاولة خاص بشيعة جبال عامل ولبنان وبعلبك فقط والغالب انه حديث لا يرجع الى اكثر من قرنين (٢) في جغرافيته (٣) في تاريخه

المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ونون قال وهي ايضاً قلعة بقرب صور بالساحل. وقال في شقيف تيرون انها قلعة منيعة ناقلة عن صفت (صفد) عَلَى مسيرة يوم في سمت الشمال والشقيف ايضاً شقيف ارنون وهو في سمت الجبال عن شقيف تيرون وشقيف ارنون بعضه مغارة منحوتة في الصخر وبعضه له سور وهو حصين جداً

والاصح ان بلاد الشقيف (١) من مقاطعات جبل عامل الثلاث وهي بلاد الشقيف و بلاد بشارة واقليما الشعار والتفاح ويسمى جبل عامل او عاملة وجبل الخليل (؟) وهو البلاد الواقعة في نواحي قلعة الشقيف سمي بعاملة القضاعية وهي ام الحارث بن عدي الذي تنتسب قبيلته اليها نزلوا الشام مع بني جذام ولخم وغسان وشقيف تيرون هي المعروفة اليوم بقرية نيحا عَلَى حدود جزين «Casale de Gezin» من اعمال لبنان وفي شقيف ارنون او ارنولد نسبة لارنولد من ملوك الصليبيين شيءٌ من ابنية الصليبيين

والغالب ان هذين الشقيفين كان يسمى احدهما بالشقيف الكبير وهو شقيف ارنون (٢) وكان له بر وله وال كما كان لغيره من البلاد المشهورة ، قال ياقوت (٣) : الشقيف كالكهف اضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من ارض دمشق و بينها وبين الساحل وشقيف تيرون وهو ايضاً حصن وثيق بالقرب من صور

وقال شيخ الربوة «٤» جبل عاملة عامر بالكروم والزيتون والخروب والبطم واهله رافضة امامية وجبل جبع «جباع» كذلك اهله رافضة وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه وجبل جزين كثير المياه والفواكه وقلعة شقيف تيرون قلعة حصينة عَلَى جبل عال ولها عمل ولها نائب ولم يحكم عليها منجنيق وجبل تبنين «Toron» وله قلعة ولها اعمال وولاية واهلها رافضة امامية وقلعة هونين وهي على حجر واحد ولها عمل. وقبعد تبنين خمس ساعات عن صور الى الشرق الجنوبي وبها قلعة بناها هيوسنت ادمير صاحب طبرية سنة ١١٠٧ م وحوصرت وجرت فيها مواقع الى ان فتحها صلاح الدين

وانت ترى ان شيخ الربوة فصل هذا الجبال الى جبال وذلك في القرن الثامن ولعله كان يعرف كذلك في عهده ومن المحقق ان قلاع هونين وتبنين والشقيفين ارنون

(١) دواني القطوف (٢) التعريف بالمصطلح الشريف (٣) معجم البلدان
(٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

199

وتيرون داخلة في جبل عامل وكم قاسى صلاح الدين بن ايوب في فتحها من الشدائد وقد مر الرحالة ابن جبير في اواخر القرن السادس بجبل عامل فسار من بانياس الى قرية تعرف بالميسة « ميس » بمقربة من حصن هونين فبات فيها ثم رحل من الغد فاجتاز في طريقه بين هونين وتبنين بواد ملتف الشجر واكثر شجره الرَّند بعيد العمق كأنه الخندق السحيق المهوى تلتقي حافتاه ويتعلق بالسماء اعلاه يعرف بالاسطبل لو ولجته العساكر لغابت فيه لا منجى ولا مجال لسالكه عن يد الطالب فيه المهبط اليه والمطلع عنه عقبتان كؤودان فعجب منه فجازه فمشى عنه يسيراً وانتهى الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين وقال عنه انه موضع تمكيس القوافل ووصف كيف اخذ الافرنج من قافلته المكوس ·

وقال بعض المتأخرين (١) ان جبل عامل يقال له بلاد بشارة نسبة لاحد حكامها في القرون الوسطى قيل انه من الامراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وكل ذلك لم يقم عليه برهان والذي يدور عَلَى الالسن ان مركز امارته في قرية زبقين من اعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخمة فيها تدل عَلَى ذلك والارجح (٢) ان بلاد بشارة نسبت الى حسام الدين بشاره من امراء الدولة الايوبية

وتقسم بلاد بشارة الى قسمين بشارة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الاولي « Bostrenus » ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن وكانت بلاد بشارة عامة تقسم الى ثماني مقاطعات اربع في بشارة الجنوبية وهي تبنين وهونين وقانا ومعركة ويتألف منها الآن قضاء صور وقضاء مرجعيون وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا والثامنة مقاطعة جزين الداخلة في قضائها من جبل لبنان

وقد كان بعض الجغرافيين « ٣ » يعد مدينة صفد من جبل عاملة كما توسع بعض المتأخرين في تخومه وكادوا يدخلون فيه جبل الريحان واقصى حدود مرجعيون والذي عليه العرف المعقول ان جبل عامل يحده « ٤ » جنوباً نهر القرن الجاري شمالي

(١) المقتطف م ٣٦ ص ٤٢٥ المتاولة او الشيعة في جبل عامل للشيخ احمد رضا
« ٢ » المقتطف م ٣٧ ص ٧٤١ الامير شكيب ارسلان «٣» معجم البلدان «٤» الشيخ سليمان ظاهر

ترشيحا من بلاد عكا واختلفوا في الزيب هل هي داخلة في جبل عامل ام لا وشرقاً ارض الخيط « ١ » والاردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الاولي وبذلك تدخل صيدا في جبل عامل وغرباً البحر الرومي ويقسم الى قسمين كما مر بك آنفاً شمالي وجنوبي فالقسم الاول يسمى ببلاد بشارة الشمالية والقسم الثاني ببلاد بشارة الجنوبية وطوله ١٨ ساعة وعرضه يختلف من ٤ الى ٨ ساعات نزله بنو عاملة فنسب اليهم الا ان هذه التسمية اليوم بجبل عامل او بني عاملة معروفة بين الخاصة في الاكثر اما العامة فيطلقون عليه اسم بلاد بشارة ولا سيما قضاء صور وكان بنو عاملة نزلوا الحولة كما تفرقوا في الجبل وكما نزل الغسانيون في حوران والشام والمناذرة في العراق

وقد كانت حاضرة البلاد تبنين بادئ بدء وهونين وقلعة الشقيف ثم تراجع عمرانها بما سطا عليها من المحن والاحن وكوائن الزمن وخلفتها جباع وغيرها والنبطية اليوم أكبر بلد في الجبل وهي قاعدة البلاد الوسطى سكانها نحو خمسة آلاف نسمة والمدينة الثانية بنت جبيل فيها نحو هذا القدر من السكان وهي على ثماني ساعات من النبطية وثلاث ساعات من صفت والثالثة جويا في قضاء صور وتقدر قرى جبل عامل بنحو ٣٠٠ قرية ففي قضاء صور ١٢٧ قرية وفي قضاء صيدا ١٤٧ وفي قضاء مرج عيون ٥٤ فاذا حذفنا بعض القرى التي لا تدخل في عامل ولا سيما قرى المرج والحولة كانت قرى الجبل كما قلنا وهي نحو ثلث قرى جبل لبنان كما ان اهله نحو ربعهم ولكن اين لبنان بعمرانه من عامل

مررنا من بانياس الى النبطية سبع ساعات في جبال شاهقة وعرة ولكنها مكللة بالخضرة نضرة للغاية وقطعنا الجسر الممتد في نصف الطريق على نهر الليطاني[٢] الذي ينبع من ارض كرك نوح في البقاع ثم تصب اليه اعين وانهار وهو يمتد من ذيل جبل لبنان حتى يمر بجبال مشغرا وتمده منها اعين كثيرة ثم يمر بالجرمق ثم بالشقيف ثم يعظم هناك ويمر فينصب في البحر الرومي قرب صور وعلى نحو ساعة ونصف من صور يمر بمدفن اسمه النبي قاسم فيسمى القاسمية وهو من اعظم انهار الشام ولا سيما في الشتاء والربيع

وقد كان فكر بعضهم ان يجره الى وادي الزبداني ليضمه الى مياه نهر بردى

« ١ » قال شيخ الربوة والخيط وهو قطعة من الغور الاعلى شبيه بالعراق في الارز والطين والماء السخن والزروع المنجبة « ٢ » شيخ الربوة

والفيجة فيسقي دمشق وغوطتها و بلاد مرج الصفر منها ولكن ثبت له ان مجراه اسفل من دمشق فلا يركبها وكذلك يحاول اهل النبطية ان يجلبوا منه قسماً ببعض الآلات الرافعة يجعلون ماءه في انابيب من حديد لتدخل بلدهم في طور المدن من حيث استقاء الماء عَلَى نحو ما فعلت بيروت ودمشق وصيدا وهو يكلف بضعة عشر الف ليرة وكأني بهم وهم فاعلون

وكذلك يفكر جماعة من مهندسي الافرنج في تحويل مجراه قبيل مصبه بساعتين ليسقوا بمائه الاراضي المستطيلة عَلَى شاطئ البحر بين اقصى حدود جبل عامل وارض صور من جهة صيدا ولو فعلوا لاتى عملهم بفوائد مادية لهم وللبلاد ولما ذهبت تلك المياه بدون فائدة وغدا الساحل من صور الى صيدا والمسافة بينهما اربع ساعات في المركبة كحدائق دمشق باشجاره ومزروعاته الصيفية

و يقدرون المهاجرين من عامل بخمسة عشر الف مهاجر دع عنك من قصدوا مدينة بيروت وغيرها من شبانه فاشتغلوا في الحمولة وطلاء الاحذية وغيرها من المهن الشاقة الرابحة ولا يقلُّ عددهم فيما احسب عن نصف هذا القدر فيكون بذلك قد فارق الجبل من ابنائه نحو السبع اذا فرضنا ان سكانه مئة وثلاثون الفاً عَلَى ماقدره بعض العارفين ومع هذا فلا تجد انحطاطاً في زراعته ومن اهم غلاتهم الدخان «التوتون» يزرعونه في الصيف بعلا فيجود من وراء الغاية كجودته في جبال اللاكام «الكلبية» والتربة حمراء عَلَى الأكثر و يزرعون المزروعات الصيفية كالبقول و بعض الخضر فتنمو كلها بدون سقيا نمواً مدهشاً وزراعتهم الشتوية احسن من كثير من الاراضي الجبلية في سورية

وكانت الزراعة تراجعت في القرن الحادي عشر « لما اخذت سورية تلتهب بالفتن واشتغل الفلاح بالحروب عن النظر في زراعته فنضب معين الثروة وعاد اكثر الاراضي مهملا بوراً وبعد ان كانت الاراضي الزراعية متسعة الارجاء في بلاد بشارة اصبحت على طول المدة حراجاً واسعة ومرامي الا بعض الاراضي المجاورة للقرى والمزارع »

وسكان الجبل شيعة امامية وليس بينهم سنة الا النادر جداً و بعض المسيحيين ممن التجأوا الى اهل البلاد ايام حوادث لبنان منذ ٥١ سنة دع عنك من في صور وصيدا من السكان الاصليين وهذا الجبل مبعث التشيع في بلاد الشام ومنهم قسم في جزين والمتن والبترون وكسروان من لبنان و بلاد بعلبك وكان علماؤهم او فقهاؤهم يدرسون في مدارس مهمة كانت لهم في هذه الديار مثل مدرسة جباع التي خرجت جلة فقهائهم

وادبائهم عرفناهم بكتبهم واعمالهم ومدارس ميس وعيناثا وجزين ومشغرا والشقراء وكل هذه المدارس الدينية درست اليوم حتى اضطر القوم ان يرسلوا ببعض ابنائهم الى النجف في العراق يتلقون العلوم الدينية عن ائمتهم هناك وبعد ان يقضوا بضع سنين يعودون وقد حفل وطابهم بما ثقفوه من مدرسة النجف التي هي للشيعة بمثابة الازهر للسنة ·

واني ليسوءني ما سمعته من تعصب بعض هؤلاء الفقهاء على المدنية الحديثة تعصباً ما كنت اخال صدوره ممن يدرك سر الحياة في الامم فقد نقل لي ان بعضهم يحرمون الى اليوم قراءة الصحف لانها تضر بالدين بزعمهم وتشغل عن الآخرة حتى ان القحة بلغت ببعضهم ان حرم على المنبر قراءتها وجاهر بامن من يؤازرها فاضطر كثير من ضعاف العقول ان يقطعوا اشتراكاتهم بالمجلات والجرائد ليعيشوا بدون نور الاما يرسله عليهم مشايخهم ممن خفت وطأتهم ولله الحمد بعد الدستور وكانوا مع الاعيان فيما مضى يعرقون لحم الفقير ويمتصون دمه ولا راحم فنفس القانون الاساسي من الخناق بعض الشيء وتوشك تلك البقية من سلطة الجامدين من رؤساء الدين ان تذهب كأمس الدابر اذ ليس في متن الاسلام ولا في حواشيه وشروحه ما يقال له سلطة دينية · وفي الحال التي انتهى اليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم عبرة لمن القى السمع وهو شهيد ·

تراجع التعليم الديني في عامل وكان ابطال امتحان طلبة العلوم الدينية ايام عبد الحميد من جملة الاسباب ولكن البلاد ما خلت ولا تخلو من مفكرين وعالمين ممن يعتبرون الامور بمقاصدها وينظرون الى النافع من حيث هو وقد كاد اعيان البلاد ينزعون تلك التقاليد التي وضعها الجامدون من الامتناع عن الاختلاط بالمخالف ولا سيما اذا كان من غير اهل الاسلام ومنهم اليوم من يبعثون باولادهم الى المدارس العالية في بيروت وفي صيدا وكأني بهم وهم يرسلون ابناءهم غداً الى الغرب ليستقوا العلوم من مصادرها كما فعل اخوانهم المسلمون في بيروت ودمشق وبعلبك وحاصبيا ولو بعثوا من ناشئتهم لتلقي شؤون الدنيا بمثل العدد الذي يبعثون به الى العراق لتلقف مسائل الدين اذاً لأصبح عامل ارقى بمجموعه من لبنان وما لبنان عنه ببعيد ·

ولسائل ان يسأل ما ذا كانت عاقبة سلطة الرؤساء في المرؤوسين هنا فالجواب انها علمت الكثير منهم الاحتيال وشهادة الزور والاستهتار بالشعائر سراً · اخلاق تجدها في كل مغلوب على امره ارتضى غير قانون العقل دستوراً · ولا يفهم من هذا ان جبل عامل اختص بذلك من دون سائر بلاد الشام فان هذا القطر متساوٍ في اخلاقه الا قليلا

ومتى تعلم ابناؤه ولو التعليم الابتدائي لان القارئين والكاتبين لا يزيدون في قرية من قرى عامل على عدد الانامل ينزعون ايديهم ولا جرم من ايدي اولئك الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا كالميت بين يدي الغاسل يحركونهم بحسب ما تملي الاهواء النفسية ·

هذا اجمال عن بلاد عامل بقي ان نقول ان الحكومة اخطأت في تقسيماته الادارية فجعلت مراكز الحكومة في اقاصي تخومه وتركت اواسطه بدون وازع جعلت الاقضية في صور وصيدا ومرجعيون وانشأت من النبطية وتبنين مديريتين والمديريات ضعيفة السلطة بالنسبة للاقضية والالوية ففي مديرية النبطية مثلاً ٤٣ قرية فيها من السكان نحو ٢٥ الفاً افلا يجدر بها ان تكون قضاء برأسه وهكذا لو نظرت في التقسيم الماضي لرأيته غير معقول والجبل يحتاج لبضع مديريات وبضعة اقضية لتحسن طرق جبايته ويكون للحاكم قوة تحول دون التعادي بيد ان الامن موفور فيه خصوصاً بعد الحملة الحورانية التي سرت منافعها الى اقاليم سورية عامة وتحدث القوم بانتباه حكومة الدستور لكل مشاغب ومنتقض يحاذيها حبل الخروج عن الطاعة ولو جمعت الاسلحة من جبل عامل واللكام لاستراحت سورية باجمعها آخر الدهر ان شاء الله ·

ورجاؤنا ان يعود الى هذا الجبل سكانه المهاجرون او سوادهم الاعظم على الاقل وقد تهذبت عقولهم التهذيب الغربي في الجملة فيعمرون رباعه وبقاعه على نحو ما عمر اللبنانيون بلادهم ويبذروا فيها من المال في الطرق المحمودة ما يعود عليهم وتملي جبالهم واوديتهم المخصبة الصافية بالرفاهية والراحة يعمرونها كما يعمر الصهيونيون القرى التي نزلوها من ارض فلسطين والجليل فقد مررنا مكاربنا بقرية المطلة في اقصى حدود الحولة وهي لجماعة من الاسرائيليين فرأيناها بتنظيمها كقرى اوربا فهلا رأى السكان مجاوريهم وقلدوهم في مرافق الحياة والشؤون النافعة

صيدا وصور

ما الروض الاريض باكره السحاب ولا نسيم الصبا عطر بالشيح والملاب ولا مجامع الانس ولقاء الاصحاب ولا العافية في بدن ذي اسقام واوصاب ولا النضارة في خدود الغانيات الكعاب ولا تغريد العندليب وانين العود والرباب ولا نيل الاماني بعد طول التطلاب ولا رنات الاوتار تلين لها الصم الصلاب ولا كشف غوامض المسائل بعد ان خفيت عن طالبيها الاحقاب — ما كل هذا باجمل من نزول صيدا في نيسانها وايارها

وقد طرزت ضواحيها وحواشيها وترنحت بالمرقصات المطربات اعطاف شاديهـا وتغنت اطيارها في اشجارها وتفتقت انوارها بين ازهارها وفاح اريج تربتها الزكية وتسلسلت سواقيها النقية فضمخت الارجاء بماء ازاهيرها وورودهـا فكانت بهجـة النفوس وريحانة الارواح

اتيتها من طريق صور وكنت قصدت هذه من النبطية قاعدة جبل عامل والمسافة بين النبطية او النابطية وصـور سبع ساعات في طريق صعب في الجملة وليس في صور ما يستحق ان يذكر سوى تاريخها القديم اما حالتها الحاضرة فاشبه بقرية و سط جزيرة تتصل مع البر برمال وهي محصورة ضيقة وبلغني ان نفوسها لا يتجاوزون سبعة آلاف نصفهم من المسيحيين والنصف الآخر مسلمون وتجارتها ضعيفة جداً وزراعتهامتوسطةوقد ذكر القدماء بان صور هي التي اوجدت فن الزراعة وغرس الكرمة

كان لصور شأن في القديم دونه اليوم ميناء همبورغ ومرسيليا ولندنونيو يورك ومن مينائها وميناء صيدا سافرت سفن الفينيقيين واستعمرت شواطئ البحر الرومي حتى بلغت مضيق جبل طارق بل تجاوزته في بحر الظلمات الى ان بلغت الجزائر البريطانيةواستعمرتها واقامت فيها مصانعها ومتاجرها على حين لا ترى اليوم الاقوارب حقيرةومراكب شراعية صغيرة لا تدل على عظمة ولا تشعر الا بفقر ومسكنة

أصحيح ان صور التي لا تصدر الآن الا قليلاً من القطن والدخان كانت فيمامضى(١) تصدر الى بلاد العالم المدني السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات وعسل جبل عاملة وارجوان صيدا ؟ (٢)

أصحيح ان هذه القرية الحقيرة الضـيقة النطاق الكئيبة الدور والمنازل والحوانيت كانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلب الفينيقيون الماء في قوارب لشفاههم وهي مركز حكومة فينيقية التي كان طولها خمسين فرسخاً وعرضها نحو عشرة فراسخ يقصدها اصحاب النواحي المستقلين الذين يحكمون انفسهم بانفسهم لفض المصالح المشتركة فكانت منذ القرن الثالث عشر اهم مدن فينيقية ضاقت عَلَى اهلها فأُقيمت مدينة جديدة قبالتها وأسس تجارها مستعمرات في البحر الرومي كله لان زراعتها لم تكفهم ، أسسوها ليصيبوا الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم وكم أَسسوا مثل قرطاجنة مدناً لا تزال انقاضها شاهدة بعزها الداثر ولذلك كان تاريخ صور وصيدا عبارة عن تاريخ العالم القديم ؟

(١) جغرافية المقدسي (٢) تاريخ الحضارة لسنيو بوس تعريب منشئ المقتبس

اصحيح ان ملوك اشور حاولوا مرات الاستيلاء عَلَى صور اي مدينة الصخر فردوا عنها خائبين لحصانتها ولم تخضع لسلطانهم الا بعد العناء الطويل محتفظة بادارتها الاصلية وان بخت نصر بعد ان حاصرها فاشتد في حصارها ثلاث عشرة سنة اضطر ان يعقد مع صاحبها ايتوبعل معاهدة وان اهلها قدموا للفرس اساطيل مهمة ولذلك كان اول همّ للاسكندر المقدوني ان يضرب عَلَى عظمة صور حتى تكف عن مد يد المعونة لاعدائه الاكاسرة ؟

اصحيح ان القسم القديم من هذه المدينة المسمى بپالتيروس *Palætyros* كان يمتد من نهر القاسمية في الشمال الى رأس العين في الغرب اي على مسافة ساعتين ليس فيها الآن الا رمال وبعض الزروع البسيطة وان الاسكندر جعل عاليها سافلها ليبني بانقاضها بين البر والجزيرة سدّه الغريب وطوله خمسمائة قدم وعمقه ستون وان حصاره لها دام سبعة اشهر وقد اجرى اليها الماء [1] وانها بعد هذا الحصار المنهك بسبع عشرة سنة تعاصت علَى انتيغوس عَلَى عهد البطالسة خمسة عشر شهراً وانها كانت عَلَى اوائل انتشار النصرانية اهم مدن فينيقية واولاها بالتقدم وظلت الى القرون الوسطى من الموانىء التي صعب عَلَى الفاتحين اخذها ولو لم ينشأ اختلاف بين ملوك الطوائف لما وجد الصليبيون سبيلاً الى الاستيلاء عليها سنة ١١٢٤ م ولقد حاصرها الملك الناصر صلاح الدين يوسف فكانت عليه صعبة المنال ولما سقطت عكا بايدي المسلمين اضطر الافرنج الى الرحيل عنها بعد ان احتلوها ١٦٧ سنة اقاموا بها بعض الابراج في البحر لا يزال بعض انقاضها بادياً وحكمها الامير فخرالدين المعني وعبثاً حاول انهاضها من كبوتها

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

أصحيح ان عكا وصور وهما الآن فرضتان حقيرتان جداً من موانىء الشام كان لهما من المكانة في القديم ما لم تحز بيروت بعضه اليوم مهما بلغ من مجدها البحري وان صور كانت هي وعكاء ميناء دمشق وسائر مدن الداخلية منهما تصدر التجارات وترد الواردات وهما مقصد السياح من الشرق الى الغرب وبالعكس ؟

قال ياقوت : ان صور مشرفة عَلَى بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد محيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركينة لا سبيل اليها الا بالخذلان وهي معدودة في الاسلام من اعمال الاردن

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

بينها وبين عكة ستة فراسخ وهي شرقي عكة . وذكرها شيخ الربوة من جملة العجائب فقال : ان البحر الرومي منها رمية نشاب وهي مربعة البناء من خارج وهي مثمنة من الداخل وعمق الماء الى اسفل ثلاثة وار بعون ذراعاً بالكبير و يخرج منها ماء كثير وجريته فرسخين يجري الى المعشوقة يسقي اقصابا ومزدرعات ، وروى ابن فضل الله : ان صور كانت ولاية في القرن الثامن وفيها كنيسة يقصدها ملوك من البحر فلهذا لا يزال عليها الرقبة وهم عَلَى هذا يأتونها مباغتة ثم يقضون فيها ما ارادوا ثم ينصرفون ولعل تلك الكنيسة هي كنيسة اللاتين التي يقال انها من بناء الملك قسطنطين وقال البكري (١) ان السفن كانت تسلك من الاسكندرية الى ابي قير فدمياط فبحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التي تصنع فيها الثياب الدبيقية ثم الى تيدار ميماس (؟) ومنها الى غزة فملاحة الواردية فعسقلان فقيسارية فيافا فرأس الكرمان (لعله رأس الكرمل) فحيفا فعكا فصور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى طرابلس الخ . وانت ترى اليوم ان من هذه الموانى السورية ما لا تقف عليه المراكب مثل عسقلان وقيسارية وصور وصيدا فسبحان محول الممالك قرى وجاعل المجاهل معالم

وقال الشريف الادريسي بان صور كانت مرسى يدخل اليه من تحت القنطرة وعليه سلسلة تمنع المراكب من الدخول قال ابن سعيد : صور التي لا يرام لحصارمن جهة البر وقد حفر الافرنج حولها حتى اداروا بها البحر قال العزيزي و بين صور وعكا اثنا عشر ميلاً وفتحت في سنة تسعين وستمائة مع عكا وخربت وقد نقل معاوية اليها والى عكا قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية سنة ٤٢ وكانت خراباً يوم مر بها ابن بطوطة (٢) سنة ٧٢٦ وبخارجها قرية معمورة سكانها من السنوزة «؟» قال ان بابها الذي للبحر بين برجين عظيمين و بناؤها ليس في الدنيا اعجب واغرب شأناً منه كما مر بها ابن جبير قادماً من عكا فاجتاز في طريقه عَلَى حصن كبير يعرف بالزاب « لزيب » وهي مطلة عَلَى قرى وعمائر متصلة وعَلَى قرية مسورة تعرف باسكندرونة وقال في وصف صور :

مدينة يضرب بها المثل في الحصانة لا تلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قداعدها الافرنج مفزعاً لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانيهم هي انظف من عكة سككاً وشوارع

(١) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (٢) راجع رحلته

واهلها الين في الكفر طبائع واجرى الى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازع فخلائقهم اسجح ومنازلهم اوسع وافسح واحوال المسلمين بها اهون واسكن وعكة اكبر واطغى . واما حصانتها ومنعتها فاعجب مايحدث به وذلك انها راجعة الى بابين احدهما في البر والآخر في البحر وهو يحيط بها الآن من جهة واحدة فالذي في البر يفضى اليه بعد ولوج ثلاثة ابواب او اربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب واما الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين الى ميناء ليس في البلاد البحرية أعجب وضعاً منها يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجص فالسفن تدخل تحت السور وترسي فيه وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها وعلى ذلك الباب حراس وامناء لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الا على اعينهم فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع وللعكة مثلها في الوضع والصفة لكنها لاتحمل السفن الكبار حمل تلك وانما ترسي خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها فالصورية اكمل واجمل واحفل . قال وهاتان المدينتان عكة وصور لا بساتين حولها وانما هما في بسيط من الارض افيح متصل بسيف البحر والفواكه تجلب اليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما ولهما عمالة متسعة والجبال التي تقرب منهما معمورة بالضياع ومنها تجبى الثمرات اليهما وهما من غرر البلاد اه .

وقال ابن خرداذبة [١] وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدلون وسواحل جند الاردن صور وعكا وبصور صناعة المراكب اي المسلحة (الترسانة) وفي نزهة المشتاق: ومن اسكندرية الى مدينة صور خمسة عشر ميلا وهي مدينة حسنة على ضفة البحر ومن صور الى طبرية يومان كبيران ومنها الى عدلون وهو حصن منيع على البحر ومنه الى صيدا عشرة اميال وبين صور وصرفند يقع نهر ليطة « ليطاني » ومنبعه من الجبال ويقع هناك في البحر ومن صور الى دمشق اربعة ايام وذكر ياقوت في المشترك ان صور اشهر مدينة بساحل بحر الشام واحصنها واحسنها افتتحت في ايام عمر بن الخطاب وبقيت في ايدي المسلمين الى سنة ٥١٨ في ايام الآمر بالله فأخذها الفرنج

هذا كلام الافرنج والعرب في صور وقد بتنا فيها ليلة انقبضت فيها النفس انقباضاً

(١) المسالك والممالك

لم يعرض لها في احقر القرى التي مررنا بها في رحلتنا ومن الغد ركبنا المركبة الى صيدا في اراض مزروعة وجداول منسابة والمسافة اربع ساعات وليس في الطريق من اثر الا بقايا انقاض الصرفند وتعرف قديمًا باسم الزاربات (Zarpath)وعدلون Orinthoporis ومغارة اسمها مغارة البزاز يرشح الماء من اعلى صخورها المتجمع من مياه المطر فيشرب منه الرعاة حيث يلجأون في الشتاء و يعتقد بعض العامة ان كل مرضع جف لبنها وانقطعت درتها تستشفي بما يرشح من قطرات الماء فيدر لبنها ولم يقم دليل عَلَى ذلك في الحس كما لم يقم حتى الآن دليل على الاستشفاء بالاماكن المباركة و بعض المعابد ومحال النسك وما النذور التي ينذرها بعض عامة المسلمين من السنة والشيعة والرحال التي يشدونها من القاصية الا من باطل السعي ومخلفات القرون الوسطى لا يؤيدها نقل ولا يقول بها عقل

وفي الطريق الى صيدا بعض نواويس ومسلات منها ما هو يوناني ومنها ما هو فينيقي ومنها ما هو مصري كما تجد احواضاً وقبوراً ومعاصر زيت وانقاض معابد وغيرها والمهم مما كان هنا وفي صيدا نقله علماء الآثار الى متحف الاستانة او متاحف اوربا سراً. ومدخل صيدا بحدائقها الانيقة مدخل المدن الكبرى وان لم يتجاوز نفوسها الخمسة عشر الفاً ولذا رجح بعضهم ان الفينيقيين اختاروها لجمال بقعتها وجبال جزين والريحان وعامل مطلة عليها اطلال الاب عَلَى ابنه او العاشق على معشوقه

وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به من لا يرق وتبدو منه اهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ولا انتثار لآلي الطل انداء
وانما ارج الند استثار بها في ماء ورد فطابت منه ارجاء

اختلف المؤرخون في صور وصيدا وايهما كانت اكبر وافخم على عهد الفينيقيين و يقول استرابون ان صور اقدم مدن فينيقية واعظمها بعد صيدا وقد جعل صور العتيقة عَلَى مسافة نحو خمسة كيلومترات ونصف من صور الحديثة اما بلين فيقول ان المدينة القديمة والحديثة متصلتان ببرزخ احداهما مع الاخرى ومحيطهما ٢٧ كيلومتراً اما المدينة الاصلية فمساحتها زهاء اربعة كيلومترات

ظفر الباحثون بنقود فيها رسم انطوخيوس الرابع قبل المسيح بمئة وثماني وستين او

سبع وستين سنة كتب عليها انهـا ضربت في صور أم الصيدونيين ووجدت أيقونة اخرى كأنها رد عَلَى هذه الدعوى مكتوب عليها « الصيدونيون مذلون صور الكاذبة» وهكذا تنازعت صور وصيدا شرف التقدم كما تنازعتا مدينة صرفند (صرفت) التي بناها اهل صيدا عَلَى ١٥ كيلومتراً ونصف جنوبي صيدون عَلَى الشاطئ ومعناهـا سبك المعادن من صرف العبراني اي ذوب

بيد ان التاريخ ناطق بان صيدا وان سبقت الفينيقيين بتأسيس المستعمرات منذ عهد عريق في القدم فأنشأت هيبون في نوميديا وقرطاجنة في شمالي افريقية فقد سبقتها صور فيما بعد وتبين ان صيدا كانت من عمل صور حتى كانت صيدا تعرف باسم « صور صيدا »[1] وظلت صيدا مستقلة في شؤونها الداخلية وكان لها حتى عَلَى عهد الرومان مجلس شيوخ وحاكم اكبر كالذي كانت تنصبه الجمهوريات اليونانية . ولم يشتهر الصيدونيون بأنهم والصور بين اساتذة العالم في تجشم البحار بل اشتهروا ايضاً بانهم اساتذة ايضاً في علم النجوم والرياضيات

خربت صيدا سنة ٣٥١ ق ٠ م عقيب انتقاضها عَلَى ملك فارس وقتل وحرق فيها ٤٠ الفاً وفتحت ابوابها بنفسها للفاتحين اليونانيين ثم استولى عليها الرومان وكان يطلق عليها اسم « قائدة المراكب » و « أم القرى » و « المستعمرة السامية » وافتتح المسلمون صيدا سنة ٦٣٧ و٦٣٨ م بدون مقاومة وقاست عَلَى عهد الصليبيين اهوالاً ودفعت مالاً سنة ١١٠٧ حتى رفع الصليبيون عنها الحصار الا ان بودوين الاول عاد فاستولى عليها سنة ١١١١ وبعد وقعة حطين دك السلطان صلاح الدين اسوارها سنة ١١٨٧ م ثم عاد الصليبيون فاستولوا عليها سنة ١١٩٧ واستخلصها منهم الملك العادل وخربها في تلك السنة فأعاد الافرنج بناءها سنة ١٢٢٨ فخربها المسلمون سنة ١٢٤٩ ثم حصنها سان لوي سنة ١٢٥٣ وابتاعها فرسان الهيكليين الصليبيون وهاجمها المغول سنة ١٢٦٠ فجعلوا عاليها سافلها ثم وقعت في ايدي المسلمين ودك الملك الاشرف حصونها .

ولم تنهض صيدا من كبوتها الا في القرن السابع عشر عَلَى عهد الامير فخر الدين المعني احد امراء الدروز الذي جعلها مقر ولايته ونشط الاوربيين عَلَى نزولها حتى ازهرت تجارتها واقام فيها قصراً له وخانات للتجارة وكان بعضهم من اهل طوسكانيا في ايطاليا وبعضهم من الفرنسيس وجابت تجارة الحرير اليها ثروة هائلة وظلت المدينة

(١) معجم البلدان

متقدمة في تجارتها الى اواخر القرن الثامن عشر وامتدت ايالة صيدا [1] سنة ١٨٣٨ فتألفت من بلاد ساحل عتليت وعكا وشفا عمرو والجبل والشاغور وبلاد بشارة وطبرية وصفد والناصرة وتوابعها من القرى والعرب المخيمين في ضواحيها وقد ضربت اساطيل الاور بيين المتحدة سنة ١٨٤٠ قلعة الرفاء وما زالت انقاضها بادية

وكانت صيدا مرفأ دمشق الوحيد في القرن السابع عشر والثامن عشر كما كانت في القرون الوسطى وبين دمشق [2] وصيدا ستة وستون ميلاً والميل ثلاثة آلاف ذراع او ستة وتسعون الف اصبع والفرسخ ثلاثة اميال او ثلاثمائة الف اصبع ينقص اثني عشر الف اصبع وكانت الطريق عَلَى رواية العزيزي من صيدا الى مدينة مشغرا وهي انزه بلد في تلك الناحية في واد في نهاية الحسن بالاشجار والانهار والمسافة اربعة وعشرون ميلاً ومن مدينة مشغرا الى مدينة تعرف بكامد (الغالب انها كامد اللوزقرية في غربي البقاع) قاعدة تلك البلاد قديماً ستة اميال ومن مدينة كامد الى ضيعة تعرف بعين الجر ثمانية عشر ميلاً ومن عين الجر الى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً

ولا يعرف بالتحقيق الباني الاول لصور وصيدا والارجح ان الاولى بنيت في ايام جلعاد من سبط منشا بني عمون اليهود والثانية بناها صيدون بكر كنعان. وكانت مدينة صيدون اي صيدا اول ما احدثه كنعان [3] على بضعة مراحل من جنوبي بيروت ولم تكن الا قرية للصيادين (كما يدل عليه اسمها نفسه) بناها عَلَى ماجاء في رواياتهم القديمة الاله بعل (المعروف عند اليونان باسم آجنور) عَلَى المنحدر الشمالي لرأس صغير يشرف بانعطاف نحو الجنوب الغربي وقد كان لمينائها عند السلف شهرة فائقة وهي محصورة بين صخور منخفضة متتابعة تبتدئ من النهاية الشمالية لشبه الجزيرة ثم تمتد بحذاء الساحل عَلَى مساحة بضع مئات من الامتار والسهل المحيط بها يسقيه نهر جميل يعرف باسم بوسترين « نهر الاولي » وفيها كثير من البساتين الغناء الاريضة حتى اوجب هذا الموقع الطبيعي وهذا الجمال الخلقي تسمية المدينة بصيدون الزهراء وبجوارها شمالاً نهر الدامور وهي تمتد جنوباً الى مصب نهر الليطاني وفيما وراء ذلك من البلاد كان في حكم الصور بين

قالوا وفي الاحقاب الخوالي التي مضت عَلَى العالم اي ايام كان الآلهة يعيشون بين

(١) دواني القطوف (٢) تقويم البلدان (٣) تاريخ المسيو ماسبيرو تعريب احمد زكي باشا

الناس اختط سمروم على القارة رسم مدينة من قصب الغاب وامامها استقر اخوه هيزعوس في بضع جزائر اقام فيها اعمدة مقدسة · وهيزعوس هذا اول بحري في العالم · وكان هذا مبدأ صور ثم جاء بعد ذلك ملكارت وهو عند الصوريين مثل هرقل الجبار المشهور في جاهلية اليونانيين ويؤكد كهنة هذا الرب ان هيكله بني هو والمدينة في وقت واحد وقد مضى نحو الفي سنة وثلثمائة سنة حينما زارهم المؤرخ هيرودتس فعلى حسابهم يمكننا ان نقول بان مدينتهم هذه أسست في نحو سنة ٢٧٥٠ ق · م

استكانت صور وصيدا للفاتحين كما استكانت جبيل وبيروت من مدن الفينيقيين فتفرغت الى عهد رعمسيس الثاني احد ملوك الفراعنة لاحتكار جميع تجارة مصر مع ام آسيا والبحر الابيض المتوسط وفي القرن الثاني عشر ق · م حصلتا على استقلالهما لما ضعف امر العائلة العشرين من الفراعنة وكان خلال ذلك العهد كل من صور وصيدا عبارة عن دولة صغرى تطمح اليها انظار مجاوريها بسبب ما احرزتاه من توفر اسباب الثروة ولكنهما قاومتا هذه الاطماع مدة بما كان لهما من الحصون والاسوار غير انهما لم يتأت لهما البقاء زمانًا على هذا الاستقلال فاقلع من عسقلون (عسقلان) اسطول فلسطيني سنة ١٢١٠ وتلاقى بمارة الصيدونيين فدمرها تدميراً ثم استولى على مدينة صيدون ومن نجا من اهلها فروا الى صور فقويت بهم حتى صارت اقوى دولة فينيقية وفي ايام حيرام الاول (٩٨٠ — ٩٤٦ ق · م) بلغت صور بحريتها اعلى الدرجات وانبسط سلطانها

كانت صور متفرقة في عدة جزائر يفصل بعضها عن بعض السنة من البحر ليست بالعميقة بل تتخللها صخور طافية رؤوسها على صفحات الماء من جنس الصخور التي يتعذر معها اقتراب السفن في بعض المواضع من سواحل الشام فردم حيرام تلك المضايق التي تتخللها مياه البحر بجسور حصينة وردوم اقامها فاتسعت رقعة المدينة ولكنها لم تكن لتسع سوى ثلاثين الى خمسة وثلاثين الفًا واقام ملوكها وتجارها قصورهم في اواخر سفح لبنان وبقيت الجزيرة مركز الحكومة

وظلت صور راضية باداء الجزية للفاتحين حتى نشب القتال بين ملكها ايلولي « ٧٦٨ — ٦٩٢ » والملك تغلات فلازار الثالث صاحب اشور انتهت بهلاكه ووقوع صور في قبضة الاشوريين ولما سقطت نينوى عاد لصور استقلالها وفازت بدفع بخت نصر عنها بمعاونة الفراعنة الصاويين واحتملت الحصار ثلاث عشرة سنة « من سنة ٥٧٤

الى سنة ٥٨٧ » ولكن نزفت قوتها بفتنها الاهلية وفي سنة ٥٥٧ أعيدت الى سيطرة الكلدانيين ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٨ حصل لصور وفينيقية ما حصل لها فدخلت في قبضة الفرس من غير حرب ولا قتال

كان لكل من صور وصيدا كما كان لكل مدن فينيقية رب خاص بها « بعل » وله عشتاروت « اسطارطوس وهي آلهة انثى » وكانت البعليم والعشتاروتات تمثل قول الطبيعة والشمس والكواكب او الاغراض التي تتجه اليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والمشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الاحجار الخام « بيت ايل — بيت الاله » وكانت هذه الآلهة تؤول الى زوج واحد اعلى او الى سبعة آلهة كبراء تحف باشمون الذي هو الاله الخالق وكانت عبادة هذه الآلهة غير منتظمة ومحفوفة باساليب القسوة فكان القوم يحرقون الاطفال تمجيداً لها واذا حل الانقلاب الصيفي اخذوا يندبون ادونيس ثم اذا جاء الخريف احتفلوا ببعثه ونشوره . ثم دخلت بعض القواعد الدينية المصرية في ديانة الفينيقيين

اخذت فينيقية عن مصر حروف الهجاء ومن الحروف الهجائية الفينيقية اشتقت حروف الهجاء الاوربية . واثرت في فنونهم من صياغة ونقش ونحت وعمارة وعمل زجاج صناعات مصر تارة وصناعات كلديا تارة اخرى واشتهرت صناعة الفينيقيين عند القدماء فقد اتقنوا طرق اصطناع الزجاج وحفظوا زماناً سر تحضير الارجوان وفي الآثار التي عثر عليها في امريت اي مارات القديمة ما يستدل به ان المدنية المصرية اثرت كل التأثير في المدنية الفينيقية بل ان معاصر الزيوت ذات الاجهزة الضخمة تشبه الآثار المصرية كل الشبه وكذلك اواني الفضة والشبهان « البرونز » التي كانت تصنع في صور وصيدا تراها مزخرفة باشكال مصرية وممثلة لموضوعات مصرية وكذلك الجواهر والاساور والخناجر ودروع الخواصر والخواتم والاقراط تشبه المصنوعات المصرية فلم يكن للفينيقيين قط فنون وطنية خاصة بهم متأصلة فيهم لانهم اقتصروا في كل عصر على تقليد اعمال الامم التي تحكمهم فكانوا يقلدون الصناعات المصرية والاشورية ايام كانت حكومة بلادهم في ايدي المصريين والاشوريين فلما حكمهم اليونان ثم الرومان حاكوا الصناعات اليونانية

وبالجملة فان صور وصيدا كانتا مدينتي صناعة وتجارة يحمل ابناؤهما مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم الى الجهات القاصية وهم وحدهم كانوا ينقلون البضائع في البحر المتوسط

206

مدة قرون طويلة اه ٠

هذا ما يساعد المقام عَلَى اقتباسه من تاريخ العاصمتين القديمتين اما حالتهما الحاضرة فمتأخرة وان كانت صيدا ترجح عَلَى صور كثيراً خصوصاً بحدائقهـا الانيقة التي يعود عليها منها دخل وافر لا سيما من البرتقال والليمون واللوز والمشمش والموز والبلح و بني دنيا وهو شجر حديث ادخل االطليون زراعته الى صيدا اولاً منذ نحو اربعين سنة وله طعم حلو مز و بذر كبير

ان تلك البقعة التي تقدر بنصف غوطة دمشق بمساحتها في ذاك السهل النضير الذي تطل عليه قمم لبنان مغطاة بالثلوج وجبل الريحان وتومات نيحا (١) ٠ وصيدا في عمرانها اليوم صورة مصغرة من عمران بيروت وفيها من المعاهد والمصانع مثل ما في الاولى فلها مدرسة صناعة لمبشري الاميركان ومدرستان لهم للذكور والاناث كما فيها مدرسة لليسوعيين واخرى للفرنسيسكان وثالثة للاتحاد الاسرائيلي ومدارس ابتدائية لجمعية المقاصد الاسلامية لا تعلق لها بجمعية بيروت المسماة بهذا الاسم ولا بجمعية النبطية التي اطلق عليها مثل هذا الاسم ايضاً وفيها مكتب ابتدائي ورشدي اميري وغير ذلك من الجوامع والكنائس كما ان فيها مزاراً يقال ان فيه شيئاً من جثة يحيى الحصور عليه السلام وهذا غير ثابت في التاريخ كما لم تثبت الدعاوي التي من قبيله

وفي صيدا تصدر مجلة العرفان لمنشئها صديقنا احمد عارف افندي الزين وهي مجلة راقية خادمة للآداب العربية امتازت بما تنشره لعلماء جبل عامل والنجف وايران وشعرائهم وكتابهم وما ترويه من آثار العلويين وتاريخهم ولها مطبعة متقنة وهي المطبعة الوحيدة في هذه البلاد و بالنظر لقرب المسافة بين صيدا و بيروت اكتفى الصيدونيون بجرائد بيروت ولم ينشروا جرائد لهم خاصة ٠

«١» معنى نيحا بالسريانية المستريحة وهذه القرية عَلَى حدود جزين و يدخل في قضاء جزين من اعمال لبنان اليوم جبل الريحان ايضاً سمي بذلك لكثرة الريحان الذي ينبت فيه كما اكد ذلك بعض العارفين و يحده جنوباً تمرة ومرجعيون ونهر الليطاني وشمالاً اقليم جزين وغرباً الميدنة ومزرعة سجد ونهر الزهراني من اعمال صيدا وشرقاً الليطاني وقرية ميذون من اعمال البقاع واهم قراه عرمتى وجرمق وعيشية وسكانها مسلمون شيعة ودروز ومسيحيون وفي دليل لبنان ان القرى الملحقة بناحية جبل الريحان هي عيشية وردبة زغرين عرمتى جرمق شابيل صوبرة زبد عقماتة ريحانة قطراتة خلة خازن

وقد فتحت صيدا شارعاً طويلاً لما اقامت فيه الدور والحوانيت عَلَى الطرز الجديد في الجملة اما بناء المدينة القديم فضيق معوج مثل ابنية بيروت وطرابلس القديمة او ادهى وامر وماؤها عذب يأتي في انابيب مثل ماء بيروت و يستقى منه في اعالي البيوت و بلديتها تعتني بتنظيفها اكثر من عناية بلدية دمشق و بيروت

وقصارى القول فان صيدا كما قال استاذنا الشيخ طاهر الجزائري تصيد القلوب صيدا وعلى رأي ابن الساعاتي وقد مر بها يوم كانت بيد الافرنج فرأى مروجاً خضراء كثيرة نباتها النرجس واتفق انه هرب بعض الاسارى من صيدا فأرسلت الخيل وراءه فردته فقال :

لله صيداء من بلد   لم تبق عندي بلى دفينا
نرجسها حلية الفيافي   قد طبق السهل والحزونا
وكيف ينجو بها هزيم   وارضها تنبت العيونا

مرج عيون

عدنا من صيدا الى النبطية في مركبة وذهبنا من الغد في زمرة من الاخوان لزيارة قلعة الشقيف التي نسبت اليها البلاد المحيطة بها و يرد عهدها الى قبل الصليبيين عرفها الافرنج للمرة الاولى سنة ١١٧٩ ولما استولى عليها الصليبيون سموها الحصن الجميل وحق لهم ان يسموها كذلك لجمال موقعها المطل على نهر الليطاني المنسابة مياهه في اسفل الوادي العميق ومن الجانب الآخر بعض القرى المبثوثة في الخضرة التي تأخذ بمجامع القلوب ومن البعيد سهل مرج عيون (Ijon) الوارد ذكره في سفر الملوك و ينتهي هذا المرج بجبل الشيخ و بجانبه قلعة الصبيبة المطلة عَلَى حولة بانياس و بلاد بشارة اوجبل عامل وفي الجنوب بلاد نفتالي الجبلية الى ضواحي صفد وعَلَى اليمين جبل الجرمق ٠

ومن قلعة الشقيف ايضاً ترى قلعة هونين وفي الشمال الشرقي تصعد العين الوادي وفي اعلاه جبل الريحان منظر يملك عَلَى الانسان مشاعره فيدهش له و يبتهج ينظر الى القلعة فيراها محلقة في الجو كالعقاب تدل كل الدلالة عَلَى قدرة الانسان حتى في سالف الاحقاب ويقع نظره من جهة أخرى على اجمل مناظر سورية وتتمثل له هذه البلاد وما قاسته من مطامع الفاتحين وسيئات الظالمين المستبدين

في هذه البقاع التي منحتها الفطرة اسباب الصفاء والرواء تطاحنت سنين كثيرة جيوش اهل الصليب واهل الاسلام فاهلك الانسان اخاه بسائق الدين في الظاهر وسائق

المطامع الدنيوية في الحقيقة ولولا عزيمة من صلاح الدين يوسف بن ايوب نسفت الاهواء لتجردها عن الاهواء لكانت بلادنا اليوم ملكاً لدول اوربا او لاحداهن ولمابقيت للاسلام والعرب كلمة تسمع في هذه الديار كماوقع لشبه جزيرة الاندلس وجزيرة صقلية من قبل

وقلعة الشقيف كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من الملوك والمتغلبين واهمّ ابنيتها من اواخر العهد الروماني (١) ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد او مصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية وهي محاطة من الجنوب ومن الغرب بهوة عميقة محفورة في الصخر عمقها من ١٥ الى ٣٦ متراً ومن الجنوب فقط تتصل القلعة بذورة الجبل ومدخلها الى الجنوب الشرقي وطولها ١٢٠ متراً وعمقها ٣٠ ومن طرفها الشمالي بناء ناتيء طوله ٢١ متراً متجهاً الى الشرق وفناؤها او صحنها في الجهة الشرقية منها عمقه نحو ١٥ متراً ومثلها الابنية الخارجية ولها انحدار يختلف من ٦ الى ٩ امتار وقد قام على الحائط الجنوبي برجان على شكل نصف دائرة

قامت القلعة على هذا المثال بحيث اعجزت المهاجمين ويقال ان صلاح الدين لم يستطع اخذها بالمنجنيق الا بضربها به من قرية القليعة في الشق الآخر من الوادي على مسافة لاتقل عن اربعة كيلومترات وفي رواية تدور على السن اهل القرى هناك انه حاصرها اشهراً ولم يستول على حاميتها الا بحيلة دبرها قروي من اهل ذاك الجوار فدعا الحامية خارج القلعة لمأدبة اعدها لها وكانت الحامية مستأمنة له وقد انهكها الجوع حتى صارت تأكل الفيران والجرذان فما شعروا وهم مشتغلون ببطونهم الا وعسكر صلاح الدين قادمون بطعام في زي النساء حتى اقتربوا منهم فباغتوهم بالقتل فلم ينج منهم نافخ نار

والصحيح في فتحها ماقاله العماد الكاتب (٢) من ان صلاح الدين قصد الى شقيف ارنون من دمشق ماراً بقلعة بانياس « واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف » واقام عسكره في ذلك « المرج الوسيع والروض الوشيع » وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط فامهله ثم امهله ولم يجد صاحب الحصن ملجأ « وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل لمحاصرة الحصن ورتب له عدة من الامراء » الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم وكانت مرجعيون تتوافد اليها جموع المتطوعة من دمشق وحوران والمرج والغوطة قال : وفي يوم الاحد

«١» بدكر «٢» الفتح القسي في الفتح القدسي

خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده وعزاجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في البصر ارتياؤه وارتياده ونخب من الرعب فؤاده واصلد باليأس زناده وامتنع عليه اصداره وايراده فسلمه على ان يسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهبه وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور اه

و بعد صلاح الدين نزلت القلعة الحامية الاسلامية ومازالت تتقلب عليها الاحوال حتى سكنها في القرن الماضي ابناء العشائر او حكام جبل عامل ولم يغادرها الا في النصف الاخير من القرن السابق اما اليوم فقد امست زريبة يأوي اليها الرعاة بغنمهم وماعزهم

غادرناها عصر اليوم الخامس عشر من سياحتنا الى مرج عيون او مرجعيون كما يقال لها اليوم فاجتزنا اليها جسر الخردلة الممتد على نهر الليطاني ومرج عيون كانت مملكة من ممالك اسرائيل تحيط بها حدود رحوب وقادش وخاصور وافيق اي سهل هذا المرج الذي يمتد نحو عشرة كيلومترات وعلى نحو كيلومتر من الجديدة مركز مرج عيون اليوم تل دبين وهي ربوة في السهل فيها بعض خرائب تدل (١) على انه كان هناك مركز عيون وعيون هذه كانت عرضة لهجمات آرام وآشور منها اخذت هذه المقاطعة اسمها وقال بعضهم ان عيون هي دبين وهي قرية على ميلين شمالي جديدة مرج عيون وعلى تل دبين آثار قديمة ذات شأن وقيل هي الخيام على ميلين الى الجنوب الشرقي من الجديدة

واختلفت الاحوال على مرج عيون في الحكومات الاسلامية فكانت من اعمال صفد (٢) وسماها ابو الفدا مرج العيون بألف ولام وسماها غيره مرج عيون وهذه التسمية نشأت في الغالب للعيون الكثيرة التي تنبع من ارض الجديدة خصوصاً وهي عجيبة لا تكاد تخلو قطعة ارض من عين تنبض فيها مع ان الجديدة على سطح مستو في رأس جبل لا اتصال بينها و بين القمم العالية حيث تبقى الثلوج اشهراً كما هو الحال في قمم صنين في لبنان الغربي وقمم حرمون اي لبنان الشرقي والى شرق مرج عيون جبل الشيخ وقراه والى الجنوب بلاد بشارة و بحيرة الحولة والى الغرب قرى بلاد الشقيف والى الشمال جبل الريحان وتومات نيحة او شقيف تيرون

«١» جغرافية الكتاب «٢» شيخ الربوة في القرن الثامن

وعَلَى ميلين من الجهة الثانية عند منفرج الوادي قرية ابل و يقال لها ابل السقي تمييزاً لها عن ابل القمح من اعمال مرج عيون ايضاً وفي منتصف الوادي عَلَى نفس السطح الذي قامت عليه قرية ابل قرية الخيام او الخيم . والجديدة والسقي والخيام ثلاث بلدان كأنها بلد واحد ذات ثلاثة احياء لا تقل نفوسها عن اثني عشر الف نسمة والغالب ان ابل السقي كانت بعد الاسلام مقر عمل تلك الكورة بدليل ما قاله ابن خرداذبة (١) : كورة السقي وجرثية والحولة قال ومن اخذ من بعلبك الى طبرية عَلَى طريق الدراج فمن بعلبك الى عين الجر عشرون ميلاً والى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ومن قرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفر ليلي عشرون ميلاً ومن قرعون الى طبرية خمسة عشر ميلاً وعدَّ ابن خرداذبة من جملة كور الاردن كورة آبل ولعلها ايضاً هي بعينها اوابل القمح و يقول ياقوت ان السقي قرية بظاهر دمشق ولم يقل عن مرج عيون الا انها بساحل الشام والغالب انها لم تكن مشتهرة في عهده وان كان لها ذكر في الفتح الصلاحي

و يتبع قضاء مرجعيون اليوم كثير من قرى جبل عامل وعدد قرى قضائها ٥٤ قرية منها المهم جداً بتاريخه و كثرة سكانه كبنت جبيل وهونين ودير ميماس وميس ولا تقل نفوس القضاء عن خمسين الفاً وربما كان المهاجرون منهم نحو خمسهم وكثير منهم الذين وفقوا في اميركا واثروا ولا سيما سكان الجديدة مركز القضاء ممن لا تجد بينهم أُميًّا من الذكور والاناث ولا تشبهها بهذا المعنى بلدة في سورية الا الناصرة فيما اذكر لأن تنافس الطوائف النصرانية عَلَى تأييد نفوذهم ودعوتهم فيها دعا كلاً منها الى فتح المدارس وتعميم التعليم مع التعاليم وقد فطر اهل هذه البلدة عَلَى التقليد المفيد فاذا علم احدهم ابنه لا يلبث جاره ان يحذو حذوه وهكذا حتى اصبح اهل القصبة واكثرهم مسيحيون متعلمين

اما المسلمون فشأنهم شأنهم في كل مكان مررنا به : يضن الاغنياء منهم باموالهم حتى عَلَى تعليم اولادهم والفقراء اتكلوا عَلَى الحكومة وهيهات ان يتعلم ولد يسلمه ابواه لمعلم تعينه المعارف هذا اذا فتحت لها مكاتب في مراكز الاقضية فما هو الحال في سائر القرى التي تمر بالعشرين والثلاثين والاربعين منها ولا تجد فيها مدرسة اميرية ولذلك ترى ابناء المسلمين ينصرف غنيهم على الاغلب الى الفسق والاعتداء ولا يجد فقيرهم متسعاً له من العيش ليتعلم فيرعى الماشية و يعيش في الجهل المطبق عمره .

« ١ » المسالك والممالك

دخلت جديدة مرج عيون بالمتعلمين من سكانها في طور المدن ومثلها بعدد السكان كثير جداً في بلاد هذا القطر فهي اصغر من حرستا وعربيل وداريا ودومة وجوبر من قرى غوطة دمشق التي لا تكاد تجد فيها مكتباً جيداً في الجملة ولكن اهلها على قلة عددهم اهم من جميع اهل الغوطة عَلَى قرب هؤلاء من دمشق لان الغوطيين اتكلوا عَلَى الحكومة فلم تعلمهم ولن تعلمهم اما اولئك فقد افضل عليهم اللاتين والروم والبرتستانت فأحيوا نفوسهم بالآداب والمعارف عَلَى مناحيهم فاقام من اقام منهم عزيزاً وهاجر من هاجر منهم قادراً متعلماً

وبينا تجد المسلمين يأكل كبارهم صغارهم عَلَى ما سمعته من تلك الدعوى الغريبة بين فقراء المسلمين في قرية الخيام واعيانهم الذين سلبوهم فيما مضى على مايقال اراضيهم لينجوهم من الخدمة العسكرية بكتم اسماء نحو الفين منهم عن الحكومة نجد اغنياء المسيحيين يأخذون بايدي ضعفائهم فيفضلون عَلَى المحاويج ويعلمون الاميين ويواسون من يستحق المواساة من البائسين ولا عجب فالعلم يعمر والجهل يدمر .

في الجديدة تصدر جريدة « المرج » لصاحبها صديقنا الدكتور اسعد رحال وهي من جرائدنا الاسبوعية الراقية الرائجة وقد كان اكبر دواعي رواجها تنشيط المهاجرين من اهل المرج ولا سيما سكان الجديدة العقلاء المنورون ولا اعلم في مدن داخلية الشام جريدة اسبوعية تضاهيها بالرواج اللهم الا اذا كانت جريدة حمص التي تباع ايضاً من المهاجرين الحمصيين « بخ بخ وزه زه »

وبعد فان هذا المرج بطبيعته من اجمل ما وقعت عليه العين من البلاد التي عرجنا عليها في رحلتنا يسرح النظر منه ماشاء في روض بهيج لو اكثروا فيه من زرع الاشجار المثمرة لفاق غوطة دمشق واشبه سهول فرنسا وجبالها خصوصاً واكثر دور الجديدة وابل والخيام اصبحت تبنى على الاصول الحديثة بالحجر الصلد والقرميد البديع ولكل دار حديقة تحيط بها كالهالة بالقمر وما ارض المرج الا كما قال الشاعر

ارض اذا عبس الشتاء رأيته كملاءة ملئت من الكافور
واذا الربيع تكاملت وجناته فمدبجات عطرت بعبير
واذا المصيف تلألأت صفحاته ففواكه من يانع ونضير
واذا الخريف تقلصت اردانه فمتاع اقوات من المذخور
جمعت بها شتى المنى فكأنها لقيا البشير بوصلة المهجور

وادي التيم

كتب لنا الطواف حول جبل الشيخ في هذه الرحلة ومشاهدة جهاته الاربع · وجبل الشيخ هو جبل حرمون بعينه المذكور في التوراة وسماه العرب جبل الثلج قال حسان بن ثابت

من دون بصرى ودونها جبل الثلـ ج عليه السحاب كالقدد

ويسمى ايضاً امانة وبعل حرمون وسيئون وسريون وسنير وشنير وزعم بعض اصحابنا ان السبب في تسميته هو ان شيخاً من زعماء الطائفة الدرزية سكن مغارة في سفحه الغربي في القرن السادس للهجرة وتسمى مغارته الآن مغارة العباد واقام هناك مع قومه السنين الطوال وبعض الافرنج يعللون هذه التسمية ببياض الثلج الذي على قمته ويشبه رأس شيخ اشيب · وتسمية العرب لحرمون بجبل الثلج تسمية طبيعية لان علوه يحفظ الثلوج الى آخر فصل الصيف ولا سيما في المنحدرات العالية التي لا تعبث بها الرياح الحارة والشمس على ما يجب وعلو اعلى قمة فيه ٢٦٧٠ متراً عن سطح البحر او نحو ٩٤٠٠ قدم وطوله ثلاثون كيلو متراً او ثلاثة وثمانون ميلاً[1] او سبع ساعات وهو الى الجنوب الغربي من دمشق على بعد ٣٠ ميلاً

ومن الغريب في امر هذا الجبل ان العيون المنبجسة من ثلوجه تكثر جداً من شرقيه اي من جهة وادي العجم واقليم البلان كما تنبجس من جنوبيه او ما يقرب منها مثل عيون نهر البانياسي والاردن وهو من سفوحه الغربية والشمالية ضنين بالماء جداً ولا سيما من جهات راشيا

وبعد ذوبان الثلوج في اواخر الربيع يصعد الى اعلى قممه بعض النظارة للنزهة والصيد وغالب صعودهم الى قمة اسمها قصر شبيب وفيها الى اليوم انقاض بناء ولكن الوصول اليها يحتاج الى سبع ساعات صعداً سواء كان من حاصبيا او من راشيا او من احدى قرى اقليم البلان فيشهدون منه سورية باجمعها ويرون بالمناظير والجاهير دمشق وكيف لا وقمم حرمون اعلى جبال سورية

قدس القدماء حرمون وكان من الجبال التي يفزع اليها العباد كما تشهد لذلك المعابد الكثيرة في جواره بل في سفوحه وقممه وكان الاسرائيليون يحبون بعلوه ويجلونه لانه يجمع على ظهره وفي صدره الغيوم والسحب وقد ورد في نشيد الاناشيد كلام على

(١) المسالك والممالك

الحيوانات الكاسرة التي تسرح فيه وتمرح ولا يزال فيه الى اليوم جنس من الدب من النوع الذي يسميه الافرنج Ursus Syriacus وفيه انواع من الثعالب والذئاب وضروب من الطيور وينبت فيه من النباتات ما ينبت في جبال سورية عامة وتجود فيه الكروم[١] فوق ١٤٤٠ متراً من سطح البحر وبعد هذا العلو يطلع البلوط والملول وعلى علو ١٥٠ متراً من الكروم ينبت نبات الصمغ « السراس » وعلى علو ١١٥٠ الى ١٦٥٠ يكون شجر مثمر ولكنه بري وثمره يؤكل وعلى السفح الغربي من الجبل يجود اللوز في مكان يدعى عقبة اللوزة . واللوز صنفان كما ان الخوخ الضخم صنفان وفي الجبل نوع من الكراز والاجاص وتنبت فيه اصناف اخرى من الثمار البرية وهو قاحل لا خضرة فيه الا من سفحه الجنوبي حيث تنبت بعض النباتات مثل السيكران وغيره وجميع سفوح الجبل صعبة المرتقى غير مخصبة لقلة التربة فيها وفقدان المياه بعد ايام الربيع ولا يبعد ان السفوح القريبة منه كانت في القديم مغروسة بالحراج والغابات الغبياء الى الامكنة التي يساعد هواؤها على الانبات

وفي الاطراف الغربية من جبل الشيخ اي بين جبل الشيخ وجبال البقاع الشرقي اودية وتلول يقال لها وادي التيم نسبة الى تيم الله بن ثعلبة[٢] تفصله عن وادي الليطاني الاعلى سلسلة تلال تمتد شمالاً الى عين الجر في البقاع وعلى تلاله قرى عديدة تبلغ خمسة وعشرين قرية ومنها يتألف قضاء حاصبيا وقضاء راشيا او التيم الاعلى وقاعدته راشيا كلمة سريانية بمعنى الرؤوس والتيم الاسفل وقاعدته حاصبيا كلمة سريانية ومعناها الجرار والى اليوم لا تزال آثار معامل الفخار في حاصبيا . ويحد وادي التيم شرقاً وادي العجم واقليم البلان وشمالاً سهل البقاع وغرباً مرجعيون وجنوباً بلاد الحولة وغرباً جبل الشيخ

وليس فيما ظفرنا به من كتب السلف اشارة تشعر بمجد سابق لمدينتي حاصبيا وراشيا قبل الحروب الصليبية والغالب انهما كانتا حصنين فقط لصد هجمات المهاجمين على المدن الداخلية على نحو ما كانت قلاع تبنين وهونين والشقيف والصبيبة وغيرها وباستيلاء امراء الشهابيين عليهما كثر الكلام بشأنهما في التواريخ الحديثة ففي سنة ٥٥٧ [٣] قام آل شهاب من حوران وكانوا فيها منذ الفتح الاسلامي واصلهم من الحجاز وزحفوا الى وادي التيم بزعامة الامير منقذ وكان نزولهم في بيداء الظهر الاحمر من الكنيسة الجديدة

(١) دليل بيدكر (٢) دواني القطوف (٣) تاريخ الامير حيدر الشهابي

عَلَى ساعة ونصف من ريشيا الوادي وكانت هذه البلاد تحت استيلاء الافرنج فردهم آل شهاب واستنقذوها منهم في قصة يطول شرحها وكان المتولي على وادي التيم قبلهم الامير ظهير الدين كرامة التنوخي صاحب ثغر بيروت فاتت جموع الافرنج من صيدا وصور وعكا الى حاصبيا فردهم الشهابيون عَلَى اعقابهم مدحورين وطردوا حاكمها الكونت اوراو بسطوا احكامهم عَلَى هذا الوادي ثم اتصلوا بلبنان وتولوا امره بعد الامراء من آل معن واستولى الشهابيون عَلَى لبنان نحو قرن ونصف وقد تنصر بعض افراد من اسرتهم ممن حكموا لبنان ولم يزل اعقابهم الى اليوم مسيحيين اما من بقوا في وادي التيم فظلوا مسلمين ومنهم اليوم طبقة متعلمة تتولى الوظائف في الحكومة ولذلك غلط بيدكر في قوله ان بني شهاب هم من امراء الدروز ولو كانوا من امرائهم ما قتلوا في وقائع الشام المشؤومة سنة ١٨٦٠ في راشيا وحاصبيا بيد الثوار من اشقياء حوران ولبنان ايام قتل[1] ٨٠٠ من المسيحيين في راشيا و٩٧٠ من مسيحيي حاصبيا ولو لم ينج بعضهم الى دار السيدة نائفة شقيقة سعيد بك جنبلاط لهلكوا عن آخرهم وان معظم من نراهم ساكنين في حارة اليمانية اليوم في حي الميدان بدمشق هم ممن جلوا عن وادي التيم ولا سيما من حاصبيا وراشيا يوم تلك الوقائع المشؤومة ونزلوها وتناسلوا فيها فحسنت حالهم

اشرنا الى هذه الوقائع والفظائع اذ لا يسوغ للمؤرخ ان يسكت عن حوادث لها علاقة كبرى بعمران هذه الديار خصوصاً وقد حرقت في تلك الفتنة المشؤومة غابات وادي التيم ولا سيما حاصبيا وراشيا كما احرقت اشجار جزين واقاليم الخروب من لبنان وجباع من جبل عامل وكان المنكوبون تحصنوا فيها فاشعلت فيها النيران ليهلك من لم يهلك بحد السيف والسنان

كان وادي التيم من اهم مراكز الدعوة الدرزية ولا يزال الى اليوم كذلك · وفوق حاصبيا على نصف ساعة منها خلوات البياضة وفيها مجمع هذه الطائفة الديني زرتها فرأيت فيها معبداً في الوسط مفروشاً على نحو ما تفرش الجوامع وبالقرب منه مساكن منها وقف البياضة ومنها ملك خاص لاربابها يحب اهلها الانقطاع الى العبادة ومن المنقطعين لهذه الغاية في البياضة اناس من وادي التيم وآخرون من الجبل الاعلى في حلب وجبال صفد وجبال لبنان وجبل حوران كما ان منهم المتزوج ومنهم المجرد وهم عَلَى جانب من النسك والتقشف شأن سائر العباد في معظم الامم عَلَى الغالب

(١) مجموعة المحررات السياسية تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

وموقع البياضة جميل يطل على كثير من قرى وادي التيم وترى منه قلعة الشقيف وغيرها من بلاد مرجعيون وجبل عامل والحولة فاذا اوقدت فيها النار شوهدت الى مكان بعيد . ونحو نصف سكان وادي التيم دروز يحسنون الزراعة وهم على جانب من الاخلاق يتوفرون على اعمالهم ويحسنون عشرة جيرانهم شأن كل من يتعلم من ابناء هذه الطائفة ولا سيما في لبنان . ومن لنا برجالهم ان يهبوا لتعليم اولادهم كما هب اخوانهم المسيحيون من قبل فاستفادوا وافادوا فان في ابنائهم من الصفات الحسنة العربية ما لو توفروا على تنميته وتذكيته بالعلم الصحيح لجاء منهم شعب من ارقى الشعوب العثمانية بشجاعته ومضائه وحسن ادبه وعزة نفسه وسماحته وذكائه وبعض هذه الصفات مما يفاخر به المفاخرون

وليس في حاصبيا ما يستحق الذكر سوى معدن الحمر الذي كان السلطان المخلوع يستثمره لنفسه وظهرت منه فوائد مادية لاهل هذه الديار وهو اليوم مهمل لقلة اليد العاملة في هذه الديار لان الناس هاجروا بالالوف منها فاضطرت الحكومة ان تهمل هذا المعدن كما اهملت معدن سحمر في البقاع ايضاً وغيره من المعادن في سورية لم نفكر في استثمارها وقد اضر اهمال الحمر بارباب الكروم فتصاعدت اثمانه وهو يستعمل كل سنة لتزبيرها وتأبيرها فلحقته الدودة من اجل ذلك وقلت مداخيله

وقد سمعت ان من قرى ريشيا قرية اسمها بيت لهيا على ثلاثة ارباع الساعة من ريشيا وكنت قرأت في بعض الكتب ان بيت لهيا من اعمال دمشق تضاف اليها كورة تنسب اليها فاذا صحت روايتي تكون بيت لهيا وادي التيم غير بيت لهيا في غوطة دمشق التي ذكرها ياقوت ورد على من قال ان آزر ابا ابراهيم الخليل عليه السلام كان ينحت بها الاصنام و يدفعها الى ابراهيم ليبيعها فيأتي بها الى حجر فيكسرها عليه والحجر كان الى عهد ياقوت بدمشق معروفاً يقال له درب الحجر قال والصحيح ان الخليل عليه السلام ولد بارض بابل وبها كان آزر يصنع الاصنام وفي التوراة ان آزر مات بحران وكان قد خرج من العراق فاقام بحران الى ان مات ولم يرد في خبر صحيح انه دخل الشام وللشعراء في بيت لهيا اشعار كثيرة منها قول احمد بن منير الاطرابلسي :

سقاها وروى من النيربين الى الغيضتين وحمورية
الى بيت لهيا الى برزة دلاح مكفكفة الاوعية

والنسبة اليها بتلهي ونسب اليها خلق كثير من اهل الرواية وقال ابو بكر الصنوبري:

أَمر بدير مران فاحيا ... واجعل بيت لهوي بيت لهيا
وبهرد غلتي بردى فسقيا ... لايام عَلَى بردى ورعيا
ولي في باب جيرون ظباء ... اعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
ونعم الدار داريا ففيها ... حلا لي العيش حتى صار أَريا
سقت دنيا دمشق ليصطفيها ... وليس يريد غير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها ... خلال حدائق ينبتن وشيا
مظللة فواكهها بابهى الـ ... ـمناظر في نواضرها واهيا
فمن تفاحة لم تعد خداً ... ومن رمانة لم تخط ثديا

والظاهر من شعر ابن منير والصنوبري ان بيت لهيا هذه والتي ذكرها الشعراء فاكثروا من ذكرها هي بيت لهيا الغوطة و بيت لهيا وادي التيم ومعنى بيت لهيا بيت الآلهة بالسريانية قال ياقوت بيت لهيا بكسر اللام وسكون الهاء وياء والف مقصورة كذا يتلفظ به والصحيح بيت الآلهة

ولم يذكر ياقوت وادي التيم في معجمه بل ذكر «يبوس» وقال انها اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق واياه عنى عبدالله بن سليم بقوله : لمن الديار بتولع فيبوس

قلنا وجبل يبوس هو الغالب فيما وراء الزبداني ومنه الآن قرية كفر يبوس وهو المعروف بوادي الحرير ووادي القرن والى هنا كان يتصل عمل وادي التيم وكان هذا الوادي في القرن الثامن (١) من معاملة كرك نوح بالبقاع وله اقليم مع مايضاف الى الوادي المذكور ثلثمائة وستون قرية تعد من عمل دمشق

وزراعة وادي التيم ضعيفة واكثر قراه جميلة عَلَى اكمة من الارض وربما كانت نفوسه نحو ٢٥ الف نسمة فقط اما طرقه فاصعب واوعر طرق ومياهه قليلة ومتوسطة الجودة بطعمها ونفعها وقد تشح ايام القيظ فيقاسي الاهلون منها شدة وعناء

هذا وفي اليوم الثالث والعشرين من ايام رحلتنا ركبت ورفيقي دابتين من راشيا فبعد ان اجتزنا سهل عيحا او مستنقع قرية عيحا دخلنا في وادي بكة وجزناه في ست ساعات الى التكية احدى محطات السكة الحديدية بين بيروت ودمشق وبالقرب من هذه المحطة شلال بردى يولدون منه الكهربائية لمدينة الفيحاء ومنها ركبنا القطار عائدين الى دمشق

(١) زبدة كشف الممالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري

ما ذا رأينا في رحلتنا

تحملنا في رحلتنا هذه من المشاق المختلفة ما لا نكاد نكابد بعضه لو طفنا قارتي اوربا واميركا وذلك رجاء ان نعود منها بفائدة نطلع عليها الامة والحكومة وها قد كتب لنا ذلك بقدر ما سمح الوقت فرأينا ان لا نقصر بحثنا على احوال البلاد الجغرافية والتاريخية والزراعية بل ان نتعداه الى البحث اجمالاً في شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والادارية

اول ما يقع عليه النظر و يسر بتحققه الفؤاد انتشار اعلام الامن في الكور التي جسنا خلالها بعد ان كان السائح يخاطر بروحه، وماله لو احب فيما مضى ان يطوف تلك البلاد . والامن ولا شك حسنة من حسنات هذه الحكومة الدستورية التي نرجو بالعدل دوامها و بالمدنية الراقية احكامها ونظامها

بيد ان في هذه الكور قصوراً يلحق الاهلين وقصوراً يعود على الحكومة واهم مانطالب به الحكومة بعد الامن احقاق الحق في البلدان الصغرى ليذوق الناس طعم الحكومة الحرة حقيقة لانا لو نظرنا الى حال الاقضية نراها وحواضر الولايات والالوية سواء من هذا الوجه لا تنقطع شكوى الاهلين فيها . والشكوى طبيعية في الامم ومنها الحق ومنها دون ذلك

لا جدال في ان العهد الدستوري قد ادخل في الادارة شيئاً من روح النظام شعر به في الجندية والشرطة والمالية من فروع الحكومة ولكن سائر الفروع لم تبرح محرومة منه مثال ذلك القضاء والافتاء في الاقضية فقد طفت سبعة منها اربعة من اعمال ولاية سورية وثلاثة من اعمال ولاية بيروت واني لاستحي ان اقول ان ارباب هذه الوظائف الا النادر ممن عصمهم الله حرموا من العلم والمعرفة والنزاهة والعاطفة الوطنية فلا دين لهم الا اخذ الاموال من غير حلها ولا شريعة الا التلاعب بالاحكام الدينية والمدنية ولا هدي الا ما توحيه اليهم عقولهم القاصرة واني لآسف لمن يجلسون على بساط الشريعة المطهرة ورائدهم الجهل وقلة الامانة والصيانة ان يكونوا على نحو ما ذكرت . اذا عرفت هذا فقل معي غير هياب ولا وجل ان المشيخة الاسلامية لم تخرج في توسيد هذه الوظائف الشريفة عن الحد الذي كانت رسمته حكومة الاستبداد المطلقة اي انها في العهد الدستوري لم تأت بما تحمد عليه خدمة للشريعة والقانون

القاضي او النائب في الاقضية هو الكل في الكل وربما كانت وظيفته اهم من القائممقام لان حكم هذا لا يجوز الا في الامور الادارية والسياسية اما الاول فاحكامه تتناول

الاحكام المختلفة . فان كان ممن قلت تربيته ورق دينه والسواد الاعظم كذلك اتت احكامه متناقضة مرذولة فاسدة حشوها الدرهم والدينار وسداها ولحمتها تلوث الذمة وتلون القلب والا وهو النادر كان داعية من دعاة الاصلاح ومثالاً من الكفاءة تشفعها الاخلاق الطاهرة

والسبب في هذا الهزال المضني الذي اصاب حكام الشريعة في هذه المملكة انه اتت ادوار كان ينظر الى المناظر الخارجية في تولية القضاة لا الى كفاآتهم الشخصية فلم يتأهل اكثرهم لها بالعمل ولم يخضعوا لنظام كما خضع سلك القائمقامين مثلاً ولذا ترى في نفوس اكثر هؤلاء عفة وغيرة ومعرفة ما لا ترى بعضه فيما انطوت عليه جوانح اولئك الذين انبتوا نباتاً طبيعياً ونالوا حق التصدر بالرشى والمحاباة وارتكاب ما تنكره الفضيلة وتأباه اصول الحكومات الراقية

كان احد كبار المصلحين في مصر يقول ان الاصلاح الديني في الشرق اول كل اصلاح . وما الاصلاح الديني في الحقيقة الا اصلاح عقول القائمين بالدين كالقضاة والمفاتي والحكام ولذلك كان من اهم الاعمال التي تمت في مصر عَلَى عهد نهضتها الاخيرة انشاء مدرسة القضاء الشرعي حتى لا يقل القضاة الشرعيون في علمهم ومداركهم عن القضاة النظاميين و يتعب الاولون في اعداد نفوسهم وملكاتهم كما تعب الآخرون و يخلص الاسلام من الوصمات التي يصمه بها الجاهلون به ليوقنوا ان الضعف اتى من المسلمين لا من الاسلام .

اما سائر موظفي الادارة في الاقضية فيرجعون عَلَى الجملة الى شيء من النظام وان كان يندر فيهم العفيف النزيه بحيث لا تكاد تعد صالحاً واحداً منهم في كل عشرة طالحين و يكثر استهتار احدهم و يقل بحسب ذكائه وشجاعته فان كان عَلَى شيء منها وله من يحميه في حاضرة الولاية او عاصمة السلطنة من كبار الموظفين اغرق فيما اخذ نفسه به اي اغراق لان حاميه يدفع عنه اذى اعاديه والا لاذ بالتقية واعتصم بالمراوغة والمصانعة والدهان لمن فوقه في المرتبة

هذا اجمال من حال حكومات الاقضية واصلاحها منوط في الاكثر بتعيين متصرفين وولاة ممن خبروا امور الادارة بانفسهم سنين طويلة وكانوا عَلَى جانب من العلم وحسن السياسة يحسنون لغة البلاد و يعرفون طبائعها حتى لا يكونوا آلة بايدي فئة مخصوصة من الناس لا يكتبون الا ما يملون عليهم ولا يعارضون الا فيما لهم فيه مأرب خاص ،

ومتى ادرَّت الحكومة عَلَى الموظف الصغير راتباً يكون على حد الكفاية وسألته عن عمله وراقبته في حركاته وسكناته فقل ان نظامنا الاداري دخله الاصلاح الحقيقي والافنبقى نرسف في قيود الذل ونخبط على غير هدى ·

كل من يتجول في داخلية البلاد يرى عياناً رداءة الطرق وقلة اعمال العمران ولولا قليل من الهندسة دخلت في بناء الدور والمساكن والقرميد اللطيف الذي يزين سطوحها لا قسم من يرى تأخر هذه البلاد وما حنث بانها لم ترتق درجة واحدة في هذا القرن عن القرون الخوالي وانها كانت قبل الف والفي سنة اوسع عمراناً واكثر سكاناً مما هي اليوم ·

الى الآن لا تجد طريقاً معبدة حتى بين البلدان المهمة فاذا كان الطريق الآخذ من بيروت فصيدا فصور فصيدا فالنبطية فمرجعيون لم يزل مشعثاً متداعياً بعد ان صرف عَلَى رصفه بضع عشرات من الوف الليرات فما هو الحال بطريق مرجعيون حاصبيا راشيا قطنا دمشق وطريق دمشق القنيطرة او قطنا القنيطرة بانياس وهي لم يصرف عليها شيء وبقيت لا تصلح لمرور المواشي دع عنك الانسان

وبعد فان كنا لم نرصف طرقنا الى اليوم فأي اعمال اخرى ترجى ان نقوم بها مثل جر المياه من المحال البعيدة لسقيا الارضين وشفاه الاهلين اوخزنها في خزانات اوتجفيف البحيرات والمستنقعات مثل بطيحة سهل عيحا قرب ريشيا الوادي البالغة مساحتها نحو اربعة آلاف دونم وبطيحة دير العشائر في وادي التيم ايضاً وبطيحة الحولة ومستنقعات الجولان مما يؤذي صحة السكان ويؤخر عمران الارضين والبلدان ·

ثم اين يد الحكومة في انهاض الزراعة من كبوتها باعطائها الاهلين السكك والادوات الزراعية والبذور والغراس التي تصلح وتجود في هذه الديار الطيبة بل اين يد الحكومه تعمل عَلَى الاقل على ما فيه حفظ الحالة الحاضرة حتى لا تزيد البلاد خراباً فوق خرابها وان العين لتنبو عن النظر الى جبالنا وآكامنا الجرداء بعد ان علمنا انها كانت شجراء خضراء الى ما قبل عشرات من السنين واذا دمنا نوسعها القلع والقطع والحرق والشق فاقرأ عَلَى حراجنا السلام الاخير بعد بضعة اعوام ·

بلاد تكفي لاعالة الملايين من البشر وتضيق عن عيش الالوف فمتى نعقل فنعمرها حتى نقوم حاجزاً حصيناً في وجوه من يهاجرون من السوريين الى سائر قارات الارض ولا سيما الى اميركا الشمالية والجنوبية

كنا نظن ان الهجرة لم تتناول سوى لبنان وما اتصل به من الجبال لان الجبليين اقوى من غيرهم على تحمل المشاق وفطم النفس عن الراحة والرفاهية ولان بلادهم قاحلة لا تخرج لهم على الجملة اكثر مما تخرج ولكن الامر على عكس هذا لان سكان السهول ايضاً ممن يسهل عليهم الارتزاق من اراضيهم قد غادرونا الى ارض المهجر في طلب الرزق

كانت الهجرة مقصورة عَلَى المسيحيين اولا فتعدت الى المسلمين سنييهم وشيعيهم والى الاسرائيليين والدروز والنصيرية والاسماعيلية وكانت لا تتخطى لبنان الغربي ولبنان الشرقي فها قد امتدت اليوم حتى اخذت تستلب من سورية حتى سكان المدن المرفهين منها مثل اهل دمشق وحلب وبيروت وطرابلس وصيدا والقدس وتساوى ابناء هذا الوطن الواحد في منادرة مساقط رؤوسهم الى اصقاع اغتنى فيها افراد ولم يزل عشرات الالوف في فقر وفاقة

يهاجرون كل يوم بالعشرات حتى كادت بعض الاقاليم تخلو من شبانها كلهم فما هذا البوق الذي نفخ في سورية من غربيها الى شرقيها ومن شماليها الى جنوبيها حتى اسمع الصم فكاد عدد المهاجرين من ابنائنا يربو عَلَى ثلث مليون من الشبان العاملين وظل البنات عوانس في بيوت آبائهن والنساء معطلات عن التناسل حتى نشأت من ذلك مفاسد في الاخلاق لا توازيها الارباح مهما كثرت والامجاد مهما استطالت وربت

قلت اليد العاملة بقلة الشبان في هذه الاقاليم حتى بقيت بعض الاراضي بائرة معطلة لقلة من يقوم عَلَى تعهدها وتعذر عَلَى ارباب الاملاك ان يجدوا عملة لاعمال الزراعة ولو اغلوا لهم الاجور. وان اجرة البناء في وادي التيم لتبلغ الريالين ولا تجد بناء لا يعمل واجرة العامل البسيط ثلاثة ارباع الريال وقلما تحصل عَلَى القدر الذي تريده من امثاله واجرة فاعل الحراث مع الفدان ريال ونصف وقد لا تجده ولم يكتف الناس هنا ببوار ارضهم بل ان بعضهم في الحولة قلعوا بالالوف غراس التوت الجيد لانهم لا يظفرون ايام مواسم الحرير بالقدر اللازم من اليد العاملة التي تقوم عليه وآثروا ان يزرعوا اراضيهم ما امكن من القمح والشعير عَلَى غلات الحرير

كل هذا يجري في البلاد والحكومة لا تفكر في طريقة ناجعة تدفع عنها عوادي الهجرة التي كادت تسلب منها الروح. وان هذا القطر الشامي الذي لا يزيد نفوسه عَلَى ثلاثة ملايين ونصف ليعز عليه ان يفارقه نحو عشر سكانه الاقوياء ولا يأتيه من المهاجرين الا الخاملون الذين قد تعطيهم الحكومة ارضاً فيبيعونها وسكة ومحراثاً فيتخلون

عنهما بثمن بخس وبذاراً فيأ كلونه ثم تراهم يتسولون وبنيهم في شوارع البلاد مؤثرين الراحة مع الذل الشديد علي العناء مع العز الاكيد

ولقد لاحظنا في . ياحثنا ان كل قرية او بلدة ليس فيهـا ولو بضعة من المسيحيين تكون الى الخمول والخراب اكثر من القرى التي يكثر فيها اناس من غير المسلمين وذلك لان جمهور المسلمين اتكلوا في الماضي على الحكومة لتعلمهم وتربيهم فما استفادوا وهيهات ان يفلح قوم يعقدون رجاءهم بمن يكيفون المعارف بحسب اهوائهم ولكن المسيحيين نشطوا من عقالهم بعد حادثة الستين فتعلم ارثوذكسيهم في المدارس الروسية واليونانية وبابويهم في مدارس الفرنسيس والطليان وبرتستانتيهم في مدارس الانكليز والاميركان والالمان وهكذا حتى جاء منهم جيل راق في الجملة ارتفع عن مستوى الجيل الآخر مسلماً كان او درزياً اونصيرياً اواسماعيلياً

ومن الاسف ان القرية التي يبلغ سكانها المسلمون الفاًلا تجدلابنائهم مدرسة والقرية التي لا يتجـاوز سكانهـا المئة مسيحي تشهد لهم مدرسة ومدرستين كما لا تشهد للاولين جامعاً ولا مصلى وللآخرين الكنيسة والكنيستين ثم تجد التجارة بايدي المسيحيين يزيد غناهم كل يوم بتعاضدهم ومضائهم ويزيداخوانهم المسلمون كل يوم فقراً بتفاشلهم وتكاسلهم

نقول هذا ونحن عَلَى مثل اليقين بان هذا القطر كسائر اقطـار العالم لا ينهض الا بنهوض السواد الاعظم من اهله وهم هنـا من المسلمين وان من اكبر دواعي الاسف ان يرحل عن هذا القطر اكثر ابنائه تعلماً ومضاء وهم المسيحيون ولو رجعوا ورجع سائر مواطنيهم عَلَى اختلاف مذاهبهم الى هذه الديار لعمروها واحيوها واضطروا الحكومة بعملهم ومطـالبتهم المشروعة ان تعمر لهم الطرق وتعطيهم الامتيـازات بالمشروعات العمرانية التي تعود عليهم وعلى البلاد بالخير والنماء ويكفي بانها تخلصها من وطأة الاجنبي والدخيل فان من الكثرة قوة وكثرة العيال احدى اليسارين

اخبار وافكار

مطبعة بدون حبر

بالاتفاق وقع اختراع هذا الاختراع كما وقع اختراع كثير غيره فقد اراد مهندس انكليزي منذ احدى عشرة سنة ان يأخذ قطعة من النقود فتدحرجت على المنضدة فضغط عليها بدون اختيار عَلَى ورق ندي كان موضوعاً عَلَى صحفة من المعدن جعلت عَلَى موصل كهربائي غير منفرد فدهش لما رأى صورة القطعة قد طبعت طبعاً صريحاً عَلَى الورق بلون اسمر وكان الرجل ممن يحسنون معرفة الكهربائية فاخذ يبحث علمياً عن سبب هذا الطبع بالعرض فصرف عشر سنين في تطبيق هذا الاختراع عَلَى طبع الحروف وقد ذكرت احدى المجلات العلمية المهمة انه قد نجح مؤخراً في اختراعه فاستعاض عن الورق الندي بورق جاف مبلل بمواد كيماوية تختلط مع الورق عند ما يعمل وهذا الاختراع نافع جداً في طبع الكتب المهمة

عميان الاميركان

في نيويورك سبع مدارس للعميان الفتيان يقرأ فيها الفتيات والصبيان مع المبصرين عَلَى معلمات يلقين عليهم دروساً واحدة معينة فيسأل الاعمى والبصير عَلَى السواء ولا فرق في تعليمهم الا في الكتب والكتابة لان العمي يقرأون في كتب كتبت بحروف بارزة عَلَى اصول برايل وقد وقع تعديلها منذ اواخر سنة ١٩٠٩ فقربت فائدتها واصبحت ثمراتها مضمونة قريبة فيتعلم الولد الاعمى كما يتعلم البصير ويشترك في الالعاب الرياضية والاعمال الصناعية ويحصل على معلومات ارقى مما كان يتعلم سابقاً من مثل صنع السلال والاكياس والمكانس والجوارب كما هو الحال في مدرسة العميان في مصر بل قد اخذوا يعلمونهم ما يكونون به مستخدمي تليفون وكاتبين عَلَى آلة الاختزال يتوصلون الى الكتابة بآلة عادية والى الاختزال بقلم رصاص بسيط ويعلمونهم الموسيقى والبيانو والكمنجة وغيرها من آلات الطرب فيصبحون قواماً بهذا الباب ويتمرن الفتيات منهم على الخياطة وتفصيل الفساطين والاردية وعمل الازياء والطبخ . والعميان موضع عناية خاصة من الجميع فيأخذون بايديهم ويقودونهم الى بيوتهم ومتى اتموا دروسهم يتكفل القوم لهم بايجاد اعمال في التجارة والصناعة ويرسلون باذكاهم عقلاً الى الكليات يأخذون ... لهم

بحيث يتخرجون ليكون منهم موظفون . فاللهم هيء للمبصرين منا اسباباً كهذه حتى اذا كشفت عن ابصارهم و بصائرهم يفكرون هم في تعليم العمي

اعانة البائسين

كان في فرنسا في آخر سنة ١٩٠٨ ٥١٢٠٠٠ انسان محتاج للاعانة منهم ٣٥٤٠٠٠ شيخ تجاوزوا السبعين و١٠٠٠٠٠ عليل و٥٨٠٠٠ مريض مرضاً عضالاً ومعظم هؤلاء البائسين تبعث اليهم نظارة الاعمال والاحسان الاجتماعي مرتباتهم الى بيوتهم وتختلف من ٥ الى ٣٠ فرنكاً في الشهر و٣٩ الفاً منهم تؤويهم في اماكن اقامتها لهم كالمستشفيات وغيرها يصرف عليهم في السنة اربعة ملايين ليرة تدفع الحكومة نصفها والنصف الآخر جمعية الاحسان وفي فرنسا الآن ١٦١١٨ مكتباً لجمع الاحسان غير جمعيات الحكومة تغيث زهاء مليون من السكان

سويسرا والغرباء

تحاول جمعية الاتحاد الوطني في سويسرا ان تحل مسألة الغرباء في بلادها لانهم داهموها ولا سيما في البلاد الواقعة عَلَى التخوم بحيث كادت تصبح منهم في امر مريج فقد بلغ عدد الغرباء في تلك الجمهورية الجميلة ٥٦٥٠٢٥ شخصاً وسكان البلاد ٣٠٧٥٠٠٠٠ اي ان في سويسرا ١٥١ غريباً من كل الف وطني سويسري وفي بعض الاماكن يكون عدد الاجانب ٤٠ في المئة والغرباء في اوغانو اكثر من السكان الاصليين وقد قررت الجمعية ان تعتبر سويسرياً كل من يخلق في ارض سويسرا من الاولاد بعد الآن . ومعلوم ان لغات سويسرا هي الالمانية والافرنسية والايطالية يتكلم بالاولى ٦٩ شخصاً في المئة وبالثانية ٢١ في المئة وفي الثالثة ثلاثمائة الف شخص فقط وفيها ٥٦ الف في المئة يدينون بالمذهب البرتستانتي و٤٢ في المئة كاثوليك

الالكحول في اميركا

في اميركا كما في اوربا جمعيات كثيرة لمقاومة المسكرات وقد وفقت احدى جمعياتها الى ارجاع ثلثمائة الف رجل فقط عن عادة تناول المسكرات القبيحة ومن الغريب ان ثلاثين الفاً منهم اسسوا لانفسهم جمعية وقاموا ينادون بالاقلاع عن الالكحول وجمعيتهم هي الجمعية الوحيدة التي كان اعضاؤها كلهم من السكيرين قبل سنين

عمران الولايات المتحدة

وافق مجلس النواب الاميركي عَلَى ميزانية سنة ١٩١٢ فكانت ٥٠٢٠٤٤ ٢٧٧٠١ ،٠

فرنكاً او نحو ٢٥٠ مليون ليرة عثمانية اي نحو تسعة اضعاف الميزانية العثمانية ومن هذا المبلغ ٣٠٥ ملايين لاستهلاك الدين العام و٧١٠ ملايين للاعمال العامة منها ٢٤٥ مليونًا لفتح برزخ باناما و٦٣٢ مليونًا وكسر للبحرية وزهاء ٤٦٦ مليونًا للبرية . ومنذ مئة سنة لم تكن ميزانية هذه الجمهورية سوى ٤٢ مليون فرنك او اقل من مليوني ليرة عثمانية منها ١٦ مليوناً للجيش و٨٥٠٠٠٠٠٠ للبحرية و١٦ مليونًا للديون ولكن سكان الولايات المتحدة لم يكونوا على ذلك العهد سوى سبعة ملايين نسمة فزادوا اليوم ١٣ ضعفًا في مئة سنة وزادت نفقات الحكومة ثمانين ضعفًا عما كانت.

حكاية العناصر

كتب جان فينو رئيس تحرير المجلة الباريزية مبحثًا في هذا المعنى جاء فيه ان اختلاط الالسن والشعوب في برج بابل ليس الا العوبة عادية للاولاد بجانب تأليف الامم الحديثة فانك ترى في البودقة الواسعة التي تخلق فيها الاوطان والشعوب الفروق الفسيولوجية تنحل بسرعة مدهشة كما تنحل العقول الآتية من اطراف الكرة كلها الان سهولة المواصلات ونشر التجارة بين الامم وانتشار الافكار واشتراك الكافة بها كل هذا آخذ بتقريب الاميال والحواس المدبرة للانسانية وكل يوم يكثر اجتماع الناس ويتناول المجموع كمية اكثر من البلاد والعبد

والغالب ان قد انقضى دور القائلين بعلو عنصر على آخر وانحطاط عنصر عن اخيه فان يابان قد سارت غيرها من امم الغرب بعد ان عقدت المعاهدات مع شعبين هما في مقدمة شعوب الحضارة الانكليز والفرنسيس واصبحت الصين دستورية في حكومتها وستعود الى سكانها اخلاقهم الحربية فيضطر الناس الى احترام الوانهم ومعتقداتهم والزنوج سائرون على سنة النشوء بسرعة تلقي الاضطراب في نفوس اشياع المتوهمين بالعناصر والالوان وقد ارتقى الزنوج في الولايات المتحدة منذ ستين سنة ارتقاء انسى ان اصلهم افريقي ولكن لا يمحو سيئات جنون البشر قرونًا قرن في التعقل ولا بد ان تظل الحروب الآن بين ابناء آدم تصبغ اديم الارض بالدماء بضعة اجيال اخرى ويبقى للبلاد العظيمة من حيث حضارتها الحق ان تكون قوية لئلا تفقد في حروب الغد تراثها من الحكمة والجمال

وانا اذا اطلقنا اليوم كلمة عنصر فذلك لانها اصبحت مشابهة لكلمة بلاد او سكان البلاد فليس يعني قولنا عنصر الفرنسيس انهم كلهم من اصل غالي كما ... بل

قد امتزج بهم نحو ستين عنصراً وشعباً اقامت في فرنسا او اجتازت بها اجتيازاً فمنهم الاكيتون والباجيكيون والغاليون والليكوريون والسميريون والنوتونيون والسويڤيون والالمانيون والسكسونيون والڤانداليون والسمرتيون والسبكيون والڤسكونيون والفينيقيون الذين اكثروا من المستعمرات ومن جملة مستعمراتهم مدينة نيم وهي اجل مدنهم ثم العرب والسلافيون والڤينداليون والتيفاليون والروثيون والاغاتيرسيون والبورغونديون والبلاسجيون والصلبيون والتيرنيون والاتروسكيون واليهود المراكشيون والاندلسيون الذين زحزحهم ديوان التفتيش عن ارضهم وديارهم ثم ان من الفرنسيس الويغريون والمغول والهونسيون والاوز والخزر والابر والكومانيون وغير ذلك من العناصر والشعوب مثل البولونيين والهلفتيين(السويسريين)والايبريين (الاسبانيين) وغير ذلك وربما بعض الزنوج

فوحدة الدم ليس بينها وبين ما تمتاز به امة من الصفات الاخلاقية والعقلية بل ان امتزاج دم الشعوب بعضها ببعض تزيد في قيمة الشعوب والعناصر وما يدعيه بعضهم من ان العنصر الالماني كان اليوم ارقى من العنصر الفرنساوي لانه حفظ في دمه شيئاً كثيراً من اصله هو غلط ووهم لان العنصر الآري والمدنية الآرية والجنس الآري لم توجد بل هي اختراع يكفي في تزييفه بان قال بعضهم ان الآريين اتوا من الشرق وقال آخرون من آسيا وغيرهم من الهند وآخرون من بكتريانيا وغيرهم من البلاد الواقعة بين بلاد اورال وبحر الشمال وادعى بعضهم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي سبيريا وغيرهم انهم من اواسط المانيا وغربيها وآخرون انهم من الشمال واكد غيرهم ان الآريين هم اوربيون حقاً هذه اقوال علماء الانسان اما علماء اللغة فمنهم من يزعم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي اوربا ومنهم من يقول بل من اواسط آسيا وغيرهم انهم من الفولغا وآخرون من بحر البلطيق . وهكذا اختلف اولئك المشتغلون في الوان الآريين وجماجمهم وقاماتهم ومدنيتهم وكيف مدنوا غيرهم وما كان عملهم واظنهم لا يزالون مختلفين في الآريين قروناً بعد لان الاوهام كالاكاذيب قد تطول حياتها ولا تأتي عليها الشدائد لتنسفها

وما قيل في العنصر الفرنسوي يقال في العنصر اللاتيني عَلَى الجملة فان الفرنسيس والطليان والاسبان والبرتغاليين والرومانيين والارجنتينيين والبرازيليين وغيرهم من الشعوب الاخرى في اميركا الوسطى كل هذه الشعوب ليست من اصل واحد بل تختلف اصولها باختلاف سحناتها وما السحنات هي التي تربي الارواح بل الارواح هي التي

تربي سحناتنا وماهيئة الرؤوس التي هي تجمع بين الشعوب وتوجد بينها رابطة القرابة بل حالتهم المتشابهة في الاستمتاع بالحياة او العذاب بها

ولقد كان يظن بعضهم انه يقتضي مرور عشرة اجيال حتى يختلط شعب بآخر وتذهب من بينهما الفروق ولكن مثال الولايات المتحدة امامنا لا يحتاج الى عرض فكلما كانت الامة قوية رحب صدرها وسهل عليها ان تدس فيها الصفات الاجنبية ومنذ بضعة قرون لا تجد عنصراً خالصاً من الامتزاج بغيره ولا شعوباً تألفت من وحدات متشابهة معلومة . وما الالمان في الحقيقة ونفس الامر سوى البولونيين والاوبورترتيين والفانديين وغيرهم من القبائل والشعوب السلافية وهم الذين ساعدوا على تأليف ذاك العنصر بل قد قال نيتسش الفيلسوف الالماني وكان من اصل بولوني ان الجرمانيين الحقيقيين قد نزحوا الى الخارج وان المانيا الحالية هي مرحلة تقدمها العالم السلافي

ومثل ذلك يقال في الطليان فليسوا ابناء الرومان في الحقيقة بل فيهم اجناس كثيرة امتزجت دماؤها بدمائهم فقد دخل فيهم السيسكانيون والليبورنيون وهم من الشعوب الافريقية والبلاسجيون ومن تفرع منهم والاتروكسيون والسلافيون والسلتيون واللونكبارديون والبيزانطيون والفاليون والمصريون واليونان والاسبان والصقالبة واليهود والنورمانديون والعرب والبروتون والجرمان وغيرهم من العناصر والشعوب كالعنصر السامي وغيره فأين الدم الايطالي الصرف .

وان انكلترا على اعتزالها في جزائرها لم تنج من اختلاط غيرها بها ففيها دم زنجي ودم افريقي وفيها السرماني الجرماني والايبري دع عنك الفرنسيس والالمان وغيرهم ممن امتزجوا بالدم الانكليزي حديثاً . والاسرائيليون الذين يفاخرون بطهارة دمهم لا يستطيعون الا ان يغضوا ابصارهم حياء امام الحقيقة التاريخية فقد كانوا قليلاً عددهم عند ما وصلوا الى فلسطين فامتزجوا بالعرب والفيلستينيين والهيتيين وغيرهم من القبائل واعطوا دمهم الى كثير من الامم وتناولوا منها دمها حتى ان شعباً تركياً برمته اسمه الشازار قد دان باليهودية وانتشرت شريعة موسى في العالم وادخلت في مجموعها من كل العناصر

فالشعوب كالافراد ليست كبيرة باصولها التاريخية ولا معنى لاسمها وعددها مادام الشك يتطرق اليهما والذي يهم في الامم كنزها العقلي والاخلاقي وفضائلها الغيرية التي طبعت عليها ارواحهم ونور عقولهم الذي يطوف الاقطار والامصار . وما من شعب

يسمو عَلَى آخر وينحط عنه من حيث تركيبه بل ان هناك شعوباً تقل مدنيتها اوتكثر وتحسن المأتي اولا تحسنه في جهاد الحياة والواجب عَلَى امة تريد ان تمزج غيرها بها ان توجه عنايتها الى افكار الشعوب وتستميل ارواحهم . وما سعي روسيا في جعل جميع رعاياها روساً وسعي جرمانيا في جعل اهلها كذلك وسعي العثمانية في تتريك عناصرها وكل ما تعمد اليه هذه الدول من وسائل القضاء عَلَى القوميات الا سقيمة باطلة فقد اضمحلت بوهيميا تحت السلطة النمساوية قروناً كثيرة وأخرج شعبها من عداد الاحياء ودثرت لغتها وآدابها ولكن الشعلة الضئيلة الوطنية بقيت حية تحت جبال من الرماد ولما سكنت العاصفة عاد التشك واظهروا ذات يوم انفسهم وعنصرهم ومقاومتهم للالمانية اكثر من ذي قبل . وجزيرة كريت الصغيرة الباسلة التعسة ستنضم عما قريب الى يونان عَلَى الرغم من عناد الحكومة العثمانية(؟) وعمى رجال السياسة وكذلك الحال في بولونيا وفنلندا . وان الاستيلاء عَلَى الشعوب استيلاء وحشياً قد مضى وانقضى فالواجب استمالة القلوب واستتباع الارواح وان الامل الذي يدفن في اعماق القلوب اقوى من طرقات المطارق على اجسامنا فالامم تحيا ما دامت لا تريد الموت

الصحافة الانكليزية

زاد في الخمسين سنة الاخيرة نفوذ الصحافة اليومية وقوتها في المجتمعات الحديثة بحيث اصبحت احدى الادوات الهائلة التي ما قط استعملت لخدمة المطامع والحاجات البشرية . فقد اصبحت السياسة والاعمال ونشر الافكار العالية والدفاع عنها وخدمة المصالح المالية والاحتيال لها العضد العام والعامل الاكيد . فهي للمؤرخ الاجتماعي بانتشارها العجيب ودخولها يكثر في جميع اعمال الحياة الاجتماعية ذات فائدة قوية ومن تأمل آثار الصحافة في بلد واسلوبها ومراميها يتأتى له ان يحكم حكماً معقولاً صحيحاً جداً علي مميزات تلك الامة الاقتصادية والاخلاقية وعَلَى درجة عقولها وضعفها وقوتها وايغالها واسترسالها وعلوها ونزولها في سلم الاجتماع . وعَلَى كل جريدة ان ترضي الاميال لتحيا وتعيش وتخاطب عقل قرائها وما مجموع صحافة كل امة الا اثر من آثار ترقيها

وما من مبحث أفيد واعلق بالاذهان في هذا الشأن اكثر من الارتقاء الذي حدث في الصحافة الانكليزية فانها مثلت الاطماع والعظمة وكل ما فكرت فيه انكلترا واهتزت . وصحافتها اسمى من صحافة منافسيها بما فيها من الحياة واتساع العمل وكمال الاسلوب وجلاء المبادئ التي تديرها والبحث فيها درس لا نظير له للمؤرخ والصحافي . ويرجع

ارتقاء الصحافة الانكليزية الى اسباب عديدة منها ما هو آت من عنصر الانكليز وعقله ومنها يرجع الى ضرورات مادية حاضرة فالصحافة الانكليزية لا تضاهيها صحافة مثلها بعداتها وتنظيمها المادي المنقطع القرين وما مثلها صحافة تشخص على مايجب روح بلادها وتؤثر مثل تأثيرها في الفكر العام والمصالح العامة ولم تبرح منذ قرن تدير دفة السياسة البريطانية وتوحي اليها الخطط الواجب اتباعها وان انكلترا لمدينة بقيام ملكها ومجدها لرجال صحافتها لما تنبأوا به عن جرأة لمستقبل بلادهم ولما فطروا عليه من الوطنية العاقلة عَلَى نحو ماهي مدينة بجندها ورجال سياستها

ولقد كانت منافسة صحافتها عَلَى شدتها تظل دائماً الى الادب شكلاً ومعنى وما قط عمدت الى الابتذال لانها لاتراه قوة كذلك ولا ترى الشتائم حجة ففي كل حوار كانت تعرض الشيء ونقيضه بعدل يدهش كل من لا يعرف اخلاق الانكليز السياسية . وقد اجتهدت الصحافة الانكليزية زهاء قرن الى عهد ظهور الصحف التجارية بان وضعت نصب عينيها في كل حال المصلحة العامة قبل المصالح كلها . ومهما كان من حالة الاحزاب التي تنسب اليها جرائدهم فمديروها لا يبيعون جرائدهم من الحكومة فليس لحكومة انكلترا نفقات سرية تصرفها للجرائد ولا في نظاراتها موظفون يعهد اليهم ان يعطوا الصحف ايضاحات لجرائدهم لا تنطق بلسان الحكومة ولا هي غير رسمية ولا نصف رسمية .

والفضل في ارتقاء صحافة انكلترا رخص اسعارها وقبل صدور جريدة «الدبلي ميل» منذ ١٤ سنة لم يكن في انكلترا جريدة يزيد ما يطبع منها عَلَى ٢٥٠ الف نسخة ولا تباع النسخة باقل من عشرة سنتيمات . وجريدتا «الديلي تلغراف» «والبال مال غازت» وهما للطبقة العالية والوسطى لم يقرب المطبوع منهما من هذا القدر وعَلَى ما بذلتاه من العناية ظلتا واقفتين . وجريدتا التيمس والستندارد اللتان تتمتعان بمركز ادبي راق كان يتأتى لها زيادة المطبوع منهما لوصحت عزيمتهما عليه ولكنهما لم يريا حاجة ولا رغبة في ذلك فكانتا تتحكمان في اعلاناتهما بقدر ما تستطيعان ولم تجدا حاجة للاستكثار من القراء ان تسيرا مع الاذواق الجديدة او تمسا مبدئيهما وخطتيهما واذ كانت هاتان الجريدتان تصف حروفهما بالايدي وتطبعان عَلَى عدة ورقات «من ١٢ الى ٣٢ ورقة عَلَى ورق جيد قد يقع ثمنه قبل طبعه اغلى من القيمة التي يباع بها من الجمهور» لم يكن امامها لكثرة المطبوع منهما الا الاعلانات تتحكمان فيها تحكماً يسد به العجز

في ميزانيتهما

ولما ظهرت الصحف التي تباع بخمسة سنتيمات عَلَى ورق رخيص مطبوعة ومصفوفة بآلات كاملة اتجهت الصحافة وجهة ثانية وتعدلـــ بها الرأي العام والسياسة البريطانية وتأثرت الصحف القديمة من منافسة الصحف الحديثة كل التأثر وكانت تميل الى رأي المحافظين ويقرؤها اهل الطبقه العالية او الوسطى بخلاف الجديدة التي كانت ذات آراء متقدمة وقراء كثيرين من العامة وخلفت جريدة الديلي ميل جريدة الايكو فظهرت الصحف الحديثة في مظهر أحسن من مظهر القديمة حسنة التحرير وافرة الاخبار كالصحف القديمة فلم تلبث ان احرزت ثقة السواد الاعظم وايثارها لها واقتطعت الوفاً من قراء منافسيها حتى عجزت كثيرات من هذه عن المقـاومة فانقطعت عن الصدور واضطرت اخرى مثل الدبلي نيوز والديلي كرونيكل ان تتخذ الاسـاليب الجديدة وتعدل خطتها وتنزل اثمانها فجددت بذلك شبابها واظهرت الجرائد العظيمة كالتيمس والستاندارد والمورننبوست والغلوب شيئاً من العناد واخذن يعشن بشهرتهن القديمة وثروتهن التـالدة وذلك بفضل اخلاص قرائهن الدائم لهن ولكن التيمس والستاندارد وهما مثال التدقيق المفرط والتقاليد المجسمة عادتا فجذبتهما الضرورات التجارية ومالتا الى تكثير المطبوع من اعدادهما والميل بصحيفتيهما نحو الديمقراطية في ظهرها وبالصحافة الرخيصة تسربت الى الجمهور افكار جديدة نبهته الى الحياة السياسية وقوت عزيمته فصحت ارادته على الانتفاع بها فهبط نفوذ الاشراف والطبقات الوسطى القديمة وارتفع نفوذ الاشتراكية السياسية وتحطمت الاحزاب القديمة بحيث عجزت عن البقـاء او كادت ودعت الصحف الجديدة الى معاضدة العملة و بالغت واكثرت في الدفاع عن قوانين التضامن والمعونة حتى كادت تضر بمصلحة الوطن كل ذلك لتستميل قلوب القوم و تستكثر من القراء وكان في مقدمة الجرائد المسموعة الكلمة في هذا البـاب الساهرة على ارضاء الجمهور بالتنزل الى درجة افكاره جرائد الدايلي مايل والدايلي اكسبرس والمورنن ليدر التي اخذت بعد قليل من صدورها تطبع مئات الالوف

وجريدة الديلي ميل هي التي احدثت هذا التبدل في مظهر الصحـافة الانكليزية وافكارها وصاحبهـا واسمه الفردهرمسورث يدير اليوم بنفسه او بواسطة رجاله معظم المشروعات الصحافية في انكلترا · بدأ مديراً لجريدة اسبوعية أسست سنة ١٨٨٨ وكانت اوشكتّ ان تكون الى خطر بصنيع القائمين عليها فاروثها في اقل من سنة حياة خارقة للعادة بحيث بلغ المطبوع منها ٧٨ الفاً بعد ان كان ١٣ الفاً وذلك بان فتح سباقاً

218

بين القراء ينال فيه جوائز مالية كل من يوفق اليها كأن كان يضع لهم سؤالاً وهو من يقدر كم دخل مصرف انكلترا من النقود المعدنة والذي يحزر يكون له راتب يتقاضاه طول حياته قدره ليرة كل اسبوع فاهتم الجمهور لهذه المسابقة وكانت النتيجة بعد اقل من ثلاثة اسابيع ان ارتفعت المبيعات من جريدته الاسبوعية من ٧٨ الفاً الى ٢٠٠ الف

وهكذا جرى الصحافي في كل المشروعات التي قام بها بالابداع في الاسلوب والتيقظ والبذل في سبيل انجاحها ولما اصدر جريدة الديلي ميل في ٤ ايار سنة ١٣٩٦ لم يبع منها نسخة بل ارسلها الى الوكلاء وجعلها في المستودعات وكان يطبع منها كل يوم مائتي الف عَلَى اسلوب كله مستحدث ولم يكتب له النجاح بعد شهر من صدور جريدته الا لانه عرف حاجات الجمهور ورغائبه فقد كان القوم قبله يتلون الجريدة ليقفوا على رأيها في الحوادث والرجال و يأخذوا منها وذلك باثمان تختلف من العشرة الى العشرين الى الثلاثين سنتيماً يبذلونها ولا يخافون اما اليوم فانهم يبتاعون الجريدة للوقوف عَلَى ما يجري مثل الانباء الخارجية والحوادث المختلفة واخبار المحاكم والآراء في الازياء والرياضات مما يهتم له جمهور الناس ويميل اليه اكثر من جميع المناقشات الفكرية يريد ان يتناول معلومات بارخص الاثمان وقد نشأ هذا النشوء في الافكار من حالة الحياة الجديدة وما تتطلبه من السرعة والمضاء ومن انتشار التعليم العام وكان الفضل لصاحب الديلي ميل الذي لاحظ ذلك قبل غيره وعرف من اين تؤكل الكتف فيه ففي جريدته مثال جديد من الفواصل بين الحوادث واختصار في النصوص وقليل من الانشاء المكلف المديح وكثير من الحوادث فتقدر بنظرة خفيفة ان تطلع في خمس دقائق عَلَى كل ما حدث وتقل في جريدته المقالات الافتتاحية وتكثر فيها الحياة والعنوانات تلفت النظر ابداً واللهجة اقرب الى العامية والطبيعة والرسائل البرقية والنظرات الاجمالية مختصرة على الجملة والحوادث كثيرة فالقارئ يتلوها بسرعة غير محتاج الى تأمل وغاية ما يلزمه قليل من الانتباه فجريدته ولا جرم جريدة رجل العمل المستعجل الجريدة التي تقرأ في المركبة والحافلة والسكة الحديدية والمرء مأخوذ بعمله وبعبارة اصح جريدته حديثة النشأة فهي تحوي جميع الاخبار التي تنشرها الصحف القديمة بأسيسها ولكنها اجمل في الاسلوب واقل كلفة عَلَى الجيوب اي ان ثمنها نصف ثمن ارخص الجرائد القديمة

اما التيمس فقد أنشئت سنة ١٧٨٥ وهي صاحبة المقام الذي لا يباري بين صحف العالم بسعة مواردها وكثرة اخبارها وصحتها وشدة استقلالها وحسن تلقي آرائها وكانت في احرج ساعات انكلترا صوت هذه الدولة وفكرها وهي من حيث الماديات لا تجارى كبيرة الحجم تطبع عَلَى ورق ذي ١٦ الى ٢٤ صفحة حجم كل منها اربعة امتار مكعبة وقد حسبوا ما تحتاجه ادارتها كل صباح من الورق فكان عرضه مترين وطوله خمسمائة كيلومتر وورقها جميل متين وحروفها دقيقة حسنة التنسيق والوضع آية في تصحيحها وقد راهن احد اللوردات عَلَى مئة جنيه بان يخرج لها خمسين غلطة فاخفق في ستة اعداد منها حتى احصى لها ثلاث غلطات مطبعية وفي ادارتها اربعون مصححاً اذا وقعت لاحدهم ادنى غلطة يطرد من وظيفته ويؤكدون ان احد كبار مديريها قد اجلس في قاعة الانتظار احد وزراء انكلترا اكثر من ساعة بينا كان يفتش عن كاتب مقالة مسؤول عنها نسي ان يضع علامة الاستفهام بعد ان قراء التيمس اذا عثروا على غلطة مطبعية لا يلبثون ان يشعروا الادارة في الحال . ولكثرة عناية التيمس في مستنداتها ومراعاتها الذمة في نقولها وتجريد انشائها اصبحت المجموعة التي تنشرها ادارتها كل سنة في الاحكام الصادرة اشبه بمجموعة دالوز في القوانين لا يعتمد في التاريخ الا عليها . واسرة « والتر » هي مالكتها وقد اصبحت منذ سنة ١٩٠٨ لنقابة خاصة يرأسها احد ابناء مالكيها الأول ولكن الفرد هرمسورث صاحب الديلي ميل وكندي جون هما يدها العاملة وروحها المدبرة

وتجيء بعد التيمس جريدة الديلي تلغراف أنشئت سنة ١٨٥٥ وشهرتها عظيمة وهي باعلاناتها اشهر جريدة في انكلترا بل في اوربا وتأثيرها الادبي والسياسي اقل من التيمس ولكن اخبارها كثيرة واسعة النطاق وهي التي اشتركت مع جريدة نيويورك هرالد وبعثت هنري ستانلي للمرة الثانية للبحث عن داود ليفنكستون الذي اهتمت له انكلترا وكان من ذلك افتتاح الكونغو واصقاع البحيرات العظمى في اواسط افريقية . وجريدة المورنن بوست اول الصحف اليومية بانكلترا أنشئت سنة ١٧٧٢ وهي لسان حال المنورين والاشراف تدعو الى التوسع في الاستعمار وتخالفها الديلي نيوز وهي تدافع عن المسائل المهمة بحرية فقد دافعت عن ايطاليا ويونان وبلغاريا وارمينية وارلندا وحملت عَلَى اعدائهن حملات منكرة وهي الصحيفة الوحيدة التي لا تنشر اخبار المسابقات والرياضات . وجريدة الديلي كرونيكل هي الجناح الايمن للاحرار والستاندارد

أسست سنة ١٨٢٧ مقبولة جداً في عاصمة الانكليز و بين الاشراف المتوسطين واشراف الارياف . وجريدة المورنن ليدر غريبة مقبولة من العامة بترتيبها ووضعها وكثرة مكاتبيها في الخارج كثرة لا تضاهيها فيها جريدة اللهم الا التيمس والدېلي تلغراف . ثم تجيء الصحف الاسبوعية التي تصدر يوم الاحد فمنها جريدة النيواوف دي ورلد وجريدة اللويد وكل منهما يطبع مليونًا واربعمائة الف نسخة

بين هذه الصحف نشر صاحب الدېلي ميل جريدته فنظر نظرة بليغة فيمن تقدمه فلم يران يسبقهن في انشاء جريدته ولا في رخصها ورأى ان اصدارها قبل ميعاد الصحف مما يهيء لها قراء كثيرين خارج لوندرا فقد كانت صحف هذه العاصمة تطبع بين الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل وتسافر الساعة الخامسة في القطارات فتصل الى الاماكن التي تبعد مئة كيلو متر عن لندرا وقت الفطور والى الاماكن البعيدة ثلثمائة واثنين وعشرين كيلو متراً حوالى الظهر فاكترى صاحب الدېلي ميل قطارات خاصة لجريدته تسافر الى الجهات المختلفة فتوزع جريدته الى ابعد الاماكن قبل ان يتناول المطالعون جرائد ولاياتهم نفسها مخافة ان يكتفوا بهذه عن مطالعة الصحيفة اللندنية وكان لذلك يطبع جريدته قبل ساعة ثم قبل ساعتين من طبع رصيفاته و بذلك استغنى كثير من القراء خارج لندن عن سائر صحفها و بعض صحف الولايات وارتفع معدل ما يطبع من الدېلي ميل بعد بضعة اشهر من ٢٥٠ الفاً الى ٤٧٥ الفاً ولم يلبث ان صار ٧٠٠ الف ولم تصل الى السنة الثالثة حتى بلغ المطبوع منها مليون نسخة واصبحت اليوم تطبع مليونًا ومائتي الف نسخة في حين تطبع التيمس ٥٥ الفاً فقط والدېلي اكسبرس ٧٠٠ الف والدېلي تلغراف ٣٥٠ الفاً والدېلي نيوز ٣٠٠ الف والمورنن ليدر ٣٥٠ والستاندارد ١٢٠ الفاً والدېلي ميرور ٩٠٠ الف وجريدة ايفنن نيوز وهي فرع للدېلي ميل تصدر في المساء و يطبع منها ٢٥٠ الفاً . وقد فكر صاحب هذه الجريدة في شمالي انكلترا فرأى مدينة منتستر عَلَى ثلاث ساعات ونصف من لندرا متوسطة بين بلاد ايكوسيا ونفوسها ٧٥٠ الفاً وهي مركز تجاري مهم فانشأ فرعًا لجريدته هناك فيها جميع ما في جريدته اللندنية من الاخبار والمقالات منها ما يرسله من لندرا مع البريد ومنها ما يرسله عَلَى لسان البرق فتخرج الدېلي ميل في منشستر في الوقت الذي تصدر فيه بلندن وبذلك تسنى له ان يبيع من الجريدة الثانية مائتي الف نسخة فيكون مجموع ما يبيع من الدېلي ميل ١٤٠٠٠٠٠ وقد اصدر فرعًا آخر لجريدته في باريز يبيع منه عشرين الف نسخة كل يوم واحب

بعض منافسـاته ان تحذو حذوه واكنها لم تفلح لانه اخذ دونها المقام الاول في القاصية كما اخذه في الدانية

واغرب من هذا وذاك ان صاحب الدبلي ميل اصدر فرعاً من جريدته بحروف برايل الناتئة يصفها عميان و يطبعونها و يوزعونها وهي للعميان فيها الاخبار السياسية وغيرها تصدر مرة في الاسبوع في ١٦ صفحة وهذه الجريدة هي لخدمة الانسانية المحضة وذكرها اجمل سطور في تاريخ الصحافة المصرية

و بانتشار الدبلي ميل الى هذا القدر اقبل ارباب الاعلانات عليها وآثروها عَلَى غيرها ولولا ذلك ما استطاع صاحبها ان يتكبد مثل هذه النفقات واستعمل اساليب التجارة في اصطياد المعلنين فلم يكتف كغيره من ارباب الصحف ان يقصد المعلنون ادارته باعلاناتهم بل اخذ يبعث برسله الى التجار يقاولونهم عَلَى اعلاناتهم ·والاعلان في انكلترا اهم اسـباب التجارة و بدونه تقل الارباح كما قال بعضهم بل ان امتناع الصحف يوماً واحداً عن نشر اعلانات التجارة اصعب عَلَى الامة من وقوف السكك الحديدية وانقطاع الاسلاك التلفونية والبرقية و يكفي ان لندن وحدها تنفق في السنة عَلَى الاعلان فقط ملياراً ونصف مليار فرنك — انتهى ما عربناه عن المجلة الباريزية وعسى ان يكون فيه لاهل الصحافة العربية غناء فيطرسون عَلَى آثار الصحافة الانكليزية الراقية

موظفو فرنسا

الغالب ان فرنسا اكثر بلاد الحضارة موظفين ففيها الآن ٩٦٦٨٥٥ موظفـاً عَلَى اختلاف الطبقات واذا أُضيـف اليهم موظفو الجزائر وتونس وغيرهما من المستعمرات الفرنسوية الذين يتقـاضون رواتبهم من ميزانية تلك البلاد ناهز الموظفون من الفرنسيس مليون موظف فكان لفرنسا موظف واحد لكل ٣٨ مكلفاً يتقـاضون في السنة ملياراً وخمسمائة وعشرة ملايين يضاف اليهـا ١٠٨ ملايين رواتب رجال الملكية و ١٧٠ مليوناً رواتب العسكرية

بين القاهرة والرأس

عزم رجلان المانيان احدهما ضابط والآخر جيولوجي ان يجتازا المسافة بين رأس الرجاء الصالح والقاهرة في السيارة (اتوموبيل) والمسـافة بين البلدين عشرة آلاف كيلومتر وذلك ليتأكدا فيما اذا كان يتأتى لهذه المركبة ان تحمل ركاباً و بضائع بين جنوبي افريقية وشماليها وسيقطران مركبة اخرى الى السـيارة التي تقلهما وتكلف نفقـات

220

انشائها مائتي الف مارك عَلَى ان الخط الحديدي المنوي به ربط تينك المدينتين احداهما بالاخرى قد تم بعضه ومؤخراً افتتح فرع من واد مدني الى سنار وقد بلغ طول ما مدّ منه من الجنوب ١٥٠١ ميل (نحو ٢٤٠٠ كيلومتر) والفرع الجنوبي تسير قطاراته الآن من كبتون الى المحل المسمى ستار اوف كونغو في مملكة الكونغو الحرة اي على مسافة ٢٣١٢ ميلاً (نحو ٣٧٠٠ كيلومتر) فيبقى بعيداً عن الخطوط بعد ٢٠٦٠ ميلاً (٣٢٠٠ كيلومتر) فيكون عَلَى هذا التخطيط طول هذا الخط كله ٥٨٧٣ ميلاً منها ٣٨١٣ ميلاً قد نجزت والقطارات تغدو فيها وتروح وستجعل لها طبقة رابعة للفقراء

سكة طرابلس

احتفل في الشهر الماضي بافتتاح الخط الحديدي بين طرابلس الشام وحمص وطوله ١٠٠ كيلومترات يقف القطار في ثماني محطات و يقطع المسافة بين البلدين في اربع ساعات وهو من الخطوط العريضة مثل بعض الخطوط الحديدية في سورية وبهذا الخط اصبحت كثير من مدن الداخلية في سورية مرتبطة بالسواحل فاول ما ربط منها يافا بالقدس ثم تبعتها دمشق ببيروت فحوران ثم خط حيفا ودمشق وحيفا درعا المدينة وربطت بيروت بحلب واليوم ربطت طرابلس بحمص وما والاها

كتب الاولاد

من مقالة لاحد العالمين من الاوربيين ان كتاب الولد يجب ان يحوي شرطين رئيسين ان يعجب القارئ به ويهتم له والاعجاب به يكون بما يحويه من الصور والاهتمام له يكون بما تضمه من الموضوعات اللطيفه وهذه الصفات تحتاج لتأليف كتاب من هذا النوع الى رجل مفنن ورجل كاتب وان يكون كلاهما مفطورين عَلَى معرفة مخاطبة الاولاد وقلما يتوفر ذلك . وقليل في كتب الاولاد المفيد لان الاسفار التي تجعل بين ايدي الاطفال هي في العادة سقيمة الانشاء عليلة التصوير كأن المؤلفين والمصورين يقصدون الى ادخال السآمة عَلَى نفوس الصغار بما يكتبونه و يرسمونه عَلَى ما اتفق فالقصص التي يوردونها مملة يريدون ان يعلموا بها بدون ان يسألوا وان يعظوا دروساً في الاخلاق والتهذيب لا تستميل قلوبهم وليست سوى مواعظ وما احرى تشبيهها بحقول بائرة لا تنبت فيها زهرة ولا تجد فيها ما يبعث حماسة الشبيبة نعم هي صور مضحكة يفهمها الولد عَلَى حسب مداركه ولكنها لم تخرج عن كونها قصصاً عامية ينضم فيها الابتذال الى فساد الاحكام . فارغة لا جاذب فيها تتعب قارئها اذا قرأ منها

الصحف الاولى فيتخلى عنها قبل ان يتمها . فالآداب التي يدرسها الاطفال هي ولا جرم مخالفة للمقصد منها في معظم البلاد . قلنا هذه شكوى البلاد الافرنجية من رداءة كتب الاطفال عندهم وهي ما هي فما هو الحال اذاً في مدارس البلاد العربية

تجار الاميركان

لكل مخزن كبير في الولايات المتحدة مدرسة خاصة لتعليم مستخدميها وبائعيها تعليماً تجارياً خاصاً يدربون في الغالب كما يدرب الجند لان تجار الولايات المتحدة قد ايقنوا بانه يصعب ايجاد مخازن كبرى اذا لم يكن فيها نظام مدقق ولذلك يدخلون الصبيان والبنات الى هذه المدرسة في الرابعة عشرة من سنهم فيعلمونهم في الصباح الحساب والانكليزية ليجيدوا التكلم بها كما يعلمونهم الافرنسية ويمرنونهم نصف ساعة على الالعاب الرياضية كل يوم لتكون حركاتهم منتظمة شأن المستخدم اللبق وفي النهار يشغلونهم في اعمال المحل ولكن بدون ان يختلطوا مع الزبن . وبعد تمرينهم ثلاثة اشهر على هذا النحو يبدأ بتعليمهم معرفة الاصناف التجارية وفي المساء يعلمونهم شيئاً من التعليم النظري فيدرسون مثلاً كيفية عمل البضائع ومحال عملها بحيث يستطيعون بعد ان يلقوا درساً مختصراً لمن تريد ان تبتاع زوجاً من الجوارب ويوقفونهم على علم النفس لان هذا العلم نافع لهم نفعه للقصصي والعالم . وامهر البائعين المرغوب فيهم هم اهل ارلندا

التلغراف اللاسلكي

زيد في هذا التلغراف اختراع جديد مركوني نجح بواسطة طيارة تنقل في النهار رسائل برقية كهربائية الى مسافة ٥٦٠ كيلومتراً وكانت رسائل التلغراف اللاسلكي حتى الآن لا تنقل الا في الليل خاصة وبهذا الاختراع الجديد يمكن ارسالها في كل ساعة والى كل مكان وينحل الاشكال الذي كان ناجماً من المخابرة التلغرافية من سفينة مبحرة مع اي محطة في الشاطىء كانت

حمى مالطة

ثبت ان هذه الحمى تنتقل في لبن الماعز وذلك لان الحكومة منعت الحامية هناك من اعطائهم لبناً حليباً في جملة الجراية اليومية . وكان ثبت ان لبن البقر ينقل جراثيم السل ولا يفيد فيه الا التعقيم الشديد

المقتبس

حالة الجو «الطقس»

« الفواعل الطبيعية التي تؤثر فيها وتدل على ما تصير اليه »

لا بد ان يتلقى قراؤنا الكرام هذا الموضوع بما يستحقه من الاحتفاء بعد ان لفتت انظارهم اليه الثلوج التي تراكمت في هذا الشتاء على ربوع البلاد فسدّت المسالك وساقت حيوانات البر من كهوفها وأوجارها لتشارك الانسان في مساكنه وتشاطره شظف العيش في مكامنه

وقد خيل لمن لا المام لهم بالنواميس الطبيعية ان كثرة شرورنا قد كانت السبب لهذه الضربة الالهية والحقيقة ان خطايانا كثيرة في كل سنة فلو كانت هي الداعي لذلك لاقتضي ان لا تفارقنا الضربات على مرّ السنين

ومما لا ريب فيه ان الممسك ازمة السماوات والارض بيده قد سنّ للطبيعة شرائع تسير بموجبها وتنتج معاً ما نشاهده من الظواهر الفلكية والتقلبات الجوية التي تختلف باختلاف اتجاه هذه الفواعل وكيفية ارتباطها معاً واجتماعها او تفرقها على ما سنبينه

ومع ان العلوم والمعارف هي مجموع اختبارات البشر لا تزال قاصرة عن ايضاح معظم ما تتوق النفس لمعرفته مما لا يزال وراء حجاب الغيب فانها قد كشفت لنا الشيء الكثير من اسرار الطبيعة حتى صارت الميتيورلوجيا او الظواهر الجوية علماً جزيل المنفعة للملاح والزراع والتاجر وغيرهم من ارباب المهن والحرف

وقد تبين من درس طبيعة الهواء والنور والحرارة وحركات الارض ومهابّ

الرياح والجاذبية وغير ذلك ان تقلبات الجو وظواهره بين صحو ومطر وحر و برد الخ خصوصاً عن اتحاد افعال السبع القوات الآتي بيانها:

(١) دورة الارض اليومية عَلَى محورها

(٢) دورة الارض السنوية في فلكها

(٣) الجاذبية التي تشد الهواء الى الارض

(٤) قوة التباعد عن المركز الناجمة عن دورة الارض عَلَى محورها وعن قوة استمرار حركة الهواء

(٥) قوات دقائق المادة المعروفة بالحرارة والنور والالفة الكيمية والكهربائية ، وقوة الاشعاع التي تصل الينا بالاشعاع من الشمس ، وجميع الاختلافات والتقلبات الموقعة عَلَى عرض الاماكن وحركتي الارض اليومية والسنوية

(٦) فقد الحرارة بالاشعاع من الارض والهواء

(٧) اختلاف تمدد الاجسام باختلاف توزيع الحرارة في الهواء لتوقف ذلك عَلَى مراكز القارات والاقيانوسات وعلى وجود أبخرة سهلة التكثيف كالتي تكون ممزوجة بقارات لا تنفك عنها ، وعَلَى النتروجين والاوكسيجين اللذين يتركب منهما معظم قارة الهواء .

فأدنى تغيير في هذه القوات او في كيفية عملها يحدث تغييراً في ما يحيط بنا . و يتصعب علينا التنبوء بالدقة عن حالة الجو لاننا لا نزال نجهل ما وراء كرتنا الارضية من الفواعل . ولكننا نعلم ان قوة ما تنتقل دائماً من الشمس الينا بسرعة جاذبية الثقل او النور وتتخلل الهواء المحيط بنا وبها يعلل تكوُّن الشفق . وذلك ان هذه القوة المسماة ايونس *Ions* اوالكترونات *Electrons* متى تكهربت تنحرف عن سيرها المستقيم حالما تخالط الهواء وترسم منحنيات لولبية الشكل . وعندما تتصل هذه الدقائق ببعض الغازات من مثل الكربتون **Kryptpon** يستنير الغاز فيكون من ذلك نور الشفق الذي يشاهد في الاماكن القريبة من القطبة الشمالية اكثر من غيرها كأعالي اسوج ونروج وشمال كندا وغيرها

اما الغيم والمطر والثلج والبرد وسائر متعلقاتها فتكون بالطريقة الآتية

تلقي الشمس اشعتها عَلَى مياه الاوقيانوسات والابحر والبحيرات وما ماثلها من المستودعات المائية فتسخن الهواء الملامس لها واليابسة وتبخر الماء فيخف و يصعد في الهواء

222

المشبع رطوبة الى الطبقة التي يتكون فيها الغيم · ويتمدد الهواء بالحرارة ايضاً فيصعد بقوة يدفع بها الهواء المجاور له من الجهات الاربع · ومعنى هذا الدفع انه ينفق شيئاً من حراراته كلما صعد ودفع مايجاوره حتى يبرد اخيراً وتغلب فيه الرطوبة فيبتدئ ان يتكاثف بشكل الغيم او السديم · وهذا التكاثف انما يتم بالتفافه حول ذرات الغبار ودقائق الالكترونات التي تقدم ذكرها فتكسى هذه الذرات بالرطوبة كما يكسى في الصيف ظاهر ابريق زجاجي ملآن ثلجاً · وعلى ذلك فكلما زاد الغبار في الجو زاد تكاثف الغيم وقل المطر الذي لا يهطل الا من اواسط الغيم او قلبه حيث الغبار قليل وذلك بعد ان يضغط على الغيم والهواء الاعلى منه وشرط في الغيم ان يكون مكهربا بارداً الى درجة تكون الندى · فمن غيمة كبيرة يكونها الهواء الرطب حول دقائق المادة قد يوجد جزء صغير فقط خال من الغبار فيتمدد بسرعة كافية لتكوين ماء المطر

ومن هذا يتضح ان اطلاق المدافع الكبيرة في الهواء اذا وصل دخانه بما فيه من الدقائق الى مساواة الغيم يحدث غيماً ويمنع وقوع المطر لان المطر لا يسقط الا من قلب الغيوم حيث يقل الغبار او يخلو بتاتاً

اما اذا سقط المطر وكان الهواء بارداً جداً فانه يجمد · فاذا كان الهواء يهب من جميع الجهات لعب فيه ودوّره فيسقط برداً والا فاذا سكن الهواء سقط عطباً كنتف القطن وهو الثلج الذي تكسى به قمم الجبال وسائر الاماكن العالية الباردة

ولمعرفة اوقات سقوط المطر او الثلج يجب ان ندرس مهاب الرياح وعلاقة البرد من كلف الشمس ومغنطيسية الارض وغير ذلك مما يصعب معرفته بالدقة

غير ان الآلات التي اخترعت حديثاً للدلالة على حالة الجو وهي البارومترو والثرمومتر اي مقياس ضغط الهواء ومقياس الحرارة كثيراً ما تدل على حدوث الامطار والزوابع بالضبط قبل وقوعها بزمن يختلف بين ١٢ و٢٤ ساعة وما ذلك الا لتأثرها بضغط الهواء ومبلغ ما فيه من الحرارة والرطوبة التي تقل او تكثر تبعاً للفواعل العديدة الطبيعية كما بيناه آنفاً

فرطوبة هواء الهند مثلاً تأتي من بعد شاسع اي من جهة الجنوب الغربي للاقيانوس الهندي وهواء اوربا يؤثر في افريقية وهواء جنوب افريقية يؤثر في آسيا وهكذا فكأن الهواء كرة مرنة ينتقل فعل الفواعل على احد جوانبها الى كل جانب ولذلك نجونا عرضة للتأثر من الاعلى اي من الفلك الذي وراء حدود الهواء ومن القطبتين ومن

جانبي خط الاستواء فلا يكاد يفعل فيه فاعل الا و يظهر تأثير ذلك في مجموعه · ولهذه الاسباب لا يمكننا معرفة اوقات وقوع الامطار والثلوج واشتداد الحر والبرد وغير ذلك الا اذا عرفنا تأثير جميع الفواعل والمؤثرات في اتحاد العالم · وهذا ما يسعى العلماء لرصده ومعرفته حسبما تمكنهم الاحوال

وقد لا يمر بنا زمن طويل حتى تصير نبوات العلماء موضوع ثقة القوم فيعرف الناس جهات الرياح واوقاتها وازمان سقوط المطر والثلج بضبط يكاد يقرب من كنه الحقيقة

وفي اوربا واميركا الآن معاهد خاصة فلكية تنبئ بتغيير حالة الجو انباء جزيلة النفع للانسانية · وعما قريب تنفتح عيون الناس في آسيا فيختطون هذه الخطة العلمية و يجارون القوم في حياتهم العمرانية بيروت خليل سعد

السراسرة او الزرازرة

Les Censeurs

(١ً تمهيد) من احسن ما يفيد اللغويين والكتاب والمعربين واصحاب نادي دار العلوم تتبع الالفاظ الدخيلة في العربية ومعرفة الاصل الذي اخذت منه · فان التنقيب عن هذا الامر يكفينا مؤونة وضع بعض المصطلحات الجديدة مع وجودها عندنا · هذا فضلاً عن منع كثير من الالفاظ عن التسرب الى لغة قريش الفصيحة وحبس مواد اللغة عن ان يعيث فيها عائث والذب عن حياضها ومناهلها الراقية وتخفيف حمل الحافظة لكثرة ما توفر في هذه الايام بنشر الصحف المختلفة الموضوعات · وخوفاً من ان تنوء باثقالها فتنهض · ولهذا فاحسن واسطة تتخذ في هذا الباب ان يسعى الى اقفاله باقرب وقت واخصر طريق يسعي في تحقيق اصول الالفاظ الدخيلة حتى تعاد الى نصاب معانيها التي وضعت فيها و يحافظ على المعاني التي نقلت اليها في لغة العرب

وقد اهتديت في ابحاثي الى بعض هذه الحروف وتحقيق اصلها من ذلك كلمة « سرسور »

(٢ً حقيقة اللفظة نقلاً عن اللغويين) السراسرة جمع سرسور قال في محيط المحيط : الزرزار (او الزردار) (قلت : كذا بدال مهملة قبل الالف) : البطرك (كذا . والاصح البطريق لان العرب خصت لفظة بطرك او بطريك او بترك او

223

بتريك او بطريرك بالرئيس الديني الذي هو فوق رئيس الاساقفة بخلاف البطريق فانها قد وردت عندهم بمعنى البطرك وبمعنى كبير الشرفاء من الروم والرومانيين اي بكلا المعنيين) زرازرة(او زرادرة) ٠ اه كلام المحيط وقال قزميرسكي : الزرازرة **Patriciens (chez les Grecs de l'empire d'Orient)** وقال فريتاك : زرزارج زرازرة : **Patricii grœcorum:** ثم زاد: وفي الاوقيانس : زروارج زراورة ٠ وفي التاج : الزرازرة البطارقة كبراء الروم جمع زرزار بالكسر ٠ وفي التكملة : الزراورة البطارقة ٠ ولم يذكر الكلمة اللغوي الانكليزي « لين » صاحب مد القاموس ٠ وممن اغفل ذكرها صاحب الصحاح والمصباح واساس البلاغة والنهاية ومختصرها ٠ لا بل وصاحب لسان العرب ايضاً وهذا في منتهى العجب لان الكتاب ضخم في عشرين مجلداً وقد حوى الفاظاً دون الزرزار شأناً ومع ذلك فقد اهملها الا انه قال في مادة س ر ر : السرسور: الفطن العالم ٠ وانه لسرسور مال اي حافظ له ٠ ابو عمرو: فلان سرسور مال وسوبان مال : اذا كان حسن القيام عليه عالما بمصلحته ٠ ابو حاتم : يقال فلان سرسوري وسرسورتي : اي حبيبي وخاصتي ٠ ويقال : فلان سرسور هذا الامر :اذا كان قائماً به ٠ ويقال للرجل : سرسر : اذا امرته بمعالي الامور » اه النص ٠ ولم ينبه على ان السرسور هو تصحيف زرزار ٠ ومن ثم فانك لا ترى في لسان العرب اثراً لهذه الكلمة الاخيرة بالمعنى الذي اشار اليه اللغويون

اما السرسور فقد ذكرها جميع اللغويين اصحاب المطولات قال في التاج : السرسور : بالضم ٠ الفطن العالم الدخال في الامور بحسن حيلة ٠٠٠ وعن ابي حاتم : الحبيب ٠٠٠ الى آخر النص الذي ذكره صاحب اللسان ٠ وقد نقل اصحاب دواوين اللغة كلام ابي حاتم فلا حاجة الى ايراد جميع نصوصهم الآخذين عنه عبارته هذه بدون تغيير وقد ذكرناها ٠ واما صاحب محيط المحيط فقد غلط في قوله زرادرة بالدال بعد الالف وانما هي بالواو قال في التكملة : الزراورة : البطارقة الواحد زروار كما نقلناه فويق هذا

ولم ينبه احد من لغويي العرب الى انها من اصل اعجمي واما الافرنج فلا اعرف منهم الا فرنكل اذ قال بانها من اصل فارسي او ارمي قال : سفير = سبسار وفيها لغة وهي سرسور

والعربي اذا رأى كلا اللفظتين : الزرزار والسرسور لا يتوقف في ان يقول انهما

من اصل واحد وهو : « الزور » مكررة مع تصحيف فيكون معناها : « رئيس الرئيس » اي الرئيس الكبير . لان الزور هو الرئيس وليس الامر كذلك ولا سيما الزرزار لانهم شرحوها بمعنى البطريق او الكبير من الروم . فلا يمكن ان تكون الكلمة الا رومية اي لاتينية وهي Censor اي سنسور ثم صحفها العرب وتلاعبوا بلغاتها كما فعلوا بلغتهم فتولدت منها الفاظ كثيرة مرجعها الى واحدة . وقلبهم النون راء هين مستفاض في كتبهم والشواهد فيه لا تعد ولا تحد حتى في الالفاظ العربية الفصيحة كما قالوا في ريح ساكرة : ريح ساكنة . وقالوا الزون والزور . والوكر والوكن . والهبور والهبون (العنكبوت) وتأمر عليه وتأسن وما فيه حبربر ولا حبنبر . والمركوس والمنكوس . الى غير هذه الالفاظ وعليه قالوا في سنسور : سرسور . ومن العرب من كان يقلب السين زايًا منقوطة ويجعل الالف المفخمة اي ه الافرنجية تارة الفًا وطورًا واوًا كما في صلاة وصلوة . وحياة وحيوة . فقالوا عَلَى هذا القياس زرزار .

ولعل الاصح ان اللفظة اول ما وردت في كلامهم جاءت مجموعة بصورة زنازرة او زرازرة ثم توهموا مفردها زرزار حملاً لها عَلَى مادة عربية وكان السرسور اوالسنسور من ولاة القضاء عند الروم وكان من وظيفته احصاء ابناء الرعية الرومانية وتقدير اموالهم وتدبير بيت المال او خزينة المملكة . ثم امتدت سطوتهم حتى بلغت شأوًا بعيدًا في النفوذ وشأنًا خطيرًا في السلطة حتى قلد الزرازرة نقابة اشراف الروم فصارت وظيفتهم كوظيفة نقيب الاشراف عند المسلمين في عهدنا هذا . بل واوغلوا في السطوة حتى قلدوا امر مراقبة الآداب وتنزيل الاشراف عن مناصبهم العليا وابعاد شيوخ المجلس الاكبر عن مناصبهم بل وربما طردوهم من المجلس طردًا لا مرد لهم اليه

وكانت هذه الوظيفة مقيدة بالبطارقة لاغير . ومن ذلك تعريف العرب للزرازرة بمعنى البطارقة . ثم ارخي عنان جوادها فقبض عليه وعلا صهوته كل من كان اهلاً للعلى وان كان من السوقة

عَلَى ان اصح وجه اللفظة هو « السرسور » كما جاءت في اغلب كتب الائمة الا انها وردت عندهم بالمعنى الفرعي لا بالمعنى الاصلي اي انها جاءت بالمعنى الثاني الذي انتقلت اليه في الرومية واشتهرت به في عهد صدر الاسلام لانهم قالوا في تفسيرها : الفطن العالم الدخال في الامور

وان قيل لنا : « ان سرسور هو تعريب بيرسور واصل معناه الشيعان فرحًا . (كتاب

الالفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد اديشير ص ٨٩) قلنا : لا يقول هذا الكلام الا من اراد الهزء والسخرية باهل العلم والتحقيق والا اي مناسبة بين هذين المعنيين · وكيف سمي الروم صاحب مقام من اهل المراتب العليا عندهم باسم فارسي · تلك اضحوكة من المضحكات المبكيات · هذا فضلاً عن ان العقل يأبى مثل هذا الوضع الغريب والتأويل البعيد العجيب ولا سيما لان جميع اللغويين متفقون عَلَى ان الزرازرة هم البطارقة اي علية اشراف الرومان · والسراسرة هم الفطنون العلماء الدخالون في الامور كأن العرب جعلت لكل فرع من المعنى فرعاً من اللفظ تفنناً وتمييزاً لفظاً من لفظ وهم كثيراً ما يفعلون ذلك

هذا وتأويل السرسور بالمعنى الذي عقده بناصيته اهل اللغة يوافق كل الموافقة للتآويل المختلفة التي جاءت بها لفظة *Censeur* فان هذه اللفظة الفرنسوية وهي نفس اللفظة الرومية *Censor* تعني ما يأتي : (١) الذي ينتقد مسلك الناس واعمالهم · (٢) الذي ينتقد مؤلفات المصنفين وماوقع فيها من الاوهام والاغلاط (٣) احد عمال الحكومة تقيمه عَلَى فحص الكتب والجرائد والمجلات وهو الذي سماه كتاب هذا العهد بالمراقب (٤) وسرسور الدروس عندهم القيم بشؤونها وبحفظ قوانينها (٥) وسرسور المصرف (البنك) سرسور شركة تجارة وقد فوض اليه تحقيق اعمال المدبرين والقيمين بشؤونها · اه وهذا كله يصح فيه معنى السرسور على موجب ما اثبت معناه اللغويون اي الفطن العالم والحسن القيام على المال العالم بمصلحته

هذا ما اردنا ايراده بخصوص اللفظة واصلها ومعناها عند العرب سابقاً ومعناها عند الافرنج في عهدنا هذا · وامكان دخول مختلف معانيها في لغتنا اذ الجامعة بين شعبها موجودة عندنا ايضاً وهذا كله من منافع الوقوف عَلَى اصول الالفاظ والبحث عن انسلالها في لغتنا · بقي علينا ان نذكر ما يتعلق بهذه اللفظة من امرها في التاريخ فنقول :

« ٣ السرسور في التاريخ » كانت اقامة رتبة السرسور او السنسور في الطبقة الاولى عند امة الرومان · وكان ينتخب اصحابها انتخاباً الى زمن محدود مضروب · واذا قلدها واحدهم اصبحت سلطته توازي سلطة القنصل مع ان هذه السلطة هي ابنة تلك لا غير · وكان يقام السرسور في الاصل لتعداد النفوس كما يدل عليه اللفظ نفسه «سنسور مركبة من سنس *Census* والاداة الدالة عَلَى الصاحبية والسنس هو تعداد النفوس »ومن بعد ذلك امتدت سيطرته الى اصلاح الاخلاق وتهذيب ضروب الجماعات وطبقاتها · ومن

ثم كان يشارف السوقة والبطارقة حتى اذا اخذوا بشيءٍ وجب عليهم ان يزكوا انفسهم كلما اقتضت الحال او دعاهم السرسور ان يتبينوا ما يعزى اليهم · ولم تكن وظيفة او رتبة او منصب من مقامات الدولة الرومية الا وتخضع لسلطة السرسور او الزرزار · ومما كان يكلف به السهر عَلَى كل ما يتعلق بالمصالح العامة كالجسور والاقنية والابنية العامة والقناطر والمعابر الى غيرها · وكانت هذه السطوة او السلطة تعلو في الشعب الروماني بقدر ما كانت تنحط وتهوي في مجلس شيوخهم عَلَى انها لم تأخذ بالانحطاط الا لما دب الفساد الى الامة كلها وسرى الى الخاص منهم والعام سرًا وجهراً حتى فشا في السراسرة انفسهم ولقد كان للقب الزرزار من الشرف الرفيع ما حدا بقيصر وسائر الانبراطرة ان يتسموا به و يتخذوه لانفسهم

واما في بلاد اليونان فان الزرازرة لم يفوزوا بما حظي به من النفوذ زملاؤهم الروميون فان زرازرة آثينة واسبرطة لم يقلدوا ذلك اللقب الا تقليداً ادبيًا ليس الا

وقد بقي الزرزار حتى في عهد بعض جمهوريات ايطالية الاخيرة كجمهورية البندقية مثلاً ثم انقرض بانقراضها

وكان اول دخول هذا اللقب عند الرومانيين في نحو سنة ٣١٠ من تاريخ رومية اي سنة ٤٤٤ قبل الميلاد · وكان قد لاحظ مجلس رومة الاعلى ان القناصل الذين كان من دأبهم الاشتغال بتسيير الوفود العسكرية كانوا يستطيعون ايضاً ان يحافظوا على اعمال الافراد الخاصة فكان اول من ارتقى الى هذه الدرجة العليا اثنان من البطارقة عَلَى ما رواه طيطس ليڤيوس

L. Papirius Mugillanus' L. Sempronius atratinus , Censui Agendo populus suffragiis Prœ fecit Censores, Abs reappellati

وكانت مدة مقامهم بادئ بدء خمس سنوات ينتخبونهم في مجالسهم الكبرى يسمون هذه المجالس مجلس القوامسة Comitia او مجلس الزرازرة Centuriata فقد قال احدهم وهو ق · اسكونيوس پدياُنس Q. Asconius Pedianus يعاد انتخاب الزرازرة كل خمس سنوات وهذه عبارته اللاتينية · Censores quinto quoque anno creari Solebant الا ان هذه المدة الطويلة وسوست في صدر الذين تقلدوها ما يكدر خواطر القناصل و يقلقها فقصرها الدقطاطور مامرقس اميليوس Mamercus Emilius فانزلها الى مدة ١٨ شهراً فامتعض من ذلك الزرازرة وانتقموا من صاحب هذا الاصلاح

بمحو اسمه من قبيلته وتقييده بين عداد دافعي الخراج ·

وكان من اللازم في بادئ الامر لمن يريد الحصول عَلَى هذه المرتبة العليا ان يكون المترشح لها من اصل شريف · الا ان هذا القيد لم يدم الا مائة سنة ثم عُدِّل لان القناصل كانوا يؤخذون من سواد السوقة فساووا اولئك بهؤلاء · واول من أُخذ من بين ظهراني الشعب هو ك · مرطيوس روتيليوس C. Marius Rutilius فانه علا وصار دقططوراً ثم رقي فصار زرزاراً مع منليوس نثليوس Manlus Maevius ومع الزمان سنّ المدبر الاعظم او الدقططور ق · پ · فيلون Q. P. Philon سنة ومما جاء فيها انه يجوز انتخاب السرسور من الرعية · والتاريخ يفيدنا ان ق پمپيوس Q. Pompeius وق · متلس Q. Metellus قلدا الزرزارية وهما من السوقة وذلك سنة ٦٢٢ من تأسيس رومة · ولم يكن من الضروري قبل الحرب الفونية الثانية ان يكون المسترشح ممن مارس امراً من امور القضاء الاكبر ليصبح اهلاً للزرزارية بما ان طيطس ليڤيوس يذكر ان پبليوس ليقينيوس كراسس Publius Licinius Crassus لم يكن الا امير ابنية édile فانتخب زرزاراً وحبراً اعظم معاً · الا انهم بعد ذلك العهد لم يعودوا يرقون الى هذه الرتبة الا من كان قنصلاً في السابق · ولم يكن يجوز لواحد ان يكون زرزاراً غير مرة واحدة في حياته ان كنت ممن وقف عَلَى ما كتبه ڤاليرس مكسيمس لتذكر انه قال عن م · روتيليوس انه من بعد ان اقيم زرزاراً للمرة الثانية وبخ الشعب توبيخاً شديداً على قلة احترامه لسنن اجدادهم اذ رأوا من المناسب تقصير مدة هذا القضاء لانهم تحققوا ان من بقي بيديه عنان هذه السلطة مدة مديدة يصبح قهاراً عسوفاً عضوضاً ومن ثم غدا انتخاب الزرزار للمرة الثانية مخالفاً لسنن السلف وقد قال پلينيوس الاصغر ان من يوسد الزرزارية للمرة الثانية عليه ان يأباها حباً بالمنفعة العامة

وكان سلاً ابطل الزرزارية الى وقت الا ان اوغسطس قيصر ازالها بتاتاً · وكان القياصرة يزاولون بانفسهم ما كان مترتباً عَلَى الزرازرة الى عهدة اسبسيانس · وبعد وفاة هذا العاهل دُثر اثر هذا القضاء المطلق حتى لم يبق منه الا الاسم · وحاول الامبراطور دقيوس اعادته فلم يفلح · وممن اشتهر بالزرزارية « قاطو او قاطون » حتى غلب عليه لقب الزرزار وعرف به · وقد اعتمدنا فيما كتبناه عَلَى عدة أسفار لعدة كتاب من روم « اولاتين » وفرنسو بين وانكليز ·

بغداد ساتسنا

رسائل الانتقاد

« تابع لما سبق »

هذا امرؤُ القيس

أقدم الشعراء عصراً . ومقدمهم شعراً وذكراً . وقد اتسعت الاقوال في فضله اتساعاً لم يفز غيره بمثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لا يكبو [1] وحسام نظمه لا ينبو [2] . وهيهات من البشر الكمال . ومن الآدميين الاستواء والاعتدال . يقول في قصيدته المقدمة . ومعلقته المفخمة

ويوم دخلتُ الخدر خدر عُنيزةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرجلي

فما كان اغناه عن الاقرار بهذا وما اشك [3] غفلته عما ادركه من الوصمة به وذلك ان فيه اعداداً كثيرة النقض والبخس منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه . ومنها قول عنيزة له لك الويلات وهي قولة لا تقال الا لخسيس . ولا يقابل بها رئيس . فان احتج محتج بانها كانت أرأس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب بعيراً بدرج او (بمو) ت [4] اذا ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج له بانه صبر على القول من اجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقاً لها من يقول لها

فمثلكِ حُبلى قد طرقت ومُرضعاً فالهيتها عن ذي تمائم مُحول

وانما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقته واطراح سواها كالقيسين في ليلى ولبنى وغيلان بمية وجميل ببثينة وسواهم كثير . فلم يكن لها عاشقاً بل كان فاسقاً [5] . ثم اهجن هجنة

---

(١) بالاصل : يكبوا (٢) بالاصل : ينبوا (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها اشد

(٤) هنا اثر اكل ارضة افسد اللفظ (٥) قال ابو فرج قدامة بن جعفر في تأليفه (نقد الشعر) « . . . اني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله فمثلك حبلى (البيت) ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلا كرداءته في ذاته . » وهذا يعارض انتقاد ابن شرف على البيت المتقدم

عليه . واسخن سخنة لعينيه . اقراره باتيان الحبلى والمرضع . فاما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في اتيانها . والاعراض عن شانها . منها ان الحبل علة وأشبه العلل بالاستسقاء . ومع الحبل كمود اللون . وسوء الغذا . وفساد النكهة . وسوء الخلق وغير ذلك ولا يميل الى هذا من له نفس سوقي . دع نفس ملوكي . وأعجب من هذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل من اجناسها . ولا تقرب منها حتى تضع احمالها . او تفارق فصلانها . ثم لم يكفه ان يذكر الحبلى حتى افتخر بالمرضع وفيها من التلويث بأوضار رضيعها . ومن اهتزالها واشتغالها عن احكام اغتسالها . وقد اخبر ان ذا التمائم المحول متعلق بها بقوله فالهيتها عن ذي تمائم محول واخبر انها ظائر ولدها لا ظائر له ولا مرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة وقيرة . ومثل هذه لا يصبو [1] اليها من له همة وهذه الصفات كلها تستقذرها نفس الصعلوك والمملوك . وقد قال ايضاً في موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى

سموتُ اليها بعد ما نام اهلها سُمو حباب الماء حالا عَلَى حال
فقالت لحاك [2] الله انك فاضحي ألست ترى السمار والناس احوالي [3]
حلفتُ لها بالله حلفة فاجرٍ لناموا فما ان من حديث ولا صالي [4]

فاخبر ههنا انه هين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها لحاك الله فحصل عَلَى لحاك الله من هذه وللك الويلات من تلك فشهد عَلَى نفسه انه مكروه مطرود غير مرغوب في مواصلته . ولا محروص عَلَى معاشرته . ولا مرضي بمشاكلته . ثم اخبر عن نفسه انه رضي بالحنث والفجور . وهذه اخلاق لا خلاق لها . ثم أقرّ في مكان آخر من شعره بما يكتمه الاحرار . ولا ينم بفتحه الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما دنوت تسديتها فثوباً نسيتُ وثوباً أُجرّ

واي فخر في الاقرار بالفضيحة عَلَى نفسه وعَلَى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمي

ولا اسأل الولدان عن وجه جارتي بعيداً ولا أرعاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه عَلَى ما كان ممنوعاً منه وذلك انه كان مبغضاً الى النساء جداً . مفروكاً من ملك عصبتها لاسباب كثيرة ذكرت . وكل من حرص عَلَى نيل شيء فمنع منه فعلاً . ادعاه قولاً . وله اشباه فيما اتاه . يدعون ما ادعاه . افكاً وزورا .

(١) بالاصل يصبوا (٢) في بعض نسخ ديوان امرئ القيس : سباك عوض لحاك
(٣) بالاصل احوال (٤) بالاصل : صال

وكذبًا وفجورا . منهم الفرزدق وهو القائل

هما دلياني من ثمانين قامة　　كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فهذا اول كذبة ولو قال من ثلثين قامة لكان كاذبًا لتقاصر الارشية عن ذلك وقد قرعه جرير هذا في قوله

تدليت تزني من ثمانين قامة　　وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مغرمًا بالزنا مدعيًا فيه . وقد بلي بموانع تصدفه عنه . منها ما شهر به من النميمة بمن ساعده . والادعاء على من باعده . منها دمامته ومنها اشتهاره . والمشهور يصل الى شهوة يتبعها ريبة . فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا . واستدعاء النساء وهن اغلظ عليه من كبد بعير . وابغض فيه واهجى له من جرير . وخذ اطرف هؤلاء الاجناس . وهو سحيم عبد بني الحسحاس . اسيود في شملة . دنسة قملة . لا يواكله الغرثان . ولا يصاليه الصرد العريان . وهو مع ذلك يقول[1]

واقبلن من اقصى البيوت يعدنني　　نواهد لا يعرفن خلقًا سوائيا
يعدن مريضا هن هيجن ما به　　الا انما بعض العوائد دائيا
توسدني كفًا وتحنو بمعصم　　عليَّ وترمي رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه . وتعلم ان الله لو اخلى الارض . فلم يبق رجلاً في الطول ولا في العرض . لم يكن هذا الزنمة الزلمة عند ادراك السودان الا كبعرة بعير . في معر عير . والممنوع من الشيء حريص عليه . مدع فيه . والمعد بما يهواه . كاتم

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح الا انه قليل وغير مدون . واحسن شعره قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان ترحلت غاديا　　كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهي التي اقتبس منها ابن شرف الابيات المارة . وقد ورد منها في كتاب الاغاني (طبعة مصر ج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لاغير :

تجمعن من شتى ثلاثا واربعا　　وواحدة حتى كملن ثمانيا
واقبلن من اقصى الخيام يعدنني　　بقية ما ابقين نصلاً يمانيا
يعدن مريضًا هن هيجن داءه　　الا انما بعض العوائد دائيا

له مستغن ببلوغ مناه · ودليل على ذلك ان المرقش الاكبر [1] كان من اجمل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة · وشدة محبة · وكان كثير الاجتماع بهن · والوصول اليهن وله في ذلك اخبار مروية ولم يكن في اشعاره صفة شيء من ذلك · فحسبك بذلك صحة على ما قلناه · فان قال قائل انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا هل اراد بما وصف في شعره الا الفخر · فان قال لم يرد ذلك وانما اراد اظهار عيبه قلنا ما احمق الناس اذاً هو · ولم يكن كذلك · وان قال نعم الفخر قلنا فقد نطق شعره بقدر ما اراد وترجم وترجم [2] عنه قريضه باقبح الاوصاف فاي خلل من خلال الشعر اشد من الانعكاس والتناقض · وكل ما يخزي من الشعر فهو من اشد عيوبه قال ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركان · الضعيف الاستمكان · المتزلزل البنيان · قوله

أمرخ خيامهم ام عشر ام القلب في اثرهم منحدر
وشاقك بين الخليط الشطر وممن اقام من الحي هر [3]
وهر تصيد قلوب الرجال وافلت منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذي لا يتناسب · ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذكر فرقة من احباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة · مضطربة منقلبة · سأل عن الخيام امرخ [4] هي ام عشر [5] وليست الخيام مرخاً

(١) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعيد بن مالك ينتهي نسبه لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم

وهو احد عشاق العرب المشهورين وصاحبته ابنة عمه اسماء · وكان المرقش يحسن الكتابة الحميرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا بالاصل — (٣) ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت على الصدر وفي بعضها بتغيير « شاقك بين الخليط الشطر » بالمصراع الآتي : « ام الظاعنون بها في الشطر » (٤) المرخ بالفتح شجر سريع الوري يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر اللين الرقيق (٥) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجود منه ويحشى في المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة · قال ابو حنيفة « والعشر من العضاه وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعداً في السماء · وفي الصحاح « وثمرته نفاخة كنفاخة القثاد الاصفر » (اقرب الموارد)

ولا عشراً وانما هما عودان[1] . فان اراد في مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام لان مرخه وعشره اتى بهما نكرتين فاشكل بذلك . وانما يجوز لو جعلهما معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده عَلَى ذلك . ثم قال

ام القلب في اثرهم منحدر

وليس هذا السوءال من السوءال الاول في شيء الا من بعد بعيد . واحتيال شديد . وقال بعد هذا

وشاقذ بين الخليط والشطر ومن اقام من الحي هر

فأتى بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر فقيمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقامتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاءه المتقدم لغير شيء . ثم قال

وافلت منها ابن عمرو حجر

فحسن عنده ان يخبر ان الناس قد صادت هر قلوب جميعهم الا قلب حجر ابيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحد حاجة اليها[2] . ومع هذا فقد اورد اصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة ابيه حجر فانظر ما في جملة هذه الابيات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز ثمامة . ولسنا ننكر بهذه العيوب ونزارتها . ما اقررنا له به من الفضائل وندارتها . وستجد من لا يصدق معاصراً . ولا يصدق على متقادم متأخراً . يبني عَلَى ضعف اسه . ويفديه من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودعه عَلَى اخلاقه . مستمتعاً بخلاقه . واتبع المسلك الذي اوضحته لك

---

(١) قال ابن رشيق (كتاب العمدة باب التتبيع) .. ومن اعجب التتبيع قول امرئ القيس . امرخ خيامهم (البيت) يقول انزلوا نجدا الذي من نباته المرخ ام الغور الذي من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامكم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به ... ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في اشعارها

(٢) جاء في عمدة ابن رشيق (باب الاستعارة) : فمنها قول امرئ القيس وهر تصيد قلوب (البيت) ... فكأن لفظة هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو ان اباه حجراً من فارات بيته ما اسف عَلَى افلاته منها هذا الاسف ... لا عَلَى ان امرأ القيس اتى بالخطإ على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين

قال ابو الريان وفضلاء الشعراء كثير جداً ولكل سقطات · وساقفك على بعضها لعظيم المؤونة في الاحاطة بها ليس الا لاوضح بذكرها منهجاً من مناهج النقد لاحرصاً على بغض الفصحاء · ولا قصداً الى تهجين الصرحاء · واية رغبة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا · وبهم افتخار جميعنا ·

قال زهير بن ابي سلمى عَلَى ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة · في هذه الصنعة · من مذهبته الحكمية · ومعلقته العلمية

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء عَلَى اننا لا نطالبه بحكم ديننا · لانه لم يكن عَلَى شرعنا · بل نطلبه بحكم العقل فنقول انما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو[1] وقد علم هو وعلم العالم · حتى البهائم · ان سهام المنايا لا تخطئ شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشقها فكيف يوصف بخبط العشواء رامٍ لا يقصد غرضاً من الحيوان الا اقصده حتى يستكمل رمياته · في جميع رمياته · وانما ادخل الوهم على زهير موت قوم غبطة وموت قوم هرما وظنوا طول العمر انما سببه اخطاء المنية وسبب قصره اصابتها وهيهات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم الا انها قصدته فحين قصدته اصابته · ولو ان الرماة تهتدي كاهتدائها · لملأت ايديها باقصى رجائها

وقال زهير ايضاً في مذهبته

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقد تجاوز هذا الحق الباطل وبنى قولا ينقضه جريان العادة · وشهادة المشاهدة · وذلك ان الظلم وعرة مراكبه · مذمومة عواقبه · في جاهليته واسلامنا · فحرض في شعره عليه وان كان انما اشار في شعره الى ان الظالم يرهب فلا يظلم فهذا قياس ينفسد واصل ليس يطرد لكن يرهبه من هو اضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمة بالظلم والمثل انما يضرب بما لا ينخرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا اصح واسلم لمن لا يظلم و يظلم

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعره واملحه عند العامة وكثير من الخاصة فها هنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق الابلج قال

---

(١) بالاصل ينجوا

تراه اذا ما جئتهُ متهللاً كأَنك تعطيه الذي انت سائله[١]

مدح بها شريفًا اي شريف فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيأ من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق مالاً عفواً بلا منة منيل ولا يد معط مستطيل لانه عند نفسه اكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف انه يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهلل وجهه ويمتلئ سروراً قلبه اذا اعطى سائله مالاً هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيراً وغر المستحسن بيته هذا ما جبلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كل الهمم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً يمدح سادة من الناس فذمهم بانواع الذم واكثر الناس عَلَى استحسان ما قال بل اظن كلهم عَلَى ذلك وهو قوله

عَلَى مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[٢]

فاول ما ذمهم به اخباره ان فيهم مكثرين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

الملحقين فقيرهم بغنيهم والمشفقين عَلَى اليتيم المرمل[٣]

---

(١) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري واولها :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(٢) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن ابي حارثة المري ومطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو واقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٣) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص٧٢) على الصورة التالية :

والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون عَلَى الضعيف المرمل

229

المرمل القليل المال وارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

وكما قالت الخرنق[1]

الخالطين لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

فهذا كله وابيك غاية المدح النقي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا من الخلل والزلل قال

عَلَى مكثريهم حق[2] من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ففي هذا القسم الاول عيوب على المكثرين . منها انهم ضيعوا القريب كما قدمنا ودعوا حق الغريب وصلة الرحم اولى ما بديء به ومن مكارم العرب حميتها لذوي انسابها وذبها عن احسابها والاقرب فالاقرب وما فضل عن ذلك فللأبعد ثم اخبر ان المكثرين ليس يسمحون باكثر من الاستحقاق في قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن اعطى الحق فانما انصف ولم يتفضل بما وراء الانصاف والزيادة عَلَى الانصاف امدح ثم اخبر في البيت ان المقلين على قدر قصور ايديهم اكرم طباعاً من مكثريهم عَلَى قدرهم في قوله

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وايثار والسماحة اعطاء غير اللازم فمدح بشعره هذا من لا يحظى منه بطائل . وذم الذين يرجو[3] منهم جزيل النائل وهذا غاية الغلط في الاختيار وفي ترتيب الاشعار ولزهير غير هذا من السقطات لولا كلفة الاستقصاء هذا عَلَى اشتهاره بانه امدح الشعراء واجزل الوافدين عَلَى الاشراف والامراء وسيتعامى المتعصب له عن وضوح هذا البيان وسينكر جميع هذا البرهان ويجعل التفتيش عن غوامض الخطاء والصواب استقصاء وظلما ومطالبة وهضما وزعم ان جميع الشعر لو طلب هذه المطالبة لبطل صحيحه وانعجم فصيحه والباطل الذي زعم والمحال الذي به تكلم فالسليم سليم والكليم كليم وانما سمع المسكين ان املح الشعر ما قلت عباراته .

(١) هي الخرنق بنت بدر بن هفان اخت طرفة بن العبد لامه وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (٢) في عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ رزق بدل حق (٣) بالاصل يرجوا

وفهمت اشاراته ولحت لحه، ولمحت ملحه ورققت حقائقه وحققت رقائقه واستغني فيه بلمحه الدالة عن الدلائل المتطاولة وامثال هذا الكلام في استعمال النظام فتوهم ان خلل الشعر وزلله وضعف اركانه وتناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغواً وانعكاس مدحه هجواً داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم للعطف ورفعك عليهم الانف واعرض عنهم بالفكر والذكر كبراً وان لم تكن من اهل الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين الفحلين والمتقدمين القديمين ما يغني عن التفتيش عَلَى سقطات سواهما فقس عَلَيَّ ما لم تره بما ترى واعلم ان كل الصيد في جنب الفرا[1] . قال ابو الريان ومن عيوب الشعر اللحن الذي لا تسعه فسحة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتاً او مجلف

فرفع مجلفاً وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطفي

ولو ولدت فقيرة جرو كلب   لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل ايضاً بعض النحويين عَلَى وجه الاقفاء احسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يعتذر منه بفسيح من العذر فكيف بضيق ضنك .
قال ومما يعاب به الشعر و يستهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير

وتقول بوزع قد دببت على العصا   هلا هزئت بغيرنا يا بوزع[2]

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير واملحها واجزلها وافصحها . فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة وللفرزدق ايضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره قال و يكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير اوله كقول الفرزدق

---

(١) هكذا بالاصل والمثل المشهور انما « كل الصيد في جوف الفرا » كما ورد في الحديث الشريف وقد نظمه بعضهم في قوله

كل الصيد في جوف الفرا   مثل يساق بغير خلاف

(٢) البيت من قصيدة في مدح بعض بني امية قيل لما وصل جرير في انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح — افسدتها ببوزع

230

وما مثله في الناس الا مملكاً ابو امة حيٌّ ابوه يناسبه[١]

يمدح به ابراهيم بن هشام المخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك فمعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي الا مملك، يعني هشاماً ابو امه اي جد هشام لامه ابو ابراهيم هذا الممدوح فهو خاله اخو امه فهو يشبهه في الناس لا غير وهذا غاية التعقيد والتنكيد وليس تحته شيء سوى انه شريف كأ بن اخته شريف البقية للآتي

ترجمة قانون الجمعيات

— و —

شرح المغمض منه

لو فتحنا قلب البشر بسكين نفوذ النظر لوجدنا في كل قلب(غاية) ولوراجعنا التاريخ من الخليقة الى اليوم لتمثلت لنا الغايات وهي لم تخرج من الفكر الى حيز الوجود الا بالاتحاد والاجتماع ولو حللنا ارواح العالم الذي يحولنا من عرب وترك والمان وروس وانكليز الخ لوجدنا ان اجتماعهم واتحادهم وتعاونهم لا يخلو من امرين : اما خيري واما شري . ولو نظرنا بمنظار الدقة الى الحادثات الروحية لوجدنا ايضاً ان كل خير وشر هو نسبي لا قطعي ومتحول ومتبدل بحسب الزمان والمكان . الخير لزيد شر لبكر . وهكذا كل الموجودات سواء كانت مجردة او مادية او حسية او خيالية او عقلية

فلمثل هذه الاسباب ربطت جميع الحكومات[٢] المتمدنة الاجتماع والاتحاد بقوانين

(١) في رواية يقاربه بدل يناسبه وقال صاحب كتاب الصناعتين البيت في مدح هشام بن اسماعيل

(٢) كلة حكومة تتضمن مفهوم كلة دولة . اذا قيل دولة يقصد منها (١) الملك (٢) مجلس الوكلاء (٣) مجلس النواب (٤) مجلس الاعيان . واما كلة حكومة فهي مختصرة اكثر لانها لا تفيد الا مجلس الوكلاء بالاستانة ونوابه في الولايات وهذا المجلس مؤلف من اثني عشر رجلاً وهم الصدر الاعظم وهو الرئيس (٢) شيخ الاسلام (٣) ناظر الاوقاف (٤) ناظر العدلية (٥) المالية (٦) الداخلية (٧) الخارجية (٨) الحربية (٩) البحرية (١٠) التجارة والنافعة (١١) المعارف (١٢) مستشار الصدارة . و يقال لمجموع هذا المجلس عند علماء اصول الادارة القوة الاجرائية . ثم هناك فرق آخر بين مفهوم كلة دولة ومدلول

خاصة مثل قانون الجمعيات وقانون الجماعات . وقانون التجارة وكتاب الشركة من قانون المجلة

نعم كل القوانين تبحث عما يتولد من الاجتماع والاتحاد لان موضوعها كناية عن المعاملات وهذه لا تكون بين فرد واحد مطلقاً بل عَلَى الاقل بين شخصين

اذاً يمكن تقسيم القوانين التي تبحث عن الاجتماعات الى قسمين الاول ما يبحث عن المعاملات المعتادة والمتكررة مثل قانون مجلة الاحكام العدلية ومنها ما يبحث عن اجتماع قسم خاص من الخلق ولكنه ايضاً كالاول معتاد مثل قانوني التجارة البري والبحري وقلما يتولد من هذا القسم ما يكدر الراحة العامة ولذلك لا تجد لموظفي الادارة الملكية به علاقة مباشرة اما القسم الثاني فهو يبحث عن الاجتماعات التي لا تكون معتادة ومتكررة وقد يمكن ان تكون في بعض الاحايين من الامور العظيمة والمخلة بالامن العام مثل الاجتماعات التي تقع لاجل الاحتجاج عَلَى عمل من اعمال الحكومة . ولهذا وضع قانون الاجتماعات دفعاً لكل محظور . ثم هناك اجتماعات منظمة ومتكررة لاستحصال امر مقرر عند المجتمعين ولما كان من الممكن ان يكون هذا الاجتماع مغايراً لسياسة الحكومة ربطته ايضاً بقانون وسمته قانون الجمعيات . وهو غير قانون الاجتماع

***

اعتقد اعتقاداً جازماً بان هذا التذبذب الاداري المشهود الآن ناشئ من امرين الاول عدم حصول ملكة الادارة عند رجال الادارة والثاني جهل الشعب حقوقه وواجباته . و بعد فان القانون عبارة عن مجموعة عادات راسخة في الاذهان ولذلك لا تقبل الحكومات الاعتذار بجهله ولكن ذلك فيما اذا كان هذا القانون مجموعة عادات الامة المكلفة بتطبيقه لا مجموعة عادات امة اخرى لا تستطيع ان تفهمه فضلاً عن تطبيقه . ولو فرضنا الشعب شخصاً واردنا الباسه لباس شخص آخر لماامكنه اكتساؤه ولظهر لاول وهلة بشاعة هذا اللباس المادي . وهكذا القوانين التي لا توافق مزاج الامة

كلمة حكومة وهو ان معني الدولة اعم من معنى الحكومة مثال يقال ان الحكومة العثمانية والدولة العثمانية ولكنه لا يقال دولة دمشق بل يقال حكومة دمشق . وخلاصةاسباب ذلك ان معنى الحكومة الحاكمية الداخلية ومعنى دولة الحاكمية الداخلية والخارجية . ودمشق لا يوجد لها حاكمية خارجية وهل يوجد لها سفير بمثل حاكميتها الخارجية ؟ فلذلك كلمة دولة اعم من كلمة حكومة

فمن فقدان ملكة الادارة واشباع الذهن بوجوب التفرنج ونفرة الامة من هذا الحال وجهلها القانون تظهر شرارة الاختلاف وحينئذ ينسى الموظف الخدمة العامة ويصبح آلة انتقام لمن يعاكسه والامة ايضاً تقابله وهناك ما هناك والعياذ بالله

فلازالة هذه الحال ارى الحاجة ماسة كل المساس لترجمة القوانين للعربية حتى تكون امتنا عارفة حقوقها مراعية واجباتها ٠ ولما كانت الترجمة وحدها لاتكفي بالنظر لان القوانين تكون مختصرة عَلَى الاغلب ومبنية عَلَى نظريات العلماء ومستندة عَلَى القوانين الاخرى ارتأيت ان اشرح ما اظنه محتاجاً للشرح ٠ اقدمه لقراء المقتبس الشهر بعد الشهر

***

المادة الاولى الجمعية هي كناية عن اشخاص عديدين وحدوا معلوماتهم ومساعيهم لوقت غير محدود لاستحصال مقصد معلوم غير مقاسمة الارباح

ايضاح — لو كان القصد من توحيد المساعي استحصال الربح لقيل للجمعيتين وقتئذ شركة عوضاً عن جمعية

ثم معنى (لوقت غير محدود) كما هو مذكور في ضمن المادة هو تفريق الجمعية عن الاجتماع ٠ لان هذا يحصل بغتة ويزول سريعاً ٠ سواء كان مرتباً او غير مرتب اما الجمعية فهي اتفاق اشخاص عديدين بصورة الترتيب ولوقت غير محدود لاستحصال امر معلوم ٠ وقصارى القول ان الاجتماع يقع لامر وقتي مثل الاحتجاج عَلَى عمل ما اوالقاء محاضرة وينتهي عند انتهاء الاحتجاج او اتمام القاء المحاضرة ٠ ويكون مرة واحدة ٠ اما الجمعية فاجتماعاتها تدوم وتتكرر

وقد مر في المتن كلمة (اشخاص عديدين) بدون تعيين العدد المطلوب ٠ وهذه مسألة مهمة ٠ والاغرب ان القانون ساكت عنها كل السكوت ٠ والغالب انه تركها لاجتهاد مأموري الادارة ٠ فلذلك نتحرى اقوال علماء اصول الادارة الملكية والاوامر التي تصدر من مراجعها ودلالة القوانين الاخرى

يقول بعضهم ان اجتماع ثلاثة اشخاص بدون اعلام الحكومة ممنوع وبعضهم يقول يجب ان يكون العدد تسعة وبعضهم يقول احد عشر والكل متفق عَلَى ان الحد الاعظم هو العشرون ٠ وبعضهم يقول ان الحرس يتألف غالباً من شرطي وثلاثة انفار درك وهؤلاء لا يقدرون عَلَى تفريق اكثر من ستة عشر شخصاً بالصورة الجبرية فلذلك يجب ان

يكون الحد الاعظم الممنوع قانوناً ستة عشر وما زاد فهو ممنوع ومجلبة للجزاء

اما الاوامر فهي ضيقة جداً لانها تعين الحد الممنوع باجتماع عشرة اشخاص حتى ان الورقة المختومة باحد عشر ختماً ترد ولا تقبل

واما دلالة القوانين الحاضرة فتدل عَلَى ان حد الاجتماع ثلاثة اشخاص . وهذه المادة الاولى من قانون تعطيل الاشغال تقول اذا حصل اختلاف بين العملة وصاحب المشروع المالي فينتخب العملة من بينهم ثلاثة اشخاص للوكالة عنهم كلهم . وهذا يدل على انه لو انتخب العملة اكثر من ذلك لما جاز اجتماعهم استناداً على المادة السادسة من قانون الجمعيات . والمادة الثالثة من قانون الجماعات . وهناك دلالة اخرى ايضاً وهي كذلك مستفادة من قانون تعطيل الاشغال وصراحة مادته الثالثة وهي : ما دام العملة ينتخبون ثلاثة وكلاء وصاحب العمل ينتخب ثلاثة من قبله ونظارة النافعة تعين واحداً الرئاستهم اذاً يستنتج بان حد عدد الاجتماع هو سبعة اشخاص

ويا ليت واضع القانون عين هذا العدد واراحنا من هذه الظنون . وسد لنا باب هذا الاختلاف الذي ربما قامت القيامة بولاية جمعاء من اجله ! كما نرى بان الاختلافات تنشأ من اقل الامور تفاهة ثم تنمو وتكبر

سألت مرة متصرفاً عالماً ومدققاً اسمه جمال بك عن قصد واضع القانون من هذا السكوت وترك هذا الامر المهم مبهماً فقال لي ان القصد من ذلك هو افتراض واضع القانون بان مأموري الادارة اذكياء بعيدو النظر سريعو الانتقال ولذلك لم يرد تقييدهم بل ترك الامر لفراستهم وهل تستطيع ان تنكر علي بانه قد يمكن ان يتولد من اجتماع ثلاثة اشخاص من ارباب النفوذ المزورين الذين لا يخجلون وديدنهم ظلم الفقير وتلويث سمعة الشريف اضرار اكثر من اجتماع ثلاثمائة شخص آخرين ولهذا السبب ترك واضع القانون هذا الامر بدون تحديد حتى يتسنى لمأمور الادارة الضرب عَلَى امثال هؤلاء الشياطين

المادة الثانية ليس تأليف الجمعيات متوقفاً عَلَى استحصال رخصة من الحكومة الا انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية وفقاً للمادة السادسة

ايضاح — ليس في هذا الكون شيء بلا مبداء ومنتهى مطلقاً وهذا المبدأ والغاية يسمى حداً لما بينهما . نعم للافراد الحرية بتأليف الجمعيات الا ان لهذه الحرية حداً وهو

232

عدم الاتفاق عَلَى شيء يخل بالراحة العامة اومايعاكس سياسة[١] الحكومة[٢] وادارتها[٣] . فلهذا يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية بتأليفها كما سيأتي في المادة السادسة من هذا القانون

مر في المتن انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية عَلَى كل حال ولكن القانون لم يعين هذه المدة ايضاً بل تركها لاجتهاد مأموري الادارة واما العلماء فيعينون لهذا الاخبار مدة اسبوع . وبعضهم مدة اربع وعشرين ساعة . وبعضهم قال بوجوب الاخبار حين افتراق الاعضاء وختام المذاكرة وهذا هو الصحيح دفعاً لكل طارئ وهو اقرب لمآل هذا القانون وانفع لمؤسسي الجمعية . لان المادة السادسة من قانون الجمعيات تقول انه يجب اخبار موظفي الادارة الملكية بمجرد التأسيس لها ثم سرعة الاخبار اوفق لمصلحة المؤسسين للجمعية اذ لو فرضنا بان الجمعية تألفت يوم الجمعة واعطي القرار بالاخبار عنها يوم الاحد واستدل البوليس عَلَى وجودها يوم السبت لجاز له منعها وجوزي المؤسسون بالجزاء المدرج في المادة الثانية عشرة من هذا القانون استناداً عَلَى دلالة المادة السادسة

مر بالمتن ان تأليف الجمعية لا يتوقف عَلَى اخذ رخصة الخ ومعنى هذا ان مأموري الادارة الملكية مضطرون ان يرخصوا بتأليف اي جمعية كانت خلا ماهو مذكور في المادة الثالثة والرابعة والخامسة . اذاً هذا الاخبار المطلوب بمقتضى المادة السادسة لا يتضمن الاستئذان بل لاجل التنبيه فقط . وبمجرد الاخبار يعطى للمخبر علم وخبر بموجب المادة المذكورة وهذا اجباري . وهذا يتضمن الاعتراف بوجود الجمعية ولا يسوغ لمأموري الادارة التعلل باعطاء هذا العلم والخبر

المادة الثالثة ممنوع تأليف الجمعيات التي تكون مبنية عَلَى اساس غير مشروع مغايرة لاحكام القوانين الموضوعة وللآداب العامة او مؤسسة عَلَى اساس الاخلال بحدود

---

(١) السياسة معاملة الحكومة مع الدول الاجنبية او معاملاتها داخلاً التي لها علاقة مع تبعة الدول الاخرى او مجموع التدابير ولو كانت داخلية صرفة لها مساس بمستقبل الامة

(٢) اذا قيل حكومة يجب ان يخطر عَلَى البال مأمورو الادارة الملكية وهم الصدر الاعظم وناظر الداخلية والولاة والمتصرفون والقائممقامون والمديرون والمختارون ومجلس الوكلاء

(٣) كلمة ادارة تشمل معاملات الحكومة الداخلية وهي اقل شمولاً من كلمة سياسة لان هذه تشمل الاجانب والوطنيين بعكس الادارة فانها خاصة بالتبعة الوطنيين

الدولة الملكية او تغيير شكل الادارة الحاضرة اوتفريق العناصر العثمانية سياسياً وتحتوي هذه المادة على قيود ستة واليك تشريحها :

ايضاح — منع القانون تأسيس الجمعيات القائمة عَلَى اسس ستة · واباح جميع مقاصد الجمعيات التي هي غير داخلة ضمن هذه الستة الانواع

اولاً مغايرة احكام القوانين : الارض التي لا تزرع ثلاث سنين تعد محلولة وتؤخذ من المتصرف بها ما لم يدفع بدل المثل فان دفع فيها وان لم يدفع فتباع بالمزاد من غيره بموجب المادة الثامنة والستين من قانون الاراضي فلواراد اناس تأليف جمعية لاجل منع هذا الحكم القانوني فلا يسوغ لهم تأليف جمعية لهذا المقصد · وحينئذ لا يأخذون علماً وخبراً من مأمور الادارة الملكية وان أسسوها فتمنع وفقاً للمادة الثانية عشرة من قانون الجمعيات

ثانياً مخالفة الآداب العامة — لا يعطى علم وخبر بموجب المادة السادسة لمؤسسي جمعية تود ترويج عادة جلوس النساء في محال القهوة · لان آدابنا الاسلامية لا تسمح بذلك وامثاله

ثالثاً العبث بحدود الدولة هذا شيء مفهوم وغني عن الايضاح

رابعاً الاخلال بالامن العام ولو بالواسطة :الطلاق عندنا شرعاً جائز فلو فرضنا انه تألفت جمعية لمنعه لاقتضى منعهالان مثل هذه الاعمال تؤدي الى كسر خاطر المسلمين و بالنتيجة ربما تؤدي لما لا تحمد عقباه · فاذا ادى تأليف الجمعية والحالة هذه لاخلال الامن العام مباشرة او بالواسطة فهو بالحكم سيان في نظر مأموري الادارة

خامساً تغيير شكل الحكومة الحاضرة : وهذا ايضاً ممنوع لانه ليس من خصائص الجمعيات بل من خصائص المجلسين

سادساً تفريق العناصر : وهذا ايضاً ممنوع وغني عن التشريح

المادة الرابعة :ممنوع تأليف الجمعيات السياسية المؤسسة على اساس القومية والمعنونة بعنوان الجنسية

ايضاح -- الكلام هنا من شأن المبعوثين ولذلك امرّ به بدون ان انظر فيه

المادة الخامسة يجب ان لا تكون سن من يود الالتحاق باحدى الجمعيات اقل من عشرين عاماً وان لا يكون محكوماً عليه بجناية او محروماً من الحقوق المدنية

ايضاح — هذه الماده تبحث عن شروط من يود ان يكون عضواً لاحدى الجمعيات وهي ثلاثة :

الشرط الثاني — ن لا يكون محكوماً عليه بجناية والقصد من هذا الشرط الترهيب من الافعال الجنائية لان القوانين هي كناية عن ناظم للاخلاق والجناية هي الحبس في الكورك موقتاً او مؤبداً والحبس في احدى القلاع والنفي المؤبد والحرمان من المأموريات والسقوط من الحقوق المدنية

الشرط الثالث — وضعت ايضاً للقصد السالف الذكر والحقوق المدنية كناية عن (١) الحرمان من الاستخدام في الحكومة (٢) ان يكون محروماً من الحقوق البلدية مثل عدم استخدامه بامر رسمي في بلده او عدم ملته او عند ابناء صنعته « ٣ » ان لا يكون معلماً «٤» ان لا يستخدم في تحقيق امر من الامور « ٥ » ان لا تقبل له شهادة « ٦ » ن لا يكون وصياً « ٧ » ان لا يحمل السلاح . وهذا بموجب المادة الثالثة والحادية والثلاثين من قانون الجزاء

الشرط الاول — هذا داري خوفاً من ان تكون الجمعيات مجمع اولاد .

المادة السادسة تأليف جمعيات خفية ممنوع منعاً باتاً . وعند تأسيس جمعية من نوعها يجب في الحال اعطاء بيان لناظر الداخلية في فروق ولاكبر مأمور ملكي خارجها محتوياً عَلَى عنوان الجمعية ومقصدها وعلى مركز ادارتها واسم المكلفين بادارتها ومهنهم وشهرتهم ومحال اقامتهم ويجب ان يكون هذا البيان مختوماً وممضياً . وحينئذ يعطى علم وخبر بمقابل هذا البيان . ولا بد من ربط نسختين مختومتين بختم الجمعية الرسمي لهذا البيان ثم بعد اخذ العلم والخبر يعلن مؤسسو الجمعية وجودها ويجب على الجمعيات اخبار الحكومة عن التعديلات التي يجرونها بنظامها الاساسي اوفيما يتعلق بهيئة ادارتها اومحل اقامتها واما حكم التبديلات والتعديلات تجاه شخص ثالث فهو معتبر من يوم الاخبار بهذه التبديلات والتعديلات للحكومة ويجب قيد هذه التعديلات والتبديلات في سجل خاص لابرازه عند كل طلب يقع من مأموري العدلية والملكية

ايضاح -- الجمعية الخفية هي التي ليس معها علم وخبر من مأمور الادارة سواء كان في الاستانة او في الولايات لان القسطنطينية ايضاً صبحت اليوم ولاية كسائر الولايات . ولها وال يقوم مقام ناظر الداخلية

يجب ان يحتوي البيان اولا على عنوان الجمعية لنفوذ حكم المادة الرابعة . وثانياً على مقصدها وهذا لاجل مراعاة المادة الثالثة . وثالثاً على مركز ادارتها وهذا لاجل التفتيش وفقاً لحكم المادة الثامنة عشرة ورابعاً عَلَى اسم الاعضاء وصنعتهم ومحل اقامتهم

وهذا ايضاً لمراقبة احوالهم ولتنفيذ احكام المادة السادسة والثانية اي مراقبة الحكومة لكل ما يجري بداخل المملكة وخامساً عَلَى نسختين من نظامها الاساسي لتبقى واحدة عند مأمور الادارة والاخرى عند مأموري الشرطة · والعلم والخبر لاجل دفع الشبهة بانها جمعية خفية ·

المادة السابعة يجب ان يكون لكل جمعية هيئة ادارة مؤلفة من شخصين عَلَى الاقل واذا كان لها شعب ينبغي ان تكون لها هيئة ادارة في مركز كل واحدة منها · ثم يقتضي مسك دفتر عند كل هيئة لاجل قيد (١) هوية اعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم اليها « ٢ » مقررات هيئة الادارة ومفاوضاتهم وتبليغاتهم « ٣ » وقيد واردات الجمعية ونفقاتها بحسب الافراد · ويقتضي ابراز هذا الدفتر لمأموري المدلية والملكية عند كل طلب

المادة الثامنة للجمعية التي تتألف وفقاً للمادة السادسة الحضور للمحاكم بصفة مدعي ومدعى عليه بالواسطة « راجع المادة التاسعة » واما واردات الجمعيات فهي بقطع النظر عما تمدها به الحكومة اولاً كناية عن الحصة النقدية التي يدفعها الاعضاء المشروط عدم تجاوزها الاربعة والعشرين ليرة سنوياً ثانياً المحل الخاص بادارة الجمعية واجتماع اعضائها ثالثاً بمقدار ما يلزمها من الاموال غير المنقولة لاجل مقصدها وعملها هذا يجب ان يكون وفقاً للنظامات الخاصة بمثل هذه المسائل وممنوع عمل الجمعيات بالاموال غير المنقولة عدا ما ذكر

ايضاح — كل حرف من هذه المادة مبني عَلَى قصد اداري وسياسي بعيد بآن واحد ولا تسمح لي حالتي الجهر به الآن

المادة التاسعة ينوب عن الجمعية في المجالس والمحاكم كاتبها العام او مديرها ومراجعتهما هذه ينبغي ان تكون تحت تواقيعهم وباستدعاء عليه طابع ثم يجب تعيين هوية مثل هؤلاء الاشخاص في نظام الجمعية الاساسي

ايضاح — ذكر في المادة السادسة انه يقدم للحكومة نسختان من النظام الاساسي فاذا كان هذا المدير او الكاتب غير مستوف للشروط اللازمة والمذكورة في المادة الخامسة يرد ولا يقبل

المادة العاشرة يسوغ لاعضاء الجمعيات الانسحاب منها في كل وقت شاؤا ولو كان عكس ذلك مشروطاً في نظامها الاساسي بشرط ان يكون المنسحب ادى جميع ماعليه

من التقاسيط ولا سيما تقاسيط السنة الحالية

ايضاح — لو فرضنا جمعية ذا نظام يحتوي على مادة تنبئ بعدم جواز انسحاب الاعضاء منها حتى الممات واراد احد اعضائها الانسحاب منها جاز له ذلك لان هذا الشرط لغو بموجب هذه المادة ولكنه من المتحتم عليه دفع ما تعهد به بتلك السنة

المادة الحادية عشرة ممنوع ادخال الاسلحة النارية والجارحة لمحل اجتماع الجمعيات وحفظها فيها ومع هذا يجوز وجود بعض اسلحة الصيد والسيوف الصغيرة لاجل التعليم بشرط ان يكون للضابطة خبر بذلك

المادة الثانية عشرة الجمعيات التي لم تؤلف وفقاً للمادة الثانية والسادسة ولم تقدم بياناً للحكومة لاجل الاخبار والاعلان تمنع ويجازى مؤسسوها وهيئة ادارتها وصاحب محل الاجتماع ومستأجره بالتغريم من خمس ليرات الى خمسة وعشرين ليرة · واما اذا كانت هذه الجمعيات مؤلفة لاجل المواد المضرة والممنوعة والمدرجة في المادة الثالثة والمصرح بجزائها في قانون الجزاء فيكون الجزاء حينئذ وفقاً لذلك القانون ·

ايضاح — كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة فهي خفية لان اعلان وجود الجمعية لا يجوز قبل اخذ العلم والخبر الذي يعطى بمقابلة البيان المتضمن تفصيل احوال الجمعية ومقاصدها اذ بمجرد الاستعلام عن مثل هذه الجمعية يشرع رجال الشرطة بمراقبتها وعند ما يحققون وجودها تمنع ومعنى المنع هو الاخطار اولا بالكلام ثم الجبر عَلَى كل حال اي يمنع البوليس الداخلين اليها فان امتنعوا فبها ونعمت وان لم يصغوا اليه فيمنعهم بالقوة فان قابلوه بالضرب يقابلهم وان شهروا السلاح فيشهر هو السلاح ايضاً والحاصل معنى المنع رفع الفعل المنهي عنه قانوناً عَلَى كل حال ولو ادى لازهاق الارواح · والبوليس غير مسؤول عن عمده الى القوة في الحظر · وقد ذكر جزاء المواد المدرجة في المادة الثالثة من هذا القانون في الفصل الاول والثاني من قانون الجزاء · فمن اراد الوقوف عليه فليراجعه هناك · وهذا الجزاء المدرج في هذين الفصلين من قبيل الجنايات ·

اما الجزاء النقدي المدرج في متن هذه المادة فهو خاص بالجمعيات التي يكون مقصدها مباحاً وحسناً والسبب في ذلك التهاون الواقع بعدم اخبار الحكومة وفقاً للمادة السادسة فاذا لم يقدم للحكومة بيان يتضمن كيفية تأسيس الجمعية فالجزاء محقق سواء كان القصد مشروعاً او غير مشروع الا ان هناك فرقاً مهماً وهو ان كان القصد

حسناً فالجزاء نقدي خفيف وان كان سيئاً فالجزاء جسماني وشديد

المادة الثالثة عشرة من يخالف احكام المادة السادسة عدا ما يتعلق باعلان الجمعية والاخبار بها واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة يغرم بجزاء نقدي من ليرتين الى عشرة واذا تكرر الحال فيجازى بضعفي الجزاء ومن يبقي الجمعية التي منعت طبقاً للمادة الثانية عشرة او يؤسسها و يديرها مجدداً يجازى بالتغريم من عشر ليرات الى خمسين و بالحبس من شهرين الى سنة وهكذا من يقدم محلا لاجتماع اعضاء الجمعيات الممنوعة يجازى بنفس الجزاء

ايضاح — تشرح هذه المادة الجزاء الخاص بمن يخالف بعض مواد هذا القانون اما من يخالف مندرجات المادة السادسة التي تبحث عن كيفية الاخبار بالجمعية والاعلان عنها فجزاؤه مصرح به في المادة الثانية عشرة واما من لم يخبر الحكومة بالتعديلات والتبديلات التي تجريها الجمعية وفقاً للفقرة الاخيرة من المادة السادسة او من لم يقيد هذه التعديلات والتبديلات في سجل مخصوص او من يمتنع عن ابراز هذا الدفتر لمأموري العدلية والملكية فيجازى بحسب هذه المادة الثالثة عشرة . وهذا هو معنى القيد المدرج في المتن اي (ما عدا ما يتعلق بالاخبار عن الجمعية) وما سوى هذا فهو يستلزم الجزاء بموجب المادة الثانية عشرة لا بموجب هذه المادة

واما مخالفة المادة الخامسة والرابعة والسابعة والتاسعة فيكون بموجب هذه المادة

تنبيه : هذا بعد ان يفرقهم البوليس يجازون بهذا الجزاء . واما ان خالفوا البوليس واصروا على عدم التفريق فيجازون بجزاء من يخالف اوامر الحكومة والبوليس معذور باستعمال جميع انواع القسوة

المادة الرابعة عشرة اذا انفسخ عقد جمعية برضى اعضائها واختيارهم او انفسخت بموجب نظامها الاساسي او منعتها الحكومة فتعطى اموالها الى من تقرره هيئة الجمعية العامة فيما اذا لم يكن في نظامها الاساسي صراحة بذلك . واما ان وجدت صراحة تعرف كيفية تقسيم الاموال فيعمل بموجب هذه الصراحة . واما اذا كانت الجمعية منعت بالنظر لموافقة قصدها لمندرجات المادة الثالثة فتصادر الحكومة اموالها

المادة الخامسة عشرة الاندية تعد جمعيات

ايضاح — يجب على كل ناد ان يوفق جميع اعماله على هذا القانون

المادة السادسة عشرة اعتباراً من تاريخ اعلان هذا القانون يجب على كل جمعية

ان تعطي للحكومة بياناً وان تعلن وجودها في خلال شهرين وفقاً للمادة الثانية والسادسة

ايضاح — نشر هذا القانون في ٣ آب سنة ٣٢٥ اذاً فاعتباراً من ٣ تشرين الاول عام ١٣٢٥ تجازى كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة وفقاً للمادة السادسة وتعد خفية وممنوعة وذلك بموجب المادة الثانية عشرة

المادة السابعة عشرة لا تعتبر الجمعيات خادمة للمنافع العامة ان لم يصدق عليها شورى الدولة . و يصدق عَلَى ذلك من قبل الدولة . ولهذه الجمعيات اجراء جميع المعاملات الحقوقية التي لم يمنعها قانونها الاساسي . ويجب قيد الاسهام التي تكون باسم حاملها في دفتر الجمعية وعَلَى اسمها . ولا يسوغ للجمعية قبول الاموال التي يوصى بها وتوهب اليها بدون رخصة الحكومة . المال غير المنقول الذي يهدى للجمعية و يظهر بانه غير لازم لقيامها بواجباتها يباع و يعطى لصندوق الجمعية ويجب التصريح بالمدة التي سيباع بها في قرار قبول هذا المال غير المنقول من قبل الجمعية

ايضاح — معنى التصديق من قبل الدولة هو الاقتران بالارادة السنية ولو قيل في متن المادة من قبل الحكومة لكان القصد بذلك الامر السامي اي من قبل الصدر الاعظم لان تمثال الحكومة الصدارة وتمثال الدولة مقام السلطنة العظمى . وقد مرت في المتن كلمة (اموال) والمال قسمان منقول وغير منقول والجمعيات اذاً ممنوعة عن قبول جميع الوصايا والهبات عَلَى الاطلاق سواء كانت منقولة او غير منقولة بدون رخصة الحكومة . والدليل عَلَى ذلك ان كلمة اموال ذكرت في المتن مطلقة بدون قيد والمطلق يجري عَلَى الكمال والتعميم . وسبب الترخيص بذلك من قبل الحكومة مبني على مقاصد ادارية وسياسية

ثم تقدير لزوم المال غير المنقول والموصى به او الموهوب للجمعية فهو للحكومة ايضاً بموجب هذه المادة . وهذا تابع ايضاً لاجتهاد مأموري الملكية لحكم ادارية . ويجب على الجمعيات التي تقبل مثل هذا المال ان تصرح بقرار قبوله مدة بيعه وفقاً لمنطوق هذه المادة . وان لم تفعل فلا تجري لها معاملة في اقلام الطابو

المادة الثامنة عشرة للضابطة حق التفتيش على الجمعيات والاندية . ويجب ان يكون محل اجتماعهم مفتوحاً لزيارة الضابطة في كل وقت . ويجب عَلَى مأموري الضابطة ابراز ورقة من مأموري الملكية تتضمن امرهم بالدخول لمحل اجتماع الجمعيات

ايضاح — قيل في المتن انه يحق للضابطة التفتيش عَلَى الجمعيات في كل وقت ليلاً ونهاراً . لان كلمة كل وقت مطلقة تشمل جميع الاوقات . اما منع قانون الجزاء الدخول

للمساكن بعد الساعة الواحدة ليلاً فلا يعتد به هنا من وجهين الاول هو ان هذا القانون صدر بعد ذلك والثاني ان قصد قانون الجزاء المساكن الخاصة والقصد هنا معلوم من سياق الكلام بان هذا التفتيش ليس لمساكن اعضاء الجمعية بل لمحل اجتماعهم

المادة التاسعة عشرة ناظر الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون

٢٩ رجب عام ١٣٢٧ و٢ آب عام ١٣٢٥ انتهى

ايضاح — من العادة ان توضع مادة في آخر كل قانون تبين المرجع فيه وهذه المادة تدل بان اجراء هذا القانون من وظيفة مأموري الداخلية والعدلية . منع الجمعيات الخفية والتفتيش عليها ومراقبتها من شأن مأموري الداخلية وتطبيق الجزاء عَلَى من يخالف هذا القانون من وظيفة رجال العدلية

بيروت حسني عبدالهادي

مختصر تاريخ

الطباعة والصحافة التركية العثمانية

— ١ —

الطباعة

اول كتاب طبع بالحروف العربية كتاب الادعية السبعة طبع سنة ١٥١٤ ميلادية في (فانو) من اعمال ايطاليا . وطبع القرآن الكريم في ايطاليا ايضاً على يد رجل يدعى ديبسكيا سنة ١٥١٨ ثم طبعت كتب مهمة بالحروف العربية بين سنة ١٥٨٥ وسنة ١٥٩٠ في مطبعة قصير كيرينال البابوي التي كانت أسست في زمن البابا سكنوس الخامس وقد كان (ميخائيل زمرمان) النمساوي الذي كان أسس مطبعة كبيرة في ڤينا اوفد رسولاً الى سورية لدرس الحروف العربية وبعد عودته صنع قوالب لهذ الحروف وطبع عليها في سنة ١٥٥٤ تعريب بعض مزامير من الزبور

وفي خلال سني ١٥٨٩ — ١٦١١ اوصى (فرنسواسافاري دوبروف) سفير فرنسا في الاستانة على بعض قوالب حروف عَلَى قاعدة النسخ والتعليق فاستعملت هذه القوالب في باريز لطبع مقدمة كتاب نشر في ثماني لغات وبقي هذا الشكل من الحروف مستعملاً

في مطابع فرنسا الى الآن . وفي سنة ١٦٥٧ طبع كتاب في مطبعة (روس كرافت) في انكلترا في تسع لغات وفيه حروف عربية

هذه فذلكة تاريخ الطباعة بالحروف العربية في اوربا . اما في المملكة العثمانية فانها دخلت اليها عَلَى يد چلبي زاده سعيد محمد افندي (باشا) الذي تولى فيما بعد منصب الصدارة العظمى وابراهيم اغا متفرقة من حراس القصر السلطاني وقد كان سعيد محمد افندي قصد باريز مع ابيه چلبي محمد افندي من كبار خواجكان الديوان السلطاني الذي كانت الدولة اوفدته الى فرنسا بمهمة فوق العادة فلفتت مطابع العاصمة الفرنسوية انظار هذا الشاب المدقق الذي ادرك في الحال فوائد فن الطباعة واخذ يفكر في تأسيس مطبعة في الاستانة لطبع الكتب بالحروف العربية ورأى نفسه في حاجة الى مشاور مدقق من ارباب الصناعة واصحاب الافكار النيرة فكاشف ابراهيم اغا متفرقة المشار اليه بما ينويه بعد عودته الى فروق وكان ابراهيم عَلَى جانب عظيم من العلم والدراية وتذاكرا مليًّا في هذه المسألة المهمة وقر رأيهما على فتح المطبعة وتم الاتفاق بينهما عَلَى ان يتعهد ابراهيم اغا ادارتها من الوجهة الفنية ووضع الثاني في الحال رسالة سماها (وسيلة الطباعة) شرح فيها فوائد صناعة الطبع وسهولة اقتناء الكتب المطبوعة بخلاف المخطوطات التي لا يقدر على اقتنائها الا خواص الاغنياء وقدم هذه الرسالة الى صدر اعظم ذاك الوقت فصادق علي ما ورد فيها من الآراء الصائبة والف لجنة من افاضل العلماء والعقلاء لدرس هذا المشروع والاقرار عَلَى فتح مطبعة تنفق عليها الحكومة من اموالها فقامت اللجنة بوظيفتها خير قيام وقررت استفتاء المشيخة الاسلامية قبل الشروع في العمل منعًا لتهيج العوام الذين من دأبهم مقاومة كل شيء جديد لم يألفوه قبلاً ظنًّا منهم انه مغاير للشريعة السمحاء والمرء عدو ما جهل وهذه صورة الاستفتاء :

« ما قولكم دام فضلكم فيما يقوله زيد ويدعيه من انه يقدر علي نقش صور كلمات وحروف المؤلفات في العلوم الآلية القواميس والمنطق والحكمة والفلك وجمعها في قالب وطبعها عَلَى الورق واستحصال نسخ كثيرة من هذه الكتب فهل يجوز له ذلك شرعًا افتونا مأجورين » فاصدر عبدالله افندي شيخ الاسلام اذ ذاك الفتوى الآتية بعد ان قرظ رسالة وسيلة الطباعة :

« ان زيدًا الذي برع في صناعة الطبع اذا نقش صحيحًا حروف كتاب مصحح وطبعه عَلَى الورق فانه يحصل منه عَلَى نسخ كثيرة من غير عناء وتعب مما يستوجب رخص اثمان

الكتب والمؤلفات ومن ثم تداولها بين الايدي وبذلك تعم الفائدة وتشمل كل طبقات الناس وعليه يجوز شرعاً الطبع عَلَى الوجه المذكور ويستحسن تأليف لجنة لتصحيح الكتب المراد نقش حروفها وطبعها والله اعلم »

وبعد صدور هذه الفتوى اقتفى اكثر العلماء الاعلام نور الله مراقدهم اثر شيخ الاسلام في تقريظ الرسالة المار ذكرها ورفعت الفتوى مع قرار لجنة الاستشارة والتقاريظ الى السلطان احمد الثالث فصدر الخط السلطاني الى سعيد محمد افندي وشريكه ابراهيم اغا آذناً لهما بتأسيس مطبعة لطبع الكتب وتألفت لجنة من كل من اسحق افندي قاضي دار الخلافة وصاحب محمد افندي قاضي سلانيك واسعد افندي قاضي غلطة وموسى افندي شيخ تكية قاسم باشا المولوية وعهد اليها مراجعة الكتب المراد طبعها وتصحيحها وعَلَى اثر ذلك شمر ابراهيم اغا متفرقة عن ساعد الجد والاجتهاد في اتمام معدات اول مطبعة في الملك العثماني التي افتتحت في سنة ١١٤٠ في دار ابراهيم اغا المشار اليه ولم تمض مدة قليلة على تأسيسها وافتتاحها حتى تم طبع كتاب وانقولي وهو قاموس صحاح الجوهري لمحمد مصطفى وهو اول كتاب طبع واليك اسماء بعض المؤلفات التركية التي تم طبعها في المطبعة المذكورة :

١ — ترجمة صحاح الجوهري لمحمد مصطفى افندي · طبع في ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٠٠٠ نسخة

٢ — تحفة الكبار في اسفار البحار · لكاتب چلبي · طبع في ذي القعدة ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٠٠٠ نسخة

٣ — ترجمة تاريخ السياح · طبع في غرة صفر ١١٤١ وعدد ما طبع منه ١٢٠٠ نسخة

٤ — تاريخ هند الغربية المسمى بالحديث الجديد (حديث نو) وعدد ماطبع منه ٥٠٠ نسخة

٥ — تاريخ تيمورلنك تأليف نظمي زاده البغدادي وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٦ — تاريخ مصر القديم والجديد المسمى بالدرة اليتيمة تأليف سهيلي · طبع في ذي الحجة ١١٤٢ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٧ — كلشن خلفا تأليف نظمي زاده البغدادي طبع في ١١٤٣ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٨ — اصول الحكم في نظام الامم · تأليف ابراهيم متفرقة وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

٩ — فيوضات مغناطيسية · تأليف ابراهيم متفرقة وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٠ — جهاننما تأليف كاتب چلبي طبع في المحرم ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١١ — تاريخ نعيما (الجلد الاول) طبع في المحرم ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٢ — تاريخ نعيما (الجلد الثاني) طبع في جمادى الاولى ١١٤٧ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

١٣ — تاريخ راشد (الجلد الاول والثاني) طبع في ذي الحجة ١١٥٣ وعدد ما طبع منه ٥٠٠ نسخة

وكانت المطبعة وقتئذٍ تدار بمعرفة ابراهيم اغا لاشتغال سعيد محمد افندي بمهام منصبه الى ان توفي الاول في سنة ١١٥٠ فقام بدلاً منه ابراهيم افندي من القضاة السابقين الذي كان مساعداً لابراهيم اغا في ادارة شؤون المطبعة وظل يديرها ويطبع الكتب النافعة الى ان توفي هذا ايضاً في زمن السلطان مصطفى الثالث فتعطلت وتوقف الطبع لعدم وجود رجل قادر على ادارتها ولكثرة مشاغل الدولة بامور اخرى ذات بال وبقيت المطبعة معطلة اكثر من ٢٠ سنة حتى قيض الله لها راشد محمد افندي بكلكجي الديوان العالي وواصف افندي وقعه‌نويس اي مؤرخ الدولة فاشتريا المطبعة وآلاتها من ورثة ابراهيم اغا متفرقة فاصبحت خاصة بهما وقطع عنها الراتب الرسمي المخصص من الحكومة واحتفلا بافتتاحها سنة ١١٩٨ واول كتاب طبع بعد افتتاحها ثانية هو تاريخ سامي وشاكر وصبحي وذيله تاريخ عزي واهم مطبعة تركية عثمانية أُسست بعد هذه المطبعة هي المطبعة العامرة

اما المطابع الاجنبية في المملكة العثمانية فان اول مطبعة منها انشئت في الاستانة مطبعة كاسترو افتتحت قبل ١٤٠ سنة في غلطة وهي باقية باسمها القديم الى ايامنا هذه ويأتي بعدها في القدم مطبعة قائول المعروفة الآن بمطبعة (زه‌ليج) وقائول هذا هو الذي ادخل فن طباعة الحجر (ليثوغرافيا) الى الاستانة وقد عهدت الدولة اليه سنة ١٢٤٢ بتأسيس مطبعة حجر لطبع كتب الطب اللازمة للمكتب الطبي الذي كان وقتئذٍ في مكتب غلطة سراي السلطاني الحالي

هذا مختصر تاريخ مبدإ الطباعة في الاستانة اما في الولايات فان اول مطبعة أُسست

في جبل لبنان سنة ١١٤٥ لطبع الكتب العربية قام بتأسيسها الراهب الماروني عبدالله طاهر وكان اغلب من يشتغل فيها من الرهبان وقد طبعت هذه المطبعة ٣٤ موءلفاً خلال ستين سنة

وقبل ان اختم كلامي عَلَى الطباعة اري اتماماً للفائدة ان اورد ملخص ترجمة الرجلين اللذين قاما بادخال فن الطباعة الى المملكة العثمانية فاقول :

سعيد محمد باشا — هو سعيد محمد افندي ابن چلبي محمد افندي المعروف بيكرمي سكز رافق والده الذي اوفد الى باريز بمهمة رسمية فوق العادة سنة ١١٣٢ ولما عاد الى فروق عين كاتباً في قلم مكتوبي الصدارة وأسس فن الطباعة مع ابراهيم منفرقة سنة ١١٤٠ كما مر ذكره آنفاً وبعد ذلك بمدة قليلة رقي الى رتبة خواجكان وعين كاتباً للسپاهيين وفي سنة ١١٥٣ عين مندوباً ثالثاً في لجنة الصلح وفي شوال من السنة المذكورة عين كاتباً للسلحدار وفي ١١٥٤ ارسلته الدولة سفيراً الى باريز وانعمت عليه برتبة روم ايلي وفي ١١٥٦ صار وكيلاً لامين الدفتر وبعد سنة اوفدته الحكومة بمهمة الى القطر المصري وصار في سنة ١١٥٨ اميناً للدفتر وبعدها بسنة رقي الى منصب كتخدا الصدارة العظمى وفي سنة ١١٦٠ اعيد الى امانة الدفتر وبعد سنة صار توقيعياً للباب العالي وفي المحرم ١١٦٣ تولى مرة ثانية منصب كتخدا الصدارة وبعد ثلاثة اشهر عزل منها وفي شوال ١١٦٦ عين توقيعياً للمرة الثانية وفي ١١٦٨ تولى منصب رئيس المحاسبين (باش محاسبه جى) ثم نقل الى منصب كتخدا للمرة الثالثة وفي المحرم ١١٦٩ تولى الصدارة العظمى ونال رتبة الوزارة ثم عزل منها في رجب ونفي الى جزيرة استانكوي وفي ١١٧٤ عين والياً عَلى مصر وبعد سنة نقل الى ولاية اطنة ومنها الى قونية فمرعش حيث توفي سنة ١١٧٥ ولهذا الوزير موءلفات طبية وادبية تدل عَلى مكانته العلمية والادبية

ابراهيم اغا منفرقة — ولد في بلاد المجر وجاء البلاد العثمانية في عنفوان شبابه ودان بالاسلام وانتظم في عداد حراس القصر السلطاني فلقب بمنفرقة وقد توفي سنة ١١٥٠ كما مر ذكره آنفاً

— ٣ —

الصحافة

ان اول جريدة تركية عثمانية عَلى ما اعلم هي تقويم وقائع الرسمية اسسها السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٧ لنشر قرارات الدولة وما تصدره من القوانين وقد كانت في

بادىء امرها غير يومية رديئة الطبع والورق ليس فيها الا تافه الاخبار والحوادث مثل التمجيد والتعظيم الفارغ المخجل وذلك لقلة الملمين بصناعة الصحافة في المملكة العثمانية وقتئذ ولاختلال ادارتها وظلت عَلَى هذه الحال الى ان نبغ من الرجال من يقدر الصحافة حق قدرها فاخذت تنتعش الجريدة شيئًا فشيئًا وقد اعترض سيرها عوارض جمة كانت عقبة كبيرة في سبيل تقدمها وكثيراً ماتوقفت عن الانتشار لاسباب استبدادية وكان تعطيلها الاخير في زمن السلطان المخلوع لهفوة ارتكبها رشيد بك (والي بيروت الاسبق) مستشار نظارة الداخلية في ذاك الوقت الذي عزل من منصبه بصورة لم يسبق مثلها لاحد الموظفين من قبل واعلان الغاء هذه الجريدة الرسمية في الصحف وظلت معطلة الى ان اعلن الدستور فنشرت من رمسها من جديد سنة ١٣٢٦ وهي الآن تصدر كل يوم بانتظام مطبوعة عَلَى ورق صقيل وتحتجب ايام الجمع والاعياد والمواسم الرسمية وعدد صفحاتها اربع عَلَى الاقل وهو المقرر لها وانما يزيد عدد صفحاتها زيادة كبيرة عند ما يكون مجلس الامة مجتمعًا لنشر محاضر المبعوثين والاعيان وثمن النسخة الواحدة ١٠ بارات اي متاليك واحد ولا ينشر فيها الا الاخبار الرسمية ومنشورات الحكومة ودوائرها ومحاضر مجلسي الاعيان والمبعوثين والاعلانات الرسمية وتنقلات الولاة وتعيين الموظفين واللوائح الرسمية وقد كان لها في الدور السابق قسم خاص بالاخبار غير الرسمية وهو الذي سبب الغاء الجريدة وعزل رشيد بك مستشار نظارة الداخلية المشار اليه آنفًا اما اليوم فانها لا تنشر اخباراً او حوادث غير رسمية البتة وهي تابعة لنظارة الداخلية وتطبع في المطبعة العامرة ولها ادارة خاصة بها

والجريدة الثانية في القدم هي (جريدهٔ حوادث) اسست في اواخر حكم السلطان عبد المجيد في العاصمة ثم اخذت تكثر الجرائد من سياسية وفنية بعد تولية السلطان عبد العزيز فصدرت في سنة ١٢٨٠ جريدة تصوير افكار السياسية الاسبوعية لصاحبها ومحررها ابراهيم شناسي افندي الكاتب التركي الشهير ومجلة (مخزن علوم) الفنية التي كانت تطبع وتنشر مرتين في الشهر بقلم بعض الكتبة المشاهير وتلا ذلك جريدة وقت و بصيرت وفي اواخر حكم السلطان عبد العزيز بدأت تصدر الجرائد الهزلية مثل چيلاق وقره كوز وچانطه وغيرها وكلها في فروق واخذت الصحافة التركية العثمانية تتقدم وتترقى في اوائل حكم السلطان المخلوع لتأسيس الحكم النيابي الاول وصارت الجرائد تكتب ما تشاء بكل حرية واستمر الحال على هذا المنوال الى ان وضعت الحرب

الروسية اوزارها وصار عبدالحميد يمد يده فيتنـاول الجرائد التي تنتقد خطة الحكومة واعمالها و يعطلها ليخلو له الجو فبدأت الصحافة التركية العثمانية تنحط من ذاك الوقت ولم يمض ٢٠ سنة عَلَى حكم عبدالحميد الا وكانت الجرائدالعثمانيةعامة مكمومة الفم مكسورة القلم يضغط عليها المراقب لا تجسـر علي النبس بنت شفة انتقـاداً عَلَى ما تأتيه الحكومة من الاعمال بل أُجبرت عَلَى مدح الظلم والظلام وتعظيمهم بعبارات يمجها الذوق وتشمئز منها النفوس الابية مما هو معلوم امره للجميع لقرب العهد به

ولما اعلن القانون الاساسي قبل ثلاث سنوات اظهرت الصحافة التركية في العاصمة ومطبوعاتها نهضة كبيرة وانتشـرت جرائد كثيرة باسماء مختلفة بين يومية واسبوعية وسياسية وعلمية وفنية وكثر اقبال القراء عليها وصار الناس يتهافتون عَلَى هذه الجرائد تهافت الجياع عَلَى القصاع وراج سوق المطبوعات عامة واخذ كل من يملك بضع مئات من الليرات يؤسس مطبعة لكثرة ما تأتيه به من الارباح الطائلة فتعددت المطابع في الاستانة وارتفعت اجور العمال واصبح العامل الذي كان يأخذ ١٠ قروش في اليوم في الدور البائد لا يرضى باقل من نصف ليرة عثمانية فسبب ذلك ارتفاع اسعار الطبع والورق ايضاً ولم ينقض الحول حتى بدأ اقبال الناس عَلَى مطالعة الصحف والكتب يزول بالتدريج الى ان ادى الى افلاس اكثر المطابع وتعطيل اغلب الجرائد الحديثة ولم يبق منها في عالم الوجود الا القليل منها ومع ذلك فان عددها اليوم وتنوعها يدهش الشرقي و يدل عَلَى انتشار المعارف بين اخواننا الاتراك ·

تنقسم الصحافة التركية العثمانية الى قسمين : صحافة العاصمة وصحافة الولايات وتنقسم صحافة العاصمة ايضاً الى قسمين : موالية ومخالفة · فالموالية تؤيد جمعية الاتحاد والترقي وحزبها في المجلس وتعضد وزاراتها وتطري اعمال الحكومة وتطنب في مدح خطتها وتمجد سير رجالها تمجيداً غريباً وتتهجم عَلَى كل من تشتم منه رائحة المخالفة او تظنه مخالفاً للجمعية والحكومة وحزب الاكثرية · فتلصق مثلاً بزيد من المخالفين الارتجاع و بعمرو خيانة الوطن وترمي بكراً بالتجرد من الشعور والعواطف العثمانية فهي اشبه بجرائد الدور السابق من حيث تعظيم الحكومة الا انها تمتاز عنها بالشدة ضد الجرائد والاحزاب المخالفة وثقل الوطأة عليها واما الجرائد المخالفة فانها تنتقد دائماً اعمال الحكومة المغايرة للقانون الاساسي (وما اكثر هذه الاعمال المغايرة) وروح الاصلاح ومايصدر من حزب الاكثرية من الامور المغايرة للمبادئ النيابية وتحتج عَلَى تدخل الجمعية في شؤون الحكومة

وسيطرة زعمائها الذين لا يتجاوزون عدد الاصابع عَلَى شؤُون الحكومة وهيمنتهم عَلَى الامة واحتكار الوظائف والمناصب لانفسهم ولذويهم وترفع عقيرتها بالشكوى من تحكم هؤُلاء الرؤَساء بالنواب الذين يقاومون نياتهم ومشروعاتهم واحتقارهم للعناصر التي تطالب بحقوقها المهضومة · وهناك قسم آخر من الجرائد السياسية لا يعرف لها مبدأ تميل مع الهواء فتراها يوماً مع الحكومة والجمعية عَلَى المخالفين ويوماً آخر مع المخالفين عَلَى الجمعية والحكومة فهي تسير حسبما تقتضيه الاحوال ·

اما الجرائد في العاصمة فانها تنقسم الى قسمين : سياسية وفنية فالسياسية ايضاً تنقسم الى قسمين : سياسية جدية وسياسية هزلية وهذه اسماء الجرائد السياسية الجدية حسب قدمها :

١ — اقدام · جريدة رشيدة عاقلة يومية خطتها المخالفة باعتدال · صاحبها ورئيس تحريرها احمد جودت بك · أُسست قبل عشرين سنة وعطلت في الدور السابق مرة لهفوة صغيرة وردت في مقالة عيد الجلوس فحركت اشجان الاستبداد وتعطلت قبل سنتين مرة اخرى بسبب ما ورد في رسالة مكاتبها اليمني من الكلمات الجارحة عن الشعب العربي التي اوجبت هياج الطلبة العرب في الاستانة · وتصدر هذه الجريدة الآن باسم (يكى اقدام) اي اقدام الجديدة وعدد صفحاتها ثماني · يطبع منها ما يقرب من عشرة آلاف نسخة في اليوم ·

٢ — صباح · جريدة يومية أُسست منذ ٢٠ سنة لصاحبها مهران افندي الارمني ورئيس تحريرها ديران كلكيان افندي الشهير بافكاره وآرائه الصائبة · له مقالات شائقة تنشر في صدر الجريدة · يطبع منها كل يوم ١٠ — ١٢ الف نسخة بقطع كبير ولا يعرف لهذه الجريدة خطة معينة فهي يوماً مع الحكومة ويوماً عليها ويعدها بعضهم لسان حال الشعب الارمني ·

٣ — يكى غزته · جريدة يومية ادبية خطتها انتقاد مبدأ الجمعية وسير الحكومة والوزارة ومقاومة ما يصدر منها من الامور المغايرة للقانون الاساسي · أُسست قبل ثلاث سنوات وصاحبها زهدي بك ومديرها المسؤُول شكري كامل بك · يطبع منها كل يوم ما يقرب من ٨٠٠٠ نسخة وقراؤُها كثيرون في الاستانة وفي الولايات الاناضولية ولكتابتها وقع كبير في نفوس رجال الحكومة وفي المحافل الرسمية ·

٤ — سنين [1] • جريدة يومية مفرطة في التعصب الجنسي مروجة افكار القائلين بحاكمية الشعب التركي عَلَى بقية الشعوب العثمانية استناداً عَلَى حق تأسيس الدولة • أسست في الايام الاولى من الدستور باموال حسين كاظم بك والي حلب الحالي واشترك حسين جاهد بك مبعوث الاستانة معه في تأسيسها وكان اسمها وقتئذ (طنين) • وقد هاجم الثائرون مطبعتها في ثورة ٣١ آذار ودمروا ادارتها بعد ان نهبوا ما فيها من الاثاث والعدد والحروف والادوات المطبعية فتعطل صدورها مدة ثم عادت الى الانتشار بعد عودة السكون الى ربوع فروق وانطفاء نيران ثورتها العسكرية • واراد حسين جاهد بك الذي استقل بها بعد الحادثة المذكورة واصبح صاحبها الوحيد لا يشاركه فيها مشارك ان يؤلف لها شركة ذات اسهم فلم ينجح لعدم اقبال الناس عَلَى شراء سهامها • وقد اشتدت في المدة الاخيرة المناقشات القلمية بينها و بين تنظيمات لسان حال حزب الاحرار المعتدلين فتدخل الديوان العرفي وعطل الجريدتين فصدرت (جنين) بدلا من طنين لصاحبها جاويد بك ناظر المالية السابق ولم تستمر في عالم الصحافة الا بضعة ايام فلحقت باختها طنين وقام مقامها « سنين » الحالية لصاحبها اسماعيل حقي بك بابان مبعوث بغداد • وهذه الجريدة التي تنشر بقلم حسين جاهد بك مشهورة بالقاء بذور الشقاق بين العناصر العثمانية فهي التي اوقدت نيران العداوة والبغضاء بين العنصرين التركي والرومي بعد ان انطفأت وزالت في اوائل الدستور وهي التي ايقظت فتنة الارناؤد النائمة وهي التي حركت اشجان البلغار بمطاعنها عليهم وهي التي فتحت باب مسألة العرب والترك بطعنها علي النواب العرب ونسبة الارتجاع وسوء النية اليهم ووسعت الهوة بين الشعب العربي والحكومة بنشر مقالات اسماعيل حقي بك بابان مبعوث بغداد الذي طعن على البغداديين وطلب تجريد الكتائب عَلَى العراق لتأديب اهلها كما طلبت اخيراً صب (دوش) بارد عَلَى رؤوس اهل سورية وزادت الطين بلة بنشر مقالات احمد شريف مخابرها المتجول في سورية • وتعد هذه الجريدة نصف رسمية ولسان حال جمعية الاتحاد والترقي لعلاقتها الشديدة برجال الحكومة والتصاق صاحبها حسين جاهد بك بالجمعية ولنفوذ كلمته في

(١) بعد كتابة ما تقدم اصدر الديوان العرفي امره في الاستانة باقفال جريدة (سنين) فصدرت من الغد باسم (رنين) بمثل حلتها الاولى و باقفال جريدة (شهراه) فصدرت باسم (همراه) و باقفال جريدة (تضمينات) فصدرت باسم (مطبوعات) و بعد ايام اقفلت ايضاً مطبوعات وصدرت باسم (مشرق)

الدوائر الرسمية . وهي مثل جريدة اقدام من حيث الحجم وعدد الصفحات ويطبع منها كل يوم ٦ — ٧ آلاف نسخة واكثر رواجها في مدن الروم ايلي مثل سلانيك وادرنة ومناستر .

٥ = ترجمان حقيقت . جريدة اتحادية طائشة مفرطة في التعصب الجنسي تصدر مساء كل يوم ولها راتب معين من الحكومة . صاحبها مختار سيد بك ورئيس تحريرها حسين كاظم افندي خطتها كخطة جريدة (سنين) يطبع منها كل يوم ما يقرب من الفي نسخة يروج اكثرها في الروم ايلي ولا شأن لهذه الجريدة في عالم الصحافة وقراؤها قليلون في الاستانة

٦ = ضيا . جريدة يومية شبه رسمية مفرطة في التعصب الجنسي لها مائة ليرة في الشهر مرتب من الحكومه . صاحبها ومحررها صفوتي ضيا بك وقد أسست قبل ثلاثه شهور على نفقة الجمعية لتساعد طنين في تأييد الوزارة الحاضرة وتقديس اعمالها . وخطتها ترويج حاكمية الشعب التركي وهيمنة الجمعية عَلَى شؤون الدولة والامة وهي من المستميتة في الدفاع عن وزارة حقي باشا وتصدر عَلَى اربع صفحات بقطع وسط و يطبع منها كل يوم ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ نسخة واكثر رواجها في الروم ايلي .

٧ = حكمت . جريدة اسبوعية تصدر كل يوم خميس عَلَى ثماني صفحات بقطع متوسط خطتها انتقاد اعمال الحكومة ومخالفة الجمعية والطعن على ما يأتيه رؤساء حزب الاكثرية من الامور الشاذة والاحتجاج على أنانيتهم وغرورهم وتحكمهم بالمبعوثين المخالفين صاحبها فلبه لي احمد حلمي افندي وعدد ما يطبع منها في الاسبوع يقرب من الالفين فقط وقد أسست قبل سنتين .

٨ = شهراه . جريدة يومية عاقلة حكيمة أسست قبل شهرين . صاحبها ورئيس تحريرها محمد خيرالدين بك بن خيرالدين باشا التونسي الصدر الاسبق الشهير ومديرها المسؤول اخوه طاهر خير الدين بك . وتنشر هذه الجريدة كل يوم مقالة افتتاحية بتوقيع ح . ناظم المستعار عن امور الدولة الاجتماعية والادارية والسياسية تدل على وقوف كاتبها عَلَى احوال الدولة وقوفاً تاماً وقد بلغني ان هذا الكاتب هو احد ولاة حلب السابقين رشيد بك . اما خطة شهراه فهي المخالفة وانتقاد ما تأتيه الوزارة والحكومة والجمعية وحزب الاكثرية من الامور المغايرة للدستور ولكتاباتها تأثير كبير في الاندية السياسية واكثر قرائها من اهل الاستانة وسواحل البحر الاسود العثمانية

وتطبع كل يوم ٦٠٠٠ = ٨٠٠٠ نسخة عَلَى اربع صفحات بقطع متوسط ٠

٩ تضمينات ٠ جريدة يومية عاقلة حكيمة صاحبها داود بك يوسفاني مبعوث الموصل ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول لطفي فكري بك مبعوث درسم الشهير وهي لسان حال حزب الاحرار المعتدلين وقد أسست قبل شهرين باسم تنظيمات التي عطلتها الادارة العرفية من اجل المناقشة الشديدة بينها و بين طنين فصدرت بدلاً منها جريدة زهرة ولم تعش هذه ايضاً في عالم الصحافة الا قليلاً حتى صدر الامر بمنع نشرها فقامت تضمينات الحالية مقامها ومن الكتبة البارعين الذين يحررون فيها المقالات الشائقة فريد بك مبعوث كوتاهية الشهير بهجماته عَلَى الوزارة في المجلس ٠ و يطبع من هذه الجريدة كل يوم ٨٠٠٠ نسخة يباع منها ٦٠٠٠ في العاصمة فقط وهي رائجة رواجاً كبيراً واكثر قرائها في فروق واواسط الاناضول وبلاد الارناؤود خطتها المخالفة للحكومة الحاضرة ٠

١٠ = ارناؤود ٠ جريدة اسبوعية ارناؤودية لما قسم تركي ٠ صاحبها درويش بك هيما الارناؤودي المشهور وهو من الذين اشتغلوا للحرية في الدور السابق ٠ وخطة هذه الجريدة المخالفة الشديدة للحكومة بعبارات قاسية قارصة جداً ٠ اكثر قرائها من الارناؤود ومنتشرة في الولايات الارناؤودية انتشاراً كبيراً

هذه هي الجرائد التركية السياسية الجدية من موالية ومخالفة واليك اسماء الجرائد السياسية الهزلية حسب قدمها ايضاً :

١ — قره كوز ٠ صاحبها ومصورها علي فؤاد بك ورئيس تحريرها محمود نديم بك وتصور هذه الجريدة الوقائع السياسية من ادارية واجتماعية وحربية ونيابية برسوم جميلة مضحكة وتصدر في يومي السبت والاربعاء عَلَى اربع صفحات بقطع صغير من حجم جريدة الراوي ٠ خطتها موالاة الحكومة والوزارة الحاضرة وقد كانت هذه الجريدة في مقدمة الطاعنين علي المرحوم حمادة باشا ناظر الاوقاف الاسبق وعَلَى اعماله بايعاز من رجال جمعية الاتحاد والترقي لاسقاط فقيد الشعب العربي من منصبه

٢— قلم ٠ صاحبها صلاح جيمجوز بك صديق حسين جاهد بك واحد اصحاب معدن (بروم) الذي استوضح ناظر المعادن من اجله في المجلس ٠ تصدر هذه الجريدة كل يوم خميس بقطع صغير على ١٦ صفحة وفيها من الرسوم ما يسر الناظر و يضحك الثكلى وهي احسن الجرائد الهزلية طبعاً واصقلها ورقاً واكثرها مادة واوفرها رسوماً

ولها قسم فرنسوي ٠ وخطتها موالاة الحكومة وتأييد الجمعية والوزارة الحاضرة واستحسان قرارات حزب الاكثرية ٠ و يطبع منها كل اسبوع ما يقرب من الخمسة آلاف نسخة وقد أُنشئت منذ سنتين

٣ — يكي كوهزه ٠ تصدر هذه الجريدة الهزلية التصويرية مرتين في الاسبوع وهي اقل انتشاراً من بقية الجرائد الهزلية ٠ صاحبها كيرقور افندي الارمني ومديرها المسؤول احمد مختار بك ولا يعلم لها خطة معينة فهي تسير حسب ما تقتضيه الوقائع والاحوال وقد أُسست منذ سنتين

٤ — غيديق ٠ جريدة هزلية تصويرية صاحبها ح ٠ سيف الدين بك ومديرها المسؤول عارف حكمت بك تصدر مرة في الاسبوع على ثماني صفحات برسوم جميلة مضحكة اما خطتها فموالاة الجمعية والحكومة والوزارة الحاضرة وعدم مخالفة اعمالها وقد أُسست قبل شهرين فقط

٥ — جم ٠ أُسست منذ سنة ونصف وهي اقوى الجرائد الهزلية حجة واجملها رسوماً وادقها صنعة واسماها منزلة واكثرها انتشاراً لما حوته رسومها من المعاني البديعة والاشارات السياسية المضحكة واقبال الناس عَلَى مطالعتها واقتناؤها عظيم جداً يصدرها صاحبها ومديرها المسؤول جميل بك في الاسبوع مرة وتطبع هذه الجريدة طبعاً جميلاً جداً عَلَى ورق صقيل بست عشرة صفحة ولها قسم فرنسوي ٠ اما خطتها فالمخالفة الشديدة فهي تنتقد اعمال الحكومة بكتاباتها الشائقة وتمثل هذه الاعمال برسومها الجميلة المضحكة

٦ — جادالوز ٠ أُسست قبل شهرين صاحبها (جادالوز) ومديرها المسؤول حيدر رشدي افندي خطتها موالاة الجمعية واستحسان خطة حزب الاتحاديين في المجلس وعدم التعرض لاعمال الحكومة

٧ — قرهسنان ٠ صدرت هذه الجريدة قبل ثلاثة اشهر باسم (اشك) اي الحمار فعطلتها الادارة العرفية بحجة عدم ملائمة اسمها للآداب ! وطعناً عَلَى الوزارة في العدد الاول منها الذي بلغ ثمن النسخة الواحدة منه ٢٠ قرشاً و يقال ان صاحبها طبع من هذا العدد ٢٠ الف نسخة بيعت كلها في اقل من ثلاث ساعات ٠ ثم قام بدلاً منها (معلوم) فما عتم ان لحق باخيه الحمار بامر الادارة العرفية وعليه صدرت جريدة قرهسنان لصاحبها ومديرها المسؤول مصطفى افندي ورئيس تحريرها فؤاد طلعت بك ٠ وهذه الجريدة تطعن عَلَى الوزارة الحاضرة طعناً شديداً وتنتقد خطة الجمعية انتقاداً مراً

ورسومها جميلة مضحكة جداً تطبع عَلَى ورق جيد بقطع وسط وقراؤها كثيرون ويباع منها الوف في الاستانة عدا ما يباع منها في الولايات

اما الجرائد والمجلات الادبية والفنية فهي كثيرة ايضاً هذه اشهرها :

١— مجموعهٔ ابو الضيا • صاحبها ابو الضيا توفيق بك مبعوث انطالية • تصدر في الاسبوع مرة في ٣٠ صفحة وتبحث في السياسة ايضاً • جيدة الطبع والورق كثيرة المواد أسست قبل ٣٠ سنة فهي اقدم المجلات الادبية الموجودة عهداً ولصاحبها الذي اتقن فن الطباعة شهرة كبيرة في عالم الصحافة وكان له مطبعة في الدور البائد يضرب بها المثل في الانتظام وحسن الذوق في الطبع قضى عليها عبدالحميد قضاء مبرماً بعد ان نفى صاحبها وعذبه تعذيباً • اما خطتها فهي انتقاد اعمال الحكومة اذا صدر منها ما يستوجب الانتقاد •

٢— ثروت فنون • مجلة علمية ادبية فنية تصويرية اسبوعية صاحبها ومديرها احمد احسان بك أُسست قبل ٢١ سنة • تطبع عَلَى ورق جيد بحجم المقتبس اليومي جيدة الرسوم متقنة الطبع اكثر ما يرد فيها مقالات ادبية لغوية شعرية ولها قسم سياسي اخباري

٣— صراط مستقيم • مجلة دينية فلسفية علمية حقوقية ادبية تاريخية تبحث في السياسة ايضاً وتصدر في الاسبوع مرة عَلَى ورق جيد لصاحبيها ابي العلا زين العابدين افندي وح • اشرف اديب افندي ويحرر فيها بعض كبار العلماء مثل موسى كاظم افندي شيخ الاسلام واسماعيل حقي افندي مناسترلي • أُسست هذه المجلة قبل ثلاث سنوات وخطتها تأييد مبدإ الجمعية والرضى بكل ما تفعله الوزارة

٤— شهبال • اجمل الجرائد الفنية التصويرية • كثيرة الرسوم غزيرة المواد تطبع على اجود ورق طبعاً نفيساً فهي اشبه من حيث الاتقان بالجرائد الانكليزية والفرنسوية التصويرية ولا تقل عنها انتظاماً ورونقاً ونفاسة وقد أُنشئت منذ سنتين لصاحبها ومديرها المسؤول حسين سعدالدين بك وتصدر مرتين في الشهر واكثر قرائها الطبقة الراقية من اهل فروق واصحاب المكانة الرسمية والعلمية من الاتراك العثمانيين

٥-- طبابت حاضره • مجلة فنية طبية تصدر في الشهر مرتين وتبحث في الطب العصري والاكتشافات الطبية صاحبها ومديرها المسؤول الدكتور شكري كامل بك واكثر محرريها من الاطباء

٦— جريدهٔ عدليه • مجلة رسمية غزيرة المواد بحجم المقتبس اليومي تصدرها

نظارة العدلية في الشهر مرتين تنشر فيها اوامرها ومنشوراتها والتنقلات القضائية والقوانين الجديدة ولها قسم غير رسمي يحرره كبار العلماء المتضلعين في علم الحقوق وقد أسست قبل سنتين

٧— دار الفنون • مجلة ادبية فنية مدرسية بحجم المقتبس الشهري طلية الباحث تطبع على نفقة الكلية العثمانية (دار الفنون) في الاسبوع مرة على ورق جيد وتحوى كل ما يلقى من الدروس في فروع الكلية المشار اليها • مديرها ساطع بك مدير دار المعلمين في الاستانة

٨— تدريسات ابتدائيه مجموعه‌سى • مجلة فنية ادبية مدرسية تطبع على نفقه نظارة المعارف وتصدر مرتين في الشهر يحررها معلمو دار المعلمين وهي بحجم المقتبس الشهري • مباحثها طلية جداً ولا دخل لها في السياسة

٩— رسملی كتاب • مجلة ادبية فنية علمية تصويرية بحجم المقتبس الشهري تصدر مرة في الشهر متقنة الطبع جميلة الرسوم على نمط مجلة *Je sais tous* الفرنسوية • صاحبها ومديرها المسؤول عبيد الله اسعد افندي ورئيس تحريرها محمد رؤوف افندي وقد أسست قبل ثلاث سنوات

١٠— تصوف • جريدة تبحث في التصوف والطرق الصوفية صاحبها ومحررها الشيخ صفوت افندي مبعوث اورفه تصدر مرة في الاسبوع وتميل الى سياسة جمعية الاتحاد والترقي وتؤيد مبدأها وتأخذ بناصر الوزارة الحاضرة • وقد أسست قبل ثلاثة شهور

١١— قادين • مجلة نسائية تصويرية ادبية اسبوعية بحجم المقتبس اليومي وبست عشرة صفحة تبحث في شؤون النساء العثمانيات وما يستوجب تقدمهن ورقيهن • أسسها نظام الدين حسيب بك وعادل سليمان بك قبل شهرين • سياستها تعضيد الجمعية وشد ازر الوزارة الحاضرة

١٢— عثمانلی رساملر جمعيتی غزته‌سی • مجلة جمعية المصورين العثمانيين تطبع على نفقة هذه الجمعية وتصدر في الشهر مرة بقطع كبير وتنحصر مباحثها في التصوير على انواعه • مديرها حسين هاشم بك ابن الشريف عبد القادر ورئيس تحريرها كامل امين بك

١٣— پول مراقليلرينه رهبر • ايسے دليل غواة الطوابع • مجلة تبحث عن طوابع البريد فقط وتصدر مرتين في الشهر لصاحبها ومديرها المسؤول استيلان افندي

١٤ — بكي محيط المعارف غزتة سى · مجلة علمية ادبية تبحث في السياسة ايضاً تصدرها لجنة دائرة المعارف التي ألفت حديثاً لوضع قاموس كبير باللغة التركية عَلَى نمط دائرة المعارف الفرنسوية الكبيرة · يحررها امر الله افندي مبعوث قرق كليسا وناظر المعارف الاسبق وتصدر مرتين في الشهر عَلَى نفقة اللجنة المار ذكرها

١٥ — مودا ملكه سى · مجلة تبحث في ازياء النساء وملابسهن تصدر مرتين في الشهر عَلَى ورق جيد باللغات التركية والرومية والفرنسوية · مديرها موسيو لقلر وقد أسست قبل اربعة اشهر

١٦ — رسالهٔ موقوتهٔ حربيه · مجلة تبحث في الشؤون العسكرية تصدرها دائرة الاركان الحربية ويحررها ضباط هذه الدائرة

١٧ — جريدهٔ عسكريه · مجلة حربية رسمية تنفق عليها نظارة الحربية وتصدرها لنشر اوامرها وتنقلات القواد والضباط وترقيهم واعلانات المناقصات والمزايدات والقوانين العسكرية الحديثة وكل ما يختص بالجندية · تحررها لجنة من الضباط ولها ادارة خاصة بها

١٨ — موسيقى غزته سى · تبحث في الموسيقى فقط · تصدرها الجمعية الموسيقية العثمانية التي أسست في العام الماضي تحت حماية الامير ضياء الدين افندي نجل الحضرة السلطانية الفخيمة

هذه هي جرائد الاستانة التركيه السياسية ومجلاتها العلمية والفنية والادبية فيعلم القراء منها ومن كثرة عددها وسمو موضوعاتها واقبال الناس عَلَى مطالعتها ما قطعه اخواننا الاتراك من الاشواط في مضمار الرقي الفكري السياسي والعلمي فيجب علينا والحالة هذه نحن معشر العرب العثمانيين ان نسعى لمجاراتهم بذلك حتى لا نكون احط منهم في هيئتنا الاجتماعية ولنكون عضواً حياً نامياً عاملاً في جسم امتنا العثمانية والله الموفق لما فيه خير الاوطان

الاستانة حقي العظم

بحث

في نوع من البديع

البديع فن جليل وركن من اركان البلاغة لا يستهان به وان توهم كثيرون خلافه · ولكنه مني بقوم ضعاف النظر في الصناعة الشعرية ركبوا فيه متن التكلف وقصروا هممهم عَلَى نظم انواعه بلا مراعاة ما تقتضيه الصناعة من المقتضيات واهمها ابراز المعاني في قوالب يصح ان يسمى بها النظم شعراً فتراهم اذا ظفروا بايداع البيت شيئاً منه ضربوا صفحاً عما عداه ولم يبالوا بعد ذلك بعلو او انحطاط حتى كاد هذا الفن يكون مقصوراً عَلَى هذا الضرب من النظم واصبح فيما نراه فيه من المهانة عند البلغاء

ومن العيوب المزرية بقدره مزجهم الغث بالسمين من انواعه وادراجهم فيه ما لا يصح ان يكون نوعاً بديعياً او ما هو جدير بان يعد من المقبحات لا من المحسنات بله خبطهم في بعض التعاريف والخطأ في الاستشهاد وادخال بعض الانواع في بعض بحيث اصبح في حاجة كبرى الى تهذيبه وتخليصه من تلك الشوائب

وانا ذاكر في هذه النبذة رأياً عنّ لي في نوع منه وضعه ابن المعتز وسماه بتأكيد المدح بما يشبه الذم ودعاه بعضهم بالمدح في معرض الذم وآخرون بالنفي والجحود والتسمية الاولى اولى لسلامتها من الاعتراض ولكونها اوضح دلالة عَلَى النوع · وقد قسمه علماء البديع الى قسمين قسم عرفوه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح وقالوا انه افضل القسمين واستشهدوا عليه بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وبقول من يقول زيد لا عيب فيه سوى انه يكرم الضيف · والقسم الثاني عرفوه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى نحو انا افصح العرب بيد أني من قريش ونحو قول النابغة الجعدي

فتىً كملت اخلاقه غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا

وكلامنا في القسم الاول فقد اطلت النظر فيما كتبه علماء هذا الفن قديماً وحديثاً فظهر لي انهم تساهلوا في تعريفه فأداهم التساهل الى الخلط بين شواهده كما ترى · والذي استبان لي ويستبين لكل متأمل ان بينها فرقاً واضحاً يقسم به النوع الى نوعين · ولبيان ذلك نقول ان استشهادهم ببيت النابغة الذبياني استشهاد صحيح مطابق تمام المطابقة لاسم

النوع الذي اختاره واضعه، لان وصف سيوف القوم بانها مفلولة مثلومة لا يشك احد في انه عيب يذمون به ولكن لما كان سببه قراعهم للكتائب دل على اقدامهم وشجاعتهم وكثرة مباشرتهم الضراب بانفسهم فصار مدحاً لهم وصح القول بان الشاعر اكد مدحه بما يشبه الذم لاتيانه بتلك الصفة المذمومة المقرونة بما يصرفها الى المدح ولا يخفى حسن هذا الاسلوب البديع عَلى من نهل من حياض العربية وتذوق بلاغتها. بخلاف استشهادهم بقول القائل لا عيب في زيد سوى الكرم و بقول القائل :

ولا عيب في هذا الرشا غير انه له معطف لدن وخد منعم

فليسا في شيء من المطابقة لاسم النوع كما يظهر لي ولا يصح عدهما مع الشاهد الاول من نوع واحد وانما أداهم الى هذا الخلط تساهلهم في التعريف كما قدمنا لانه قولهم نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح شامل لهذين الضربين من الاستشهاد اما في الثاني فظاهر لان الكرم والمعطف اللدن والخد المنعم المستثناة من صفة الذم المنفية كلها صفات مدح واما في الاول فلأن الصفة المستثناة وهي فلول السيوف وان تكن صفة ذم فقد حولت الى صفة مدح ايضاً فصح بذلك عندهم الاستشهاد بهما عَلى نوع واحد لشمول التعريف لهما مع ان الفرق بين الضربين لا يخفى عَلى ذي بصيرة . ولزيادة التوضيح نقول ان الضرب الثاني من الاستشهاد ليس فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم سوى الاسلوب الذي صيغت به شواهده فقط لان ذكر الاستثناء بعد نفي صفة الذم موهم لاثبات شيء ما من الذم فلما استثنى القائل صفة مدح محضة كان موهماً للنوع باسلوب وان لم يأت به على حقيقته

والذي اراه في حل هذا الاشكال ان يقسم هذا النوع الى نوعين نوع يسمى بتأكيد المدح بما يشبه الذم و يقال في تعريفه انه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة ذم مقرونة بما يصرفها الى المدح او استثناء صفة مدح محولة من ذم او غير ذلك مما يؤدي معناه وقد ظهر لي ان القرينة الصارفة قد تكون لفظية كما في بيت النابغة الذبياني لان قوله من قراع الكتائب قرينة دالة عَلى عدم ارادة الذم او تكون معنوية كما في قول القائل

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

فان جعلهم ضيوفهم ينسون احبتهم واوطانهم عيب ولكن لما كان سببه كثرة الطافهم واكرامهم اياهم صار مدحاً وهو غير مصرح به بل مفهوم من سياق البيت .

(النوع الثاني) يسمى بايهام تأكيد المدح بما يشبه الذم و يقسم الى قسمين قسم

يقال في تعريفه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح محضة ليس فيهاشائبةذم ويستشهد عليه بنحو قولهم لا عيب في زيد سوى الكرم وبنحو قول القائل

لا عيب فيه سوى مكارمه التي نسبت لحاتم بخل كل بخيل

والقسم الثاني يقال في تعريفه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى خاليتين من شائبة ذم ويستشهد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انا افصح العرب بيد اني من قريش وببيت النابغة الجعدي المتقدم وبنحو قول القائل :

وظبي ثناياه الصحاح كما ترى من الريق يرويها الرضاب المبرد
وقد حاز اشتات البها غير انه له مقلة كحلا وخدٌ مورّد

وقول البديع الهمذاني

هو البدر الا انه البحر زاخراً سوى انه الضرغام لكنه الوبل

وانما جعلنا هذين القسمين لنوع واحد لانهما كما ترى من نمط واحد وليس فيما بينهما من الفرق ما يدعو الى جعلهما نوعين · اما اصحاب البديعيات فقد وقفت عَلَى عشرين بديعية فما وجدت بين ناظميها من تنبه لما ذكرت بل استنقوا جميعهم من بحر واحد ولم يأتوا بغير ايهام النوع الا صفيّ الدين الحليّ حيث قال

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وهو مأخوذ من قول القائل المتقدم

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

وكذلك الشيخ ابن المقري في قوله

لا عيب فيه سوى تسليط نقمته عَلَى العدا ومواليه على النعم

فانه قال في شرحه ان تسليط النقم عيب ولكنها لما كانت على الاعداء كانت مدحاً وعندي فيه نظر والله اعلم القاهرة احمد تيمور

مخطوطات ومطبوعات

نهج البلاغة

لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعلى آله السلام جمع الشريف الرضي وشرح عز الدين المدائني المعروف بابن ابي الحديد المجلد الاول والثاني والثالث طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي واخويه بكري افندي وعيسى افندي

ابلغ كلام عربي بعد الكتاب العزيز والاحاديث النبوية كلام رابع الخلفاء كرم الله وجهه جمعه الشريف الرضي وشرحه ابن ابي الحديد المعتزلي طبع مرتين في فارس على الحجر فكان السقم يغلب عليه وطبعته دار الكتب العربية الكبرى هذه المرة بالقاهرة طبعة حسنة جعلت الاصل بحرف غليظ مشكولا والشرح بحرف وسط والشرح هو كما قال شارحه « بسط القول في شرحه بسطًا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشتبه ويشكل من الاعراب والتصريف واورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر والاشباه نثراً ونظماً وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والاحداث فصلا فصلا واشار الى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل اشارة ضعيفة ولوح الى ما يستدعي الشرح ذكره من الانساب والامثال والنكت تلويحات لطيفة ورصعه من المواعظ الزهدية والدينية والحكم النفسية والآداب الخلقية واوضح ما يومئ اليه من المسائل الفقهية » الى غير ذلك مما كان حريًا ان يقال فيه انه دائرة معارف وآداب اسلامية فيه من تاريخ الصدر الاول ما يأخذ بمجامع القلوب ويغني عن تقليب عشرات من المجلدات ومع هذا فقد جاء الكتاب كله (اربع مجلدات) في زهاء الفي صفحة من القطع الكامل فنثني على طابعيه بنشره في هذه البلاد وتسهيل مقتناه على طلاب الآداب ونحث على اقتنائه اذلا يجمل بمكتبة ان تكون خالية منه وفي مأمولنا ان نكتب مبحثًا ضافيًا في هذا السفر النفيس عند نجاز طبعه

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف جرجي افندي زيدان طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١١ ص ٣٢٠ ج اول

لم تبرح المادة التي طبعت من كتب العرب نزرة بالنسبة لما يقتضيه تأليف كتاب في

هذا الموضوع الجليل باللغة العربية ولكن رصيفنا صاحب الهلال استعان بما طبع من كتبنا في الشرق والغرب و بعض ما كتبه الافرنج عن آدابنا بالانكليزية والافرنسية والالمانية فجاء هذا الجزء «يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف موضوعاتها» وتراجم العلماء والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح ووصف مؤلفاتهم واماكن وجودها او طبعها . و«هذا الجزء خاص بعصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي اي من اقدم ازمنة التاريخ الى سنه ١٣٢ هـ » . وهو منسق مبوب مفهرس على طريقة حسنة وقد وجدنا له كلاماً في تفضيل كلام شاعر على شاعر كنا نود ان يعزوه لاهل هذا الشأن ممن كتبوا كتبهم في عصر نضارة اللغة وكانوا هم شعراء مطبوعين بالطبع كما رأينا المؤلف قال بما لم يقل به ائمة التاريخ والثقات من رواة الاخبار من ان الاسلام (المسلمين) ابادوا مكاتب الفرس ومصر وكما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر (ص ٥٦) والمعروف الثابت عند المحققين من علماء العرب والافرنج ان نسبة احراق مكاتب الفرس ومصر للمسلمين فرية افتراها خصوم الفاتحين ودسوها حتى تلقفها من لم يكن لهم عهد بتصحيح الاخبار والمعروف من هدم المسلمين لاهرام مصر ان المأمون احب ان يعرف ما في داخله فأمر بنقب جهة واحدة منه خدمه للتاريخ والآثار لا عملاً بمبدإ الخراب والدمار والا فان في بعض عصور الظلم قد دكت الجوامع والمدارس ايضاً وكثيراً ما تنقض بنية جامع مشهور لتؤخذ انقاضه الى جامع آخر في بلد آخر او قطر آخر وهذا لا ينسب للاسلام بل للجاهلين من المسلمين وان شئت فقل للمخربين من المتغلبين . وما نظن احداً من المحققين قال بان الاسلام كان السبب لتكاثر الشعراء العشاق (ص ١٤٠) لانتشار التسري وركون القوم الى الرخاء حتى اذا نضج المدنية الاسلامية تحول ذلك الى التهتك والتخنث وكذلك قوله (ص ٢٤٠) ان التشبيب هان على المسلمين بعد عهد الخلفاء الراشدين مع ان المعروف ان التشبيب موجود في الجاهليه والاسلام ولكن اخبار الجاهلية كلها لم تبلغنا وربما كان في مخطوطات بعض مكاتب الغرب والشرق شذرات منها تجلو لنا كثيراً من الغوامض اذا اردنا الاستقصاء في هذا المعنى والا فالحكم المبرم بقليل رأيناه عَلَى كثير مما لم نره قد يؤدي الى ركوب متون الاغلاط . وعَلَى كل فنشكر صديقنا المؤلف ونتمنى له التوفيق الى اتمام كتابه

التاريخ الكبير

للحافظ ابي القاسم بن عساكر عني بترتيبه الشيخ عبدالقادر بدران طبع بمطبعة (روضة الشام) بدمشق سنه ١٣٢٩

لم يبق احد ضرب بمعرفة تاريخ الاسلام الا وتشوق كثيراً لنشر كتاب الحافظ ابن عساكر المتوفى سنه ٥٧١ هـ في تاريخ دمشق وقد صحت عزيمة الشيخ عبد القادر بدران من فضلاء دمشق عَلَى نشره فنشر منه الى الآن ١٢٨ صفحة محذوفة التكرار والاسانيد وحذف اسانيد الاخبار في محلها ونقح الحوادث حسب الامكان وبين مراتب الاحاديث التي رواها المؤلف في الحاشية وكنا نود لو يوفق الناشر الى نشر هذا السفر الكبير وهو في ثمانين مجلدة صغيرة على الاسلوب الذي كتبه المؤلف وان كان هو باسلوب المحدثين اشبه منه باسلوب المؤرخين او ان يظفر الناشر بمختصر من المختصرات التي اختصرها به بعض ائمة هذا الشأن ولكن الهمم تقصر عن درك مثل هذه الغاية البعيدة الآن ولعل انتشار الكتاب على هذا المثال يشوق ابناءنا واحفادنا في مستقبل الايام الى نشر ما قاله ابن عساكر بالحرف عَلَى اننا نشكر للناشر والطابع عنايتهما وحرصهما عَلَى خدمة تاريخ اقدم مدن العالم الاسلامي ونعني بها دمشق الفيحاء

رسائل مختلفة

(السفر المفيد في العالم الجديد) والدليل التجاري لابناء اللغة العربية والشعوب المختلطة في العالم اجمع تأليف الدكتور نجيب طنوس عبده اللبناني في ٦٧٦ صفحة كبيرة الحجم مع الرسوم وفوائد مختلفة عن البلاد ولاسيما اميركا الشمالية

(الفتوى في الاسلام) تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وقد طبعت في الاجزاء الاول من مجلد السنة السادسة من المقتبس وجردها المؤلف مع تقديم فهرس لما يبين فوائدها

(ديوان البحتري) الجزء الاول منه ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد افندي عطية الاديب اللبناني وهو في ٤٠٠ صفحة كنا نود ان لا يسقط الناشر طائفة قليلة من ابياته لان من شروط الامانة ان تنشر الكتب على علاتها وان يشير الشارح الى بعض ما ربما لم يشرحه لانه توقف فيه ولاسيما في اسماء البلدان والاماكن

(برنامج جمعية النداء الخيري بدمشق) هذه هي احدى الجمعيات الخيرية التي أسست في هذه الحاضرة في السنة الماضية . وقد كان دخلها ٢٢٢٣٥ قرشاً و٣٥ بارة

صرفت منها عَلَى تعليم اولاد الفقراء واعطاء المحاويج ١٥٩١٥ والباقي احتياطي

(البيان السنوي) للكليه الاسلامية العثمانية في بيروت لعامها السابع عشر فيه نظام هذه المدرسة الراقية ومنزعها في التربية والتعليم واعمالها وكيفية الالتحاق بتلامذتها الى غير ذلك مما يدل عَلَى تدرجها في مدارج الارتقاء والنماء سنة فسنة

(الصهيونية) ملخص تاريخها غايتها وامتدادها حتى سنه ١٩٠٥ لنجيب افندي نصار وما جاء في دائرة المعارف الاسرائيلية عن مسألة الصهيونيين شفعها المترجم بما قاله في هذه المسألة الحيوية في جريدته (الكرمل) في حيفا

التقرير السنوي السابع لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وهي الجمعية الخيرية التي تجمع المال لتهذيب الفتيان والفتيات بقطع النظر عن مذهبهم ولها فرع نسائي وكان مجموع دخلها سنة ١٩١٠ ٥٥٦٦٣ غرشاً ومجموع خرجها ١١٠٢٦ غرشاً وبلغ مجموع من علمتهم حتى الآن ٤٤ فتى و٢ فتاتين صرفت عليهم من الغروش ٤٥٩٠٢ وذلك مدة سبع سنين ·

اخبار وافكار

حرق مكتبة الاسكندرية

كتب بعضهم مقالة في جريدة التيمس ايد فيها قول من قال ان عمرو بن العاص احرق تلك المكتبة بامر الخليفة عمر بن الخطاب معتمداً عَلَى ما قاله جرجي افندي زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث فرد عليه المستر بطلر مؤلف كتاب (الفتح العربي لمصر) داحضاً تلك التهمة · وقد نشرت التيمس رده في عدد ٢٥ حزيران الماضي قال : غريب ان يتحدث الناس من جديد بحرق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية وان ينشر مثل ذلك في جريدة كبيرة الشأن كجريدة التيمس وعندي انه لا يمكن ان يكون الكاتب قد بحث في المسألة من وجهيها العلمي والتاريخي فانه لو فعل لعرف ان الحجج التي يحسبها براهين جديدة عَلَى صحة قوله ليست بجديدة ولا يركن اليها في بحث هذه المسألة

وقد عقدت في كتابي (الفتح العربي لمصر) فصلا طويلاً على هذا المبحث واظهرت فيه بالادلة البينة ما يأتي :

١ — ان قصة حرق مكتبة الاسكندرية نشرت في الكتب الاوربية بعد الفتح العربي بخمسمائة سنة وناشروها هم عبد اللطيف وجمال الدين وابو الفدا والمقريزي . ولا شك ان ابا الفرج اقتبس روايته عن عبد اللطيف . وليست هذه الحقيقة اكتشافا جديداً بل هي امر قديم معروف

٢ — ان تعليل الحادثة يخرجها عن الجد والصحة

٣ — ان بطل الحادثة هو يوحنا فيليونوس وهذا مات قبل الفتح العربي بكثير من السنين

٤ — كان في الاسكندرية مكتبتان مهمتان احداهما مكتبة المتحف والثانية مكتبة السيرابيوم . ولا بد ان تكون الرواية تشير الى احداهما : فالاولى اتلفت في الحريق الذي احدثه يوليوس قيصر قبل الفتح العربي باربع مئة سنة . واما الثانية فيظهر من التاريخ انها اما ان تكون قد نقلت قبل سنة ٣٩١ قبل المسيح او اتلفت وخربت في ذلك التاريخ . وعليه لم يكن في الاسكندرية مكتبة في سنة ٦٤٢ بعد المسيح ولم يوجد ذكر للمكتبة في كتب القرن الخامس والسادس والسابع مطلقاً

٥ — لو كانت المكتبة موجودة في زمن الفتح العربي لكان نقلها بسهولة ممكناً في مدة المدنة التي أُعطيت قبل تسليم الاسكندرية وفقاً لمادة في المعاهدة تسمح بنقل الاشياء الثمينة وكان طريق البحر يومئذ مفتوحاً

٦ — واخيراً لو ان المكتبة نقلت او اتلفت لما كان مؤرخ ذلك العصر العالم جون فيكيو اغفل ذكرها وسكت عن حادثتها كل السكوت

وعلى ذلك فمنشئ المجلة المصرية (جرجي افندي زيدان) لم يكتشف الا ما كان ظاهراً معروفاً . والكاتب لم يدرج في اعمدتكم الا اعترافاً بجهل ليس فيه ادنى برهان في علم التاريخ . اه فليتأمل

تربية النظر

ذكرت احدى المجلات العلمية ان اهمال النظر في المدارس الابتدائية والثانوية في اوربا بلغ مبلغاً لم يستطع معه اكثر التلامذة ان يعرفوا بمجرد النظر تقدير مسافة اوقياس او وزن . ولكن الولايات المتحدة اخذت في مدارس المعلمين تداوي هذا الداء فتعلم التلامذة ان يقيسوا ويزنوا بعيونهم وقد رأى الاساتذة ان الاولاد لا يتصورون طول المتر تصوراً حقيقياً فصاروا يدربونهم عليها بعد درس الحساب فيخرج الاساتذة

بتلامذتهم الى النزهة عقيب الدرس في طريق ركزت في كل عشرة امتار منها علامة ثم ترفع العلامة ويشار الى الاولاد ان يضعوا العلامات بالنظر ومن احسن وضعها في اماكنها يعطى مكافأة وهكذا تقدّر الابعاد العالية عَلَى هذه الصورة فيضعون وتداً من اعَلَى الى اسفل ويتفننون في تقدير الابعاد العالية . اما التمرن عَلَى معرفة الاوزان فهو صعب اكثر من ذلك لان وزن الاشياء لا يمكن تقديره من حجمها ولكن الاساتذة رأوا ان يبدأوا بتمرين الطلاب على الاشياء الثابتة مثل تقدير وزن الحديد او الخشب اوغيرهما ثم ينتقلون بهم الى امور اخرى وعَلَى هذه الصفة يكون للتلميذ درس ولعب مسل يشغل الذهن وقد اتفق المعلمون على الاعتراف بان هذه الطريقة قد ادت الى احسن النتائج في تربية النظر

المطاط

لما اخترع ماكنتوس سنة ١٨٢٣ الرداء الذي لا ينفذ اليه الماء واشتهر به كان مقدار ما يستخرج من المطاط ١٢٠ طناً في السنة وما زال يكثر المستخرج منه حتى بلغ هذه السنة ٨٠،٠٠٠ طن وقد توصل جان ديبوفسكي البولوني الى استخراج ١٠ الى ٢٠ في المئة من المطاط من صمغ اسمه جلتونغ Jelutong

وهذا الصمغ يتكون عَلَى نبات ينبت في جزائر مالايو يستخرج بسهولة وبثمن قليل بحيث بات الرجاء بعد المعامل التي أُنشئت لاستخراج المطاط من هذا الصمغ ان تنزل اسعار المطاط كثيراً وتجاري ما يستخرج منه من مملكة الكونغو

بين اوربا واميركا

تنوي سويسرا ان تؤسس مؤتمراً دولياً للنظر في انشاء خط حديدي يقرب المسافة بين جنوبي اوربا وجنوبي اميركا بحيث يجعلها خمسة ايام وذلك بانشاء خط حديدي بعد جبل طارق عَلَى الساحل الغربي من افريقية قاصداً الى دكر منتهياً بباتورس بحيث يصل الانسان الى برنامبوك في ثلاثة ايام بدون ضباب ولا جليد كما هو الحال في بحر الظلمات وتكون المسافة بين جبل طارق ودكر ٢٧٨٨ كيلومتراً والى باتورس ٣٠٠٠ كيلومتر ولا تكلف نفقات الكيلومتر كبير امر لان اجرة العملة رخيصة جداً في تلك الاصقاع وبذلك يصل الراكب بعد ذلك براً وبحراً من اوربا الى برازيل في خمسة ايام وتنتفع اوربا ومراكش ومستعمرات انكلترا وفرنسا في افريقية وبرازيل وتقصر المسافة بين الكونغو وجنوبي افريقية وكذلك المانيا تستفيد من مستعمراتها

الافريقية ولكن هذا المشروع يحتاج الى رأس مال كبير حتى ينقل العملة والادوات وتهيأ اسباب المياه للشرب وغير ذلك

الزواج في الغرب

اكثر البلاد تزوجاً بلاد المجر فان معدل المتزوجين كان سنة ١٩٠٨ ـ ١٩ في الالف وكان سنة ١٨٩١ ـ ١٧ في الالف وفي المانيا زاد عدد المتزوجين زيادة قليلة بعد سنة ١٨٩٠ ونهض معدله في ايطاليا من ١٥ الى ١٦ ½ في الالف وفي فرنسا من ١٥ الى ١٦ وفي انكلترا الى ١٥ وارتقى في ايرلندا من ٩ الى ١٠ في الالف ونزل معدل الزواج في يابان من ١٧ في الالف الى ١٦ سنة ١٨٩٣ وشاع الطلاق فيها حتى كان ٣٢٥ طلاقاً في كل الف زواج وبعد سنة ١٩٠٧ بلغ معدل الزواج عندها ١٨ في الالف وما زال عدد الاولاد غير الشرعيين يكثر في العالم ولا سيما في يابان وكذلك في فرنسا والمانيا واقل الممالك باولادها غير الشرعيين انكلترا وهولاندة

نهضة الجمال

في جميع بلاد الحضارة اليوم تنشأ جمعيات ومنتديات ومتاحف للبقاء عَلَى الجمال وانهاضه من كبوته في المحال التي لا اثر له فيها فمن جمعيات لوقاية المناظر الجميلة القديمة وابقاء رونق المدن والقرى والدساكر عَلَى حالها ومن جمعيات لابعاد البشاعة عن مناظر المدن والاهابة بها الى الجمال ومن اخرى لتنشيط الهندسة والنقش وغيرها لتجويد لعب الاولاد حتى تتربى فيهم ملكة الجمال والشعور به وفي انكلترا وفرنسا تنشأ مدن كالحدائق بترتيبها ومن معارض تقام للصناعات النفيسة ومن جمعيات لتنشيط زواج جميلات الصورة من النساء بجميليها من الرجال ليكون الجمال والكمال في اولادهم صنوين ومن جمعيات تعنى بتحسين الجنس البشري ففي باريز جمعية تسعى الى نقض عهود الزواج التي يكون منها اولاد ناقصون في خلقهم مشوهون في تراكيبهم وهكذا يدعون الى الجمال ويعلمونه ناشئتهم اي عملاً لنا في الشرق مثل ذلك

ادبيات يابان

كتب احد الباحثين من الانكليز ان المرأة اليابانية كانت ممتازة بقريحتها الادبية منذ عهد بعيد فكانت منذ القرن الثامن مشهورة بمعرفتها معنى الحياة وسهولة التعبير بلغة ادبية مختارة ولكن لم يكن يتفق وجود النساء الكاتبات ولا يتفق وجودهن الا في قصور الملوك ثم جاء دور هيان (٨٠٠ ــ ١١٨٦) فكان العصر الذهبي للمرأة اليابانية

وقد ارتقى تسع نساء الى عرش الملك فامتزن بحكومة عاقلة متسامحة فكان بلاط الملك معهداً يتعلم فيه النساء و يتهذبن والظاهر ان احسن التآليف الادبية التي نشرت في ذاك القرن قد خطتها انامل النساء ثم اتى دور يدو فاضمحلت دولة الآداب وكذلك الحال من سنة ١٦٠٨ — ١٨٦٧ فقد اطفئت في خلالها حياة المرأة العقلية · وظهرت المرأة اليابانية من سباتها الى منذ اربعين سنة ونهضت للتعلم نهضة الشمير الخبير ففي سنة ١٨٧١ بدأت النهضة النسائية بذهاب الفتيات اليابانيات يتعلمن في اميركا فنشأت عن ذلك حركة مهمة بحيث بلغ عدد الطالبات اليوم ٣٢ الفاً ومعظمهن يدرسن الآداب· وفي يابان عدد كبير من الجرائد والمجلات يشارك النساء في تحريرها كل المشاركة ولهن مجلة سمينها مجلة القرن العشرين جعلنها لسان حال الحزب الراقي من النساء يطالبن فيها ابنات حواء بالحرية وحق الانتخاب · وزعيمة اديبات يابان اليوم البارونة ناكاجيما وهي كاتبة سياسية معتبرة

النصرانية والوثنية

حكمت يابان عَلَى رجل اسمه كوتوكو بدعوى انه من الفوضويين فقام انصار الحرية وقعدوا قائلين ان لبعض رجال الدين يداً في مقتله كما كان لهم في مقتل فوير المصلح الاسباني · قالت المجلة الباريزية : ليس كوتوكو كما صوره خصومه بل هو كاتب واخلاقي وكتابه الاخير الذي سماه « نسخ المسيح » قد احدث رنة كبرى بين الطبقة المستنيرة في يابان وكان المؤلف عدواً للنصرانية يجاهرها العداء ولذلك عاداه المرسلون من جميع الطوائف · وهو من تلامذة المصلح الياباني ناكاشومن وتأليفه الاخير في نفي مجيء المسيح ذهب فيه مذهب الاستاذ دروس ولم يعمد الى القذف في كتابه بل جعله سفر علم وبحث واستنتج فيه ان المسيح (عليه الصلاة والسلام) لم يثبت ظهوره في التاريخ وحث مواطنيه ان لا يتخلوا عن دين بوذا وكنفوشيوس ليدينوا بمذهب أسس عَلَى الوهم والوثنية (كذا)

مميزات المجانين

عُني اثنان من الاطباء بالمقابلة بين المجانين من الرجال والنساء وبين العقلاء من الجنسين فثبت لهما بعد ان نظرا في ستمائة شخص ان طول المجانين قصير في الاغلب وكذلك النصف الاعلى منهم بخلاف اعضاء النصف الاسفل فانها عادية ففي مئة رجل عاقل وجدا ان الرجلين كبيرتان ٥١ مرة وصغيرتين ١٨ بخلاف ارجل المجانين فان في

٥٥ رجلاً كبيرة ٢٤ رجلاً صغيرة وبالعكس في المرأة ففي مئة امرأة عادية ٥٢ ذات ارجل صغيرة و ٢٣ ذات ارجل كبيرة وفي مئة معتوهة ٥٤ كبيرات الارجل و ١٨ صغيراتها ورؤوس الرجال العاقلين اقل طولاً في الاكثر منها في المجانين والمرأة العاقلة تمتاز على الجملة بطول الرأس بخلاف المعتوهة فانها صغيرته مستطيلته ومعظم رؤوس الرجال العاقلين قليلة العرض بخلاف المجانين فانهم عريضوها اما النساء العاقلات فيمتزن اجمالاً بعرض الرأس المتوسط او بكبره والمعتوهات بصغر عرض الرأس. والمعتوهون والمعتوهات كبار الآذان.

التمثيل بباريز

بلغت مداخيل دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ ٥٧ مليون فرنك اي بزيادة عشرة ملايين عن السنة التي قبلها وكانت الزيادة اولاً للاوبرا ثم للاوبرا كوميك ثم للكوميديا الفرنسوية ثم للاوديون ثم لغيرها من دور التمثيل المدهشة المتقنة

العاملون في الامم

نشرت وزارة العملة الانكليزية احصاء بالعملة في جميع البلاد المتمدنة فكان عدد العاملين في النمسا ٥١ ونصف في المئة وعددهم في فرنسا ٥١ وربع في كل مئة و ٥٠ في ايطاليا و ٤٦ في البلجيك و ٤٤ في المانيا و ٤٥ في انكلترا و ٣٥ في الولايات المتحدة

الجلد الصناعي

اخترع منذ سنين احد البلجيكيين جلداً صناعياً وثبت الآن غناؤه في مسابقة اللجنة الزراعية في مدينة ترني من ايطاليا ونال مخترعه الجائزة وهذا الجلد عبارة عن غمس قماش من القطن بمواد دهنية زلالية دابغة والاحذية التي تصنع به تقاوم كالجلد الطبيعي ولها مرونته وطول صبره والحذاء المعمول من هذا الجلد الصناعي يكلف مع اجرته اربعة فرنكات ويباع بستة عند التجار وهو نافع للفقراء والعملة خاصة

صرعى الحروب

ذكر بعضهم ان الحكومات تقل في العادة معلوماتها عن الحروب ونتائجها المدهشة وهكذا لا يعرف الا قليل من كثير ممن فقدتهم فرنسا في الثورة الاولى وتأسيس حكومة نابليون فقد كانت جنود نابليون اوربا مثلاً فاجتازت المانيا وبولونيا وهولاندة واسبانيا وسويسرا والبرتغال وايطاليا وكرواسيا ودلماسيا وترك في ساحة الوغى مئات الالوف من الاشلاء فهلك من الفرنسيس في حرب اسبانيا التي دامت خمس سنين ٤٧٣ الفاً

وفي حرب روسيا ٣٨٠الفاً ولا يعلم بالتحقيق عدد من هلك في معركة واترلو ومن المحقق ان الجيش العامل كان مليوناً وثلاثمائة الف من الفرنسيس هلك معظمه . كل هذا ونابليون لا يهتم بمن يهلك حتى قال له مترنيخ السياسي النمساوي ذات يوم : ماذا تعملون متى هلك هؤلاء الشبان « فاجابه نابليون : لا ادفع فلساً لاجل حياة مليون من البشر » وقال نابليون لنار بون احد قواد فرنسا . ان حملة روسيا قد استلبت من رجالي ثلثمائة الف رجل هذا خلا من قتل من الالمان . قال من ننقل عنه ان فكر الفتوح — بقطع النظر عن الحروب المدنية والدينية وحروب الاستقلال — كان زمناً طويلاً العامل الوحيد في الحملات العسكرية وقد نسي الناس في الغالب ما صحبها من الفظائع التي لا نفع فيها ولا محيص منها ولم تعلن للجمهور مخافة ان يسقط تأثير الحكومات فيهم . وقد قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وانا ارى ان التاريخ لم يعرف على حقيقته حتى يردد ونشره بين الناس جلياً مسلسلاً بالروايات الاكيدة اعظم نافخ في بوق السلام بين الانام .

قلنا اما نحن فلا نعلم باي وجه يغالي بعضهم في تكبير نابليون في العيون باعماله وهو الذي قتل من قتل من البشر وكلف قومه لا اقل من ثلاثة ملايين من الرجال الاقوياء ومثلهم من سائر الامم او اكثر ولكن انصار الملكية في فرنسا وفي مقدمتهم رجال الدين يموهون على العقول لينفروا الناس من حكم انفسهم بانفسهم وتكون لهم السيطرة على الارادات والنفوس بما لم ينزل به سلطان

مجلة فريدة

بدا لرجل كاتب ومصور من اهل قرية في جوار سبرنجفيلد من اعمال ولاية ايلينوا في الولايات المتحدة ان ينشئ لاهل قريته مجلة خاصة بهم فريدة في اسلوبها ورسومها وشعرها ونثرها وكلها مما خطته يراعته وريشته فأصدر منها عدداً واحداً وطبع منه سبعمائة نسخة بقدر عدد سكان القرية يريد بها ان يعلم اولئك الفلاحين ذوق الفنون والآداب ومن جملتها الشعر . يعلمهم به ويهذبهم وقد كانت الصور التي صورها في هذا العدد كأنها ناطقة تتكلم وتعلم مشفوعة بقصص تشرح مكانتها فمنها ما يمثل صورة شيطان الرذيلة خضع لسلطان المرأة المربية ولطفها الساحر . ومن الصور التي صورها صورة قارب جذبه التيار في عرض البحر فمزق قلوعه وتلاعبت به الامواج والرياح من كل جانب يشير به الى قرية تتقاذفها الاهواء من فساد اخلاق وشرب مسكر وغير ذلك من الموبقات وهناك رسوم احتفالات ومواكب نشر الشعب اعلامها وقد كتبوا عليها

مواعظ ونصائح في عمل الخير وحفظ الصحة وحسن التدبير وقد زاد المجلة رونقاً شعر صاحبها الذي ينبه الشعور ورأى ان نشر مثل هذه الصحيفة أفيد لبني قومه من موعظة يسمعونها في ابرشيتهم فيطير صداها في الفضاء

الاستقلال المادي

نشر احد رجال المجر كتاباً في حالة المجر الاقتصادية قال فيه ان السبب في ارتقاء هنغريا في مادياتها قلقها الدائم عَلَى استقلالها عملاً بقول ذاك الوطني المجري الكبير : « ان كل ما تسلبنا اياه الشدة يتيسر للزمان المسالم والاحوال الموافقة ان تعيده الينا ولكن الحقوق التي نتخلى عنها بصنعنا نفقدها الى الابد بدون ان نأمن رجعتها . » وعَلَى هذا شمر المجريون عن ساعد الجد واعادوا قاحل ارضهم حدائق غلباً وحقولاً ممرعة وتلك المراعي التي يضل فيها الغنم اصبحت الآن تربي قطعاناً من البقر بحيث زاد عددها مليون رأس منذ عشر سنين وان بلاد المجر كانت وما زالت بلاداً زراعية وستظل كذلك ومن الارض تستخرج اهم موارد ثروتها عَلَى انها بفضل جد الافراد والحكومة بلغت في الصناعات شأواً بعيداً يحسدها عليه ارقى الامم بحيث قدر صناعها بثلثمائة وعشرين الفاً من اصل عشرين مليوناً سكان المجر كلهم وقد جاوز محصولها السنوي مليارَي فرنك فقدرت الزيادة في ثماني سنين بخمسين في المئة فلله ما يعمل الجد والعلم المادي ولا غرو بعد هذا اذا كان للماديات تأثير قوي في المعنويات .

الصين الجديدة

قلق الاوربيون لنهضة الصين الحديثة فمن قائل ان الخطر منها يوشك ان يتناول الاوربيين قريباً ومن قائل بان ذلك بعيد الآن وقد انتدبت الجمعية الجغرافية في باريز عالماً ثقة ليدرس الحالة في بلاد الصين وعاد فكتب كتاباً في هذا الشأن قال فيه ان الخطر الاصفر ليس قريب الوقوع كما يدعي بعضهم وان اليوم الذي يقوم الصينيون فيه ويقولون « آسيا للآسياويين » بعيد ومتى حان يحيق الخطر بالاقرب فالاقرب من الاوربيين (اي الفرنسيس في التونكين) كما وقع لليابان في استيلائها على كوريا ومحاولتها الاخذ بخناق منشوريا قال وان السواد الاعظم من ابناء السماء يحافظون على التقاليد القديمة كل المحافظة يقدسون اجدادهم ويكتبون بخطوط صعبة يستحيل ان تنتشر بواسطتها مدنية وربما كان الافرنج النازلون في بلاد الصين السبب الاعظم في كره الصينيين للغربيين على نحو ما جرى في ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ فثارت البلاد عَلَى

الاجانب بدون استثناء وهذه العداوة المتأصلة هناك تعجل في نشوء الصين وما هو بيطيء كما يظن فمنذ سنين قليلة كانت تمتنع الصين من انشاء سكك حديدية ثم أعطت امتيازات لاناس من الاجانب وعادت فابتاعت منهم ما مدوه من الخطوط لئلا تكون لهم حجة في بلادها ونظامها العسكري حديث العهد بعد وهو سائر سير نجاح واوربا تحسن صنعاً اذا عاقت ارتقاء الصين في الجندية لا كما تعمل الآن فيقدم تجارها لها ما تريد من عدة برية وبحرية من احسن الانواع ·

اكبر سد

يبنون الآن على نهر المسيسبي باميركا في شلال الرهبان بين مونتروز وكنكوك اعظم سد في العالم يحوي خزاناً تنشأ منه قوة ذات ٢٠٠ الف حصان وطول هذا السد ١٤٠٠ قدم وسعته ٤٣ وعلوه ٣٧ وهو من الحجر ويكون طول الخزان ٦٥ كيلومتراً وسعته الوسطى كيلومترين

الاكتشافات المقبلة

ذكرت مجلة ادلة الترقي ان اديسون المخترع الاميركاني المشهور مقتنع كل الاقتناع بأن حجر الفلاسفة الذي شغل كثيراً من المغرمين بالكيمياء القديمة لتحويل المعادن الى ذهب سيكشف في المستقبل فيستطيع الانسان ان يسك نقوداً ودنانير على ما يشاء من الحجارة والمعادن وبذلك يختل نظام الحالة المالية في العالم وانه لا يمضي زمن حتى تخترع ادوات زراعية تتحرك بالكهربائية بقوة خارقة للعادة فتحرث الارض وتسلفها (تشوفها) وتبذرها وتقلع حشيشها وتسقيها وتحصدها وتكدسها وتدرسها وان الفلاح في المستقبل سيكون عالماً بالنبات وطبيعياً وكيماوياً وتكون ادوات ابن الارض في الايام المقبلة عبارة عن سلسلة مفاتيح ومحركات كهربائية

قال ولا ينتهي القرن الا ويحل الفولاذ محل الخشب في صنع اثاث البيوت · فقد كان القرن التاسع عصر الورق فاذا انتهى القرن العشرون لا يبقى للورق من اثر ولا يعرف بماذا تصر الصرر اذ ذاك ولا على ماذا تطبع الصحف والمجلات اما الكتب فهو يرى انها ستطبع على اوراق من معدن النيكل على ثخانة واحد من خمسة من الالف من المليمتر ·

الاسر السويدية

ملك الاسرة في السويد عبارة عن ارض زراعية او بيت بحديقة ينشأ في جوار

القرى بحيث لا يتجاوز هذا الملك ١٥ الف فرنك ويتأتى احداث هذا الملك بمعاونة الحكومة او بمعاونة شركات أسست لهذا الغرض فالحكومة تقرض مالاً لمن يريد ان يقتني ملكاً من هذا القبيل بفائدة ٣ في المئة وكسراً وتقرض الشركات بفائدة ٤ في المئة وقد كان لاحدى الشركات الى آخر سنة ١٩٠٩—٥٥ فرعاً من فروع مصارفها واعضاؤها ٥٤٩٠ عضواً اقرضت ٢٢٩٧٣٠٥ كوروناً تعاون الافراد عَلَى الاغنياء وترفع الشقاء عن الفقراء وهذا من افضل ما سمع في باب التضامن الاجتماعي

شكر جديد

استخرج سكر جديد من جذع الخيزران الابيض ويوجد فيه بكثرة وقد سمي فرباسكوس VERBASCOSE

حبوب السوجا LE-SOJA

السوجا نبات يزرع بكثرة في آسيا الشرقية ولا سيما في منشوريا ويحمل الى اوربا اخضر او حبوباً او حلويات وقد بلغ المحمول منه في السنة الاخيرة زهاء مائتي الف طن ويستعمل اليابانيون هذا النبات في تغذية الحيوان والانسان · وخبز السوجا يحتوي عَلَى مواد مقوية اكثر من خبز الحنطة واقل مادة نشوية منه وفيه من المواد الدهنية عشرة اضعاف ما في خبز الدقيق وينفع خاصة المصابين بالبول السكري

نواب الامم

كندا اقل الامم نواباً ففي مجلس نوابها ٢١٤ نائباً وللمجلس النيابي العثماني ٢٧٤ نائباً ولليابان ٣٦٩ نائباً وللولايات المتحدة ٣٩١ ولالمانيا ٣٩٦ ولاسبانيا ٤٠٦ ولروسيا ٤٤٢ ولايطاليا ٥٠٨ وللنمسا ٥١٦ ولفرنسا ٥٩٤ ولمجلس العموم في انكلترا ٦٧٠ ولكننا لا ندري اي المجالس النيابية احسن عملاً

الجراحة في بابل

اكتشفوا في حفريات حديثة في ارض بابل اكتشافاً له مكانة سامية في تاريخ الاجتماع وهو عبارة عن حجر كتبت عليه كتابة يرد تاريخها الى نيف واربعة آلاف سنة وفيها ذكر لاجور الجراحين وقد جاء في هذا الاثر ان اجور الاعمال الجراحية كانت معتدلة بالنسبة لهذه الايام · فكان الجراح يتناول اجرة الساق المكسورة نحو ثمانية فرنكات ونصف واجرة قلع السن او الضرس ٣ فرنكات وثلاثة ارباع واجرة العملية الجراحية بالمبضع ١٥ فرنكاً · وكانت العقوبات التي تحل بغير الماهرين من الجراحين فاحشة

جداً فاذا اساء الجراح القيام بعمليه جراحية تقطع يداه ·

مكتبة لندرا

من افيد الطرق في اعارة الكتب لنشر المعارف ما جرت عليه مكتبة لندرا من اعارة الكتب الى من يشاء الى حيث يشاء عَلَى ان يردها او لا يردها اذا شاء وفي اي وقت شاء وقد جربت هذه الطريقة منذ قام بانشاء المكتبة كارلايل العالم الانكليزي المشهور فاسفرت عن نجاح اكيد بعد سبعين سنة من انشائها لانه قلما يضيع لهذه المكتبة كتاب واذا ضاع فانها تستعيض عنه في الحال غير آسفة عليه لان كتبها غير نادرة ولا تجليدها نفيس والذين يفضلون عَلَى هذه المكتبة بعض الملوك والافراد والعلماء المشاهير وقد كان ما لديها من المجلدات سنة ١٨٤٣ — ١٥ الف مجلد فاصبح الآن مئات الالوف ·

افريقية الجديدة

كتب احدهم في مجلة الطبيعة ان تغيراً كبيراً طرأ عَلَى افريقية منذ خمس وعشرين سنة وذلك باتصال الخط الحديدي من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة حتى كانكا سنة ١٩١٠ ويرد تاريخ استعمار افريقية الى سنة ١٨٧٠ ايام اكتشفت معادن الماس في كمبرلي وقد انفق الذين اغتنوا منها معظم اموالهم في عمران الترنسفال وردوسيا وتسهيل السبيل الى بلوغ الكونغو البلجيكية من جهة الجنوب والدور الثاني في استعمار الاستعمار الافريقي يرد الى سنة ١٨٨٧ عند ما اكتشفت مناجم الذهب في ويتواترساند التي هي اليوم اعظم مناجم العالم ولا تنس معادن القصدير والفحم الحجري والحديد في بلاد الترنسفال وامتد الخط الحديدي من الرأس الى القاهرة فبلغ ردوصيا وكثرت بذلك صادرات الذهب منها ومتى وصل الخط الى كاتانغا سهل استخراج النحاس والمأمول ان تجاري افريقية بما يستخرج من نحاسها بلاد اميركا كما جارتها بالمستخرج من ذهبها ولكن من الاسف العظيم انه كله يستخرج لغير ابنائها ·

مدرسة الضعفاء

قام جماعة من الجنس اللطيف تحت رئاسة الآنسة روزلاسب سنة ١٩٠٩ في مدينة بوسطون باميركا وأسسن في احدى حدائق المدينة حديقة للاطفال المصابين بضعف في القوى كفقر الدم وغيره · ولما رأت ادارة المعارف نجاح المدرسة والفوائد التي تنجم عنها اوعزت الى اللجنة بان تربط مدرستها بمدارس الشعب وعينت لها الدكتور هار ينكتون

مستشاراً صحياً في لجنة ادارة المدرسة واما المدرسة فهي كناية عن حديقة واسعة بجانبها عدة غرف يلتجئ اليها التلامذة اذا تعكر صفاء الجو وفي احدى تلك الغرف يحضر طعام التلامذة وبرنامج المدرسة اليومي كما يأتي :

			الساعة	الدقيقة	
(١)	اجتماع التلامذة في المدرسة		٨	٤٥	افرنجية
	رحلة صغيرة خارج المعمور	من	٩	١٠	«
		الى	١٠	٣٠	«
(٢)	اشغال هادئة كالغناء ومحادثات				«
	قصص تتعلق بحفظ الصحة وغيرها	من	١٠	٣٠	«
		الى	١١	٠٠	«
(٣)	العاب جسمية كالكرة والعدو والقفز	من	١١	٠٠	«
		الى	١٢	٠٠	«
(٤)	تمثيل روايات	من	١٢	٠٠	«
		الى	١٢	٣٠	«
(٥)	تناول الغذاء	من	١٢	٣٠	«
		الى	١	٣٠	«
(٦)	قيلولة	من	١	٣٠	«
		الى	٣	٠٠	«
(٧)	رقص	من	٣	٠٠	«
		الى	٣	٣٠	«
(٨)	العاب عقلية مثل الغاز	من	٣	٣٠	«
	ومعميات وغيرها	الى	٤	٠٠	«
(٩)	طعام خفيف	من	٤	٠٠	«
		الى	٤	١٥	«
(١٠)	الانصراف الى بيوتهم		٤	١٥	«

وكل اسبوع يستحمون مرة ويركبون مرة في سفن في البحر لاستنشاق الهواء والتلامذة صبيان وبنات تختلف سنهم بين السادسة والعاشرة وجلهم من عائلات فقيرات

واما الطعام الذي يتناولونه في المدرسة فمؤلف من الخبز والزبدة والسمك والبيض والبقول والفواكه واللبن وشيء من الحلويات في بعض الاحيان وفي هذه السنة فحص التلامذة ووجدوا ان اجسامهم قويت وعقولهم نمت وشعورهم سما فلاغرابة في ذلك لمن امعن في البرنامج السالف الذكر لان المدرسة لم تهمل اجسام التلامذة كما انها لم تهمل عقولهم وشعورهم . اه ملخصاً عن جريدة السورڤي الاميركية .

تصوير الكتب

اخترع احد البلجيكيين آلة تصوير يأخذ بها ما يشاء من الكتب والاوراق التي يراد حفظها دون ان تشغل محلاً فسيحاً فهي تنقل الصحيفة الى جزء من اربعين من حجمها الاصلي وسيكون لهذه الآلة شأن في نقل المخطوطات النادرة

مستقبل الاولاد

قام في ليفربول في انكلترا جماعة وأسسوا جمعية غايتها مساعدة الصبيان والبنات بعد خروجهم من المدرسة في الحصول عَلَى عمل يضمن لهم مستقبلهم وهي تبذل جهدها لمنع الاولاد من الاستخدام في الاعمال المحدودة التي لا تحتاج لاتعاب فكر كتوزيع الرسائل البرقية والبريدية او ان يكونوا مستخدمين في احدى الحوانيت وهي تبحث في ميل الولد فتضعه في محل يوافق ميله

رقي الصين الصناعي

مما يدل عَلَى رقي الصنائع الحديثة في الصين ان حكومتها ستصنع بعد الآن ما تحتاجه من المعدات الحربية كالاسلحة وغيرها في معامل في بلادها

قوة الماء في سويسرا

من المحقق ان سويسرا تستعمل قوة الماء لتحريك آلات المعامل اكثر من كل البلاد بالنسبة لسعة ارضها فالقسم من البلاد الواقع في جبال الالب يستعمل الآن قوة ١،٢٠٠،٠٠٠ حصان وهو يزداد في استعمال هذه القوة سنة عن سنة ففي سنة ١٩٠٨ كان ما انشأه من الآلات يحتاج الى قوة ٤٠٠،٠٠٠ حصان واما في سنة ١٩١٠ فقد كان ما انشأته من الآلات يحتاج الى قوة ٧٠٠،٠٠٠ حصان لادارتها .

العمي والحرف

أنشئ معرض في مدينة نيويورك تحت رعاية جمعية مساعدة العميان فيها لاظهار ما يمكن ان يقوم به من فقد حاسة النظر من الاعمال النافعة فافتتح المستر تافت رئيس

الولايات المتحدة المعرض مع جماعة من اركان البلاد واعجبوا بماقام به العمي من الاعمال كالضرب على الموسيقى والنجارة وحياكة المكانس والسلال وتنجيد الفرش والكي والكتابة المختزلة والكتابة على الآلة الطابعة الى غير ذلك من الصناعات اليدوية . وكان محل اعجاب المتفرجين تمثيل فصل من رواية لصوص مدينة البندقية لشكسبير الشاعر الانكليزي قام بتمثيلها جماعة من معهد العميان في بنسلفانيا فتقدم عدد من البنات ورقصن برشاقة باهرة وتقدم بعض الصبيان بالعاب رياضية ابتهجت لها قلوب الحاضرين وهم ايضاً فاقدو البصر كأخوانهم . عن جريدة المراقب الاميركية

محصول الذهب

بلغت قيمة مااستخرج من الذهب في العالم كله سنة ١٩١٠ — ٤٥٥،٨٣٢،٠٠٠ ريال اميركي و يقدر محصوله في عشر السنين الاخيرة بثمانية اضعاف مايستخرج سنة ١٩٠٠ .

المطالبات بحقوقهن

كثير من النساء في لندرا يطالبن المساواة بالرجال في حق الانتخاب وقد ابين ان يعدن انفسهن في دفتر النفوس اذ يعتبرن ان ليس للحكومة حق في عدهن من سكان البلاد لانه لا يسمح لهن بحق الانتخاب وحاولن الهرب من وجه مأمور النفوس يوم الاحصاء .

كبر القدم والرياضة

وجد احد معامل الاحذية الكبيرة في الولايات المتحدة ان معدل قياس احذية النساء التي اشتغلها في السنة الاخيرة كان ٥ ١/٢ بينما كان معدل قياس ما صنعه منذ عشر سنين ٤ ١/٢ و بعد البحث وجد ان سبب الزيادة كان انتشار الالعاب الرياضية بين النساء في تلك البلاد وان معدل طولهن ووزنهن قد زادا زيادة ظاهرة .

هرباً من الثلوج

ستنشيء احدى شركات السكك الحديدية في الولايات المتحدة نفقاً تحت جبال السيرانيوادا و يكون طول ذلك النفق ستة اميال يكلف ١٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال وذلك هرباً من الثلوج التي تطم الخط فيمتنع القطار عن المسير بضعة ايام وقت الشتاء فعسى ان تعمد شركة حديد بيروت — دمشق الى احتذاء هذا المثال فتحفر النفق في حمانا بجبل لبنان فقد حالت الثلوج في هذا العام خمسة واربعين يوماً دون سير القطارات

المقتبس

البكتيريا

البكتيريا او الباشلوس او الميكروبات كلمات حديثة الوضع للدلالة عَلَى الاحياء الصغيرة التي كشفها موءخراً المجهر المسمى بالميكروسكوب

وهذه الاحياء ليست حيبوينات كما يتبادر الى الذهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في منتهى الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان معظمها خال من الكلوروفل اي المادة الخضراء التي تتلون بها النباتات فضلاً عن تناهيها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها بدون ان يستعين بالآلة المعظمة او المجهرة وهي الميكروسكوب او المجهر الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الماضي · ولذلك فالعلماء الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يعلموا شيئاً عن عالم الاحياء هذه التي اصبح درسها الآن علماقائماً برأسه كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والفوائد الزراعية عَلى ما سيجيء في هذه المقالة التي ضمناها زبدة ابحاث العلماء ذوي الاختصاص حتى سنتنا الحاضرة

صفة البكتيرا وماهيتها وانتشارها — هي احياء نباتية ذات خلية او حويصلة واحدة شفافة اللون غالباً ، مستديرة او اسطوانية اومستطيلة الشكل تبعاً لانواعها، تنمو بالانقسام الذاتي فتمتاز عَلَى غيرها بفقد القوة التناسلية العادية وبخلو جرثومتها من النواة · ومعدل قطر حجم جرثومتها الحويصلية نحو جزء من الف من الميلمتر · والميلمتر جزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل علي ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله · وتوجد في البرك والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وكوم الزبل ، وفي التراب ، وحيث تلقى المواد العضوية فتتعفن ، وفي جميع السوائل كالدم

واللبن والبيرا والماء عَلَى انواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخضر وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا ظلت مدة معرضة للهواء تنتابها البكتيريا وتتوالد فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم يعاشرنا و يعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً يذكر حتى اواسط القرن الماضي

و يقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث تقل جداً بالقرب من القطبة الشمالية او تعدم بتاتاً . و ينقى منها هواء الابحر والاقيانوسات لانه في تقلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقيها فيه ولذلك فهواء البحار اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تفقد عَلَى علو ٦٠٠ متر فما فوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال على بعض الامراض كالهواء الاصفر وغيره مما لا تنقل ميكروباته الا محمولة على ذرات الغبار التي تقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات عَلَى الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملاءمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات الغدد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القناة الهضمية الاحيث تجتمع المفرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الاوبئة . وقد علق بعض العلماء مكانة كبرى عَلَى استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاء

تولد الميكروبات ونموها وفعلها — تتولد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وضمي وخيطي الخ . والمعتاد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتنشق كالبراءة اذا نصفناها بالشق طولاً

وقد امتحن بعضهم سرعة تولد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حويصلة خويطية منها في مرق الساعة ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعة بالانتفاخ وافرخت عند الساعة ٣ ½ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعة ٨ ½ فاتخذت شكلاً مستطيلاً معقداً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حويصلة مستقلة . و بعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً جانبياً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الانواع بعد نصف ساعة من زرعها وما يشتق منها يعود فينقسم ايضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى عَلَى الحساب . و بعد هذا الايضاح نعلم شدة الخطر جلياً من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم . بمثل هذه السرعة . ولا يكون عَلى الجسم خطر منها الا اذا كانت من الانواع التي تترك في الدم مفرزات او بقايا سامة اي لا تلائم بطبعها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجماد والاحياء فعلى غاية الشأن . لانها هي التي تخمر العجين والخل والخمر وسائر المشروبات وتعدل المواد السائلة من دم وماء فتضر او تنفع تبعاً لكيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسحل وجه الارض وتساعد عَلَى نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عدها بعضهم أصل جميع الكائنات العضوية . واليك أخص فعلها في الحيوان والنبات والجماد

فعلها في الحيوان — اهم افعال الميكروبات بالنظر الى حياة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع المقام لايرادها هنا بالتفصيل ويكفي لتقدير نفعها مكانة وجودها في الماء الذي نشربه . لانه اذا خلا منها بالتقطير صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تاماً منها انقلبت سماً نافعاً كما يعلم ذلك من اختبار الينابيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم فانها تضر شاربيها ضرراً بليغاً اذا انتفى منها وجود الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لا حي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات عَلَى انواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي تهيء لنا ما نتمتع به من المشروبات المختمرة كالخمر والبيرا واللبن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العد . فلو فرضنا فقد هذه الميكروبات فجأة لانقلبت احوال المعيشة انقلاباً يهولنا تصوره . لانها هي التي يتم بواسطتها الاختمار والتعفن ودبغ الجلود وتحضير النيل والتبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً انماء الزرع كما سيجيء . فمعظمها نافع لذوات الحياة

غير أن بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يهيء للمرض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثني من ذلك الا بعض العلل الناجمة عن فعل حيوينات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح بحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم . فكل ما يميتها من الادوية والعقاقير يسمى مطهراً لانه يمنع افسادها للدم

وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها . فمنها ما هو ضمي الشكل كميكروب الكوليرا ومنها ما هو بيضوي او مستدير او غير ذلك . وبعضها لا يعيش بضعة ايام كميكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك . وغيره كميكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة . وميكروب السل يعمر ايضاً وتساعده المواد الحامضة عَلَى الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المسلولة كلما أعادتها التغذية المقوية الى حالة كلسية . ولذلك فلا يجوز للمسلول تناول الاطعمة الحامضة مطلقاً . واذا اقتصر عَلَى الاغذية القلوية ساعد الطبيعة عَلَى شفائه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش عَلَى المواد المعدنية . فميكروبات النبات تتناول من الهواء المادة الكربونية فتمثلها اي تهضمها وتقتات بها فتنفصل بذلك النيتروجين وتبثه في جذور النبات . ومنها انواع تحل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل عَلَى النبات الاغتذاء بما يلائمه من هذه العناصر

ومما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فيتكون من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة المائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث تنعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا . وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كأن بيدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لنواميس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل أهداب جذور النباتات القرنية كالفول السوداني وتخترق نسيجها فتشله فتكوّن عقداً اوغدداً تغذيها بالنتروجين . وهذا هو سر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والغدد المفصية في السنديان . وهي التي تنخر قصب السكر وغيره

وقد عني الالمان بتربية الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا النتروجين لكثرة ما تقدمه من هذا العنصر لتغذية النبات · وربى غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد «الزبل الطبيعي»

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم ينقعون بهذه المادة البذار او يذرون منه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع إقبالاً غريباً · وفي اكثر عواصم اوربا واميركا الآن مستودعات لبيع هذا اللقاح البكتيري فما على المزارعين عندنا الا ان يحذوا حذو مزارعي البلدان الراقية فيستفيدون ويفيدون البلاد

فعلها في الجماد — اي المواد غير الآلية · من البكتيريا انواع انما تعيش على الجماد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها المكانة المهمة في بنائها وهدمها مما يشبه الدورة المائية المذكورة آنفاً · فبكتيريا الكبريت مثلاً تفعل هذا الفعل بتوليدها الكلتسيوم الذي تحوله الى تجبسيوم ثم الى كبريت ثم تحله وتعيده سيرته الاولى · ويقال مثل ذلك عن بكتير الصخور والحديد وسائر المعادن · وتعدّ التربة لتكون صالحة لان يغتذي منها النبات ولان يغتذي من هذا الحيوان ثم تعود مفرزات هذا وبقاياه الى التربة · فهي اول ممثل لاقدم اشكال الحياة المجهزة بقوة تحول عادمات الحياة الى اشكال حيوية · ولذلك فلها المقام الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عدها بعضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد اتضح انها هي التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند تنضيد التبغ بعضه فوق بعض وعند تكويم القطن والتبن الخ حتى لقد يحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها حرارة الطبيعة

وهي التي يضيء بها سطح البحر لانها تؤكسد الهيدروجين المفصفر في الماء كما تؤكسد الكحل في الخمر فينقلب خلاً

خلاصة — نحن عائشون في وسط عوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات · ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجوامد والسوائل · ويمكن اتقاء الضارّ منها بتلقيح الجسم بسم مخفف منها كمصل الدفثيريا واقاح الجدري وغيرهما · وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد · فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يبقى حياً في حرارة تبلغ اكثر من مئة درجة بمقياس سنتيغراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحوطة الصحية التي قاعدتها الذهبية «احفظ يديك وصن شفتيك»

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة لان هذه الكريات تبتلعها فتمنع انتشارها وتوليد السم بمفرزاتها

وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم فتزيده تعرضاً لفعل البكتيريا السامة ٠ وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء ٠

وبعض الناس يمتنعون عَلَى بعض الامراض لعدم وجود إلفة كيمية بين خلايا اجسامهم وبين سم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا وإخضاعها لقوة الانسان في كثير من الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحدثه من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان ٠

بيروت خليل سعد

ابيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار عَلَى ابيات غامضة المعنى يشكل عليه فهمها يسميها علماء الادب بابيات المعاني ٠ وقد عنوا قديماً بجمعها وتدوينها وشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك المؤلفات فلم يصل الينا منها الا القليل ولم نقف عَلَى هذا النوع من الشعر الا مبعثراً مفرقاً في تضاعيف الاسفار المختلفة ٠ اذكر انني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا البارودي فمرّ بنا قول القائل

فوردت مثل اليماني الهزهاز تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم ينكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من ابيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان ممتلئة الضروع وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قراهم من لبنها فأغنى ذلك عن نحرها فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال وتمام الرجز (اعيت عَلَى مُقصدنا والرجاز) انتهى

وقد عثرت عَلَيّ ضرب آخر من الشعر ان لم يكن من هذا النمط فهو منه قريب رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (بابيات العادات) وهي ابيات ظاهرة اللفظ والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائليها الا بمعرفة عادة من عادات العرب اومزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية

فلا والله لا تسلاك نفسي   لفاحشة اتيتَ ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيراً   من النعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظاهر في غاية الوضوح وانما الاشكال في مرادها بالنعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند نساء العرب اذا اصبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن نعلين في يديها تُصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد · وفي معنى بيتي الخنساء قول عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما   لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا
كلتاهما أبطنت احشاؤها قصباً   من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا
اذا تأوَّب نوح قامتا معه   ضربا اليما بسبت يلعج الجلدا

وهو نوع مستملح من الشعر لم ارهم اعتنوا بجمعه اعتناءهم بابيات المعاني · فمنه قول زهير ابن ابي سلمى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالي ركبت كل لهذم

الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في سافلة الرمح واللهذم السنان و يكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذللته الحرب او من لا يقبل الامر الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه يتضمن شيئاً آخر من عاداتهم وذلك ان الفئتين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سدّدت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ثم يسعى الساعون في الصلح فان ابتا الا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منهما الرماح واقتتلتا بالاسنة

(ومن ابيات العادات) قول النابغة الذبياني :

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في انيابها السمّ ناقع
يُسهد من ليل التمام سليمها   لحلي النساء في يديه قعاقع

السليم الملدوغ و كانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ايدي

الملدوغ شيئاً من الحلي لئلا ينام فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر

فبتُّ معنًى بالهموم كأنني   سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الامم فقد حكى لي شيخ مسن من الجراكسة ان من عاداتهم في بلادهم انهم لا يدعون الجريح ينام لئلا يموت عَلَى زعمهم فيجعلون حوله من يقرع عَلَى طست او قدر من النحاس ليوقظه كلما اغفى ولا يزالون يتناوبون ذلك حتى يتم شفاؤه ٠

(ومن ابيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي

من كان مسروراً بمقتل مالك   فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه   يلطمن اوجههن بالاسحار

فان مراده ان من كان شامتاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن عَلَى هذه الحال ليعلم اننا اخذنا بثأره فلا يشمت به وذلك لان العرب كانت تندب قتلاها بعد ادراك الثأر وقد حكى التبريزي اقوالاً اخرى في البيتين تخرجها عما نحن فيه ٠

(ومنها) قول الكميت

احلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماؤكم تشفي من الكلب

جاء في معاهد التنصيص قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول من اصابه الكلب او الجنون لا يبرأ منه الا ان يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحيه ارباب العقول الراجحة ملوك واشراف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة

بناة مكارم وأساة كلم   دماؤهم من الكلب الشفاء

وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الاعرابي ثم قال وقيل في دوائه ان تشرط الاصبع الوسطى من يسرى رجل شريف و يؤخذ من دمه قطرة عَلَى تمرة فيطعم المعضوض فيبرأ وقيل انه يسعط به انتهى ٠ ومثله قول عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء) الاسدي في عبدالله بن زياد

من خير بيت علمناه واكرمه   كانت دماؤهم تشفي من الكلب

وقول عبدالله بن قيس الرقيات

عاودني النكس فاشتفيت كما   تشفي دماء الملوك من كلب

وقول ابن عباس الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم   تريقون تامورا شفاء من الكلب

التامور هنا الدم · وكلهم اقتصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولوتشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الخبل الذي هو أدلف

وذكر الجنون عاصم بن فرية الجاهلي فقال :

وداويته مما به من مجنة دم ابن كهال والنطاسي واقف
وقلدته دهراً تميمة جده وليس لشيء كاده الله صادف

صادف بمعنى صارف · قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من جس ما قد مسه وافانين فؤاد مختبل

وعلى معنى قولهم (كلب بضرب جماجم ورقاب) فاذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماً في الحقيقة يشرب ولولا قول عاصم ابن الفرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه · قلت وقد تظرف البحتري فقال يهنئ من افتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب

ليهنك البرء مما كنت تألمه وليهنك الاجر عقبي صائب الوصب
لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم فقد ارقت دماً يشفي من الكلب

(ومن ابيات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي قرحة تخرج في الجسد ولولم يكن البيت مبنياً على عادة لهم لما كان معنى لافتخاره بانه ممن لا يخطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا لسنا بمجوس نتزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن المجوسي اذا كان من اخته وخط بيده على النملة ابرأها كذا في كنايات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ان ذلك من زعم المجوس انفسهم · قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه واضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس ·

(ومنها) قول سبرة بن عمرو الفقعسي

اتنسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك قراقر

ونسوتكم في الروع باد وجوهها ‏ ‏ ‏ ‏ يُخلن اماء والاماء حرائر

وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء في كشف وجوههن ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماسة للتبريزي وقال ايضاً في تفسير قول عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا ‏ ‏ ‏ ‏ يفحصن بالمعزاء شدا

وبدت لميس كأنها ‏ ‏ ‏ ‏ بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل عَلَى هذا بقوله كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما تداخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاشناندانى في كتاب معاني الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ‏ ‏ ‏ ‏ ذكرن الذي كن أُنسينه

فوارين ما كن حسرنه ‏ ‏ ‏ ‏ واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين فنسين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .

(ومنها) قول عنترة

تركت جُريّة العمري فيه ‏ ‏ ‏ ‏ شديد العير معتدل شديد

فان يبرأ فلم انفث عليه ‏ ‏ ‏ ‏ وان يُفقد فحقّ له الفقود

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الناتئ وسط النصل والبيت الثاني بني على عادة كانت لهم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك

(ومنها) قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ حان يومه ‏ ‏ ‏ ‏ الى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا ‏ ‏ ‏ ‏ واترك في بيت بصعدة مظلم

البيت الاول مخروم وصعدة مخلاف من مخاليف اليمن والمعنى ان هذا المرثي ارسل يقول لقومه بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلاً اي دية وتتركوني في قبر مظلم تريد بذلك تحريضهم عَلَى اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مظلم الا حكاية الحال لان القبر لا يكون الا مظلماً ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقتول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فان فعلوا اضاء ٠

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

اظن انهمال الدمع ليس بمنته عن العين حتى يضمحل سوادها
وحقٌ لقيس ان يباح له الحمى وان تعقر الوجناء ان خف زادها

وهو مبني عَلَى عادة لهم وهي ان الرجل كان اذا مرَّ بقبر رئيس وهو في صحبة احبَّ ان ينوب عن المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته اكراماً له ٠ ولما قتل ربيعة بن مكدم كان لا يمر بقبره احد من العرب الا عقر عليه دابة او بعيراً حتى مرَّ به شيخ كبير فقال لا اعقر ناقتي ولكن ارثيه مكان ذلك ورثاه بقوله :

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت عَلَى طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه شرّيب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبو عَلَى العرقوب

فكان اول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة اراد بالمجد التليد ان الشجاع منهم كان اذا أسر فارساً مذكوراً فمنَّ عليه جزَّ ناصيته وجعلها في كنانته ٠ وفسره ابن ابي الاصبع في كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه الا من عرف ان عادة العرب اذا منوا عَلَى اسير اعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدل على انها لاولئك القوم لا تزال في كنانته فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح ان عداك لما فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي اعطيتها لهم حين مننت عليهم تشهد لك بانهم عتقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرون عَلَى جحده تثبته لك هذه النبل التي ليست بانكاس يعني الصائبات التي لا تنكس اذا ناضلت بها عن العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداه اذا خبرناهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما اذا اظهروه اثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة انتهى كلامه ٠

(ومنها) قول سحيم عبد بني الحسحاس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شقّ برد شـق بالبرد برقع دواليك حتى كلنـا غير لابس

جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايّما امرأة احبت رجلاً فلم يشق برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى . ويروى (اذا شق برد شق بالبرد مثله) وحكوا ان العرب كانت تزعم ان المتحابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صـاحبه دامت مودتهما ولم تفسد .

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل ممسى ومـصبح واكثر دعواها اذا خدرت رجلي

لانهم كانوا يزعمون انّ الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يحب او دعاه ذهب خدرها . ومثله لجميل

وانت لعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي

(ومنها) قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشـية بقتّ وتعليق فقد كاد يسـنق

روى الثعالبي في فقه اللغة بتبن بدل قت . واليحموم فرس كان للنعمان بن المنذر والسنق في الدواب بمنزلة التخمة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام عَلَى الفرس والاعتنـاء بعلفه حتى يكاد يتخم ليس مما تمدح به السوقة فضلاً عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بنـاء عَلَى عادة كانت لملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرهم في العواقب انّ احدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسـرجه ولجامه بين يديه قريباً منه مخافة عدو يفجؤه او حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم يتعاهده كل عشية وهذا مما تتمدح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر الاعشى اليحموم ايضاً في قوله

او فارس اليحموم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البهر

يعني بفارسه النعمان وقال لبيد

والحارثان كلاهما ومحرّق والتبعان وفارس اليحموم

(ومنها) قول الشاعر

كفاك الله يا عصم بن لأي حبال بني ابيك وهم عيام

اذا مروا بجيزك لم يعوجوا ولو غطى سبياهم الظلام

عيام اي شهاوى الى اللبن وبجيزك يعني بنواحيك جمع جيزة بالكسر . وكان من عادتهم ان الرجل كان يحمل حبلا و يسترفد عشيرته فاذا اعطى الشاة والحاشية من الابل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشناندانى والبيت اقرب لابيات المعاني منه لابيات العادات .

(ومنها)قول الآخر يصف حماراً

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تمخط في السحيل نقيب

نقيب اي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب اذا اشتد الزمان نقبوا حنجرة الكلب او غلصمته ليضعف صوته فلا يسمع الضيف صياحه فشبه نهيق هذا الحمار بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان ان ذلك كان يفعله البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . وانشد الاشناندانى في معاني الشعر

تجاوبن اذ برّكن والليل غاسق تعاوي منقوبات حي محارب

وقال في تفسيره المنقوبات الكلاب كانوا اذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الابل كأنها منقوبات يصف ابلا معيية فهي ترغو رغاء ضعيفا .

(ومنها) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

فظاهر معناه انه لشدة شوقه الى في الحي اكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه . ولكن الراغب الاصفهاني في محاضراته حمله عَلَى عادة كانت لهم وهي زعمهم ان المسافر اذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفاته لانه كان عاشقًا فأحب ان لا يتم سفره ليرجع الى من يحب .

(ومنها) قول بشر بن ابي خازم (بالخاء المعجمة والزاي)

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا يلقى عَلَى المرء مئزر

المقاليت جمع مقلات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد . والبيت مبني عَلَى ما كانت العرب تزعم ان المقلات اذا وطئت رجلاً كريمًا قتل غدراً عاش ولدها كذا في اللسان

(ومنها) قول متمم بن نويرة في اخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مالكاً والرداء هنا السيف . وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان ·

(ومنها) قول القائل

فقأت لها عين الفحيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع والحامي

انشده الجاحظ في البيان والتبيين والفحيل بفتح فكسر الفحل الكريم وانشد ايضاً

وهب لنا وانت ذو امتنان تفقأ فيها اعين البعران

وانشد ايضاً

فكان شكر القوم عند المنن كيّ الصحيحات وفقء الاعين

وكلها مبنية على عادة كانت لهم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلهم الفا فقؤا عين الفحل فان زادت فقؤا عينه الاخرى قال فذلك المفقأ والمعمى · وفي مادة (عمى) من اللسان قال الازهري وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق

غلبتك بالمفقيء والمعمى وبيت المحتبي والخافقات

قال فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدهم الف بعير فقأ عين بعير منها فاذا تمت الفان عماه وأعماه فافتخر عليه بكثرة ماله قال والخافقات الرايات انتهى ما في اللسان · قلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان الصواب ان يكون المفقأ بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل · وقد روى البيت في مادة فقأ (بالمفقيء والمعني) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية اذا بلغ ابل الرجل منهم الفا فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكى عن الازهري ان معنى المفقيء في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق قوله لجرير

ولست ولو فقأت عينك واجدا أبا لك ان عد المساعي كدارم

انتهى · قلت القول ما ذهب اليه الازهري لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل الليث على ان يفهم في المفقيء ما فهم كون المعنى يطلق على جمل كان اهل الجاهلية ينزعون سناسن فقرته اي حروفها ويعقرون سنامه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره يفعل ذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه ممعٍ فظن الليث ان الفرزدق اراده فحمل المفقيء عليه وكان وجهه على ما فهم ان يرسم ايضاً بصيغة اسم المفعول كما قدمناه والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (عنا) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمغني بيته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر النون) قوله له

تعنّى يا جرير لغير شيء | وقد ذهب القصائد للرواة
فكيف ترد ما بعمان منها | وما بجبال مصر مشهرات

ونقل عن الجوهري ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارماً | لأنت المعنّى يا جرير المكلف

قلت وعليه يصح ضبط المعنى في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالمحتبي قوله

بيت زرارة محتبٍ بفنائه | ومجاشع وابو الفوارس نهشل
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم | ابداً اذا عد الفعال الافضل

واراد بالخافقات قوله

واين يقضي المالكان امورها | بحق واين الخافقات اللوامع
اخذنا بآفاق السماء عليكم | لنا قمراها والنجوم الطوالع

اي غلبتك باربع قصائد منها هذه الابيات وعلى هذا لا يعد البيت من ابيات العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان سبباً لخلاف استطار شرره بين بعض الادباء بمصر

(ومن ابيات العادات) قول آدم مولى بلعنبر

وان اراد جدل صعب أرب | خصومة تنقب اوساط الركب
اطلعته من رتب الى رتب

من رجز يقوله لابنه انشده الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لمَ كانت هذه الخصومة تنقب الركب فالجواب انه كان من عادتهم اذا تخاصموا جثوا على الركب

(ومنها) قول عتيبة بن بجير المازني من شعراء الحماسة

ومستنبح بات الصدى يستتيهه | الى كل صوت فهو في الرحل جانح
فقلت لاهلي ما بغام مطية | وسار أضافته الكلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طوحت به | متون الفيافي والخطوب الطوارح

وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتحير في الليل فلم يدر اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً فتنبح فيستدل بنباحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي القالي في اماليه

ومستنبح بات الصدى يستتيهه   فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارًا ثقوبًا زنادها   تليح الى الساري هلم الى قِدري

وانشد ايضاً في معناه

ومبدٍ لي الشحناء بيني وبينه   دعوت وقد طال السرى فدعاني

يعني كلبًا نبح له فنبح فاهتدى به فكأنه دعاه بنباحه . والابيات في هذا المعنى كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى استنبح ايضاً كلب الرجل يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المخصص عَلَى الاول

وداع دعا بعد ما اقفرت   عليه البلاد ولم يكلب

وانشد صاحب اللسان عَلَى الثاني : ونبح الكلاب لمستكلب :

(ومنها) قول لبيد

ولقد حميت الحي تحمل شكتي   فرط وشاحي اذ غدوت لجامها

الفرط بضمتين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس وهو مبني عَلَى عادة ذكرها التبريزي في شرح المعلقات وهي ان الفارس كان احدهم يتوشح لجام فرسه ليكون ساعة يفزع قريبًا منه وتوشحه اياه ان يلقيه عَلَى عاتقه ويخرج منه يده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة

ليست عليهم اذا يغدون اردية   الا جياد قسي النبع واللجم

(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي   وترمي برجلي نحو كل سبيل
فلأيا بلأي ما عرفت جليتي   وابصرت قصداً لم يصب بدليل

لان عادتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اهتدى . هذا ما تيسر لي جمعه الآن فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

القاهرة   احمد تيمور

261

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظة ووقف عَلَى اصلها ومعدنها ومأتاها يقر عيناً و يطيب نفساً و يثلج صدراً كأنه وقع على كنز ثمين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يبذلون شطراً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا نرى من ابناء العرب من يعنى بمثل هذا الامر . واذا رايت نفراً يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالضاد فلا تراهم يخرجون عما جاء في كتب الاجداد الاولين ولا يوردون من الكلام الا ما تناقله الخلف عن السلف بدون ان ينتقدوا كلام القائل ولا يعملوا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً فترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو تقدم هذا العلم عند باحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وظهر بمظهر النور في الدياجي .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المفرغة في قالب الجمود او الخمود او الركود ؟ الم يحن الآن الذي نكسر فيه قيود الاسر والرق ونطلق نفسنا من هذه السلاسل الضخمة التي بقينا راسفين فيها الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فاتنا في امور جمة ونحن في غفلة عنها وذهول .

عَلَى ان بعض كتاب العصر اخذوا يتابعون علماء الغرب من المولعين باللغات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهبوا يجارونهم واي مجاراة حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم قاموا يقلدونهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا ان غربياً قال بقول لم يعد الشرقي يتجاسر عَلَى مخالفة رأيه ظناً منه ان الافرنج اذا اوتروا القوس اغرقوا فيها ولا يتركون لمن ينزع فيها من بعدهم منزعاً كما لا يبقون له منزعاً . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى ترو .

هذا ولنا نحن عدة شواهد اثباتاً لقولنا هذا . وهي وان كان يطول سردها جميعاً الا انه لا يجدر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واظهاراً للحق . فهذه كلمة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا فيها مذاهب . فمنهم من قال بأنها عربية فصحى ومنهم من انكر اصلها هذا وجماعة ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني ومنهم من خالف هذه الآراء وها نحن ذا نورد بعض الشواهد .

قال في القاموس : « الشرطة بالضم واحد الشرط كصرد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب وتتهيأ للموت وطائفة من اعوان الولاة م وهو شرطي كتركي وجهني . سموا بذلك لانهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها . اه . والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى . فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي . وقال ابو عبيدة : لانهم أعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) . وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب بل وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج أصحاب المعاجم العربية الافرنجية كغوليوس وفريتاغ وقزميرسكي ولين وغيرهم .

عَلَى ان هذا الرأي لا يمكن ان يتمسك به اللغوي . والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط . او « مشترط » كملتزم . او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة . فلا شك ان اللغوي المتتبع حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقنع بهذا القول غير المعقول . فهي ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقد انتبه لها المستشرقون . واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من Cohors او لعلها اليونانية (= Chortha) وتابعه في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون معرباً عن Cohors مثل كردوسة » .

قلنا : وهذا ايضاً لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا عَلَى طائفة اوجماعة من العسكر اوالجند ولا ترد بمعنى المفرد . والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المنقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد . وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (Stratiwtha) وبالفرنسية (Estradiot) او (Stradiot) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (Stratiaas) ويراد بها كتيبة الزحف او الجيش الزاحف الذي يشهد الحرب ويتهيأ للموت . او من (Stratos) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقة المراد بهما الدراهم المضروبة . فقد قال الفيروزابادي : الورق مثلثة . وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقة .

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقًا . يقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقة : الدراهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين و يقال هي من الفضة خاصة . و يقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي . . . . الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عندهم من الاصل العربي الفصيح الصريح حتى انه لم يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج ايضًا اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند نقلهم المعاجم الى لغتهم .

واول من تنبه لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارميه (يرق) او من الحبشية « رقة » . قلت : وفي كلتا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل عَلَى ما يدل انها بهذا المعنى في اول وضعها بل يحتمل ان اللغتين اخذتا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

وممن قال بعجمتها ايضًا الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ في الحاشية وهذا نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدراهم المضروبة) ثلاث لغات أُخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : وَرْق . ورق . وِرق (وزد عليها : وَرِق ككتف) ولا احسبه عربيًا ولم يوجد في الكلام القديم . » اه . (كذا . ولو تروى لما قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثمامة السدوسي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .)

اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « پره » بباء فارسية مثلثة رقيقة في الاول ثم راء وفي الآخر هاء غير منقوطة . و يقال فيها ايضا پاره بمعناها . و يرادبها مطلق القطعة وتخصص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية ببارة نحاسية و بقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي اخذت منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب اللغويين كما في بابونج وبرذعة وبورَق ونيزك واصلها بابونه و برزه، و بوره ونيزه واما الباء المثلثة التحتية الفارسية فتكون اما رقيقة . واما نخيمة واما رقيقة ونخيمة معًا فان كانت رقيقة فتنقل الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في بابوج وواشق اصلها پاپوج وپاشه واذا كانت مفخمة فتكون فآء في العربية كما فيفارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرققة فهي تكون تارةبالباء وطوراً بالواووأُخرىبالفاء مثل قپان فيقال فيهاقبان وقفان . قال الاصمعي: قفان: قپان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقديجوزاخلاصها باءً لان سيبويه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (التاج في قفف) ومعنى قفان كل شيء : جماعه واستقصاء معرفته .

وعليه قالوا في پره : ورق . وفي پاره : باره . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجهين فقالوا فيها ورق ورِقة كما قالوا وعد وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا رقةً عَلَى رقين كما قالوا فيإِرة: إِرين . وقوم من العرب توهموا الجمع مفرداً فوزنوه عَلَى فعيل بفتح الاول فقالوا : الرقين وفسروه بالدرهم والرقيم ولعل الرقيم ورد بهذا المعنى ايضاً تصحيفاً للرقين بالنون وهم يكثرون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم : الايم والاين . الغيم والغين . اسود قاتم وقاتن . الحزم والحزن . البنان والبنام . القعم والقعن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالمئات .

فانظر حرسك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم . وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي أُخذ عنه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلعت عَلَى اصل لفظة الورق وعَلَى انها من الفارسية علمت علم اليقين ان معناها كل قطعةمن قطع المسكوكات كماتقول بالفرنساوية pièce de monnaie ثم اطلقت عَلَى دراهم الفضة او عَلَى مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولنا عدة شواهد من هذا القبيل

بغداد ساتنا

رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال ابو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجه عن نعته شعراً وليس مما يقع لمن نُعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء [1] . والزحاف . وصرف ما لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الا ان السالم من جميع ذلك اجمل وافضل

قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكميت

حتى تكامل فيها الدل والشنب [2]

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء

فانك غيبت في حفرة تراكم فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب اهل الجنة فليس بينهما في النفوس تقارب . ولا لفظة تراكم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولا ان يقال تغيرا وصبا وان كان التصابي اجدرا

لأعاد تفاح الخدود بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد وردالوجنتين بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . واحسن الوصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع فافتقد . وهذا الشرع فاعتمد

قال ابو الريان ولفضلاء المولدين سقطات مختلفات في اشعارهم أُذاكرك منها في اشياء لتستدل بها على اغراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقتفاء العثرات . كان بشار تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها . ويهبط قليلها كثيرها . وكذلك كان حبيب ابن أوس الطائي فاذا سمعت جيدهما كذبت ان رديهما لهما . واذا صح عندك ان ذلك

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً وبعضها مخفوضاً . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والايطاء اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصناعتين : خود تكامل فيها الدل والشنب

الرّدي لما اقسمت ان جيدهما لغيرهما . قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب اول قصيدة

هن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً ادرك ال[...] أو طالبه (١)

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كأنه (٢) خلل الخـ ـلة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو رديء قال و يعاب ايضاً الافتتاحات المتطير بها . والكلام المضادّ للغرض كابتداء قصيدة ابي نواس التي انشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي (٣) عليك وإني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم تمادى بختم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمُ بني برمك من رائحين وغادي

فكمل جهله وتم خطأه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع . واضاف للنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع . وأراد ان يمدح فهجا . ودخل ليسر فشجا . قال وقريب من هذا ما وقع للمتنبي في اول شعر أنشده كافوراً

كفى بك داءً ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكنّ امانيا

فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية . وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض الامراء في يوم المهرجان فقال :

---

(١) قال ابو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) « لما نظر ابو العميثل في قصيدة ابي تمام

هن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً ادرك الثار طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه »

(٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان أبي نواس : البلا عوض البلى . ولباد بدل لبادي —

لا تقل بشرى ولكن بشريان وجه من أهوى ووجه المهرجان (١)

فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمه احسانه قال ابو الريان ولو كان هذا الشاعر حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول

وجه من اهوى ووجه المهرجان اي بشرى هي لا بل بشريان

قال — ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

فبلغت المنى برغم اعاديك وابقاك سالماً رب هود (٢)

فأنت ترى غثاثة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء فخص هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال — ويقبح ايضاً الجفاء في النسيب على الحبيب والتضجر ببعده . وغلظة العتاب عَلَى صده . كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير (٣)

فان كنت لا خلاً ولا انت زوجة فلا برحت منا عليك ستور

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ولا قرب الا ان يكون نشور

فلم اسمع باوحش من هذا النسيب . ولا أخشن من هذا التشبيب . وذلك قوله ان لم تكوني لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك ولا كان جارك الا عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور عَلَى ان كلامه يشهد عليه بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف .

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فاوجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت : ان تقل بشرى فعندي بشريان

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووقيت الحتوف من وارث وا ل وابقاك صالحاً رب هود

(٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المرادي امير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت الثاني : خلماً وهو الصديق او الصاحب بدل خلاً . وروحة بدل زوجة . ودوني عوض منا — وفي البيت الثالث : وصل بدل قرب

ان يفدوا احبابهم بالنفوس · من كل مكروه و بوس · فأين ذهبت ولادته البصرية وآدابه البغدادية · حتى اختار الغدر عَلَى الوفاء · وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء · فاعلم هذا واياك ان تعمل به

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس · في شعر الناس · فمنها سرقة الفاظ · ومنها سرقة معان · وسرقة المعاني اكثر لأنها اخفى من الالفاظ · ومنها سرقة المعنى كله · ومنها سرقة البعض · ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو احسن المسروقات · ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها · ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق كسرقة ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى ابي الشيص بكماله ·

قال ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم (١)

فسرقه الحسن بكماله فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير (٢)

فهذا هذا عَلَى ان بيت ابي الشيص احلى واطبع ومع حلاوته جزالة · وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيص عَلَى هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة · وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بان ليس له افضل منها · ولا لهم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها · فقس بفهمك واعمل فكرك عَلَى ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه · و يبدو لك جميع ما رسمناه قال ومما يقع في عيوب الشعر و يغفل الشاعر عنه ويجوزه الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي احتبى فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضاً عنه مثل قول المتنبي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام عَلَى انه انما شكا داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكياً نفسه وجعلها اعظم الداء لانه اراد كفى بدائك داء فغلط وقال كفى بك داء فصار كفى بالسلامة

(١) قصيدة ابي الشيص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس عَلَى هذه الصورة :
ولكن يسير المجد حيث يسير

داء فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين فالله هو اعظم شهيد فجعل المتنبي نفسه اعظم الداء ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول

كفى بالمنايا ان تكن امانيا وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كما اراد وتزول خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيماً في اول كلمة سمعها منه . وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضاً بما يخشن ذكره قلت للابعد وياكذا او كذا للابعد

ومن عيوب هذا القسم ايضاً ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعه . وأدنى موضعه . فورد عَلَى كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة فجعل بجهله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها المنية . او يرى المنية اعظم أمنية . وعلم كافور بذكائه ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه كفر النعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع . والغنى القاطع حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فزهد فيه بعد رغبة وعلله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبي ان الاسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ماله عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . والكفران النعم نقم . ثم نجاه ركوب ظهر الهرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحذه . وشعره شريفين . وعقله ودينه ضعيفين . ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه اكثر وأوفر . والمرء يعجز لا المحالة . وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك ما يصف به ناقته

فتبيت تسئد مسئداً في نيها اسادها في المهمة الانضاء

ويقول في المدح

أنى يكون ابا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء

كانك ما جاودت من بان جوده عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهـذه الاجناس من ابيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء . وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان ايضاً يغفل عن اصلاح اشياء من كلامه عَلَى قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن اشرف النسب

فجعل يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا لعلل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورى عنه تورية المعائب . ويكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل عَلَى الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها بجودة بحث وصحة قياس . لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائلاً يقول مال عَلَى هؤلاء وترك سواهم لميله على من بكت . ولتفضيله من عنه سكت . فقل لمن قال ذلك الامر عَلَى خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل . والاشهر فالاشهر . اذ كانت أشعارهم هي المروية . فالحجة بهم وعليهم هي القوية . فقد نقلته على من ميلي عليهم . الى ميلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم و يتسع لكثرته فلا يسعنا ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردناه فهو في حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه . واحسن منه ما اعتدل مبناه . واغرب معناه . وزاد في محمودات الشعر عَلَى سواه . ثم يمدح الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما الين جانبك . وما أقرب غائبك . وما الحج طالبك . وما اسعد صاحبك . فقال انجح الله مطالبك . وقضى مآربك . وصفى من القذى مشاربك . و بث في الحواضر والبوادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة بسائل الانتقاد

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله اولاً وآخراً وصلاته عَلَى نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وخلائقها الخاصة عَلَى اثر ما كان من نهوض المرأة لمباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوفها بعد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من علماء الاعلام عنوا بتمحيصه وتجريده مما لصق به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين عَلَى أسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات العالقة بآراء الاقدمين والسادلة عَلَى الحقيقة ستاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لانجد باحثاً تصدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها عَلَى ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وخواصها المميزة فجاءت ابحاثهم مهزعة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق لعلماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزاعم الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لاتزال تستنكف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة اتت عليها سنة النشوء والارتقاء فبدلتها او محتها . ولقد مرت عَلَى المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراد على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

تملصت المرأة من اسار الجمود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المغالين في اعتبارها ولا المغرقين في امتهانها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تتولد الحياة من انضمامهما وان [illegible] الحياة منوطة في الخلية المذكرة اما الانثوية فهي هادئة شديدة الاحتفاظ

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكلما ارتقى الجنس البشري كانت الخواص الجنسية اوضح اثراً فتركيب المرأة وطبائعها تميل بها الى السكون والدعة والراحة بينا نرى الرجل جلداً عَلَى مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المعاجزة والاقدام

واذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تخلق المرأة باخلاقها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم وللمرأة اللطف والصبر والهدوء الا انها تشتد في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزماً ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخمادها وتهدئة روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بحبل الدين وهي اقل اقداماً عَلَى الجرائم من الرجل لما تتطلبه من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لعواطفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسترى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة عَلَى اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خطل آرائهم من عرضها عَلَى احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضحت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة عَلَى اتم اشكالها

المرأة المحاربة — لنتقدم الى البحث في احدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونتخذ هذه الصفة اساساً لبحثنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والذود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن عَلَى اننا اذا انعمنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فنساء الحبش يقاتلن مع ازواجهن جنباً الى جنب راكبات عَلَى الجمال او الخيل ومتقلدات سلاح الرجال ولا ينقصن عنهم شجاعة واقداماً وصبراً عَلَى المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن عَلَى فنون القتال فينشأن شديدات القوى وقد اكسبتهن ممارسة الحروب بطشاً لا يتصف به سوى شجعان المقاتلة .

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الايبريين فقد كانت نساؤهم يفتتحن

الحصون و يقتلن زرافات في الهجوم

واكد جماعة من السياح ان النساء الامازونيات القاطنات على ضفاف نهر الامازون يشاركن الرجال في القتال و يغتذين بلحم البشر و يقص آخرون مثل ذلك عن نساء المور كيتس والكواي موراس

وذكر ارفن ان نساء الانتيل يتمرسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد قاسى كولمبوس الامرين من بأس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتناقلون اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط متزا ملك الاوغندا فعنده نساء من الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الغواتوتو الافريقيات مع الرجال في الحرب

وفي الداهومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احداهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والآخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضعن لنظامات حربية شديدة و يتعودن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق و يجبرن على مقاساة الآلام صابرات ويتميزن بالشجاعة والبأس فاذا اشار اليهن الملك اقتحمن الاخطار وخضن الغمرات وقد شاهد احد رؤساء المبشرين سنة ١٨٦١ مشهداً ملأه دهشة واعجاباً فقدام الملك النساء الامازونيات ان يقتحمن حواجز علوها امتران وعرضها ستة امتار وكانت الحواجز من النباتات الشائكة يؤلم لسعها فتهشمت سوق المقاتلات العارية غير انهن ثبتن اي ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهد حتى اعيت فوقفن منهوكات يائسات ولكن الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن تياراً كهربائياً فعاودن الهجوم بسالة نادرة حتى ظفرن بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم بزي الرجال وابلين في المعارك بلاء حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحاديثهن الركبان وتفردت منهن الآنسة بوستاقو يتو بالبأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعاظم الرجال

ان صيد الحيوانات الكاسرة ليس اقل خطراً من خوض المعارك ونساء التتر الصينيات يصحبن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة والذئاب والخنازير البرية غير عابئات بما في ذلك من المهالك

ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلموا معنا باستطاعة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها عَلَى الحذر والتيقظ والحكمة ففي وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تقل عنه جلداً واقداماً لولا ان ذلك يعوقها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجنسين — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشهيدة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينتبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطاً لصورة المرأة في عصر او عصور سالفة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل وممن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كونت فقال «تؤثر المؤثرات الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة» وقد برهن عَلَى ذلك علماء نفر من الكتاب وترى انفعالها واضحاً في جميع الصروف فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنقاد لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طوراً ارق وطوراً اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لمختلفاتها فالحزن يعقب السرور والبشر يتلو الامي كا تتوالى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكتة اذا لامستها الفواعل تركت فيها اثراً يصعب زواله فترى عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

عَلَى اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريحان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن الا تفعل العواطف في الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لاكوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته « يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحيون ايضاً بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل»

وبعض علماء النفس ينكرون عَلَى المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصاً بيناً في شواعرها كافة ويصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الشنار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرية عَلَى اشدهما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغايتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال محمولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بيئتها فقضتها الاولون

ينكرون عليها حق الحكم لانها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرقاء

و يوافقهم الآخرون عَلَى هذا الرأي مستندين في ذلك عَلَى مقدمات أُخرى فهم يقولون ان اخلاد المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي

تلك هي آراؤُهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تنبئك ان هذه الخواص ليست جنسية وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هربرت سبنسر ان المرأة تفوق الرجل قسوة في البلاد التي يمثل اهلوها بالاسرى وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه و يقول ما كسيم دي كامب ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلألأ الحنان الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة عَلَى الرحالين واظهرن لهم ضروب اللطف والرقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفنستون وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين ثورة الرجل فدخول بعضهن في صفوف الثوار لا ينسينا بنات جنسهن ممن بعثن السكينة في النفوس فحفظ لهن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة ·— رقة شعور المرأة جعلتها متدينة في جميع العصور والشعوب وهي اسرع تلبية لدعاة المذاهب فيجد هؤلاء بين النساء مؤمنات مخلصات كان لهن في ثبات الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة المستديم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية غامضة فهي لا تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي و ينبوع السلام الابدي وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد بالله اعلى وهي تتوقع منه المكافأة على ما تتجشمه من المصاعب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايمان لانه يقول بالله قادر يحبها و يرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتهل اليه في النوازل الشداد فيخترق الظلمات المطيفة بها نور رجاء ينضر به عيشها وكلما قلت مطالبها في الحياة زادت استمساكاً بحبل الدين وكثيراً ما تنتابها اضطرابات دينية تذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظمة والتفوق فهي تتلقف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمني آمالها بحياة مستقبلة تمحو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الفتان والأمل المتلألئ

وعلينا ان نفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والتقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم العجائز المعابد واجدات في الصلاة غبطة ونعيماً وهن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهن الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلما تعمق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منبعثة عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بحبل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار . صفات للمرأة افادتها اياها حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارقى شعوراً من الرجل . — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس عَلَى انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكيزا ومن تابعه وينطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نشأ تناقضهم عن اقتصار الباحثين عَلَى بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة ومما لا ريب فيه ان للبيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتمدنين وهؤلاء متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن الفوا الرفاهية واناقة العيش يشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى علمنا ذلك لم يسعنا ان نعزو التفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً عَلَى ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفند المعارضون حججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارقى الرجال

اما شدة احساسها بالالم فيفسر كثرة الآلام التي تنتابها و يقول مانتكيزا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل و يذهب سرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فتذري العبرات عند اقل طارئ وتبدو على محياها علائم الالم غير ان مظاهر الالم ليست هي ذاته وللتربية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصياً فيتجلدن عَلَي احتمال المصائب والاوجاع و يتصلبن عَلي لقاء الخطوب و يقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال · — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لنسق معيشة المرأة اثراً في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية واقتصارها عَلَى انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان « تنمو العواطف الرقيقة حيث يضعف النشاط » عَلَى ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشئ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات التي تنكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر عَلَى حياتهن المعنوية فكلما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال

استبحار العمران وانتشار التمدن يخففان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجى ان يقويا عَلَى هاتيك الاوجاع حتى يلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كان وسيكون لهاالى الابدشأن

الحب والجمال المعنوي · — ان ما تخسره المرأة مادياً تربحه معنوياً وهذه الامومة نكبدها آلام لا تطاق الا انها تحبوها ارقى الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم عَلي طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالمحبة والعطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود و يزدهر رجاء لاحد له تقر به عين الانسانية و ينفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيرسم عَلَى كياننا آثاراً لا تمحى · ولا

يضمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يحملها عَلَي حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفاخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامومة هي مصدر الفضائل والمحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني. وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليبوأها في الهيأة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته إذا اعيا تكافل الجنسين دون مساواتهما في العظمة واشتراكهما في مقاساة الآلام

كذب المرأة . — تنمو عَلَي شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للرائي انها المميزات الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محتفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نضيراً زاهراً يستهوي العيون مرآه والآخر ذاويا جافاً ينبوعنه البصر عَلَي اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة تلاشت الفروع الذابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأي من يأخذ عَلَي المرأة اعتلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس علي اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضي عَلَي الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكلما تحرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها و يقول سبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة علي دعامتي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمتشرعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى عَلَي هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياؤها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها تفسد نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر يحل في حياة الرجل وفي وسعه ان يطهر ذلك العنصر او يفسده

نفث في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مهلكة واضطرت ان تتصنع لتستر الطوارئ التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى استغوائه ببهرجتها فتزينت وتبرجت وتخيرت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان كتم عواطفها والتظاهر بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة وتتعالك اذا

استغرق الالم وجودها والتمست من الرجل ان يحميها لانها رأته يميل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة النقد والتمييز باهمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوّراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينكر الصفات التي افادها اياها وازال الافك يعبث كل العبث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة

كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بفاقد هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي فلا تجر مداجاتها عَلَى الهيئة الاجتماعيـة ما يجره بهتان الرجل من الويلات فما يسمم وجودنا من الشواعر الكاذبة و يباعد بيننا وبين الغبطة يظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المسلح سوى اكذوبة هائلة نفذت الى جميع الضمائر فمن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادىء الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تتولد تلك الآفة الهائلة فتفسد البيئة التي نعيش فيها وهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجوب المساواة وكلا الفريقين نازع الى القبض عَلَى السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاهروا بذلك غير خجلين وقد اقترت الانسانية على الديانات والادبيات فبينا ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون و يتقارعون والشعوب تتطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعوة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء و يرتقون المناصب عَلَى سلم من المواعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصلح لمناهضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل

وحسبنا بما تقدم دليلاً عَلَى مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة في دورها عَلَى اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقتصرت عَلَى الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضـوع شأن كل كائن قوي فيزينها في عينه وداعة الورقاء ويحببه اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدفوعة الى مجاراته عَلَى اهوائه احتفاظاً بمحبته وصيانة للنوع الانساني فلم يكفها في ذلك جمالها ورقتها بل سعت الى استرضائه فغالبت فطرتها توسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبهرج والدل بل اتخذت مظهراً معنوياً ملائماً لميوله فتأصل حب الاسترضاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حسبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فالهته رياء الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالته ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة المجاملة قديرة على كتمان عواطفها تتظاهر بالابتسام والعاصفة تثور في داخلها لتلقي على نفسها ستاراً وخادعت شريكها بقولها وحركاتها وابتساماتها فبرهن ذلك عَلَى انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي تأفك لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها لماسامها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابئة بما يسومها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرقي المعنوي فلما زالت الصروف التي تبدل من وجدانها نشطت للحرية واستعادت مافقدته من المواهب وخرجت الشعوب المنحطة من بيئتها المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية ويكفي لمحو تأثير عشرين قرناً عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها بسهم وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استطرق في سبيل الاسلاف واضاف الى النقائص الموروثة ما تنتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها تنعش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فبتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المنوال تتغير مجموع الصفات الانثوية لان نفوسنا تتكيف عَلَى ما يلائم شروط البيئة فلم يخلق الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مازج البهتان حياتنا لم يكن الا عقبى الصلات التي ربطت الجنسين

بعض المميزات — تنبهت في المرأة خاصتا الفهم والملاحظة لتستكشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكتسبت من بيئتها فضائل خاصة كما استفادت نقائص خاصة واصبحت قادرة عَلَى التخلص من المآزق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظان الضعف فيها فعرفت كيف تلطف بكلماتها العذبة آلامنا وتهيج اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثراً واشد فعلاً واستطاعت لنقص شخصيتها ان تمتزج بشخصية الرجل اذ لا يمنعنا من الانقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا عَلَى الذات اما المرأة ففقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهري لسعادتنا وشقائنا

ثم ان نفسها الساكنة جعلتها ايسر انفعالا لحبها وبغضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لابد ان تخفف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الوهم ذلك الشعور المبهم العقيم ووجدت من تهذيبها ماينزع بها هذا المنزع فولعت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحيا لتحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص الغرامية فاصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا ينضب غير ان انصرافها الى القصص اضعف فيها ملكة الذكاء

التصورات الحبية . — مال الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعاً في نفس المرأة فصبح للحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديرة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالاوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخاً ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازئاً بما ندعيه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكوائن المنحطة فلا يبعد عن الحقيقة وها نحن ذا نرى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا عَلَى مذبحه اعظم الضحايا

حياة المرأة الضيقة الحدود القليلة الواجبات جعلتها تتألم لادنى مظاهر الحياة ومتى رأينا شدة حب المرأة وكرهها حكمنا ان العاطفتين اقوى فيها مما في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البر تخيل للرائي انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وجوه الشبه بين نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة الطفل والرجل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا وينحط عنه في غيرها شأن المرأة فمركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة وافقدها اكثر منها

اطاعت الرجل واصبحت مصدر افراحه ومسراته فلم تقو عَلَى مضارعته في الفكر والتبست

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تستطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهناً واوفر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النشوء وهو عَلَى الاطلاق اطهر منه قلباً واقل اهتماماً

الارتقاء العقلي لا يجري عَلَى خط مستقيم فينهض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعمق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها عن استعادة مركزها واقل تغيير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينعش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اه معرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد

ابن زيدون (١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ – ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله

(٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

---

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها على لسان ولادة بنت المستكفي الاديبة الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة .

اذا سلبتني اعزك الله لباس انعامك وعطلتني من حلى ايناسك واظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو فقد يغص الماء شاربه و يقتل الدواء المستشفي به و يؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد واري الشامتين « اني لريب الدهر لا اتضعضع »

فاقول : هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس احيانا على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع »

ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً املأوها واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعاله اللاتي سررن الوف

واعود فاقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك .

نباتة المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحا سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء) وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه جردنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٢٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعدلك واسع او كان لي ذنب ففضلك اوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وماراني الا لو امرت بالسجود لآدم فابيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت عَلَى العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت وقدت الفيل لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك عَلَى عائشة الصديقة وأنفت من امارة أُسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

وكتبت الى عمرو بن سعدان جعجع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

ليت اشياخي ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ عَلَى الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل ان يكون نكالا ويدعى ولو على المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤن بنميم والواشون الذين لايلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم.

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا ازمعت يأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن الظن بك ففيم عبث الجفاء بأزمتي وعاث العقوق في مواتي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب وانى غابني المغلب ونحر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تنتصر جوانح الا كفاء

حسداً لي عَلَى الخصوص بك وتنقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد زانني اسم خدمتك وزهاني وسم نعمتك وابليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود في بساطك

الست الموالي فيك غر قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناء يخال الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح الابردا طرزته بفضائلك وتقلدت الجوزاء الا عقداً فصلته بمآثرك واستملى الربيع الا ثناء ملأته من محاسنك وبث المسك الا حديثاً اذعته في محامدك ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك سليباً ولا حليتك عطلا ولا وسمتك غفلا بل وجدت آجراً وجصى فبنيت ومكان القول ذا سعة فقلت وحاشا لك ان أعد من العاملة الناصبة واكون كالذبالة المنصوبة « تضي للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو بي وبك اولى ولعمرك ماجهلت ان صريح الرأي ان اتحول اذ بلغتني الشمس ونبا بي المنزل واصفح عن المطامع التي تقطع اعناق الرجال فلا استوطي العجز ولا اطمئن الى الغرور ومن الامثال المضروبة خامري ام عامر واني مع المعرفة بان الجلاء سباء والنقلة مثلة

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ما اساء النار في رأس كبكبا

عارف بان الادب الوطن لا يخشى فراقه والخليط لا يتوقع زياله والنسيب لا يجفى والجمال لا يخفى ثم ماقران السعد للكواكب ابهى اثراً ولا اسنى خطراً من اقتران غنى النفس به وانتظامها نسقا معه فان الحائز لهما الضارب بسهم فيهما « وقليل ماهم » اينما توجه ورد منهل بر وحط في جناب قبول وضوحك قبل انزال رحله وأعطي حكم الصبي على اهله

وقيل له اهلا وسهلا ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه والكريم لا يجفو ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الاول

احب بلاد الله ما بين منعج اليّ وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها حق الشباب تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في غيرك طبع والغنى من سواك عنا والبدل منك اعور والعوض لفا

واذا نظرت الى اميري زادني ضنًا به نظري الى الامراء

كل الصيد في جوف الفرا وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أُعيذك ونفسي من ان أشيم خابا واستمطر جهاما واكرم غير مكرم واشكو « شكوى الجريح الى العقبان والرخم » فما أبسست لك الا لتدر وحركت لك الحوار الا لتحن وزينتك الا لانام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد امري تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

لعلي القي العصي بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأدب بادبك والاحتمال على مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساغ لفظة والله ميسرك من اطلابي بهذه الطلبة واشكاي من هذه الشكوى بصنيعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها احفظ مستودع حسبما انت خليق له وانا منك حريٌّ به وذلك بيده وهين عليه ·

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره فهز عطف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه النظم مباهيا بل كايده مداهيا حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وتميل بنفسك الطافه فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له ومازال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل حتى زف اليك منه عروسًا مجلوّة في اثوابها منصوصة بحليها وملابسها

وبعد ان اورد القصيدة (1) قال :

ها كها اعزك الله يبسطها الامل ويقبضها الخجل لهاذنب التقصير وحرمة الاخلاص فهب ذنبًا لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليتأتى لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل من طرقاته دمشق محمد رشدي الحكيم

(1) لم ننشر القصيدة لغاية التحريف عليها

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ اليعقوبي

مجلدان في ٩٤٠ ص طبع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاستاذ هوتسما احد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عناية اخوانه المشتغلين باحياء آثار الشرق الاسلامي فجاء وافياً بالمرام ساداً ثغرة مهمة في تاريخ الاسلام وقد وشحه باختلاف النسخ وشفعه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به عَلَى الطالب في الحال · والنسخة التي ظفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها نقص من بعض فصولها لا يحول دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر عَلَى عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام عَلَى ملوك الاسرائيليين وملوك الموصل ونينوى وملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجربي والصين ومصر من القبط والبربر والافارقة والحبشة والسودان ومملكة البجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة واديان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وبتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتضد عَلَى الله بعبارة سهلة موجزة · واليك مثالين من الكتاب تعرف بهما طريقة ابن واضح قال في اسواق العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها عَلَى دمائهم واموالهم فمنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول ورؤساؤها غسان وكلب ايُّ الحيين غلب قام ثم المشقر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تيم رهط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ريا يعشرهم فيها الجلندي وآل الجلندي ثم سوق الشحر شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يعشرهم بها الابناء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ثم سوق

صنعاء يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الابناء ثم سوق الرابية بحضرموت ولم يكن يصل اليها الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بز وكانت كندة تخفر فيها ثم سوق عكاظ باعلى نجد يقوم في ذي القعدة و ينزلها قريش وسائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهاداتهم ثم سوق ذي المجاز وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلين وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمين فاما المحلون فكانوا قبائل من اسد وطيء و بني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم ... وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال ان اول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .»

اما المثال الثاني فنقتبس منه بعض الجمل فقط دلالة على حرية المؤلف ورداً على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضاء لبني هاشم مع ان من اوائك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفاً من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستصفى اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالسة العسلية وركوبهم البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الاكر ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشباً فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلطان وان تهدم الكنائس والبيع المحدثة ومنعوا من العمارة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل مادعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضاً انه لما وجه عنبسة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهوراً حتى اناخت الروم على دمياط في خمسة وثمانين مركباً فقتلوا خلقاً من المسلمين

واحرقوا الفاً واربعمائة منزل وسبوا من المسلمات الفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء القبط الف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط وتهارب الناس فغرق في البحر نحو الفين واقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا . ومع هذا وجه « طاغية الروم » برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في سخطه على بعض عماله وتعذيبهم ومما قاله فيه : وبنى المتوكل قصوراً انفق عليها اموالاً عظاماً منها الشاه والعروس والشبداز والبديع والغريب والبرج وانفق عَلَى البرج الف الف وسبعمائة الف دينار . قال وعزم المتوكل عَلَى المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدبر يأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وسار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الاربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤ فنزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في نزهة ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم وما فيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة عَلَى ثلثة فراسخ من قصر سر من رأى وبني هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدواوين والناس كافة اليها وبنى فيها قصراً لم يسمع بمثله وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحريته وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه ببغداد كان قد ضرب رجلاً قرف بانه شتم ابا بكر وعمر واطافه عَلَى جمل فلما قدم المأمون (بغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : افيكم من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما اقمت الحد عَلَى هذا الرجل قال : بشتم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلوك قال : لا قال : فللحاكم ان يقيم حد القرفة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد قال : لا قال : فاهما كافران ام مسلمان قال : بل

كافرتان قال : فيقام في الكافرة حد المسلمة قال : لا قال : فهبك فعلت هـذا بما يجب لابي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام الحد بغير شاهدين عدلين قال: لا قال : ثم أقمت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر رمضان قال : لا قال ثم جلدته وهو قائم فالمحدود يقام قال : لا قال : ثم شبحته بين العقابين فالمحدود يشبح قال: لاقال:ثم جلدته عريان فالمحدود يعرى قال: لاقال ثم حملته عَلَى جمل فاطفته فالمحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان اقمت عليه الحد فالمحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراني الله ابوء باثمك واشاركك في جرمك خذوا عنه ثيابه واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفًا باحكامه تقول الحق وتعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فاخطأ فلا تفضح به الحكام وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه ·

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه وناشره فيا حبذا لو صحت العزائم في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسهيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من النسخ المطبوعة منها ما امكن بحيث يتعذر عَلَى ابن الشرق ابتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبها فلا يظفر منها بنسخة لانها تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت ·

تقويم البلدان

قلنا غير ما مرة ان علماء المشرقيات من الفرنسيس قصروا في العهد الاخير عن اللحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كان اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد عَلَى صحة هذا القول فقد طبعه في باريز بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ المسيو رينود والبارون دميسلان بمناظرة سلفستر دي ساسي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل كثيراً عَلَى العرب والعربية بما نشره من آثار السلف

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه أقلها ان المؤلف كان من يعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطته يده من

المصنفات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء العباسيين ·

ظفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت عَلَى المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض التعليقات او هي نسخة المؤلف فجاءت والعناية قد بذلت بها من اصح ما طبع علماء المشرقيات

اعتمد المؤلف عَلَى ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعَلَى كتابي العزيزي والالباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلاده وكان ابو الفدا طاف سورية ومصر وقسماً من بلاد العرب من الحجاز وبلغ الفرات فعد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تحدى بطليموس في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً بغرضي فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل في عدم التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عرية عن تحقيق الاسامي وعن ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تصحيح الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسمعاني والمشترك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتياب عن مشتبه الانتساب وكتاب الفيصل كلاهما لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي فانها اشتملت عَلَى ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل سمت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا عَلَى ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا عَلَى القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمته وكثرة مدنه لم يقع الينا من اخباره الا الشاذ النادر وهو مع ذلك غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الاولق (الاولاح) و بلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكرمنها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضاً بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانه لم يقع الينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم بالبعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة عَلَى ما ستقف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان اه ·

بدأ المؤلف بذكر الارض والاقاليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والبحيرات والانهار والجبال قال في الكلام عَلَى ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول عَلَى وضع التقاويم وقدذكرنافيه الاقليم الحقيقي والاقليم العرفي في بيتين والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المقدم ذكرها والعرفي كل ناحية او مملكة تشتمل عَلَى عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرهما · قال وقد جعلنا في الجدول بيتاً لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء اعجمية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفتحة الى الكسرة او الضمة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالتنقيص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر ششتر ومثل ما يقولون تدمر بضم التاء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق وتحت كلاماً عَلَى ذلك الاقليم وتحديده وذكر بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقديم بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا فتبعنا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها ·

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة الباسليسة التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد قلفرية والمرا (المورة) والملفجوط وافلرنس والتسقاله (ايطاليا) واستنبرى والروس وافرنسة واللمانية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة بريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية للجند والشمالية لسائر قوامسهم وتجارهم ورعيتهم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم ترك جاوروا اللمانيين عَلَى عهد متواثق وهم مسلمون من جهة فقيه تركماني نصرهم بشرائع الاسلام واكثر عمائرهم عَلَى نهر دوما وعَلَى جنوبيه قاعدتهم قوات وهي مما دخله التتر وخربوه واهلكوا اهله وفي شرقيها بلاد الصنقر (المجر) اخوة الباشقرد تنصروا لمجاورة اللمانيين ولهم مدائن وعمائر عَلَى النهر الكبير مستعجمة وقاعدتهم مدينة ترتبوا وذكر بلاد اللنبردية وجنوة وبيزة والبندقية وورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وابادوهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقذونية وصقجي وابزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة طلوزة يقال ان اصاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ماينيف على الف حصن وهو قريب من صاحب فرنسة والنهر في جنوبيها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكطرة وجزيرة ارلنذة وتحمل عَلَى الظهر الى نربونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية ٠ وذكر مدينة مرشيلية ومدينة سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلاً عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيح الملوك اكتسابها لغيرهم وفي شرقيها وسمت عرضها مدينة نفصين (هصن ؟) وهي مخصوصة بعلماء المانية وحكمائهم ٠ وذكر عراز ولوشيرة وسينقو ومشقة وبرغاذما ٠ ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه ٠

وقصارى القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي أُلفت في القرون الوسطى وكأنها أُلفت في هذا القرن لم يفض صاحبها الا فيما علم فكان حجة ثبتًا في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك وتنافي ارتقاء العصر الحاضر فياحبذا لو صحت همة احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب الخاصة ودور الكتب العامة

اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمتم في الجزء العاشر من المجلد الخامس عَلَى كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وبينتم فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقه الامام الاعظم فأحببت ان اتحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذه وبنت استاذه زوجته فاطمة الفاضلة فانها انموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبد الحي اللكنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه علي ابي المعين ميمون المكحولي وعَلَى صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت عَلَى ابيها (وحفظت تحفته) وكان زوجها يخطئ فترده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها . اه

وقال في الكتاب الموسوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بحلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى اولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتهما) وعملت بالثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اه (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نورالدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضاً في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء اخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وعن ابي المعين ميمون المكحولي وعن مجد الائمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في أصول الدين وتفقه عليه ابنه محمود واحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيهة العالمة والدعاء عند قبرهما مستجاب قال الجامع قال علي القاري انه مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل وسماه المعتمد في المعتقد ومن شعره

سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال بالضلالة مدلهمه
يريد الجاهلون ليطفؤه ويأبى الله الا ان يتمه

وتفقه علي محمد بن احمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شيخه ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابيها وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا في عصره شرح تحفته وتزوج ابنته وارسل صاحب البدائع رسولاً من ملك بلاد الروم الى نورالدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نورالدين الحلاوية واتفق عزله فولاه نورالدين الحلاوية فتلقاه الفقهاء بالقبول . وقال ابن العديم سمعت ضياءالدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) فخرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاء عند قبريهما مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها انتهى قلت ان الاشعار التي نسبها اليه وقد نسبها حسن چلبي في حواشي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهملة ثم الالف ثم النون بلدة وراء الشاش ذكره السمعاني وقد يقال في نسبته الكاشاني بالمعجمة بدل المهملة وفي مشتبه النسبة للذهبي قاسان بلد كبير بتركستان خلف سيحون واهلها يقولون كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت باستيلاء الترك عليها ومنها العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بدمشق (صوابه بحلب) ايام الملك نور الدين انتهى

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة مانصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه

وقد اكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمتتبع لها يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها .

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء و يشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة عَلَى عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم عَلَى ذلك الا حينما آنست من نفسها انها ضاهته في العلم و بلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً عَلَى ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القارئ بين امثال هذه الفاضلة و بين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومغاربها امرأة مسلمة حازت من العلياء هذه الدرجة وقل لهؤلاء العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة أ كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا و يبعثنا من اجداث خمولنا و يرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوائجهم الدنيوية لنحيي في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية .

حلب محمد راغب طباخ

(تنبيه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح لتحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابحاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجا لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة عَلَى حدتها فالكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها مامحصله : كلما خرقوا جانباً من جبال الالب ينزل عَلَى ايطاليا ينبوع من الخصب والمال و بينما تجد العجز مستحكماً في ميزانيات المانيا وانكلترا وفرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها عَلَى خرجها فزادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم تضاهها به التجارة الالمانية ولا

تجارة الولايات المتحدة. نمت تجارة اميركا ٨٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المقدمين من الماليين كما هي معهد دعاة الاشتراكية المتحمسين ولكنهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم وما قط اهرقوا دماً حراماً او اغتصبوا مالاً حراماً فالاشتراكيون عَلَى جرأتهم والماليون كذلك ويكفي ان مدينتي تورين وميلان قد اقدمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا وربحتا ارباحاً طائلة

وبعد فان ايطاليا مخصبة برجالها كما هي مخصبة بالاعمال والواردات ومعدل نفوسها اكثر من المانيا ففي كل كيلومتر من بلادها ١١٧ ساكناً عَلَى حين لا يوجد في كل كيلومتر من المانيا سوى ١٠٤ اشخاص. وينسب الاجتماعيون نفوس الشعب الايطالي المتزايد لاعتياد البكور في الزواج فقد تجد عروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأماً في السادسة عشرة في كل خطوة تسيرها في البلاد ويغلب عَلَى العامل الايطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فاذا ابتعد عنها فانما يبتعد ليكون عوناً لها ولا يغادر المهاجر الايطالي بيته الا ليوطد دعائمه وهو ابداً يحلم بالعودة اليه

العامل الايطالي مثال القناعة والتوفير والصبر أعطه من الاجرة مايموت من مثله العامل الانكليزي وتراه مع ذلك يقتصد من اجرته جانباً في صندوق التوفير نعم ان اجرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة ولكن الوقود فيها قليل فتكاد لا تجد في تلك البلاد الخصيبة فحماً حجرياً وليست ميناء جين دون مرسيليا بتجارتها فاذا كانت مارسيليا ثغر فرنسا تدخلها البضائع تنقل منها الى غيرها فان جين مصرف مهم لداخلية ايطاليا فقد وقف عليها سنة ١٩١٠—١٣ الف سفينة في حين وقف عَلَى مارسيليا ١٧ الفاً وكان حظ جين سبعة ملايين طن من البضائع وحظ مارسيليا ثمانية واعتصاب العملة غير مألوف كما هو مألوف في مارسيليا لان العملة يعرفون ان مصلحتهم مرتبطة بمصلحة معلميهم ولذلك يحلون بينهم كل اشكال يقع بالحسنى

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت مرتين وما لاقته من الشدائد لا يخلو من عبرة فقد ماتت للمرة الاولى عند ما داهمها برابرة الشمال وجعلوا أعزة اهلها اذلة وذلك لانها نقضت عهد وطنيتها وافسدت اخلاق ساكنيها واهملت زراعتها وأضعفت جيشها فاعادت البابوية الحياة الى رومية وبدلاً من تأليه قيصر صارت تذكر اسم الله ثم جاء دور النهضة والـ[illegible] المتفننين والشاعرين ورجال الحرب والسياسة من ابناء [illegible]

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من الغوائل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسوية انتفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بلله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ماوصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلحم عَلَي وضم فمن مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى بيمون ومن كان يرجو ان يداً صناع تقدر عَلَي عجن هذه الاجزاء المنحلة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لايطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتيانها ومازيني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحًا اقوى من كل سلاح وكافور رجل السياسة الذي احيا الزراعة كما لمّ شعث الجيش واقام نصاب العدل والحق كما فاوض اوربا فجعل ايطاليا وطنًا

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة عَلَي ارض لا تتزعزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل النافع الرافع . ولا بسيزيا وجين هما ولا مراء ثغران تنبعث منهما الحياة القوية فايطاليا مملوءة بماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفننين امثال ميشل آنج وليوناردي فنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطيارة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بديعة لطيفة فايطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب عَلَي المجتمع ان يقوم بها نحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يحترفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من تهافت المهاجرين الاقوياء فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تتأتى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها. فلهذه الغاية انشأت تلك المدرسة صفًا للمقعدين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صانع ماهر وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود والجوهرات المنتثرة بالاجرة عدا عما يصيغونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في المعامل متى اتموا تعليمهم.

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً ساعة خروجهم ينتج لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تحجم عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيزجون في اعماق السجون. فلمساعدة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركلن احد احياء مدينة نيويورك ناد يأوون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقتات منه فعندها يترك النادي. والآن يوجد كثير ممن ساعدهم هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد فلاسفة العصر « حقق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أوكد لك سلامته » وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة البالغين فضلاً عن الاطفال فلهذه الغاية اخترع وعاء مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاآن محكمان يمر من الوعاء الداخلي أنبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو نمر كل نمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يتكلف البائع الا لفتح انبوب يفرغ الى الوعاء المعير ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يغلقه ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فبهذه الواسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لابتياع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقتضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى المشد التماساً لدقة الخصر و بروز الصدر وارتدين بروداً لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انهك الاجسام واعدها لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلابة عما وراءها من النحول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء عَلَى ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من علية نساء الالمان واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الاديبات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

وسرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرانسا عَلَى اقتفاء اثر الجمعية الالمانية

وانتشرت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها لهن وانكرت الترف والفخفخة على نساء الاغنياء

وعسى ان تنهض نساء الشرق الى مجاراة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في الغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز و يسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة هنيهة خثر السكر وتفه طعمه والتجار يستعملونه لالصاق الغلافات وطوابع البريد و يصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيستخرجون عصارة النبات و يضعونها اياماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتتبخر المياه و يرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه عَلَى مائدة

المقتبس

الاركيولوجيا

Archéologie

الاركيولوجيا كلمة يونانية معناها الكلام عَلَى العاديات او الآثار القديمة · وقد خص استعمالها موخراً بالبحث عن قدم الانسان وحال معيشته حتى زمن التاريخ

وقبل الدخول في البحث عن تاريخ الانسان القديم لا بد من تمهيد جيولوجي لشدة علاقة موضوعنا بعلم الجيولوجيا — اي قدم العالم — فنقول :

يرى معظم علماء الجيولوجيا ان الارض كانت قديماً سديمية القوام ثم جمدت فبردت قشرتها الظاهرة بعد زمن طويل الى ان صارت صالحة لظهور الحياة عليها فظهرت (بقوة علة العلل) منذ مئات الالوف من السنين · ويسمى زمن ظهورها بالدور الثلاثي وتلا هذا الدور الرباعي فوجد الانسان في اوائله عَلَى الارجح · ويرى بعضهم ان الانسان ظهر في أواخر الدور الثلاثي غير ان الآثار التي يعتمدون عليها لتعضيد رأيهم ليست بثبت · ثم جاء العصر الحجري الطويل المدة حين كان اسلافنا الاقدمون يستخدمون الادوات الظرانية من حجارة الصوان · وعقب هذا الزمان البرونزي فالحديدي وفيه بدأت الحضارة الحقيقية ووضح التاريخ · والازمنة الثلاثة الاخيرة من اخص مباحث علم الاركيولوجيا

وتختلف مدد هذه العصور في طولها فبعضها يتخطى عشرات الأُلوف من السنين وبعضها كالزمان البرونزي لا يتجاوز ثلاثة آلاف سنة

وبما ان ما اكتشف من آثار الدور الرباعي لا يزال في معرض البحث والتخليص من شوائب الريب نبدأ ببيان عاديات العصر الحجري التي قد كشف للآن شيء كثير

منها · و يتبين من هذه الآثار ان الانسان ظهر عَلَى الارض منذ نحو عشرين الف سنة عَلَى الاقل ومائة الف سنة على الاكثر

العصر الحجري — هذا العصر قديم جداً سابق لأقدم التواريخ البشرية من مثل الهيوروغليفية المدونة على هيا كل مصر وفي مدافنها · وانتهى عَلَى الجملة قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة · غير ان بعض البلدان كمصر كانت قد تحضرت قبل المسيح بستة الى سبعة آلاف سنة وغيرها بقي الى مابعد ذلك بزمن طويل في حالة الهمجية كما يرى اليوم في سكان اوستراليا الاصليين و بعض اهالي جزر المحيط وغيرهم المنفصلين عن العالم المتحضر

ويقسم علماء الاركيولوجيا العصر الحجري الى عدة ازمنة أضربنا عن ذكرها لنسوق الكلام عليه هنا خلواً من عرقلة التقسيم والتداخل

و يظهر من الآثار القديمة ان الانسان لم يهتد في اوربا الى استعمال المعادن الا قبل التاريخ المسيحي بالفين الى ثلاثة آلاف سنة حين بدأ استعمال البرونز و بعد ذلك استعمال الحديد (قبل المسيح بنحو الف سنة)

ولذلك فالعصر الحجري في اوربا وكثير من انحاء العالم انتهى في بدء زمان استعمال المعادن بعد ان استمر زمناً طويلاً

وقد وجدت آثار عديدة في جميع انحاء العالم تدل عَلَى ان الانسان استعمل الادوات الصوانية في همجيته حيث حل في القارات الست · وكانت هذه الادوات خشنة الملمس غير متقنة في اوائل عهد الهمجية ثم اتقنت شيئًا في زمن سكن الكهوف ثم صقلت وارتقت في اواخر هذا العصر الذي تلاه زمن يسمى بالجديد وهو ما نسميه هنا بزمن العبور من العصر الحجري الى الزمن المعدني اي استعمال المعادن

وفي جملة ما عثر عليه الباحثون من البقايا الحيوانية والآلات الصوانية في كنت ببلاد الانكليز وفي بلجيوم والمانيا وفرنسا ومصر وآسيا واليابان واواسط افريقية والمكسيك وغيرها ما يدل دلالة واضحة عَلَى كيفية معيشة الانسان قديمًا وعَلَى انواع الحيوانات المعاصرة له التي انقرض بعضها الآن كالموث والفيل الكبير ونوع من فرس البحر هائل الجثة وكثير من الطيور التي لو رأينا هيا كلها الآن لهالنا كبر حجمها وغرابة منظرها

وقد وجدت عظام هذه الحيوانات المنقرضة بجانب ادوات الانسان في مدافنه

وكهوف. ورئي شيء من لحم بعضها لا يزال لاصقاً بالعظام

العصر الجليدي — واستدل علماء الآثار من ادلة عديدة وجدوها في طبقات متباينة العمق تحت الارض وفي كهوف كلسية ان نصف الكرة الشمالي كان معتدل الهواء في اواسط الدور الثلاثي الا ان سطح اوربا الشمالي كان في ذلك الوقت غير ما كان عليه في الدور الرباعي بعده . فكانت مياه الاوقيانوس الشمالي تغطي جميع الاراضي الواقعة الآن الى الشمال من خط يمد من جنوب انكلترا الى بطرسبرج . وبعد ذلك شخصت جبال الألب والقوقاس والكربتيان وباقي الجبال فغيرت هواء تلك الاصقاع بما احدثته من الرطوبة والبرد فتجلدت المياه وكانت تذوب صيفاً فيتكون منها انهر جليدية تكسح في طريقها الشواخص وتحدر المطمئنات حاملة الاوحال الى ابعاد سحيقة وجارفة الصخور تسحل بها وجه الارض . فنجم عن ذلك النواتيء الصخرية والرواسب الترابية في السهول كما نشاهده اليوم . ويقدر العلماء ان عمق الجليد في الدور المذكور المسمى بالجليدي ايضاً بلغ في جهات اسكنديناڤيا نحواً من ستة آلاف قدم . وجعل يقل شيئاً فشيئاً في الجنوب حتى محاذاة انكلترا ولكنه لم يبلغ قط جنوبيها كما ظهر من تحليل تربة الانهر الجليدية عند لندن .

والغريب انه كان يتخلل هذا الدور القارس مدد معتدلة الهواء تدل عليها بقايا الاشجار والحيوانات المتحجرة . فتقلبات كهذه لا يمكن تصورها كما هي حقيقة لعدم وجود مماثل لها في عصرنا الثابت او القليل التغيرات

زمن سكنى الكهوف — حدث في القرن السادس عشر ان عني اهل اوربا بالبحث عن قرن الكركدن القديم المعروف بوحيد القرن لاعتقاد عامتهم ان لهذه القرون خاصة الشفاء من كثير من الامراض فجر البحث عنه ذلك الى اكتشاف كثير من الكهوف والمغاور التي كان يسكنها الانسان . ووجد فيها من الآنية والادوات الظرانية ما يكفي للدلالة على نوع معيشة الانسان في اواسط العصر الحجري . الا ان هذه الابحاث لم تأخذ وجهة علمية الا منذ نحو قرن حين عثر على مغاور الضباع الهائلة التي كانت تفترس المموث وفرس البحر . وكان المظنون ان هذه الآثار سابقة لظهور الانسان غير انهم اكتشفوا بعد ذلك كهف كنت وهو من هذا النوع فوجدوا فيه آثار الانسان وآثار هذه الحيوانات المنقرضة جنباً الى جنب فعلموا ان الانسان كان معاصراً لها وقد ارتقى شيئاً حتى انه يشبه بعض متوحشي اوستراليا اليوم . ولكنه ارقى من

متوحشي جزائر صندويج لانهم اكتشفوا على نقوش ورسوم رسمها عَلَى العظام تشهد له بالتفوق حتى عَلَى بعض منحطي اهل زماننا

واني شهدت رسم الوعل والموث وغيره منقولاً عنه عظام محفوظة في متحف بريطانيا فدهشت لدقة صنعها واتقان رسمها اتقاناً تقتضي له حنكة ورياضة وارتقاء عقلي مما لا يمكن ان يتم الا بعد عصور عديدة من التقدم التدريجي . ويتصف هذا الزمان بكثرة الاوهام حتى ان لمعظم اوهام اوربا علاقة بسكان الكهوف

زمن الظران المصقول — بعد ان مضى عَلَى الانسان ردح من الدهر وهو يستعمل الآلات الصوانية السمجة الشكل الخشنة الملمس توصل الى صقلها وجعلها مستطيلة اكثر من سابقاتها المائلة الى الاستدارة وجعل يعتني بمقالع الصوان ويبحث في الارض بقرون الحيوانات كالوعل لاستخراج أفضل انواعها . وكان يستعمل المطارق من الصوان ايضاً ومن الحجارة المستديرة القاسية . وفي هذا الزمان كثر انتشار الانسان في الارض لان آثاره وجدت في معظم جهات العالم

زمن العبور من الهمجية الى الحضارة — مر عَلَى الانسان نحو من الف سنة حاول فيها العبور من استعمال الحجارة الى استخدام المعادن . وكان الناس في آخر هذا الزمن قد ارتقوا كثيراً عن سابق عهدهم حتى انه وجد عند اكتشاف اميركا من بقايا الهنود وآثارهم الراقية ما يخجل سادتهم الاسبانيين الفاتحين ووجدت كتابات رمزية في المكسيك لم يهتد العلماء الى حل رموزها الى الآن وسوف تحل مع الزمان فيكون من وراء ذلك أعظم فائدة للتاريخ . لان في المكسيك شيئاً كثيراً منها فلا تقل فائدتها عن كشف رموز اللغة الهيروغليفية في وادي النيل خصوصاً لان رسومها تماثل شيئاً ما في الهند والصين وحيواناتها تشبه حيوانات هاتين المملكتين فاذا حلت هذه الرموز كانت للعلم من اثمن الكنوز

ويمتاز هذا الزمان بوفرة كوم بقايا الاطعمة من اصداف الاسماك وغيرها لان معظم المساكن كانت بالقرب من البحيرات والانهر وكان لها منافذ للنجاة الى المياه عند الوقوع في خطر من هجوم الضواري . ووجد كثير من آثار الابنية عَلَى آلاكام وعلى مرتفعات صناعية محضة وحولها ركام من فضلات المأكولات وهي اسماك وحيوانات ونباتات بعضها مطبوخ بالنار

اما في سويسرا حيث البحيرات الجميلة تحيط بها الجبال فيظهر ان الانسان هناك

سبق جيرانه في الارتقاء مستقلاً استقلالاً نوعياً فكان يبني اكواخه على ضفافها ويلقي فضلات طعامه فيها ويتقي الخطر بفتح نوافذ الى المياه او ببناء مسكنه في وسط الماء كما شوهد في بعض الاماكن ولذلك انصرف ايضاً الى زراعة القمح والشعير مع صيد الاسماك والحيوانات . وتوصل الى صنع الخزف ونسج الحصر والحبال وشيء من الاثواب وكانت أهم ادواته الحجر وقرن الوعل .

ويمتاز جميع أهل هذا الزمان بإقامة ابنية مستديرة الشكل متجهة الى الشرق او الغرب او الى احد الكواكب ولها دهاليز تحت الارض . والارجح انها هياكل . وقد علم من انحراف اتجاه الشمس عن الهياكل التي كانت مخصصة لها انها بنيت منذ نحو الفي سنة قبل المسيح . وبعد هذا التاريخ بدأ استعمال المعادن في انكلترا مع انها كانت مستعملة في مصر وغيرها قبل ذلك

الزمن البرونزي — كان البرونز وهو مزيج من النحاس والتنك مستعملاً في آسيا وغيرها فأدخل استعماله الى اوربا قوم من السلتيين سلالة الآريين هاجموا اوربا من جهات مختلفة . فاستعمل البرونز اولاً في كريت قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة وفي صقلية بعد ذلك بخمس مئة سنة وفي فرنسا بعد صقلية بخمس مئة سنة ولم يدخل الى بريطانيا حتى سنة ١٨٠٠ ق . م .

وكان هؤلاء السلتيون عند دخولهم انكلترا يحرقون بعض موتاهم ويدفنون البعض الآخر . واذا دفنوا احداً وضعوا معه آلة عمله وشيئاً من الطعام ليتبلغ به في العالم الاسفل واما لتشاؤمهم من بقاء عدته وطعامه بعد موته

ومن الغريب ان يستعمل الانسان البرونز اولاً وهو مزيج مركب مع امكانه استخراج الحديد حالاً من معدنه الاصلي . ولعل هذا المشكل يحل فيما بعد اما الآن فيظن ان الانسان وقع عرضاً على شيء من هذا المزيج فوجده وافياً بالغاية وعلم نسبة تركيبه بالاختبار وهي ١ الى ٩ فجرى عليها

وعلم ان اول معدن نحاسي عثر عليه الانسان وجده في السواقي والجداول حيث كان اهل العصر الحجري يبحثون عن مواد صوانية يصنعون منها ادواتهم . فسكب اهل الزمن البرونزي ماوجدوه منه في بوالق حجرية محفور فيها رسم الفؤوس والسيوف وغيرها بمهارة تقضي باعجاب صناعنا اليوم . وكانت هذه الصناعة قد بدأت في مصر قبل ان يعرفها سكان شمالي البحر المتوسط

وفي هذا الزمن كان الذهب كثيراً في ايرلندا بدليل ما صنع من الادوات المبتذلة منه · وان وفرة ما كان يستخرج منه مما يدهش ولا مثل لها الا في كولمبيا من اعمال اميركا الجنوبية · الا ان الفضة لم تكتشف الا بعد الذهب بزمن ليس بقليل · واول ما ظهرت عَلَى ما نعلم في سواحل اسبانيا بجوار الماريا حيث وجد منها كثير من الحلقات التي تستعمل لتمتين المقابض الخشبية في اماكنها من تجاويف الفؤوس

ومن الغريب مشابهة رسوم الادوات الحجرية في جميع انحاء العالم مما يدل على تفرق الانسان من بقعة كانت قديماً محتده الاصلي

وخلاصة ما تقدم ان للانسان تاريخاً مقروءاً من هذه الادوات الصوانية والمعدنية تدل عَلَى ارتقائه بارتقاء صنعها وتعدد ضروبها واشكالها مما لا يترك محلاً للشك في كون الانسان تدرَّج في معارج النشوء والارتقاء من الآدمي العريق في الوحشية الى البشري ساكن الكهوف ومفترس الحيوانات الى صانع الآلات البرونزية التي اجتاز بواسطتها من طور التوحش الى طور استعمال الحديد فالحضارة

وهو الآن قد ابدل الاعصر القديمة بعصر البخار وجعل ينتقل منه الى عصر الكهرباء · وعما قليل نجده يأكل ويشرب ويلبس ويطير ويسبح وينام ويستيقظ ويبني ويهدم ويزرع ويحصد ويطبع ويسافر ويشهد الالعاب والملاهي عَلَى الارض وفي القبة الزرقاء بمساعدة قوة الكهرباء

هذا هو متوحش الامس ومتحضر اليوم فما عسى ان يكون انسان الغد ؟

لا ريب ان الكثير من غرائب الزمان لا يزال مخبوءاً للانسان ومن يعش ير

بيروت خليل سعد

ماذا يقال

الطابور ام التابور

كان الكتاب يقولون دائماً « الطابور » ومنذ وقف احد اعضاء نادي دار العلوم على كلمة «تابور» في تاج العروس واذاعها بين الناس لم نعد نرى الا القليلين يكتبون الكلمة بالطاء والسبب ان ورود الحرف المذكور منصوص عليه بالتاء في التاج ولم يتعرض له بالطاء . فيستنتج ان « الطابور » عامية و بالتاء افصح

قلنا : ١ — ان تعاقب التاء والطاء و بالعكس بالعربية مما لايحتاج الى التصريح به . فان الالفاظ من هذا القبيل تعد بالمئات لا بالعشرات . وربما نستطيع ان نملأ نصف عدد من اعداد المقتبس بمثل هذه الكلم التي تتعاور فيها التاء والطاء . عَلَى اننا نجتزئ بذكر بعضها من ذلك : القطر والقتر (الناصية) . وما اسطيع وما استيع . وهرت الثوب وهرطه . وطاح وتاه . وعفت في كلامه وعفط . (لواه عن وجهه وكسره لكنةً) وذهب دمه تلفاً وطلفاً . . . . . وعليه فتكون تابور وطابور من هذا الباب ولاسيما لان كلتا اللغتين مشهورتان .

٢ — عدم ورود لفظة في ديوان لغة لا ينفي صحتها . لان المعاجم لم تدون جميع الفاظ العرب . وحسبك دليلاً عَلَى ذلك ان المعاجم التي أُنشئت في صدر الاسلام هي دون المعاجم المؤلفة اخيراً في السعة وكثرة تعدد الالفاظ . أفيستنتج من ذلك ان ماجاء في هذه الكتب المتأخرة هو من اوضاع العوام او دون الاولى فصاحة . مع ان ما قيد ودون في أُخريات هذه الازمان قد يكون اقدم عهداً مما جاء في دواوين اللغة المؤلفة في القرون السابقة .

٣ — ليست طابور محرفة عن « تابور » وانما الطابور كلمة دخيلة قديمة العهد في العربية ربما كانت قبل سنة ٧٣٢ هـ (= ١٣٣١ م) واما « تابور » بالتاء فانها حديثة العهد لم تدخل لسان آل عثمان الا بعد سنة ١٥٦١ م (= ٩٦٩) ولم ترد في كتب العرب الا بعد شيوع اللفظة التركية بين العثمانيين . والذي استزل اهل النادي للقول بعربية اللفظة وجودها في تاج العروس بلا تنبيه عَلَى عجمتها . بيد ان صاحب التاج كثيراً ما يغفل عن اصل اللفظة . والا فسائر امهات اللغة ودواوينها القديمة لاتذكرها

واما طابور بالطاء فاقدم منها بكثير. فقد جاء في تاريخ ابن خلدون المغربي في كلامه عن اخبار سيف ذي يزن : « ولما استوثق لذي يزن الملك جعل يعتسف الحبشة ويقتلهم حتى اذا لم يبق الا القليل جعلهم خولاً واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب .» اه وانت تعلم ان ابن خلدون ولد سنة ٧٣٢ ﻫ (= ١٣٣١ م) وقضى نحبه سنة ٨٠٦ وقيل ٨٠٨ ﻫ (= ١٤٠٣ او ١٤٠٥ م) فتكون طابور وجمعها طوابير قبل استعمال ابن خلدون لها و بعد انتشارها بين العرب وفشوها في المغرب .

اذاً : الطابور افصح من التابور ولو كانت كلتا اللفظتين دخيلة

ايقال طيارة ام مطيرة

كثر الكلام في هذا العهد عن الآلة التي اخترعها الاجانب للتحليق بها في الجو المعروفة عند الفرنسويين باسم Aéroplane فسماها كتاب العرب « طيارة » الا ان هذه اللفظة مشتقة من طار يطير اللازم فيكون معناها : هذه الهنة التي يتخذها الصبيان من الورق فيطلقونها في الهواء فترتفع فيه من ذاتها . واما الآلة التي يتخذها الانسان ليحلق بها صعداً فانما تتخذ لتطير الانسان وترفعه في الجو فهي « مطيرة » لا « طائرة » وبالاصل لان راكبها هو الذي يسيرها بيديه . فالاصح فيها ان يقال « مطيرة » اي الآلة المطيرة لا « طيارة » لا سيما ان هذه اللفظة مخصوصة بالهنة المذكورة المشهورة

نعم قد يجوز ان يقال انها طائرة او طيارة لارتفاعها في الهواء ونسبة الفعل اليها كنسبته الى صاحبها . لانه اذا اطارها ولم تطر لم يفد عمله فتيلاً . وعليه فكلاهما طائران في الهواء الا ان التحقيق احب الى اللغوي من إلقاء الكلام عَلَى عواهنه بدون تبصر وتدبر . ومن ثم فعندنا ان القول بأن « المطيرة » اصح من « الطيارة » في هذا المعنى هو ارجح ووجهه أبين . واستعمال الكتاب لها ينفي كل معنى ثان و يمنع الفكر من ان يتصور المعنى الاول المعقود بناصية الطيارة

أيقال وسط ام محيط ام حال ام بيئة ام مربى ام منشأ

للافرنج لفظة « Milieu » ومعناها حرفياً « الوسط او المحيط » و يريدون بها مجازاً : الموطن الذي يوافق عيشة الانسان الادبية او العلمية او العمرانية » فقال كاتب يقابلها في العربية «الوطن والاقليم» وليس الامر كذلك فالوطن هو La patrie والاقليم هو Le climat او Le pays فقد يكون كل منهما وسطاً للانسان الا ان معنى الوسط اعم من هذا كما يظهر لادنى تدبر . ثم عدل عن رأيه هذا وقال

هي الحال وهذا ايضاً خطأ · فالحال يقابله عند الافرنج L'état · اما البيئة فأفصح من الوطن والاقليم والحال اذا اردنابها الابانة عما في خاطرنا من معنى الوسط اوالمحيط ·

عَلَى ان الذي ورد عند العرب من هذا المعنى هو المربى والمنشأ · وقد وردت الاولى مراراً عديدة في مقدمة ابن خلدون · وترجمها ناقلها الى الفرنساوية بلفظة Milieu المذكورة من ذلك مثلاً ما جاء في الفصل الذي عنوانه « ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم » « من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر · وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي » اه ·

وهذه اللفظة قد تكررت مراراً لا تعد في هذا السفر · وقد ورد بهذا المعنى لفظة منشأ ووجه الترادف واضح ·

عَلَى اننا لا نرى سبباً لرذل كلمتي « وسط ومحيط » فانهما تفيان بالمراد من باب المجاز و باب المجاز واسع لم يقيده الاقدمون بقيود من حديد ولم يضعوا له قواعد غير القواعد المعروفة عند جميع اهل اللغات · وعليه فان جاز للافرنج ان يقولوا بهذا المعنى « الوسط والمحيط » فلماذا يحظر على العرب التلفظ بمثل هذه الحروف · ان هذا لما يأباه كل عاقل عارف بآداب اللغات ·

بغداد ساتسنا

الزلزلة العظمى

في دمشق واعمالها

قرأت في الجزء السابع من التذكرة الكمالية لجدنا المرحوم الشيخ كمال الدين الغزي هذه الوقعة العظمى فاحببت ان اطلع القراء عليها تتمة لتاريخنا الحديث قال :

انه في سنة ثلاث وسبعين ومائة والف سادس ربيع الاول في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف فطاشت لها العقول وحصل والعياذ بالله غاية الذهول وتخلعت السقوف وتشققت الجدران وهدمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس مآذن دمشق فمنها المأذنة الغربية والشرقية

في جامع بني أمية وقع منهما في تلك الساعة حصة ومنارة العروس في ذلك الجامع ذهب منها شيء يسير وبقية منارات جوامع دمشق لم يسلم منها الا القليل وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الأموي الشرقية جدران الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل وما من منارة بدمشق الا وهى بناؤها حتى ان منارة السليمية المحيوية بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت والجامع المظفري بها ايضاً ومنارة جامع سيباي والجامع المعلق وجامع حسان وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصاب ومنارات الجامع بمحلة الميدان وبقية منارات جوامع دمشق تقصفت ولم يسلم منها الا النزر القليل وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الأموي تشققت ووهت وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع ووهى وخرب اكثر دور دمشق ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ووقعت شراريف الجامع المزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف عَلَى سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله فسقطت تلك الشراريف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السميساتية ورمت قبو ايوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع وفعلت ببقية جهاته كذلك وفعلت افعالاً عنيفة في الاحجار وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد المحيا الشريف النبوي تجاه العضادة الكبرى وبقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلاً ونهاراً الى آخر شهر ربيع الاول والناس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها وقرأوا صحيح البخاري مرتين والقرآن العظيم مراراً وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب احمد المنيني مكانان احدهما فوق الآخر فسقط الاعلى فوق الاسفل فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جهزهم صبيحة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح وثلاثة انفس أُخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضاً . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد فذهب اكثر اهلها قتلى وقتل بها من اليهود الف وثلاثمائة نفس وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس وقتل بها خلق كثيرون وتزلزلت عكا وذهبت حصة من برجها في البحر وطبريا ودير حنا وقلعة الجندل وبلاد الشوف

وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا و بيروت واللاذقية و يافا وحيفا وباقي تلك البلاد الشامية ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم وبلاء جسيم وتهدمت الخانات عَلَى من بها من القفول وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة نسأل الله السلامة من اهوال الحشر والقيامة

ووافت الناس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لاهل دمشق احمدوا الله تعالى عَلَى ما حفكم به من اللطف فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير عبد الله باشا ابن ابراهيم الشهير بجته جي ومتولي اوقاف الجامع المشار اليه شيخ الاسلام علي بن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير الهمة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي اعجزت البنائين واهل الصناعات ان يضعوا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط وطلبت طائفة البنائين من النصارى اموالاً عظيمة عَلَى نقضها وان يجعلوا لذلك السقايل الهائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى امتلأ خشباً واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخاماً كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقايل لاجل النقض حول المنارة المزبورة واستعظم طائفة البنائين من النصارى نقضها فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشخشيره وأخرج معه مطرقة وازميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بهما الاحجار و يلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق شاش من الحجر الكبير و بذل الوزير للنجار وكان حاضراً لما صعد الى المنارة جائزة ووعده انه اذا اتم العمل ان يقابله بالجوائز السنية واخذ البناؤون في تهيئة اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الأسس

ثم استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء ففي ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلزلة الكبرى

التي لم ير ولم يعهد مثلها في سوالف العصور فصارت الجبال تمور والارض تغور والمياه تفور وبقيت بعد سكونها تتوالى رجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلعت لها القلوب وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتضرع لعلام الغيوب وحارت العقول وطاشت الرجال الفحول وثار في ذلك الوقت الغبار والقتام واشتد في ذلك الآن الظلام وادهش الناس في ذلك الخطب المهم والمرعب المدلهم الذي انعقدت له الالسن وخرست وغارت له العيون والشفاه يبست وصارت الارض تفور وتغلي مثل المرجل وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف والمأذنة الشرقية الأموية المتقدم ذكرها وقعت الى الاسفل ولم تحوج الى فك وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحكمة وعضاداته وكان مشتملاً عَلَى عضادات واعمدة بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجار المثمنة من اسفلها الى اعلاها وسقطت المنارة الشرقية عَلَى جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المعازب الثلاث التي بقربها وتشققت غالب الجدران واشرفت عَلَى السقوط فسبحان الفعال لما يريد الحي القيوم الذي لا يموت

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع يلبغا مع قبته الهائلة ومنارته مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي دمشق ونائبها ثلاث قبات هائلة وتهدمت دور دمشق الا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة وتهدمت القرى التي حول دمشق وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة وكان من جملتها قرية التل قتل بها تحت الردم ما ينوف عَلَى خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل وقرى الجبل كالهامة والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الهدم ما لا يعد ووقع سور مدينة دمشق في نهر عقربا احد انهار دمشق فسده وسور قلعة دمشق الغربي سقط جميعه وسد نهر بانياس وسدت الطرق بالتراب والاخشاب والصخور وصارت السماء مع الارض تمور وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد وذهب من الاثاث والامتعة والاواني الصيني وغيرها الشيء العظيم الكبير فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد ان كل شيء هالك الا وجهه فصار الناس لا يألفون الاوطان ولا يستقرون بمكان وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ونصبوا الخيام وبقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج وقد نظم في تلك الزلزلة الهائلة الفاضل

العالم الاديب مصطفى بن احمد بن محمد الدمياطي ابياتاً قال

ان تناسيت اوقات أُنس تقضت لست أنسى ليالي الزلزال
اذكرتنا كيف المنام بمهد وأرتنا بالعين رقص الجبال
أشهدتنا تمايلات قصور باهتزاز كحالة الاطفال

ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد الله بن ابراهيم الشهير بالجتجي الى الابواب العلية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي المزبور وقلعة دمشق وما اصابها من الانهدام وسألوا الدولة في تعميرها وكان صاحب التخت العثماني السلطان مصطفى ابن السلطان احمد فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل اميناً عَلَى العمارة المزبورة احد البوابين بالابواب العالية مصطفى بن محمد الشهير باسبانخجي فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والف نزل كافل دمشق الوزير عبد الله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها اذ ذاك المولى ساطع علي بن مصطفى ختن علي احمد افندي ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام علي بن محمد المرادي النقشبندي وبقية اعيان دمشق من العلماء وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير فامرهم المتولي عَلَى العمارة ان يشرعوا في اعادة ما انهدم ومرمته انتهى .

دمشق محمد فهمي الغزي

في خمسين قرناً

اليك اربعمائة وخمسين حادثة كبرى من حوادث خمسين قرناً او منذ فجر التاريخ المعروف حتى فجر القرن العشرين

« قبل المسيح »

في سنة ٣١٠٠ أسس نمرود مدينة بابل

في سنة ٢٣٢٤ بدأ الكلدانيون برصد الافلاك

في سنة ٢٢٥٥ ظهرت سلالة (الهيا) الملوكية في الصين

في سنة ٢٢٢٩ استعمر آشور بلاد آشور

في سنة ٢١٨٨ استعمر مصرايم مصر

في سنة ٢٠٠٠ شرع باستعمال الكتابة المسمارية

في سنة ٢٠٠٠ أسس نينوس نينوى

في سنة ١٩٩٦ ولد ابراهيم الخليل

في سنة ١٩٢١ دُعي ابراهيم من أور الكلدانيين الى ارض الميعاد

في سنة ١٨٩٦ ولد اسحاق

في سنة ١٨٥٦ أسست مملكة ارغوس

في سنة ١٨٣٧ ولد يعقوب وعيسو

في سنة ١٧٢٩ بيع يوسف من المصريين

في سنة ١٥٨٢ دُوّن تاريخ الاربونداليين على صفائح رخامية جلبت الى انكلترا عَلَى عهد الملكة حنة سنة ١٦٢٧ للمسيح

في سنة ١٥٧١ ولد موسى بن عمران وقضي نحبه في سنة ١٤٥٠

في سنة ١٥٠٠ ملك سيزوستريس مصر

في سنة ١٤٩١ انطلق بنو اسرائيل من مصر الى ارض كنعان

في سنة ١٣٥٢ بدأ حكم قضاة بني إسرائيل وانتهى سنة ١١٩٣

في سنة ١٢٧٣ قامت دولة الآشوريين

في سنة ١١٣٦ قام شمشون الجبار بمجزرة الفلسطينيين ومات سنة ١١٢٠

في سنة ١١٨٤ حدثت حرب ثورجان

في سنة ١١٢٥ ظهر صموئيل النبي

في سنة ١١٠٠ أُسست في اثينا مملكة (شوا)

في سنة ١٠٩٥ نُصب شاول ملكاً عَلَى بني إسرائيل ومات سنة ١٠٥٦ ومات يوناتان في السنة نفسها

في سنة ١٠٥٥ نُصب داود ملكاً عَلَى اليهود وفي سنة ١٠٤٨ استولى عَلَى اورشليم ومات في سنة ١٠١٥

في سنة ١٠٥٠ نُصب قودرس ملكاً عَلَى أثينا

في سنة ١٠٤٨ — ١٠٠٦ أزهرت صور عَلَى عهد الملك حيرام بالصناعة والتجارة والعمران

في سنة ١٠٤٢ نقل تابوت العهد لبني إسرائيل الى اورشليم

في سنة ١٠٢٣ قام ابشالوم بالثورة
في سنة ١٠١٢ شُرع ببناء هيكل سليمان العظيم وفي سنة ١٠٠٥ أتمّ الملك سليمان بناءه
في سنة ٩٧٥ تولى رحبعام اريكة الملك
في سنة ٩٧١ تمرّد عشرة أسباط من اسباط بني إسرائيل بقيادة يربعام عَلَى الملك رحبعام
في سنة ٩٧١ استولى المصريون عَلَى اورشليم ونهبوها
في سنة ٨٨٤ أصلح ليكرغس شرائع اسبارطة
في سنة ٨٧٨ أُسست مدينة قرطجنة
في سنة ٧٧٦ بدأ تاريخ اليونان وذلك في اول عهد الملاعب اليونانية التي كانت تحدث كل اربع سنوات يؤرخون بها
في سنة ٧٥٣ أُسست مدينة رومية
في سنة ٧٤٧ استقلت مدينة بابل تحت حكم الملك نبوخذ ناصر (بختنصر)
في سنة ٧٣٠ أخضع الملك شالما ناصر فينيقية
في سنة ٧٢٢ استولى سرغون ملك الآشوريين عَلَى السامرة احدى اقسام الارض المقدسة التي هي السامرة واليهودية والجليل
في سنة ٧٢٠ حاصر سنحاريب الملك اورشليم وهلك جيشه
في سنة ٧٠٠ تولى يوليوس عرش الملك في رومية
في سنة ٦٨٧ حدثت حروب مسينا للمرة الثانية
في سنة ٥٩٨ حاصر نبوخذناصر اورشليم وفي سنة ٥٨٦ دمرها وصيرها خراباً وفي سنة ٥٧٩ ق . م استولى عَلَى مدينة صور
في سنة ٥٨٦ أفلت شمس مملكة اليهود
في سنة ٥٥٠ أسس قورش مملكة ايران
في سنة ٥٤٠ بدأ دور فوطيفار سيد يوسف بن يعقوب في مصر ودامت مدته عشر سنوات
في سنة ٥٣٩ استعمر الفينيقيون مرسيليا في فرنسا
في سنة ٥٣٨ استولى قورش عَلَى بابل
في سنة ٥٣٦ أعتق قورش اليهود من السبي
في سنة ٥٣٥ تجدد بناء الهيكل في أورشليم

في سنة ٥٢٩ مات قورش

في سنة ٥٢١ تولى داريوس (دارا) أريكة الملك في بلاد العجم وكان اول ملوك الفرس

في سنة ٥١٥ احتفل بافتتاح هيكل اورشليم للمرة الثانية

في سنة ٥١٠ صارت كل من رومية وأثينا جمهورية

في سنة ٥٠٧ تغلب دارا الملك على مكدونية

في سنة ٤٩٠ فاز اليونان على الفرس في معركة بارثونة وفي سنة ٤٨٠ قهروهم في معركة باس

في سنة ٤٧١ نُفي استقولس مدة عشر سنوات

في سنة ٤٦٠ جدد نحميا وعزرا بناء هيكل اورشليم

في سنة ٤٣٠ ولد ثيقودس

في سنة ٤٠٥ حُطم اسطول أثينا

في سنة ٤٠٠ ولد فينوفون

في سنة ٣٩٩ مات سقراط مسموماً

في سنة ٣٨٥ ولد ديموستينس الخطيب الشهير وقضى نحبه سنة ٣٣٢

في سنة ٣٨٧ رفعت أعلام السلام فوق مدينة الفلاسفة أثينا

في سنة ٣٧١ حدثت معركة ليوقترة

في سنة ٣٦٢ حدثت معركة باثينا

في سنة ٣٤٢ نشبت حرب طاحنة بين الامتين اللاتينية والرومانية

في سنة ٣٥٠ دُمرت صيدا

في سنة ٣٣٨ حدثت معركة فورنية وتحرر اليونان يومئذ من ربقة الاستبداد والاستعباد

في سنة ٣٣٤ حدثت موقعة غرينقوس

في سنه ٣٣٢ اكتسح الاسكندر الكبير مدينة صور

في سنة ٣٣١ حدثت موقعة أربيلا (أربيل)

في سنة ٣٢٤ ظهر ديوجنيس الفيلسوف

في سنة ٣٢٣ مات الاسكندر الكبير

في سنة ٣١٧ حاصر القرظجنيون مدينة سيراقوس

في سنة ٣٢٢ انتحر ديموستينس الخطيب

في سنة ٣١٦ قام أنطيخوس مقام اسكندر الكبير

في سنة ٣١٢ ظهر سلوقوس

في سنة ٣٠١ حدثت موقعة أنسوس

في سنة ٢٨٤ نقلت التوراة من العبرانية الى اليونانية

في سنة ٢٨١ بدأت حروب بيرهوس الساحقة

في سنة ٢٨٠ ظهر نيقراط الفيلسوف

في سنة ١٣٥ ابتدأ حكم المكابيين عَلَى اليهودية

في سنة ٧٢ قام السود بثورة هائلة

في سنة ٣٠ أصبحت مصر اقليماً رومانياً

في سنة ٣٠ تولى اغسطس قيصر الحكم

« بعد المسيح »

في سنة ٤ مسيحية ولد المسيح

في سنة ٢٩ صلب المسيح

في سنة ٤٠ دعي تلاميذ المسيح مسيحيين لاول مرة في التاريخ

في سنة ٦٤ حدث اول اضطهاد للمسيحيين في رومية

وثاني اضطهاد في سنة ٩٥

وثالث اضطهاد في سنة ١١٠

ورابع اضطهاد في سنة ١١٨

وخامس اضطهاد في سنة ١٦٧

وسادس اضطهاد في سنة ١٧٧

وسابع اضطهاد في سنة ٢٠٢

وثامن اضطهاد في سنة ٢٣٦

وتاسع اضطهاد في سنة ٢٥٠ في رومية وأقاليمها

وعاشر اضطهاد في سنة ٢٥٨ في رومية وافريقية

وحادي عشر اضطهاد في سنة ٣٠٣

في سنة ٣٠٦ تبوأ قسطنطين عرش الملك

في سنة ٣٣٠ فتحت مدينة القسطنطينية

في سنة ٣٢٥ اجتمع مجلس الدول العام لاول مرة في نيقية

في سنة ٣٨١ اجتمع المجلس المذكور ثاني مرة في القسطنطينية (فروق)

في سنة ٣٩٤ أبطلت شريعة عبادة الاوثان

في سنة ٤١٠ غادر الرومان بريطانيا

في سنة ٤٣١ اجتمع مجلس الدول العام ثالث مرة في أفسس

في سنة ٤٣٩ استولى البرابرة على قرطجنة

في سنة ٤٤٩ غزا السكسونيون بريطانيا

في سنة ٤٥٠ اجتمع مجلس الدول العام رابع مرة في خلكدونية

في سنة ٤٥٥ نهب البرابرة رومية

في سنة ٤٧٦ سقطت المملكة الغربية

في سنة ٤٨٨ حاصر الاشروغوطيون ايطاليا

في سنة ٥١٠ صارت باريس عاصمة الكلوفيين

في سنة ٥٢٧ ابتدأ جستينن بالملك

في سنة ٥٣٣ توالت انتصارات بالساربوس في افريقية ومن سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٣٩ تتابعت انتصاراته في ايطاليا

في سنة ٥٥١ عرفت لاول مرة في التاريخ كيفية اصطناع الحرير في اوربا

في سنة ٥٥٣ انتهى ملك الاستروغوطيين في ايطاليا

في سنة ٥٦٨ ملك (لومباردس) ايطاليا

في سنة ٥٧١ ولد محمد نبي الاسلام (وعاش ستين عاماً)

في سنة ٥٩٥ بعث اوغسطينس برسالته الدينية الى ايطاليا

في سنة ٦٣٧ استحوذ عمر بن الخطاب على اورشليم

في سنة ٦٤٠ اكتسح المسلمون الاسكندرية بقيادة عمرو

في سنة ٦٦٨ = ٦٧٥ انهزم العرب في القسطنطينية

في سنه ٦٨٠ اجتمع موئتمر الدول العام لسادس مرة في القسطنطينية

في سنة ٧١١ حمل العرب حملتهم المشهورة على اسبانيا

في سنة ٧١٦ = ٧١٨ فشل العرب ثاني مرة في محاصرتهم القسطنطينية

290

في سنة ٧٣٢ هزم (مارتل) العرب في موقعة (طورس) العظيمة

في سنة ٧٥٢ تولى (تيبيني لي ريف) عرش الملك في فرنسا

في سنة ٧٨٧ اجتمع مؤتمر الدول العام سابع مرة في نيقية

في سنة ٧٨٧ نزل (دانس) في انكلترا

في سنة ٧٨٨ ظهرت (أيرين) ملكة الشرق

في سنة ٨٠٠ تُوج (كارلمفن) في رومية

في سنة ٨١٤ مات الملك المذكور

في سنة ٨٢٧ حكم (اغبرت) انكلترا

في سنة ٨٤١ حدثت معركة (فونتانيل)

في سنة ٨٦٢ أسس (روق) مملكة روسيا

في سنة ٨٧١ ظهر الفرد الاكبر ملك انكلترا

في سنة ٨٧٥ أسس (هرولد فيرهير) مملكة نروج

في سنة ٩٠١ مات الفرد الاكبر ملك انكلترا

في سنة ٩١١ بيعت استريا من (رولو)

في سنة ٩١١ استحوذ الامبراطور (كونراد) عَلَى جرمانيا

في سنة ٩٣٦ نبغ (اوثو) امبراطور جرمانيا الكبير

في سنة ٩٤٠ ظهر لقب امير الامراء لاول مرة فى التاريخ

في سنة ٩٦٢ نُصب (اوثو) امبراطور جرمانيا السابق الذكر امبراطوراً على الغرب

في سنة ٩٦٩ — ٩٧٥ نصب يوحنا (زمسكس) امبراطوراً عَلَى الشرق

في سنة ٩٧٣ مات (اوثو) امبراطور الغرب

في سنة ٩٨٧ ابتدأت مملكة (كابتين) في فرنسا

في سنة ١٠٤٠ استحوذ نورمن عَلَي جنوبي ايطاليا

في سنة ١٠٥٥ استولى الاتراك عَلَى بغداد

في سنة ١٠٦٥ استولى المسلمون على اورشليم

في سنة ١٠٦٦ بدأ ملك ملوك (نورمن) في انكلترا

في سنة ١٠٨١ حدثت موقعة (دورزو)

في سنة ١٠٩٦ حمل الصليبيون حملتهم الاولى عَلَى الشرق

في سنة ١٠٩٩ استحوذ الصليبيون على اورشليم

في سنة ١١١٨ أسس الصليبيون معهد الفقه

في سنة ١١٤٧ حمل الصليبيون حملتهم الثانية على الشرق

في سنة ١١٥٢ نصب فريدرك امبراطوراً على جرمانيا

في سنة ١١٥٤ بدأ ملك ملوك (بلانتيفتن) في انكلترا

في سنة ١١٧٢ زحف هنري الثاني ملك انكلترا على ايرلاندا

في سنة ١١٧٦ انهزم الجرمانيون بقيادة الامبراطور فريدرك في (لفانو)

في سنة ١١٨٧ استولى صلاح الدين على اورشليم

في سنة ١١٨٩ حمل الصليبيون حملتهم الثالثة عَلَى الشرق

وفي سنة ١١٩٥ حملوا حملتهم الرابعة

وفي سنة ١١٩٨ حملوا حملتهم الخامسة

وفي سنة ١٢٠٣ استحوذوا عَلَى القسطنطينية

في سنة ١٢١٥ حاصر الملك يوحنا في انكلترا (ماغانا كارتا)

في سنة ١٢٢٧ حمل الصليبيون حملتهم السادسة عَلَى الشرق

في سنة ١٢٢٧ نشر جنكيزخان لواء سلطته عَلَى العرب

في سنة ١٢٣٧ باشر المغوليون دفع الجزية لروسيا

في سنة ١٢٤٨ حمل الصليبيون الحملة السابعة عَلَى الشرق

في سنة ١٢٦١ استرجع اليونانيون القسطنطينية

في سنة ١٢٧٠ حمل الصليبيون حملتهم الثامنة عَلَى الشرق

في سنة ١٢٧٠ سقطت مصر بأيدي المماليك

في سنة ١٢٧٣ نصب (رُدلف هبسبورغ) امبراطوراً عَلَى جرمانيا

في سنة ١٢٩١ انتهت الحروب الصليبية

في سنة ١٣٠٧ بدأت الثورة في السويس

في سنة ١٣٠٢ حدثت معركة (كورتري)

في سنة ١٣١٤ حدثت معركة (بانوكبرن)

في سنة ١٣١٥ حدثت معركة (مورغرتن)

في سنة ١٣٤٦ حدثت معركة (كرسي)

في سنة ١٣٤٧ حكم (رينزي) رومية

في سنة ١٣٥٢ اتحدت اقاليم السويس

في سنة ١٣٦١ — ١٣٨٩ دوخ مراد الاول آسيا الصغرى

في سنة ١٣٧٧ عادت سلطة البابوات الى رومية

في سنة ١٣٩٢ اكتشف البرتقاليون رأس الرجاء الصالح

في سنة ١٣٩٧ وقعت الملكة مرغريت عَلَى المعاهدة بين الدنيمارك واسوج ونروج

في سنة ١٣٩٨ استولى تيمورلنك عَلَى (دهلى)

في سنة ١٣٩٩ نصب هنري الرابع ملكاً عَلَى انكلترا

في سنة ١٤٠٢ تغلب تيمورلنك عَلَى الاتراك العثمانية

في سنة ١٤١٥ حدثت موقعة (اغنكورث)

في سنة ١٤٤٥ ارتقى قسطنطين عرش الملك في بزنطية وكان آخر ملوكها

في سنة ١٤٥٣ بسط العثمانيون سلطانهم عَلَى بزنطية اي القسطنطينية غابراً والاستانة حاضراً

في سنة ١٤٥٥ ابتدأت حروب (روزس) في انكلترا

في سنة ١٤٧٤ بلغ ميشل انجلو أَوج شهرته

في سنة ١٤٧٩ اتحدت مملكتا فرديناند و (وايزابلا)

في سنة ١٤٨٥ حدثت موقعة (بوسورث)

في سنة ١٤٩١ سقطت غرناطة

في سنة ١٤٩٢ اكتشف كولمبس اميركا

في سنة ١٤٩٤ حمل كارلس الخامس عَلَى ايطاليا

في سنة ١٤٩٧ طاف القبطان قابوت شواطيء اميركا الشمالية

في سنة ١٤٩٩ استقلت اسوج

في سنة ١٥١٥ نصب فرنسيس الاول ملكاً على فرنسا

في سنة ١٥١٦ نصب كارلس الاول ملكاً عَلَى اسبانيا

في سنة ١٥١٧ نشر لوثر زعيم الاصلاح الديني الشهير قضاياه الشهيرة عَلَى الكنيسة الرومانية وعددها تسعون قضية

في سنة ١٥٢٩ سمي الانجيليون بروتستانت لاول مرة في التاريخ

في سنة ١٥٣٥ أسس (لويولا) نظام العدلية لاول مرة في التاريخ الحديث

في سنة ١٥٥٢ وقع على معاهدة (باسو)

في سنة ١٥٥٦ خلع كارلس الخامس

في سنة ١٥٥٨ ارتقت اليصابات عرش الملك في انكلترا

في سنة ١٥٥٨ نشأ مجلس التفتيش في فرنسا

في سنة ١٥٧١ تغلبت اوستريا على الاتراك العثمانيين

في سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحة القديس برتلماوس

في سنة ١٥٨٧ قطع رأس ماري ملكة اسكوتلندا

في سنة ١٥٨٩ نصب هنري الرابع ملكاً عَلَى فرنسا

في سنة ١٦٠٣ انضمت اسكتولندا الى انكلترا

في سنة ١٦١٠ قتل هنري الرابع

في سنة ١٦٤٩ قطع رأس كارلس الاول

في سنة ١٦٥٣ ظهر كرومل الانكليزي

في سنة ١٦٦٠ رجعت أسرة (ستورتس) الملك في انكلترا

في سنة ١٦٨٣ تغلب القائد جان سبيسكي عَلَى العثمانيين في فينا

في سنة ١٦٨٨ بدأت الثورة في انكلترا للمرة الثانية

في سنة ١٦٨٩ ارتقى بطرس الأكبر عرش الملك في روسيا

في سنة ١٦٩٧ امتدت سلطة كارلس الثاني الى اسوج

في سنة ١٦٩٩ استعمرت ولاية لوزيانا في اميركا الشمالية

في سنة ١٧٠٢ حطم اسطول فرنسا في (فيفو)

في سنة ١٧٠٩ اتحدت انكلترا واسكوتلندا

في سنة ١٧١٤ ارتقت أسرة (غوانفس) الى العرش الانكليزي

في سنة ١٧١٥ مات لويس الرابع عشر

في سنة ١٧١٨ قتل الملك كارلس السابع عَلَى أسوج

في سنة ١٧٢٥ مات بطرس الأكبر امبراطور روسيا

في سنة ١٧٤٠ رقي فريدرك الكبير الى عرش الملك في بروسيا

في سنة ١٧٤٢ تمت معاهدة (برسلو)

في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في لشبونة
في سنة ١٧٥٥ ابتدأت الحروب السبع
في سنة ١٧٥٧ حدثت موقعتا (روسباك) و (ليذن)
في سنة ١٧٥٨ حدثت موقعة (زوزندوف)
في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (ميندن)
في سنه ١٧٥٩ حدثت موقعة (كوبلك)
في سنة ١٧٦٢ ارتقت الملكة كاترينا عرش الملك
في سنة ١٧٦٣ انتهت الحروب السبع
في سنة ١٧٦٣ صارت كندا من مستعمرات انكلترا
في سنة ١٧٦٥ قُرر استعمال الطوابع لاول مرة في التاريخ
في سنة ١٧٦٦ أُلغي استعمال تلك الطوابع
في سنة ١٧٦٨ نشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا
في سنة ١٧٦٩ ولد نابليون بونابارت
في سنة ١٧٧٠ حدثت مذبحة بوسطن في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٧٤ رُقي لويس السادس عشر الى عرش الملك في فرنسا
في سنة ١٧٧٤ اقفل الانكليز مرفأ بوسطن في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٧٥ بدأت الثورة في اميركا لاجل الاستقلال وفي السنة نفسها حدثت معركة (بنكرهل) علَى مقربة من مدينة بوسطن (ماس) الولايات المتحدة
وفي سنة ١٧٧٦ حدثت موقعتا (لونغ أيلند) (وترنتن)
وفي سنة ١٧٧٧ حدثت معارك (بننفتن) و (براندوين) و (جرمان ثون)
في سنة ١٧٧٨ جرى الوفاق بين اميركا وفرنسا
في سنة ١٧٧٨ حدثت موقعة (مونومون) في الولايات المتحدة
في سنه ١٧٧٩ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسبانيا
في سنة ١٧٨٠ حدثت موقعتا (كارلتن) و (كامدن) قهر فيهما الاميركيون
في سنة ١٧٨٢ انتهت حرب الاستقلال
في سنة ١٧٨٣ استقلت اميركا من الحكم الانكليزي
في سنة ١٧٨٦ شبت الثورة في ولاية (ماس) الولايات المتحدة

وفي هذه السنة مات الملك فريدرك الاكبر

في سنة ١٧٨٧ عقد اشراف فرنسا مؤتمراً عاماً تفاوضوا فيه بشأن الذب عن سلطتهم وسلطة فرنسا الملكية

في سنة ١٧٨٨ طلب (غستيفس) الحرب مع روسيا

في سنة ١٧٨٩ عقد قواد الولايات المتحدة مؤتمراً عاماً

في سنة ١٧٨٩ بدت طلائع الثورة في فرنسا

في سنة ١٧٨٩ أنشأت كل من الولايات المتحدة دستوراً لها يربطها مع اخواتها

في سنة ١٧٨٩ رأس الولايات المتحدة جورج واشنطن وهو اول رئيس لهذه الجمهورية الكبرى

في سنة ١٧٨٩ دكت أسس سجن الباستيل في فرنسا

في سنة ١٧٩٠ اعلنت نروج استقلالها

في سنة ١٧٩١ مات الخطيب ميرابو

في سنة ١٧٩١ تألف مجلس التشريع في فرنسا

في سنة ١٧٩١ منحت كندا الدستور

في سنة ١٧٩٢ حدثت معركة (جيمابس)

في سنة ١٧٩٢ عقدت المؤتمرات في جميع الولايات المتحدة

في سنة ١٧٩٣ قطع رأس لويس السادس عشر

في سنة ١٧٩٣ أخترع حلج القطن

في سنة ١٧٩٣ اقتسمت بولندا بين روسيا و بروسيا

في سنة ١٧٩٤ جعلت (تورونتو) عاصمة لكندا العليا

في سنة ١٧٩٥ طبع الدليل الجغرافي اول مرة في الولايات المتحدة

في سنة ١٧٩٥ أطلق بونابارت سبيل الحراس

في سنة ١٧٩٦ خيم بونابارت بعسكره الجرار في بلاد أيطاليا

في سنة ١٧٩٦ حدثت مواقع (لودي) و (اركولا) و (ريفولي) و (لافيفورتا)

في سنة ١٧٩٧ عقدت معاهدة (كامبوفوميو)

في سنة ١٧٩٧ انتخب جان أدموس رئيساً للولايات المتحدة

في سنة ١٧٩٧ رفعت اعلام السلام في (توليفنو)

في سنة ١٧٩٨ حدثت معركة الاهرام
في سنة ١٧٩٩ أعيد طبع الدليل الجغرافي في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٩ انتصر الفرنسيس في موقعة أبي قير اول مرة
في سنة ١٨٠٠ قطع بونابارت جبال الالب
في سنة ١٨٠٠ هزم بونابارت النمساويين في (مارنغو) و (هوهوخلندن)
في سنة ١٨٠١ رأس تومس جفرسن الولايات المتحدة
في سنة ١٨٠١ انضمت ايرلندا الى انكلترا
في سنه ١٨٠٢ عقدت معاهدة (أميين)
في سنة ١٨٠٢ أنشأ نابليون القنصلية في البلاد الاجنبية
في سنة ١٨٠٣ تجددت الحرب بين انكلترا وفرنسا
في سنة ١٨٠٣ اشترت الولايات المتحدة لوزيانا من فرنسا
في سنة ١٨٠٣ استقلت سويسرا
في سنة ١٨٠٣ أُطلقت الحرية للسود في كندا
في سنة ١٨٠٤ نُصب نابليون الاول امبراطوراً على فرنسا
في سنة ١٨٠٥ حدثت موقعتا طرف الغار واوسترلتز ومات فيهما القائد نلسن
في سنة ١٨٠٥ عقدت معاهدة (برسبرغ)
في سنة ١٨٠٦ حدثت موقعة (جينا) وقتل فيها القائد بت
في سنة ١٨٠٧ حدثت مواقع (ايلو) و (فريلاند) وكو (بنهاغن)
في سنة ١٨٠٧ فرت هيئة محكمة ليسبون (فرنسا) الى برازيل
في سنة ١٨٠٨ بدأت حرب (بنسولر) وفي السنة عينها امتدت سلطة بونابارت الى اسبانيا ودعي امبراطوراً عليها
في سنة ١٨٠٩ حدثت معركة (واغرم)
في سنة ١٨٠٩ عقدت معاهدة (سكوبريون)
في سنة ١٨٠٩ طلق نابليون زوجته جوزفين
في سنة ١٨٠٩ حرم البابا نابليون حرماً دينياً فغضب نابليون وسجن البابا
في سنة ١٨٠٩ هزم (ولنغتن) جيوش فرنسا في معركة طرف الغار
في سنة ١٨٠٩ انتخب (جيمس مادسن) رئيساً للولايات المتحدة

في سنة ١٨١٠ تزوج نبوليون (ماريالوسيا)

في سنة ١٨١١ ولد ابن نبوليون ملك رومية

في سنة ١٨١١ حدثت موقعة (تيبكانو)

في سنة ١٨١٢ قامت روسيا بمناورات جيوشها الحربية ارهاباً للدول المناوئة لها

في سنة ١٨١٢ نشبت الحرب بين انكلترا واميركا

في سنة ١٨١٣ حدثت معركتا بحيرة (ايري) و (تومس)

في سنة ١٨١٣ حدثت معارك (لوتزين) و (فوتيريا) و (ليبسك)

في سنة ١٨١٤ نفي بونابارت الى (الالب)

في سنة ١٨١٤ حدثت موقعة (لاندي لين)

في سنة ١٨١٤ حرق الانكليز مدينة واشنطن

في سنة ١٨١٥ عاد نبوليون من منفــاه وحدثت معركة وترلو ونفي الى جزيرة القديسة هيلانة

في سنة ١٨١٥ نشرت رايات السلام في باريس للمرة الثانية

في سنة ١٨١٥ نظمت المعاهدة المقدسة

في سنة ١٨١٥ حدثت موقعة (نيو اورلينس) وكان النصر فيها حليف (جكسن)

في سنة ١٨١٧ انتخب جيمس منرو رئيساً للولايات المتحدة وهو الرئيس الذي سن شريعة اميركا للاميركيين

في سنة ١٨٢٠ شبت الثورة في اسبانيا

في سنة ١٨٢١ مات نبوليون

في سنة ١٨٢١ بدأت حرب الاستقلال في اليونان

في سنة ١٨٢٢ انفصلت برازيل عن برتقال

في سنة ١٨٢٤ بوشر العمل في قناة (ولاند)

في سنة ١٨٢٤ نصب كارلس العاشر ملكاً عَلَى فرنسا

في سنة ١٨٢٤ مات اللورد بيرون

في سنة ١٨٢٥ انتخب جان ادامس رئيساً للولايات المتحدة

في سنة ١٨٢٥ قطعت لاول مرة اول باخرة المحيط الاتلانتيكي

في سنة ١٨٢٥ هاج الشعب في كندا

في سنة ١٨٢٦ حدثت معركة نافارين
في سنة ١٨٢٩ انتخب اندرو جاكسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٢٩ ثار الشعب في كندا العليا طالباً حاكماً عادلاً
في سنة ١٨٣٠ حكم اللورد (الملد) كندا السفلى
في سنة ١٨٣٠ نشبت الثورة في فرنسا للمرة الثانية
في سنه ١٨٣١ حدثت موقعة (اوستروانكا)
في سنة ١٨٣١ انفصلت بلجيوم عن هولاندا (البلجيك)
في سنة ١٨٣٢ نصب (اوثو) ملكاً على اليونان
في سنة ١٨٣٢ منحت السلطة لمجلس النواب في كندا
في سنة ١٨٣٥ قُرر عتق العبيد في انكلترا
في سنة ١٨٣٥ اخترع التلغراف الكهربائي
في سنة ١٨٣٧ قامت الفتنة في كندا
في سنة ١٨٣٧ تولت الملكة فيكتوريا عرش الملك في انكلترا
في سنة ١٨٣٧ انتخب مارتن (بيورن) رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٣٩ اتحدت كندا العليا مع كندا السفلى
في سنة ١٨٤٠ نصب فريدرك وليم ملكاً علي بروسيا
في سنة ١٨٤٠ زفت الملكة فيكتوريا الى البرت سكسكوبرغ
في سنة ١٨٤١ انتخب هرسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٢ عدلت شريعة الذرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٤ انتقلت دائرة الحكومة في كندا الى منتريال
في سنة ١٨٤٥ ضُمت تكسس الى الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٥ حدث الحريق الهائل في كوبك كندا
في سنة ١٨٤٥ انتخب بولك رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٦ نشبت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ تم السلام بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ رقي فرنسيس جوزف الى عرش الملك في النمسا
في سنة ١٨٤٦ أعلنت هنغاريا استقلالها عن اوستريا

في سنة ١٨٤٦ افتتحت عساكر فرنسا رومية
في سنة ١٨٥١ حدث المعرض العام في لندن
في سنة ١٨٥٢ تولى نبوليون الثالث امبراطورية فرنسا
في سنة ١٨٥٥ رقي الكسندر الثاني الى عرش قياصرة الروس
في سنة ١٨٥٦ شبت نيران الحرب بين انكلترا والصين و بلاد فارس
في سنة ١٨٥٧ نشبت الثورة في الهند
في سنة ١٨٥٩ استعرت نيران الحرب بين اوستريا وايطاليا
في سنة ١٨٥٩ بدأ حكم كارلس الخامس عشر عَلَى اسوج ونروج
في سنة ١٨٦١ اشتعلت نيران الحرب بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٦١ رقي فيكتور عمانوئيل عرش الملك في ايطاليا
في سنة ١٨٦١ شبت فتنة البولانديين
في سنة ١٨٦٢ شهرت فرنسا الحرب عَلَى المكسيك
في سنة ١٨٦٢ تولى بسمارك رئاسة النظار في جرمانيا
في سنة ١٨٦٣ حرر العبيد
في سنة ١٨٦٣ دخلت الجنود الفرنسية الى مدينة المكسيك
في سنة ١٨٦٤ ضمت جزائر اندبان الى اليونان
في سنة ١٨٦٤ حدثت الحرب بين روسيا واوستريا والدانيمارك
في سنة ١٨٦٦ حدثت الحرب بين جرمانيا واوستريا
في سنة ١٨٦٧ حدثت الحرب بين انكلترا والحبشة
في سنة ١٨٦٧ ابتاعت الولايات المتحدة الاسكا
في سنة ١٨٧٠ استعرت جذوة الحرب بين فرنسا وجرمانيا
في سنة ١٨٧٠ حدثت موقعة سيدان وحوصر نبوليون الثالث
في سنة ١٨٧١ رقي وليم الى عرش امبراطورية بروسيا
في سنة ١٨٧١ صارت فرنسا حكومة اشتراكية جمهورية
في سنة ١٨٧٣ مات نبوليون الثالث في انكلترا
في سنة ١٨٧٥ تولى الفونسو الملك في اسبانيا
في سنة ١٨٧٦ دعيت فيكتوريا امبراطورة الهند

في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب بين العثمانية وروسيا
في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب في افغانستان
في سنة ١٨٧٨ مات الملك عمانوئيل وخلفه الملك هيومبرت
في سنة ١٨٧٨ مات بيوس التاسع وخلفه ليون الثالث عشر
في سنة ١٨٧٨ تمت معاهدة برلين
في سنة ١٨٧٨ استقلت رومانياوه ونتيفدو
في سنة ١٨٧٩ حدثت الحرب بين شيلي وبيرو
في سنة ١٨٨٠ حدثت المجاعة في ايرلاندا
في سنة ١٨٨٠ أطلقت حرية العبيد في كوبا
في سنة ١٨٨١ قتل اسكندر الثاني في روسيا
في سنة ١٨٨١ بوشر بمشروع اكتشاف القطب الشمالي
في سنة ١٨٨٢ استعرت نيران الحرب بين انكلترا ومصر
في سنة ١٨٨٣ حدثت حرب الهنود
في سنة ١٨٩٣ شبت ثورة برازيل وارجنتين من اجل الحكم الجمهوري
في سنة ١٨٩٤ قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسية
في سنة ١٨٩٤ تولى نيقولا الثاني عرش الملك الروسي
في سنة ١٨٩٤ نشبت الحرب بين الصين واليابان
في سنة ١٨٩٤ أضرب عمال معادن الفحم والسكك الحديدية في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٩٤ شبت الثورة في كوبا لاجل الاستقلال عن الحكم الاسباني
في سنة ١٨٩٥ حدثت المجازر الارمنية
في سنة ١٨٩٥ رأس فيلكس فور الجمهورية الفرنسية
في سنة ١٨٩٦ توج قيصر روسيا
في سنة ١٨٩٧ رأس مكنلي الجمهورية الاميركية
في سنة ١٨٩٧ حدثت الحرب بين العثمانية و يونان
في سنة ١٨٩٨ حطم الاسطول الاميركي في هافانا
في سنة ١٨٩٨ نشبت الحرب الاميركية الاسبانية
في سنة ١٨٩٨ قتلت العصابات ملكة اوستريا

في سنة ١٨٩٨ حدثت حادثة دريفوس في فرنسا
في سنة ١٨٩٨ اكتشف الذهب في الاسكا
في سنة ١٨٩٨ مات بسمارك
في سنة ١٨٩٨ عقدت المعاهدة بين الولايات المتحدة واسبانيا
في سنة ١٨٩٨ ابتدأت حرب الفيلبيين
في سنة ١٨٩٩ ابتدأت الحرب في افريقية الجنوبية
في سنة ١٩٠٠ حدث معرض باريس
في سنة ١٩٠٠ هجم الصينيون عَلَى دور السفارات الاجنبية في بكين عاصمة الصين
في سنة ١٩٠٠ قتل هيومبرت ملك ايطاليا وخلفه ابنه الملك عمانوئيل
في سنة ١٩٠٠ أعلنت الدول الغربية الحرب عَلَى الصين
في سنة ١٩٠٠ رأس مكنلي الجمهورية الاميركية

لنكلن نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

ام الطفل

في مشهد الحريق

ما للديار ترآءى وهي اطلال ... هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
كانت بها السمرات الخضر زاهية ... واليوم لا سمر فيها ولا ضال
ما بالها وهي انقاض مبعثرة ... تغبر فيهن ابكار وآصال
هل هدَّ بنيانها من فوق صاعقة ... او هد بنيانها من تحت زلزال
بل قد عفتها فلم تترك بها اثراً ... ريح لها من لهيب النار اذيال
شب الحريق بها ليلاً مشيدةً ... فما اتى الصبح الا وهي اطلال
اثارت النار في اطرافها رهجاً ... من الدخان كأن النار ابطال
حتى حكت معركاً خرت بساحته ... صرعى بيوت واموال وآمال

دار السعادة امست من تحرقهـا دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
ترنو الى البحر ترجو نقع غلتهـا لحظ المهجر اذ يبـدو له الآل
تنهال كالرمل بالنيران ادؤرهـا حتى تكاد لهـا الارواح تنهال
ياريح مهلاً فلا تذري الرماد بها ان الرماد الذي تذرين اموال

...

قد رحت للحي مذعوراً أيممـه ولي عن الزمر البـاكين تسـآل
وفي العراص ديار القوم خاوية وفي الشـوارع نسوان واطفال
جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللغبـار بعرض الحي تجوال
ولا خمار فيرددن الغبار به ولا يقيهن حر الشمس سـربال
حتى وقفت وقلبي كله جزع وادمعي لجج طوراً واوشـال

...

ما انس لاانس ام الطفل قائلة وفوق وجنتهـا للدمع تهطـال
اني تجردت عن دنياي حاسرة مالي سوى طفلي الباكي بها مال
اي امرئ بعد هذا اليوم ذي جدة يؤوني حيث لا زوج ولا آل
اودى الحريق بدار كنت اسكنها وكنت من بعضها للقوت اكتال
واليوم اصبحت لادار ولا وزر آوي اليه ولا عم ولا خال
ان الحريق خبت نيرانه ومضت وماخبت في فؤادي منه اوجال
يا رب رحماك اني اليوم عاجزة عما دها وبظهري منه اثقال
يارب قد ضقت ذرعاً في الحياة فما ادري حنانيك ربي كيف احتال

...

وعند ماقد شجاني من مقالتها لفظ يقطعه في البين اعوال
دنوت منها قليلا وهي باكية ومن بكاها بقلبي هاج بلبال
حتى وقفت وايناساً لوحشتها حنيت رأسي وحني الرأس اجلال
وقلت يا اخت لا تستيئسي جزعاً فانما الدهر ادبار واقبال
اتجزعين اكتئاباً بين اظهرنا وكلنا عنك للبأساء حمال
مالي اراك بعين اليأس باكية كأن امرك عند القوم اهمال
الست من أمة ايدي الرجال بها قد فك عنهن بالدستور اغلال
حتى لقد اصبحوا ابناء واحدة في المرزئات وهم في الحكم اشكال
مستعصمين بحبل من اخوتهم يسمو بهم للعلى فضل وافضال
امسي التعاضد كالحصن الحصين لهم اذا تصادم بالاهوال اهوال
فاستبشري اليوم فيما مس من ظمأ بان وردك عند القوم سلسال
وان حقك عول في مسا كنهم وما همو باداء الحق بخال

. . .

تلك التي قد شجتني في مقالتها وكم لها في نساء الحي امثال
فهل يصدق قومي ماظننت بهم حتى تقوم لهم في المجد افعال
فالمجد يدرك مرماه البعيد فتىً رحب الذراعين طاق الكف مفضال
واكثر البذل حمداً مايمان به من عضهم من نيوب الدهر اقلال
ياقوم هذي سبيل العرف واضحة فليمض فيها بكم وخد وارقال
ومن تلك الحال فيها لاتساعده «فليسعد النطق ان لم تسعد الحال»

الاستانة الرصافي

—*—

اخبار وافكار

الكليات الاميركية

يخاف الكثيرون من التهذيب المشترك بين الجنسين ان يخرج النساء عن طورهن ورقتهن و يفيدهن قسوة وصلابة لامتزاجهن بالذكور ولكن التجارب دلت عَلَى خطإهم وفساد مزاعمهم وانتشرت طريقة التعليم المشترك في معظم الكليات الاميركية فعدد الطالبات في جامعة نيلاند ستانفورد في كاليفورنيا يناهز الخمسمائة وقد حاولوا في جامعة شيكاغو ان يفصلوا بين الذكور والاناث في سن الطلب الاولى

ولم تحافظ عَلَى القواعد القديمة سوى كلية هارفرد فانها أصرت عَلَى ايصاد ابوابها في وجوه الطالبات وفي اميركا ٣٢١ جامعة وكلية ومدرسة عالية تقبل الطلاب والطالبات عَلَى السواء بدون اقل تمييز بين الجنسين

والتعليم في الجامعات الاميركية يقسم الى ثلاثة اقسام : الاول فيه اساليب خاصة بكل من الجنسين : والثاني يشترك فيه الذكور والاناث بدون تفريق ولا استثناء : والثالث يشترك فيه الجنسان و يختص الاناث بفروع تساعدهن في حياتهن المستقبلة

والمدارس المختصة بالاناث هي دون الجامعات في رقيها العلمي واساليب تهذيبها وفي الولايات المتحدة الاميركية اربعمائة جامعة لكل منها رأس مال يبلغ عدة ملايين من الريالات ولها دخل سنوي لا يقل عن مليون ريال . فلا يستطيعون ان ينشئوا جامعات انثوية تضارع الجامعات الراقية

ونرى من جهة ثانية انه إذا وضعت خطط التعليم في الجامعات بدون نظر الى الفروق الجنسية لم تجد الطالبات فيها ما يسعفهن عَلَى انجاز وظائفهن الخاصة في حياتهن العائلية وقد نظر علماء الاميركيين في هذه القضية فادخلوا دروساً كثيرة في بعض الجامعات يلقنونها للفتيات خاصة

واليك مثالاً من خطة التعليم في جامعة شيكاغو :

(١) حفظ الصحة الجسدية وعلاقاته الاجتماعية والادبية

(٢) : الهيجين العمومي

(٣) : علم الحياة والبكتيريولوجيا

(٤) . تدبير صحة الاطفال و ينطوي في هذا الدرس المواد الآتية : الوراثة والبيئة — ارتقاء الطفل الطبيعي والعقلي والادبي . — حفظ الصحة في سن البلوغ . — و يضاف الى هذه المواد ملاحظات عن الطفل في المدرسة واللعب والدرس وتأثير الاموال الطبيعية في ارتقائه الادبي والعقلي

(٥) : الاسرة . — باعتبار الوجهة التاريخية والفيسيولوجية و يدرسون ايضاً احوال الأسرة الاجتماعية والادبية والاقتصادية

(٦) : درس في الشرائع الاكثر تأثيراً في حياة الافراد والحياة التجارية

(٧) : العلم السياسي . وفيه درس تأليف الحكومات المتحدة ووظائفها وادارة المملكة ومبادئ الحقوق الاساسية

(٨) : تاريخ الصناعة ولا سيما ما يتعلق منها بالنساء

فمسألة التهذيب المشترك قد حلت في الجامعات الاميركية بحضور طالبات الدروس العالية واختصاصهن ببعض الفروع

اساليب التعليم الجديدة

تمتاز فرنسا بارتقاء مدارسها ولاسيما معاهد التعليم الحر و يصح ان تكون في ذلك قدوة سائر الامم الا انها ينقصها بعض الاوضاع التهذيبية الحديثة التي اتخذتها المدارس في اميركا وانكلترا واسكنديناڤيا

اجتذبت اميركا انتباه العالم المتمدن بتعليمها المؤسس على قواعد البسيكولوجيا فجامعة كولومبيا في نيو يورك وجامعة شيكاغو فيهما معاهد خاصة لدرس هذه الطريقة واصلاح ما تظهره الايام فيها من الخلل وارتقاء خواص الطفل الادبية والعقلية يرجع الفضل فيه الى ذلك الاسلوب العلمي المحض الذي يرقى بالطفل سنة فسنة بل شهراً فشهراً والطلبة من الجنسين ينتابون تلك المعاهد و يشتركون في تلقي الدروس وتراقب احوالهم الصحية وتطبع تجارب الاساتذة وابحاثهم في مجلة خاصة تدعى « اخبار اساتذة الكلية » فيطبقها الطلاب والطالبات الذين سيكونون اساتذة في المدارس الابتدائية والوسطى و يصرفون جل عنايتهم الى هذه الابحاث والاختبارات التي كان لها اثر شديد في تربية الاطفال وترقية مواهبهم

اما في مدارس السويد فهم لا يعلقون على الذاكرة كبير امر ولا يعنون بتلقين الطلبة دروساً يستظهرونها بل يلقون اليهم مبادئ العلوم الطبيعية والجغرافية وغيرها

في شكل حكايات يرتاح اليها صغار الطلبة ويحفظون فيها مبادئ العلوم ولا يشعرون

وهذا الاسلوب المتبع في التعليم يشابه طريقة الاميركان من وجوه كثيرة وقد انتشر في المانيا ايضاً طريقة الاستظهار الفاشية في المدارس الشرقية وبعض اقسام اوربا وهي تؤدي الى خلاف الغاية المطلوبة فلا توسع مدارك الطفل ولا تمرن شعوره بل تؤول الى انحطاطها شيئاً فشيئاً ومتى دخل الطالب غمار الحياة العملية لم يستطع الانتفاع بما تلقنه من تلك المعلومات ولا وسعه تطبيقها

والمدارس الانكليزية تعنى بتعليم الطلاب والطالبات الاشغال اليدوية وتحاول ان تكون الواصلة بين الحياة المدرسية والحياة العملية

وللطرق التي تجري عليها المدارس الاميركية في التربية والتعليم مزايا اخرى وهي ان الطالبات يشتركن مع الذكور في تلقي العلوم ويتقاسمون لذتها جميعاً فتتوثق بينهم صلات لا اثر للميل الجنسي فيها ومتى خرجن الى معترك الحياة وقفن ازاء الرجال وقفة القادر المستقل الواثق بنفسه والمعتمد عَلَى حوله وهي خاصة تمتاز بها المرأة الاميركية عن شقيقتها الاوروبية لانها اعتادت من صغرها ان تعد نفسها مساوية للرجل

ثم ان وجود الطالبات يلطف من عواطف الذكور ويدمث من اخلاقهم فلا يشذ احدهم عن المنهج السوي خيفة من عيون رفيقاته اللواتي يراقبنه مراقبة لها في نفسه تأثير يفوق تأثير مراقبة الاساتذة

وانتشرت هذه الطريقة في شمالي اوروبا اي في بلاد نروج فاكسبت النساء قوة وجلداً عَلَى احتمال مشقات العيش ومباراة الذكور في الحياة العملية ومشاركتهم حتى في الاعمال السياسية فنلن حق التصويت في انتخاب بعض المجالس ونبغت منهن نساء فقن الرجال في جميع الاعمال التي تعاطينها واصبحن قدوة للنساء العاملات في الممالك الراقية

التعليم الادبي في اليابان

التعليم في اليابان علمي محض وليس للديانة اقل سلطة في المدرسة ففرنسا واليابان هما المملكتان الوحيدتان اللتان نشرتا اصول التهذيب اللاديني « العلماني » في العالم بأسره

وفي اليابان فصل التعليم عن الديانة حسب شريعة التهذيب الصادرة سنة ١٨٧٣ ولا ينحصر ذلك في المدارس العامة بل يشمل المدارس الابتدائية والثانوية حتى التي تنشئها الجمعيات الدينية اذ يحظر عليها ان تلقن التعاليم الدينية وهذا الفصل بين التهذيب

والديانة كان القاعدة التي جرت عليها الحكومة منذ سنة ١٨٦٨ اي منذ فتحت البلاد اليابانية الاجانب

وقبل ذلك العهد لم يكن للحكومة ايسر اهتمام بالتهذيب العام بل تركته للافراد حاشا بعض المدارس الاريستوقراطية المختصة بابناء الموظفين ولم تكن الحكومة تدير المدارس فقد نحت اليابان في التعليم منحى المدارس الغربية منذ نشر قانون التعليم سنة ١٨٦٨ والفت فيها نظارة المعارف عقيب صدوره بسنة فلم تحجم الحكومة عن المفاداة باعز ما لديها في سبيل الارتقاء ونشر التهذيب بين ظهراني الامة

وفكرة التهذيب العلماني ليست من ابتداع الحكومة الجديدة بل يجدون ما يشبهها في تاريخ اليابان القديم

فقسوس البوذيين لم يعلموا الديانة في معاهدهم ولا في مدارسهم المجاورة للهياكل والمعابد ومعظم الطلاب اليابانيين لا يزور الكنيسة المسيحية ولا الهيكل البوذي وانما تنشئهم المدارس عَلَى الآداب ومكارم الاخلاق فالتعليم في اليابان علماني محض ليس للديانة تأثير فيه والاهلون راضون بما يعقب ذلك التعليم من النتائج ولهم كل الثقة بالاساتذة الذين يحبهم الطلبة ويحترمونهم

ليس للحكومة اليابانية ديانة رسمية ولكنها لا تقاوم الاديان بل تترك لكل فرد حرية المذهبية

الامر الملكي والتهذيب . — سنة ١٨٩٠ صدر الامر الملكي وفيه مثال للتهذيب الادبي وجب علي مدارس اليابان جميعها ان تحتذاه وفيه كثير من الآراء التي تتفق مع آراء الفرنساويين و بعضهم يعزو وطنية اليابان الى ما تبثه المدارس في نفوسهم بمقتضى الامر الملكي ولكنهم واهمون في ذلك لان حب الوطن احدى طبائع الرجل الياباني

والامر الملكي قسمان احدهما في التهذيب العام والآخر في التهذيب الوطني واليك الواجبات التي ذكرت في الاول :

حب البنين لآبائهم . تواد الاخوان والاخوات . اتفاق الزوجين . حفظ عهود الاصدقاء . الحشمة والاعتدال . الرغبة في خير الجميع . طلب العلوم والفنون . ترقية المواهب العقلية . الاشتراك في خدمة الامة والوطن . احترام الشورى . طاعة القوانين تضحية المنافع الشخصية في سبيل المملكة

وهذه الواجبات تنقسم عَلَى النحو التالي : واجبات المرء لنفسه وللاسرة والمجتمع

299

والحكومة والانسانية فهي تنطوي عَلَى جميع الواجبات ومنها تنشأ فضائل الاخلاص والشهامة والصدق والامانة والشجاعة والوطنية وهذه هي حقيقة التهذيب الصالحة لجميع الاعصر والامكنة تشمل الشريعة الادبية التي يجب ان يخضع لها العالم باسره

والقسم الثاني يتفرع عن احوال الشعب فقد ادبتهم بآداب خاصة وغرست في نفوسهم فضائل ينفردون بها

الامة اليابانية عريقة في القدم وهي تعتقد انها اسرة كبيرة من اصل واحد يقوم الملك عليها بمثابة الوالد واعتقادها هذا سبب احترامها الشديد للامبراطورية فحب الامبراطور والوطن واحد في عرفهم والميكادو ممثل الوطن

و يبالغ اليابانيون في اكرام اسلافهم وتبجيلهم و يستميتون في سبيل الوطن لانه بلاد آبائهم واجدادهم ومنذ ستة وعشرين قرناً أسس الامبراطور الاول المملكة الاولى ولم تنج من الغزاة غير ان اهل البلاد اتحدوا عَلَى الذود عن حوضهم فلم يستعبدوا للفاتحين

ولا يتيسر للطالع ان يفهم حقيقة احترام اليابانيين للأسرة المالكة وشدة تعلقهم برب السرير مالم يعرف مبلغ احتفاظ القوم بذكرى اجدادهم وانساب سلالاتهم فكل فرد منهم يعرف آباءه الى عهد بعيد والاسرة المالكة اليوم هي نسل الحكام الذين تعاقبوا عَلَى عرش المملكة اليابانية منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر وكلهم من أسرة واحدة و يلقب الامبراطور بابن السماء لان الشعب يحسبه من سلالة الآلهة ولكن آلهة اليابانيين اسلافهم واجدادهم فاحترامهم للامبراطور فيه شيء من مواجب الدين

واول تمدن شاهده اليابانيون كان عند مجاوريهم الصينيين غير انه لم يؤثر في الروح الوطنية شيئاً وكانت قاعدتهم في التهذيب «الروح اليابانية ثم الحكمة الصينية» ودخلت البوذية الى اليابان في القرن السادس فكان لها في آداب اليابانيين شأن خطير ومنذ اصلاح سنة ١٨٦٨ طرأ على اليابان تغيرات جمة بانتشار المدنية الغربية ولكن النفس اليابانية لم تفقد شيئاً من خواصها ومزاياها

وفي كل مدرسة اوقات معينة للتعاليم الادبية وهي لا تدرس في المعاهد الابتدائية والوسطى بل تتعداها الى المدارس العليا والتجارية والفنية والطبية وغيرها والغاية من هذا التعليم صقل نفس الطفل وطبعه عَلَى المبادئ القويمة و يعلقون عليه شأناً جليلاً فيقولون ان ارتقاء مملكتهم وانحطاطها منوطان به اذ ليس لهم ديانة يتأدبون بآدابها

وعند اليابانيين سنة يدعونها سنة القربان او البوشيدو وقد ذكرت فيها آداب هؤلاء وما يجب ان يتحلوا به من الفضائل وفي مقدمتها الاخلاص للامبراطور وطاعته وفداء النفس من اجل الحاكم والشجاعة والاقدام ويجب عليه ان لا يعرف في حياته الخوف وان يكون ابداً عَلَى اهبة الموت في قتال خصم من اكفائه وان يجمع بين الصلابة والحزم والجودة والسخاء فيحمي الضعفاء ويجير المساكين ويستقيم في اموره وقد خسرت البوشيدو مظهرها القديم ولكنها اكتسبت شكلاً جديداً في نفوس الشعب

على ان التعليم الادبي تعترضه عقبات كؤود اهمها انفاق جل وقت الطلب في دراسته وتحصيله وتخير الاساتذة الكفاة ممن يصح اتخاذهم قدوة في الفضائل الخلقية وكثرت التبدلات في حياة اليابان الاجتماعية بانتشار المبادىء الغربية وتأصلها

واذ كانت اليابان قد اقتبست اصول العلوم الحديثة والفنون عن بلاد الغرب فان التعاليم الادبية لم تتصل بها عن ذلك الوجه وانما هي تركة الاسلاف والاجيال القديمة يحرص اليابانيون عليها اشد الحرص ويحفظونها خالصة من شوائب الفساد علماً منهم ان مستقبل مملكتهم معقود بها

التعليم الاهلي

القى في نادي المدارس العليا بمصر احمد افندي فهمي القطان استاذ التربية بمدرسة المعلمين الخديوية خطاباً قال فيه :

مهما اطنبنا في شرح حسنات القرن التاسع عشر فاننا لا نشك لحظة واحدة في ان نظامات التعليم التي اوجدها ستكون اما سبباً في سعادة عيش الجيل القادم ورغده او انها ستجلب عليه المصائب والحسرات . كان يلتفت في العصور المختلفة في البلاد المتمدنة بنوع خاص لتربية الافراد الذين يحكمون البلاد ويديرون شؤونها في المستقبل وكان هؤلاء في العادة من نسل الحكام والاشراف وقد تكرم بعض الغيورين من وقت لآخر فسهلوا سبل التعليم لافراد قليلين من ابناء الفقراء الذين اظهروا ذكاء مفرطاً

استمر الحال عَلَى هذا المنوال حتى جاء القرن الماضي فتيقظ العالم المتمدن وادرك ان كل وظيفة كبيرة كانت او صغيرة وكل مهنة مهما كانت صغيرة لا بد ان يستعد لها المحترف بها وذلك الاستعداد لا يكون الا في المدرسة — واقصد بذلك الاستعداد ان يربى جسمه وخلقه وعقله حتى يصبح قادراً على امرين

الاول — ان يكافح الحياة ويصير قادراً على المعيشة وسط حبائل هذه الدنيا

التي هي في تعقيد كل يوم عن سابقه

والثاني — ان يقوم بوظيفته او مهنته القيام الذي يليق بالعصر الذي يعيش فيه وبالوسط الذي هو فرد منه

فلما ادركت الامم هذه الحقيقة بدأت تكون ما اسميه نظامات التعليم الاهلية —اي نظامات تضمن التعليم بجميع ادواره لجميع افراد الامة عَلَى اختلاف طبقاتها من غير تمييز بين وضيع ورفيع

ظهرت الاختراعات العلمية في اوخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر فادخلت لتحسين الزراعة والصناعة وظهر في الوقت عينه أئمة للتربية رجال رأوا ان مستقبل بلادهم الحقيقي ليس بالزراعة والصناعة فقط بل هو بالتربية فقرروا نظريات شتى وبنوا عليها اعمالهم واكدوا وجوب تهذيب الرجل الذي سيكون مزارعاً او صانعاً في المستقبل — وجوب تهذيبه من الوجهة الجسمية والادبية والعقلية

وقد قضت نفس تلك الاختراعات الصناعية عَلَى العمال بازدياد معلوماتهم حتى يصبحوا قادرين عَلَى ادارة الآلات الحديثة التي عهدت اليهم

ولا يخفى ان الرجل الذي يقضي كل حياته في تأدية عمل بسيط — نتيجة ثابتة مدي السنين كالفلاح مثلاً — لا تأتي عليه احوال يحتاج فيها لاجهاد فكره او تمرين قوته الاختراعية لمقاومة طارئ هو في الحقيقة لن يقع — فبالطبيعة يفقد عادة اجهاد النفس وفي المعتاد يصبح في درجة من الغباوة والجهل اقصى ما يمكن ان يصل اليها انسان فكأنه اشترى مهارته في فلاحته بثمن غال الا وهو فقد غرائزه الادبية والاجتماعية والحربية ولكن وا اسفاه هذه هي الحالة التي يصير اليها فقراء العمال او بالاحرى اغلب السكان من كل أمة متمدنة — ان لم تبذل حكومتها كل جهد لمداواة تلك الحال .

وبالاختصار فان ظهور تلك الاختراعات في القرنين الماضيين سبب نتيجتين

(١) وجوب تربية الامة باجمعها تربية عامة خوفاً عليها من السقوط

(٢) تربية الافراد الذين سيناط بهم ادارة تلك الاعمال سواء كانت زراعية اوصناعية او تجارية — تربية خاصة تشمل دراسة العوامل الطبيعية التي اكتشفت وقتئذ

كانت انكلترا هي اول الممالك التي ظهرت فيها الاختراعات الصناعية الجديدة آخر الدول في تقرير التعليم العام · فقد قررته بروسيا وسكسونيا وورتمبرج في اواخر القرن الثامن عشر وفرنسا وكان لها نظام تعليم تام بكل حذافيره ايام نابليون اما انكلترا فانها

لم تنتشر المدارس الابتدائية لتعليم جميع ابناء الشعب الا سنة ١٨٧٠ — ويلتمس المؤرخون لانكلترا العذر في تأخيرها تعميم التعليم ويقولون ان الانقلابات الداخلية التي طرأت على دار ندوتها كانت سبباً في تأخرها

اما نحن فلم نفكر في التعليم اصلاً الا منذ سنين قلائل مع ان مصر كما قال اسماعيل باشا الخديوي الاسبق هي جزء من اوربا فيجب علينا ان نجاري الزمن الذي نعيش فيه — يجب علينا ان نعمل لنشر التعليم بين طبقات الامة حتى تستنير وتسير الى الامام بحزم وعزم ثابتين . يجب علينا ونحن جزء من اوربا ان نجاري اوربا تعليماً ان كنا نريد ان نجاريها زراعة وصناعة وتجارة

ولقد قال احد أئمة التربية بامير كا في زمن شبيه بزماننا

« نحن الآن نختبر أنفسنا في الحكم الذاتي — اي ان الامة تحكم الامة — ومن العادات المتبعة من قديم الزمان ان يكون للحكام اوفر نصيب من التعلم اذا اقتضى ان يتعلم كل فرد من افراد شعب ديمقراطي حاكم نفسه بنفسه اذ ان الشعب هو الحاكم الحقيقي »

قال المستر روبرت لو في مجلس النواب الانكليزي عقب التصديق على لائحة الاصلاح الدستوري سنة ١٨٧٠ « الآن وقد عيننا الشعب نواباً عنه لتنفيذ اغراضه او بعبارة اخرى الآن وقد اصبح الشعب هو السيد الحقيقي فاول واجب مقدس علينا هو ان نربي جميع سادتنا »

حارب نابليون البروسيين وكسرهم في واقعة يينا فجمع ملكهم شتات شملهم وخطبهم قائلاً « ايها الجنود ثقوا ان الفرنسيين لم ينتصروا علينا في ساحة القتال ان انتصارهم الحقيقي كان في المدرسة »

قال ملك البروسيين ذلك اعترافاً منه بان رقي التعليم الفرنسي وقتئذ عنه في بروسيا كان سبباً في انتصار الفرنسيين على البروسيين لذلك افرغ البروسيون جهدهم في اصلاح التعليم بمملكتهم وحذا حذوهم جميع الممالك الجرمانية الاخرى وانضمت جميعها تحت لواء الامبراطورية الالمانية وخطا التعليم فيها خطوات واسعة ونبغ كثير من أئمة التربية في المانيا حتى جاءت سنة ١٨٧٠ فحارب الالمانيون الفرنسيين وكسروهم واخذوا منهم الالزاس واللورين ولكنهم في الحقيقة لم يأخذوا هاتين المقاطعتين في ساحة القتال . بل اكتسبوهما في المدرسة .

اني لا ارى ان حالتنا الحاضرة تسمح لنا بمجاراة المانيا او السويد مثلا في برامج مدارسها الاولية اذ هذا يحتاج لمال اكثر مما يمكننا تقديمه الآن — وعدد من المدرسين الاكفاء لا يمكننا الحصول عليه الا بعد بضع سنين

فارى ان نتبع الخطة الطبيعية ونبدأ صغاراً ثم نرتقي مع الزمن وبعد التجارب اراني مقتنعاً بنشر التعليم بواسطة الكتاتيب في الوقت الحاضر فان المال الذي تحتاجه مثل هذه المعاهد قليل ومدارس معلمي الكتاتيب التي اخذت تنتشر في القطر كفيلة بتخريج العدد الكافي من المدرسين ما بين فقهاء وعرفاء فيجب علينا اذن ان يكون لدينا من الكتاتيب ما يفي بحاجة هذه الامة

ولتنفيذ ذلك يجب على كل فرد غني ان يساعد الحكومة في ايجاد مثل هذه المعاهد وزكاة المال التي هي ركن من اركان الاسلام والتي من اجلها حارب ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب هذه الزكاة كفيلة ببناء الكتاتيب

لذلك اقول ثانياً يجب على كل فرد غني منكم ومن جميع ابناء هذا القطر من حلفا الى البحر الابيض ان يقدم زكاة ماله لمواطنيه في شكل يفيد الجميع ولا ارى افيد من انشاء معاهد التعليم في الوقت الحاضر

ترمي التربية الحقة الى ثلاثة امور تهذيب الجسم والاخلاق والعقل . فالتربية الجسمية مهمة جداً اذ يترتب عليها تخريج رجال ونساء اشداء اقوياء يقدرون على القيام بواجباتهم المختلفة ولان العقل الحكيم في الجسم السليم

اريد ان ارى ابناء مصر في صحة تامة وعضل متين وقوام معتدل ودورة دموية منتظمة . :

اما التربية الاخلاقية فلا يشك احد في ضرورتها ووجوبها فبها وحدها يتعلم الشعب الصدق والامانة والوفاء بالوعد والاخلاص وآداب الزيارة والاكل والطريق واحترام الغير وغير ذلك

وبها وحدها تقل الجرائم على اختلاف انواعها كالسرقة والقتل وكثير من المحرمات والمنكرات

وبالتربية العقلية تتهذب قوى العقل المختلفة ما بين ملاحظة وحفظ وذكر وتخيل وتفكر وبرهنة وحكم وقياس

فللعمل بموجب هذا التقسيم اقترح ان يكون برنامج التعليم بالكتاتيب كالآتي :

اولاً قراءة وكتابة ومبادئ اللغة العربية اذ هذه هي الواسطة الوحيدة للوقوف عَلَى ما يجري من الحوادث في العالم عَلَى وجه عام وبالوطن على وجه خاص · وبالكتابة تدون الكتب والتواريخ وهي الواسطة في المراسلة

ثانياً حساب · حتى يعرف الشخص دخله ومصروفه ويعرف معنى التوفير والاقتصاد في المصروف ويعرف التاجر لدفاتره معنى والمزارع يدرك قيمة محصوله من القطن بالقنطار والجنيه

ثالثاً دروس الاشياء وتنتخب الموضوعات من الاشياء التي تحيط بالكتاب فان كان في القرى وجب ان تكون اكثر الموضوعات زراعية وان كان بالمدن تحتم ان يكون اغلبها صناعية ودروس الاشياء عظيمة الفائدة جداً اذ انها تفتق الذهن وتدعو الطالب الى ملاحظة ما يحيط به فضلاً عن كونها تعطيه معلومات مفيدة عما يحيط به من مزروعات او مصنوعات

رابعاً الخط · كي يتعود الطالب تحسين خطه ولا ارى ضرورة أبداً لتعليم الخط الثلث بمثل هذه المعاهد

خامساً الاخلاق · وارى ان يكون اساسها القرآن · وذلك انه متى كان الدرس على احترام الوالد مثلاً وجب على المعلم ان يستشهد بالآيات الكريمة التي تأمر بذلك وهكذا في الاخلاق الاخرى

ولسنا في حاجة لان ندرس القرآن الشريف باجمعه لمثل هؤلاء التلاميذ بل يكفي منه ما يتعلق بقواعد الدين والمعاملات المختلفة وذلك هو الجزء الذي يستظهر ويلاحظ في انتخاب الآيات الشريفة احتياجات التلاميذ — فلا ضرورة لاعطائهم شيئاً عن الزواج والطلاق مثلاً في سنيهم الاولى بل هم في حاجة لمعرفة قيمة الصدق واحترام الوالدين وطاعة الله ورسوله

وارى ان لا يكون العمل العقلي بالكتاتيب الا في الصباح فقط وبعد الظهر يتعلم التلاميذ اشغالاً يدوية — ففي القرى يتمرنون على الفلاحة وفي المدن يتعلمون مبادئ احدى الصنائع

اما البنات فيجب ان يتعلمن الطباخة والاشغال اليدوية ومبادئ الاقتصاد المنزلي عامة · يجب الاهتمام بتعليم الفتاة اذ انها ستكون أماً في المستقبل فيجب ان نعدها لان تكون أماً صالحة · يجب ان نعلمها ونربيها التربية الحسنة حتى تقدر هي عَلَى تربية

ابنائها الصغار قبل دخولهم المدرسة

ارسلتني الحكومة المصرية لدراسة الاشغال اليدوية ببلاد السويد في صيف سنة ١٩٠٣ فدرست ما يتعلق منها بالتجارة عَلَى وجه خاص ثم بدأت اطوف البلاد السويدية لارى نظامات التعليم بها واكتب تقريراً عنها فزرت ذات يوم مدرسة للبنات في استوكهلم وكانت من ارقى مدارس البنات التي رأيتها في سياحاتي باوربا

كان لتلك المدرسة مطبخ بالقرب منها تتعلم فيه البنات الطبخ فيذهب عشرون منهن كل صباح عَلَى التناوب ويطبخن الطعام تحت مراقبة ثلاث معلمات متخصصات بهذا الفن وكانت كل فتاة مرتدية بالثياب الخاصة بالطباخات فوطة بيضاء طويلة عَلَى صدرها وقبعة صغيرة من التيل الابيض فوق شعرها

وبجوار ذلك المطبخ قاعة كبيرة للاكل وبالقرب منها مصنع للاعمال اليدوية للذكور الفقراء الذين لا تقل سنهم عن اثنتي عشرة ولا تزيد عن ست عشرة . وكان هؤلاء الاولاد غالبًا من المتشردين في الشوارع يؤتى بهم اما برضاهم او بواسطة البوليس كي يتعلموا صناعة . والصنائع التي كانت تدرس بذلك المصنع هي النجارة والحدادة وعمل الاحذية والفرش سواء كانت للشعر او للملابس او غير ذلك

تطبخ البنات الطعام وتحضره للغذاء في قاعة الاكل وترتب الموائد وتقف في خدمة من يحضر لتناول ذلك الغذاء — اما الآكلون فكانوا تلاميذ ذلك المصنع المجاور — يأكلون بلا ثمن ويخدمون بلا اجر وبعد ذلك يذهبون لصنعهم لمباشرة اعمالهم — وما يخرجونه من اثاث او فرش او غير ذلك يتهافت الناس عَلَى شرائه حبًا في مساعدة ذلك المعهد والثمن يكفي للامور الآتية :

(١) شراء ما يلزم المطبخ من سمن وخضر ولحم ووقود ورواتب معلمات الطباخة

(٢) شراء ما يلزم للمصنع من خشب وحديد وشعر وجلد ومشاهرات معلمي الصنائع

(٣) يبقى احتياطي يعطى منه ١٠ جنيهات بصفة مكافأة لكل تلميذ اقام سنتين بالمصنع واتقن صناعة ما وحسنت في حقه الشهادة — يعطى ذلك المبلغ مساعدة له في الشروع في فتح دكان للنجارة او الحدادة او غيرهما حتى لا يعود كما كان متشرداً بالشوارع

وكنت عند زيارتي لذلك المعهد اتباحث مع مديره في فوائده . فبعد ان ذكرت له ما تراءى لي من تلك الفوائد قال لي : « فاتتك فائدة كبيرة فانك تعلم ان التعلم

ببلاد السويد اجباري مجاني من زمن مديد فابناؤنا متعلمون وخدمتنا متعلمون فالجو الادبي في منزلي نقي طاهر والجو في المدرسة كذلك نقي طاهر — فاذا خفت عَلَى آداب ولدي مثلا فلا اخاف الا من الشارع حيث المتشردون — فهذا المصنع وامثاله يجمع المتشردين من الطرقات وبذلك يصير جميع جو المدينة نقيًا طاهرًا لا تسمع فيه لفظًا واحدًا يمس شعورك اذ تشمئز منه نفسك وقد جرت لي حادثة اثناء وجودي بقاعة الطعام — وذلك انني رأيت فتاة تبلغ من السن نحو الرابعة عشرة ذهبية الشعر زرقاء العينين معتدلة القوام بيدها ممسحة بيضاء تنظف بها اواني الاكل وادواته قبل تقديمه للاولاد — فذهبت لمحادثتها كي اعرف ان كانت تخدم هؤلاء المتشردين اضطرارًا وخضوعًا لامر مدرستها ام ماذا ؟

وقلت لها امثلك انت يخدم هذا المشرد القذر ؟ فرفعت عينيها الزرقاوين وهزت رأسها في وجهي وقالت بعظمة وربما كان باحتقار لي: (Ar han intesvensk!)

ومعناها بالعربية اما هو سويدي فشعرت بارتياح وادركت ان هذه الفتاة الجميلة تخدم هذا الولد القذر طوعًا لا كرهًا — تخدمه لانه سويدي وهي سويدية

في تلك اللحظة قرب مني مدير المصنع واظهر اهتمامًا زائدًا بمحادثتي الفتاة ولما انتهيت أخذني عَلَى انفراد وقال لي أتعلم من اخترت لتوجيه سؤالك. قلت: لا قال هذه حفيدة الملك — حفيدة الملك اوسكار — فدهشت دهشة شديدة ثم أفقت لنفسي مسرعًا وقلت له: ان هي الابرهان حي عَلَى تأثير حسن التربية فالتربية الحقة تلطف الشعور التربية الحقة تقرب القلوب بعضها من بعض تغرس في القلوب حب الوطن والمواطنين

قررت انكلترا ان يكون التعليم الاجباري من سن الخامسة الى الرابعة عشرة ولكن المانيا والسويد قررتاه من السادسة الى الرابعة عشرة فكأن الممالك الثلاث اتحدت في تحديد نهاية التعليم الاجباري ولكنها اختلفت في سن الابتداء وعندي ان يعمل بموجب نظام المانيا والسويد اذ يجب ان يترك الطفل عددًا من السنين يرتع ويجري ويلعب ويقوى جسمه قبل دخوله في مضمار التعليم حتى يكون له من الجسم وصحة المخ ما يضمن اتمام قيامه باعماله العقلية بدون تأثير في جسمه او اضعاف لمخه كما يحصل كثيرًا للمحترفين بمهن عقلية محضة — فمن رأيي اذن ان يكون التعليم الاجباري بهذا القطر من سن السادسة الى الرابعة عشرة

يقضي التلميذ الثلاث السنوات الاولى بالكتاب وبعد ذلك يجب ان ينتقل الى

المدرسة الابتدائية فيمضي بها خمس سنوات ويجب ان يكون برنامج المدارس الابتدائية عَلَى طراز يؤهل التلميذ للانخراط في سلك المدارس الثانوية اذا اراد ان يشمل برنامجها شيئاً من الصناعة والزراعة ولذا يجب ان لا يشتغل تلاميذ هذه المدارس بالمواد العقلية الا في الصباح

فمتى اجتمع هذان الشرطان امكن التلميذ دخول المدارس الثانوية ومنها الى المدارس العالية او الجامعة

اما اذا كان برنامجها لا يؤهل التلميذ لدخول المدارس الثانوية فنكون كأننا اغلقنا باب التعليم في وجهه عقب انتهائه من دور التعليم الابتدائي وبذا نكون قد اتينا جرماً لا يغتفر

هذا فيما يخص طالبي التعليم المجاني · اما الاغنياء فعندي انه يجب ان يكون نظام تعليمهم كالآتي . مدارس بساتين الاطفال او الكندر جارتن · كما سماها موجدها فردريك فروبل الالماني · وهي مدارس لصغار الاطفال من سن الرابعة الى الثامنة تقريباً وفيها ينظر للطفل كانه كان نباتاً صغيراً يقوم بحسن العناية والمدرسة هي في هذه الحال بستان والبستان هي المدرسة اذ دلت التجارب عَلَى ان النساء وحدهن هن القادرات عَلَى ادارة مثل تلك المدارس — فيرى الطفل في هذه المعاهد من الوجوه الثلاثة الجسمية والادبية والعقلية

وبعد ان يخرج الطفل من بستان الاطفال يجب ان ينتقل الى مدرسة ابتدائية تؤهله للمدارس الثانوية ومنها ينتقل الى المدارس العالية او الجامعات

اما الاختصاص في دراسة الزراعة او الصناعة فيجب ان لا يأتي الا بعد التعليمين الاولي والابتدائي عَلَى الاقل حتى تضمن لذلك المزارع او الصانع مقداراً وافياً من الذكاء يؤهله للقيام باعماله بفكر وروية

اما في الوقت الحاضر الذي يكثر فيه عدد الاميين من البالغين الراشدين فيجب ان نعمل عملاً آخر بجانب عملنا الخاص بالاطفال · يجب ان نسرع في اعطاء هؤلاء المساكين شطراً من التعليم يساعدهم عَلَى ترقية احوالهم ويمكنهم من ان يكونوا اعضاء عاملين في المجتمع الانساني بالمعنى الحقيقي ·

السينماتوغراف الناطق

اختراع جديد لاديسون لم ينجزه بعد وانما اجرى بعض التجارب في نيويورك فاتت بنتائج موافقة ويرجو المخترع ان يتغلب عَلَى ما يعترضه من العقبات

لغة الاسبرانتو

وضعها ذاك الطبيب الروسي لتكون كما هو معلوم اللغة التي يتفاهم بها بنو البشر وهي تنتشر يوماً فيوماً فلجمعية الاسبرانتو الالمانية ١٩٢ فرعاً يبلغ عدد اعضائها ٦٠٠٠ وللجمعية البريطانية ١٣٠ شعبة يختلف اعضاؤها بين الاربعة والخمسة آلاف. اما فرنسا فقد سبقت عامة البلاد الى درس لغة الاسبرانتو ففيها ٢٤٠ جمعية اعضاؤها عشرة آلاف وعدد جمعيات هذه اللغة في العالم باسره يناهز الالف وستمائة

المؤتمر النسائي السادس

اجتمع في مدينة استوكهولم برئاسة العقيلة شبمان كات فافتتحت الحفلة بخطاب ذكرت فيه انضمام بلادين الى الاتحاد النسائي وهما سربيا وايسلاندا فبلغ مجموع البلاد المنضمة ٢٤ وقالت ان النساء في خلال سبع السنوات الاخيرة قربن من مطالبهن في خمس عشرة امة وفي هولاندة والسويس نلن حق الانتخاب لعضوية الكنائس وفي الدانيمارك حزن حق التصويت في المجالس العامة وفي اوستراليا ونروج وفنلاندا وبعض اقسام اميركا الشمالية تعد النساء (منتخبات) وقد تألف عند انعقاد هذا المؤتمر جمعية للرجال الساعين في اسعاف النساء بمطالبهن

انتباه الصين

عين احد امراء الأسرة المالكة وزيراً فانتقد الناس تعيينه انتقاداً شديداً وقام الفوضويون يهددون حتى قال المارشال فوكي النتري انه يود الانتقام للاربعمائة مليون صيني الذين تظلمهم الاسرة المالكة. على ان الصحف الصينية تطري الامير الوزير لانه صرح ان الوطنيين في الحقوق سواء وقد صدرت الاوامر الى رجال السياسة والقنصليات ان يرتدوا بالملابس الاوروبية على بعض التغيير فيها واصبح رجال الصين يؤمون بلاد اوروبا لتلقي العلوم الحديثة ولم يكونوا يجيئونها قبل ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ وصدر الامر بتبديل الازياء على اثر ما كان من سخرية الاوروبيين بعظماء الصين الذين يشخصون الى ديار الغرب ولكن نهضة الصين ترافقها جميع معايب المدنية الحديثة فالمبارزة دخلت حديثاً للبلاد وشرع الفوضويون باستعمال الديناميت

حوض البحر الميت

يشغل البحر الميت مساحة ٩٢٦ كيلومتراً مربعاً ومياهه ملأى بالحمر وقد كانوا يستخرجون من جنوبيه ايام عظمة بزنطية المرمر الثمين والرخام السماقي والكبريت

والنحاس والفحم والملح ومع هذه الثروة الطبيعية فقد اضرب القوم منذ عهد بعيد عن التعدين فيه حتى نال ملك الامتياز بذلك احد موظفي الاتراك وقد اوشك ان يتنازل عن حقوقه الى ماليين اميركيين لقاء مليون ونصف من الريالات

الموت جوعاً

دل الاحصاء الرسمي عَلَى النتيجة المحزنة الآتية وهي ان ١١٩ شخصاً هلكوا في انكلترا جوعاً خلال سنة ١٩٠٩ ومنهم ٥٤ قضوا نحبهم في لندن عاصمة الدولة البريطانية واكبر مدن العالم واعتقد الكثيرون ان هؤلاء البائسين لم تسعفهم الجمعيات الخيرية بشيء

العمال الليليون

من اغرب ما يشاهد في نيو يورك ان مائة وخمسين الف عامل يقومون بواجباتهم ليلاً وبينهم قواد الترامواي والحوذيون والوقادون ومستخدمو البريد والتلفون وغلمان المطاعم والمسارح فدار في خلد بعضهم ان ينشئ ملهى يشتغل من الساعة الواحدة بعد الظهر الى الرابعة والنصف لان معظم هؤلاء يودون ان يروا شيئاً من الملاهي عند افاقتهم الظهر قبل العودة الى اعمالهم فانشئ الملعب ونجح نجاحاً باهراً فاقتفى كثيرون اثر منشئيه وقاموا باعمال اخرى من القاء الخطب والمحاضرات والاجتماعات الدينية

الفنون في الدور الحجري

بينت الحفريات التي جرت سنة ١٨٧٥ في وادي الفيزير ان الانسان في الدور الحجري كان ماهراً في الفنون فقد استطاع ان يحفر على الحجر صور الحيوانات التي عاش بينها وفي الحفر دقة غريبة ومهارة معجبة وقد وجدوا اجمل تلك الرسوم في مغارة التاميرا فرأوا صور البقر والخيول الوحشية والخنازير البرية وقد رسمت بالتراب الاحمر والاسود في مظاهر مختلفة وبمهارة فنية مدهشة واكتشفوا رسوماً اخرى في كومبارلس وكلها تروق النظر بدقة صنعها ومن اجمل ممثلات الفن في العصور الحجرية الرسوم التي عثروا عليها في مغارة نيو فقد وجدوا الرسوم مخطوطة بالمراود بمزيج من الفحم واوكسيد المغنيزيا ورأوا في غيرها من المغاور رسوماً ونقوشاً ترد الى ما قبل العصر الحجري وقد نقشت عَلَى العظم والعاج ثم انحطت هذه الفنون في العصور التالية لاسباب لا تزال مجهولة

المناطيد في الحرب

يتوقعون ان يستخدموا المناطيد في اكتشاف مواضع العدو فتحقن بذلك دماء جنود الاستكشاف ويفضلون في هذه الخدمة الطيارات عَلَى المناطيد المسيرة وميزة هذه انها

تستطيع الوقوف على علو شاسع اذا كان الهواء صاكنًا لتفحص الاراضي بدقة ويحاولون اليوم نقل الاثقال في المناطيد وقد استطاع المهندس بر بكث ان ينقل ١٢ شخصاً وزنهم ٦٣٣ كيلو

ان قطعاً معدنية صغيرة تزن احداها خمسة وعشرين غراماً إذا القيت من طيارة تجري عَلَى علو ١٣٠٠ متر بسرعة ٩٠ كيلو متراً تنفذ في الاجسام نفوذ قذائف البنادق وعشرة آلاف من هذه القطع لا تزن اكثر من ٢٥٠ كيلو

انتقال الطيور

عكف العلماء عَلَى دراسة هجرات الطيور وتمكنوا من معرفة أُموز عنها عَلَى انها لا تزال محاطة بالاسرار الغامضة فلم يستطيعوا ان يفسروا كيف يجتاز بعض انواع الطيور ٣٨٥٠ كيلومتراً فيعبر الاوقيانوس الى جزائرهاواي وكيف ينتقل سنونو البحر كل سنة من اقاصي الشمال الى البلاد التي حول البحر المتوسط فيقطع في ذهابه وايابه نحو ٣٥٠٠٠ كيلومتر وقد ابدى احد العلماء ملاحظات غريبة بهذا الصدد فقال: ان هجرات الطيور بدأت بمسافات قصيرة فارتادت الارض وكانت المسافة تبعد كلما جربت تجربة عند ما عرفت الطيور مزايا الهجرة التي اعتادتها. اما المسالك الهوائية التي ينتخبها النازحون فلم يقروا عليها الا بعد ان اثبت لهم الاختبار انها امثل الطرق الى اماكنهم الصيفية او الشتوية والمزية التي جعلتهم يؤثرون تلك السبل على سواها هي انهم يجدون فيها الغذاء الكافي اثناء رحلاتهم غير مراعين في ذلك طول الطريق وقصرها قال فالقمري ذو الرأس الاسود يمعن في جنوبي الولايات المتحدة عند نهاية نيسان حتى يبلغ المكسيك ويرافقه في رحلته السنونو الاميركي وفي ايار يعود الى الشمال في طرق اخرى فيتدرج قسم القمري نحو الاسكا توًا ينخطف السنونو الى كريتلاندا فتزيد مسافة ما يجتازه ٣٢٠٠ كيلومتر ويتقوت في رحلته بما يعرض له من الهوام الطيارة

بحيرة تشاد

ليس لهذه البحيرة الافريقية التي يكثر الجغرافيون من وصفها مزايا غيرها من البحيرات فقد قررت بعثة بتلهو انها اشبه بمستنقع قليل العمق يمتد عَلَى مسافة واسعة ويختلف مقدار مياهه باختلاف الفصول وكمية الامطار ومياه تشاد نقية تقل فيها كلورات الصوديوم مما يدل عَلَى وجود مصرف خفي لها تحت الارض وقد اكتشفوا بحيرة اخرى جفت مياهها وكانت قبلاً بمثابة مصب لبحيرة تشاد واقعة عَلَى بعد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي ويزعمون ان هذه البحيرة كانت احدى موارد النيل

غدائر الصينيين

كان الصينيون يفاخرون بذوائبهم المسدلة على ظهورهم حتى دخلت بلادهم المدنية الحديثة فشرعوا يجزونها ولهذا التبديل نتائج اقتصادية واجتماعية خطيرة الشأن فان الصيني كان يصرف على هندمة شعره خمس عشرة دقيقة في اليوم عَلَى الاقل وإذا حسبنا ان الرجل يجب ان يدفع للمزين خمسة سانتيمات عَلَى الاقل عرفنا المبلغ الكبير الذي يقتصده الصينيون بالاقلاع عن تلك العادة ثم ان الذوائب تخلق الثوب الذي تسدل عليه فتقل مدة بقائه عشرة في المائة فاذا وفر الصيني عَلَى هذا الوجه عشرين سانتيماً في السنة اقتصدت الامة نحو مائة مليون فرنك سنوياً نضيف اليها ثمن اوقات الهندمة ونفقاتها فيبلغ المجموع بضع مئات ملايين من الفرنكات فجز الغدائر في الصين عمل اجتماعي اقتصادي تربح البلاد منه ارباحاً طائلة

مستقبل الكونفوشيوسية

ارتاح اليابانيون ارتياحاً شديداً الى تعاليم الديانة الكونفوشيوسية وفي جميع البلاد اليابانية الكبرى يلقون في فصلي الربيع والصيف محاضرات عن الفيلسوف الصيني العظيم فيأخذ الاساتذة البارعون يسردون فضائله ومزايا تعاليمه وتلتف حولهم الجماهير الغفيرة تتلقى عنهم العقائد كما تلقاها اول اتباعه لم يطرأ عليها خلل ولا تحريف

تاريخ الملاحة

اسم الرجل الاول الذي ركب البحر غائب في ظلمات العصور ولكننا نعرف ان الانسان اقتحم البحر عَلَى جذع شجرة واستعان عَلَى التجذيف بغصن من غصونها ثم شرع بتجويف الجذع فبدأت الزوارق الحقيقية تطفو على وجه الغمر ثم استخدم الريح في تسيير السفن واقدم ما نعرف من السفن الشراعية مراكب البابليين التي اخترعتها مصر وفي مؤخرتها غرفة للربان على سطح مرتفع يمكن الربان من مراقبة السفينة ويأتي الفينيقيون بعد المصريين وقد نشروا تجارتهم البحرية في جميع سواحل البحر المتوسط وركب اليونانيون اللجج في القرن الثالث عشر قبل المسيح وفي مراكبهم الحربية كانت تقف المقاتلة عَلَى جسر طاف ثم تجيء المراكب الرومانية وقد اصبحت اشبه بقلاع تطفو على وجه اليم مزدانة بقطع من الرخام وتماثيل محفورة واصنام من البرونز وفيها المكاتب الواسعة عَلَى نحو ما كانت عليه سفن كاليغولا في سفراته عَلَى سواحل كامبانيا . ومراكب الثيكين صلب البناء قصدوا فيه الى مقاومة الامواج المتضاربة في بحور الشمال ولهذا بنى الفريد الكبير اسطولاً لانكلترا

عَلَى ذلك الطرز ولكن الملاحة الحديثة في تلك البلاد ترتقي الى عهد تيدورس واول باخرة اجتازت بحر الظلمات الاتلانتيك سنة ١٨١٩ بنيت في اميركا ودعيت ساڤانا ولكن الجمهور لم يرغب في ركوب السفن البخارية ولم تزل شكوكه ومخاوفه حتى كانت سنة ١٨٣٨ فاجتازت الاتلانتيك اربع سفن تجارية كبرى بدون مساعدة القلوع

اسنان من خشب

اخترعها احد اطباء اليابان لتقوم مقام العاجية وغيرها ولا يزال فيها بعض الخلل غير ان المخترع يرجو ان يتداركه

الهيجين العام

شرع الصينيون يفكرون في حفظ الصحة فاتخذت مراكز الامبراطورية الوسائل الفعالة لمقاومة الطاعون وأُنشئت في البلاد الادارات الصحية

جامعة باريز

يزداد عدد الطلاب في هذه الجامعة سنة فسنة وعدد الاجانب فيها يقارب عدد الفرنساويين ففي قسم الآداب يوجد ٨٠٠ اجنبي و ١١٤٧ فرنسويًا وفي قسم الطب ٣٥٠ اجنبيًا و ٣١٨ فرنساويًا ومجموع طلبتها ٢١٢١

موسيقى المستشفيات

أُلفت في باريز موسيقى خاصة بالمستشفيات تعزف لتسلية المرضى ولا سيما الناقهين منهم فأتت بنتائج حسنة حملت جميع البلاد عَلَى اقتفاء اثر فرنسا في هذا الصدد فتألفت موسيقى من نوعها في بطرسبرج عاصمة البلاد الروسية

الاتوموبيل في المانيا

نجحت صناعة الاتوموبيل في المانيا نجاحًا باهرًا فزاد عدد معاملها من ١٥ الى ٥٨ في بضع سنوات وارتقى ثمن المصنوعات من ستة ملايين مارك الى ثمانين مليونًا

قوة الولايات المتحدة

بات حديث الحرب شائعًا في جميع انحاء الولايات المتحدة وشرعوا يتساءلون عن مبلغ قوتها ابان الحرب فكتب كاتب اميركي يقول : عندنا جيش منظم ففي زمن الحرب نجهز الميليس والمتطوعين فيستدعي الاولين رئيس الجمهورية على ان الآخرين لا يجتمعون الا بعد قرار المجلس والميليس انفسهم يقسمون الى قسمين الحرس الوطني وغير المنظم ولنا حسب تقرير سنة ١٩١٠ جيش فيه ٨٥٣٩٢ جنديًا وضابطًا وليس لنا من فرق

الخفر سوى فرقة المدفعية الساحلية والتابور يؤلف من ٨٠٠ الى الف رجل فيهم المشاة والمدفعية والفرسان وليس عندنا في زمن السلم سوى ٣٤٤٥٦ جندياً وضابطاً وينبغي لنا ان نجند ٧٠٠٠٠ آخرين ليكونوا قوة سيارة ومعظم ما يبلغه عدد الميليس المنظم ١١٩٠٠٠ بين جندي وضابط اما سائره فلا يعول عليه في غمرات الحرب واذا ضممنا اليهم المتطوعة بلغ عدد جيشنا ٢٢٤٠٠٠ تملك ٥٣٢ مدفعاً . يقولون ان الحاجة تسن الشريعة فعلينا ان نحشد الجيوش وندعو الامة لحمل السلاح وفي الولايات المتحدة ١٦ مليوناً من الرجال تختلف اعمارهم بين ١٨ و٤٥ فاذا دعي نصف هؤلاء للتدرب كان لنا جيش يبلغ الثمانية ملايين يذود عن بلادنا غارات الاعداء ولا ينكر ان موانئنا محصنة ولكن تنقصها الذخائر والمؤن

جنازات المصريين

كان قدماء المصريين في عهد الفراعنة يعتقدون ان الاموات يعبرون الى ما وراء جبال ليبيا حيث تموت الشمس في المساء لتبعث في اليوم التالي فكانوا يشيدون اضرحتهم في الغرب ويحسبون ان الاموات ينزلون سهل عيرو وفي احدى اوراق البردي المكتشفة رسم الشعائر الدينية التي قاموا بها في جنازة احدى السيدات وكانوا يحاكمون الميت محاكمة عثروا عَلَى صورتها في ورقة اخرى ويفحصون عن نفس الاموات

التلفون في الابعاد الشاسعة

تقدمت المراسلات التلفونية تقدماً غير منتظر ونجح المكتشفون بنقل الاصوات في الابعاد الشاسعة فمدوا اسلاكاً تحت البحر بين ابونس كليف قرب دوفر في انكلترا ورأس كرينه في فرنسا وقد توفرت في الاسلاك جميع الشروط المطلوبة حتى انها فاقت عامة الجهازات المستعملة للمخاطبة عن بعد سحيق ويمكن استعمالها بين محطات لا تتجاوز المسافة بينها الفاً وخمسمائة كيلو متر ويعتقدون انهم يستطيعون ان يصلوا بين لوندرا واستراخان بالتلفون فيجتاز مدن اوربا كافة ويؤكد المهندس الانكليزي انه بعد عشر سنوات تقدر شيكاغو ان تخاطب بطرسبرج وشركات التلغراف والتلفون في اميركا ترى انها بالغة يوماً يتسنى لها فيه الوصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربيها باسلاك التلفون وتعلن انه قبل انقضاء هذه السنة يتم معظم المشروع ويسود في نيويورك ولوندرا اعتقاد بان الاكتشافات الكهربائية ستجعل المخاطبة التلفونية ممكنة بين اي نقطة وثبت اليوم ان الاصوات المنقولة بالجهازات الحديثة تسمع بوضوح وجلاء

وعرفوا من التجارب ان ليس ثمت من فائدة في تغليف الاسلاك بالمطاط اذا لم يكن منه اضرار وفي التليفون اسرار لا تنكشف الا تدريجاً كما هي الحال في التلغراف والفونغراف والنور الكهربائي ومحركات البخار وتوفر العمال عَلَى الاتقان يذلل كل يوم عقبات جمة حتى لنستطيع القول مع نابليون ان العالم ليس لديه مستحيل

باريز ميناء بحرية

يفكرون اليوم بحفر قناة بين باريز والاوقيانوس ويقدرون نفقاتها بنحو اربعمائة مليون فرنك ويبالغون في منزلة هذه القناة الاقتصادية والحربية غير ان باخرة واحدة تغرق فيها ايام الحرب تسدها وتجعل المرور فيها مستحيلاً والقائلون بالمشروع يهيجون رغبة الناس اليه ويضربون الامثلة ان انكلترا حفرت قناة مانشستر والمانيا قناة كيال وان بلجيكا تدأب لتحول عاصمتها بروكسل الي فرضة بحرية ٠ ولكن هذه الاقنية الاجنبية لم تكن للدول مورد غنم وفائدة لأن ارباحها ضئيلة جداً مقابل نفقاتها الفاحشة

المرض في روسيا

نشر احد الاساتذة في الاكاديمية الطبية احصاء للامراض التي تنتاب الروسيين جاء فيه انه يمرض كل سنة منهم ١٧ مليونًا اي واحد في السنة ويحدث مليون وخمسمائة الف وفاة ٠ اما الاصابات فمنها ستة ملايين بالامراض السارية يتوفى منها ١٢٠٠٠٠٠ واشد تلك الامراض فتكاً الجرب والملاريا والسل الرئوي وحمى التيفوس

التعليم في نروج

سنة ١٨٨٥ انشيء في نروج جامعة للفعلة مدت فروعها في البلاد منذ ذلك الحين فاصبح لها سبعون شعبة ونظارة المعارف تساعد هذه الجامعة والفعلة المتخرجون فيها يتعهدونها بالهبات والاعطيات ويبلغ عدد الحضور في جامعة كريستيانيا ٤٢٠٠٠ وهو عدد مفرط الكثرة بالنسبة لعدد الشعب وفي هذه الجامعات مكاتب للمطالعة ومعامل من الطراز الاول

الجامعات في الدانيمارك

الدانيمارك بلاد زراعية رأى النابغون من ابنائها ان يتلطفوا بنشر المعارف في امتهم فانشأوا الجامعات الوطنية تلقي دروسها في الشتاء فقط اذ لا يكون للزارع وقتئذ ما يجب عليه عمله

فيهتم اليها الوف من فتيان الدانيماركيين ومزارعيهم ممن يعملون صيفاً في الحقول

والمزارع فيقبلون عَلَى الطلب و يتلقون الدروس في معاهد تقوم بها جمعيات مختلفة تمدها الحكومة بالمال

و يقصدون من هذه الدروس الى تعريف العامل بوسائل تحسين الزراعة فيدرسونه الكيمياء والزراعة عَلَى الاصول الحديثة و يزودونه بالمعارف التي تفيده في حياته ولا يهملون فيها التهذيب العام

المدرسة الافرنسية في بطرسبرج

تسعى فرنسا لنشر تهذيبها في العالم باسره فهي لم تكتف بمن يفد عليها من الطلبة الاجانب بل عمدت الى نشر مدارسها في البلاد فانشأت مدرسة فلورنسة واخرى في مدريد وسيؤسس لها مثيل في بطرسبرج عاصمة الروس وقد قال احد كبار الفرنساويين « ان وجود مثل هذه المدرسة في عاصمة شعب يبلغ عدده ١٦٠ مليونًا شديد الارتباط بالشعب الفرنساوي يكون له نتائج جلى » فاصغت امته الى قوله ولا يلبث المشروع ان يتحقق

دور المطالعة في اميركا

سبقت اميركا سائر البلاد في انشاء هذه الدور وتألفت الجمعيات للاكثار منها . وعقد موتمر لها في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قرر ان تنشر دور المطالعة في عرض البلاد وطولها لتهذيب الشبان والعمال وكانوا لا يسمحون بدخولها الا لمن ناهز الثامنة عشرة من عمره ثم خفضوا ذلك الى الثانية عشرة فالعاشرة فالثاني وقيمو تلك الدور مكلفون بارشاد الاطفال الى مطالعة الكتب الاغزر فائدة لهم وقد يجيئهم الطفل طالبًا كتاب قصص عن ذوي الجلود الحمراء فلا يزالون به حتى يطلب كتابًا اوفر نفعًا واجزل عائدة . ولم تكتف الجمعيات بذلك بل انشأت مستودعات للكتب في الحارات المختلفة قائلة يجب علينا ان نسير الى الفتيان والفتيات ولا ننتظر مجيئهم الينا . وارادت المدرسين عَلَى تسهيل المطالعة للطلاب باعارتهم الكتب التي يرغبون فيها او بانشاء مكاتب صغيرة للمطالعة في مدارسهم . وما ازدهرت هذه المكاتب الا بفضل المتبرعين لها من انصار العلم والانسانية والباذلين في سبيلها مبالغ جسيمة وحسبك هبات كارنجي وغيره من كبار الاغنياء دليلاً عَلَى ما نقول و بنوا لمن بلغوا اشدهم مكاتب فيها جميع المجلات والصحف الصادرة في ذلك اليوم فيجيئها الشبان في اول امرهم لمطالعة هاتيك الوريقات ثم يألفون المطالعة رويداً رويداً فيتشوقون الى قراءة المصنفات النافعة الممتعة . وفي مدارس

الشعب مكاتب عامة خدمت التهذيب العام اجل خدمة وعملت على ترقية روح الشعب . قلنا ان اغنياء الاميركيين تعهدوا تلك الدور بالهبات الطائلة ولقد انشأ المستر اندرو كارنجي الغني المشهور الفاً وثمانمائة مكتبة انفق عليها ٥١ مليون دولار ونيفاً وكلها في البلاد التي يتكلمون فيها باللغة الانكليزية فهي منتشرة في الولايات المتحدة وكندا وانكلترا و بلاد الغال وايرلندا وايكوسيا وز يلاندا الجديدة والهند الغربية الانكليزية واوستراليا وتسمانيا وافريقية الجنوبية وغيرها

مخطوطات ومطبوعات

توجيه النظر الى علم الاثر

تأليف الشيخ طاهر الجزائري طبع بالمطبعة الجمالية بمصر عَلَى نفقة احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي واخيه ص ٤٢٠

اعتاد استاذنا موَّلف هذا الكتاب ان يضع تآليفه في اكثر العلوم المختلفة التي هو امامها المحقق بحسب المناسبات فبينا نراه يوَّلف كتاباً في البيان اذا هو ينظم بديعية و يشرحها و بينا هو يوّلف كتاباً في الطبيعيات اذا هو يكتب كتاباً في قصص الانبياء وفيه رد عَلَى من طعن بالاسلام فتارة يوَّلف في العقائد واخرى في النحو وطوراً في الخطوط واحياناً في الحساب والمساحة ثم تراه يشرح رسائل ابن نباتة و يودعها من دقيق الابحاث ما ينفع و يلذ ثم يكتب كتاباً في الالغاز والاحاجي وآخر في الادب ثم في اللغة ثم في التاريخ ثم في التفسير وآخر كتبه هذا المصنف الجليل الفه عَلَى غير مثال احتذاه وان كان الموّلف الامام لا يسير خطوة بدون الاحالة الى كتب الائمة واستخراج درر بحورهم والانتفاع بعلومهم . لا نعلم اليوم عالماً من علماء الاسلام جمع فاوعى في الفنون المختلفة مثل هذا المؤلف واجاد كل الاجادة فيما ألف واختار المناسبات لاظهار مارزق من علم وفضل تجارب . وقد وصف كتابه الاخير في سطر فقال : « اما بعد فهذه فصول جليلة المقدار ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار واكثرها منقول من كتب اصول الفقه واصول الحديث » ولكن ما نقله الاستاذ لا يسهل على كل عالم ان يظفر به دع عنك من دون درجة العلماء وقد ضمنه انفع ما وقع عليه في

ابحاثه وما اطلع عليه من كتب السلف ومن اهم ما قرأنا فيه مقالة في الخط العربي والحركات العربية ما نظن عالمًا شرقيًا او غربيًا يكتب مابدانيها في التحقيق والجمع باطراف هذه المسألة مما دل عَلَى بعد غور العلامة المؤلف واصلاحه الشديد في خدمة العلم امتع الله الاندية العلمية بثمرات فضله

المجازات النبوية

للشريف الموسوي السيد الرضي طبع بمطبعة الآداب في بغداد عَلَى نفقة سيد حسن صدر الدين ص ٢٨٧

كتاب جليل يشتمل عَلَى مجازات الآثار النبوية وفيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة واسرار اللغة اللطيفة وهو من افيد ما أحيي من آثار السلف قدم الطابع امام الكتاب ترجمة مؤلفه وناهيك به من حبر كبير من احبار الاسلام وبحر من بحور العلم والعرفان . وكنا نود لو عني الطابع بتصحيح الكتاب عَلَى احد علماء العرب في العراق ليكمل تأليفًا ووضعًا وطبعًا وشكلاً وعَلَى كل فله من الآداب الثناء

تاريخ التمدن الاسلامي

تأليف جرجي افندي زيدان نقله الى التركية زكي بك مغامز طبع بمطبعة قناعت في الاستانة سنة ١٣٢٩

نشر المترجم وهو من الكتاب المجيدين بالعربية والتركية ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي وسماه « مدنيت اسلاميه تاريخي » عني بنقله طبق الاصل بحيث لا يشعر قارئه باللسان العثماني انه مترجم و يوقن من قرأه بالعربية اولاً ثم قرأه بالتركية ان المترجم استعمل غاية الامانة في نقله فاستحق ثناء الآداب العربية ونفع بما نشر مكاتب اللغة العثمانية . وقد نشر منه حتى الآن ثلاثة اجزاء وبقي عليه الجزآن الاخيران

كتب مختلفة

رحلة قيصر افندي صباغ وقرينته العقيلة نجلا (مطران) صباغ بين الولايات المتحدة الاميركية وسورية ولبنان طبعت بالمطبعة الادبية في بيروت

العبر — نظمها ميخائيل افندي الصقال بعد حوادث سنة ١٩٠٩ في انطاكية وغيرها من بلاد قيليقية طبعت بحلب في المطبعة المارونية

صحيفة الوجدان — هي شذرات من منظومات محمود رمزي افندي نظيم من ناشئة شعراء مصر في موضوع التربية والاجتماع وتربية النساء

سمير الليالي — الجزء الثاني مصدر الغرائب الزمانية في اشهر الحوادث التاريخية تأليف محمد امين افندي الصوفي السكري طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام على نفقة المكتبة الرفاعية

ارجوزة في علم القيافة — للشيخ محمد امين العمري المتوفى سنة ١٢٠٤ طبعت بمطبعة دار السلام ببغداد

تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين للشيخ عبد العزيز البداح الكويتي طبعت بمطبعة دار السلام في بغداد

منظومات جميل افندى الشطي الدمشقي نظمها في اغراض مختلفة ومنها الاجتماعي طبعت بمطبعة الانصاف بدمشق

ثلاث مجلات

كان الشهر الماضي من ابرك الشهور على الآداب العربية في مصر والشام والعراق نشأت للغة العربية في هذه الاقطار ثلاث مجلات رائقة نشرها اربابها عن كفاءة بعد التخرج في الموضوعات التي عانوها سنين فجاءت مجلاتهم ناضجة في الجملة من اول صدورها فالمجلة الاولى صدرت بالقاهرة اسمها « البيان » وهي تبحث في الادب والتاريخ والفلسفة والاخلاق والتربية والاجتماع والنقد والروايات والصحة وتدبير المنزل وتعنى بنشر آثار الغرب وآثار العرب لمنشئيها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ومحمد افندي السباعي وهي شهرية في ٨٠ صفحة واشتراكها السنوي ٥٠ قرشاً مصرياً . والمجلة الثانية « مجلة الآثار » وهي عامة المباحث شهرية تصدر عن زحلة في لبنان لمنشئها عيسى افندي اسكندر المعلوف واشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي ونصف وفي غيرها عشرة فرنكات وهي شهرية في ٣٢ صفحة . والمجلة الثالثة « لغة العرب » وهي شهرية ادبية علمية تاريخية لمنشئها في بغداد الاب انستاس ماري الكرملي واشتراكها في الديار العربية تسعة فرنكات وفي الديار الاجنبية اثنا عشر فرنكاً وعدد صفحاتها ٤٠ . تصفحنا الاعداد الاول من هذه المجلات المتقنة فرأينا فيها ابحاثاً ممتعة وشذرات مفيدة تدل على بعد غور اصحابها العالمين الباحثين وادبهم وغيرتهم على نشر الفضائل والمعارف ولكل منها ميزة تختلف عن الاخرى وكلها متناسبة في التنسيق والجمع بين ما يروق الخاصة ولا يتبرم به العامة فعسى ان تجد هذه الصحف من الناطقين بالضاد ما تستحق من الاقبال ليزيد ذلك في نموها ويضمن لها البقاء حتى تضاهي اكبر المجلات الاوربية بعون الله

المقتبس

كتب اللغة الانتقادية

اختلط العرب بالاجانب بعد الفتح فأثر التياثهم بهؤلاء فيهم آثاراً اسبقها التأثير في لغتهم لان اللغة وهي آلة الترجمة والتفاهم اقرب الى الانفعال من الاخلاق والعادات بل هي المدخل الى انفعال الآداب ولنا من اهتمام الامم الحية بنشر لغاها دليل بات على ذلك ولا اريدهنا شياع الالفاظ الدخيلة[1] وتسربها الى العربية فان ذلك انما ظهر بعد تبسط الامة في العمران ولكني أريد بذلك اللحن الذي حدث بعد الفتح او في أخرياته والعرب عرب في ازيائهم واوضاعهم وشظفهم في المعيشة فقد بدأوا باللحون في التراكيب ثم في المفردات وانتهى ذلك بوضع علمين علم يحفظ التراكيب عن الخطإ وهو النحو وآخر يحفظ المفردات الصحيحة وهو علم اللغة وابتدأ العلماء قبل عهد التدوين ينتقدون اللحن في محاوراتهم ثم دونت اللغة ودون في اثنائها فن يصح ان يسمى (اللغة الانتقادية) وهو فرع بمعنى خاص من علم اللغة تنتقد فيه المفردات المستعملة غلطاً في كلام الخاصة والعامة فيذكر فيه المصحف والمحرف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والمتغير وضع حركاته وسكناته وقد ألف في هذا الفن جماعة من اقدمهم ابو عبيدة

(١) شاع في العصر العباسي استعمال المعرب والمولد شيوع الاجنبي في هذه الايام وهذا هو القصد من نسبته لذلك العصر عصر بسط الامة في العمران لا انه حدث فيه ابتداء فان كثيراً من الدخيل يرجع الى عهد احتكاك العرب بقدماء المصريين وبالفرس والهنود وغيرهم من الامم التي احتك العرب بها في الجاهلية فاقتبسوا عنها مفردات غير يسيرة

معمر بن المثنى اللغوي البصري المتوفى سنة ٢١١ وقيل قبل ذلك الف كتاب (ما تلحن فيه العامة) ولعله اول من كتب في هذا الشأن فاني لم أجد غيره ممن طرق هذا الباب الا اتلي منه وللامام ابي بكر المازني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب بهذا الاسم ولابي حاتم سهل بن محمد السجستاني العالم الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ وقيل قبل ذلك بقليل كتاب (لحن العامة) وبهذا الاسم كتاب لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ والف المفضل بن سلمة الفاضل الكوفي صاحب الاستدراك عَلَى العين وكان معاصراً للفراء ومنقطعاً للفتح بن خاقان كتاب (الفاخر) في لحن العامة و بهذا الاسم ايضاً كتاب في لحن العامة لابن البلخي وكان مستوفياً في بلخ عَلَى عهد السلطان محمد السلجوقي والف محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ كتاب (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولابي هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين) المتوفى سنة ٣٩٥ كتاب (لحن الخاصة) والف ابن باقي محمد بن علي السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ كتاباً في لحن العامة وفيه كتاب لابن هشام محمد بن احمد اللخمي المتوفى قبل الستمائة

وقد انتقد جماعة من اللغويين كتب آخرين منهم فمن الكتب المنتقدة وهي في موضوع انتقادي كتاب (درة الغواص في اوهام الخواص) وهو الكتاب المعروف لابي القاسم محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات المتوفى سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة ٥٤٦ وقد اعتنى به الادباء فحشاه وشرحه واختصره وزاد عليه ورده ونظمه جماعة منهم وممن شرحه شرحاً انتقادياً شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الديوان المعروف وابو الثناء الالوسي البغدادي صاحب (روح المعاني) وسمى شرحه (الطرة) وزاد عليه ابن منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ملحقاً سماه التكملة والكن في لحن العامة وممن رد عليه ابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ ورد عَلَى الحريري في الدرة ايضاً ابو جعفر محمد بن عبدالله المكي اللغوي المتوفى سنة ٥٦٥

ومن العلماء النقادين ابو نعيم علي بن حمزة اللغوي البصري المتوفى سنة ٣٧٥ ردّ عَلَى ثعلب في الفصيح كما انتصر له ابن خالويه ولابي نعيم هذا ردود عَلَى جماعة من اللغويين وصنف ابو حاتم المروي كتاب (الرد عَلَى ابي عبيدة) في غريب القرآن ولعبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ كتاب يرد به عَلَى ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨

ومن كتب اللغة المشهورة التي انتقدها العلماء كتاب (العين) الذي يقولون انه اول كتاب وضع في اللغة ولكنه لم يكمل واشتهر انه للخليل بن احمد الفراهيدي الامام الشهير المتوفى سنة ١٧٥ ولكن انكر العارفون انه له كما اجمعوا على تشويشه وسوء ترتيبه وتطرق الخطأ اليه فاشتغل جماعة بترتيبه وتهذيبه واختصاره واكماله وانتقاد الاغاليط التي جاءت فيه وممن انتقده محمد بن عبدالله الاسكافي احد اصحاب الصاحب بن عباد في كتاب جمع فيه كثيراً من اغلاط الادباء واختصره ابو بكر المازني واستدرك عليه المفضل بن سلمة والفت كتب كثيرة بشأنه وتوجد من كتاب (العين) نسخة عَلَى نقصها في بعض بيوت النجف خطها وورقها عاديان

ومن رجال الانتقاد في اللغة مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس فقد خطأ جماعة من اللغويين منهم احمد بن فارس القزويني اللغوي صاحب (المجمل) المتوفى سنة ٣٩٨ فان الفيروزبادي جمع عليه الف وهم في كتابه المعروف بالمجمل وذلك في كتاب مستقل وكتاب المجمل هذا يقع في جزئين كبيرين ويوجد جزؤه الاول عند احد الادباء في النجف مخطوطاً في القرن السادس عَلَى ما اظن ولا احفظ السنة ويوجد منه جزء في مكان آخر ولا اعلم أهو الاول ام الثاني وممن خطأه صاحب القاموس الامام ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحاح) المتوفى سنة ٣٩٣ فان من يتصفح القاموس يجد نسبة الوهم الى الجوهري في مواضع كثيرة منه والقاموس انما بني عَلَى انتقاد الصحاح والزيادة عَلَى ما فيه ثم ان الفيروزبادى يتحامى ابن فارس اكثر مما يتحاشا من الجوهري عَلَى ان صاحبي المجمل والصحاح متعاصران ولا يعلم ان الجوهري أجاد فيما كتب اكثر من ابن فارس ولكنه انما تناول الاول وحطه لتوفر الناس عَلَى مطالعة كتابه واشتهاره اكثر من المجمل فنال غرضه وهو ان نبذ القراء الصحاح واقبلوا عَلَى القاموس وهو وان كان اوفر مادة الا انه اعجمي اللهجة ثقيل العبارة عكس الصحاح

وانتقد الصحاح جماعة غير الفيروزبادي منهم الامام ابو عبدالله ابن بري المتوفى سنة ٥٧٢ سمي كتابه (التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح) وللقاضي الاكرم علي بن يوسف القفطي مؤلف تاريخ النحاة [1] من علماء القرن السادس كتاب (اصلاح الخلل الواقع في الصحاح) وللصفدي صاحب شرح لامية العجم المتوفى سنة

(١) لعله الحكماء

٧٥٧ كتاب (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم) وقد انتصر للصحاح عَلَى القاموس جماعة منهم القاضي او يس بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ في كتاب سماه (مرج البحرين) ومنهم ابوزيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز نزيل مكة في كتاب سماه (الوشاح في رد توهيم المجد للصحاح) وقد اعتمد المؤلف في رده عَلَى مجمل ابن فارس ومختصر العين للزبيدي وعَلَى نسخة من نهاية ابن الاثير بخط المصنف وعَلَى نسخة وقعت له من الصحاح خالية من التصحيف والتحريف العارضين اللذين اوهما بعض المنتقدين فردعَلَى الجوهري في بعض المواضع وقد احسن نصير الصحاح هذا في دفاعه ما شاء ولا يكاد يوجد هذا الكتاب الانتقادي على انه مطبوع وهو يقع في ١٣٤ صفحة متوسطة طبع سنة ١٢٨١ ببولاق بالمطبعة الكبرى الممتازة

وقد الف النقادون كتباً في الرد عَلَى القاموس نفسه منها كتاب (الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط) لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ ولدي كتاب (القول المأنوس في شرح مغلق القاموس) وهو تعليقة جمعها مؤلفها من حاشيتين احداهما لعبد الباسط سراج الدين البلقيني والاخرى لجمال الدين الشهير بسعدي الرومي والكتاب مبني على ايضاح بعض الجمل والمفردات وقد تذكر فيه مواضع الخلاف بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح وغيره و يزاد عليه من المعاني في الصحاح ما قد اغفله الفيروزبادي وردت فيه بعض المواد التي ادعى اغفال الصحاح اياها الى نسخة من الصحاح مصححة وجدت تلك الالفاظ في هامشها وخط التعليقة حسن متأخر وورقها جيد مذهب وصفحاتها ١٤٦ ولا اعرف لها ثانية

وممن انتقد القاموس ورد عليه السيد علي خان صاحب (سلافة العصر) و (انوار الربيع) وهو احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر فانه الف كتاباً ممتعاً في اللغة سماه (الطراز) ولكنه لم يتم و يوجد جزآن منه في بعض المكتبات الخاصة في النجف وسمعت صاحبه يقول انه تتبع سقطات صاحب القاموس كما تتبع هذا سقطات صاحب الصحاح فهو يقول ووهم (الفيروزبادي) كما يقول الفيروزبادي ووهم (الجوهري) وآخر من تجرد للرد على القاموس فيما اعلم المرحوم احمد فارس صاحب الجوائب وكتابه (الجاسوس) معروف عند المتأدبين وهو من احسن الكتب الانتقادية

ولما نهضت العربية في نشأتها الاخرى اي بعد انتشار الصحف اخذ بعض الكتاب بنقد الالفاظ والاساليب العامية والركيكة المقتبسة من الاجانب ومن اشدهم جهاداً

في ذلك المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فانه كتب في مجلة (الضياء) وفي غيرها فصولاً في الاصلاح اللغوي صحح فيها اغلاط الكتاب وانتقد لهجتهم ولكنه اخطأ في اشياء بنى عَلَى خطإ القوم فيها ولا يزال يجيء في الجرائد والمجلات شيء من الانتقاد اللغوي سواء كان ذلك عَلَى الكتب المؤلفة او في مقالات خصت بانتقاد اغاليط الكتابة العصرية والمقتبس هي المجلة التي تسير عَلَى هذا المبدإ الصحيح الذي يبشرنا بحياة جديدة لهذه اللغة التي امتهنها اهلوها وحمل الناس عَلَى اهانتها اقتعاد ابنائها غوارب الفرقة والجهالة

***

ومن الرسائل التي قرأتها في اللغة الانتقادية رسالتان وقفت عليهما في مجموعة ذات رسائل في موضوعات شتى واسم احداهما (سقطات العامة) وهي كراسة صغيرة مرتبة علي حروف الهجاء وقد شذ منها بعض حرف الهمزة والرسالة غير منسوبة لاحد ولم اجدها في كشف الظنون الا ان لهجة كاتبها تدل عَلَى انه من المتأخرين والرسالة الثانية تقع في كراستين ونصف وهي كسابقتها مرتبة عَلَى الحروف لكنها خير منها واجمع انصع لفظاً وارصن تعبيراً ولم تنسب لمؤلف ايضاً وفي كثير من فصولها يذكر ما نصه (الزائد من كلام ابن الجوزي) ولعل هذا هو ابو الفرج عبدالرحمن صاحب كتاب (المدهش) الذي نشر المقتبس وصفه وخط الرسالتين سقيم حتى لا يكاد يقرأ هذا والى قراء المقتبس شيئاً مما جاء في سقطات العامة [1]

فصل الهمزة

مما جاء فيه (الايوان) بكسر اوله الصفة العظيمة والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح في الديوان حكاه في القاموس

فصل الباء

مما فيه (البرية) بتشديد الراء الصحراء والجمع ابرار وتخفيف الناس راءها (عامة العراق تشددها اليوم) غلط اذ هي بالتخفيف من برأ الله الخلق اي خلقهم (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال والاسم من البشرى بكسر الباء وضمها لا غير والناس (عامة العراق تسكن الباء) يفتحون الباء في الاسم من البشرى وهماً منهم (الباكرة) هي من مخترعات

(١) يراد بالعامة احط طبقات الهيئة الاجتماعية في العلم والآداب والظاهر انه ينقسم لغة بلاد خاصة من بلاد العرب فان بعض اللحن لا يوجد في بعض الاقطار وان كان بعضه عاماً

العوام وليست من كلام العرب والصحيح البكر (بنيامين) هو كاسرافيل اخو يوسف عليه السلام ولا تقل (ابن يامين) وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي وهو غير الذي في معلقة طرفة (البلور) عَلَى وزن تنور وسنور معروف فكسر الباء مع ضم اللام عَلَى ما هو المشهور لحن

فصل التاء

مما جاء فيه (التوأمان) هذه اللفظة تثنية توأم يقال اتأمت المرأة فهي متئم اذا وضعت اثنين وغلط النــاس انهم يستعملونه بمعنى (التوأم) اي المفرد (الترجمة) بفتح الجيم مصدر عَلَى وزن فعللة من ترجمه وترجم عنه اي فسر وما شاع بين الناس من ضم الجيم خطأ (الترجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة

فصل الثاء

مما فيه (الثقل) كعنب ضد الخفة و يستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف وهو خطأ قال في القاموس الثقل واحد الاثقال كجمل واجمال (الثيب) يزيدون في هذه اللفظة تاء و يقولون (ثيبة) وهو خطأ لانها وردت مجردة عن التاء بلا خلاف

فصل الجيم

مما جاء فيه (جمــادى الاولى والاخرى) فعالى كحبالى والعوام تستعمله (لم نسمع هذا الاستعمال) بالمعجمة المكســورة و يصفونها (هذا معروف) بالاول فيكون فيه ثلاثة تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً وكذا جمادى الاخرى يقولون فيها جمادى الآخر بلا ياء والصحيح الآخرة او الاخرى وهمــا معرفتان من اسماء الشــهور وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشــهور واما ربيع الازمنة (يريد الفصول) فالربيع الاول باللام

فصل الحاء

مما جاء فيه (الحباب) يستعمله الاكثر في النفاخات التي تعلو على وجه الماء بضــم الحاء وهو خطأ اذ هو بضم الحاء الحبة فالصحيح فتح الحاء (كعب الاحبار [1] هو بالحاء) المهملة واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرويه من الاخبار قال في الصحاح كعب

(١) في القول المأنوس ما نصه قال المصنف وكعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار انتهى قوله (ولا تقل) قد وقع ذلك للمؤلف في تبع وتبيع بن عامر بن امرأة كعب الاحبار

الحبر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لانه كان صاحب كتب وقال صاحب القاموس ولا يسمع الاخبار (اي بالمعجمة) الا في الروايات (الحيدر) هو بالحاء المهملة من اسماء الاسد واللحانون يستعملونه (هذا الاستعمال لا يعرف في العراق) بالمعجمة وههنا حمل المؤلف عَلَى الناس متأففاً من الجهل والتقليد فكأنه يدعو هلم اعملوا مستقلين لا يضلكم القديم ولا العادات الموروثة فقال يستعملونه بالمعجمة لعدم زوال الكزازة منهم بتحصيل طرف من العلم بل ربما يسمعون الحق فلا ينتبهون لان ترك المألوف صعب ! (الحيوان) هو بالتحريك جنس الحي وأصله حييان ذكره في القاموس فاسكان الياء كما فعله العامة لحن

فصل الدال

مما فيه (الدعاوي) هي كصحاري[1] جمع الدعوى وبكسر الراء خطأ (الديانة) هي معروفة فلحن بعض العوام بتقديم النون عَلَى الياء (هو غير معروف) وقولهم دناية عن الجهل كناية وعلى اللفظ جناية

فصل الذال

من بعض ما فيه (الاذعان) الغلط فيه من حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت بمعنى فهمت والصحيح اذعنت له ومعناه الخضوع والذل (الاذناب) وقع في مختصرات الصرف (الزاجر عن الاذناب) زعموا انها الاذناب عَلَى وزن افعال جمع ذنب بمعنى الاثم وانما الاذناب جمع ذنب بفتح النون

فصل الراء

جاء فيه (المرثية) هي بالتخفيف مصدر قال في الصحاح رثيت الميت من باب رمى رثاءً ومرثية ايضاً اذا بكيته وعددت محاسنه فتشديد الناس ياءها (وهذا شائع بين المنتمين الى الادب) لحن محض واما القصيدة فهي مرثي فيها (و يصح اطلاق المرثية عليها) (الرفاهية) هي بالتخفيف كالطواغية يقال فلان في رفاهية من العيش اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون (هذا اللحن شائع ايضاً) فيها بتشديد الياء

فصل الزاء

بعض ما فيه (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى (ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم) وفي الحديث (الزعيم غارم) فاستعمال الناس اياه عَلَى انه من الحسبان مبني على الزعم الفاسد

فصل السين

مما جاء فيه (السبق) من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاءً فيقولون (السبقة)

---

(١) لو مثل بالفتاوى لكان احسن لان الصحاري بكسر الراء موجود صحيح

فهو لحن منهم ويمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء للمرة كالضربة لكن من تتبع استعمالاتهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة بل يستعملونها بمعنى المصدر فقط فيقولون (هو من قبيل سبقة اللسان) (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحر به كالغبوق والصبوح لما يشرب في العشاء والصبوح فضم السين (وبالضم يستعملونه اليوم بمعنى السحر الذي هو قبيل الفجر) كما يفعله بعضهم خطأ (السلس) عَلَى وزن كتف تقول شئ سلس اي سهل ورجل سلس اي لين منقاد وفلان سلس البول اذا كان لا يمسكه فالسليس بزيادة الياء عَلَى ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض (مسيلمة) تصغير مسلمة اسم للكذاب المشهور فمن يقوله بالفتح و يدعي الصحة اكذب منه

فصل الشين

فيه (الشباهة) هي لفظة مستعملة بين الناس ولكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفتحتين تقول بينهما شبه

فصل الصاد

فيه (الصلاحية) اخترعها اصحابنا بتشديد الياء واستعملوها لكنها من الالفاظ المهملة والمصدر هو الصلاح والصلوح

فصل الظاء

مما فيه (المظلمة) بكسر اللام عَلَى وزن محمدة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلم يظلم ظلماً ومظلمة انتهي والناس يفتحون لامها فيقولون مثلاً ضرب اليتيم مظلمة اي ظلم وهو خطأ اذ هي بفتح اللام ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما اخذ منك

فصل العين

فيه (المعجب) شاع بين الناس بكسر الجيم وهو خطأ (المعدن [1]) بكسر الدال منبت الجوهر من ذهب ونحوه من عدن بالمكان يعدن اي اقام ومنه (جنات عدن) اي جنات اقامة (الاعطاف) هو جمع عطف بكسر العين بمعنى جنب الشيء والجانبان العطفان والناس يحسبونه جمع العطف بفتح العين بمعني الاشفاق فيقولون (لا يبعد من الطاف مولانا واعطافه ان يفعل كذا) (عاميٌّ) بتخفيف الميم خطأ والصحيح

(١) لم ينتقد فيه شيئاً ولعله يريد ان استعماله في نفس الجوهر خطأ وليس كذلك : المقتبس الاظهر انه اراد شيوع فتح داله وهو خطأ لانه كمجلس ولذا قال الزبيدي في تاج العروس : وحكي كمقعد وليس بثبت اه

بتسديد الميم منسوب الى العامة (العيش) هو بفتح العين وكسرها على ما شاع خطأ لان العين اذا كسرت تلزم التاء كعيشة راضية

فصل الغين

مما فيه (الغذاء) بالذال المعجمة عَلَى وزن كساء ما به نماء الجسم وقوامه هكذا فسره في القاموس وقال في الصحاح (الغذاء) ما يتغذى به من طعام او شراب وقد شاع بين الناس بالدال المهملة اسماً لما يؤكل فقط نفيه غلطان (اي اهمال داله وتخصيصه بالطعام) واظنهم يغلطون من (الغداء) بالفتح والمد ضد العشاء بمعنى طعام الغد كما ان العشاء بالفتح والمد طعام العشاء (الغيبة) بالكسر من الاغتياب وفتح غينها لحن اذ هي بالفتح مصدر بمعنى الغيبوبة

فصل الفاء

فيه (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير نكير لكن الصحيح الفراغ بلا تاء (الفلاكة [1]) هي من الالفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها من لفظ (الفلك) فقالوا به فلاكة وهو مفلوك اي اصابه الفلك

فصل القاف

فيه (القوابل) يستعملونها جمع قابل وهو جمع قابلة لان فواعل في الصفة جمع فاعلة الا فوارس جمع فارس عَلَى ما عرف في موضعه (القنديل) هو بكسر القاف معروف ووزنها فعليل لا فنعيل وفتح القاف لحن مشهور

فصل الكاف

(الكراهية) هي بالتخفيف من مصادر كرهه فتشديد الياء عَلَى ما فعله البعض مما يكرهه السمع ويمجه الذوق

فصل اللام

ممافيه (اللكنة) هي بضم اللام عجمة في اللسان يقال رجل الكن وقد لكن من باب ضرب كما ذكر في اللغة وما زلت اسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وارى بعض الناس حيارى في امثال هذه الاغاليط تارة يصيبون ولا يدرون اصابتهم

(١) اطلق عَلَى بعض الكتب المطبوعة اخيراً في مصر اسم (الفلاكة والمفلوكون) اي الفقر والفقراء وربما هذا الوضع فيما احسب من ناشر الكتاب لا من المؤلف والطابعون يفعلون ذلك كثيراً

ويخطئون ولا يدرون ولم لا يرجعون الى اللغة فيما أشكل عليهم حتى يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين

فصل النون

(المنبر) هو بكسر الميم لكن شاع بين العوام فتح ميمه (هو كذلك اليوم) وكذا ضم ميمه (النزل) بضمتين وبالتسكين ما يهيأ للنزيل اي الضيف والعوام يزيدونه واوا (لعلها من اشباع الضمة) وليس النزول الا مصدراً بمعنى الهبوط والحلول (النزلة) وهي الزكام يقال به نزلة والجمع نزلات والجاهلون يعبرون عنها بالنازلة ويجمعونها على النوازل (تجمع كذلك الآن) وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس كما تفصح عنه كتب اللغة (النقرس) هو داء معروف وزيادة الياء عَلَى ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقريس الدليل الحاذق (النكاة) بكسر النون جمع النكتة واذا ضمت النون حذفت الالف (فيقال النكت) وكثير من الناس يضمون النون ويثبتون الالف هذا بعض ما جاء في الرسالة الاولى ولعلي في فرصة ثانية آتي بثانية الرسالتين النجف محمد رضا الشبيبي

بين الفيحاء والشهباء [1]

عمران حلب القديم والحديث

كان اجدادنا يقطعون المسافة بين دمشق وحلب في تسعة ايام عَلَى الدواب وها قد اصبحنا نقطعها في ست عشرة ساعة في القطار وهو يمر مر السحاب ولو وجدت الشركة داعياً قويا لقطعت اليوم في ساعة فيفطر الراكب في الصباح في الفيحاء ويتعشى في حاضرة سورية البيضاء لان المسافة تقل عن اربعمائة كيلو متر يتيسر قطع الخمسين كيلو متراً في ساعة واحدة من رياق الى حلب والخط بينهما من النوع العريض وقطاراته منظمة اكثر من قطارات بيروت — دمشق — حوران او يافا — القدس او حيفا — دمشق — المدينة

(١) نشرنا بضعة فصول من هذه المقالات في جريدة المقتبس واذ رأينا العامة من قرائها تبرموا بها عمدنا الى قطع سلسلتها قبل ايراد تتمتها وزدنا عليها مافاتنا الالمام به وحذفنا منها مالا علاقة له بموضوع المجلة

اتيت الشهباء او عاصمة سورية البيضاء [١] لاول مرة فرأيت فيها الصورة التي كانت تتخيلها المخيلة الا قليلاً وذلك لان القدماء والمحدثين اشبعوا الكلام عليها اكثر من كل بلد سواها ولان الحكومات التي توالت عليها رفعت من شأنها واعلت من بين البلدان ذكرها . وناهيك ببلد كان ينزله ويمدحه ويحن اليه مثل البحتري [٢] والمتنبي والصنوبري وكشاجم والمعري والخفاجي وابن جبوس والوزير المغربي وابي العباس الصفري وابي فراس والحلوي وابن سعدان وابن حرب الحلبي وابن النحاس وابن ابي حصينة وابن الحداد وابن العجمي والملك الناصر ويافوت وغيرهم من رجال الادب والعلم . وما قاله الشعراء في مدحها يكاد يقرب مما قالوه في اختها الفيحاء فقد قال كشاجم:

ارتك ندى الغيث آثارها   واخرجت الارض ازهارها
وما امتعت جارها بلدة   كما امتعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما يشتهى   فزرها فطوبى لمن زارها

وقال البحتري

اقام كل ملث الودق رجاس   عَلَى ديار بعلوى الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع   من بانقوسا وبابلى وبطياس
منازل انكرتنا بعد معرفة   واوحشت من هوانا بعد ايناس
ياعلو لوشئت ابدلت الصدود لنا   وصلاً ولان لصب قلبك القاسي
هل لي سبيل الى الظهران من حلب   ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال المتنبي

كلما رحبت بنا الروض قلنا   حلب قصدنا وانت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا   واليها وجيفنا والذميل

اول من استوطن بقعة حلب [٣] بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر وقد كانت فرقة منهم فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب . وسكن حلب ابراهيم الخليل ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا عَلَى تلك

(١) في قاموس الجغرافية القديمة : كان القدماء يطلقون هذا الاسم عَلَى شمالي الشام وارض كبدوكية Cappadoce وكيليكيا Cilicie الشرقية

(٢) الدر المنتخب لابن الشحنة

(٣) تحفة الانباء في تأريخ حلب الشهباء ليشوف الجرماني .

البقعة واخرجوا منها اولاد حام فسميت مملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة الآرام وهي من الخابور الى الفرات والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وما قرب منها والثالثة مملكة آرام صوبا وهي الجبول من ضاحية حلب وما قرب منها

ووصفت حلب بالشهباء لان القادم اليها تتراءى له بيضاء من بعيد بخلاف غيرها من البلدان . ويقولون انها من بناء العمالقة بدليل الكتابة التي وجدت عَلَى الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقان داخل باب انطاكية مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحاتيين وكانت هذه الكتابة مصطلحاً عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلغتهم هلبون وهلبة واستمرت بايديهم الى ان اتى ملوك الفراعنة من مصر وحاربوهم وملكوها منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة آلاف سنة ثم استردها الكيتا منهم صلحاً

واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستمائة وستين سنة وقد عثروا في قرية من قرى جبل سمعان قرب حلب اسمها كفرنابو عَلَى الصنم الذي كان يعبده البابليون ومعنى نابو بلغتهم اله فيكون معنى كفرنابو قرية الاله

وفي سنة ٨٦٠ ق . م حارب شلمناصر الرابع الحاتيين وملك حلب في جملة ماملك من البلاد فظل ملوك الحاتيين تحت سلطة البابليين الى ان اتى ملوك العجم واستولوا على البلاد واخرجوا البابليين منها وبقيت بايديهم الى ان جاء الاسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خلبء ولما حولها خلبن بالخاء المعجمة وكانوا يقولون لها برو يا لانها فيما قيل تشبه احدى مدنهم ولعلها عربية من قولهم بر يري لان الناظر الى البر من قلعة حلب يراه ممتداً امامه .

وجدد سلوقس نيكاتور احد ملوك الرومان قبل المسيح بثلاثمائة واثنتي عشرة سنة بناء نحو النصف من مدينة حلب وبنى القلعة وامر اليهود ان يختلفوا اليها للتجارة و يقيموا بها فكثرت دورهم حتى بلغت نصف ساعة طولاً ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سورية وانطاكية

واراد السلوقيون ان يزيدوا في بناء حلب ثم عدلوا موثرين لقنسرين لانها كانت اعظم والتجار يختلفون اليها اكثر فكانت تأتيها القوافل من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر عن طريق قنسرين ولم يكن في حلب ما لقنسرين من

الصناعات وغيرها حتى ان تجار اوربا كانت تأتي اليها من السويدية في طريق انطاكية ويأتي اليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس (مسكنة) ولم تكن الطريق في ذلك الوقت سالكة الي حلب الا من يقصد الذهاب الى منبج (هيرابلس)

وقنسرين هي التي نسب اليها احد اجناد الشام الخمسة وهي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والجند هنا بمثابة الفيلق في ايامنا يتجمع فيه الجند و يقبضون أعطياتهم قال ابن جبير: ان قنسرين بلدة شهيرة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالامس فلم يبق الا آثارها الدراسة ورسومها الطامسة ولكن قراها منتظمة لانها عَلَى محرث عظيم من البصر عرضاً وطولاً وقد فسر ياقوت سبب خرابها ووصف موقعها فقال انها كورة بالشام منها حلب فتحت عَلَى يد ابي عبيدة بن الجراح سنة ١٧ ﻫ وكانت مدينة بينها و بين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم و بعضهم يدخل قنسرين في العواصم وما زالت عامرة آهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم عَلَى مدينة حلب وقتلت جميع من كان بربضها فخاف اهل قنسرين وتفرقوا في البلاد فلم يكن بها في القرن السادس الا خان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وذكر ابن جبير الخانات من حلب الى قنسرين الى باقدين ان خانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقة في غاية

والعواصم [1] حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك وربما دخل في هذا ثغور المصيصة(Mobsueste) وطرسوس (Antradus)وتلك النواحي ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً فلما استخلف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك ابن صالح في سنة ١٧٣ فبنى فيها ابنية مشهورة ذكرها المتنبي في مدح سيف الدولة فقال :

لقد اوحشت ارض الشام طراً سلبت ربوعها ثوب البهاء

(١) معجم البلدان

تنفس والعواصم منك عشر فيوجد طيب ذلك في الهواء

جدد الملك كيرو يس الشرواني ما انهدم من سور حلب وقت حرب العجم وعمر بالقرب من باب انطاكية بيتاً للنار لانه كان ممن يعبدونها فاشتملت حلب اذ ذاك على اربعة انواع من الديانات وهي اليهودية والنصرانية وعبدة الاوثان وعبدة النار ثم دخل الاسلام وكانت حلب في المذاهب الاسلامية تختلف باختلاف الدول عليها شأنها في ذلك شأن دمشق فتارة توالي علياً واصحابه واخرى توالي غيره

ولما اراد بدر الدولة ابو الربيع سليمان ابن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب بناء اول مدرسة للشافعية في هذه المدينة لم يمكنه الحلبيون اذ كان الغالب عليهم حينئذ التشيع وكان اهل حلب كلهم سنية حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعية وشافعية وهو الشريف ابو ابراهيم الممدوح

وقد اتى صلاح الدين يوسف بن ايوب وخلفاؤه عَلَى التشيع في حلب وكان المؤذنون في جوامعها يؤذنون بحي عَلَى خير العمل وحاول السلجوقيون الاتراك مرات القضاء عَلَى التشيع في هذه الديار فلم يوفق لذلك الا الملك الناصر صلاح الدين كما ضرب على التشيع في مصر وكان على اشده فيها عَلَى عهد الفاطميين بحيث لا يكاد عالم مصري يصرح بمذهبه اذ ذاك ولا يزال الى اليوم اثر من آثار التشيع بادياً على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل الجوشن بظاهر الشهباء وفيه ذكر الائمة الاثني عشرية وكان حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب التي نشرت التشيع في حلب وجوارها وابتدأت حكومتهم سنة ٣٣٣ هـ وانقرضت سنة ٣٨١ وفي سنة ١٤١ ظهر في حلب قوم يقال لهم الراوندية خرجوا بحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلاً بحلب فيما قالوا ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا منه فكسروا وهلكوا

ولقد كان لحلب كما كان لغيرها من امهات المدن الاسلامية عرامة وشدة في التعصب عَلَى المخالفين و يعد في سيئات الجامدين تألبهم على الشهاب السهروردي الحكيم الالهي العالم فقد حاورهم فبزهم في حضرة صاحب حلب الملك الظاهر غازي [1] بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف فلم يروا واسطة لاهلاكه احسن من الاستشفاع بوالد مليكهم فكتبوا اليه محضراً وبالغوا في عاقبة امر السهروردي حتى صدر الامر الى الملك الظاهر بقتل هذا الفيلسوف فاختار ان يلقى الله بمنع الطعام والشراب وعنه وهلك في قلعة

(١) تراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة

3/6

حلب وقبره فيما بلغني معروف الى اليوم ناعياً عَلَى الدهر تلاعب اولئك المتلاعبين بالدين والمتعصبين لاهواء نفوسهم زارياً على عصور الظلمات ولو كره السفسطائيون عاداً ذلك سيئة لصلاح الدين وان كانت اعمال هذا كلها حسنات وايامه غرراً محجلات . قضى السهروردي ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره وكم مثله من حكيم قضت عليه اهواء معاصريه ولو عمر لملأ الدنيا علماً وعقلاً

وبعد فقد كان شأن حلب في العهد الاسلامي شأن سائر مدن الشام دخلت في حكم بني أمية ووليها عمالهم ثم انتقلت الى ايدي بني العباس ووليها صالح بن علي سنة سبع وثلاثين ومائة فنزل حلب وابتنى بها خارج المدينة من شرقيها قصراً بقرية يقال لها بطياس بالقرب من النيرب وآثاره باقية ذكرها البحتري وغيره في اشعارهم وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب وآثروها عَلَى دمشق ومنهم هشام ابن عبد الملك انتقل الى الرصافة Sergiopolis وسكنها واتخذها منزلاً لصحة تربتها ومنهم عمر بن عبد العزيز اقام بخناصرة واختارها منزلاً ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناعورة وابتنى بها قصراً بالحجر الصلد الاسود

وما زال عمال بني العباس يتولون من امر حلب ما يتولون من سائر بلاد الخلافة حتى ولي المعتصم اشناس التركي الشام جميعه والجزيرة ومصر وجاء القرامطة حلب سنة ٢٩٠ فقاتلهم اهلها ودخل الاخشيد حلب وافسد اصحابه في جميع النواحي وقطعوا الاشجار التي كانت ظاهر حلب كانت كثيرة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً . قال ابن الخطيب : وكانت حلب كثيرة الاشجار وكان موضع بانقوسا (احد احيائها اليوم) اشجار كثيرة كما ذكر ابن الملا في تاريخه ايضاً فقد كان الاخشيد اذا نزل حلب يقطع اشجارها ويحاصرها فاذا اخذها ورجع الى مصر جاء سيف الدوله بن حمدان وفعل ذلك الفعل وتكرر ذلك منهما حتى فني مابها من الشجر ولذلك لما امر الملك المؤيد شيخ بتسقيف قصر القلعة امر ان يقطع له من الاخشاب من بلاد دمشق فقطعت وجيء بها الى حلب في غاية الطول ونهاية الغلظ وقيل ان بعض الاخشاب المذكورة كانت من بعلبك ولما جاء الصليبيون حلب سنة ٥١٨ اخذوا يقطعون اشجارها من جملة ما اتوه من تخريبها . وحدائقها المشجرة اليوم قليلة ليس بينها و بين ضخامة المدينة نسبة

وتشرب حلب من نهر قويق وهو نهر ينبعث [1] عَلَى ستة اميال من دابق ثم يجري الى

---

(١) نخبة الدهر لشيخ الربوة

حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين عشرين ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يصب في بحيرة المطبخ وذلك في زمن الشتاء وقال يافوت ان مخرجه من قرية تدعى سبتات وقيل ان مخرجه من شناذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر في رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً الى حلب ثم يمتد الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يغيض في اجمة هناك فمن مخرجه الى مغيضه اثنان واربعون ميلاً وماؤه اعذب ماء واصحه فيما قال ياقوت الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً وقد احسن القيسراني في وصفه قوله :

رأيت نهر قويق فساءني ما رأيت
فلو ظمئت وأُسقيـ ـت ماءه ما رويت
ولو بكيت عليه بقدره ما اشتفيت

واسم قويق القديم شالوس (١) وسبب تسميته بقويق ان رجلاً من روساء عشائر التركمان في القرن الرابع للهجرة اسمه قويق اغا انشأ لهذا النهر عدة سدود ليجري جرية حسنة فاطلق اسمه على النهر من ذاك الحين وارباب الرقاعة يسمونه اباالحسن وهو ينبجس اليوم من قرية اسمها چاغديغين من اعمال عينتاب ويجري الى قرية تبعد عن حلب ثلاث ساعات اسمها حيلان ويصب نحو ثلثه الى حلب تجري اليه فيه عدة ينابيع وجداول من قضاءي عينتاب وكليس وينضم اليه نبع عين التل وعين البيضا المنبجستين من جوار حلب وفي الشتاء تجري بقاياه الى خان طومان وتل طومان من اعمال جبل سمعان وتكون من مياهه بحيرة تجف بحرارة الصيف .

قال ابو فراس :

الشام لا بلد الجزيرة لذتي وقويق لا ماء الفرات مناني
وابيت مرتهن الفؤاد بمنبج السوداء لا بالرقة البيضاء

ويرى بعضهم ان نهر الساجور الذي كان اجراه ارغون الى حلب ليزيد به نهر قويق اذا أُضيف الى ماء قويق تخصب اكثر ضواحي حلب . واصل نهر الساجور من عينتاب وتجتمع اليه عيون أُخر من بلاد تل باشر ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ويرى

(١) سالنامة (تقويم) ولاية حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ .

آخرون ان خير ذريعة لتكثير ماء حلب اقتطاع ترعة من الفرات وهو من حلب عَلَى ١٨ ساعة ولا يمنع انخفاض مجراه عن الانتفاع به في حلب عَلَى علوها وكيف كان الحال فمتى زاد عمران الشهباء يفكر ابناؤها في تكثير مائها

وبعد فقد كانت الحرب سجالاً بين سيف الدولة ابن حمدان والروم منذ استقرت له ولاية حلب سنة ٣٣٦ الى حين وفاته سنة ٣٥٦ فكان يغزوهم ويغزونه فتخرب حلب ثم تعمر واستولوا عليها سنة ٣٥١ وحرقها الدمستق وعاث فيها بالقتل والنهب والسبي وبعد تسعة ايام رحل عنها ولم تكن حكومة سيف الدولة مباركة عَلَى حلب بقدر ما صورها شعراؤه الذين كان يغدق عليهم هباته ليقطع السنتهم ويشغلهم عنه ومن جملة ما قرأناه من مظالمه ان ابا الحصين علي بن عبد الملك الرقي ولي قضاء حلب وكان ظالماً فاذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة وقال: كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك

استولى الروم عَلَى معظم البلاد المجاورة كمرعش واذنة وطرسوس الا ان حلب لم يستولوا عليها وكذلك استولى الصليبيون عَلَى كثير من عمالاتها مثل انطاكية والسويدية ولم يقدر بودوين احد ملوكهم ان يستولي عليها سنة ١١٢٤ م وما زالت حالتها حال بلاد الشام على عهد الدولة الايوبية حتى وافاها التتر وحاصروها سنة ٦٥٨ حصاراً شديداً وقتلوا من اهلها كثيراً وقتل هولاكو اهل حارم عن آخرهم وسبى النساء وخرب اسوار قلعتها عن آخرها وجاء قازان التتري سنة ٦٩٩ فحاصر حلب وخربها وقتل واسر كثيراً من اهلها وجاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ واجرى في حلب ما اجراه في دمشق من الفظائع والنهب والقتل والسبي وفي سنة ٨٦٣ وقع الطاعون بحلب فاحصي من مات بها وبضواحيها فاربى عَلَى مائتي الف انسان وكادت تخرب بالفتن الاهلية سنة ٨٩٦ عن آخرها

كتب ابن بطلان الى هلال بن المحسن الصابي في نحو سنة ٤٤٠ هـ في دولة بني مرداس حلب فقال انها بلد مسوّر بحجر ابيض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر وعَلَى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف وفي الوسط دار علوة صاحبة البحتري وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ ومن عجائب حلب ان في قيسارية البز عشرين دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلاً اه

قلنا وقد اشتهرت حلب في عامة ادوارها باتساع تجارتها لوقوعها في طريق القوافل وتوسطها من بلاد الروم والجزيرة والعراق والشام ولذلك لم تنحط صناعة البز او الاقمشة حتى في ايامنا هذه كما انحطت في معظم بلدان الشام لان لها من بلاد الروم مصارف تنفق فيها سلعها و يعتقد اهل الروم الخير في تجار الشهباء فلا يعاملون غيرهم للالف والعادة وذكر المقدسي ان من التجارات التي كانت تحمل من حلب القطن والثياب والاشنان والمغرة

قال يا قوت ولاهل حلب عناية باصلاح انفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم يتقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة و يتوارثونها و يحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . هذا ما وصف به الحلبيون منذ نحو سبعة قرون وهي اخلاق لم تبرح متسلسلة في اعقابهم الى يوم الناس هذا ولذلك صح ان يقال ان الحلبيين اغنى من الدمشقيين والبيروتيين والحمويين والحمصيين والطرابلسيين والنابلسيين والمقدسيين والعكاويين واليافاويين والحيفاويين

وصف ابن حوقل [1] مدينة حلب في القرن الرابع فقال انها مدينة جند قنسرين وكانت عامرة جداً غاصة باهلها كثيرة الخيرات كان لها سور من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئاً فخرب الروم جامعها وسبى ذراري اهلها واحرقها وكان بها قلعة غير طائلة ولا حسنة العمارة فلجأ اليها قوم من اهلها فنجوا وهلك بها من المتاع والجهات للغرباء واهل البلد وسبيها وقتل من اهل سوادها ما في اعادته ارماض من سمعه ووهن على الاسلام واهله وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال وعراص فسيحة وهي الآن كالمتماسكة ولم تزل اسعارهم في الاغذية وجميع المآكل قديماً واسعة رخيصة وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة وكأنهم معهم في هدنة وليست وان كانت احوالها متماسكة وامورها رضية بمحال جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه من قديم اوقاتها وسالف ايامها

ووصف ابن جبير حلب في القرن السادس فقال : ان هذا البلد موضوعه ضخم جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الابصار حسناً وتستوقف

(١) المسالك والممالك

المستوفز تعجباً واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من الرائي الرياضية قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب الجامع المكرم

وقصارى القول فان عمران حلب القديم يشبه عمرانها الحديث الا قليلاً ومن اعظم ما يجعل الشبه كثيراً بين ادوارها المختلفة ذاك الحجر الابيض المتين الذي يبني الحلبيون به بيوتهم وحوانيتهم وخاناتهم وتكاد تظن الشوارع والحارات والمساكن قطعة واحدة لانها كلها مبلطة معمولة من صنف واحد من الحجارة تنبسط له النفس بخلاف الحجر الاسود الكئيب المستعمل في البناء بدمشق وحمص وغيرهما

وقد اصاب حلب من مقوضات دعائم العمران في القرون الاخيرة ما اصاب غيرها من بلدان سورية ومنها الزلازل والاوبئة التي انتشرت فيها عقيب استيلاء السلطان سليم العثماني عليها سنة ٩٢٢ بعد وقعة دامت ست ساعات بين جنده المؤلف اذ ذاك من ثمانين الفاً وثمانمائة [1] مدفع وجند الغوري الجركسي سلطان مصر والشام الذي كان ضعيف التدبير قليل النظام وذلك في مكان يعرف بمرج دابق عَلَى بضع ساعات من حلب ونهض الحلبيون ففتحوا ابواب مدينتهم للفاتح بزعامة خيري بك والي حلب من قبل الجراكسة كما تلقاه اهل دمشق كذلك لان الناس كانوا سئموا في مصر والشام من حكم الجراكسة وعلقوا الآمال الطويلة بدولة ابن عثمان الفتية القوية وقد استولى السلطان سليم عَلَى مليوني ذهب ومهمات كثيرة كان اذخرها الغوري في خزانة حلب ليقوى بها عَلَى محاربة العثمانيين والاستيلاء عَلَى القسطنطينية منهم فعجل الله باهلاك الغوري وانفض الناس من حوله وابقى السلطان العثماني البلاد عَلَى حالتها الاولى من حيث الادارة في حلب وخطب فيها له لاول مرة ملقباً بخادم الحرمين الشريفين

والظاهر مما في ايدينا من تواريخ حلب انها لم ترتق ارتقاء محموداً على عهد العثمانيين بعد ان كانت في عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل عَلَى قول شيخ الربوة وكان جيش الانكشارية (يكي چرى) وغيره من اكبر ادوات التخريب ينسفون العمران ولا نسف المصائب السماوية ولم ينتظم لها امر لحكومة الاقطاعات والنهب الا عندما جرى تأليف الولايات عَلَى النسق المعارف اليوم في السلطنة سنة ١٢٨٣هـ .

---

(١) سالنامة حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ .

فدخلت الحكومة في طور قليل من النظام واصبحت الحال تحسن باحسان الولاة الذين يتولونهـا فاذا كانوا اعفة قادرين عَلَى الادارة يزيد عمران حلب والا فيقف او يتقهقهر وممن ساعد على عمرانها الحديث وتنظيمها وفتح الشوارع الجديدة فيها عَلَى الاصـول المدنية جميل باشا ورائف باشا

ويكفي في تقدير غنى حلب في القرون الوسطى والقرون الحديثة ايراد دخلها من الجباية والعشور وغيرها والمقابلة بينها . هذا مع غلاء النقود اذ ذاك ورخصها في الايام الاخيرة . فقد كان ارتفاع حلب (١) سنة تسع وستمائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضيـاع والاعمال ستة آلاف الف وتسعمائة الف واربعاً وثمانين الفاً وخمسمائة درهم وذكر ابن شداد تفصيل هذه الارتفاعات من الزكوات والعشور وضرائب البقول والفواكه والخيل والجمال والبقر والغنم والرقيق والصناعات والغلات والحطب والفحم والخشب والحديد والقنب وغير ذلك من الحكورة والمواريث وغيرها فكانت في بعض النسخ ٧،٣٠٥،٠٠٠ درهم

وقال ياقوت (٢) ومسافة ما بيد مالكها في ايام الملك العزيز من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم . قال الوزير الاكرم ابن القفطي وزير صاحبها لياقوت الحموي: لولم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المفاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد عَلَى الف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الامراء الف فارس وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحفظيها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة اخرى يسيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عيناً وحبوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي يجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة الف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى

(١) الدر المنتخب (٢) معجم البلدان

319

فيها متظلم ولا متهضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اه· وقد بلغ دخل حلب سنة ١٣٢٢ شرقية من ضريبة الاملاك والبدل العسكري والاغنام والجمال والاعشار وغيرها ٤٥٦٤٥٨٦ غرشاً صحيحاً ودخل لواء حلب كله ٢٩٤١٦٧٤١٦ غرشاً و بلغ دخل ولاية حلب كلها في تلك السنة و يدخل في ذلك لواء آمرعش واورفة ٤١٩٣٢٢٦١٠٧ قروش صحيحة انفقت الحكومة على جندها وموظفيها وغير ذلك ٦٦٧١٥٩٣٤٤ غرشاً هذا مع ان الجباية لعهدنا فاحشة والضرائب متعددة اكثر من الادوار السالفة · و يقدرون قيمة الدراهم اليوم بثلاثة قروش صحيحة

غنى حلب ولغتها ومعاهدها وتدليها

لما كانت حلب في طريق قوافل الهند اصبحت ممتازة بموقعها منذ القديم بين البلدان ومعدودة قاعدة شمالي سورية وقد كان الافرنج ولا يزالون فيها اكثر عدداً مما هم في دمشق لانها اقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب فكان تجارهم يأتونها من ثغر السويدية يتجرون مع اهلها و يقايضون محصولاتهم بمحصولاتها ومحصولات الشرق ولا سيما الهند وفارس والعراق

وكانت فرنسا والبندقية [1] اول البلاد الاوربية التي اتجرت مع حلب واقامت معها الصلات المهمة والمكاتب التجارية ثم جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلاهم الهولانديون ولا يزال الافرنج فيها الى اليوم يقربون من عدد اخوانهم نزلاء بيروت و بعضهم تناسلوا في حلب وارتاشوا وتأثلوا وعدوا كأنهم من اهلها · وقد كان البنادقة يتجرون بالبهار يأخذونه من حلب بكميات وافرة كما كانوا يجلبون منها الشب والقطن

واهم ما اصاب حلب من الزلزال زلزلة سنة ١١٧٠ م عَلَى عهد نور الدين محمود بن زنكي فقام يرممها وقلعتها وقد اصيبت بزلازل مدمرة في قرون مختلفة وآخرها زلزال سنة ١٨٢٢ الذي خرب به ثلثاها وزلزال سنة ١٨٣٠ ونهضت حلب عَلَى عهد حكم ابراهيم باشا المصري من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ م اذ قد جعلها معسكراً له

لا يتجاوز سكان حلب في التعداد الرسمي الـ ١٣٠ الفاً وربما كانوا في الحقيقة نحو ١٨٠ ثلثاهم او اكثر من المسلمين والباقون روم ويهود وارمن وموارنة وكاثوليك وبرتستانت ولكل طائفة من الطوائف الغير الاسلامية عدة مدارس ابتدائية ·

(١) دليل بهدكر لسورية وفلسطين

والمسيحيون متشبعون بالعربية اكثر من اخوانهم المسلمين لانهم اكثر عراقة في التعلم بفضل مدارسهم الطائفية والافرنجية . اما المسلمون فان المتعلمين منهم يتعلمون عَلَى الطريقة التركية ليعيشوا عالة على التوظف ولذلك ترى الشعور العربي يقل في حلب مع ان اهلها كلهم يتكلمون بالعربية اللهم الا بضع مئات من الاتراك الاناضوليين الذين ينزلونها للتجارة او الموظفين الذين يأتونها لخدمة الحكومة

وليس للمسلمين مدارس اهلية راقية والمدارس التي تصيغ المأمورين هي المدرسة السلطانية وكانت اعدادية من قبل فقلبوا اسمها كما قلبوا اسم كثير من اسماء المكاتب الاعدادية في امهات المدن العثمانية والمكتب الرشدي العسكري ومكتب الصنائع وفيها ٩٢ كتاباً ومدرسة ابتدائية اميرية و ٣٩ مدرسة لغير المسلمين و ٣٢ مدرسة دينية و بعضها عامر و ٣ مكاتب للاناث و ٧ خزائن كتب عامة كان فيها ١٦٠٠٠ منزل ونحو ٨٠٠٠ دكان ومخزن و ١١٧ خاناً و ١٠٦ احياء و ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً و ١٩ تكية وزاوية و ٤٠ حماماً و ٢١ كنيسة وديراً و ٤ بيع و ٢٩ طاحون ماء و ١٢٨ طاحوناً على الدواب و ٣٠٠٠ نول و ١١٢ فرناً و ٨ مدابغ و ٢٧ معمل مناديل وزهاء ١٠٠ قهوة و ١٢ معمل صابون و ٥٠ خمارة و ١٨٨٥ حديقة

وحلب برزخ بين البلاد العربية والتركية وعَلَى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المتكلمون بالعربية وتصبح البلاد تركية محضة وان كان من اقضية حلب القريبة من لا يعرفون غير التركية من الفلاحين اسكنتهم الحكومه هناك مهاجرين من بلاد بعيدة . فمعظم اقضية لواء حلب يتكلم اهلها بالتركية كما ان اهالي لواءي اورفة ومرعش يتكلمون بالتركية و بعض العشائر في لواء مرعش يتكلمون بالكردية وفي بعض الاقضية جراكسة يتكلمون بالجركسية وهم مهاجرون و بعض السكان في بعض الاقضية من التركمان والعرب

ويمكن ان نلخص من ذلك ان جهات الغرب من حلب كلها عرب وهي عبارة عن اقضية ادلب وحارم وجسر الشغور ما عدا بعض قرى من اعمال حارم سكانها جركس وسكان العمق اكراد ومن الشمال من حلب الى قبيل كليس عرب وتتكلم بعض قراهم بالتركية والعربية ومن كليس الى اورفة فصاعداً كل السكان اتراك ومن الجهة الشرقية جميع السكان عرب وكل قضاء الباب في الشرق الشمالي من حلب عرب وفيهم قليل جداً من التركمان والاتراك والاكراد والجراكسة وكل قضاء منبج جركس نزلوه حديثاً

320

وفيهم عرب وقضاء الرقة عرب وقضاء المعرة في الجنوب عرب كله ٠ و يقال ان اهالي قضاء عينتاب يتكلمون بالتركية وقضاء كليس وان تكلم اهل المركز بالتركية فان النواحي يتكلم اهلها بالعربية والتركية والكردية

واهل قضاء اسكندرونة يتكلمون عَلَى الاكثر بالتركية والارمنية واهل انطاكية منهم من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية فيصح ان يقال فيهم ان تركيهم تعرب وعربيهم تترك واهالي ادلب كلهم عرب وكذلك اهالي حارم وفي بعض قرى هذا القضاء مهاجرون من الاتراك والجركس والتاتار واهالي قضاء بيلان يتكلمون بالتركية واهل اقضية المعرة والباب وجبل سمعان واهالي مركز قضاء جسر الشغر وناحية المضيق عرب وناحية اردو اتراك واكثر اهالي قضاء منبج من مهاجري الجراكسة واهل قضاء الرقة عرب واهالي قضاء حران منهم من يتكلم بالعربية ومنهم بالكردية ٠

هذه هي اللغة الغالبة عَلَى حلب واعمالها وليس اليوم في هذه المدينة ما يستحق الذكر من اعمال العمران سوى بناياتها الجديدة التي أُقيمت الاقليلاً على مثال ابنية الامم الراقية منفردة بعضها عن بعض ليتخللها الهواء والشمس بعيدة عن الطرق العامة لان السكان من عادتهم اليوم ان يؤخروا بناء بيوتهم وحوانيتهم ما امكن و يعطوا فضل اراضيهم للشارع حتى يكبر بحسب الخريطة التي تريدها البلدية ولذلك تجد الاحياء الجديدة مثل العزيزية والجميلية فسيحة عريضة كأنها بنيت في يوم واحد او هي لرجل واحد وكان من ذلك ان صرفت واردات البلدية القليلة وهي لا تتجاوز الستة آلاف ليرة مسانهة عَلَى تنظيف المدينة وتطهيرها وتنويرها

ولقد كنا نود ان نرى في الشهباء نهضة علمية راقية لما عرف في اهلها من الذكاء والمضاء والحساب للعقول ولكن رأينا الخاصة الذين يرجى منهم ان يسيروا في المقدمة مشاغلين بخويصة انفسهم ومن كان عَلَى خطتهم من المتأدبين وأبهم النيل من الكبراء وارباب النفوذ والثراء ممن يتوفرون عَلَى اعنات الفقراء واجتجان الصفراء والبيضاء وربما صح اكثر هذه الشكوى ولكن لا حيلة فيمن اعجزوا الحكومة وعرفوا كيف يصرفونها على ما يشاؤن ٠ وعندنا ان يترك الطعن جانباً وتتعارف الطبقة المستنيرة الى الطبقة القابضة عَلَى زمام البلاد من الاعيان الموسرين ليتسنى بذلك النهوض بالشعب المسكين وتثقيف عقول الناشئة وما دام الاختلاف مستحكماً بين المنورين والموسرين فالغرباء يجدون سبيلاً الى التلاعب و ينطبق ذلك مع رغائبهم

نحن نعتقد انه ربما كان من ارباب اليسار من جمعوا ثرواتهم الطائلة من طرق غير مشروعة في حكومة عبد الحميد وقبله ولكننا نعتقد ان منهم من جمعوها بالاتفاق كأن تتوالى سني الجدب — والخصب قلما يدوم سنين كثيرة في حلب وعملها — فيأتي الفلاح باكيًا شاكيًا الى ذاك الوجيه يتخلى له عن كل ما يملك من عقار وارض ليعوله وعياله ويدفع عنه الضرائب والعشور التي يتعذر عليه جداً في غير سني الخير ان يقوم بها حق القيام

وسواء جمع ارباب اليسار ما يملكون بالطرق القانونية المشروعة او من السحت البحت وارهاق الفلاح والعبث بمصلحة الفقير فان من ملك ملك ومن هلك هلك وليس من وسيلة الآن لنزع ما ملكوا من ايديهم فالاحجى ان تحسن سياستهم في الجملة للانتفاع من اموالهم تصرف على اعمال الخير وانشاء الكتاتيب والمدارس . وما نظن اكثرهم الا قانعين من الطبقة المستنيرة بالسكوت عما مضى . وماتم في الغابر هو ولا جرم نتيجة ضعف الحكومة وفسادها ولو عرفت منذ القديم كيف تحسن سياسة الرعية وتدفع الناس بعضهم عن بعض لما اختل النظام ولرضي الخاص والعام .

نحن نعلم ان اموال الاغنياء هنا بل وفي كل مكان تصرف عَلَى الاكثر فيما لا يرضى عنه الادب والاخلاق وان ابناء الطبقة الوسطى امضى عزائم واجمل اخلاقًا ولكن ليست المهارة في النقد من بعيد بل المهارة بدخول المجتمع واصلاح ما امكن من مفاسده ومهلكاته . ان في التباعد جفاء وفي الاجتماع حسن تفهم وكم من عدو لك بتحككك به ينقلب عَلَى الزمن صديقًا وكم من صديق يكون بابتعادك عنه عقوقًا .

ان ما رأيناه من حلب وهي ما هي من عظمتها وغناها وما نقل لنا وشهدناه من تنوع ضروب الفجور والملاهي فيها ابكانا عَلَى قاعدة من اهم قواعد الشام وكهف عظيم من كهوف الاسلام ودعانا الى ان ننسب القصور للعالمين والجاهلين عَلَى السواء فلا يخلص من تبعة هذا الانحلال عاقل واللوم يلحق العالم قبل ان ينال الجاهل

تالله لو صرفت حلب ربع ما تنفقه في سبيل اللهو والموبقات عَلَى المعارف والآداب الرافعة لاصبحت في بضع سنين ذات مدنية راقية . وبعد أليس من العار ان تكون نابلس في فلسطين وهي مشهورة بانغماسها في حمأة الجهالة وصغيرة بعدد نفوسها اقرب الى التعلم من حلب دخل من ابناء اعيانها بضعة وعشرون ليدرسوا في مدارس الاستانة العالية وبضعة قصدوا ديار الغرب ولا نرى الا عدداً قليلاً من الحلبيين يقصدون

الاستانة ليتخرجوا في مدارسها ليجيء منهم اتكاليون من عباد الوظائف وعبيد الحكومة ولا نرى في الغرب من ابنائهم سوى اثنين او ثلاثة فقط وبهذا نرجو النهوض ونتوسل باسباب الارتقاء

أليس من العار ان يكون بلد يبلغ بمساحته ضعفي مساحة دمشق وفي غناه التجاري من اهم المدن التجارية في البلاد العثمانية وفي طيب مناخه من اجود البقاع وفي مضاء سكانه مثلاً مشهوراً ثم لا تشهد فيه صحيفة عربية واحدة تصدر باسم رجل مسلم من اهلها يعرف طرق الاصلاح ويحسن المطالبة به · ولا مدرسة ابتدائية اهلية تعلم ابن الفلاح والتاجر والصانع ما يلزمه في دينه ودنياه ولا نادياً ولا جمعية ولا شركة تنفع في التعارف والتعاطف والتكافل ·

ان معظم البلاد استفادت من نعمة الدستور فهبت تتعلم وتفكر في الاصلاح ولكن حلب عَلَى ما ظهر لنا في مؤخرة البلدان التي لم تدرك حتى الآن ما يراد بالحرية · ان تلك الطائفة التي تعتز اليوم باموالها وبنيها سيجيء عليها زمن تدثر هي وماجمعت ومن جمعت لهم ان لم تعالج ذاك الضعف المميت بقوة العلم والاخلاق ويستخلف ربنا غيرها في ارضهم ممن يصلحها شأنه في خليقته منذ دحى الارض ورفع السماء

قلعة حلب

اصاب الآثار القديمة في هذه المدينة مااصاب آثار غيرها من البلدان فلم يبق منها الا انقاض تنبئ بمغالاة السلف في تجويد البناء واحكامه ومن اهم هذه العاديات قلعة حلب فهي الفخم ما في الديار الحلبية من القلاع بنيت وسط المدينة عَلَى اكمة ربما كانت صناعية ويحيط بها خندق عظيم كان القدماء يملأونه ماء ليتعذر الوصول اليها الا من مدخلها وهذا من احصن ما يتصور العقل ويقال ان مدينة بروا *Beroea* اي حلب القديمة كانت كلها مبنية في هذه القلعة وقد تعاورتها الايدي بالبناء في قرون مختلفة وظلت مسكونة الى سنة ١٨٢٢ م ايام خربت بالزلازل

يسير الداخل الى القلعة على جسر بديع اقيم فوق الخندق فيبلغ برجاً خارجاً جعل في واجهته انواع من نوافذ الحديد البديع قيل انه من عهد الملك الظاهر لما وجد في مدخله من كتابة تاريخها سنة ٦٠٥ مع بعض الآيات الكريمة وقد بذل بعض علماء الآثار قدراً وافراً من المال لقلع تلك النوافذ واخذ حديدها واحجارها الى متاحف اوربا فلم تقبل الحكومة ولا تزال تحظر الدخول الى القلعة الا برخصة لانها جعلت فيها مستودعاً

لبعض المهمات العسكرية وفي دهليز القلعة المتعرج عدة كتابات ونقوش بارزة عَلَى الحجر ومنها صورة نمرين عَلَى يمين الباب ويساره من اجمل ما زبرت ايدي النافشين عَلَى الصخور فاذا دخل المرء من الباب وجد ساحة وآثار عدة شوارع وركاماً من الانقاض بعضها انقاض جامع ومأذنة وأُخرى انقاض اروقة واخرى محال لرصد العدو وفي الوسط صهريج كبير يستقى منه الى اليوم ماء عذب والغالب انه من ماء المطر . والناظر الى حلب من قلعتها يدرك عظمتها ويتجلى له برها الفسيح البديع ولا سيما زمن الربيع وقد اكتست السهول والجبال بحللها السندسية

قال ابن الشحنة اول من بنى قلعة حلب سلوقس الذي بنى مدينة حلب وهي عَلَى تل مشرف عَلَى المدينة وعليها سور محكم البناء وفي وسطها بئر ينزل اليها بمائة وخمس وعشرين درجة قد هندست تحت الارض ويقال لها الآن ساطورة وكان بها دير للنصارى ويقال ان في اساسها ثمانية آلاف عمود ولما ملك كسرى حلب بنى بها مواضع ولما فتحها ابو عبيدة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رمم اسوارها لانها خربت بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتح فاخربت اسوار البلدة والقلعة

ولما استولى نقفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ امتنعت عليه القلعة ولم يكن لها يومئذ سور محكم ومن ذلك الوقت اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها فبنى سيف الدولة وابنه سعيد الدولة وبنو مرداس وعماد الدين اق سنقر وابنه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وابنه الملك الصالح ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعاً للماء ومخازن للغلات وبنى سفح تلها بالحجر الهرقلي واعلى بها الى مكانه الآن وبنى عَلَى الباب برجين لم يبن مثلهما قط وجعل لها ثلاثة ابواب حديد ولما تسلم التاتار القلعة اخربها واخرب اسوارها واخذ ما كان بها من الذخائر والزردخانات والمجانيق ولم يبقوا بها مكاناً للسكنى واستمرت خراباً الى ان جددت عمارتها في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولما اتى التمرلنك اخرب اسوار البلد والقلعة واحرقها واستمرت خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً من قبل الملك الناصر فرج برقوق فأمر ببناء القلعة والزم الناس بالعمل في الخندق وازال التراب منه حتى انه عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس بحيث كان الامراء يحملون الاحجار عَلَى ظهورهم اهـ

هذا اجمل تاريخ لهذه القلعة البديعة اكبر قلاع سورية واهمها الى القرن العاشر . وما نظن العثمانيين جددوا فيها شيئاً بعد الى يومنا هذا وقد وصفها ابن جبير في رحلته فقال

ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبان فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ ابد الدهر والطعام يصهر فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة اهم ولا آكد من هاتين الخلتين و يطيف بهذين الجبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد و يعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة اعظم من ان تنتهي لي اوصفه وسورها الاعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالي المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانًا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية اه . وهذا اخصر وصف للقلعة زمن عزها وعمرانها ايام كان بها « يضرب المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفي وسط هذه القلعة تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان و بساتين ودور كثيره »

وما احرى هذا الحصن بقول البحتري من قصيدة يصف بها ايوان كسرى :

لو تراه علمت ان الليالي ... جعلت فيه مأتمًا بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم ... لايشاب البيان فيهم بلبس
ليس يدري أصنع انس لجن ... سكنوه ام صنع جن لأنس
عمرت للسرور دهرًا فصارت ... للتعزي رباعهم والتأسي
فلها ان أعينها بدموع ... موقفات عَلَى الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري ... باقتراب منها ولا الجنس جنسي

زراعة حلب

ليس في ظاهر حلب من الحدائق الانيقة ما يبلغ نحو عشر ما في ظاهر دمشق عَلَى كثرة الماء وجودة التربة هنا . اما في اعمالها فتنبت اكثر الحبوب وتجود معظم الثمار ولولا قلة الري التي تحدث بعض السنين بقلة الغابات وتدرجها نحو الفناء وما يعشش في اوباضها من الجراد في معظم السنين لكانت زراعتها كزراعة بلاد دمشق واكثر ومع هذا فان اقضية دمشق لا تعادل اقضية حلب في زيتونها قال المهلبي وتجلب من كور حلب وضياعها ما يجمع جميع الغلات النفيسة فان بلدة معرة مصرين وجبل السماق بلد التين والزيتون والزبيب والفستق والسماق والحبة الخضراء وقال ابن شداد وفي بعض ضواحي حلب ما

يجمع عشرين صنفاً من الغلات · وقال ابن الشحنة ومما اختصت به حلب ماء الورد النصيبي الذي يستخرج بالباب من اعمالها فانه لا يوجد في الدنيا مثله بحيث لا يقاربه شيء مما يجلب الى الديار المصرية من الشام مع ان المجلوب من دمشق عند المصريين في غاية العظمة بحيث يصفه اطباؤهم للمرضى فيقولون ماء ورد شامي · وقال ياقوت ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذياً لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصاً غضاً رويّاً يفوق ما يسقى بالمياه والسيح · وقال ابن حوقل ان ما حول معرة نسرين من القرى اعذاء ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين وكذلك اكثر ما بجميع جند قنسرين اعذاء ومياههم من السماء وقال ابن جبير في بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً

ويصدر من حبوبها اليوم [1] الحنطة والشعير والارز والقطن والحمص والعدس والبقلاء وبذر الكتان والاينسون والسمسم والخردل والكزبرة اليابسة والماش والقصب والدخان وغير ذلك ومن الثمار الفستق الجيد في اقضية حلب وقلعة الروم وعينتاب ويجود الزيتون كل الجودة في اقضية حلب وادلب وكليس وحارم وعينتاب وانطاكية وجسر الشغر وتزيب ويجود الليمون والبرتقال بين انطاكية واسكندرونة وفي حلب والباب يجود الرمان وفي اريحا الكرز والوشنة كما يجود في حلب واعمالها انواع الثمار والبقول على اختلاف ضروبها

ويجود التوت في اقضية انطاكية واسكندرونة وبيلان وحارم بكثرة فيكون منه حرير جيد وفي اقضية الولاية ولواء مرعش مثل اقضية جسر الشغر وانطاكية وبيلان وكليس واسكندرونة وقلعة الروم من اعمال اورفة تخرج غابات كثيرة كالبلوط والدردار والصنوبر والعفص والدفلى وغيرها وفي جبال البستان تخرج على اطراف الانهار والجداول اشجار برية من الحور والصفصاف وفي السهول عرق السوس ففي داخل الولاية يكثر التين والعنب والاجاص والدراق وفي السواحل الليمون والبرتقال والكباد والطورنج ويكي دنيا وفي هذه الولاية يكثر البصل والثوم ويجود البطيخ الاحمر «الجبس» من وراء العقل وتزرع البطاطا في بعض الانحاء كما ان الكمأة تستخرج من باديتها وسهولها

(١) تقويم حلب السنوي ١٣٢٤

هواء حلب وصحتها

يبلغ ارتفاع حلب خمسمائة متر عن سطح البحر وبالنظر لتعرضها لحرارة الشمس من جهاتها الاربع وعبث الرياح التي لا يحول دونها حائل من الاشجار او غيرها كان بردها شديداً وحرها عَلَى تلك النسبة فهواؤها اقل اعتدالاً من هـواء دمشق يزيد في ذلك قلة مياهها في الدور كما هي في دور الفيحاء المشهورة بقاعاتها واحواضـها · فهواء حلب جاف معتدل للغاية ولولا بناء منازلها بالحجر لضاقت انفاس سكانها ايام القيظ وقد تبلغ درجة الحرارة الاربعين او اكثر بالميزان المئوي وقد نزلت الحرارة في الشتاء الماضـي الى تحت الصفر بخمس وعشرين درجة ·

ومع ذلك تجد لاهل حلب رجالاً ونساء من صحة الاجسام ونضـرة الوجوه ما لا تكاد تجد مثله في معظم البلاد الداخليـة من سورية · قال المهلبي واما اهل حلب فهم احسن الناس وجوهاً واجساماً والاغلب عَلَى الوانهم الدرية والحمرة والسمرة وعيونهم سود وشهل · قلنا اما البياض الناصـع فهو كثير للغاية ويزيده رونقاً في بعض النساء تلك الحبة التي تخرج عَلَى الاغلب في الوجوه وتترك اثراً في الخدود بحجم الريال يزيدها رونقاً وحسناً

وهذه الحبة يقال لها في هذه البلاد حبة حلب وهناك يقال لها حبة السنة وليست في الحقيقة خاصة باهل حلب بل يشترك فيها سكان الشرق حتى بلاد فارس · واختلف العلماء في تعليلها فقال قوم انها تخرج لخاصية في ماء حلب ولو صحت هـذه النظرية (١) لكان اهـل عينتاب وروم قلعة (قلعة الروم) وبيره جك (البيرة) واورفة (الرها) وخربوت وديار بكر والموصـل ودير الزور وبغداد ناجين منها والحال انها تصيبهم كما تصيب الحلبيين حذو القذة بالقذة · وقال قوم انها منبعثة من الماء ولو كان الامر كذلك لاقتضى من ذلك ان تطلع في سكان القرى البعيدة ساعتين عن حلب عَلَى انك لا ترى لها فيهم اثراً

واغلب الاطباء عَلَى انها من الامراض السارية ودليلهم عَلَى ذلك ان ابراهيم باشـا المصري لما قدم حلب كان في حملته رجل من قرية بشامون في لبنان فاصيب بالقرحة المذكورة وقبل ان يبرأ منها عاد الى بلاده فعدى بها اهل قريته ويقال انها لا تزال الى اليوم موجودة ويقال لها الحبة البشامونية

(١) تقويم حلب الرسمي

والحقيقة ان امر هذه القرحة لم يبرح سراً غامضاً على الاطباء ومرضاً جلدياً يصاب به الاطفال في الطفولية وبعض الغرباء الذين ينزلون حلب في الكبر ويقيمون فيها سنة وقد ينجون منها واعراضها عبارة عن بثور تظهر في اي طرف كان من اطراف الجسم ويكون في الوجه او اليد او الرجل غالباً حتى اذا شفيت بدون ان ينشأ عنها وجع تترك آثاراً وندوباً بيضاء ويصاب بها الغرباء والوطنيون على السواء كما يصاب بها الكلاب والقطط وكثيراً ما تخرج بعد ان يغادر المرء البلاد بزمن

متنزهات حلب

تتغير اسماء المتنزهات كما تتغير اسماء البلدان بتغير الازمان فمن متنزهات حلب القديمة « اشمونيث » قال ياقوت انها عين في ظاهر حلب في قبلتها تسقي بستاناً يقال له الجوهري وان فضل منها شيء صب في قويق ذكره منصور بن مسلم بن ابي الخرجين يتشوق حلب

ايا سائق الاظعان من ارض جوشن   سلمت ونلت الخصب حيث ترود
الى اين عنها تشف مابي من الجوى   فلم يشف مابي عالج وزرود
هل العوجان الغمر صاف لوارد   وهل خضبته بالخلوق مدود
وهل عين اشمونيث تجري كمقلتي   عليها وهل ظل الجنان مديد
اذا مرضت ودت بان ترابها   لها دون كحال الأساة برود
ومن جرب الدنيا عَلَى سوء فعلها   يعيب ذميم العيش وهو حميد
اذا لم تجد ما تبتغيه نخض بها   غمار السرى ام الطلاب ولود

« بابلا » قرية كبيرة بظاهر حلب بينهما نحو ميل وكانت عامرة آهلة في ايام ياقوت قال الوزير ابو القاسم بن المغربي

حن قلبي الى معالم بابـ   ـلا حنين المولّه المشغوف
مطلب اللهو والهوى وكناس الـ   ـخرد العين والظباء الهيف
حيث شطا قويق مسرح طرفي   والاسامي مؤانسي والنيفي

« بطياس » قال ياقوت اهل حلب كالمجمعين عَلَى ان بطياس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا كان بها قصر لعلي بن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر قال البحتري

يا برق اسفر عن قويق فطرتي   حلب فأعلى القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صبغه   في كل ضاحية ومجنى الآس

ارض اذا استوحشت ثم اتيتها حشدت عليَّ فاكثرت ايناسي

وقال ايضاً

نظرت وضمت جانبي التفاتة وما التفت المشتاق الا لينظرا
الى ارجوانيّ من البرق كلما تنمر علوي السحاب تعصفرا
يضيء غماماً فوق بطياس واضحاً ببض وروضاً تحت بطياس اخضرا
وقد كان محبوباً اليَّ لو انه اضاء غزالاً عند بطياس احورا

« تل ماسح » قرية من نواحي حلب ذكرها امرؤ القيس في شعره

بذكرها اوطانها تلّ ماسح منازلها من بريعيص وميسرا

« جوشن » جبل مطل عَلَى حلب في غربيها في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة وقد اكثر شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور ابن مسلم بن ابي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن ناقع فاني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن يحوم عليه للحقيقة برهان

وقال ابن سنان الخفاجي

يابرق طالع من ثنية جوشن حلباً وحيّ كريمة من اهلها
واسأله هل حمل النسيم تحية منها فان هبوبه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوقفة للبين يشفع هجرها في وصلها

قال الخفاجي ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه « حربنوش » قرية من قرى الجزر من نواحي حلب قال حمدان بن عبدالرحيم الجزري

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربنوش سبيل

« دابق » قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها و بين حلب اربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة و بقربها قرية اخرى يقال لها دويبق قال عيسى بن سعدان الحلبي

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ناجوك ما بين الأحص ودابق
أمفارقي حلب وطيب نسيمها يهنيكم ان الرقاد مفارقي
والله ما خفق النسيم بارضكم الا طربت من النسيم الخافق
واذا الجنوب تخطرت انفاسها من سفح جوشن كان اول ناشق

« الدارين » هو ربض الدارين بحلب ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في مواضع من شعره فقال :

يا سرحة الدارين اية سرحة ... مالت ذوائبها علي تحننا
ارسي بواديك الغمام ولا عنا ... نفس الخزامى الحارثي وجوشنا
أمنفرين الوحش من ابياتكم ... حباً بظبيكم اسأ او حسنا
اشتاقه والاعوجية دونه ... ويصدني عنه الصوارم والقنا

وقال الاعشى :

وكأس كعين الديك باكرت خدرها ... بفتيان صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما ... يصفق في ناجودها ثم يقطب
لها ارج في البيت عال كأنه ... الم به من بحر دارين اركب

« دير حشيان » بنواحي حلب من العواصم ذكره حمدان بن عبدالرحيم فقال:

يا لهف نفسي مما اكابده ... ان لاح برق من دير حشيان
وان بدت نفحة من الجانب الـ ... غربي فاضت غروب اجفاني
وما سمعت الحمام في فنن ... الا وخلت الحمام فاجاني
مااعتضت مذ غبت عنكم بدلاً ... حاشا وكلا ما الغدر من شاني
كيف سلوي ارضاً نعمت بها ... ام كيف انسى اهلي وجيراني
لا خلق رقن لي معالمها ... ولا اجتني انهار بطنان
لكن زماني بالجزر اذكرني ... طيب زماني به فأبكاني

« دير رمانين » يعرف ايضاً بدير السابان وهو بين حلب وانطاكية مطل على بقعة تعرف بسرمد وهو دير حسن كبير وكان خراباً في القرن السادس وآثاره باقية وفيه يقول الشاعر:

الف المقام بدير رمانينا ... للروض الفاً والمدام حزينا
والكأس والابريق يعمل دهره ... وتراه يجني الآس والنسرينا

« دير عمان » بنواحي حلب وتفسيره بالسريانية دير الجماعة قال فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان ... هجن غرامي وزدن اشجاني
اذا تذكرت منهما زمناً ... قضيته في عرام ريعاني

ومر ابو فراس بن ابي الفرج البزاغي فقال مرتجلاً :

قد مررنا بالدير دير عمانا ووجدناه داثراً فشجانا
ورأينا منازلاً وطلولاً دارسات ولم نر السكانا
واريتنا الآثار من كان فيها قبل تفنيهم الخطوب عيانا
فبكينا فيه وكان علينا لا عليه لما بكينا بكانا
لست أنسى ياديرُ وقفتنا فيـ ـك وان اورثتني النسيانا
من اناس حلوك دهراً اخلو ك وامسوا قد عطلوك الآنا
فرقتهم يد الخطوب فاصبحـ ـت خراباً من بعدهم اسيانا
وكذا شيمة الليالي تميت الـ ـحي منا وتهدم البنيانا
حربا ما الذي لقينا من الدهـ ـر وما ذا من خطبها قد دهانا
نحن في غفلة بها وغرور وورانا من الردى ما ورانا

« دير مرقس » من نواحي الجزر قال حمدان بن عبدالرحيم يذكره :

الا هل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربنوش سبيل
وهل غفلات الدهر في دير مرقس تعود وظل اللهو فيه ظليل
اذا ذكرت لذاتها النفس عندكم تلاقي عليها وجدة وعويل
بلاد بها امسى الهوى غير انني اميل مع الاقدار حيث تميل

وذكر ابن الشحنة في تاريخ حلب طرفاً صالحاً من متنزهات حلب فقال انها كثيرة فمنها ما يقصد في ايام الاعياد والمواسم ويستوي فيه الخاص والعام كباب المقام داخلاً وخارجاً يجعل فيه فيالات (١) وتعمل فيه انواع الفنون وتعقد به الحلق لارباب الصنائع ويباع فيه انواع المآكل وكذلك خارج باب النيرب وخارج باب الفرج الى ارض المائتين والمجدية وخارج باب النصر وظاهر بانقوسا وظاهر باب قنسرين ماداً الى جسر الانصاري . واما ما يقصد في سائر الايام والاوقات التي تخطر للمتنزهين فأولها من جهة القبلة الابيض ثم مرج الخالدي وعين مباركة وعين اشمونيث وهي المعروفة بعين اشمول وارض بطياس السعدي وهو فضاء فياح تجري فيه انهر متشعبة من نهر واحد بحافتيها مروج خضر وبها من الزهر المختلف مالا يبلغه الوصف ثم الجوهري وهو بستان قديم وصفه الشعراء والبلغاء ومنها الانصاري وجسراه المعروف احدهما بحقل ابن رافع والفيض وجندبات وزاوية عباس

(١) الفيال بالكسر والفتح لعبة للصبيان يخبئون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون في ايها هو

ومنها ارض الخوابي وطواحين السلطان ومشهد الزرازير و بستان شمس لولو وجبل جوشن والقلوت وجسر الطواشي و بستان البقعة و بستان العجمي والكهف و بستان الجزيرة والحيشي وقيصر ومرجة الفرايين وجسر باب انطاكية وجسر باب الجنان وجنينة المهمندار المعروفة آخر وقت بابن نجيح و بستان الوزير وجهة الانكليس ومنها بابلى وهي قرية متصلة ارضها بارض بانقوسا بها عدة جواسق و بحرات وجنينات وغير ذلك . ومنها قرنبيا وجبل البختي والمزازة والميدان الاخضر ومشهد سيدي فارس وقسطل الحاجب و بعادين ومرجة اغلبك وارض باصفراء وعين التل والارض المسماة بالجوز سميت به لاشجار جوز عظام كثيرة الظل عَلَى شاطئ النهر ممتدة الى حيلان وحوش البدوية وهو مكان فياح عَلَى نشز من الارض ينبت فيه الشيح والقيصوم والقرنفل والصعتر ومنها الخناقية والكتف الازرق والارض الجدبة وجوزة الاسقف التي بها بستان النصيبي وتجاه مرج السلحولية ثم جنينة عبيد والناعورة وارض الحلبة ورأس الطابق والنهريات وهي مسافة يومين من اول المسلمية الى تل السلطان .

وللصنوبري الشاعر قصيدة طويلة في وصف بعض منتزهات حلب وقراها القريبة جاء فيها

حبذا الباآت باءآ ت قويق ورباها
بانقوساها بها باهى المياه حين باها
و ببا صفرا و بابلا و با(؟)مثلي وتاها
لاقلي صحراء نافر (؟) قل شوقي لا قلاها
لا صلا اجيال باسلين قلبي لا سلاها
و ببا سلين فليبغ ركابي من بغاها
والى باشقليشا ذو التناهي يتناهى
و بعاذين فواها لبعاذين وواها
بين نهر وقناة قد تلته وتلاها
ومجاري بركة يجلو همومي مجتلاها
ورياض تلتقي آ مالنا في ملتقاها
زاد اعلاها علواً جوشناً لما علاها
وازدهت برج ابي الحارث حسناً وازدهاها

واطبت مشرف الحصـ ـن اشتياقا واطباها
وارى المنية فازت كل نفس بمناها
اذ هواي العوجان السـ ـالب النفس هواها
ومقيلي بركة الشـ ـل وسيبات رحاها
بركة تربتها الكا فور والدر حصاها
كم غراني طربي حيـ ـتانها لما غراها
اذ تلا مطبخ الحيـ ـتان منها مشتواها
ببروج اللهو القت غير لفاني عصاها
وبمغنى الكاملي اسـ ـتكملت نفسي مناها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن غيثا وقراها
كلأ الراموسة الحسـ ـناء ربي وكلاها
وجزى الجنات بالسـ ـعدى بنعمى وجزاها
وفدى البستان من فا رس صب وفداها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن محلولاً غراها
واذكروا دار السليما نية اليوم اذكراها
حيث عجنا نحوها العيـ ـس تباري في براها
وصفا العافية المو سومة الوصف صفاها
فهي في معنى اسمها حذ و بحذو وكفاها
وصلا سطحي واحوا ضي خليليّ صلاها
ووردا ساحة صهر يجي علّي سوق رداها
وامزجا الراح بماء منه اولا تمزجاها
حلب بدر دجى ان جمها الزهر قراها

للرحلة صلة

قانون الجماعات

وشرح المغمض منه

ابنت في جزء سبق ان القوانين التي تبحث عن افعال الناس الناشئة من اجتماعاتهم نقسم الى قسمين : قسم له مساس بالامن العام رأساً وآخر بالواسطة وقلت ان افعال الناس المجتمعة التي قد تخل بالامن العام تظهر في مظهرين . الاول دائمي والآخر موقت والقانون الذى يبحث عن الاجتماعات الدائمة قانون الجمعيــات وقد مرت ترجمته وشرحه شرحاً اجمالياً . واما القانون الذي يبحث عن الاجتماعات الموقتة فهو قانون (الجماعات) وهو موضوع بحثنا اليوم .

***

هذا القانون كناية عن (١١) مادة فقط . وهو مأخوذ عن القانون الصــادر في فرنسا عام ١٨٨١ وكثير الشبه به . وقد نشر في ٢٠ جمادى الاولى عام ١٣٢٧ موافق ٢٧ ايار سنة ١٣٢٥ . عقيب حوادث ٣١ آذار المعلومة .

***

المادة الاولى — . العثمانيون احرار في عقد الاجتماعات العامة بلا سلاح . وبشرط الرعاية للمواد الآتية فلا حاجة لاخذ الرخصة .

ايضاح — . اعلن واضع القانون حرية الاجتماع بهذه المادة بكل صراحة . لان هذا حق من حقوق الامة الطبيعية متولد من حرية الكلام وحرية تعاطي الافكار وحرية اتحاد الآمال .

الاجتماعات قسمان (١) سياسي (٢) وغير ساسي وكلاهما جائز . والدليل قول واضع القانون (الاجتماعات العامة) كما مر في المتن بدون قيد

وهنا تجد بيننا و بين فرنسا فرقاً مهماً يجاب نظر . وهو ان قانون الاجتماع الفرنساوي يمنع الاجتماعات لاجل الانتخابات . واما قانوننا فيجوزها كما هو مستفاد من اطلاق هذه المادة . اي ان قانون الاجتماع الفرنســاوي لا يسوغ الاجتماع الا للمرشحين والمنتخبين فقط . واما قانوننا فهو مطلق الحرية للمرشحين والمنتخبين ولكل ناظر

ثم مر في متن المادة كلمة (العثمانيون احرار) فيفهم من هــذا بان الاجانب ممنوعون

من الاستفادة من هذا الحق · لان لكل كلمة مفهومين : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة · فان ذكر احدهما يستدل عَلَى ان الآخر غير مقصود وغير مطلوب · فقول واضع القانون هنا (العثمانيون) يدل بانه قصد اخراج غير العثمانيين من مدلول هذه الكلمة · ومن هنا يستدل بانه لا يسوغ لغير العثمانيين الاستفادة من حق الاجتماع ·

يقول بعض علماء اصول الادارة الملكية ولا سيما الاستاذ ضيا بك بجواز عقد الاجتماع من قبل الاجانب نزلاء بلادنا بشرط ان لا يتدخلوا بالسياسة المحلية · واما هذا العاجز فيرى ان هذا القول من قبيل التوسع الفكري وليس من التفسير القانوني · لان القانون حصر هذا الحق بالعثمانيين حصراً بيناً بقوله (العثمانيون احرار) بدون تقييد بشيء آخر ·

اما اذا قيل بان هذا حق لكل الافراد طبيعي لا يجوز نزعه من الاجانب · فاقول بان القوانين توضع في الاصل لاجل تحديد كل حق يحتمل ظهور اقل ضرر منه · وناهيك بما يقول له الاجانب حق وهم منفردون وحينئذ احكم كما تشاء عَلَى ما يمكن حدوثه منهم وهم مجتمعون · فلهذا السبب ارى الاكتفاء بصراحة القانون اوفق للاحتياط والتبصر بعواقب الامور · واما ان قيل : اما يسوغ لهم الاشتراك مع العثمانيين في اجتماعاتهم ؟ -- فاقول ايضاً لا يجوز لان القانون وحساب العواقب هكذا يقضيان لان اقل امر يحدث في اثناء الاجتماع ربما احدث اعظم المشاكل مع الدولة التي ينتسب اليها هذا الاجنبي · ولذلك كان اتباع ظاهر القانون اوفق واسلم وانفع · ولا سيما اذا كان الاجتماع سياسياً فعدم قبول الاجنبي فيه من اضر الضروريات لا علاقة له به مطلقاً ·

مر في المتن ايضاً كلمة (بلا سلاح) فاذا كان المجتمعون مسلحين علناً او سراً فهذا الاجتماع ممنوع · اما ان كان شخصان او ثلاثة من بين هذا الجمع الغفير مسلحين فيجب عَلَى هيئة الادارة تجريدهم من سلاحهم واذا امتنعوا فيعد الاجتماع مسلحاً ويمنع ·

مر في المتن ايضاً بان الاجتماع غير متوقف عَلَى اخذ اذن من الحكومة · نعم لا يجب الاستئذان لذلك الا انه لما كان من الممكن وقوع ما لا تحمد عقباه اثناء الاجتماع اشترط واضع القانون بعض الشروط عَلَى مسببي الاجتماع حفظاً للامن العام · وهذه الشروط مدرجة في المادة ٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ كما سيأتي بيانها ·

المادة الثانية — · قبل الاجتماع يجب تنظيم بيان يتضمن يوم الاجتماع وساعته

ومحل وقوعه وان يمضي من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع وان يكونا نائلين حقوقهما المدنية والسياسية على شرط ان يصرحا باسميهما وشهرتيهما وصفتيهما وبمحلي اقامتيهما

ايضاح — · الاجتماع غير منوط باذن الحكومة · الا انه يجب اخبارها بوقوعه لاجل اتخاذ التدابير اللازمة خوفاً من وقوع ما يكدر الخاطر ولاجل منع الاجتماعات الغير الجائزة قانوناً بمقتضى المادة ٣ و٦ و٧ و٨ و٩ من هذا القانون

قيل في المتن (يجب تنظيم البيان قبل الاجتماع) · وهذه المدة يجب ان تكون (٤٨) ساعة · لتتمكن الحكومة من جلب قوة عسكرية كافية من المحال الاخرى ان لم يوجد هناك عسكر · اما فرنسا فجعلت هذه المدة (٢٤) ساعة · بالنظر لكثرة المواصلات هناك وسهولة جلب العسكر ·

مر في المتن ايضاً ضرورة بيان (يوم الاجتماع وساعته ومحل وقوعه) وهذا ايضاً ضروري · لتتخذ الحكومة التدابير اللازمة بالوقت المعين خوفاً من اجراء الاجتماع قبل ان تتخذ الحكومة التدابير الاحتياطية ·

وهكذا قيل في المتن (يجب ان يمضي من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع) فاذا امضى البيان شخصان احدهما متوطن في البلد الذي سيقع الاجتماع فيه والثاني من بلد آخر فهو جائز بنظر القانون · وقصد واضع القانون من كلمة (محل) البلاد والقصبات والقرى ·

مر في المتن (نائلين حقوقهما المدنية والسياسية) واليك البيان :

الحقوق المدنية — · هي ان يكون غير ساقط من هذه الحقوق وهي مذكورة اجمالا في المادة ٣١ من قانون الجزاء ومدرجة في الصفحة (٤٦٥) من مقتبس هذه السنة في شكل خلاصة الخلاصة

الحقوق السياسية — · هي الحقوق التي تؤهل المرء للاشتراك في ادارة المملكة · مثل حق انتخاب المبعوثين وحقوق التوظف في دوائر الحكومة والعسكرية الخ ·

ثم يجب ان يصرح هذان الرجلان اللذان سيمضيان البيان باسميهما وبشهرتيهما وبجميع علائمهما المميزة ليسهل على الحكومة البحث عنهما عند الاقتضاء ·

المادة الثالثة — · يعطى البيان في استانبول لناظر الضابطة وفي الملحقات للولاة والمتصرفين والقائممقامين والمديرين · وبمجرد اعطاء البيان يؤخذ مقابله علم وخبر ·

وان يعطى علم وخبر فلمقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط وامضاؤها من شخصين من الحاضرين يكونان من الحائزين على الشروط المدرجة في المادة الثانية . وحينئذ يسوغ عقد الاجتماع . ويجب التصريح باليوم والساعة التي سيقع الاجتماع فيها في العلم وخبر وورقة الضبط . اما الاجتماعات التي تقع بلا علم وخبر وورقة ضبط فهي ممنوعة . ويجازى مرتبو الاجتماع بالحبس من اسبوع الى شهر او بالتغريم بجزاء نقدي يختلف بين الثلاث ليرات وخمس عشرة ليرة

ايضاح — . (ورد بان البيان يعطى باستانبول لناظر الضابطة) . اما وقد اصبحت استانبول ولاية كسائر الولايات فيجب والحالة هذه اعطاؤه للوالي بها .

ثم اذا امتنع مأمور الادارة عن اعطاء علم وخبر في مقابل البيان فعلى مقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط تبين امتناعه . ويجب ان يمضى هذا الضبط من رجلين آخرين غير مقدمي البيان . وبهذه الصورة تكون ورقة الضبط محتوية على اربعة امضاآت . اثنان مدعيان واثنان شاهدان لاجل محاكمة المأمور . وجزاء من يمتنع عن اعطاء هذا العلم والخبر قطع راتب شهر لاول مرة واذا تكرر فيطرد من مأموريته وفقاً للمادة (١٠٢) من قانون الجزاء .

العلم وخبر لا يتضمن الترخيص بل يتضمن الاستخبار من قبل من هو مكلف بحفظ الامن العام . اي ان معنى البيان الاخبار ومعنى العلم والخبر وثيقة لاجل عدم الانكار في المستقبل . حتى اذا لما وقع محظور من الاجتماع وسئل عنه مأمور الادارة الملكية واراد الانكار وادعى بانه لم يعلم بوقوع الاجتماع ليتخذ التدابير اللازمة يقال له ان المجتمعين قد اخبروك وهذا العلم والخبر دليل عَلَى ذلك اذاً انت متهاون ولهذا انت جدير بالجزاء هذا هو سر لزوم اعطاء البيان والعلم والخبر لا غير . لان الاجتماع غني عن الاستئذان لكونه حقاً من الحقوق الطبيعية . اما الاجتماع الذي يقع بدون اخبار الحكومة بتاتاً فهو ممنوع . اي ان للبوليس الحق في فضه اولاً بالكلام ثم بالتهديد ثم بالاكراه ثم ان الضرب والجرح والقتل الذي يقع من مأموري الضابطة اثناء ايفاء وظائفهم يؤدي الى المعذرة بموجب المادة ١٨٩ من قانون الجزاء العام وقانون البوليس والجندرمة الخصوصيين وعَلَى هذا ففي كلمة (ممنوع) فسخ الاجتماع بكل التدابير حتى تصل الى قتل من يخالف امر البوليس . وهذا الاخير غير مسؤول عن هذا القتل بالنظر لما هو مصرح به في المادة المذكورة من قانون الجزاء .

وبعد تفريق المجتمعين يجازى المرتبون بالجزاء المدرج في متن المادة المذكورة آنفاً.

المادة الرابعة — • يجب ان تمر ثماني وار بعون ساعة بين اعطاء البيان وعقد الاجتماع. مر سبب هذا اعلاه في شرح المادة الثانية •

المادة الخامسة — • يجب ايضاح سبب الاجتماع والمقصد منه في البيان •

ايضاح — • حتى يتسنى للحكومة منع الاجتماع الغير القانوني ولاجل التبصر في مقدار العسكر الذين يجب ارسالهم للمحافظة ولاجل ارسال مأمور خاص لمحل الاجتماع للنظارة عليه وحتى اذا ما خرج عن الموضوع يفسخ الاجتماع الخ

المادة السادسة — • الاجتماعات ممنوعة في المحال المكشوفة والقريبة مقدار ثلاثة كيلومترات من سراي السلطان المعظم ومن دائرتي المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي •

ايضاح — • مر في المتن كلمة (مكشوفة) ومعناها ان الاجتماع يقع اما في محال مكشوفة او في محال مغلقة اي ذات سقف وباب • ومثال الاول الساحات والعراص ومثال الثاني القهاوي ودور التمثيل والاندية • لماذا؟ لان من الاجتماعات ما يجب اجراؤه في محل مغلق كالمحاضرات العلمية • لان هذه لا تلقى على قارعة الطريق • ومنها ايضاً ما هو واجب اجراؤه في المحال المكشوفة كالاحتجاج على عمل ما يخالف القانون صدر من الحكومة او من شركة ما ولما كان هذا شاملاً لجميع الاهلين غالباً فبالضرورة يجتمعون في الساحات والعراص على الاكثر • فلهذا السبب اساغ واضع القانون كلا النوعين من الاجتماعات •

واستثنى منها ما يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان المعظم ومن مجلس المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي مسافة ثلاثة كيلو مترات اي ثلاثة آلاف متر •

كذلك قيل في المتن (سراي السلطان) والقصد من هذه الجملة سرايه في استانبول لا القصور العامة في الملحقات • لان كلمة (همايون الملصقة بسراي في الاصل التركي اي سراي همايون) تفيد التخصيص بسرايه الخاص •

اعرف والياً ممن ظلمهم الحظ واجلسهم على عرش الولاية اراد منع احتجاج على عمله وذهب لتفسير (سراي همايون) بدار الحكومة • وبعد اللتيا والتي اقنعناه بحقيقة المسألة

قيل في المتن ايضاً (اثناء انعقاد المجلس العمومي) ومعنى هذا ايضاً اذا لم يكن

المجلس العمومي اي مجلس المبعوثين والاعيان منعقدين فالاجتماع جائز بالقرب منهما ولو بمسافة اقل من ثلاثة كيلو مترات ·

وهكذا يستفاد من كلمة (المحال المكشوفة) بان الاجتماعات التي تقع في المحال المغلقة في القرب من السراي السلطاني ومن المجلس ولو كانا منعقدين فهي غير ممنوعة ايضاً

ثم قيل في اول المتن (ممنوعة) وقد مر معنى المنع القانوني في شرح المادة السابقة

فالاجتماع الممنوع اذاً (١) هو الذي يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان مسافة ثلاثة آلاف متر (٢) التي تقع في المحلات القريبة من مجلس الاعيان والمبعوثين عَلَى مسافة ثلاثة كيلو مترات اثناء انعقاد المجلس العمومي · اما الاجتماعات التي تكون في محال مستورة فهي جائزة ولو كانت عَلَى مقربة من سراي السلطان والمجلسين

المادة السابعة — · لا يسوغ الاجتماع في الطرق العامة المعدة للمرور والعبور · واما زمان الاجتماع فهو من طلوع الشمس الى غروبها في الاماكن المكشوفة ·

ايضاح — · شرع الاجتماع ونظر اليه من قبل علماء فن تدبير المملكة بنظر حق طبيعي لانه مؤدٍ الى نفع عام و خاص · اما اذا وقع في الطرق العامة فمن المحقق انه يعطل المارين والعابرين و يعوق سير التجارة ويخل بحرية ارباب الصنائع وسائر المسالك الاخرى · ولما كان درء المفسدة اولى من جلب المنفعة وفقاً للمادة الثلاثين من قانوننا العام اي مجلة الاحكام منع هذا الاجتماع الذي يقع في الطرق العامة · لكي لا نكون جلبنا ضرراً محسوساً لجلب نفع موهوم ·

هذا هو سبب الفقرة الاولى الادارية من هذه المادة ·

واما الفقرة الثانية فهي تبين وقت الاجتماع · فكما ان الاجتماع يقع في المحال المكشوفة والمستورة فهو محتمل الوقوع في الليل والنهار ايضاً · زمان الاجتماع في المحال المكشوفة من طلوع الشمس حتى مغربها · واما في المستورة فيجوز دوامه ليلاً ايضاً كما انه يسوغ عقده في منتصف الليل او في اوله او آخره · لان المحافظة هناك سهلة جداً · لا سيما والمحال المغلقة هي اما قاعة خاصة دار تمثيل او قهوة كبرى · وهذه الايضاحات مستنبطة من مفهوم المخالفة لقيود هذه المادة والتي قبلها ·

المادة الثامنة — · يدار الاجتماع من هيئة مركبة عَلَى الاقل من ثلاثة اشخاص ·

وعَلَى هذه الهيئة الاعتناء بمحافظة الانتظام ومنع ما يخالف القانون والاهتمام بعدم الخروج عن موضوع البيان وعدم ايراد الخطب المخلة بالامن العام والآداب العامة وعدم

التفوه باقوال تكون من قبيل التشويق لايقاع الجرائم . وان لم تعين هـذه الهيئة من قبل ممضي البيان فيجب انتخابها من المجتمعين . واذا وقع فعل يخالف المادة السابعة وهذه المادة فالتبعة توجه عَلَى هيئة الادارة وقبل تأليفها فالتبعة عَلَى ممضي البيان .

ايضاح — . يجب ان يكون الثلاثة الاشخاص الذين يؤلفون الهيئة الادارة حائزين عَلَى الشروط الثلاثة المدرجة في المادة الثانية من هذا القانون . لانه لا فرق بين هيئة الادارة وممضي البيان ابداً . لا سيما وهو مجاز للحكومة توجيه تبعة الاجتماعات عَلَى ممضي البيان كما هو مذكور في متن هذه المادة .

هيئة الادارة مكلفة بواجبات ستة واليك بيانها بمثال :

اولاً — المحافظة على الانتظام : لان التشتت يضيع الفائدة المنتظرة من الاجتماع وهي مثل تعارض الخطباء والصراخ وكل ما يخل بالسكون المطلوب . الاجتماع المنتظم هو الذي يخطب به الخطيب والناس تسمع له والذي لايتكلم به احد سوى الخطيب . فاذا عارض الخطباء بعضهم وظهر لكل واحد منهم حزب يؤيده فهناك يعد الانتظام مختلا يحتاج لمداخلة هيئة الادارة .

ثانياً — منع ما يخالف القانون : اذا ترك احد ارضه الاميرية ثلاث سنين متوالية معطلة تعد محلولة ويؤخذ من صاحبها الاصلي (بدل المثل) عنها وان لم يدفع هذا فتؤخذ منه وتباع بالمزاد من غيره . هذا مؤيد في المادة (٦٨) من قانون الاراضي . فلو اراد خطيب يخطب بعكس هذا لما جاز له ويجب هنا ايضاً مداخلة هيئة الاجتماع الادارية ويجب عليها منعه . وهكذا جميع القوانين بلا استثناء . اما من رأى اعوجاجا في القوانين فعليه ان ينبه مرجعها بلائحة خاصة او بواسطة الجرائد وهذا مشروط بأن يكون تصديق القانون التصديق الرسمي .

ثالثاً -- عدم الخروج عن موضوع البيان :مثلاً لو قيل في البيان بأن هذا الاجتماع هو لاجل الاحتجاج على حكومة اليونان فقط فلا يجب الخروج عن ذلك ويجب المنع ان حصل احتجاج عَلَى حكومة الجبل الاسود لان البيان كان عبارة عن الاحتجاج عَلَى اليونان لا غيره . وقس عليه البواقي .

رابعاً — الامن العام : غني عن الايضاح

خامساً — الآداب العامة : لو اراد الخطيب استعمال البيرا او احدى المشروبات الاخرى اثناء خطابه فيمنع من ذلك . لان آدابنا الاسلامية تحظر علينا التهتك بالمنكرات .

وهنا يضاً يجب عَلَى الهيئة الادارية ان تتدخل بالامر ·

وهذا الامر يشمل الغير المسلمين ايضاً · نعم يسوغ لهم استعمال المشروبات المسكرة ولكن في اماكن خاصة لاعلنًا لان الآداب العامة الوطنية (وهي اسلامية بالنظر الاكثرية) لا تجيز ذلك بتة والقصد من الآداب العامة مراعاة العواطف لا غير · وهل يجوز لغير المسلمين عقلاً ومنطقاً جرح عواطف اخوانهم المسلمين اكثرية المملكة باستعمال المشروبات علنًا ؟ كلا · اذن يجب منع الخطيب الغير المسلم ايضاً ان اراد استعمال البيرا او الكونياك عَلَى منبر الخطابة العلني · وهم يحملون هذا تقليداً للاوربيين · اما آدابنا فلا نستطيع ان نهضم هذا بوجه من الوجوه · ولذلك منع واضع القانون هذا وامثاله و بهذه الصورة حفظ الآداب العامة من طروء الخلل عليها :

وهذا لايحجز حرية احد لان الانسان حر في بيته يفعل ما يشاء و يشرب ما يشاء ·

سادساً — عدم التفوه بأقوال تشوق الى ارتكاب الجرائم : وهذا ايضاً غني عن الايضاح ·

هذه الامور الستة واجبات الادارة يجب الانتباه لها واذا حصل تهاون بها فالجزاء محقق بموجب المادة العاشرة من هذا القانون ·

قد يمكن ان لا يبين الشخصان اللذان يمضيان البيان اسماء هيئة الادارة لاسباب عديدة · فاذا ما وقع مثل هذا الحال · وجب عَلَى المجتمعين انتخاب ثلاثة اشخاص من بينهم قبل كل شيء وتعريف الحكومة عنهم واذا لم ينتخب احد لهيئة الادارة فتوجه التبعة علي ممضي البيان والجزاء يكون بموجب المادة العاشرة ·

المادة التاسعة — · يرسل من قبل الحكومة الى محل الاجتماع مأمور ملكي او عدلي ولهذا المأمور ان يوجد في المحل الذي يعده مناسباً · وله ان يفسخ الاجتماع اذا طلبت هيئة الادارة ذلك او وقعت منازعة ومجادلة تخل بالضبط والربط

ايضاح — اذا قيل حكومة يجب ان يخطر عَلَى البال رؤساء الادارة الملكية اي المختار والمدير والقائم مقام والمتصرف والوالي وناظر الداخلية والصدر الاعظم ·

واذا طلبت هيئة الادارة فله ان يأمر البوليس والجندرمة فسخ الاجتماع ·

قيل في المتن (منازعة ومجادلة) وهذان قسمان قولي وفعلي · فان كانت قولية فلا يسوغ له المداخلة بدون طلب من هيئة الادارة واذا حصل ما يخالف القانون فتوجه التبعة عَلَى هيئة الادارة والفاعلين · اما اذا كانت المنازعات والمجادلات فعلية فله ان يتدخل من نفسه ويفسخ الاجتماع · وهذا مستنبط من قول القانون (منازعة ومجادلة مخلة

بالضبط والربط) والاخلال بالضبط والربط لا يكون بالقول مطلقاً ٠

اما اذا اتى احد المجتمعين بشيء يغاير الآداب او تكلم بكلام يخل بالاس فعلى الهيئة الادارية ان تراجع المأمور الخاص وهو يمنع هذا الرجل من عمله وكلامه وينظم ضبطاً ويودعه للعدلية لاجل مجازاته بموجب المادة العاشرة ٠ وان لم تراجع الهيئة الادارية المأمور فتكون الهيئة مسؤولة ايضاً ٠ وان عدلها من المأمور خاطره ولم ينظم ضبطاً بها فيجازى هو ايضاً بقطع راتب شهر جزاء تهاونه ٠ وفقاً لقانون الجزاء لا لهذا القانون ٠

المادة العاشرة — يجازى من يخالف احكام هذا القانون بالحبس من ٢٤ ساعة الى اسبوع او بالتغريم بجزاء نقدي من ٢٥ غرشاً الى ليرة ٠ بشرط ان لا تخل احكام القوانين الاخرى بحق من يأتون بالجرائم الاخرى

ايضاح — لو ضرب احد آخر اثناء الاجتماع فيجازى جزاء الضرب العادي المدرج في قانون الجزاء ولا يكتفى بهذا الجزاء الجزئي المحرر في هذه المادة ٠ وهذا الجزاء خاص بمن يخالف هذا القانون المؤلف من احدى عشرة مادة فقط فلو صرح مثلاً احد المجتمعين اثناء الاجتماع يجازى بهذا الجزاء لانه اخل بانتظام الاجتماع ٠ والحاصل ان هذا القانون لا يعارض قانون الجزاء العام بتاتاً

المادة الحادية عشرة — ٠ ناظرا الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون ٠

في ٢٠ جمادى الاولى ٣٢٧ و ٢٧ ايار ٣٢٥ ٠

ايضاح — الداخلية والعدلية ابداً كحفظ الصحة والطب ٠ فكما انه قبل المرض تراعى قواعد حفظ الصحة ولا يراجع الطبيب الا بعد وقوع المرض فمأمور الداخلية والبوليس والجندرمة يتخذ كل انواع الاحتياط ويتخذ جميع التدابير لاجل منع كل عمل يخالف هذا القانون ٠ واما ان حصل خلاف فهناك تبتدئ وظيفة مأموري العدلية ٠ اي وظيفة العدلية تبدأ حيث تنتهي وظيفة رجال الداخلية ٠

هذا هو قانون الاجتماع متناً وشرحاً وقد استندت في شرحي له على اربع مسائل (١) اقوال علماء أصول الادارة الملكية (٢) وعلى دلالة القوانين الاخرى (٣) وعلى الاوامر الصادرة من المراجع العليا (٤) اقوال علماء اصول الفقه والمنطق ٠ واشرت الى ذلك فيما رأيت لذلك داعياً ؟

وبعد ترجمة المتن وشرحه كما مر ارى الحاجة ماسة لبيان اقوال علماء فن تدبير المملكة بحق الاجتماعات على طريق الايجاز الزائد ليكون القارئ على بصيرة [illegible] واليك البيان:

يقول العلماء لهذه الاجتماعات الاجتماعات العامة *Réunion publique* ويقسمونها الى اقسام عديدة : (١) اجتماع شامل (٢) واجتماع خاص (٣) دنيوي (٤) ديني (٥) مشروع (٦) غير مشروع (٧) مهيأ *Organisée* (٨) غير مهيأ اومشوش *Attroupement* . ونبحث الآن في تعريف كل قسم من هذه الاقسام عَلَى وجه الايجاز .

الاجتماع الشامل —. الذي يسوغ لكل الناس الاشتراك به سواء كان باجرة اومجاناً مثل الاشتراك لاجل سماع المحاضرات العلمية والسياسية والصناعية

الاجتماع الخاص — . الذي لا يسوغ الاشتراك به لغير المدعوين مثل الضيافات بانواعها . وهذه حرة عندنا بدون قيد وشرط .

الاجتماع الدنيوي — هذا يكون لمقاصد عديدة تارة سياسية واخرى اقتصادية ومرة علمية وثانية تجارية .

الاجتماع الديني —. هو من قبيل الاجتماع بالجوامع والكنائس . لاقامة الشعائر واستماع النصائح . وهذه الاجتماعات ايضاً غير تابعة بصور وشروط قانونية

الاجتماع المشروع — ما كان موافقاً للقوانين . واما الغير المشروع الغير الموافق للقوانين الاخرى

الاجتماع المهيأ —. الذي يكون مبنياً عَلَى نية معلومة وقصد محدود معين

الاجتماع المشوش — هو الذي يكون من قبيل التصادف اوالتشويق الوقتي .

فقانون الاجتماع الذي ترجمته وشرحته بهذا العدد من مقتبسنا بحث عن الاجتماعات الشاملة والدنيوية والمشروعة والغير المشروعة والمرتبة . ولم يتدخل قط في الاجتماعات الخاصة والدينية والمشوشة قطعياً . ولا بد ان تنتبه الحكومة لهذه الاقسام الثلاثة الاخيرة وتضع لها قوانين تبحث عنها أسوة بجميع الدول المتمدنة ووقاية لحال الامة من تشويقات المشوقين الضالين المضلين ومن سوء تفسير رجال الادارة صيغة الحظ والاتفاق . فان تسعة اعشار تذبذبنا الاداري ناشئ لعمر الحق من هؤلاء الضالين ارباب النفوذ ومن جهالة من يقال لهم آمرون

بيروت حسني عبد الهادي

اخبار وافكار

الاسفنج

لا يعرف العلماء حتى الآن فيما اذا كان الاسفنج يعد من الحيوان مع انه ايضاً مشترك مع النبات كما لا يعرفون كيف يغتذي فهو يتناول غذاءه من منافذه ولكن ما هي ماهية هذا الغذاء الموزع عَلَى نصاب العدل وهذا من المجهولات ايضاً ·

وان الاسفنجة المعتدلة لتبلغ ١٨ سنتمتراً في اربع سنين واهم مصايد الاسفنج في سورية وبحر الادرياتيك وعلى شواطيء تونس · وقد اخذت اميركا ولا سيما شواطيء فلوريدا تخرج الاسفنج منذ مدة ايضاً ويجيء هذا الصنف من كوبا وجزائر براهاما · ويستخرج الاسفنج عَلَى صور مختلفة واكثرها استعمالاً ما يغوصون عليه في اعماق تختلف من ١٠ الى ١٥ متراً فينزعون هذا الحيوان من الصخر الذي علق فيه ومنهم من يستعملون اجراس الغواصة فيتراكض كلاب البحر فلا يتقيها الغائص الا بان يتماوت فتكف عنه لان كلب البحر لا يقترب من الجثث الهامدة · وقد عني الدكتور مور بزراعة الاسفنج بدون ساق وهو ابقى من غيره من الانواع وطريقته ان يقطع الحيوان قطعاً قدر كل واحدة خمسة سنتمترات مربعة ويركزها الى اوتاد مغموسة بماء البحر فتكبر هذه القطع ويصبح وزنها خمسة وعشرين ضعفاً عما كانت عليه وذلك في خلال ثمانية عشر شهراً ·

العصر الحجري

لم تدثر اجناس البشر التي كانت معروفة في العصر الحجري الغريق في القدم فان قبائل اواسط اوستراليا تمثل آخر بقاياه · فقد باد قدماء التاسمانيين الذين كانوا فرعاً من تلك القبائل ولم يتحقق اصل قرصان اندمان (ارخبيل في خليج بنغالا) واحتفظ اهل اوستراليا بسحناتهم وصفاتهم وهم قوم رحل مختلفة لهجاتهم بعيدون عن كل مدنية احط خلق الله في المعارف وصحة الاجسام ينزلون رمالاً لا ينبت فيها غير العوسج يعيش رجالهم بالصيد بالحراب والنساء يقلعن جذوعاً ويبحثن عن الديدان يغتذين بها · وكلهم من اكلة البشر لا يعرفون الثياب يسترون عوراتهم بزنار بسيط واذا اكلوا انساناً من البيض الضالين في اصقاعهم يأخذون قبعته يجعلونها عَلَى رؤوسهم واحذيته وجواربه في ارجلهم علامة على الكبرياء والعظمة · ومساكنهم عبارة عن اكواخ من الاغصان

لا يعرفون المعادن الا منذ زارهم بعض ارباب الرحلات وليس لهم آنية في مساكنهم ولا يحسبون الا على اصابعهم الى الصف الاول من الاعداد لا يتعدونها الى اكثر ولكنهم ماهرون في رسم بعض الصور عَلَى الحجارة وفي تزيين انراسهم بيد ان حذقهم في هذه الصناعة احط من حذق اهل عصر الوعل في اوربا الغربية . ويقول العالم الاخصائي في احوالهم ان سكان اوستراليا الوسطى الاصليين جاؤا من اختلاط بين زنوج بابوان وجنس من الخلق ارقى من الجنس القوقازي امتزج الجنسان معاً منذ الزمن الاطول ايام كانت استراليا جزءاً من قارة آسيا

السمك الاحمر

كان الغربيون يتسلون بتربية السمك الاحمر كما نتسلى به في سورية بجعله في بواطي وزجاجات وتغيير مائه اليوم بعد اليوم وقد عدلوا لعهدنا عن تربيته ولم تبق الا جزيرة صقلية تألف تربيته فيجعلون فيها غدراناً مساحتها مئة متر مربع تفصل الواحدة عن اختها حواجز وسدود تفصلها بعضها عن بعض قليلاً وهي قليلة العمق يجعلون ماء الاحواض عَلَى حرارة ٥٠ درجة ولا يفتأون يغيرون عنها الماء ويلونونها بان يضعوا في الماء شيئاً من الحديد والعطان (قشر البلوط المسحوق للدبغ) والعفص وطعامها من الهوام والدم المجمد وبقايا اللحوم والشعير به تنمو وتتكاثر ويكثرون في تلك الاحواض من الذكور اكثر من الاناث . ويقال ان السمك الاحمر قد يستغني عن الغذاء شهراً كاملاً

صناعة الفنادق

سبقت سويسرا غيرها من بلاد الغرب والشرق بان كانت افضل البلاد بفنادقها ونزلها التي تجاب السياح اليها بمئات الالوف كل سنة وتربح منهم الارباح الطائلة وليس في هذا الشرق العربي اليوم من يحذو حذوها من البلاد غير جبل لبنان فاذا تم له ما ينبغي من دواعي الاصلاح وتوفرت في فنادقه وقصوره اسباب الراحة مع الاقتصاد وعدم الاشتطاط في الطلب وامتدت فيه كل الطرق المعبدة وعشرات من كيلومترات الخطوط الحديدية ايضاً يصبح في آسيا بمثابة سويسرا في اوربا . وان بلد الفنادق اي سويسرا بل الفندق الاكبر في الغرب لم يصل الى ما وصل اليه الا بفضل العلم والمدارس وربما يعجب ابن الشرق اذا قلنا له ان صناعة الفنادق يتعلمونها هناك في المدارس تعليماً نظرياً وعملياً ولذلك سبقوا غيرهم من سائر امم اوربا الذين لهم من بلادهم ايضاً ارض

طيبة ومناظر جميلة ولكن ليس لهم ا-تعداد السويسريين في جلب قلوب السائحين ولا يكتفى اليوم في النزل ان يعرف صاحب الفندق تقديم الطعام الجيد الطبخ بواسطة طهاته ولاان يحسن اللقاء والتشييع و يبش في وجه نزيله بل عليه أمور اخرى كثيرة تستدعيها المدنية ولا يتعلمها الا من دخل مدارس سويسرا او لاسيما مدرسة لوزان الفندقية · فما احرى احد ارباب الفنادق في سورية ان يبعث باحد اولاده يتعلمون فيها ليطرس غيره على آثاره وتغنم البلاد فوائد كلية من دنانير السائحات والسائحين

سجون النساء

نادت ليزابت فري في اوائل القرن الماضي باصلاح سجون النساء فلم يتيسر في اميركا اجابة طلبها الا في العهد الاخير فأنشأت بعض الولايات المتحدة الشرقية سجوناً تنفذ اليها الشمس مضاءة نقية طاهرة مستوفاة من حيث الصحة وجعلوا القائمات عَلَى السجينات من النساء يعنين بامرهن كل العناية و يتحببن اليهن اذ رأت اميركا ان السجن وحده كاف في اصلاح النفوس فلا ينبغي ارهاق المسجون بل تعليمه بالقدوة والمطالعة ولذلك ترى العناية بصحتهن الادبية وصحتهن الجسمية بالغة حدها من النيقة فيجتمع السجينات في اوقات الراحة في مكتبة حوت انفع الكتب لهن يطالعن ومما يصرفن فيه اوقاتهن زراعة البقول وغيرها فلا يخرجن من السجن الا وقد تطهرت نفوسهن بالمطالعات وتعلمن تربية البقول والازهار و بذلك تم للحكومة ما أرادت من انتشار صناعة الحدائق بفضل جودة التربة والتربية في تلك الولايات · فمتى يكون في هذا الشرق القريب سجون كهذه للرجال والنساء

الكليات الروسية

تقول احدى المجلات في روسيا ان حالة كلياتها اليوم اشبه بساحة وغى غداة القتال والنزال فان سيطرة الاساتذة ان لم تكن زالت فقد تضعضعت كثيراً والخلل مستحكم في صفوف الطلبة لان للسياسة منذزمن مقاماً عظيماً في حياة الكليات مما هو مضر بالغاية المطلوبة من هذه المعاهد · ومن العجب ان تساعد الكليات عَلَى نمو هذه الافكار واذ قد ضعفت سياسة التطرف في هاتيك المدارس اخذت الحكومة تدخل فيها سياسة حزب اليمين وذلك بانشاء جمعيات تكوّن بحجة جمع شتات الطلبة آلة لبث الدعوة الارتجاعية اي العودة الى سياسة الحكم المطلق فالواجب العدول عن الاعتصابات لانها لم تثمر ثمرة ما لتلك البيوت العلمية ولطالما اضرت بمن يأتيها والحكومة تعمد اليها للتخلص

من الاساتذة والتلامذة الذين عرفوا باستقلال الارادة والفكر · والخلاصة فان روسيا تنمو بكلياتها من حيث الفكر السياسي نحو تقديس الحكومة المطلقة والمانيا تنمو بكلياتها نحو تقديس الحكم المقيد تحت رعاية الامبراطور وشتان بين الامبراطورين والامبراطوريتين ·

الزحافات ذات العرف

كان علماء المطمورات (*Les paléontologistes*) يدعون بان اعظم الزحافات ذات العرف في ولاية داكوتا وغيرها من الولايات المجاورة في اميركا الشمالية ولكن البحث في مطمورات افريقية النباتية وغير ذلك ابان نقيض هذا الزعم · فقد اكتشفت في الطبقات الجيولوجية في جنوبي افريقية من سهل كارو العظيم في مستعمرة الرأس مطمورات لها شبه عظيم بآثار الزحافات الاميركية الاولى وأيد احد اساتذة المانيا هذا القول وقال ان في افريقية الشرقية الالمانية جبلاً اخرجت من صدره بقايا حيوانات تشبه هذه · وكان كارنجي المثري الاميركي اهدى متحف برلين حيوانًا سموه ديبلودوكوس زعم انه اكبر زحاف في الارض ولكن تبين ان في المستعمرة الالمانية الافريقية ما هو اضخم منه جثة يبلغ طوله مترين و٤٥ سنتمتراً على حين لا يبلغ طول حيوان كارنجي اكثر من متر و ٨٢ سنتمتراً وطول اعظم فقرة من عظمه من ناحية عنقه ٦٢ سنتمترًا في حين ان مثلها في الحيوان الافريقي متر و ١٨ سنتمتراً وعظم العضد في الاول ٩٢ سنتمتراً وعظم العضد في الثاني يتجاوز المترين ورأس الزحاف الافريقي صغير بالنسبة لحجم جسمه

الهجرة الايطالية

لم يهاجر منذ سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٨ اقل من ٥٨١٣٤٦٠ مهاجراً ايطاليًا اي ما يعادل مجموع سكان الجمهورية الفضية او سكان الجزائر وقد كان المهاجرون عرضة لتلاعب اللصوص والمحتالين عندما يغادرون بلادهم فيتلاعبون بعقولهم واكثرهم من ضعاف العقول بالطبع فانتبهت الحكومة الايطالية والشعب الايطالي للامر وأُلفت جمعيات كثيرة في امهات مدن اميركا الشمالية والجنوبية لاستقبال مهاجري الطليان والسير بهم في الطرق الموصلة القريبة الى احتياز المال والعيش الخصال وهكذا تم لهم ذلك · وللسور بين عَلَى ضعفهم في تلك الاصقاع جمعيات من هذا القبيل وكانت ضئيلة ولكنها تخدم الهجرة والمهاجرة ·

السرطان البحري

لما كان السرطان البحري في اميركا اكبر من السرطان الاوربي مرتين اصبح الطلب عليه كثيراً والرغبة فيه ولا سيما للنقد بد اكثر مما يصاد منه . وقد عمدت اميركا الى تنميته بالطرق الصناعية الكثيرة فلم تفلح وقضت بان يكف عن صيده ولو بضع سنين فلم يسمع لها خصوصاً وان كثيراً من الاسماك الكبرى تسطو عليه عند ما يكبر واذا كان صغيراً فأبناء نوعه يأكلونه ولو لم يكن قليل الامراض لفني منذ زمن طويل . وكان هذا النوع في اميركا ضعفي ماهو عليه اليوم وزن الواحدة منه من خمسة الى ستة كيلو تباع بالواحدة اما اليوم فيباع بالوزن . ونوعه يقل كما يقل عندنا السمك البحري والنهري لان الصيادين يصيدونه في الغالب بوضع قذائف من الديناميت تقتل كباره وصغاره والحكومة تمنع ذلك ولكن منعها حبر عَلَى ورق

الاقتصاد في الوقت

من اعظم ما يشكو منه ارباب الصحف كثرة مايرد عليهم من المقالات التافهة والعبارات الساقطة لا يعرف ذلك الا من يعانيه ولذلك كثيراً ما يضطرهم الوقت الى عدم اتمام قراءة ما يعرض عليهم فيدركون ضعفه لاول وهلة فيوفرون بذلك اوقاتهم . وقد شعر ارباب المطابع والمجلات والجرائد في اميركا بهذا الامر فأصبحوا اذا القيت الى احد الطابعين رواية ليراها هل تصلح ام لا ينظرون الى اسم مؤلفها فان كان ممن له شيء من الشهرة تدفع قصته الى من يقرأوها وتكلف قراءة قصة مؤلفة من مئة الف كلمة خمس ليرات فاذا جرى في كل قصة تأتيه عَلَى هذا النحو يخسر كثيراً لان قيمة الساعة التي يصرفها قارئ القصص في ادارته نصف ريال فاذا كانت القصة من قلم من يجدر ان يقرأ كتابه تدفع الى امين سر المحل وساعته تساوي اثني عشر فرنكاً فتأمل

الحمامات

عادة الاستحمام قديمة جداً ورد ذكرها في اساطير الاقدمين ويقال ان البطل هركول اليوناني استمتع بما استمتع به من القوة والعضلات المفتولة لاعتياده الاستحمام بالمياه فاشتهرت حماماته ودعي كثير منها باسمه وكذلك ديان وايزون المشهورتين في الاساطير اليونانية فانهما حفظتا صحتهما بل جعلت لهما بالمياه قوة زادت عن القوة المعتادة عشرة اضعاف . ولقد كان القدماء يعتبرون الماء البارد دواء ينجع في كل الادواء ذكرت ذلك التوراة واشارت اليه في مواطن كثيرة . وكان للعبرانيين حمامات منذ العهد الاقدم وهي ولا

جرم ضرورية لهم لحرارة الجو في البلاد التي نزلوها وقد فرض موسى الاستحمام ولاسيما على النساء وكان المصريون يرون الاستحمام من الواجب وكذلك الاشوريون عَلَى ما تراه الى اليوم فيما أخرج من آثار بلادهم من بقايا الحمامات وجميع أمم الشرق ترى الوضوء فرضاً دينياً ومنها ديانة ماني وزردشت والاسلام ٠ وكانت الحمامات في يونان عَلَى اختلاف انواعها بحرية او نهرية عامة للكل يستحم فيها من يريد والرشاش من الامور العادية في يونان وكان لرومية حمامات فاخرة فيها انواع الراحة من حجر للتعريق واخرى للتمسيد وغيرها للتبريد واخرى للدلك والتغميز ٠ وكانت هذه الحمامات ولا سيما حمامات اغريبا وديوكلسين وكاراكالا تنفع جد النفع وكثير من الرومانيين والرومانيات كانوا يستحمون في نهري التبر وكاتون وكثيراً ما كان حكام رومية Les Censeurs يطلقون السنتهم في انكار اختلاط الرجال بالنساء وكان في القرون الوسطى في الغرب حمامات عَلَى اختلاف انواعها وفي القرون الحديثة أُدخلت عليها تعديلات جسيمة هذا ما قالته احدى الصحف الافرنجية اما حمامات الشرق فقد اشتهرت شهرة فائقة ومن احسنها اليوم حمامات دمشق فيما نحسب وان كانت تحتاج لشيء من مراعاة قواعد الصحة كأن يرجع اربابها عن استعمال المغطس يغوص فيه مئات كل يوم وفي بعضهم من الامراض الجلدية وغيرها ما تمكن سرايته وتغسل المناشف كل مرة فلا يعطى لزيد ما نشف به بدن عمرو ففي ذلك من الضرر ما لا يخفى عَلَى لبيب محله فقد صار من المثل عندهم ان الشيء الفلاني مبذول كفوطة الحمام من بدن الى بدن

المحاضرات والمسامرات

اصبحت المحاضرات والمسامرات في الغرب من الامور الطبيعية الشائعة في مجتمعاته فالمحاضرون درجات وكذلك الحضور ومنهم المجيد ومنهم الوسط ومنهم العاطل والكل في الاغلب يصفق لهم تحسيناً ويستمع لما يقولون استحساناً اوتصبراً او تأدباً ويثنون عليهم في الجرائد ٠ وهذا العلم يحتاج الى قابلية لدنية وطبيعة كسبية ولا يجيد فيه المجيدون الا بالتدريج والاستعداد للاجادة متوقف عَلَى معلومات منوعة وأدلة لم تعرف وتفاصيل غريبة جديدة والارتجال يصعب فيها فالواجب ان تعين لها خطة وحجج تجعل عَلَى نظام خاص ٠ ويختلف المدخل والمخرج منها باختلاف الموضوعات والاحوال ٠ وعَلَى المحاضر ان يتبين استحسان سامعيه له من النظر الى عيونهم فان رآهم فرحين عرف ان لكلامه تأثيراً فيهم ٠ وفي فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا تلقى المحاضرات بدون ... فاذا

تكلم المتكلم سمع السامع اما في اليابان فان المنابر جعلت على صورة يشخص فيها المحاضر محاضرته او مسامرته تشخيصا يلذ سامعيه ويضحكهم كأن تجعل نافذة تحت رجله فتفتح وتبتلعه فيختفي عن الانظار ويأخذ الحضور يقهقهون وفي افريقية الوسطى يتبع الخطيب خطابه بحركات متتابعة ويقف على ساق واحدة ويده اليمنى مسندة الى ركبته المنحنية واليسرى فوق رأسه وهذا من ادوات الاقناع والتأثير في ذهن السامعين من الزنوج وحالة الحضور اضحك لما فيها من التصفيق واشارة اليدين وفتحة الافواه والاشداق

اصلاح اجتماعي

التأم في مدينة الله آباد من مدن الهند مؤتمر مثل فيه كثير من اعضاء الجمعيات الراقية الهندية فقرر المؤتمر ابطال زواج الاولاد لان الصبيان كثيراً ما يخطبون بعض اقاربهم وهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة فلا يلبثون ان يتزوجوا منهن فتجيء ذراريهم ضعيفة لا تقدر على مقاومة الطاعون ولا القحط فحدد المؤتمر سن الزواج وجعلها ١٦ للبنات و ٢٥ للرجال وقرر ايضاً ابطال الزواج الا من طبقات مخصوصة لان طبقات الهنود تعد بالمئات وكل طبقة يفرض عليها ان لا تتزوج الا من اهل طبقتها فاذا وقع تطبيق هذين القرارين جاء من الهنود نسل قوي نشيط . وفي مملكة ترانفكور وهي من الممالك الهندية المستقلة يقضي ان لا تكون سن الزوج اقل ثماني عشرة وسن الزوجة ست عشرة .

عمُّ العلم

قالت احدى المجلات الايطالية ان الحكومات تشابهت منذ اربعين سنة فاذا ما نظرنا الى التعليم العالي في الأُمم على اختلاف قاراتهم نراه ينبعث من ٢١٨ مدرسة كلية و ١٨٩ مجمعاً علمياً جامعاً و ٤٣٤ مجمعاً علمياً غير جامع و ٣٩ مجمعاً علمياً (اكاديميا) و ١٣٦٣ جمعية علمية منتشرة في الاصقاع المختلفة ومنها اوستراليا وآسيا التي تهب من سباتها وافريقية التي تنتفض من قبور الظلمات . ولكي ندبر سرعة هذه الحركة يجب علينا ان نعتبر بان المانيا قد ارتقى عدد اساتذتها في المدارس العليا من سنة ١٨٨٧ الى ١٩٠٨ من ٢٠٩٥ استاذاً الى ٣٢٤٧ والنمسا من سنة ١٨٨٥ — ١٩٠٧ من ٨٠٨ الى ١٣٠٨ وسائر البلاد تحذو هذا الحذو في ارتقائها وكذلك الحال في زيادة عدد المتعلمين وربما نما اكثر من عدد المعلمين فقد كان لفرنسا مثلاً سنة ١٩٠٧ — ٧٨١ طالبة في الآداب والفلسفة

من الفرنسويات و ٨٠٦ من الاجنبيات اما سائر الفروع فقد كان دارسوها في فرنسا ٣١٦٠ طالبة منهن ١٦٦٦ من الفرنسيس والباقيات اجنبيات وكان لالمانيا في سنة ١٩٠٨ ٤٥٣ طالبة المانية و ٦٧ اجنبية في الفلسفة ومجموع الطالبات في الفروع الاخرى ١١٣٢ منهن ٥٩ : غير المانيات ولهولاندة ٥٠٦ طلبة ولرومانيا ٤٤٠ وهكذا كثر الميل الى التعليم العالي اكثر من زيادة عدد السكان

الاستعمار الالماني

القى احد اساتذة كلية مونيخ ومدير المدرسة التجاربة العالية خطاباً في السياسة الاستعمارية الالمانية قال فيه : ان المانيا دخلت ميدان الاستعمار منذ خمس وعشرين سنة في زمن تزايدت فيه الهجرة من بلادها ايام هاجر ٥٤٠ الفاً بين سني ١٨٨٠ — ١٨٨٣ و ٨٧٥ الفاً بين سني ١٨٨١ — ١٨٨٥ وكان قد مضى نصف قرن عَلَى المانيا وابناؤها ينتشرون في الارض . وادعى دعاة الاستعمار انهم كانوا يستخدمون الهجرة بتحويل وجهة المهاجرين نحو البلاد التي يخفق عليها العلم الالماني . فقد ربحت المانيا من سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الى سنة ١٩١٠ مليونين ونصف ميليون كيلو متر مربع كان فيها سنة ١٩١٠ — ٢٠٠٧٤ رجلاً من البيض يدخل فيهم الجند ورجال الشرطة وهم ١٣٦٦٢ رجلاً و٣٣٣٧ امرأة و٣٠٧٥ ولداً فاذا اخرج منهم الاجانب بقي من هذا العدد ١٦٠٠٠ الماني فقط . وليس للالمان اليوم حاجة للاراضي الجديدة ينزلها الفائض من بنيهم كما كانوا قبل خمس وعشرين سنة فقد زاد عدد سكان المانيا من ٤٥ مليوناً سنة ١٨٨٢ الى ٦٥ مليوناً سنة ١٩١٠ وكان يبلغ معدل المهاجرين مسانهة ١٧١ الفاً سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ فلم يتجاوز معدله سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ اكثر من ٢٦٨٩٣ ويستدل عَلَى ان الالماني يجد ما يعمل اليوم في بلاده وان عدد العملة قد زاد في ربع قرن من اربعة ملايين الى ثمانية ملايين وسدس وعدد عملة التجارة من ٧٠٠ الف الى مليون وتسعمائة الف وكان عدد الاجانب في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ٤٨٤٤٢٣ فاصبح ١٠٠٧١٧٩ سنة ١٩٠٥

ومناجم فستفاليا والاعمال الزراعية الكبرى واعمال البناء كلها تحتاج الى عاملين في المانيا فيجيئها العملة من النمسا ومن روسيا بحيث بلغ عدد العملة فيها من غير ابنائها ٥٨٥٠٠٠ في سنة واحدة . والمانيا تستخرج من مستعمراتها المواد الاولى اللازمة لها في صناعتها التي يعمل في صناعة القطن وحدها ثلثمائة الف من الالمان وهو هذا ...

ماتصدره مستعمراتها اليها بلغ في السنة الماضية ٧٠ مليون مارك اي واحداً في المئة من مجموع الواردات الالمانية فلا تصدر مستعمراتها مثلاً اكثر من ٨٠٠ الف مارك من القطن في حين يساوي قطنها اللازم لها ٥٣٢ مليوناً وليست المستعمرات الالمانية كلها صالحة الآن لسكنى البيض فاذا حذفنا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية بلغت مساحة مستعمراتها ١،٨٠٠،٠٠٠ مليون مربع منها ٥٦٦١ فقط يعمل فيها ٧٠ الف زنجي و يشارك الاوربيون في استعمارها واستثمارها وسكان مستعمرات المانيا كلهم ١٤ مليوناً يصيب كل فرد من اهلها خمسة ماركات من الصادرات في حين يصيب الفرد في جامايك ٤٨ ماركاً وفي ترنيداد ١٧٥ ماركاً . وقد انشأ الالمان في مستعمراتهم ٢٥٢٦ كيلو متراً من الخطوط الحديدية و ١٤٦٨ كيلو متراً آخذون بانشائها. والصعوبة في مستعمرات الالمان ان العيش على البيض متعذر ولذلك تراهم يضطرون الى الزواج من بنات البلاد السود فيأتي اولادهم خلاسيين وقد يكون فيهم عيوب آبائهم هذا مع ان العامل الاوربي يقبض عمالته زهاء خمسة ماركات والعامل الوطني لا ينال نصف اجرته الا بشق الانفس . وقد اساءت المانيا بسياستها العسكرية التي جرت عليها مع الزنوج فابادت الهروروس العصاة عن بكرة ابيهم ليحل محلهم البيض هذا وافريقية قليلة بسكانها وارضها محتاجة لاستخراج كنوزها الى ايد عاملة قد يتعذر جلبها من اوربا لرداءة المناخ لان اوستراليا قد جلبت من انكلترا ٧٦٠ الف انكليزي أُعطوا جوائز عن عملهم اراضي يستثمرونها فكانت باعثة لهم عَلَى التوطن في البلاد . وحيثما يكثر السكان في افريقية يكتفي الاوربيون بالاتجار مع الوطنيين . والمدنية الاوربية تقرض الزنوج فقد بلغ عدد من يموت من العملة السود في الترنسفال ٢٨ في المئة نصفهم بامراض الكبد كما يهلك كثير منهم ومن غيرهم بمرض النوام الذي يحار به الغربيون ليتغلبوا عَلَى فتكانه بادويتهم فيفيدوا الانسانية والامور الاقتصادية .

وقد تبين بالاختبار ان سياسة الاستعمار التي ترمي الى ملاحظة مصالح الوطنيين وتعنى بتكثير سوادهم هي نافعة من حيث الوطنية ورابحة من حيث المالية فالعمل الاجباري لا ينتج وما فقط كانت له ثمرات كالعمل الحر المطلق — انتهى عن مجلة الاقتصاديين الفرنسوية

نتائج الحروب

نشرت مجلة ادلة الترقي مبحثاً قالت فيه ان الافكار العامة في اوربا اليوم اختلفت

كثيراً في تصور معنى الحرب والسلام عن سنة ١٨٨٠ وكثر العاملون للسلام والقائلون به والداعون اليه فانه اذا نظر الى الصلات الاقتصادية بين الامم نرى ان الحروب لاتدوم كثيراً لان الغالب يخسر كالمغلوب او اكثر . وما الباعث الرئيسي للنجاح في الشعوب الاوربية الاكثرة السكان والشدة في تحصيل الرزق فالانسان مصرف لاخيه الآخر ولذلك كان العيش في البلجيك وسويسرا اشق مما هو في جرمانيا لكثرة نفوس هذه . وما تاريخ القرون الغابرة الا فتوح طويل بطيء لاستحصال الخبز وهو الى الآن غير مضمون الحصول للناس كلهم . اننا نسكن كتلة من التراب الموحل مساحتها ١٢٦ مليون كيلو متر مربع وفيها نحو ١٥٠٠ مليون من البشر والاراضي الى عهد قريب كانت موزعة توزيعاً غير معقول عَلَى السكان . انا نسكن عَلَى هذه الارض ويسكن معنا انواع من الحيوانات وما قط رأينا ابناء الجنس الواحد منها يأكل بعضها بعضاً و يفترس احدها الآخر . وللاسراع بالانتفاع من هذه الارض في حاجاتنا وجب ان يكون الشرط الاول فيها ان يتفق جمهور العاملين من البشر . ان العقل يرشدنا الى ان جهادنا عبارة عن التغلب عَلَى المصاعب والمصائب الطبيعية لا احداث امور من مثلها طبيعية . علينا ان نحفر اقنية ونخرق جبالاً لا ان نقيم سدوداً كسدود الصين . ولذا وجب ان تزال تلك الحدود المصنعة ليعيش الناس العاملون عملاً عاماً . والاستعباد العسكري واستغراق ميزانيات الدول في الانفاق عَلَى الجيوش هما من اكبر دواعي الضعف فان المدنية الاوربية تنفق في السنة عشرين مليارا من الفرنكات في هذه السبيل فمنذ سنة ١٨٧٠ انفق الغرب مبلغ خمسمائة مليار بلا طائل فلو أُبطلت الحروب منذ اربعين سنة لاستطاع البشر كلهم ان يأكلوا كما يريدون اليوم

ايظن الظانون ان البشر يرضون بعد بان يعمل المرء ساعة كل يوم زيادة حتى يقف الملوك ورؤساء الجمهوريات يستعرضون الجيوش ايام الاعياد الوطنية فقد ادرك الناس اليوم ان الحرب ليست الا جناية وهي حماقة ورقاعة . ليس الجهاد في الحياة بين الاخ واخيه بل بين الانسان والطبيعة يذللها كما يشاء ليكون مقامنا في هذه الارض مقبولاً محموداً . وللوصول الى هذه الحياة يجب نزع فكر الحروب من العقول وذلك بوجوه كثيرة اولها تربية الاطفال والبالغين . فاذا فكر كل انسان كما يفكر كاتب هذه المقالة تنقلب الحال عما قريب . على ان العالم سائرون الآن للسلام وان كان عَلَى طريقة مبهمة فالسبيل الى ذلك ان يحدد حمل السلاح بحيث يؤول ذلك الى نزعه بالتدريج وان

يتحد المتجانسون من الشعوب اتحاداً سياسياً فيتحد سكان الغرب من اوربا اي الفرنسيس والانكليز وتتحد الممالك البلقانية وتتحد الممالك الوسطى اي النمسا والمانيا وتعقد معاهدات التحكيم بكثرة. لا جرم ان الامم اليوم يقترب بعضها من الآخر بما ينشؤن من العهود و يعقدون من الوفاقات ويجتمعون عليه من السباقات والمؤتمرات والزيارات ولكن الطريقة الناجعة في ذلك ان يكون لمحكمة لاهاي الصلحية يد اقوى في ايقاف كل امة عند حد معين من التسلح وذلك بان يقاطعها كل الامم عَلَى السواء فاذا وقع خلاف بين المانيا وفرنسا وكانت الاولى معتدية يعلن عليها الدول كلهن المقاطعة فلا تلبث ان تعود الى رشدها في ثماني واربعين ساعة عَلَى الاكثر فقد قاطع الصينيون اليابانيين والاميركانيين وقاطع العثمانيون النمسا وبين بتدبير افراد منهم فكم تكون المقاطعات الدولية عظيمة اذا صدرت عن الحكومات مباشرة

طرابلس وبرقة

يصدر هذا الجزء والحرب البرية البحرية يتلظى اوارها بين جيوش الدولة العلية ودولة ايطاليا لاعتداء هذه عَلَى طرابلس الغرب العثمانية بدون مسوغ دولي معقول وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل للقراء شيئاً من وصف تلك البلاد وتاريخها فنقول:

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي ومصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠،٠٠٠ كيلومتر مربع في رواية اي قدر ولاية سورية ١٣ مرة او ستة اضعاف مساحة تونس ونحو ثلاثة اضعاف ونصف مساحة ايطاليا — وسكانها زهاء مليونين وهواء السواحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل . اما في جهة الجنوب اي في فزان فالحرارة تغلب عليها وانهارها قليلة ليست سوى جداول لان مياهها تتبخر بشدة الحرارة وتضيع في الرمال المحرقة واكثر شرب اهلها من صهاريج تملأ بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم . وسواحلها منبتة في الجملة ولا سيما جهات برقة فانها تخرج انواع الحبوب والبقول والثمار والزعفران والفوة والحلفا البرية والتمر والبرتقال والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الاسفنج والمرجان وانواع الاسماك

و يقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الاداري الاخير الى ولاية ذات اربعة الوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعة اقضية وهي قضاء طرابلس

والنواحي الاربع وغريان واورفله وترهونة والزاوية وزوارة وعزيزبة وتجيلات ولواء خمس وهو مؤلف من خمسة اقضية وهي قضاء خمس ومصراطة وظلتين ومسلاطة وسرت ولواء الجبل الغربي وهو اربعة اقضية قصر يفرين وغدامس ونالوت وفساطو ولواء فزان وهو اربعة اقضية مرزوق وسوكنة وشاطي وغات وفي هذه الولاية عشرون ناحية تتبع الاقضية وفي لواء بنغازي اربعة اقضية وهي بنغازي ودرنة ومرج واوجلة وجابو وجدابية وعشر نواح وبنغازي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة برقة وتجارتها مع خانيا ومالطة ووداي في السودان الشرقي حسنة في الجملة وكان اسمها بيرنيس *Bérénice*

واشهر مدن هذا القطر اليوم طرابلس الغرب اضافوا اليها الغرب تمييزاً لها عن طرابلس الشام سميت الولاية باسمها وكانت الولاية ولا سيما قسمها الشرقي نحو بنغازي تسمى برقة قديماً ومدينة خمس عَلَى الساحل وقصر يفرين ومرزوق وغدامس وغات وبنغازي عَلَى الساحل ودرنة واوجلة وهما واحتان مشهورتان · وسكان طرابلس نحو اربعين الف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين الفاً ·

وبرقة كما قال ياقوت اسم صقع كبير كان يشتمل عَلَى مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ولها ساحل يقال له اجية وساحل آخر يقال له طلوية وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر من الفسطاط (مصر) الى برقة مائتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص سنة ٢٣ ومن برقة الى القيروان (تونس) مائتان وخمسة عشر فرسخاً

قال المقدسي ومن مدن برقة ذات الحمام · رمادة · اطرابلس · اجدابية · صبرة قابس · غافق · وبرقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهي ثغر قد احاط بها جبال عامرة ذات مزارع عَلَى نصف مرحلة من البحر في هوة قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من امطار في جباب وهي على جادة مصر يحسنون الى الغرباء اهل خير وصلاح واطرابلس مدينة كبيرة عَلَى البحر مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والانجاص والتفاح والالبان والعسل واسمها كبير · واجدابية عامرة بنيانهم حجارة عَلَى البحر وشربهم من الامطار ومسرت كذلك ولها بواد وشعاري · وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل وتين شربهم من ماء المطر · وقابس اصغر من طرابلس لهم واد جرار وبنيانهم من

الحجارة والآجر كثيرة النخيل والاعناب والتفاح مسـورة باديتها بربر . وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق عَلَى ايام الجمعة بحرية ومن الناس من ينسبها الى افريقية (تونس) وذات الحمام مدينة عمرت من قريب

وكانت طرابلس من عمل تونس في القرون الاولى للاسلام ثم غلب اسمها على الكورة واصبحت بنارة قصبتها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليهـا وقد وصف ابن حوقل الجغرافي هذه البلاد في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرتها يوماً كبيراً في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من سائر جهاتها وارضها حمراء خلوقية التربة وثياب اهلها ابداً محمرة يعرف اهلها بالفسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرها ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برية بحرية جبلية ووجوه اموالها جمة وهي اول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان

وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ووقت مالا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين وذلك انها تنفرد من التجارة التي ليس في كثير من المغرب مثلها والجلود المجلوبة للدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجلة ولها اسواق حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب وشرب اهلها من ماء المطر في مداجن تدخر واسعارها في اكثر الاوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية

ويليها اجدابية مدينة عَلَى صحصاح من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر وبعضها بحجارة ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زروع مباخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ووالبها القائم بما عليها من وجوه احوالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها ولها من وراء ذلك لوازم عَلَى القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة واكثر مايخرج عنها الاكسية المغاربة وشقف الصوف وشرب اهلها من ماء السماء .

واوجلة منها عَلَى ايام بين غربها وجنوبها وهي بلد ذات نخيل عظيمة وغلات تحصل

منها لاهلها جسيمة ومنها الى ودّان طريق قصد وودّان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن اوجلة . وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وبها قبائل من البربر ولهم مزارع وهي عَلَى البحر ترد عليها المراكب بالمتاع وتصدر به عنها وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجدابية وبرقة

واما طرابلس فكانت قديمًا من عمل افريقية وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم وذلك انه من صبرة وهي منزل من طرابلس عَلَى يوم وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفرسك والكمثرى اللذين لا شبه لها في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع والطيقان الاكسية الفاخرة الزرق النفوسية والسود الرفيعة الثمينة الى مراكب تحط عليها ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحًا ومساء من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروات ظاهرة ولهم عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة الى مراء لا يفتر وعقول مستوية وصحة بنية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان سديد ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيه اهل بلد . واما قابس فانها مدينة ذات مياه جارية واشجار متهدلة وفواكه رخيصة ولها من التمر والزروع والضياع ما ليس لما جاورها من زيتون وزيت وغلات وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق وجهاز كثير ويعمل بها الحرير ويدبغ بها الجلود وينتابها التجار ولها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود بها وسائمة كبيرة اه .

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان : وحوالى برقة ارباض لها يسكنها الجند وغير الجند وفي دور المدينة والارباض اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال وعَلَى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية وساحل آخر يقال له طلميثة . وبرقة اقاليم كثيرة تسكنها بطون من البربر ولها من المدن برنيق وهي مدينة عَلَى ساحل البحر المالح ولها مينا عجيب في الاحكام

والجودة تجوزفيه المراكب واهلها قوم من ابناء الروم القدم الذين كانوا اهلها قديماً وقوم من البربر ومن مدينة اجدابية الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل وآخر حد برقة على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بولى يقال له بشار فوزع خراج الارض باربعة وعشرين الف دينار عَلَى كل ضيعة شيء معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالي ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر الف دينار ربما زاد وربما نقص والاعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقراة ٠ ولبرقة عمل يقال له اوجلة وهو في مفازة مغرّب لمن اراد الخروج اليها ينحرف الى القبلة ثم يصير الى مدينتين يقال لاحداهما جالو وللاخرى ودان وهذه من اعمال برقة المضافة ومن مدينة سرت الى ودان مما يلي القبلة خمس مراحل ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وسكانها اباضية اي خوارج وفزان جنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم

وبعد فهذا من احسن ما وصفت به طرابلس وبرقة ومنه نفهم درجة عمرانهما في القديم اما اليوم فقد قال واصفوهما فيهما بانهما مختلفة احوالهما باختلاف كورهما فسواحل الشمال من سرت مقفرة ومن الشرق خضراء نضرة وهي برقة ومن نحو فزان مصخرة ٠ وبلاد طرابلس اشبه بالصحراء وفي الساحل مناجم الكبريت وفي بحيرة فزان المالحة النطرون وشجر الحلفا بيناء، تجار الانكليز خاصة والصناعات محصورة في المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي واشتهر بالتجارة سكان طرابلس وغدامس وكانت القوافل تسير من طرابلس الى داخلية افريقية تحمل الاقمشة والخرداوات والاسلحة والزجاج والبارود وتعود منها بالعاج والجلد والصمغ والشمع وريش النعام والتبر

وسكان طرابلس مزيج فالبربر ينزلون الجبال والعرب السهول ويكثر فيها الزنوج لان سوق الرقيق قبل ابطاله كانت فيها رائجة وفيها نحو خمسة آلاف مالطي لقرب سواحلها من جزيرة مالطة وهم منتشرون في المدن الساحلية كما ان فيها زهاء الف ايطالي ونحو خمسة آلاف يهودي اكثرهم في السواحل وليس في اهل البلاد مسيحيون اصليون

وكانت طرابلس من اهم المدن التجارية ومنها كانت تسير القوافل المهمة الى داخلية افريقية فما برح الفرنسيس منذ استولوا عَلَى تونس يحاولون سلبها هذا المركز حتى فقدت مركزها التجاري وتحولت وجهة القوافل الى تونس وخصوصاً بعد ان عمرت انكلترا

اعالي النيل والسودان الشرقي وفتحت الطرق الجديدة الى بحيرة تشادمن النيجر والكونغو فلم تعد برقة مركز الاتصال بين الساحل واواسط افريقية

وكان اليونان في القرن السابع قبل الميلاد انشأوا مدينة برقة متخيرين لها لجودة هوائها وغناها وازهرت عَلَى ايامهم كما ازهرت قرطاجنة واغتنى اهل برقة بتجاراتهم الواسعة مع داخلية افريقية الا انهم انصرفوا بعد الى البذخ والرفاهية فاضمحل عمرانهم بعد ان اخرجت برقة مثل ارشيب الفيلسوف وكاليماك وايراتوستين وخلف بنوها من الآثار التاريخية التي تدل عَلَى عظمتها اليوم خرائبها المدهشة

وتاريخ طرابلس الغرب القديم غارق في ظلمات الخفاء لايعرف [1] عنه الا ان البربر بعض سكانها الحاليين كانوا فيها . وقبل المسيح ببضعة قرون كانت انحاء طرابلس بيد الفينيقيين وقسم منها للقرطاجنيين اما جهة برقة فاتخذها اليونان مهجراً كما يهاجرون اليوم الى سواحل مصر وغيرها . ولقد انشئت في جهات طرابلس ثلاثة بلاد (تربوليس) ومنها اشتق اسمها فقال العرب طرابلس وانشأ اليونان في جهة برقة خمس قصبات سموها پنداپوليس ثم صار حكم طرابلس الى يد حكام البربر في نوميديا بعد سقوط دولة القرطاجنيين واستولى البطالسة المصريون عَلَى برقة ثم استولى الرومان عَلَى كل من اقليمي برقة وطرابلس ووسعوا تخوم حكومتهم الى فزان وغدامس

كانت طرابلس الغرب وجهات الشرق من تونس والجزائر معروفة عند الرومان باسم افريقية وكذلك اطلق العرب عَلَى هذه الاصقاع اسم افريقية . ولما تخلى الرومان عن هذه البلاد استولى عليها الروم البيزنطيون وفتحها عقبة بن رافع في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ثم استولى عليها الامويون وبقيت مدة في يد بني الاغلب عَلَى عهد العباسيين ثم حكمها الفاطميون وكانت معقلاً من معاقل الخوارج ولذلك كانت لهم فيها ايام مشهودة ولم يزل في بعض انحائها بقايا منهم .

ولقد تألفت فيها عدة حكومات صغيرة وبعضها كان مهماً عَلَى عهد الاسلام واكثر ما تكون طرابلس تابعة لتونس في حكومتها وعَلَى عهد السلطان سليمان خان استولى عَلَى طرابلس طغورت باشا مسترداً لها من فرسان مالطة وكانوا استولوا عليها بعد ان سقطت الاندلس في ايدي الاسبان فالحقها هذا القائد بالمملكة العثمانية ودامت تدار شؤونها دهراً على صورة ايالة ثم اقطعت لاسرة قرهمانلي فلم يلبث ان استحكم الخلاف بين افرادها

(١) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي

فارسلت الدولة سنة ١٢٠٨ اسطولاً وواليًا من لدنها ضبط البلاد

وفي سنة ١٠٩٢ بعثت اسبانيا اسطولاً الى طرابلس فكادت تتغلب عليها لان قلاعها يومئذ لم تكن فيها القوة الكافية فلما رأى الوالي عجزه عن المقاومة اتفق مع الاسطول عَلَى دفع غرامة حربية عَلَى عهد السلطان احمد الثاني رفض الوالي الصلح الذي ابرمه سلفه مع حكومة اسبانيا فبعثت خمسة عشر مركبًا بقصد احتلال طرابلس فاتفق الاهالي مع العساكر وتغلبوا على الاسطول المذكور وفي سنة ١٢١٧ قدمت اساطيل اميركانية لطرابلس لان اسطولها كان يعاكس مراكب اميركا التجارية ويغنم منها كثيراً فطلب قنصلها من يوسف باشا قرهمانلي تعيين ضريبة تقدمها حكومة اميركا الى حكومة طرابلس في كل سنة فعين ضريبة عدها القنصل خارجة عن الحد فطلب تخفيضها بواسطة والي الجزائر فرفض يوسف باشا وساطته واصر عَلَى طلبه فمكث اسطول اميركا عشرين يومًا يرمي طرابلس بالقنابل وقلاعها ترميه ثم رجع بعد ان غنمت حكومة طرابلس جزءاً منه وفي كل هذه المواقع كانت تشترك الاهالي مع العساكر في الدفاع ·

ثم انتقض اهلها فاستعاد الامر يوسف باشا وحكم البلاد الى سنة ١٢٤٨ ثم اضطر لاستقالته من حكمها فاصبحت البلاد في حال اضطراب وهاجمها بنو سليمان من القبائل المشهورة مرات ونهبوها ثم عاد الاهلون فطلبوا انقاذهم من شرور الاختلاف فبعثت الحكومة اسطولاً فضبطت القلاع عَلَى ايسر سبيل ثم عينت لها واليًا · وكانت فزان من القديم تتبع طرابلس وتتبع احيانًا حاكم السودان واحيانًا شرفاء مراكش وبعد ان ضبط طغورت باشا طرابلس الحق فزان بها

وهذه الولاية الواسعة او المملكة العظيمة ليس فيها شيء من الطرق المعبدة ولا من السكك الحديدية ولا تعرف الخزانات ولا اسباب الري وتكثير الاشجار والنبات وتربية الحيوانات · تحمل بضائعها على الجمال وتقصد قوافلها ولا سيما قبل ان يستأثر الفرنسيس بها لتونس من تمبوكتو في اقاصي بلاد السودان مارة بواحات غات ومرزوق وغدامس اما مواصلاتها البحرية فلا يرمي في موانيها في الولاية غير البواخر الاجنبية ونصفها او اكثر يحمل الاعلام الايطالية ثم يجيء الانكليز والفرنسيس وسائر الدول بكثرة مراكبهم

وتبلغ تجارة طرابلس السنوية زهاء مليون ليرة منها ٥٥٠ الف للواردات و٤٦٠ الف ليرة صادرات منها ٢٣ الف ليرة صادراتها للبلاد العثمانية و٤٢ الف ليرة وارداتها منها

ولانكلترا المقام الاول بين الدول بوارداتها البالغة ١٥٧ الف ليرة وصادراتها التي تبلغ ٨٨ الف ليرة ثم تجيء فرنسا فايطاليا فالولايات المتحدة فالنمسا وقد بلغت مداخيل الحكومة منها سنة ١٣٢٢ ش ١٦٤٦٠٠٠٠٠ غرش

السكك الحديد الصينية

تقيم الصين الآن سكة حديدية من عاصمتها بكين الى كالقان مارة ببلاد المغول التي اجتازها التاتار في غاراتهم ولا تزال تجتازها القوافل وسيلتقي هذا الخط بخط ماوراء سيبريا الروسي ويختصر المسافة بين اوربا والشرق الاقصى بضع مئات من الكيلومترات. ومن الغريب انه تم من هذا الخط حتى الآن زهاء مائتي كيلومتر وجميع العاملين فيه صينيون ونفقاته من دخل بعض الخطوط الصينية الاخرى وقد بدأ هذا المشروع يربح ولذا عزمت حكومة بكين ان لا تعهد لاجنبي مهما كان ان يمد لها خطوطاً من هذا النوع وبذلك يقتصد المتعهدون من اجور اليد العاملة اقتصاداً كبيراً لان الصيني يرضى باجرة اقل من اجرة الاوربي والاميركي ويتبارى ابناء البلاد في العمل مدفوعين الى تجويده بعامل الوطنية والصينيون اليوم يستخرجون من ارضهم الفحم الحجري اللازم لخطوطهم وليسوا الآن في حاجة لغير القاطرات يستصنعونها في اميركا ولكن يستغنون عنها عما قريب بما تنتجه لهم مصانعهم فمتى تكون البلاد العثمانية وهي صاحبة الحضارات القديمة والذكاء الخارق كذلك

الهيتيون

قالت المجلة : دخلت دراسة الحضارات القديمة في آسيا الصغرى في دور جديد فقد تألفت جمعية ووضع لها دخل للانفاق عليها من اجل اجراء الحفر في بلاد الهيتيين والبت بتاً علمياً في علاقتهم مع شعوب يونان القديمة وسكان سواحل بحر ايجه (الارخبيل) فان مسألة الهيتيين تهم في الدرجة الاولى علم الآثار واصول الشعوب والاجتماع. وان هذا الشعب البائد كان مدة قرون منتشراً في آسيا الصغرى وسورية كما يستدل من الكتابات ومع هذا لم يعرف الا بما اشارت اليه التوراة من الاشارات. ومنذ ثلاثين سنة ابان بحث علماء المشرقيات بحثاً علمياً امثال الاستاذ سايس والدكتور ويرغت ان شعباً معاصراً للفراعنة كان ينزل حوض قزل ايرمق *Halys* والفرات استولى عليه الكلدانيون منذ الزمن الاطول فاقتبس منه بعض اوضاعه المدنية التي كانت لها صبغة الطاعية وكان الهيتيون قبل المسيح بعشرين قرناً مختلفين مع بابل ويعدون تخوم

بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصـــر التي نشب بينهم و بينهـــا حرب عَلَى عهد رعمسيس الثاني . وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا عَلَى جزء عظيم من آسيا الصغرى . وكان الاشوريون يدعونهم خاتيس khatis والعبرانيون ختي ختين Khéti-khétins ودثروا في قرون ولم يبق منهم الا تذكارهم ايام فتح الاسكندرية وامتزجت بقاياهم بالآراميين او لجأوا الى مضايق جبل طوروس . وقد اكتشفت في خرائب مصانعهم القديمة الواح كثيرة من الخزف كانت لهم بمثابة سجلات ولكن معظمها مما يصعب حله وليس للعلماء عنهم من المعلومات الحقيقية الا ما كان من الآثار المكتوبة بالخط الاشوري تثبت عظمتهم اوائل الالف الاولى السابقة لمملكة الرومان وربما كان من الابحاث الحديثة فيهما حل مسألة تشغل العلم كثيراً و يعتبر الهيتيون اعتبارات بانهم اقدم الشعوب المتمدنة

انكلترا والشاي

تكثر انكلترا من تناول الشاي سنة بعد سنة ففي احصاء سنة ١٩٠٩ انه بلغ مشروبها منه ١٤٠ مليون كيلو غرام يصيب الفرد منها ثلاثة كيلو غرامات ومعظم هـذا الشاي تجلبه انكلترا من بلاد الهند يبذل ١٦٠ مليون فرنك يلزم لها ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات ثمن ورق ومقوى لوضع الشاي فيه تعدل قيمتها بثمانية ملايين فرنك

فن تكثير السمك

La pisciculture

ان في تنمية الاسماك في المياه الجارية والغدران في البلاد تنمية ثروتها الاقتصادية بيد ان دخول الحضارة في كثير من الممالك زهد في تربية الاسماك وقليل في الاقطار ما عنيت عناية حقيقية بالاسماك واتخاذ الذرائع لتنميتها واهم مصاب الانهار لاستخراج الاسماك في العالم في النيوا احدى ولايات اميركا الشمالية وفيها مصب نهر المسيسيبي العظيم وطوله من ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلو متر ووضعه الجغرافي واسبابه الطبيعية تجعله صالحاً لتكثير الاسماك وتتغذى جميع تلك الولاية من اسماكه ووزن ما يستخرج منه كل سنة عشرة ملايين كيلو تقدر قيمتها بنحو اربعة ملايين فرنك ويستخدم ١٧٦٧ رجلاً في صيدها

المقتبس

رسالة في اسماء الاضداد

للملا جامي المتوفى سنة ٨٩٨ [1]

عني بنشرها من مجموع قديم محمد جميل افندي الشطي في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً لمن خلق الاشياء اضدادا . ومصلياً على نبي نهى الناس عن اتخاذهم لله اندادا . وعلى عترته وأسرته الممدين لسيرته امدادا . و بعد فلما اشتملت العربية على كلمات وضعت للدلالة على الضدين وغفل عنها من اغفل تصفح اللغات التقطتها حسب الاستطاعة . وجمعتها مرتبة ترتيب البضاعة . استبضع بها في اكتساب الامتياز بين اولي النهى وارباب الدهى وتتبين الاشياء باضدادها ومن الله العصمة عن الوصمة

(مقدمة) قال الكيا المشترك يقع على ضدين كالجون للابيض والاسود وعلى مختلفين كالعين وقال ابن فارس من دأب العرب تسمية الضدين باسم واحد نحو الجون وانكر

(١) المقتبس : الملا جامي هو مولانا نور الدين عبد الرحمن من اعاظم شعراء ايران ولد في قرية جام من اعمال خراسان سنة ٨١٧ وحصل العلم في هرات ووقف على العلوم والفنون حتى صارت له يد طولى بالآداب العربية والفارسية وسلك طريق التصوف والف عدة كتب في النظم والنثر وبعد صيته في الآفاق وخف الناس الى لقائه من الامصار وتوفي سنة ٨٩٨ وله عدة تصانيف ودواوين منها ماهو بالفارسية ومنها بالعربية وشعره الفارسي غاية الغايات لا يعرف له السقط (ملخصاً عن قاموس الاعلام لشمس الدين سامي)

ذلك ناس وليس بشيء فان الذين رووا ان العرب تسمي السـيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا انهم يسمون المتضادين باسم واحد .

الهمزة : (ثأثأ) الابل ارواها وعطشها وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد لازم ومتعد (جفأ) الباب اغلقه وفتحه ضـد (خجيء) بالمعجمة استحيى وتكلم بالفحش ضـد (دارأه) دافعته ولاينه ضد (ناء) نهض بجهد ومشقة وبالحمل نهض مثقلاً وبه الحمل اثقله واماله كاناءه وفلان اثقل فسقط ضد .

الباء : (اترب) كثر ماله وقل ضد (اجلعب) الرجل اضطجع والابل مضت جادة ضد (الحوشب) الثعلب الضامر والمنتفخ الجنبين ضد (خشب) في الصحاح خشب السيف احكم عمله وصقله وخشبه لم يحكم عمله ولم يصقله وفي القاموس خشبه خلطه وانتقاه والسـيف صقله وطبعه (ارتاب) شك وقال ابو علي تيقن ضد اذ يكون شكاً ويقيناً ذكره الطرطوشي في قوله تعالى ان ارتبتم فعدتهن الآية (الساقب) القريب والبعيد ضد (شرب) عطش وروي واشرب سقى وعطش (شعب) الشيء اصلحه وافسـده ضد واما شعب بمعنى افترق واجتمع فليس بضد بل كل حرف منهما لغة لقوم ومن شرط الاضداد اتحاد اللغة (الصقب) كلقب القرب والبعد ضد (اضب) صاح وتكلم وعَلَى ما نقل سكت ضد (الطب) الداء والدواء ضد في المثلث للبطليوسي (الطرب) محركة الفرح والحزن ضد في الاساس هو خفة من سرور اوهم (اطلب) في الاساس طلب مني فاطلبته فاسعفته واطلبه الفقر احوجه الى الطلب (استعتبه) اعطاه العتبى كاعتبه وطلب اليه العتبى ضد (العجباء) هي التي يتعجب من حسنها ومن قبحها ضد (استعذبه) استحلاه وامتنع عنه كضد (الاعراب) الفحش وقبيح الكلام والدرء عن القبيح ضد (العناب) كغراب الجبل الاسود الصغير المستدير والطويل ضد (العنبان) محركة النشيط الخفيف والثقيل من الظباء ضد (التغريب) الاتيان بابناء بيض وبابناء سـود ضد (المغلب) المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة عَلَى اقرانه ضد (قرضب) اللحم جمعه في البرمة والشيء فرقه ضد سيف (قشيب) مجلو وصدي وثوب قشيب جديد وخلق ضد (قعب) له العطية اجزلها وقعب له قعبة اعطـاه قليلاً ضد (قاب) هرب وقرب ضد (الجبة) كوجبة وقصبة وخربة وعنبة الشـاة القليلة اللبن والغزيرة ضـد (انجب) جاء بولد شجاع وجبان ضد (النحب) الموت والاجل كضد (نصب) الشيء وضعه ورفعه ضد (الوثب) القفز والقعود بلغة حمير كضد (الوغب) الضعيف البدن والجمل الضخم ضد (الهلوب)

هي المتقربة من زوجها والمتجنبة منه ضد (تهيب) الشيء وتهيبه الشيء ضد في المزهر ·

التاء : (الامت) في القاموس هو المكان المرتفع والتلال الصغار والارتفاع والانخفاض ضد (السبت) حلق الرأس وارسال الشعر عن العقص ·

الثاء : (اقعث) له العطية اجزلها وقعث له قعثة اعطاه قليلاً ضد (الالوث) المسترخي والقوي ضد ·

الجيم : (الزوج) الذكر والانثى ضد (الفاثج) الناقة الحامل والحائل ضد (الإفجيج) الوادي الواسع والضيق ضد ·

الحاء : (جمح) اسرع وابطأ ضد (الزوح) تفريق الابل وجمعها ضد (السبح) النوم والسكون والتقلب والانتشار في الارض ضد (الشحشح) من الارض ما لا يسيل الا من مطر كثير والذي يسيل من ادنى مطر ضد (المشيح) الجاد والحذر ضد (قرحان) من الامر وقراحي خارج ومن لم يشهد الحرب كالقراحي ومن مسته القروح ضد (كشح) الشيء جمعه وفرقه ضد (المسيح) المبارك والملعون ضد يعني بالمبارك مسيح الهدى عيسى عليه السلام وبالملعون مسيح الضلالة الدجال (النحاحة) السخاء والشح ضد (نشح) نشحاً ونشوحاً شرب دون الري او حتى امتلأ ضد (نيح) الله عظمه شدده ورضضه ضد

الخاء : (الصارخ) المغيث والمستغيث ضد (الصريخ) صوت المستصرخ والمغيث ضد ·

الدال : اسد كفرح دهش عند رؤية الاسد وصار كالاسد ضد (افد) كفرح اسرع وابطأ ضد (بعد) بمعنى قبل في قوله تعالى من بعد الذكر (جعد) للكريم واذا أضيف الى البنان اوالانامل اوالاصابع او الكف فللبخيل في الاساس واما قولهم لكريم جعد فمن الكناية عن كونه سخياً عربياً لان العرب موصوفون بالجعودة (اساد) ولد سيداً واسود ضد واسود على الاصل مثله (سجد) خضع وانتصب (صرد) السهم اخطأ ونفذ حده ضد (صعد) في الجبل وعليه علاه وفي الوادي انحدر ضد (صفد) العطاء والوثاق ضد (الصماريد) الغنم السمان والمهازيل ضد (الضمد) خيار الغنم ورذالها وفي المزهر صالحة الغنم وطالحتها ضد (الصمرد) الناقة الكثيرة اللبن والقليلة (اصاده) داواه من الصيد وآذاه ضد (الضمد) رطب الشجر ويابسه ضد (المعبد) المذلل والمكرم ضد (العيد) واحد الاعياد وعادك عيد اي نزل بك حزن كضد (غمدت) الركية كثر ماؤها وقل ضد (افاد) بذل المال واستفاده ضد (القعدد) القريب الآباء من الجد

الاكبر والبعيد الآباء منه ضد (اشحذ المطر اقلع ودام (المصد) شدة البرد والحر ضد (النجادة) السخاء والشح ضد في المزهر (النجدة) القتال والشجاعة والشدة والهول والفزع الظاهر انه ضد (الناشد) طالب الضالة ومعرفها ضد (النكد) الغزيرات اللبن من الابل والتي لالبن لها ضد جمع نكداء (وطد) الشيء اثبته وثقله ضد والشيء رسا وسار ضد (الماجد) المصلي بالليل والنائم ضد (تهجد) نام واستيقظ ضد فلان (هد) قال ابن الاعرابي هو الكريم الجواد واما الجبان الضعيف فهو الهد شبه ضد (اهمد) بالمكان اقام وفي السير اسرع ضد ·

الذال : (الحذاء) قصيدة فيها الحذذ وهو سقوط وتد مجموع من البحر الكامل من متفاعلن فينقل الى فعلن والقصيدة السائرة التي لا عيب فيها ضد (الخنذيذ) هو الفحل والخصي ضد (المخاوذة) هي المخالفة والموافقة ضد ·

الراء : (الأزر) هو القوة والضعف ضد (ابتر) اعطى ومنع ضد (البشارة) مطلقة لا تكون الا بالخير ومقيدة لاتكون الا بالشر فبشرهم بعذاب أليم (البهيرة) هي السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة ضد (ثغر) كمنع ثلم والثلمة سدها ضد (اثغر) الغلام التى ثغره ونبت ثغره ضد (الجبر) الملك والعبد ضد (جعفر) هو النهر الصغير والكبير الواسع ضد (الحرور) هي الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (حزور) هو الغلام القوي والضعيف ضد (الاحمر) ما لونه الحمرة والابيض ضد (خشر) ابقى عَلَى المائدة الخشارة ونقى الخشارة ضد (الخطر) كالشرف الاشراف عَلَى المكروه والقدر والمنزلة ضد (ام خنوره) النعمة والداهية ضد (الذفر) كل ريح ذكية من طيب او نتن ضد (المسجور) الموقد والساكن ضد (السادر) هو المتحير ومن لايبالي ضد (أسر) الشيء كتمه واظهره ضد يقال التى عليه (شراشره) اي ثقله وحماه ضد (الصفرة) بالضم معروفة والسواد ضد (اعذر) ابدى عذراً وقصر ولم يبالغ وهو يري انه مبالغ وبالغ كضد (التعزير) ضرب دون الحد والتوقير وتعزروه وتوقروه (غبر) مضى وبقي ضد (الفطرة) كفرحة (؟) الناقة اللاحق والحائل ضد (قصر) الطعام قصوراً نما وغلا ونقص ورخص ·

الزاي : (الحوز) هو السوق اللين والشديد ضد (عز) ان يفعل كذا اشتد وعز ضعف ضد (الفوز) النجاة والهلاك ومنه المفازة للمهلكة والمنجاة في القاموس فازمات ومنه نجا وبه ظفر ·

السين : (الرس) الاصلاح بين الناس والافساد ايضاً ضد (عسعس) الليل اقبل

ظلامه قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر (امرس) مرس الحبل اذا وقع في احد جانبي البكرة مرساً فاذا اعدته الى مجراه قلت امرسته واذا انشبته بين البكرة والقعو قلت امرسته وهو ضد عن يعقوب (الميعاس) الارض لم توطأ والطريق ضد (الوبس) الفقر وما يريده الانسان ضد ·

الشين : (الرعشيش) بالكسر الجبان والسريع الى القتال ضد « الومشاء » هي الريشاء اي الكثيرة العشب والجدبة من صفات الارض ضد « الروش » الاكل الكثير والاكل القليل ضد « الفياش » المتكبر المعجب والسيد المفضال ضد ·

الصاد : « قلص » ماء البئر ارتفع بمعنى ذهب ومعنى تصعد لجمومه انتهى فهو ضد ·

الضاد : « ارض » ابطأ وثقل وعدا شديداً ضد « غرض » الحوض ملؤه والنقصان عن الملء ضد ·

الطاء : « الاشراط » الارذال والاشراف قال يعقوب هذا الحرف ضد « قسط » جار وعدل حكى ابن السكيت في الاضداد عن ابي عبيدة واقسط بالالف عدل لا غير « هبط » قال المفضل الهبوط الخروج عن البلد ودخولها ايضاً فهو من الاضداد من قطف الازهار للسيوطي ·

العين : « باع » بعت الشيء شريته وبعته ايضاً اشتريته وفي الصحاح شريت اي بعت في برد (كذا) «التلعة» ماارتفع من الارض وماانهبط منها عن ابي عبيدة « خلع » ثوبه وعليه اعطاه خلعة « الزمعان » محركة خفة الارنب وسرعتها والمشي البطيء وفعله كمنع ضد «السميع» السامع والمسمع «طلع» عليهم غاب عنهم حتى لا يروه واقبل عليهم حتى يروه «فرع» الجبل صعد وفي الجبال انحدر «المفرع» المصعد في الجبل والمنحدر ضد « الفزع » الذعر والغوث ضد «افزع» الافزاع الاخافة والاغاثة ايضاً يقال فزعت اليه فافزعني اي لجأت اليه من الفزع فأغاثني « فزع » فلاناً خوفه وعنه كشف عنه الخوف « اقرع » الى الحق رجع وذل وامتنع « القنوع » هو السؤال والتذلل قال اهل العلم ان القنوع قد يكون بمعنى الرضى فهو من الاضداد « الاقناع » يكون رفعاً وخفضاً مقنعي رؤوسهم رافعيها من الاضداد « اودع » قال الكسائي تقول اودعته مالاً اذا دفعته اليه يكون وديعة عنده واودعته ايضاً اذا دفع اليك مالاً يكون وديعة عندك وقبلتها وهو من الاضداد ·

الفاء : « الخلوف » حي غيب والحضور المتخلفون « خاف » بمعنى توقع من قولهم اخاف

ان يرسل السماء « السدمة » الظلمة والضوء عند بعضهم و بعضهم يجعلها الاختلاط الظلام والضوء كوقت مابين طلوع الفجر الى الاسفار « الشف » هو الفضل والنقصان ضد « العرف » الريح طيبة كانت او منتنة يقال عرف المسك « نصف » خدم وفلاناً استخدمه ضد « توذف » وهو الاسراع عن ابي عبيدة ومر يتوذف اذا مر يقارب الخطو و يحرك منكبيه من الصحاح وفيه ابطاء « اليهفوف » الجبان و يقال لحديد القلب من الصحاح ضد ٠

القاف : « المحانيق » الابل الضمر والسمان ضد « دهق » الكأس ملأها وكأس دهاق والماء افرغه ضد (سبقته) بالتشديد اخذت منه السبق وهوالذي يتراهن عليه المتسابقان وسبقته ايضاً اعطيته السبق قال الازهري وهذا من الاضداد « صفق » الباب رده واغلقه وفتحه « المفرق » كمحسن القليل اللحم والسمين ضد « فوق » بمعنى دون بعوضة فما فوقها «ملق» الشيء يلقه لقاً كتبه في لغة عقيل ومحاه في لغة بني قيس ولعله لغة في نمق عَلَى ان اتحاد اللغة شرط في الاضداد ٠

الكاف : « البك » هو التفريق والازدحام كأنه ضد ٠

اللام : (البسل) الحلال والحرام (الجلل) العظيم والصغير (حال) في متن فرسه وثب وعنه سقط واستوى عَلَى حال متنه (ازعله) نشطه ومن مكانه ازعجه (الشمل) ما اجتمع من الامر فرق الله شمله وما تشتت منه جمع الله شمله (الكل) بالضم اسم لجميع الاجزاء وقد جاء بمعنى بعض ضد (كلل) في الامر جد وعن الامر احجم وجبن ضد (مثل) مثولاً انتصب قائماً وزال عن موضعه وتمثل مثله وفي الصحاح لطيء بالارض وهو من الاضداد (تمهل) اتأد وتقدم « النبل » الكبار والصغار « انتبل » مات وقتل ضد « النجل » يطلق عَلَى الولد والوالد فهو من الاضداد من نواهد الابكار للسيوطي « نصل » السهم اذاخرج منه النصل واذاثبت نصله فلم يخرج «نصل» بالتشديد نزع النصل وركبه « الناهل » الريان والعطشان ضد ٠

الميم : « الجمشم » كقنفذ وجندب القصير الغليظ والطويل الجسيم ضد « الادم » الاسود والجديد من الآثار والقديم الدارس ضد « السليم » و يطلق عَلَى اللديغ تفاؤلاً بسلامته « سام » البائع السلعة عرضها للبيع وسامها المشتري « شام » السيف شيماً اغمده وسله وهو من الاضداد من اصلاح المنطق « الصريم » هو الليل المظلم والصبح « الغريم » الذي عليه الدين وقد يكون للذي له الدين « قامت » السوق نفقت وركدت ٠

النون : (بين) للقطع والوصل ضد (الجون) الابيض والاسود والجونة الشمس

قال« تبادر الجونة ان تغيبا » « دون » بمعنى فوق في الاساس هذا دون ذاك اي اخس منه ودونه خرط القتاد اي امامه وجلس دونه اي تحته « المنة » القوة والضعف ·

الواو : « الرتو » الشد والارخاء « الرهوة » الارتفاع والانحدار « الرجاء » هو الامل والخوف « الا » قصر واستطاع « القفوة » الخيرة والتهمة فلان قفوتي اي خيرتي وتهمتي « عفا » درس ومنه العفو وهو محو الجريمة وكثر حتى عفوا ·

الهاء : « النبه » من الاضداد يقال للضائع نبه وللموجود نبه ·

الياء : « الجادي » السائل والمعطي « اخفى » الشيء كتمه واظهره اكاد اخفيها « الدواعي » البواعث وصروف الدهر « ارأى » ارءاه صار ذا عقل وتبينت فيه الحماقة ضد « الزبية » هي المكان المرتفع وحفرة الاسد جاءني « سواؤه » اي نفسه وغيره « الشرى » خيار المال ورذاله جمع شراة « شرى » الشيء باعه وشروه بثمن بخس في الصحاح شريت اي بعت في برد (كذا) واشتراه « اشكاه » حمله على الشكاية وازال شكواه « غبيت » الكلام وغبي عني ليلة « غاضية » اي مظلمة ومضيئة « اكرى » زاد ونقص « انتدى » القوم وتنادوا اجتمعوا والشيء تفرق « وراءه » خلفه وقد يكون بمعنى قدام فهو من الاضداد وكان وراءهم ملك « ولى » اقبل وادبر « الونى » كفتى التعب والفترة « هوى » من الجبل صعد والله اعلم واليه يصعد الكلم الطيب

بين الفيحاء والشهباء

عمل حلب وحدودها

اجمع الجغرافيون من العرب والافرنج ان حد الشام من عريش مصر الى الفرات ومن البحر الرومي الى جبال طي ولكن مما يشوش الذهن ان جميع اعمال حلب اليوم هل هي داخلة في حدود سورية ام بعضها خارج عنها يعد من آسيا الصغرى فقد قال بوليه في معجمه الجغرافي التاريخي ان حد سورية شمالاً الى آسيا الصغرى من خليج اسكندرونة الى نهر الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العربية

يسمى تيه بني اسرائيل الى تخوم مصر وغرباً الى البحر المتوسط وطولها المتوسط عَلَى هذه التخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلو متر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً وهذا التعريف يدل عَلَى عمل حلب الحقيقي خصوصاً و يؤيده قول صاحب الخريدة ان الرها (اورفة) معدودة من الجزيرة لا من حلب قال ابو زيد البلخي [١] فشرقي الشام غربي الفرات وغربي الشام ساحل الروم وشماله جبال الروم وجنوبه فلسطين والاردن و بعض البادية قال ابن حوقل واما الشام فان من غربيها بحر الروم وشرقيها البادية من ايلة الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم وشماليها بلاد الروم ايضاً وجنوبيها حد مصر وتيه بني اسرائيل [٢] وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور المعروفة كانت قديماً بالجزيرة وهي ملطية واذنة وطرسوس وقد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور يعرف بثغور الشام وبعضها يعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام وذلك ان كل ما كان وراء الفرات فمن الشام وانما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة بها كانوا يرابطون و يغزون منها لانها من الجزيرة وكور الشام هي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعواصم والثغور و بين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ويقال انه ينتهي الى حد مائتي فرسخ ويظهر في الاسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى اللكام الى ان يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ الى حمص ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد عَلَى الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة و يتصل بالمقطم من أخرى

وقال ابو الفدا [٣] : حدود الشام عَلَى وجه دخل فيه بلاد الارمن وهي المعروفة في زماننا ببلاد سيس والذي يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرسوس التي

(١) البدء والتاريخ (٢) قال ابن حوقل واما تيه بني اسرائيل فيقال ان طوله اربعون فرسخاً وعرضه قريب من طوله وهو ارض فيها رمال وبعضه جلد وبه نخيل وعيون مفروشة قليلة يتصل حد له الى الجفار وحد الى جبل طور سينا وما اتصل به وحد باقاصي بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحد له ينتهي في مفازة في ظهر ريف مصر الى حد القلزم (٣) تقويم البلدان

345

ببلاد الارمن الى رفح التي في اول الجفار بين مصر والشام ويحيط به من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى حدود تيه بني اسرائيل الى ما بين الشوبك وايلة الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء الى مشاريق (لا مشارف) صرخد آخذاً عَلَى اطراف الغوطة الى سلمية الى مشاريق حلب الى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سميساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس الى بحر الروم ومن حيث ابتدأنا و بعض هذه الحدود تقع شرقية عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر مثل البلقاء فانها جنوبية عن حلب وما في سمتها وهي شرقية عن مثل غزة وما في سمتها اه

وبعد فهذا امتع تعريف لبلاد الشام وبه تبين البلاد التي تعد من اعمال حلب من حيث التقسيم الطبيعي الجغرافي والبلاد التي تعد من الروم اوآسيا الوسطى وكان عمل حلب في الحكومة السالفة منذ عهد الاسلام تابعاً في تحوله للاحوال السياسية الطارئة واليك الآن وصفها من مصادر ثلاثة مختلفة ولكن وقتها متقارب وهو بين القرن الثامن والعاشر قال شيخ الربوة : ان لحلب من البلاد ذوات الكور دون العواصم الخناصرة (يقال لها الخناصر الآن) وهي عَلَى سيف البرية وجبل بني القعقاع وكان يسمى قصر ابن الثانية وقنسرين وكانت هي القصبة قبل حلب وهي مدينة رومية كان اسمها صوما وسرمين وهي في طرف جبل السماق (يسمى الآن جبل الزاوية او النصيرية) وهذا الجبل معمور بطائفة تسمى النصيرية ومن جند حلب معرة النعمان وتعرف بذات القصرين ولها عمل من احسن الاعمال وهو شعراء ممدودة وغالب شجرها التين والفستق واللوز والمشمش والزيتون والرمان والتفاح وكثير من الفواكه وسائرها يشرب من ماء السماء لا يعتنى في فلاحته باكثر من الحرث تحته وجبل السماق من اعمر الارض واعملها فلاحة من رآه ورأى الاندلس لم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس والفوعة ولها عمل حسن وشغر وبكاس ومعرة صرمين (سرمين او مصرين ؟) وتيزين بلدة طيبة ولهاعمل متسع وحارم كذلك وكان ثغراً حسناً وشيزر مدينة حصينة وبيئة يشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر يسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي وحندراس ولهاجومة اي كورةفيها اجمة كبيرةالبناء لا يعلم العالم من اين يجيء ماؤها ولاالى اين يذهب ودلوك (Doliche,Dolica,Delouc)

ورعبان (؟) وكيسوم وفوارس « ؟ » وكفر طاب وفوذ « ؟ » وفامية وبرزية حصن منيع يضرب به المثل وتحته بالقرب بحيرة فامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيها نوع من السمك شبيه بالحيات ويسمى انكليس لحمه شبيه بالالية المشوية وللنصارى فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم داخل البحر ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم و « عمورية » بناها الرشيد عَلَى اثر عمارة قديمة رومية

ولحلب من جهة الشمال والشرق عين تاب بلدة ولها حصن مليح واهلها تركمان ولها نهر يسيح وعليه بستان وهو جار و « اعزاز » قلعة في الشمال الغربي من حلب وتسمى عند الافرنج Azaz و Hazarth وهو حصن و « الباب وبزاعة » وهما مدينتان وبينهما واد يعرف ببطنان ولها نهر يسمى الساجور يجري اليهما من عين تاب و(بالس) وهي مدينة قديمة على الفرات وفي حيزها « صفين » و «رصافة هشام» بن عبد الملك بناها لنفسه عَلَى اثر بناء قديم كنعاني و « منبج » وهي على مرحلة من الفرات بناها كسرى وسماها منبه اي جود وفي عملها قلعة « نجم » وكانت تسمى قلعة منبج و «تل باشر»[1] ولها نهر يجري اليها من عين تاب وهو الساجور . وبحلب ايضاً مما هو داخل في اعمالها وجندها « قلعة الروم » يقيم بها خليفة الارمن وبطركها و « مرعش » ولها بحيرة متسعة و « بهسنا » حصن مليح و « الكخنا » و « كركر » و « تل حمدون» و « قلعة نجم » و « قلعة حميص » و « الراوندان » وكل هذه ثغور تجاه الارمن والتتار و « البيرة » حصن منيع شرقي الفرات ومن الثغور الساحلية الجبلية « ديركوش » و « دربساك » و « بغراس » (بيلان) و« حجر شعلان » و « اسكندرونة » و (قصير) و (انطاكية) و (بغرا) ولها بحيرة حلوة من نهر الاسود بينها وبين بغراس وبين انطاكية وهي قصبة السواحل كانت قبل ثغورها وكانت احدى كراسي الروم ويسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير محيط عَلَى اربعة جبال وشعاري ولها بساتين ولها فرضة تسمى السويدية عَلَى الساحل عند مصب العاصي في البحر والهارونية بناها هارون الرشيد . ومن اعمال حلب ايضاً (النقدة) (؟) و (حلقة سرمدا) و(حلقة تيزين)و (ارتاح) و (الجبول) و (جبرين) و (ريحا) وكثير مثل ذلك والمذكور نحو ستين عملا وكل عمل يحتوي عَلَى اعمال وكور وضياع عامرة

(١) وقد يكتبه الاتراك تلباشر تسمى في كتب المؤرخين من الصليبيين Turbessel « قاموس الجغرافية »

ورساتيق منها قائم وحصيد انتهى ما قاله شيخ الربوة ووصفها ابن فضل الله العمري (١) باخصر من هذا فقال :

واما بلاد حلب فيحدها من القبلة المعرة وما وقع عَلَى سمتها الى الدمنة الخراب والسلسلة الرديئة ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك كله بين الحيار والقرية المعروفة بقبة ملاعب ومن الشرق البر حيث يجد براً آخذاً عَلَى الثلج (؟) ونهر الخلاب على اطراف بالس الى الفرات دائرة تحدها وبهذ القسم تكون بلاد جعبر داخلة في حدودها ومن الشام بلاد الروم مما وراء بهسنا وبلاد الارمن مماوراء نهر جاهان ومن الغرب مااخذ مع بلاد الارمن على البحر الشامي ويحلب قلاع وولايات فاما القلاع فهي البيرة وهي التي لاتماثل ولها عساكر ومنعة ولنائبها مكانة جليلة وقلعة المسلمين وهي المعروفة بقلعة الروم كانت مسكناً لخليفة الارمن ولم يزل بها حتى افتتحها وسماها قلعة المسلمين وهي من جلائل القلاع والكختا وهي ذات عمل متسع وعسكر متطوع مجتمع وكركر وبهسنا وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل جمره في الحروب به عسكر من التركمان والاكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ولنائبها مكانة جليلة وان كان لا يلحق بنائب البيرة وعينتاب وهي مدينة حسنة والراوندان والدربساك وبغراس وكانت ثغر الاسلام في عز الارمن حتى استضيفت الى الفتوحات الجاهانية وبها الرصاص وهو عضو من اعضائها وجزء من اجزائها والقصير وهو لانطاكية والشغر وبكاس وهما كالشيء الواحد وجحر شعلان وابوقبيس وشيزر فهذه جملة قلاعها وهي عَلَى هذا الترتيب وان كانت عينتاب داخلة عن النطاق فانها في موقعها بين ما ذكر واما ولايتها فاجلها الغربيات وهي سرمين وما معها وجملة ولايات حلب كفرطاب وفامية وسرمين والجبول وجبل سمعان وعزاز وتل باشر غير مافي هذه القلاع عماله ولاية مضافة اليه ولمدينة حلب نفسها ولاية بركما لدمشق فهذه جملة البلاد الحلبية اهـ ·

وعدد غرس الدين الظاهري [٢] بلاد المملكة الحلبية فقال انها مملكة متسعة الى الغاية تشتمل عَلَى مدن وقلاع ومعاملات وقرى عديدة واعظم مدنها حلب ثم ذكر مدن انطاكية وجعبر والرحبة وسيجر (شيزر) وسرمين والباب وبزاعة وكليس وعزاز واقليم العمق والجزيرة ومدينة الحديدة واياس (بياس) وسيس وطرسوس ومصيصة (مسيس) واذنة والرمضانية والاوزازية وقيسارية وعينتاب وشيخ وقلعة المسلمين والبيرة والرها

(١) التعريف بالمصطلح الشريف (٢) زبدة كشف الممالك

وكركر وقلعة خروس وكختا وحصن منصور وبهسنا ودارندة (فوق مرعش باربعة ايام) ودوركي وعربكير وبمعاملتها عشر قلاع وجمشكزك وبمعاملتها اربع وعشرون قلعة وخربوت وهذه المدينة وعربكير وجمشكزك وقلاعها ومعاقلها كانت من ديار بكر فتحت في الايام الاشرفية واضيفت الى المملكة الحلبية . وذكر ان لكل مدينة من هذه المدن اقليماً فيه عدة قرى وبعض هذه المدن اليوم من عمل ولاية شيواس والآخر من عمل ولاية ديار بكر والآخر من عمل معمورة العزيز والآخر من ولاية اطنة

وقال ابن جبير : وعدة جميع قلاع حلب وحصونها ثلاثة وعشرون عملاً وهي عمل شيزر وقلعة النجم وعمل الشغر وبكاس وهي قلعة وعمل القصير وهي قلعة وعمل ديركوش وعمل حارم وشيح الحديد وعمل انطاكية وعمل بغراص وهي قلعة حصينة والدربساك وهي قلعة وعمل حجر شغلان وهي قلعة وعمل الراوندان وهي قلعة ومعها تل هران وبرج الرصاص وتل باشر وعمل عينتاب ولها قلعة ومعها دلوك وقوص وعمل بهسنا وكركر وكختا والبيرة وقلعة الروم ومنبج والجبول والباب وبزاعا وتيزين واعزاز وكيسوم وسرمين والفوعة ومعرة مصرين ومرتجوان وكفرطاب وبالس وصفين والرصافة وخناصرة وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضر قنسرين

وعلى الجملة فقد اختلفت تقسيمات حلب فيما مضى وكانت في الاكثر ينتهي حدود عملها من جهة الشمال الى دروب الروم وقد تكلم ابن شداد من بلاد حلب على بالس والرصافة وخناصرة وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضرها وسرمين والفوعة ومعرة مصرين ومرتجوان وحارم والعمق وقال انه كان في هذه النواحي ما يزيد على ثلاثين والياً يتصرفون من جهة من يكون نائباً عن السلطان بحارم . وذكر ايضاً ديركوش وعزاز والراوندان وتل هران وتل باشر وعينتاب والمرزبان وخروص والزرب وبهسنا والباب وبزاعا والشغر وذكر من الحصون التي استولى عليها الخراب حتى صارت قرى غير دافعة ولا مانعة حصن سنياب وحصن سلعان وحصن سوبرك او بزربك وحصن تل رمان شمالي نكفالون وحصن باسوطا في المضيق وحصن عناقيب وحصن بابرك وشيح الحديد في الروج الشرقي وكفرميت في الروج الشرقي وحصن راشيا وهو الآن راشي وحصن هاب وسرفون غربي سرمدا في الحلقة وارتيا في بلدة الزاوية يقال لها الآن (في عهده) ارنبا وحصن آتب او آنب وتل كشهبان او كشفان في الروج الغربي وحصن زردنا في بلد ادلب وحصن ازرقال والآن ازرغان مقابل تل كشفان وبينهما العاصي وحصن عم

وسلقين وتل عماد غربي سلقين وتل خالد وارمناز وسلمان وحصون العواصم وسلعوس وزياد وهو خرت برت بين آمد وملطية والعيون وكانت اذنة والمصيصة وطرسوس من الثغور الرومية داخلة من جملة عمل حلب

وقال ابن الشحنة واعلم ان اعمال حلب قد زادت قبل الفتنة التيمرية وبعدها عما ذكره ابن شداد وعملها اليوم من جهة الروم ينتهي الى دارندة وهي آخر عملها ومن جهة الغرب من الروم الى البحر ومن الشرق الى بعض اعمال الجزيرة كالرها والرقة وجعبر والبيرة وما والاها من جهة الشرق ومن جهة القبلة الى قرب حماة واما حماة فهي منفردة الآن (في عصر المؤلف) بعمل وكانت من مضافات حلب

واما المسافات فمن حلب الى قنسرين يوم — عَلَى قول ياقوت — والى المعرة يومان والى انطاكية ثلاثة ايام والى الرقة اربعة ايام والى الاثارب يوم والى توزين يوم والى منبج يومان والى بالس يومان والى خناصرة يومان والى حماة ثلاثة ايام والى حمص اربعة ايام والى حران خمسة ايام والى اللاذقية ثلاثة ايام والى جبلة ثلاثة ايام والى طرابلس اربعة ايام والى دمشق تسعة ايام ٠

بلاد حلب وكورها وحصونها

اتينا في النبذة الماضية عَلَى مجمل البلاد التي كانت تعد من عمل المملكة الحلبية قبل دخول الدولة العلية العثمانية وقد رأينا هنا ان نعززها بجملة ثانية فيها وصف كل مدينة وحدها في الجملة معتمدين في ذلك في الاكثر عَلَى معجم البلدان لياقوت الحموي وتقويم البلدان لابي الفدا صاحب حماة نذكرها بايجاز ما امكن لما يتخللها من الفوائد العمرانية والاجتماعية والادبية ونذيلها غالبًا بما يعرفها للقارىء اليوم ثم نردفها بما كتبه ابن حوقل في وصف الديار الحلبية

(الاثارب) قلعة معروفة بين حلب وانطاكية بينها و بين حلب نحو ثلاثة فراسخ وفيها يقول محمد بن نصر بن صغير القيسراني :

عرجا بالاثارب كي أُقضي مآربي
واسرقا نوم مقلتي من جفون الكواعب
واعجبا من ضلالتي بين عين وحاجب

(الاحص وشبيث) و يقال الاولى الحص الآن بالقرب من مملحة جبول وهما موضعان والغالب انهما بالقرب من قنسرين وانشد الاصمعي في كتاب جزيرة العرب

لرجل من طيء يقال له الخليل بن قردة وكان له ابن واسمه زافر وكان قد مات بالشام

ولا آب ركب من دمشق واهله ولا حمص اذ لم يأت في الركب زافر
ولا من شبيث والاحص ومنتهى الـ ـمطايا بقنسرين او بخناصر

(الارتيق) كورة من اعمال حلب « ارتاح » حصن منيع كان من العواصم وهو من اعمال حارم (ارفاد) قرية كبيرة من نواحي حلب ثم من نواحي عزاز يقال لها رفاد (ارمناز) بليدة قديمة من نواحي حلب بينهما نحو خمسة فراسخ يعمل بها قدور وشربات جيدة حمر طيبة ولا تزال كذلك (اسفونا) اسم حصن كان قرب معرة النعمان بالشام افتتحه محمود بن نصر الكلابي و يقال لها اليوم (عصر ياقوت) سفوهن فيما بلغني

(الاعماق) كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية والعمق اليوم فيها نحو مائتي قرية (افلاطنس) حصن عظيم عال مشرف جداً من اعمال جبل وهرا من عمل حلب الغربية ولعله المشهور اليوم بقصر البنات (انب) حصن من اعمال عزاز يبعد عنها نحو اربع ساعات

(انطاكية) لم تزل قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير زارها ابن بطلان في سنة نيف واربعين واربعمائة فقال ان المسافة بينها و بين حلب يوم وليلة عامرة لا خراب فيها اصلاً ولكنها ارض تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون قراها متصلة ولسورها ثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية يضمنون حراسة البلد سنة و يستبدل بهم في السنة الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قلته فتتم دائرة وفي رأس الجبل داخل السور قلعة وفي وسط المدينة بيعة القسيان وهو هيكل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان بدور الهيكل اروقة يجلس عليها القضاة للحكومة ومعلمو النحو واللغة وهناك من الكنائس مالا يحد كلها معمولة بالذهب والفضة والزجاج الملون والبلاط المجزع وفي البلد بيمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه و يدخل المجذمين الحمام في كل سنة فيغسل شعورهم بيده ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنة و يعينه على خدمتهم الاجلاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع ٠

وقال ابن الفقيه ومن عجائب الجزيرة كنيسة الرها والروم تقول ما من بناء بالحجارة ابهى من كنيسة الرها ولا بناء بالخشب ابهى من كنيسة منبج لانها بطاقات

من خشب العناب ولا بناء بالرخام ابهى من قسيان انطاكية ولا بناء بطاقات الحجارة ابهى من كنيسة حمص

قال ياقوت وبين انطاكية والبحر نحو فرسخين ولها مرسى في بليد يقال له السويدية ترسي فيه مراكب الافرنج يرفعون منه امتعتهم عَلَى الدواب الى انطاكية واستمرت هذه المدينة في ايدي الافرنج الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي جد ملوك آل سلجوق سنة ٤٧٧ وقد كان فتحها المسلمون مع حلب وملكها الروم سنة ٣٥٣

وفي غربي الفرات مقابل قلعة جعبر ارض (صفين) التي بها كانت الوقعة ومن قلعة جعبر الى الرقة سبعة فراسخ . (البارة) بليدة وكورة من نواحي حلب وفيها حصن وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة (بارين) والعامة تقول بعرين مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب وهي الآن خربة علي طريق المعرة (باعربايا) بلد من اعمال حلب من مضافات افامية وافامية خراب فيها بعض بيوت شعر (بالس) بلدة بين حلب والرقة وكانت عَلَى ضفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في ايامنا (ياقوت) هذه اربعة اميال

قال ابو الفدا ان بالس كانت مسكونة وهي صغيرة على شط الفرات الغربي وذكر ابن حوقل انها اول مدن الشام من العراق وهي فرضة لاهل الشام وفي شرقيها الرقة قال في العزيزي ومنها الى قلعة دوشر المعروفة الآن بقلعة جعبر في شرقي الفرات خمسة فراسخ

(براق) من قرى حلب بينهما نحو فرسخ وهي اليوم ناحية برق من اعمال قضاء الباب من اعمالها نحو خمسين قرية (برج الرصاص) قلعة ولها رساتيق من اعمال حلب قرب انطاكية واياها عنى ابو فراس بقوله :

فاوقع في جلباط بالروم وقعة بها العمق واللكام والبرج فاخر

(البرزمان) قلعة من العواصم من نواحي حلب (بسرفوت) حصن من اعمال حلب في جبل بني عليم (بزاعة) بلدة من اعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينهما وبين كل واحدة منهما مرحلة وفيها عيون ومياه جارية واسواق حسنة وهي اليوم قرية

وقال ابن جبير في وصفها بقعة طيبة الثرى واسعة الذرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافق السفرية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة

حصينة رامها احد ملوك الزمان فغاظته باستصعابها فأمر بثلم بنائها حتى غادرها عورة منبوذة بعرائها ولهذه البلدة عين معينة يخترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة ونضارة وتريك برونقها الانيق حسن الحضارة و يناظرها في جانب البطحاء قرية كبيرة تعرف بالباب هي باب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم من الاسماعيليين لا يحصي عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم حتى دخلت اهل هذه البلاد العصبية وحركتهم الانفة والحمية فتجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم وعجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماجمهم قال وسكانها اليوم قوم سنيون • وروى ابو الفدا : الباب بلدة صغيرة ذات سوق وحمام ومسجد وجامع ولها بساتين كثيرة نزهة واما بزاعا فضويعة من اعمال حلب في الجهة الشمالية الشرقية وفي بساتينها يقول المنازي وقد اجتاز بها

لقانا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها و يأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ووجدنا هذا البيت في مكان آخر

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماء زلالا الذ من المدامة للنديم

(بغراس) مدينة في لحف جبل اللكام بينها و بين انطاكية اربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس قال البلاذري وكانت ارض بغراس لمسلمة بن عبدالملك ووقفها على سبيل البر وكانت بيد الافرنج ففتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٤٨٥ وقد ذكرها البحتري في شعر مدح به احمد بن طولون

سيوف لها من كل دار غداً ردى وخيل لها من كل دار غداً نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

قال يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ان نقفور ملك الروم نزل على انطاكية سنة ٣٥٧ واقام عليها يومين وفتح المعرة وحماة وحمص وطرابلس وعرقة وجبلة واللاذقية وانطرسوس وخرب قرى كثيرة و بنى حصن بغراس مقابل انطاكية في فم الدرب (ادلب)

« بكاس » قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي ولها عين تخرج من تحتها بينها وبين ثغور المصيصة مقابلتها قلعة اخرى يقال لها الشغر بينهما واد كالخندق يقال له الشغر . (بلاطنس) حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من اعمال حلب (بياس) مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيصة (مسيس) بينهما قرية من البحر بينها وبين الاسكندرونة فرسخان قريبة من جبل اللكام (امانوس) . (بيت لاها) حصن عال بين انطاكية وحلب عَلَى جبل ليلون كان فيه ديدبان ينظر في اول النهار انطاكية وفي آخره الى حلب . (البيرة) (بيره جيك) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع وهي على حافة الفرات في البر الشرقي الشمالي لاترام ولها واد يعرف بوادي الزيتون به اشجار واعين وهي بلدة ذات سوق وعمل قال ابن سعيد وقلعتها على صخرة وهي اليوم ثغر الاسلام في وجوه التتر وهي فرضة عَلَى الفرات وهي في الشرق عن قلعة الروم على نحو مرحلة وفي الغرب عن قلعة نجم وفي الجنوب والغرب عن سروج

(البيضاء) اسم لمدينة حلب لبياض تربتها (تاذف) قرية بين حلب وبينها اربعة فراسخ من وادي بطنان من ناحية بزاعة ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال :

ويارب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

ويقال لهذه البلدة اليوم تاتف وهي عَلَى نصف ساعة من الباب ولا يقل نفوسها عن خمسة آلاف نسمة وفيها الى اليوم كنيس لليهود وبضع اسرات منهم يسكنونها بنيت فيما يقال قبل ٢٢٠٠ سنة وهي محل مبارك عند الاسرائيليين يقصدونه للزيارة وقد زرته وزرت ضاحية البلد غراف ابي طرطر وهو بئر ماء لذيذ يمتاح ماؤه عَلَى مدار يحركه بغلان فيسقي حدائق هناك وهذا هو طرطر الذي زاره امرؤ القيس في الغالب . ويرى الاسرائيليون في تلك الانحاء ان من زار منهم كنيس تاتف وشرب من غراف ابي طرطر واغتسل من عين العزير عَلَى مقربة منها اتى عملاً صالحاً ينيله الزلفى من المولى . (تل باشر) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب بينها وبين حلب يومان واهلها ارمن ولها ربض واسواق وهي عامرة آهلة . (تل خالد) قلعة من نواحي حلب (تل السلطان) موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيدق كانت به وقعة بين صلاح الدين يوسف بن ايوب وسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل سنة ٥٧١ (تل منس) حصن قرب معرة النعمان وقيل من قرى حمص (توزين) ويقال تيزين كورة وبلدة بالعواصم من ارض حلب (جبل السماق)

هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية يشتمل عَلَى مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها للاسماعيلية وفيه بساتين ومزارع كلها عذي والمياه الجارية به قليلة الا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة ولذلك تنبت فيه جميع اشجار الفواكه وغيرها حتى المشمش والقطن والسمسم وغير ذلك وقيل انه سمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق قال عيسى بن سعدان :

وقولها وشعاع الشمس منخرط حييت يا جبل السماق من جبل
ياحبذا التلعات الخضر من حلب وحبذا طلل بالسفح من طلل
ياساكني البلد الاقصى عسى نفس من سفح جوشن يطفي لاعج الغلل
طال المقام فوا شوقا الى وطن بين الاحص وبين الصحصح الرمل

(الجبول) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب وفي الجبول يصب نهر بطنان وهو نهر الذهب ثم يجمد ملحاً فيمتار منه اكثر بلدان الشام و بعض الجزيرة و يضمن بمائة وعشرين الف درهم في كل عام ويجتمع عَلَى هذه الملاحة انواع كثيرة من الطير قبل جمودها وصفها حسن الساسكوني الحموي بقوله :

قد جبل الجبول من راحة فليس تعرو ساكنيها هموم
كأنما الماء واطياره فيه سماء زينت بالنجوم
كأن سود الطير في بيضها خليط جيش بين زنج وروم

قال ياقوت في نهر الذهب ان اهل حلب يزعمون ان وادي بطنان الذي يمر ببزاعة وهو الذي يقال له عجائب الدنيا ثلاثة دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب والعجب فيه ان اوله يباع بالميزان وآخره بالكيل وتفسير ذلك ان اوله يزرع عَلَى الحصا كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب الى بطيحة طولها نحو فرسخين في عرض مثل ذلك فيجمد فيصير ملحاً يمتار منه اكثر نواحي الشام و يباع بالكيل وطول الملاحة الآن نحو ٣ كيلومترات وعرضها ١٨ كيلومتراً

(الجرجومة) مدينة يقال لاهلها الجراجمة كانت عَلَى جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقة قرب انطاكية والجراجمة جيل كان من امرهم في ايام استيلاء الروم ان خافوا عَلَى انفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم وولى ابو عبيدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة فصالحه اهلها على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وان يؤخذوا بالجزية وان يطلقوا اسلاب من

يقتلونه من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجر واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسموا الروادف لانهم تلوهم وليسوا منهم ويقال انهم جاؤوا الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسموا روادف وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويمالؤنهم عَلَى المسلمين ولما استقبل عبد الملك بن مروان محاربة مصعب بن الزبير خرج منهم الى الشام مع ملك الروم فتفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايام بني امية وبني العباس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة . (جلباط) ناحية بجبل اللكام بين انطاكية ومرعش كانت بها وقعة سيف الدولة بن حمدان بالروم

(حارم) حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية وهي الآن من اعمال حلب وفيها اشجار كثيرة ومياه وهي لذلك وبئة وهي فاعل من الحرمان او من الحريم كأنها لحصانتها يحرمها العدو وتكون حرماً لمن فيها قال ابو الفدا وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه وهو عَلَى مرحلتين من حلب في جهة الغرب وبين حارم وانطاكية مرحلة

(الحاضر) في كتاب الفتوح للبلاذري انه كان بقرب حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم جاءه ابو عبيدة بعد فتح قنسرين فصالح اهله عَلَى الجزية ثم اسلموا بعد ذلك وكانوا مقيمين واعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكتب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فسارعوا الى انجادهم وكان اسبقهم الى ذلك العباس بن زفر الهلالي فلم يكن لاهل الحاضر بهم طاقة فاجلوهم عن حاضرهم وضربوه وذلك في فتنة محمد الامين بن الرشيد فانتقلوا الى قنسرين فتلقاهم اهلها بالاطعمة والكسى فلما دخلوا ارادوا التغلب عليها فاخرجوهم عنها فتفرقوا في البلاد قال فمنهم قوم بتكريت وقد رأيتهم ومنهم قوم بارمينية وفي بلدان كثيرة متباينة وفي رواية اخرى (١) ان يعقوب بن صالح الهاشمي خرب الحاضر الذي كان الى جانب حلب حتى الصقه بالارض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب اليوم

(حصن منصور) قال في المشترك وحصن منصور بالقرب من سميساط قال هو منسوب

---

(١) تاريخ اليعقوبي

الى منصور بن جعونة العامري وكان قد تولى عمارته في ايام مروان الحمار آخر خلفاء بني امية قال ابن حوقل وحصن منصور حصن صغير فيه مبزر زرعه عذي اقول (ابوالفدا) وهو الآن خراب ولكنه مزدرع وهو في مستو من الارض شمالي النهر الازرق وجنوبي الفرات وغربيها قريب من كل منهما والجبل واقع في غربي حصن منصور بينه و بين ملطية وفيه الدربند الى ملطية

(حيب) بلد من اعمال حلب يقال له بطنان حبيب (دانيث) بلد من اعمال حلب بين حلب وكفرطاب · (دركوش) حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم (دلوك) بليدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لابي فراس بن حمدان مع الروم قال بعضهم يذكرها

واني ان نزلت عَلَى دلوك تركتك غير متصل النظام

وقال عدي بن الرقاع

اهمٌ سرى ام غار للغيث غائر ام انشابها من آخر الليل زائر

ونحن بارض قلما يجشم السرى بها العربيات الحسان الحرائر

كثير بها الاعداء يحسر دونها بريد الامام المستحث المثابر

فقلت لها كيف اهتديت ودوننا دلوك واشراف الجبال القواهر

وجيحان جيحان الجيوش وآلس وحزم خزاز والشعوب القواسر

(الراوندان) قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة من نواحي حلب قال ابو الفدا انها قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع ابيض ولها اعين وبساتين وفواكه وواد حسن ويمر تحتها نهر عفرين وهي في الغرب والشمال عن حلب وبينهما نحو مرحلتين وهي في الشمال عن حارم ويجري من الشمال الى الجنوب عَلَى الراوندان الى عمق حارم في واد متسع بين جبال وبذلك الوادي قرى وزيتون كثيرة وهي كورة من بلاد حلب وتسمى الجومة بضم الجيم وسكون الواو وميم وهاء

(سلوقية) اقطع الوليد بن عبد الملك جند انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصير عليهم الفاثر وهو بسيط من الارض معلوم كانفداين والجريب بدينار ومدي قمح فعمروها واجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية (سميساط) قال في اللباب وسميساط من بلاد الشام قال ابن حوقل واما سميساط فهي عَلَى الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان لهما زروع سقي وغيره وماؤه من الفرات وسميساط في الغرب عن قلعة الروم

وفي الشمال عن حصن منصور وكل واحدة عَلَي مسافة قريبة من الاخرى

(سرمين) بلدة ذات اشجار كثيرة وزيتون وغيره وليس لها ماء الا مايجتمع من الامطار في الصهاريج ولها ولاية وعمل متسع وهي ذات خصب واسواق ومسجد جامع وليس لها سور وبين سرمين وبين حلب مسيرة يوم وحلب في شماليها وهي عَلَي منتصف الطريق بين المعرة وحلب

(سروج) بلدة قريبة من حران من ديار مضر .

(رعبان) مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة ابا فراس بن حمدان في قطعة من الجيش فاعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً

(سياث) بليدة بظاهر معرة النعمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة اجتاز بها القاضي ابو يعلي عبد الباقي بن حصن المعري والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر فقال:

مررت برسم في سياث فراعني ... به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
اتنقلها شلت يمينك خلها ... لمعتبر او زائر او مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم ار احلى من حديث المنازل

(الشغر) قلعة حصينة مقابلها اخرى يقال لها بكاس عَلَي رأس جبلين بينهما واد كالخندق لها وكل واحدة تناوح الاخرى وهما قرب انطاكية قال ابو الفدا : الشغر وبكاس قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتهما نهر يجري ولهما بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

« شقيف دركوش » قلعة من نواحي حلب قبلي حارم . « شقيف دبين » قلعة صغيرة قرب انطاكية ودبين ضيعة كالربض لها « عرض » بليد في برية الشام يدخل في اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة الشامية . (عزاز) بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء . (عما) صقع في برية خساف بين بالس وحلب . « العمق » كورة بنواحي حلب الشام وكان اولاً من نواحي انطاكية

ومنه اكثر ميرة انطاكية واياه عنى ابو الطيب المتنبي حيث قال

وما اخشى نبوك عن طريق وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمنى لسيرك ان مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء دماء مشت بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاول ما يمر به الوحول

(عين تاب) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول ابو الفدا انها بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في الصخر حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين وهي قاعدة ناحيتها ولها اسواق جليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلث مراحل وبالقرب من عينتاب في جهة الجنوب عن قلعة الروم عَلَى نحو ثلث مراحل ايضاً وكذلك بين عينتاب و بهسنا وعينتاب في جهة الشرق والجنوب عن بهسنا

(فايا) كورة بين منبج وحلب كبيرة وهي من اعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان ولها قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارية . (الفرزل) ناحية من نواحي معرة النعمان في العلاة والعلاة كورة من كورها . (الفنيدق) من اعمال حلب كانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف اليوم بتل السلطان بينه و بين حلب خمسة فراسخ و به كانت وقعات الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان و بني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ فأسره بنو كلاب

(قلعة جعبر) عَلَى الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكانت تعرف اولاً بدوسر فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به (قلعة الروم) قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها و بين سميساط بها مقام بطرك الارمن و يقول ابوالفدا ان لها ربضاً و بساتين وفواكه ونهراً يعرف بمرزبان يجيء من ناحية الجبل و يصب في الفرات تحت قلعة الروم والفرات تمر بذيل القلعة وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام انقذها من الارمن السلطان الملك الاشرف ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهي في البر الغربي الجنوبي من الفرات وهي عن البيرة في جهة الغرب عَلَى نحو مرحلة وهي في الشرق عن سميساط وهي في الجنوب من الرها وكل ذلك عَلَى الغرب منها

(قلعة النجم) قلعة حصينة مطلة على الفرات عَلَى جبل تحتها ربض عامر وعندها جسر

يعبر وهي المعروفة بجسر منبج و يعبر عَلَى هذا الجسر القوافل من حران الى الشام و بينها و بين منبج اربعة فراسخ (قورس) مدينة ازلية بها آثار قديمة و كورة من نواحي حلب وهي الآن خراب وبها آثار باقية (كرزين) قلعة من نواحي حلب بين نهر الجوز والبيرة لها عمل (كشفر يد) بلد في جبال حلب تنبأ فيه رجل في سنة ٥٦١ وانضم اليه جمع فخرج اليه عسكر الشام فقتل وقتل اصحابه « كفردبين » حصن بنواحي انطاكية (كفر روما) قرية من قرى معرة النعمان و كان حصناً مشهوراً خربه لؤلؤ الشيعي المعروف بالجراحي المتغلب عَلَى حلب بعد ابي الفضائل ابن سعد الدولة في سنة ٣٩٣ (كفرسوت) من اعمال حلب الآن قرب بهسنا بلد فيه اسواق حسنة عامرة (كفرطاب) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار في الصهاريج و بلغني (ياقوت) انهم حفروا نحو ثلثمائة ذراع فلم ينبط لهم ماء وفيها يقول ابو عبدالله محمد بن سنان الخفاجي :

بالله يا حادي المطايا — بين حناك وارصنايا
عرج عَلَى اهل كفرطاب — وحيها احسن التحايا
واهد لها الماء فهي ممن — يفرح بالماء في الهدايا

وقال عبدالرحمن بن محسن المعري :

اقسمت بالرب والبيت الحرام ومن — اهل معتمراً من حوله وسعى
ان الاولى بنواحي الفوطتين وان — شط المزار بهم يوماً وان شسعا
اشهى الى ناظري من كل ما نظرت — عيني وفي مسمعي من كل ما سمعا
ولا كفرطاب عندي بالحمى عوضاً — نعم سقى الله سكان الحمى ورعا

قال ابو الفدا انها بلدة صغيرة كالقرية قليلة الماء يعمل فيها القدور الخزف وتجلب الى غيرها وهي قاعدة ذات ولاية ولها عمل وهي عَلَى الطريق بين المعرة وشيزر قال في العزيزي ومدينة كفرطاب اهلها اخلاط من اليمن و بينها و بين شيزر اثنا عشر ميلاً وكذلك بينها و بين المعرة

(كفر غما) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب (كفر لاثا) بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل عال من نواحي حلب بينهما يوم واحد وهي ذات بساتين ومياه جارية نزهة طيبة واهلها اسماعيلية (كلز) قرية من نواحي عزاز بين حلب وانطاكية (مرعش) مدينة في الثغور بين الشام و بلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن

عليه سور يعرف بالمرواني ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلي باب الحدث وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدت ام القديد طعاننا بمرعش خيل الارمي ازنت
عشية ارمي جمعهم بلبانه ونفسي قد وطنتها فاطمأنت
ولاحقة الآطال اسندت صفها الى صف اخرى من عدي فاقشعرت

قال ابن حوقل : الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما مياه وزروع واشجار كثيرة وهما ثغران قال في العزيزي وبينهما وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً وبينهما وبين مخاضة العلوي على نهر جيحان اثنا عشر ميلاً

(معرة مصرين) بليدة وكورة بنواحي حلب ومن اعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ قال حمدان بن عبدالرحيم يذكرها

جادت معرة مصرين من الديم مثل الذي جاد من دمعي لبينهم
وسالمتها الليالي في تغيرها وصافحتها يد الآلاء والنعم
ولا تناوحت الاعصار عاصفة بعرصتيها كما هبت على ارم
حاكت يد القطر في افنائها حللا من كل نور شنيب الثغر مبتسم
اذا الصبا حركت انوارها اعتنقت ومثلت بعضها بعضاً فماً لفم
فطالما نشرت كف الربيع بها بمرِّ كسرى مليك العرب والعجم

(معرة النعمان) مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين قال ابو العلاء المعري :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

ونقل ابو الفدا عن السمعاني ان النسبة الى المعرة معرتي قال لان ثم معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة الى الاولى معرتمي والى الثانية معرنسي غير ان اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك

(منبج) قال ابن جبير بلدة فسيحة الارجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الى الغاية والانتهاء جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النشر عليل نهارها يندى ظله وليلها كما قيل فيه سحر كله تحف بغربيها وبشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة شهدية العذوبة

سلسبيلية المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهًا كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعًا وكبرًا واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات ولكن هذه البلدة تعاقبت عليها الاحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها تنقطع عنها وتحازمنها ومدن هذه الجهات كلها لاتخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون وشافعيون

قال ابو الفدا: منبج احدى بلاد الشام بناها بعض الاكاسرة الذي غلب على الشام وسماها منبه وبنى بها بيت نار ووكل به رجلاً يسمى ابن دينار من ولد ازدشير بن بابك وهو جد سليمان بن مجالد الفقيه فغلب على اسم المدينة قال ابن حوقل: وهي في برية الغالب على مزارعها الاعذاء وهي خصبة اقول (ابو الفدا) وهي كثيرة القني السارحة والبساتين وغالب شجرها التوت لاجل القز ودور سورها متسع كبير وغالب السور والبلد خراب

(الهارونية) مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وابواب حديد ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من بلاد بني ليون الارمني

هذا ما تيسر جمعه من اسماء المدن والكور والحصون بقيت هناك اسماء قرى ذكرها ياقوت فأضربنا عن ذكرها لتغير اسمائها اليوم وطموس معالمها على الاكثر وقد وصف الرحالة ابن حوقل المملكة الحلبية بقوله: وقنسرين مدينة نسبت الكورة اليها وهي من اضيق تلك النواحي بناء وان كانت نزهة الظاهر مغوثة في موضعها كان بها من الرخص فاكتسحتها الروم فكأنها لم تكن الابقايا دمن فديتها من دمن ومعرة النعمان مدينة هي وما حولها من القرى اعذاء ليس بنواحيها ماء جار ولا عين وكذلك جميع قنسرين شربهم من السماء وهي مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفستق وما اكل ذلك من الكروم وبين ما وبين جبلة التي لى ساحل البحر الرومي ... وكانت مدينة جليلة يسكنها وزير الجبليين فافتتحها الروم وسبوا منها خمسًا وثلاثين الف امرأة وصبي ورجل بالغ وجزيرة قبرس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينها وبين جبلة مجرى يوم وليلة وكانت للمسلمين والروم فاحتوت الروم عليها بتفريط المسلمين وخذلان واما الخناصرة فهي حصن يحاذي قنسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسيفها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز صالحة في قدرها مغوثة للمجتازين عليها في وقتنا هذا لان

الطريق انقطع من بطن الشام باتيان الروم عليه وهلاك ولاته فلجأ الناس الى طريق البادية بالادلاء والخفراء

والعواصم اسم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية وهي بعدد دمشق انزه بلد بالشام وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها لهم فيه مزارع واجنة وارحية وما يستقل به اهلها من مرافقها ويقال ان دور سورها يوم تجري مياههم في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم وكان لهم ضياع وقرى ونواح خصبة وحسنة استولى عليها العدو فملكها وكانت قد اختلت قبيل افتتاحها في ايدي المسلمين وهي ايضاً في ايدي الروم اشد اختلالاً وفتحها الروم في اول سنة ٣٥٩

ومدينة بالس مدينة على شط الفرات من غربيه صغيرة وهي اول مدن الشام من العراق وكان الطريق اليها عامراً ومنها ـ ابلاً وكانت فرضة لاهل الشام عَلَى الفرات فعفت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة وهي مدينة عليها سور ازلي ولها بساتين فيما بينها و بين الفرات واكثر غلاتها القمح والشعير ومن مشهور اخبارها ان المعروف بسيف الدولة علي بن حمدان عند انصرافه عن لقاء صاحب مصر وقد هلك جميع جنده انفذ اليه المعروف بأبي حصين القاضي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن السفر ولم يطلق لهم النفوذ مع خوف نالهم فأخرجهم عن احمال بز واطواف زيت الى ماعدا ذلك من متاجر الشام في دفعتين بينهما شهور قلائل واياما يسيرة الف الف دينار وعَلَى الغرب منها مدينة منبج خصبة كثيرة الاسواق قديمة الآثار عظيمة الاسوار في برية الغالب عليها وعَلَى مزارعها الاعذاء وهي حصينة عليها سور ازلي رومي و بقربها ايضاً مدينة سنجة وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ليس في الاسلام قنطرة احسن منها و يقال انها من عجائب الزمان

ومدينة سميساط عَلَى الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان لها زرع سقي ومباخس وماؤهما من الفرات وكانت مدينة ملطية مدينة كبيرة من اكبر الثغور واكثرها سلاحاً ورجالاً دون جبل اللكام الى ما يلي الجزيرة ويحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكرم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها وهي من اقوى بلاد الروم في هذا الوقت يسكنها الارمن وفتحت في سنة ٣١٩

وكانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة بها منبر وبها رستاق وقرى برسمها اعذاء فاستأثر القضاء بهلاكها عَلَى ايدي الروم وبني حمدان . والحدث ومرعش

مدينتان صغيرتان افتتحهما الروم من قبل يومنا هذا فأعادها سيف الدولة علي بن عبدالله وعاد الروم فانتزعوها ثانية من المسلمين وكان لهما زروع واشجار كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون ويجاهدون ففسدت النيات وافتتحت الاعمال وارتفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوك في الظلم والاستئثار بالاموال والعامة في الاصرار على المعاصي والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وعز من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

وكانت الهارونية من غربي جبل اللكام في بعض شعابه حصناً صغيراً بناه هارون الرشيد ادركته عامراً حسناً فاهلكته الروم

وكانت الاسكندرونة ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزرع كثير وغلة وخصب كثير فأتى عليه العدو وكذلك حصن الثينات حصن كان على شط البحر فيه مقطع خشب الصنوبر الذي كان ينقل الى الشام ومصر والثغور وكان فيه رجال فتاك اجلاد لهم علم بمضار بلد الروم ومعرفة بمخايضهم وكانت الكنيسة حصناً فيه منبر وهو ثغر في معزل من ساحل البحر يقارب حصن المثقب الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز وعمره وكان فيه منبره ومصحفه بخطه وكان فيه قوم سراة من عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب وكان لهم ما يقيم بهم من المباح

وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغور بها نخيل وخصب واسعة الثمار والزرع والمرعى وهي المدينة التي كان وصيف الخادم هم بالدخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها وكانت حسنة الداخل والخارج نزهة داخل سورها جليلة في جميع امورها وكانت المصيصة مدينتين احداهما تسمى المصيصة والاخرى تسمى كفربيا على جانبي جيحان وبينهما قنطرة حجارة وكانتا حصينتين جداً على شرف من الارض ينظر منها الجالس في مسجد جامعها نحو البحر اربعة فراسخ كالبقعة بين يديه خضرة نضرة جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال وجيحان نهر يخرج من بلد الروم وكان كثير الضياع وغزير الكراع

وكانت اذنة مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر سيحان في غربي النهر وسيحان دون جيحان في الكبر عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جداً ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً وكانت جليلة الاهل حسنة المحل في كل اصل وفصل وعلى اصل طريق طرسوس .

فاما مدينة طرسوس فالمدينة المشهورة المستغني بشهرتها عن تحديدها كبيرة عليها سوران من حجارة كانت تشتمل عَلَى خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع وكانت من العمارة والخصب بالغاية الى رخص عام عَلَى مر الايام وتعاقب الاعوام وكان بينها و بين حد الروم جبال متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين

ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار اليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم يذكر ان بها مائة الف فارس وكان ذلك عن قريب عهد من الايام التي ادركتها وشاهدتها وكان السبب في ذلك انه ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الاموال والصدقات العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وارباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس الا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات او مسقف من فنادق فهلكوا فكأنهم لم يقطنوها وعفوا فكأنهم لم يسكنوها حتى لظننتهم كما قال الله تعالى هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزاً وكانت اولاس حصناً عَلَى ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصين وكانت فيهم خشونة في ذات الله تعالى وكان في آخر ما عَلَى بحر الروم من العمارة فكانت مما بدا به العداوة و بغراس كان فيه منبر عَلَى طريق الثغور وكانت فيها دار ضيافة لزبيدة ولم يكن بالشام دار ضيافة غيرها كبيرة اه

ولاية حلب وسكانها وحيواناتها

تبين من الابحاث السالفة ان ولاية حلب او مملكة حلب كانت تقسم بحسب الازمان وقد يضاف اليها البعيد من البلدان ويتبع القريب منها غيرها . وتقسيمات الولاية الحلبية بحسب التقسيم الاخير هي كما يلي نقلا عن اصح المصادر التركية :

ان ولاية حلب عبارة عن شمالي سورية وجزء من البلاد الجنوبية في آسيا الصغرى ومنها مرعش او مملكة ذو القدرية وكانت تدعى قديماً كبدوكية Cappadoce وقسم من الجزيرة Mésopotamie وهو لواء اورفة (الرها) وهذا اللواء قد انفصل عن ولاية حلب في هذه السنة فاصبح من الالوية المستقلة يخابر الاستانة في شؤونه الادارية مباشرة كالقدس والزور وبيغا واذميت وغيرها

يحد الولاية بحسب تقسيمها قبل انفصال لواء اورفة من الجنوب ولاية سورية ومن

الغرب البحر الابيض واطنة (اذنة) ومن الشمال ولايتا انقرة وسيواس ومن الشرق لواء الزور وولايتا ديار بكر ومعمورة العزيز وطولها من الشرق الى الغرب ٨٥ ساعة وعرضها ٩٠ ساعة

يقولون ان اصل سكان هذه الولاية من نسل سام والجنس القافقاسي بدليل انه سكنتها قبائل الكينا الوثنية وهم من اولاد سام بن نوح ثم الآراميون وبعد ان تناقل الحكم عليها قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة المصريون والاشوريون والفرس انتهت الى ايدي المسلمين ففتحها من اقصاها الى اقصاها كل من الفاتحين العظيمين ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد . فسكان ولاية حلب اليوم من المسلمين العرب والترك والتركمان والجركس والاكراد والنصيرية ومن المسيحيين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والارمن والارمن الكاثوليك والسريان والسريان الكاثوليك والموارنة والبروتستانت والكلدان واللاتين وفي المدن والبلدان زمر من اليهود . ويرد انساب العرب النازلين في هذه الولاية على الاكثر الى ابراهيم الخليل اما الاتراك فقد حلوا فيها على عهد الخلافة العباسية ونزلها التركمان ايام دولة بني مرداس والاكراد على عهد دولة بني ايوب وكثر الاتراك فيها على عهد الدولة السلجوقية التركية وعلى عهد الدولتين التركية والجركسية في مصر وزادت زيادة كبرى على عهد الدولة العلية . قال ابن جبيران حلب مبنية بالحجر الاصفر الذي لايوجد في البلاد مثله وهي اوسع الشام بلاداً واوطاها اكنافاً ولها المرج الفسيح والبر الممتد حاضره وباديته وبها منازل عربان واتراك وبها جند كثيف وامم من طوائف العرب والتركمان وبلادها متصلة بسيس والروم وديار بكر وبرية العراق ويغلب السخاء والذكاء والمضاء على سكان هذه الولاية على اختلاف طبقاتهم

هذا كلام موجز على انسانها اما حيوانها فانك تجد في اطراف الولاية كلها الغنم والماعز وترى في بعض اقضية مرعش كثيراً من البقر الحلوب والجاموس وكذلك في اقضية حارم والمعرة والباب وجبل سمعان ومنبج والرقة ويكثر الجمل عند عشائر الاكراد في لواء مرعش وفي مدينة حلب جنس من البقر يقال لها الشامي يدر لبناً كثيراً وفي اقضية حلب والمعرة والباب ومنبج والرقة جنس جيد من الخيول المطهمة والافراس العربية وفي جميع اطراف الولاية تكثر الابقار والثيران والبغال والحمير

وفي جبال بيلان (بغراس) والبلاد المجاورة لها وفي جبل باريشا من اعمال حارم

وفي لواء مرعش النمر والذئب والثعلب والدب وابن آوى والخنزير والايل والغزال والارنب والنمس وكلب الماء وعَلَى اطراف الفرات تجد الاسد . ومن الطيور الدجاج الهندي والبط والسمن والشحرور والحجل والحمام والدجاج ودجاج الماء وابو سعد والنسر واللقلق ومن الحشرات الحية والعقرب

جبالها وانهارها و بحيراتها وسواحلها

اهم جبال هـذه الولاية جبل بركت وهو اعظم شعبة من سلاسل جبال طوروس Taurus — ومعناه جبل الثور وهو سلسلة مشهورة بآسيا الصغرى وله في العربية اسماء كثيرة منها دماوند وكورين — التي تنتهي بالبحر الرومي وهو الذي عرفه العرب بجبل اللكام وجبل سور والثغور القرمانية وهذا الجبل هو الحد الطبيعي بين سورية او بر الشام و بين آسيا الصغرى ولعله هو المعروف بالابواب الشامية Portes Syriennes وهو اسم يطلقه القدماء عَلَى مضايق في الجبال الفاصلة بين بلاد الشام وارض كيليكيا وكيليكيا عبارة عن لواء اطنة اليوم او اذنة فالبلاد الواقعة شرقي هـذا الجبل حتى الجهة الغربية و يدخل فيها بر الشام تعد من آسيا الصغرى ففي قمة هذا الجبل قصبة اسمها يار بوز وفي سفوحه اقضية خاصة واصلاحية وعثمانية و بولانق و بياس وتسمى كلها لواء جبل بركت من اعمل ولاية اذنة وفي سفح هذا الجبل قضاء اسكندرونة وقضاء بيلان من اعمال حلب وعَلَى ذلك تعد اقضية بيلان وخاصة واصلاحية و بولانق من ارض سورية وفي شمالي جبل بركت جبال مرعش وقوزان يفصلها نهر جيحان ويمتد الى الجنوب حتى يصل الى بيلان واعلى قمة اكمة معر المشهورة ترتفع ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر وتشاهد من نفس حلب و يكون الثلج في قننها صيفاً وشتاء وطول هذا الجبل ثلاثون ساعة وعرضه عشر ساعات وسكانه نحو مائة الف نسمة تسعون في المئة منهم من اهل الاسلام

و يخرج في هذا الجبل الصنوبر والسنديان والعفص والمصطكي والدردار والحور والصفصاف والداب والارز والعرعر وقزلجق و يوجد التفاح البري والاجاص البري بكثرة

وان منظر هذا الجبل بما ينبجس منه من المياه الغزيرة النفيسة ليحلو جداً من انحاء حلب واطنة فاذا صعد المرء القمة العليا والتي بنظره الى جهة حلب يرى الخضرة الزمردية والسهول البديعة و يشهد نهر العاصي والنهر الاسود ونهر عفرين ويقع النظر بصخور

الجبال الصعبة التي تتخللها اشجار الزيتون والصنوبر التي تنبعث من الجبل الاعلى وجبل الاكراد وسهول اصلاحية وبازارجق وحلب وفي ذلك مصور بديع يصعب عَلَى ابلغ الكاتبين والمصورين وصفه ورسمه واذا عطف الناظر بصره الى ناحية بياس لا يشبع من النظر الى اشجار البرتقال والليمون ففي البر القلعة وفي البحر برجقوراوه ويقسمه نهر جيحان واكمات سيس وسلسلة جبال طوروس الواصلة الى قوزان ومنفرج جزيرة قبرص وهناك الوف من الطيور تشدو بالحانها فتطرب الاسماع

والمنظر الثاني الماطاغ الذي تزدان به سواحل بحر الروم واودية انطاكية ويفرق بين جبل طوروس وجبل لبنان . وهذا الجبل اي الماطاغ يتشعب من سلسلة جبال طوروس بانفراج بيلان عن جبل بركت متصلاً بالجنوب الغربي ويكون معظم ارتفاعه في خليج اسكندرونة ويمتد الى الجهة الغربية على خط عمودي وتبلغ اعلى قمم هذا الجبل ١٥٠٠ متر واسمه القديم امانوس (اللكام) (١) ويقال له الآن الجبل الاحمر (قزل طاغ) وجبال اردو والقصير وموسى وسمعان من جملة شعبه ويفصل بين هذا الجبل وبين لبنان سلسلة منفرجة من الجبال بين طرابلس الشام وطرطوس

وفي جبل امانوس هذا علائم البراكين وفي سنة ١٢٩٨ رومية ثار بركان صغير بالقرب من فرضة ارسوز . ويقال لجبال اردو الجبل الاقرع واسمه القديم كاسيوس (٢)

---

(١) في تاريخ النهج السديد والجبال المحيطة بسيس جبل اللكام مد البصر طوله مائة ميل والميل من الارض منتهى مد البصر والفرسخ ثلاثة اميال قال ابن شداد جبل اللكام هو جبل الاسود اسمه اللكام في الكتب القديمة ممتد من مرعش عَلَى بيلان الى السويدية ويسمونه الآن الجبل الاحمر وهو شمالي غربي انطاكيه وبالتركي قزل طاغ ونهر الاسود هو باسم الجبل ايضاً ولكن الاسم للنهر واسمه قديماً للآن الملند وهو نهران ملند كبير وملند صغير في طريق السويدية ويسمونه بالتركي قره جاي ولاجل هذا سميت سلوكية السويدية لما غلب عليها اسم النهر والجبل .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة مانصه : قاسيوس Cassius جبل بالشام يسمى عند العرب بالجبل الاقرع وسمي بقاسيوس او كاسيوس وهو قائد روماني ربما كان هو الذي فتح سورية واليهودية واللاذقية وفينيقية وقد سمي بالاقرع تقريباً لاسمه العبراني (حالاق) والمراد به وصف الجبل بكونه اجرد خالياً من النبات ولذلك ترجم بعضهم هذه اللفظة الاقلس غير ان الاقرع غلب

وبالعبرانية جبل حلاق او حالاق · ولقد اودى زلزال سنة ٢٥٠ ق ٠م في انطاكية بشطر من هذا الجبل والقى به في البحر وانبعث منه دخان اسود كثيف وفي هذا الجبل من الاشجار الصنوبر والعفص والعرعر والدلب والقصب والبلوط بكثرة

والجبل الثالث جبل اخور وهو المؤلف من جبال زيتون ومرعش وليس بجسامته كالجبلين السالفين · ومن الجبال الحرية بالذكر جبل نور الحق من اعمال قضاء البستان ولا تخلو قممه من الثلوج صيفاً وشتاء وفي هذا الجبل بحيرة متسعة وينبت فيه نوع من الزهر العطر الرائحة الجميل المنظر وهناك جبال صغيرة مثل جبل الاكراد من اعمال كليس وجبل قره بيقلي (ذو الشارب الاسود) في قضاء عينتاب وجبل الزاوية وجبل سمعان في قضاء ادلب والجبل الاعلى في قضاء حارم

انهار حلب وبحيراتها

في الولاية الحلبية عدة انهار اولها نهر الفرات ينبع قسم منه من جبل في جوار ديادين من اعمال لواء بايزيد في ولاية ارضروم (كردستان) والقسم الآخر من بحيرة الالف (بيك كولي) من اعمال الولاية المذكورة فالشطر الذي ينبجس من بحيرة الالف يقال له في تلك الانحاء قره صو (النهر الاسود) ونهر مراد وينضم هذان النهران احدهما الى الآخر في جوار معدن كبان ويسمى هناك الفرات ثم يجري الى محال كثيرة ويمر امام قصبة بيره جك (البيرة) ويجتاز مسكنة (بالس) والرقة والزور وعانة ويجتمع في القرنة بين البصرة وبغداد مع نهر دجلة وبعد ان يتألف منهما شط العرب يصب في خليج البصرة فطول نهر الفرات ١٨٠٠ كيلومتر · ويكون عرض الفرات في الشتاء ١٢٠٠ متر امام بلدة البيرة وعمقه سبعة امتار والفرات من اكبر انهار آسيا واحد الانهار الاربعة الكبرى · لا جرم ان هذا النهر بالنسبة لجسامته اذا طهر مجراه وعمقه يصلح لسير السفن ولذلك تغتنم الادارة النهرية في بغداد فرصة فيضانه فترسل في الفرات احدى بواخرها الى مدينة مسكنة لنقل الركاب والبضائع

وروى المؤرخون ان اودية الفرات كانت على عهد الاشوريين اي قبل اربعة آلاف سنة تزرع كلها وكانت تقتطع منه ترع واقنية كثيرة حتى كان يجف اقصى بلاد بابل ولا يصل من مائه الى خليج البصرة شيء وكان تجار بابل يحملون بضائع الاناضول (الروم) من ققفاسيا في قوارب معمولة من جلود البقر الى مدينة بابل · والنهر الثاني من انهار هذه الولاية نهر العاصي (Oronte وارنط الارند) قال البحتري :

وكم نفست من حمص من متأسف غدا الموت منها آخذاً بالمخنق
وكم قطعت ارض الارند اليهم كتائب تزجي فيلقاً بعد فيلق

وهو يخرج من عين اللبوة في جبل لبنان وبعد ان يجري الى حمص وحماة ينتهي الى سهل العمق ويجتاز قصبتي انطاكية وجسر الشغر الى ان يبلغ فرضة السويدية فيصب في البحر الرومي وكان يقال له في القديم الاورنت ثم اطلق عليه النهر الكبير ونهر المقلوب ونهر الميماس

والنهر الثالث من انهار الولاية الحلبية نهر جيحان ينبع بالقرب من قصبة البستان ويصب فيه نهر سوهلي (نهر اللبن) وخرمن (البيدر) وغيرهما فيعظم جرمه وبعد ان يجتاز قضاء زيتون وجوار مرعش يجري الى ولاية اطنة ويصب في البحر الابيض وكان اسمه قديماً بيراموس

والنهر الرابع نهر قره صو (النهر الاسود) ينبجس من جبل بركت فيسقي مزارع الارز المقابلة لهذا الجبل وسهل العمق ويصب في بحيرة العمق ثم يجتمع الى مياه العاصي ويسميه مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالنهر الاسود · والنهر الخامس من انهار هذه الولاية نهر عفرين وهو يخرج من جبل الاكراد فيجتمع من عدة منابع وينضم اليه واديه صافي فيصبح نهراً مهماً وهو ايضاً يصب في بحيرة العمق كنهر الاسود ويختلط بالعاصي

في ولاية حلب ثلاث بحيرات اولها بحيرة العمق في سهل العمق تحيط بها شعاب من جبال طوروس وامانوس وقسم من صخور الجبل الاعلى وجبل سمعان وطولها ٢٠ ميلا في عرض سبعة اميال وماؤها عذب ويقال لها بحيرة انطاكية ويقال لها البحر الابيض ايضاً يصب اليها من الشمال النهر الاسود ونهر عفرين وقسم من بحيرة يغرا المشهورة بكثرة اسماكها ومن الجنوب نهر بركت ويصب ماؤها بالقرب من الجسر الحديد في مجرى طبيعي الى نهر العاصي · وفي هذه البحيرة البط والاوز وغيرهما من طيور الماء ويربي الفلاحون والتركمان في اطرافها ابقاراً كثيرة

وتسمى هذه البحيرة بحيرة انطاكية قال ابو الفدا في وصف بحيرة انطاكية انها بحيرة بين انطاكية وبين بغراس وبين حارم في ارض مستوية تعرف تلك الارض بالعمق وهي من معاملة حلب عَلَى مسيرة يومين عنها في جهة الغرب ويصب الى هذه البحيرة ثلاثة انهر تأتي من الشمال فاحدها وهو الشرقي يقال له عفرين والآخر وهو

الغربي، منها يجري تحت دربساك ويقال له النهر الاسود والآخر في الوسط بين النهرين المذكورين ويقال له نهر (١) يغرا ويغرا قرية على النهر المذكور واهلها نصارى ودور هذه البحيرة نحو مسيرة يوم ويحيط بها الاقصاب وبها من الطير والسمك قريب مما في بحيرة افامية وتجتمع هذه الانهر الثلثة اعني النهر الاسود ويغرا وعفرين وتصير نهراً واحداً ويصب في البحيرة من شمالها ويخرج من شماليها نهر واحد ويتصل بنهر الارنط تحت جسر الحديد وفوق انطاكية على نحو ميل منها وهذه البحيرة في شمالي انطاكية اه

البحيرة الثانية من بحيرات الولاية بحيرة السمك وهي في سهل العمق ايضاً وكان يقال لها قديماً بحيرة يغرا وهي صغيرة الحجم تضمنها الحكومة لمن يصيد سمكها . والبحيرة الثالثة بحيرة المضيق في قضاء جسر الشغر وتكثر فيها الاسماك فتضمنها الحكومة لمن يلتزمها ويستخرج اسماكها ويقال لهذه البحيرة بحيرة افامية قال ابو الفدا في وصفها انها عدة بطائح تفوت الحصر بين غابات من الاقصاب واعظم تلك البطائح بحيرتان احداهما جنوبية والاخرى شمالية وماؤهما من نهر الارنط يصب هناك من جهة الجنوب فيصير منه تلك البطائح ثم يخرج النهر المذكور عند النهاية الشمالية لهذه البطائح والغابات والبحيرة الجنوبية من البحيرتين هي بحيرة افامية وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب دون قامة الانسان وارضها موحلة لا يقدر الانسان عَلَى الوقوف فيها ويحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها جميم قصب وبردي ولذلك لا يكاد ان تنظر العين الى جميعها لان الجمم التي بها تحجب بعضها ويكون بها وبغيرها من البطائح المذكورة من انواع الطير مثل التمات والغريرات والبجعات والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجلط والابيضانيات وغير ذلك من طير الماء مالم يكن مثله في شيء من البحيرات التي بلغنا خبرها وفي ايام الربيع ينبت بهذه البحيرة المذكورة النيلوفر الاصفر حتى يغطي جميعها بحيث يستتر الماء عن آخره بورقه وزهره وتبقى المراكب سائرة بين ذلك النيلوفر واما البحيرة الثانية الشمالية فبينها وبين البحيرة المذكورة غاب قصب وفيه زقاق يخرج فيه الراكب من البحيرة الجنوبية الى الشمالية والبحيرة المذكورة من عمل حصن برزية وتعرف ببحيرة النصارى لان صيادي السمك بها نصارى ولهم بيوت عَلَى الخوازيق في شمالي

(١) بحيرة اليغرا بين انطاكية والثغر تجتمع اليها مياه العاصي ونهر عفرين والنهر الاسود ومجيئها من ناحية مرعش وتعرف ببحيرة السلور وهو السمك البحري لكثرة هذا النوع من السمك فيها (ياقوت)

البحيرة المذكورة وتكون بقدر بحيرة فامية اربع مرات ووسط بحيرة النصارى مكشوف وينبت النيلوفر في طرفيها الجنوبي والشمالي وبها من الطير نحو ما تقدم ذكره وبها السمك المعروف بالانكليس ولشهرة بحيرة افامية وبطائحها اقتصرنا على هذا القدر من وصفها وهذه البطائح في الغرب بميلة الى الشمال عن افامية وقريبة منها فعرضها وطولها مقارب لعرض افامية وطولها اه

موانئ حلب ومياهها المعدنية ومعادنها وملاحاتها

ان سواحل هذه الولاية عبارة عن جون اسكندرونة وفرضتها المعروفة عند قدماء الجغرافيين بسنيوس واسيوس والمعدودة من اشهر موانئ البحر الابيض وفرضة السويدية المعروفة قديماً بسندلوس وفرضة قاب آو من اعمال اسكندرونة وقرهطوران من اعمال جسر الشغر وتتألف هذه الفرض والموانئ من الصخور التي تتخللها ومن رأس الخنزير المشهور · ومعظم السفن التي تجر بين سواحل سورية ترسي في ميناء الاسكندرونة اما السويدية فان بعض المراكب التي ترسي فيها تجارية واكثرها شراعية · اما فرضتا قاب آو وقرهطوران فلا ترسي فيها الا المراكب الشراعية

وبالقرب من السويدية في وسط البحر نبع ماء لذيذ كالفوارة وكانت هذه الفرضة قديماً مبنية بالحجر متينة للغاية فدكها الملك الظاهر بيبرس البندقداري لما رأى من الحاجة الى ذلك لانقاذها من ايدي الصليبيين ايام استيلائهم على انطاكية وجوارها

في قضاء جسر الشغر حمامان معدنيان ينفع ماؤهما في الامراض الجلدية وفي سهل العمق من اعمال حلب حمة ماء كبريتي تبلغ حرارتها الدرجة الثانية والاربعين وفي قضاء بيرهجك عَلَى الفرات حمة اخرى وفي كل من قضاء مرعش وقضاء زيتون حمة ايضاً وفي قضاء البستان مياه معدنية اسمها ايجمه نافعة الامراض المختلفة

هذا وصف تقويم الحكومة لحامات حلب ووصفها ابن شداد في القرن التاسع فقال ان الحمامات التي ينتفع بمائها في اعمال حلب خمسة بالسخنة من اعمال قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ينتفعون بها من البلغم والريح والجرب وبناحية العمق اخرى وبكورة جومة من اعمال قنسرين عيون كبريتية تجري الى الحمة والحمة قرية يقال لها حندراس لها بنيان عجيب معقود بالحجارة يأتيها الناس من كل الآفاق فيسبحون بها للعلل التي تصيبهم ولا يدرى من اين يجيءُ ماؤها ولا اين يذهب

اما معادن الولاية فان في جوار حلب من جهة الغرب الجنوبي معدن نحاس وعلى

عشرين ساعة من شرقي حلب في محل اسمه ابوفياض فحم حجري وفي جوار حلب معدن رخام اصفر وفي قضاء حارم معدن زجاج وفي ناحية ارسوز من اعمال اسكندرونة معدن بترول وفي ذاك الاصقاع واعمال انطاكية معادن اميانت و بوراسيت ورصاص وانتمون وكروم وفي جوار قرية دير الجمال من اعمـال كليس معدن كيل جسيم تلزمه الحكومة لمن يريد وفي جبل بار يشا من اعمال حارم معدن رخام اصفر وفي قرية جار يبين من اعمال عينتاب معدن رخام احمر وفي جبال مرعش مناجم ذهب وفضة وحديد ورخام اصفر ورخام اسود وفي قضاء زيتون معدنا حديد .

وفي ولاية حلب ملاحة واحدة وهي مملحة الجبول شرقي حلب من جهة البادية وهي عبارة عن عدة ملاحات واعظمها ما كان في جوار قرية جبول على شكل مخروطي عظيم لا تطاف اطرافها في اقل من ثماني عشرة ساعة يجمد ماؤها في ايار الى تشرين الثاني فيكون في هذه الفترة ملحاً تبيعه الحكومة كما تبيع الملح من ملاحة جيرود وملاحة حماة وملاحة الجليل وملاحة قوج حصار من اعمال ولاية قونية وغيرها من الملاحات في السلطنة وفي جنوبي هذه الملاحة جبل اسمه جبل الخاص ومن ورائه الى البادية سبع ملاحات واسمها الحمرا وخرابجة وعيتا وزرقة ورملة ودريهم ومراغة يبعد بعضها عن بعض من اربع الى ست ساعات وتجمد في آن واحد وملحها كله جيد طيب ابيض قوي نظيف وفي لذاذته من اجمل ملح البلاد العثمانية

اقضية حلب وعمرانها

لحلب ثلاثة عشر قضاء هي من عملها مباشرة وهي : قضاء عينتاب اهم اقضية حلب يبعد عنها من شماليها ٢٤ ساعة . ولم تكن عينتاب مشهورة بهذا الاسم حتى على عهد الصليبيين بل كانت مدينة دلوك وهي من عينتاب على مسافة ساعة وقد نقل مركز الحكومة من دلوك الى عينتاب في سنة ٨٠٠ كما فهم من سجلات المحكمة الشرعية هناك ومن هذا العهد ابتدأت شهرة عينتاب وهي اليوم بجسامتها وعمرانها تعد من المدن الثانية في هذه الولاية .

وكان في قضاء عينتاب بموجب احصاء الحكومة منذ اربع سنين ١٢٥٣١ داراً و٤٨٥١ دكاناً و٢٢٠ مسجداً و٢٥ مدرسة و١٠ تكايا و٣ مستشفيات و٦٠ فرناً و١٦ دباغة و٤ دور كتب و ٢٩١٤ نولاً لصنع الالاجة والاقمشة والعباآت والبسط وفيه ٣٥٢٦٠٠ دونم من الاراضي المزروعة و ... ٢٢٧٠ دونم من الاراضي غير المزروعة وسكان القضاء

٨٩٩٩٤ نسمة وللقضاء ثماني نواح وهي :اورل · رشي · قزلحصار· تل بشار · هزل · جار پين · جكده · قز يق وفيها ٢٠٧ قرى

وفي الشرق الجنوبي من عينتاب عَلَى نحو ست ساعاتٍ منها خرائب تل بشار وتل خالد المشهورة في زمن الصليبيين وفي الغرب الجنوبي منها عَلَى مسافة ثلاث ساعات خرابة قلعة برج الرصاص · وعَلَى ثلاث ساعات من غربي عينتاب ينبع من مزرعة رأس الساجور نهر الساجور المشهور فيسقي عينتاب و بعض اراضيها ثم يجري الى قضاءي الباب ومنبج يسقي بعض زروعها و يصب في الفرات

ويكثر في قضاء عينتاب الفستق والعنب والتين والزيتون وتصنع فيها بسط وسجادات متينة جميلة وشغل الابرة وفوط الحمام والعباآت والجلد المدبوغ والاواني النحاسية والكراسي والمقاعد الخشبية وغيرها ومنه مايسافر الى اميركا واوربا ومنه الى مصر والاناضول والاستانة ولها تجارة واسعة مع حلب واورفة ومرعش واسكندرونة ·

قضاء كليس — هي في الجهة الشمالية من حلب علي مسافة ١٢ ساعة منها وفي القضاء ٤٧٢١ داراً و ١٩٥٥ دكاناً و٣٧ جامعاً و١٤ مسجداً و٢٤ تكية و ٢٨ مدرسة وخزانة كتب واحدة و٧٤ معصرة زيت و٥٠ خاناً و ٣١ فرناً وفيه ٢٢٧٢٧٠٠ دونمات من الاراضي يزرع فيها الارز والقطن وسائر الحبوب والفواكه وتكثر في هذا القضاء الكروم والبساتين وزيت زيتونها يرجح عَلَى مايخرج من جميع البلاد العثمانية وسكان القضاء ٧٢٢٠٦ فيه تسع نواح هي تركمان · فلاح · منبج · موسبكلي · شقاغي · عميكي · اوقجي عز الدين · الشيوخ · جوم و٤٦٩ قرية بحيث يجدر ان يكون ولاية قائمة برأسها لاقضاء صغيراً ملحقاً بالولاية

لايعلم تاريخ بناء مدينة كليس وغاية ماعرف انها كانت موجودة سنة ٤٩١هـ يوم قدوم الصليبيين الى هذه البلاد ومعروفة باسم كالجيس وكانت تابعة لمدينة عزاز فلما اخرب هذه تيمورلنك اخذ بعض اهلها يهاجرون الى كليس فبدأت تكبر كما يشاهد من طرز ابنيتها ومعاهدها·

وفي هذا القضاء قلعتا عزاز وراوندة المشهورتان عَلَى عهد الصليبيين وفي ناحية جوم خرائب مدينة جنديرس في مزرعة صغيرة وفي ناحية العزية خرائب قلعتي جم جمه وخروز · ومرج دابق المشهور بالمعركتين العظيمتين اللتين وقعتا فيه هو ايضاً من اعمال كليس بين هذه ومدينة حلب عَلَى اربع ساعات من الاولى وست من الثانية ومات [illegible]

الوقعتان كانت اولاهما سنة ٨٠٣ ﻫ بين تيمورلنك والملك الظاهر برقوق ملك مصر في دولة الجراكسة وكان عسكر تيمور فيما قيل خمسمائة الف جندي ومثله عدد العساكر المصرية فاندحر برقوق وفر لا يلوي عَلَى شيء . والوقعة الثانيــة كانت سنة ٩٢٢ بين السلطان سليم العثماني والسلطان الغوري صاحب مصر والشام التي انتهت بفتح الدولة العثمانية لبلاد الشــام ومصر

قضاء اسكندرونة — هو عَلَى ١٠٥ كيلومترات من الغرب الشمالي عن حلب او عَلَى ٢٤ ساعة واسكندرونة كانت من اهم سواحل سورية بتجارتها قبل فتح ترعة السويس لانها ميناء ولايتي حلب وديار بكر والمنفذ الطبيعي للعراق الى البحر الابيض وفي قضائها ٢٥٥٥٠ دونمًا من الارض وفي المركز ١١٩٩ داراً و٤٤٦ دكاناً و٥ معامل لعرق السوس وجامعان و٥ كنائس واديار ومدرسة ودار كتب وستة كتاتيب وفي القضاء ٢٤ قرية وناحية واحدة اسمها ارسوز وسكانه ١٩٣٠٦ انفس

ويقال ان الاسكندرونة هي مدينة ميرباندروس الفينيقية ولماغلب الاسكندر المقدوني دارا ملك الفرس في اياس سمى اسكندرونة باسم الكساندرا واراد الاسكندر ان يشير الى غايته هذه فامر ببناء الاسكندرونة الحالية سنة ٩٥٥ قبل الاسلام واصيبت المدينة بزلازل شديدة سنة ١٢٣٨ ﻫ جعلت عاليها سافلها ثم تراجع اليها عمرانها مع الزمن وفي هذا القضاء ميناء اريسوس المشهورة في زمن الرومانيين ويقال لها اليوم ارسوز وكان يقال قديمًا لخليج الاسكندرونة سنيوس اسبكوس باللغة اللاتينية واكبر دليل عَلَى ترقي الاسكندرونة تجفيف بعض بطائحها التي كانت تضر بصحة سكانها ويكثر في ارضها الليمون والبرتقال وقد رســا في مينائها مدة سنة ٦٠٠ سفينة وباخرة حمولها اربعمائة الف طن وكانت قيمة صادرها وواردها ٣،٢٩٦،٧٧٤ ليرة عثمانية

قضاء انطاكية — مدينة انطاكية غربي حلب وهي منهــا عَلَى مئة كيلومتر او اربع عشرة ساعة وفيها ١٣٥ مسجداً وجامعًا وزاوية وتكية و٣٠ مدرسة و٥ دور كتب و١٥ كنيسة وبيعة و١٨ مكتبًا للمسلمين ولغيرهم وفي القضــاء كله ١٠٢٨١ داراً و ٢٥٥٣ دكانًا و٣٣٠ مخزنًا و٢٤ خانًا و١٢٣ طاحونًا و١٥ معمل صـابون و٣٠ معمل حرير و٥٠ معمل زيت و١٦٠٢ انبار ومستودع و٣١١٠ كروم و٢٥٥ حديقة و ٤٩،٥٢١ حقلاً وفيه اربع نواح وهي قصــير . سويد . قره مورطه حربية . وعدد قراه ١٧٣ وسكانه ٧٨٧٠١

بنى انطاكية سلوقس نيكاتور اكبر قواد الاسكندر المقدوني على اسم ابيه انطيوخوس قبل الهجرة بـ ٨٨٢ سنة واصبحت عاصمة المملكة السلوقية بعد وفاة هذا الفاتح وما برحت في ارتقاء وعمران حتى بلغ سكانها سبعمائة الف واستولى عليها سنة ٧٢٣ قبل الهجرة يوناتان اليهودي فقتل في يوم واحد مئة الف نسمة فيما يقال وقد وقعت فيها سنة ٥٢٦م زلازل هائلة هلك بها ربع مليون من البشر ثم عاودتها الزلازل والحرائق في اوقات مختلفة حتى بلغ عددها نحو عشرين زلزالاً وحريقاً ومثل ذلك من الحروب الطاحنة فخربت انطاكية ولم يبق من عظمتها التاريخية سوى بعض جدران قلعتها القديمة والظاهر من هيئة الجسر الممتد على العاصي انه من ابنية السلوقيين . ومن يدخل انطاكية ويذكر ما كان فيها من القصور والدور والمعابد والهياكل اليونانية والحمامات الجسيمة والاقنية ودور التمثيل لا يلبث ان يذرف دموع الاسى على بلد اتفقت العاهات السماوية والارضية على تخريبه ولقد قالوا ان التمثيل ارتقى فيها حتى كانت تجلب الممثلين من صور وبيروت والمغنين من بعلبك ولا عجب فقد كانت في عصر الرومان ثالث عواصمهم بعد رومية والاسكندرية

راجت العلوم في هذه العاصمة ونفقت اسواق الصناعات ولا سيما علم الفلك والالهيات ولا تزال الى اليوم على ضعفها تحتوي على شيء من المصنوعات وزراعتها وحدائقها تغل كثيراً وميناء السويدية عنها على ست ساعات وهي فرضة خربة اليوم لا تطرقها السفن الا نادراً وكانت تعد من اهم مرافئ سورية واول فرضة منها عكا ثم صور وطرابلس والسويدية وعلى ساعة من انطاكية مدينة دفنة القديمة ويقال لها اليوم بيت الماء وكانت متنزهاً لانطاكية على عهد سلوقس نيكاتور وقد بنيت دفنة قبل انطاكية وكان فيها الشوارع المتسعة ودور التمثيل المهمة وفيها هيكل ابولون وغيره من الهياكل وابولون هو رب الصناعات والآداب والطب والشمس في اعتقاد قدماء اليونانيين وقد بقي هذا الهيكل ١١٨٨ سنة وعلى مقربة من دفنة كان ملعب الالعاب الاولمبية وقد خربت دفنة برمتها سنة ٥٢٦ م بالزلزال ولم يبق منها اليوم سوى مناظرها الطبيعية المدهشة فقط

وعلى ستة اميال من السويدية من غربيها على سفح جبل موسى مدينة سلوقية القديمة ويقول بعض المؤرخين ان سلوقية كانت من مدن الفينيقيين ويقال لها ايليا هيرياوفي رواية ان سلوقس نيكاتور بناها على اسمه وغدت بعد ميناء انطاكية وكان اسمها بياريا وهو من اسماء الجبل الاقرع واذ كان تسع مدن تعرف بسلوقية في ذاك العصر اضافوا

اسم الجبل الى هذه تمييزاً لها عن غيرها · وفي رواية اخرى ان القيصر طيبار يوس جدد سلوقية وفي قول آخر انه انشأها انشاء وقد خربت سلوقية في زلازل سنة ٥٢٦ — ٥٢٨ ولما استولى عليها المسلمون لم يكن فيها غير الامم لا الروم وسميت هذه الميناء بميناء مار سمعان في القرن السادس للهجرة ايام جاء الصليبيون الى هذه الديار ومالأهم الارمن ونصارى انطاكية وغيرها وخدموا جيوش الصليبيين واتحدوا وإياهم على المسلمين كما كان اللبنانيون ولا سيما اهل كسروان ادلاء الصليبيين يدلونهم عَلَى عورات اهل البلاد الاصليين

قضاء ادلب — قضاء ادلب في غربي حلب يبعد عنها اثنتي عشرة ساعة وفي القصبة ٣٧ مسجداً وجامعاً و٣ مدارس و٣ دور كتب و١٥ تكية وزاوية وكنيسة و١٧ كتاباً و١٠ حمامات و ٩٥٩ دكاناً و١٢ خاناً و٥٦ معصرة و٢١٥٧ داراً ونفوسها ١٣٢٣٠ وعَلَى ساعتين من ادلب مدينة ريحا وفيها ٦ جوامع ومساجد ومدرستان وثلاث تكايا وزوايا ومكتبتان و١٤ كتاباً وثلاثة حمامات و٢٠٠ دكان و١٥ معصرة زيت و٨٨٢ داراً و٤٨٦٨ · واشتهرت ريحا بجودة هوائها وهي في سفوح جبلي الزاوية والاربعين وفي ظاهر ريحا عدة ابنية قديمة وعَلَى ثلاث ساعات منها خرابة البارة تكون في جسامتها بقدر مدينة حلب وفيها رسوم هياكل وآثار قديمة وخرائب قلعة وفيها من احجار البناء ما يبلغ طوله المترين والثلاثة وعرضه ٧٥ سنتيمتراً زبرت عليها حروف يونانية وقد اشتهرت قلعتها زمان الصليبيين وقاومت صدماتهم · وفي جنوبي البارة عَلَى مسافة ساعة مزرعة اسمها السرجلية فيها آثار فخمة قديمة يحيط باطرافها بناء شاهق يسمى الحمام زين سطحه بحصا في حجم البندقة ورسمت فيه صور بعض الحيوانات والاسماك فكانت من اجمل المناظر

واشتهرت ايضاً عَلَى عهد الصليبيين قرية زردنا وهي من عمل هذا القضاء · وفي ناحية ريحا خرائب رويحة وفيها ايضاً كثير من العاديات والمصانع ومن عملها ايضاً قرية اسمها المغارة فيها مغارات واحجار بديعة وقد زبرت صور حيوانات وغيرها في مدخل المغارات ونقشت انواع النقش البديع · ومعرة مصرين ومن اعمال ادلب عَلَى ساعتين منها وفيها ١٤ مسجداً وجامعاً ومدرسة واحدة و١٥ كتاباً و٣ حمامات و٢٠١ دكان و٧ خانات و٥٧٣ داراً و ٣٢٦١ نسمة من السكان وعَلَى ساعتين من ادلب مرمين وهي مدينة مشهورة خربت اليوم وفيها ٨ جوامع ومساجد و٣ تكايا و٦ كتاتيب و٧٥ دكاناً

و٥ معاصر و ٣٦٧ داراً و ٢٠٥٤ نفساً . وفي جوار سرمين عَلَى ١١ ساعة من حلب قصبة من برية بنش وفيها ١٢ جامعاً ومسجداً و٢٥ دكانًا و٤٦٥ داراً و ٢٧٢٢ نسمة

وفي ناحية اريحا في سهل الروج ينبع نهر من محل اسمه عرى في سفح جبل البالعة يفيض بعضه و يركد ماء الآخر فتتألف منه بطائح ولا يستفاد منه في ارواء الاراضي ولا في غير ذلك وهناك بحيرة صغرى فيها علق واراضي القضاء ١٢٦٠٠٠ دونم يزرع زهاء اربعة اخماسها وهي منبتة للغاية جيدة الهواء وفواكهها و بقولها عذي تروى بماء السماء فقط واهم محصولاتها الزيتون و يقدر محصوله سنويًا بثلاثة ارباع المليون ليرة وزراعة القطن ترتقي هناك سنة عن سنة وتخرج ادلب الصابون والحصر الرفيعة اللطيفة وفي القضاء كله ١١٧ قرية عامرة سكانها ٥٠١٨٥ نسمة

قضاء حارم — مركز هذا القضاء في قصبة كفر تخاريم في الجهة القريبة من حلب وعَلَى ست عشرة ساعة منها وفي القصبة جامع ومسجد وتكية و ٤ كتاتيب للذكور و ٣ للاناث و ٦٧٢ داراً و ١٠٦ دكاكين و ١٣ معصرة و ٣١٩٦ نسمة . وبلدة حارم على ساعتين ونصف من مركز القضاء وفيها جامع ومسجد وسكانها ١٠١٠ وعَلَى نصف ساعة من المركز بلدة ارمناز وفيها معمل واحد للزجاج والقزاز و ٥ جوامع ومساجد و ١٠ معاصر زيت و ٣ مدابغ ونفوسها ٣٠٦٨ وعَلَى نصف ساعة من مركز الحكومة ايضاً قصبة سلقين ونفوسها ٢١٧٤ وتقدر اراضي القضاء المزروعة وغير المزروعة بـ ٦٦١٠٩٩ دونمًا ونفوسه بـ ٢٧٤٨٢ وقراه بـ ١٧٢ قرية وفيه ناحية باريشا وناحية الريحانية وفي ناحية الريحانية — وهي ٧٧ قرية ومزرعة واهلها عشائر من الاتراك والتاتار والجرا كسة عَلَى طريق اسكندرونة — حمام معدني في محل اسمه عمر آغا وآثار الطريق المعروف بالرصاف الذي كان يمتد قديمًا من فرضة السويدية الى الموصل وفي هذه الناحية ينبع نهر عفرين وفي ناحية باريشا ٣٦ قرية عربية كلها وفيها ثلاث قرى كبرى فيها المرافق اللازمة للمدن وهي ترمانين ودانا وقورقينا وفي دانا وجوار باريشا معابد قديمة وخرائب مخازن فخمة ومصانع مهمة . وفي ناحية حارم ٦٧ قرية منها من يتكلم بالعربية ومنها بالتركية وفي هذه الناحية جبل الاعلى وجميع سكانه من عشائر الدروز . وفي هذا القضاء خمسة اعين غزيرة وهي عين الجديدة ويكي شهر وعين الجوز وعين عبيدة وحارم كلها تجري الى نهر عفرين ويختلط هذا بالعاصي ولا سيما ايام الشتاء

و يفهم من الكتابات المزبورة عَلَى قلاع حارم وارتاح وسرمدا والحصن انها من

بناء سلوقس رممها الملك الظاهر وقد اشتهرت من بين هذه القلاع في الاكثر عَلَى عهد الصليبيين قلعة ارتاح وكانت على عهد الفتح الاسلامي مدينة عظمى واشتهرت تيزين من اعمال هذا القضاء عَلَى العهد العمري فكان لها شأن وفيها اسواق وجوامع. واكثر الحبوب تنبت في هذا القضاء ومن غلاته القطن والزيتون والافيون

قضاء بيلان — مركز هذا القضاء عَلَى ٣٤ كيلومتراً من شرقي جنوبي اسكندرونة وفي الغرب الشمالي من حلب عَلَى ٢٧ ساعة منها وهي بين جبل بغراس وجبل طوزوس سكانها ٥٠٤٠ وهي مشهورة بدبسها ومصيرها (صوجقها) وفيها ٥ مساجد وجوامع وتكية ومدرسة و٧ مكاتب وكنيسة للارمن و٦٧٥ داراً و١٣٠ دكاناً و٧ دباغات وتعرف عند العرب بمضيق بغراس وبباب اسكندرونة وهي في منتصف مضيق « طوب » الممتد ثلاث ساعات مطلة عَلَى سهل العمق من الشرق وعَلَى ميناء اسكندرونة من الغرب وهي على طريق القاصد من حلب الى الاسكندرونة وممر لخمس او ست ولايات محاطة بالاحجار ذات مكانة حربية مهمة وقد اقام فيها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٠ — ٢٥٠ نفراً من الحراس وسماه دربند جبل بغراس واسكندرونة وانشأ فيها جامعاً وحماماً وخاناً وبعد بضع سنين امر هذا السلطان بترك القصبة وعَلَى مسيرة ساعة من جهاتها الاربع معفاة من العشر عَلَى ان تبقى رقبتها لبيت المال فهاجر اليها أناس فسميت مزرعة عين التل وزيد في عدد المهاجرين اليها سنة ١١٨٣ عَلَى عهد السلطان مصطفى الثالث وسنة ١٢١٧ صدر الامر العالي بترك اسم مزرعة عين التل وابداله ببيلان ومعنى بيلان طريق بين جبلين شاهقين والالف والنون اداة التثنية بالعربية فصار الاصل تركياً والتركيب عربياً وفي هذا الاسم مطابقة للواقع والموقع.

وأصيبت بيلان بزلزالين شديدين سنة ١٢٨٠ و ١٢٨٨ هـ فانحطت وقد بدأت بالنهوض منذ زهاء ثلاثين سنة. وفي مضيق بغراس في محل اسمه ضار قسطلي انقاض سد عظيم يعرف بباب الباشا بابه في عرض عشرة اذرع. وفي هذا القضاء قصبة بغراس وقلعتها اشتهرت في زمن الامويين بعمرانها ولطافتها وكذلك في عهد الصليبيين. ومدينة دربساك القديمة كانت في هذا القضاء وهي الى الشمال من بغراس عَلَى مسافة مرحلة منها وربما كانت دربساك هذه في جوار جسر مراد باشا وفي القضاء خرائب بلدة كوندوزلي وفيه ٥٠ قرية و١٢١٥١ نسمة

قضاء المعرة — هو عَلَى ٨٤ كيلومتراً من جنوبي حلب او عَلَى ١٨ ساعة منها وفي

القصبة ٤١ مسجداً وجامعاً و ٣ تكايا وزوايا و ٥ مدارس وخزائن كتب و ٣٥٤٩ داراً و ٤٤٢ دكاناً و ٤٣ طاحوناً · وفي القضاء كله ٤٤ مزرعة (جفتلك او ابعدية) و ٢٧ حديقة و ٣٥٦١ كرماً و ١٧٣١٢ حقلاً و٢٥٩٧٨ عقاراً و ١١٠٢٧٩٩ دونماً من الاراضي البائرة والصالحة وتكثر فيه الحيوانات لذلك تكثر السمون والادهان والجبن والالبان كما انه يخرج منه الخروع · وكانت المعرة معروفة على عهد الرومان واسمها خالس وقد خربت قلعتها سنة ٣٩٠ هـ بايدي القرامطة الباطنية وجرت فيها بين عماد الدين زنكي والصليبيين عدة وقائع فقدت معها المعرة عمرانها القديم · وفي قضاء المعرة محل كفرطاب الوارد في التوراة باسم كفرطوب وينزل في هذا القضاء عشائر الموالي والحديدي وبني خالد الجسيمة ويتوفرون على تربية الماشية ويبيعونها ونواتجها في حماة وحلب واللاذقية وبيروت وولاية سورية · وليس في المعرة من الفستق اليوم ما قاله ابن بطوطة فيها وتصنع في بعض قرى القضاء العباآت والاقمشة وفيه ١٦٧ قرية سكانها ١٨١٨٨ وعدد عشيرة الوالي ٣٨٠٠ والموالي ٣٠٠٠ وبني خالد ١٥٠٠

قضاء الباب — هو شرقي حلب على ٣٧ كيلومتراً او اربع ساعات في المركبة ومشهورة من القديم بباب بزاعة وفيه ١٥ جامعاً ومسجداً و ٦ كتاتيب و ٤٦٩٨ داراً و ٢٩١٠ دكاكين و ٣٠ خاناً و ١٩ طاحوناً و ٧ معاصر وعلى نصف ساعة من الباب قصبة تاذف وفيها ٥٢ من اليهود ومعبد قديم بني بالحجارة الغليظة ويقال انها مدينة ضوبا المذكورة في التوراة ويقول ابن حوقل ان مدينة صوبا في جوار الفرات تسمى « كعب »

واشتهرت بزاعة وهي على نصف ساعة من الباب ايضاً زمن الحروب الصليبية وهي في وادي بطنان المشهور وفيها ينابيع كثيرة وخرج من بزاعة كثير من الادباء · وعلى ١٥ دقيقة من شمالي الباب محل قلعة تل بطنان القديمة وكان خربها الرومانيون ويسقي بعض هذا القضاء نهر الذهب ويعمل فيها البسط وفراء جلد الخرفان وفيه ١٩٨ قرية وناحية واحدة اسمها ايلبكلوا وسكان القضاء ٢٦٨١٦ وتنزل فيه خمس عشرة عشيرة رحالة عدد نفوسها ١٥٠٤٥ وهي الفردون ، شمر ، ابو خميس ، ابو حمد ، بنوزيد ، كيار ، بكاره ، جبارين ، مجازمة ، دماخلة ، نعيم ، ابو بطوش ، غنايم ، بنو صعب ، ابو ضاهر

قضاء جسر الشغر — هو على مئة كيلومتر من حلب في الغرب الجنوبي او على مسافة ٢١ ساعة على ضفة نهر العاصي يحد القصبة من الغرب لواء اللاذقية وقضاء صهيون ومن الجنوب حماة والمعرة وادلب ومن الشمال حارم وانطاكية وفي القضاء ٢٠ مكتباً ابتدائياً

اسلامياً و٦ مكاتب غير اسلامية و ١٤ جسراً عَلَى العاصي وفي المركز ٢٢٥ دكاناً و ٦١٩ داراً و ١٠ مطاحن

وقد كانت قصبة جسر الشغر قبل اربعمائة سنة عبارة عن ١٥ كوخًا من اغصان الشجر فأنشأ فيها محمد باشا كوبريلي المشهور جامعاً وخاناً وحماماً واصبحت تنشأ فيها الدور والمساكن بعد فزاد عمرانها

وفي هذ القصبة تعمل سجوف الخيل من القطن والحرامات وستور الموائد وفي ناحية اردو من جهة الشرق عَلَى حدود اللاذقية بعض غابات ويخرج منها معدن كروم والعاصي يسقي ناحية الغاب و يجتاز ناحية دركوش آخذاً الى انطاكية حيث يصب في البحر الرومي فتجد عَلَى اطرافه الحدائق والمطاحن .

ويخرج في هذا القضاء نهر اسمه النهر الابيض لذيذ الطعم خفيف عَلَى المعد ينبع من ناحية اردو بالقرب من قريتي قندون ولفشون و يجتاز قريتي زورف وشغر القديمتين و يصب في العاصي عَلَى بعد نصف ساعة من مركز القضاء

وفي هذا القضاء قرية شغر القديمة وفيها قلعة خربة وفي المحل المسمى بقلعة المضيق خرائب مدينة افاميا من بناء سلوقس وقد كان اتخذها معسكراً له وانشأ فيها مدرسة لتعليم الفرسان وجعل في المرعى الكائن في رأس المدينة عشرين الف حصان مدربة للحرب وثلثمائة رأس جاموس

وتعمل في هذه القلعة جواليق وخيام من الشعر وفي القضاء ماء معدني نافع اسمه حمام الشيخ عيسى يقصده المرضى في شهري نيسان وايار وفي شهور الخريف للاغتسال بمائه . و يصاد سمك كثير من نهر العاصي في جهة الغاب ومن بحيرة المضيق ودواليان تبيعها ادارة الديون العمومية بمئة وخمسين الف قرش سنوياً و يحمل سمكها الى حماة وحلب واسكندرونة واللاذقية وبيروت، وتبلغ اراضي القضاء ٤١٠٠٠٠ دونم وكسراً وفيه اربع نواح وهي قلعة المضيق و بداما ودركوش واردو وعدد قراه ١٦٩ ونفوسه ٢٧٩٠١

قضاء جبل سمعان — هو عَلَى قيد غلوة من حلب ومركزه في نفس حلب وهو ١١٣ قرية سكانها ٢٥٠٠١ نسمه وفيه ١٨٣ جامعاً ومسجداً وتكيتان و٢٠ مدرسة ابتدائية و ٤٢٨٣ داراً و ٣٢ دكاناً و ١٨ خاناً و٢٦٢ كرماً و ١٠٤ حدائق و٥٢٦٧٥ حقلاً و٧٨٠٦٧ دونماً مزروعاً وغير مزروع واهل القضاء مسلمون كلهم وفيه من الآثار

القديمة خرائب سمعان وخان طومان وارحاب والحاضر واثارب يقصدها سياح الافرنج للزيارة . وفي قرية دارة العزي بالقرب من خرابة سمعان وهي مرتفعة جداً جيدة الهواء يصعد الى ذروة جبله في ساعتين وفي هذا القضاء انواع البقول والحبوب تأخذ منها حلب حاجياتها كما تأخذ دمشق من غوطتها ويجتاز نهر قويق هذا القضاء وتعمل فيه بعض الانسجة

قضاء منبج — في الشرق الشمالي من حلب قصبة منبج على مسافة ١١٠ كيلومترات او ٢٠ ساعة والطريق اليها في مستوى من الارض يجتاز المسافر من حلب الى الباب ومنها الى منبج عَلَى طريق اورفة وهي مشرفة عَلَى البادية وفي قضائها ٤٥٠ قرية ويقرب من نصفها من الاراضي الاميرية كانت للسلطان المخلوع وسكانها ٦٩٥٠ نسمة من الزراع و ١٧٠٠٠ من سكان البوادي واسم عشائرهم ابرز ، كيار ، ابوخميس ، لهيب ، غناطسة ، تويمات ، ابو غيث واكثر اهالي القصبة من مهاجري الجركس وفيها قلعة قديمة وجامعان وتكية واحدة ومكتبان ابتدائيان وخمسة كتاتيب و ٣١٠ دور و ٦٠ دكانا وعلى ثلاث ساعات من شمالي القصبة يجري نهر الساجور الذي يصب في الفرات ويسقي اهالي الجوار بمائه زروعهم الصيفية وتحدث عنه منافع جمة منها تدوير بعض المطاحن . وطول قضاء منبج من اول نهر الساجور الى حدود لواء حماة والصقع المعمور هو ناحيته الشمالية اما انحاء جبل الخاص فزراعتها محدودة واراضي القضاء مستوية لا شأن للجبال التي تجتازه الا ما كان من بعض الروابي والآكام في جهات حمر وكان الخراب ولم يزل كثيراً في اراضيه فاخذ الاهلون يزرعون اكثر ما يجود من الغلات ويتوفرون على تربية التين والعنب

منبج من المدن القديمة في سورية كانت تسمى هيرابوليس فتحها ابو عبيدة بن الجراح بعد فتح حلب وانطاكية صلحاً والظاهر من عادياتها ان جميع اماكنها كانت قبل ان يتحيفها الخراب منتظمة للغاية وقائمة على عمد منقوشة مزينة وفي هذه القصبة وجوارها نحو اربعة آلاف بئر تمتاح منها المياه بالدلاء لسقيا المزروعات وفي جوار القصبة على عشر دقائق منها بناء جميل اسمه قصر البنات و يفهم من بقاياه انه كان مصيفاً بهيجاً ولعله كان قصر احد الملوك والامراء

كانت منبج معمورة للغاية عَلَى عهد الدولتين العباسية والايوبية فخربها تيمورلنك سنة ٨٠٤ وبقيت منذ ذاك العهد خراباً وفي سنة ١٢٩٥ نزلها مهاجرو الجراكسة وبنيت

لهم فيها الدور والمساكن وتوفروا عَلَى عمرانها . ولا تزال الى اليوم آثار الجداول التي حفرها القدماء من الفرات الى القصبة تحت الارض مائلة . ومن اعمال القضاء خرائب بالس المعروفة اليوم بمسكنة وخرائب قلعة النجم التي كانت مشهورة عَلَى عهد الفتح الاسلامي والدولة الاتابكية ومدينة خناصرة وكانت هذه العاصمة الثانية التي ينزلها عمر بن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه

قضاء الرقة — الرقة شرقي حلب تبعد عنها ٢٢٠ كيلومتراً او ٤٠ ساعة وهي عَلَى الساحل الشرقي من الفرات وفي مركزها ٢٢٨ منزلاً و١٤٥ دكاناً وفي قضائها ٥٦ قرية و٢٧ مزرعة جميع سكانها بادية رحالة واذا اعتبرنا عدد خيامهم كانوا عبارة عن ٢١٦٤ داراً واراضيهم ١٢٢٩٥ دونماً عامرة و ٢٩٤٠٠٠ دونم غامرة

ومدينة الرقة قديمة جداً انشأها الاسكندر الكبير وسماها نيكفور يون وكانت مشهورة في سالف الاحقاب باسم البيضاء والرفعة افتتحها سعد بن وقاص سنة ١٧ للهجرة صلحاً عَلَى يد عياض بن غنم فاتح الجزيرة

وعَلَى مسافة ساعتين ونصف مقابل مدينة الرقة من جهة الشامية في سفح الجبل كانت وقعة صفين بين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان فقتل فيها من المسلمين والصحابة جمهور عظيم

وكانت الرقة مركز ديار مضر وهي قسم مهم من الجزيرة وعَلَى مقربة من الرقة غربي الفرات كان مصيف هشام بن عبد الملك الذي يسمى الرقة ايضاً ولا تزال خرائبه باقية وقد انشأ فيها هارون الرشيد معسكراً لموقعها من الثغور الاسلامية كما انشأ فيها مرصداً فلكياً . وفي الرقة قاس بنو شاكر الجغرافيون الفلكيون طول العالم وعرضه . وفي قلعة جعبر من اعمال الرقة دفن السلطان سليمان شاه العثماني

ولا يزال اهالي قضاء الرقة بادية لم تسجل نفوسهم ويقدرون بنحو ثلاثين الفاً وعشائر القضاء يتوفرون عَلَى الضرع اكثر من الزرع ولو ارادوا الاستفادوا كثيراً من مياه نهر بليخ في زروعهم وهو ينبع من قضاء حران ويمر شرقي الرقة عَلَى نحو ساعتين منها ويصب في الفرات .

هذه نبذة من اقضية حلب وعمرانها بقي الكلام عَلَى لواءي اورفة ومرعش ولما كان اكثرها في الجهة الشرقية من سورية كان بعضها يحسب من بلاد الروم والآخر من بلاد الاكراد فمدينة البيرة (بيره جك) عَلَى ١٣٥ كيلومتراً من حلب هي عَلَى الفرات وما ندري ان كانت تحسب من سورية ام لا وكذلك قلعة الروم (روم قلعة) عَلَى ساحل الفرات. للرحلة صلة

في القطار

من بيروت الي زحلة

وناقلي حيث يحلو في الهوى النقل — يمشي به الدافعان الشوق والامل
كأنه جبل يمشي عَلَى جبل — يرسو اذا شاء طوراً ثم ينتقل
كأنه عند ما يجري عَلَى عجل — يجري عَلَى عجل يجري بها الامل
كالطير ليس يزيد السهل سرعته — ولا يؤخره في سيره جبل
لوسابق الارض نحو الشمس ماطلعت — الا وقد جازها في الغرب تغتسل
او طارد الزهر في افلاكها غلساً — ما حط الا ومن ارتاله زحل
ما عاقه في السري برد ولا مطر — كأن لطم الحيا في وجهه قبل
لا انس فيه ركوبي والحبيب وقد — بتنا وكل بصهباء اللقا ثمل
قمنا عن (البور) والافلاك قد غمضت — منها وقد سهرت طول الدجى المقل
يمشي الهوينا كخود ناعس نهضت — عند الضحى لم يزل في جفنها ثقل
ما سار نحو الشآم الميل مكتملاً — الا وجفن الضحى بالنور مكتحل
ينساب كالصل حرّان الحشاشة حيـ — ـرانا كمن قطعت في وجهه السبل
طوراً تخف الى استقباله قلل — وتارة تنثني من دربه قلل
يمر كالسهم في الانفاق مخترقاً — حشاشة الارض لا يلوي به الوجل
خلو من الحب لا ينفك منتحباً — يشكو ويبكي وما في جسمه علل
مصعد زفرات كلما عصفت — حسبتها طغمات الجن تقتتل
تلقي عَلَى الارض من ابوابه بصراً — يرده فشل في الطرف لا كلل
لا يستقر عَلَى شيء لسرعته — فلا ترى الارض الا عند ما يصل
حتى اذا ما انجلي سهل البقاع لنا — بحراً يرى كل بحر عنده وشل
امواجه الخضر بالازهار مزبدة — مثل الحلي اذا ازدانت بها الحلل
عدا ومن خلفه الابعاد مدبرة — كالجد يدبر من قدامه الكسل
لسرعة الجري ما لاحت له عجل — كأننا في سفين ما لها عجل
والكرم عن جانبيه مطرق خجل — كالغيد خف اليها فارس بطل

ترى العناقيد من اعناقها برزت   مثل الـ ود ولكن درها عسل
حتى اذا الارض من حر الهجير غدت   كأنها كبد بالهجر تشتعل
صرنا الى زحلة فالبعض قد ركبوا   منها وكنت انا من بعض من نزلوا

* . *

يا من له هوس في كل ذي قدم   هذا القطار فاين البغل والجمل ؟!!

رشيد الخوري

اخبار وافكار

قصر بختنصر

اكتشفت البعثة الاثرية الالمانية في بابل عدة آثار من زمن عصور التوراة ومنها خرائب قصر الملك بختنصر ومعبد البعل وباب ايستار وغير ذلك من العمارات المهمة وفي النية الآن ان يعيد اولئك الاثريون تلك العاديات الى الصورة التي كانت عليها على عهد عظمة بلاد الكلدان يستعملون لذلك الادوات التامة ومنها آلات لجر الاثقال عظيمة هائلة معمولة من الحديد والفولاذ وبها ينقلون تلك الاحجار الضخمة والاسود المجنحة ويجعلونها في محالها وكانت تنقل قديماً بانضمام ايدي العبيد والاسرى وقوام المجتمعة . وقد جعل الامبراطور غليوم الثاني هذا المشروع تحت حمايته وبذل الماليون لاولئك العلماء من النفقة في هذه السبيل مايلزم . ومعلوم ان مدينة بابل على بضعة كيلومترات من بغداد والى هذه ينتهي الخط الحديدي الالماني فبابل والحالة هذه داخلة في منطقة نفوذ الالمان كما يقول كتاب السياسة وترميم قصر بختنصر مما يساعد كثيراً على توطيد هذا النفوذ .

وكل من قرأ التاريخ يعرف عهد بختنصر المجيد وماتبعه من الكوائن وقد بدأ انحطاط بابل على عهد خليفته بالتازار بعد فتح قورش الفارسي . اما القصر الذي يراد ترميمه الآن فهو على نشز من الارض وفي جواره اراض متسعة للغاية وكان الرجالة يصعدون اليه على ادراج وكان ثمت طريق خاص بالمركبات والأسس معمولة بالحجر والحوائط من آجر لا يتفتت ولا يذوب وواجهات البناء مزينة بالنقوش تمثل الصيد وقدلوّن الصيادون وما يصيدون بانواع الاصباغ بالحمرة والزرقة والصفرة . والثيران المجنحة تحرس الابواب

المعمولة من النحاس وكان في القصر نحو مائتي ردهة وغرفة ينزل في اكثرها نساء هذا الملك العظيم وفي الداخل ترى انواع الطنافس والسجاد والزينات الفاخرة والافاريز منقوش عليها صور غزوات هذا الفاتح في مصر والقدس وصور . والغالب على الظن ان القائمين بترميم هذا القصر لا يكتفون بذلك فقط بل يرممون اسوار المدينة وكان سمكها بضعة امتار وهي شاهقة العلو ولها ابراج حصينة يبلغ طولها زهاء ٨٠ متراً وسيرمم باب ايستار الربة الحامية لبابل مع ما كان عليه من الثيران والتنانين الحمر والزرق . وقد رأت البعثة موقع الحدائق المعلقة المنسوبة لسميراميس ملكة اشور وفي النية ايضاً اصلاحها

لفحة الشمس

كثرت ضربة الشمس في الصيف الماضي في بلاد الغرب فانتبه الاختصاصيون من العلماء للنظر في طرق الوقاية منها فرأى احدهم في مونيخ ان الجسم الانساني لما كان مركباً من عناصر كيماوية فضربة الشمس ناشئة عن اضطرابات كهربائية تحدث من فقدان الملح اللازم في تركيب الجسم فأبانت ابحاثه ان الاشخاص الذين يعرقون كثيراً ولا سيما من يعملون اعمالاً شاقة في اليوم الحار يفقدون جزءاً عظيماً من الملح الضروري لصحة الجسم واستنتج من ذلك ان الجسم في هذه الحالة يضيع في اليوم من ٣٠ الى ٤٠غراماً من الملح الذي لا يعوضه في الاحوال العادية الا الغذاء . وشرب كمية من الماء لا يكون دواءً كافياً ونافعاً في هذه الحال لانه يحول دون جمود الدم وعنه ينشأ الدوار وهو اول اعراض الغثيان . ويعتقد العالم الالماني كل الاعتقاد ان ضربة الشمس تأتي بتعديل التراكيب الكيماوية في حياة الجسم تعديلاً سيئاً وذلك بحرمانه من الملح اللازم وذكر ان بعض السجون في المانيا كانت منذ اربعين سنة منعت من تمليح طعام السجناء بحجة ان الملح من الزوائد وهو دليل للرفاهية في التغذية فكان يحدث للسجناء مرض شبيه بالغثيان او ضربة الشمس يقضون نحبهم معه . وقد تبين ايضاً ان السكيرين اكثر استعداداً من غيرهم للوقوع بضربة الشمس وعللوا ذلك بان الالكحول اذا تناوله المرء بافراط يضر بالاغذية المالحة التي لا يستغني عنها الجسم وهي تقيه من الاخطار التي يتعرض لها كضربة الشمس ونحوها

التربة السوداء

في كثير من اصقاع العالم ارض سوداء ولا سيما في مراكش وجنوبي روسيا

واوستراليا وغيرها فترى تربتها سوداء فاحمة وهي مخصبة كل الخصب وتعطي غلاتها بدون ادنى سماد ويجود محصولها بضع سنين متوالية · ومن الغريب ان هذه التربة تكون كلها في السهول واطئة في الجملة معرضة للرطوبة واليبوسة في فصل المطر وفي ايام الجفاف تصلب وتتشقق · وقد نسب العارفون بطبائع التربة زمناً طويلاً سر هذا السواد والخصب في هذا الضرب من الاراضي الى الكمية الوافرة من المواد المخصبة Humus والمواد النباتية التي تغذي عَلَى رأيهم النباتات اثناء نموها ولكن اثبت البحث الدقيق ان هذه المادة النباتية تحتوي عَلَى كمية وافرة من البوتاس وحامض الفوسفور والنشادر بحيث ان المادة المخصبة هي السبب العارض في غنى النبات واخصب التربة السوداء في العالم تربة اوستراليا ولذلك انصرفت وجوه المهاجرين من اقطار الارض اليها وقصدوها لتربية الاشجار والحيوانات وكل مايغرس ويعرش ويخور ويبغم ويثغو

المطر الصناعي

اخترع احد مهندسي الجمهورية الفضية طريقة سهلة عملية لارواء الحدائق والحقول حتى في ايام الجفاف بواسطة الماء الموزع في اسلاك كهربائية وهذه الطريقة نافعة في الزراعة تأتي عَلَى الحشرات والحلمات الطفيلية المضرة فتهلكها ويجري اليها الماء من نهر او بئر ارتوازي او نبع ثم يجعل في حوض من الحديد منفرد يوصل في انابيب ومجار ذات مضخة رشاشة ويمتلئ الحوض بالكهربائية بواسطة دينامو وتستعمل الكهرباء لبعض التغييرات الكيماوية التي تولد شيئاً من الاوكسيجين والاوزون والهيدروجين وغيرها مما يجعل الماء قابلاً للشرب · وبهذه الطريقة التي جربها المهندس لارواء حديقة في عاصمة تلك الجمهورية خلال الصيف الماضي وكان الماء عزيزاً في تلك الاصقاع تيسر ان ينبت عشب كثير لتربية الخيول · لا جرم ان المطر الصناعي سيكون نعمة حقيقية للزارعين ويستعمل المجرى الكهربائي في انارة بعض اجزاء من المدينة

ادب النشر

في جميع البلاد التي لها قانون للمطبوعات مواد مخصوصة للحكم عَلَى من يخالفون العرف في مسطورهم ومنشورهم فيحيدون عن شرعة الادب · وقد حكمت احدى المحاكم الالمانية عَلَى كل من رئيس تحرير مجلة « بان » الالمانية وعَلَى مديرها بخمسين ماركاً غرامة لانهما نشرا قطعة من مفكرات الفيلسوف فلوبر فحكمت المحاكم عليهما بدعوى ان هذه المجلة مخالفة للآداب وكانت نشرت منذ ثلاثين سنة فلم يختلف اثنان في انها غير ادبية بل

ان كاتبها كان في وصفها كالجراح يشرح جثة ولا يرى في عمله مايعبث بالادب وتحمر منه الوجوه · ومن الغريب ان احد النقاد ترجم الى الالمانية قطعة من الشعر الغزلي كتبت بالافرنسية في القرن الثامن عشر ولم يكد ينشرها حتى حكمت عليه المحكمة بالسجن ثمانية اشهر

التمثيل والمؤلفون

بلغت واردات دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ — ١٩١١ (٦٢٠٠٣٠٧٧٣٢) وحقوق المؤلفين ثلاثة ملايين ونصفاً من الفرنكات وعدد اعضاء جمعية المؤلفين ٣٠٤ وعدد من يستعدون للانخراط في سلكهم ٤٥٤٣

الحرب العثمانية الايطالية

قالت المجلة ما تعريبه : لقد حزن كل الحزن جميع انصار السلام لانتشار الحرب الايطالية العثمانية فماذا كان يا ترى من امر المادة الثانية والاربعين من قانون محكمة لاهاي القاضية بان جميع الدول يقضى عليهن ان يعمدن الى التحكيم قبل ان تقعقع السيوف وتلمع الاسلحة فقد جاءتنا من كل مكان رسائل الاحتجاج عَلَى ما جرى بين الدولتين مما من شأنه ان يكدر صفو الانسانية ويذهب كل ما بذل لنفعها ادراج الرياح · فكل الجمعيات الانكليزية التي تعنى بحركة السلم قليلاً او كثيراً قد اقامت الحجة في لندرا وعزمت ان تبعث الى الاستانة بموءازرنا السامي وصديقنا المستر ستيد حتى تقرر الحكومة العثمانية طلب التحكيم (وقد جاء الاستانة وقابل السلطان الاعظم) والرجاء معقود بان الدولة العلية تطلب هذا المطلب وما ذا يكون من شأن ايطاليا ؟ لا جرم ان المستر كارنجي الذي منح محكمة لاهاي خمسين مليون فرنك لتستعين بها عَلَى نشر السلام ينوي ان يتدخل لدى الدول الموقعة عَلَى عهدة السلم · وذلك ما يدعو الى الرجاء في حركة سلمية ربما نجحت في ادخال الشعبين المتحاربين في مضمون مبادي حقوق الدول الاصلية

عاهات الصناعة

تبين بالاحصاء ان عدد من يصابون من العملة في الولايات المتحدة بعوارض قتالة قد بلغ سنة ١٩٠٨ ٣٥ الف رجل فقط من اصل ٣٦ مليون عامل ولا يدخل في ذلك مليون عامل يعملون موقتاً وعدد الهالكين في الصناعات يزيد كثيراً فقد دل احدث الاحصاآت ان معدل من يهلك بسببها ٥٠ الف رجل ولا تقل الجروح والرضوض

الغير القتالة عن اصابة مليوني عملة عَلَى الاقل . اما نحن فما ندري ان كان في احيائنا ما يوازي قدر امواتهم من العاملين في الصناعات

صحف العالم المتحضر

دل الاحصاء الاخير الذي وضعه المجمع العلمي الدولي للكتب ان فرنسا في مقدمة دول اوربا بكثرة جرائدها ومجلاتها فيصدر فيها ٨٩٤٠ صحيفة ثم تجيء المانيا ويصدر فيها ٨٠٥٠ ثم انكلترا ويصدر فيها ٤٣٣٩ ثم ايطاليا وفيها ٣٠٦٨ ثم البلجيك ٢٠٢٣ ثم روسيا ١٦٦١ ثم اسبانيا ١٣٥٠ ثم سويسرا ١٣٣٢ ثم بلاد القاع (هولاندة) ١٣٠٢ . وما نظن الجرائد والمجلات التي تصدر عَلَى صورة مطردة تحت السماء العثمانية والمصرية تناهز الثلثمائة صحيفة فتأمل

العودة الى الخلاء

في اوربا كثير من العقلاء يدعون الى التبدي اي سكنى البادية والعودة الى الخلاء واستثمار الارض ولكن الحال ما زال في ازدياد وسكان القرى ينهالون على المدن اي انهيال فقد كان معدل سكان المدن بالنسبة للقرى في الولايات المتحدة ٣٦ في المئة سنة ١٨٩٠ فبلغ سنة ١٩١٠ — ٤٦ وكسراً والمأمول ان يبلغ ٥٠ في المئة سنة ١٩٢٠ بتعديل قليل يدخل على اسباب الحياة الحديثة ويختلف هذا المعدل بين ولاية واخرى ففي الماساشوست يبلغ سكان المدن ٩٦ في المئة وفي ولاية داكاتو الشمالية والمسيسبي ١١ في المئة وقد كان نمو سكان هاتين الولايتين اكثر من سكان الولاية الاولى ومع هذا فان المدن تجذب السكان رغم اقوال الخطباء وتأثيرات الكتاب

كليات اميركا

كان بدء كليات الولايات المتحدة ككليات اوربا عبارة عن مدارس دينية واولها واقدمها كليتا هارفرد ويال فهما الكليتان المشهورتان اللتان تبدلت دروسهما بالتدريج ومسحا عنهما صبغة اللاهوتية فقد ادخلتا الى برنامجاتهما تعليم فلاسفة الوثنيين وكبار الكتاب المحدثين والاقدمين وكانت العلوم الطبيعية باديء بدء يتسامح بتعليمها فيهما فأصبح لها المكانة الاولى ثم المقام الاعلى وتعليم الدروس الوسطى أعفي منه النساء الاقليلاً وانصرف الناس الى تعلم ما تظهر نتيجته في الحال وتمس فوائده عن أمم . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قد اقبلوا في التعليم بالاساليب الالمانية . والمدارس العالية في الولايات الشرقية قد أنشئت بعطايا الافراد اما مدارس الغرب والجنوب فقد انشأتها الحكومة

والمنافسة قائمة عَلَى ساق وقدم ولا تزال بين مدارس الاهلين ومدارس الحكومة وكل مدرسة تريد ان تظهر من تلامذتها النجابة والنبوغ وان يكون لها افضل المدرسين والباحثين وكليات الغرب غنية كثيراً في حين اشتهرت كليات الشرق بتأثيرها الاخلاقي

الجنسية في روسيا

لم تستطع روسيا عَلَى وسائط الشدة التي استعملتها في الجنوب الغربي من بلادها ان تنزع الدعوة الى الجنسية والتناغي بحب القومية البولونية ففي كل مكان تبدو علائم النهضة والروسية لم تتأصل في مكان وستزيد الدعوة الى الجنسية عندما تنشأ في تلك الولاية جرائد تدعو للاستقلال الاداري المحلي وعَلَى مااستعملت روسيا من الذرائع للقضاء على نفوذ كبار ارباب الاملاك البولونيين وحرمانهم من حقوقهم فان الروسيين بل كبار المالكين منهم لايكون لهم ادنى تأثير في تلك الجرائد التي هي ملك صغار المالكين وتصدر عن آرائهم . لاجرم ان هؤلاء لحبهم لبلادهم ولغتهم وتقاليدهم يعملون عَلَى مافيه نجاح كلمة الوطنية وستكون مسألة اللغة اول مسألة تدخل فيها الحكومة مع الاهالي في اشكال فاذا توسعت الحكومة في اضطهادها يزداد الخرق بينها وبين المحكوم عليهم وتشتد العداوة والبغضاء . قالت احدى المجلات الروسية ولا سبيل الى حل هذه المعضلة الا بأن تعمد الحكومة التي قضى بها العدل والحق فتجري عليها وهناك الراحة لها ولغيرها

منتدى المعمرين

أنشيء في يابان منتدى لايدخله الا من بلغ مئة سنة من عمره سموه منتدى المئويين ورئيسه الكونت اوكوما المشهور وجميع المشتركين معه متعهدون ان يحافظوا كل المحافظة عَلَى مبادىء الصحة الشديدة التي تضمن وتعد بطول الحياة وكلهم يودون ان يعيشوا او يرغبون في ان يعيشوا مئة سنة اخرى عَلَى الاقل . قالت احدى مجلات يابان وان هذا العزم لانفع جداً من ان يفزع المعمرون الى المعابد و يستنزلوا رضا الارباب لتطول شيخوختهم ومن مبدإ هذا المنتدى ان يبحث المرء ليكون نافعاً لاخوانه ماامكنه، و يتأتى له ذلك اذا عني بصحة الجسم كما يعنى بصحة العقل وكل منهما نتيجة لازمة لصاحبه حتى ان رئيس هذا المنتدى يشترك مع القائلين بطول الحياة و يرجو ان يعمر ١٨٥ سنة !

مخطوطات ومطبوعات

نظام القضاء والادارة

تأليف احمد بك قمحة طبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٨هـ — ١٩١٠م ص ٣٤٣

لو كتب لمصر ان يرتقي فيها كل فرع من فروع العلم عَلَى نحو ما ارتقى القضاء لاصبحت كفرنسا لا ينقصها الا ان اهل مصر ساميون عرب واهل فرنسا توتونيون فرنسيس واماما الآن هذا التأليف النفيس كتبه مؤلفه من اساتذة القضاء بلسان سلس وتنسيق بديع وضمنه النظامات القضائية والادارية والمالية والسياسية في القطر المصري وطبعه طبعاً نفيساً حتى حبب مطالعته والاخذ منه لكل من لاميل عنده لمثل هذه الموضوعات وناهيك بمن يحتاجون اليها في بلاد الشرق ولا سيما العثمانية والمصرية . والناظر في هذا السفر يعرف مصر وطرفاً مهماً من تاريخها السياسي والاداري والقضائي . خذ مثالاً لذلك ما اورده في امتيازات الاجانب وتعليلها قال : « وسبب ذلك ان الحكومات الاسلامية اعتادت من قديم الزمان ان تتساهل مع المسيحيين الذين في بلادها فاجازت لهم عدم اتباع الاحكام المرعية وتركتهم يتقاضون في احوال مخصوصة بحسب قواعد دينهم وقوانينهم . فمع شدة الاختلاط وتمكين العلائق ومضي الزمن اصبحت هذه العادة بمثابة القانون واضحى هذا التسامح حقاً لهم لا يحتمل النزاع . هذا ما نتج عن مجرد التساهل ومحض التسامح على ان هناك ما بني عَلَى المعاهدات فانه توجد معاهدة عقدت بين سلطان مصر صلاح الدين بن أيوب وجمهورية بيزا مؤرخة في ١٥ صفر سنة ٥٦٩ (سنة ١١٧٣م) يستدل من عباراتها ومن المعاهدات التالية لها عَلَى انه منح البيزانيين جملة امتيازات خاصة بالتقاضي والمملكة وقد حصل كذلك الفلورنتيون (الفلورنتيون والبيزانيون هم الطليان) من ابي النصر قايد باي سلطان مصر عَلَى عدة امتيازات قضائية بامر اصدره في سنة ١٤٨٨ جاء فيه ما يأتي : « اذا حدث خلاف بين الفلورنتيين انفسهم ليس لحكامنا وقضاتنا المسلمين ان يتداخلوا في مسائلهم ولكن الحكم في ذلك لقنصل الفلورنتيين فيحكم في هذه الحالة بما يناسب القوانين الفلورنتية »

ومما يلاحظ انه حصل التوسع في العمل بهذه المعاهدات حتى عمت جميع رعايا الدول المسيحية الواحدة بعد الاخرى و بقي الحال كذلك الى ان حلت الدولة العلية

المحل الاول من الدول الاسلامية فنسيت هذه المعاهدات بعض النسيان ولكنها مالبثت ان عادت بعودة الاختلاط ومقتضيات الاحوال فتعاقدت فرنسا معها عَلَى ارجاعها باتفاق جديد بصورة انه معاهدة تجارية في سنة ١٥٣٥ حررت بين السلطان سليمان الاول وفرنسوا الاول ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين عَلَى ارواح الفرنسويين وتجارتهم · وقد ظل تجديد هذا التقاعد الى ان عقدت معاهدة سنة ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت هي صاحبة الشأن في حماية رعاياها وجميع الاجانب الذين يلتجئون اليها · وقلدت فرنسا الدول الاخرى في عقد هذه المعاهدات المعروفة ايضاً باسم العهودنامات واخذت الامتيازات تزداد شيئاً فشيئاً بمساعي الدول من جهة وباهمال الحكومات الشرقية من جهة اخرى من طريق كونها اقرت بعض العادات وان كانت خارجة عن نصوص المعاهدات في الواقع ونفس الامر · ولا خلاف في كون جميع هذه العهودنامات نافذة علي مصر كما تقدم لانها جزء من ممالك الدولة العلية لا سيما ان الفرمان الصادر لمحمد علي باشا في اول يونيه (حزيران) سنة ١٨٤٠ اشترط فيه اعادة المعاهدات الموجودة والتي ستوجد فلا شك حينئذ في ان الاجانب متمتعون بالامتيازات في مصر اسوة بسائر بلاد الدولة العلية · »

والخلاصة فان هذا المصنف ممتع نافع كتب على هذا النموذج فجاء ناطقاً بالثناء على ابي عذره دالاً على فضله بين الاساتذة وجميل ذكره

تاريخ حرب فرنسا والمانيا
سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

لجرجي افندي يني طبع عَلَى نفقة يوسف توما البستاني بمصر سنة ١٩١١ ص ٢١٦

مؤلف هذا الكتاب رصيفنا صاحب مجلة المباحث من المشهود لهم في فن التاريخ ألف تاريخ سورية في حداثته وهذا الكتاب نشره ايضاً في جريدة الجنان ايام صدورها في بيروت وقد كتب المؤلف عدة ابحاث تاريخية في بعض المجلات ولا سيما في المقتطف ابانت عن تضلعه من هذا الفن الجميل وتاريخه هذا من انفع مايكون لابناء العربية في تلك الحرب المشهورة ولذلك احسن ناشره في تجريده ونشره للناس عَلَى هذه الصورة فلمؤلفه الرصيف احسن الثناء عَلَى همه وحسن بلائه

مطبوعات مختلفة

القراءة العربية في المعلومات المدنية — عربه من التركية السيد عبد القادر المبارك

وفيه ما يلزم كل عثماني من المعلومات عن حالة حكومته

قانون اصول المحاكمات الحقوقية وذيله الجديد الذي صدرت الارادة السنية آذنة بالعمل به بعد التصديق عليه من مجلس الامة وقانون الجزاء الجديد وفيه القانون القديم والمواد والذيول الجديدة التي اضافها مجلس الامة وبعض تعليقات معربة بقلم شاكر افندي الحنبلي

وهذان الكتابان والكتاب الاول معربان احسن تعريب تشهد لمعربيهما وهما من فضلاء دمشق معروفين بالادب وطول الباع فعساهما يتوفران عَلَى تعريب كل ما كان من هذا القبيل ليطلع العثمانيون العرب عَلَى ما يسن بالتركية من القوانين وبكتب من الكتب النافعة وينفع في تقوية الشورى في النفوس

الجغرافيا الطبيعية — لجامعه عبدالله افندي عمر التنير وهو يبحث في التربة والتلال والجبال والاودية والانهار والبرك والبحيرات والاوقيانوس والهواء وغير ذلك من الابحاث التي تنشئ التلميذ الصغير على حب العلوم والصناعات طبع في بيروت سنة ١٣٢٩ في ١١٦ صفحة مع بعض الرسوم

تحريم نقل الجنائز — رسالة لمؤلفها السيد هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم في النجف الاشرف في العراق ذكر فيها رأيه ونصوص علماء الشيعة في تحريم نقل الجنائز من مكان الى آخر كما يفعل بعض العامة من الشيعة فيأتون الى كربلا والغري بموتاهم من اطراف العراق وفارس يدفنونها هنالك وقد اجاد الرصيف في التنفير وهذه العادة المضرة الملتبسة شعار الدين

اسماء البنات — معانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء دعين بها تأليف امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية وفيه كلام نافع في فلسفة الاسماء ولا سيما الافرنجية والقديمة

المقتبس

اعداء الاصلاح

الطرق شتى وطرق الحق مفردة — والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم — فهم عَلَى مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم — فجلهم عن سبيل الحق رقاد

ماخلا عصر من عصور الاسلام من اعداء لكل جديد ومن جامدين ينكرون كل مالا يألفون . فقد لقي المعتزلة والفلاسفة والمتكلمون والنظار من اعداء العقل كل شدة في القرون الراقية وكان عقل الملوك هو الذي يحول على الاغلب بين الجامدين وبين مايشتهون من الاعتداء عَلَى القائمين بتأييد سنن العقل والناصرين باقوالهم وافعالهم مذاهب السنة والنقل . ومن نظر نظرة مجردة عن الغرض في سيرة المناهضين للمصلحين عَلَى اختلاف الاعصار يجدهم جروا عَلَى غير مايعتقدون وطلبوا بمقاومة المصلحين ارضاء العامة ونيل الحظوى لديهم واستتباع الجاهلين من الملوك والسلاطين وقليل جداً من كان الاخلاص رائدهم في اعمالهم ومآتيهم .

يقاوم في العادة الخامل النابه لتكون له مكانة كمكانته، ويتحامل الجاهل عَلَى العالم ليعرف بين قومه بانه قسيمه في صناعته ومثيله في فضيلته و يطعن الجامد المتخرق بمن يحب ان يعبد الله بعقل و يبحث في عالم الكون والفساد بروية ليتظاهر بانه بعيد الغور شديد الغيرة وما اقواله الا رياء ومافعاله الا وساوس واهواء .

لقي المصلحون من الاهاويل في الامة العربية أكثر مما لقيه امثالهم في الامم الاخرى فيما نحسب وخصوصاً بعد القرن السابع وقد توزعت بلاد الاسلام ملوك الطوائف وكان

اكثرهم عَلَى جانب من الجهل والغباوة لايهمهم الارضاء المشعبذين بالدين ليحولوا العامة اليهم فيقوى بهم ضعفهم و يستعينون بهم على تكبير رقعة ممالكهم و بسط ظل سلطانهم عَلَى النفوس فيستمتعون بشهواتهم و بذخهم ورفاهيتهم ·

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

ساعد عَلَى الانتقام من العالمين العاملين اناس من ارباب المذاهب سرت احكامهم بقوة اربابها فكان الحكم يجري على المبتدعة وارباب الاهواء بزعمهم بموجب قوانين لم سنوها ومنها المذهب المالكي الذي كان بحكم قاضيه يقتل اكبر عالم في الامة — والقتل يعد من التعزير في مذهب مالك — خالف المألوف من العادات التي اعتقدتها من اصل الدين وعد الخروج عنها كفراً والحاداً وما اسهلهما واسهل صدور الحكم بهما من اعداء الاصلاح المماحكين

سالت الدماء كالاودية في بغداد للفتن بين الحنابلة والشافعية مرات وسالت دماء كثير من الخاصة في كل قرن وعذبوا وأُوذوا بواسطة ارباب المظاهر من المتنطعين ممن شق عليهم ان يروا كلمة الاصلاح الديني والدنيوي تفعل في الارواح فعلها المطلوب فحدثتهم انفسهم ان يتساوى المفكرون وغيرهم في نظر العامة ان لم يتمكنوا من اسقاطهم ليخلو لهم الجو و يقتصر في تقبيل الايدي وطلب الدعوات والتماس البركات عليهم دون سائر المنتسبين للعلم والشريعة ·

ومن غريب اسرار الله في خلقه ان جميع من قاوموا المخلصين من المصلحين دثروا ودثرت اسماؤُهم وظلت اسماء من عادوهم وآذوهم تشهد بالجهل المركب عَلَى اعداء العقل السليم والتعاليم الصحيحة

اين اعداء الغزالي والسهروردي والآمدي وابن جرير وابن تيمية وابن رشد ذهبوا كلهم كأمس الدابر و بقيت الامة تردد عَلَى وجه الدهر اسماء هؤُلاء المصلحين العاملين وتتناقل ماخطته اناملهم من سطور الاصلاح « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

لا يذكر التاريخ اليوم الا افراداً ممن ناوأُوا رجال العقل الرجيح والنقل الصحيح اشتهروا لاحتكاكهم بالحكام وموهوا عَلَى العامة بحسن حالهم لمظهر دنيوي ارادوه وحطام من الدنيا تطالت نفوسهم لان يقتنوه كأن يكون احدهم قاضياً يخاف ان يشوكه ذاك العالم

المستنير في قضائه او شيخ عامة حدثته نفسه بالاستئثار بهذا المظهر الذي يعنقده جماع فضائل الدنيا والآخرة ·

امثال هؤلاء المتخرفين المنافقين بدلوا المعالم والتعاليم مرضاة لارباب الرئاسات والزعامات وسجلوا عَلَى انفسهم العار للبت فيما لم ينزل به سلطان وجازوا حد الشرع وهم يتظاهرون بانهم المؤتمنون عليه ومنهم ومن اعمالهم يشكو ويئن كما تشكو المدنية والانسانية

وهل افسد الدين الا الملو ك واحبار سوء ورهبانها

ان من يتظاهرون بالدين وباطنهم منه بريء أضر على الدين ممن يعتونه · ومن يدعو في الغالب الى الصلاح ويتخذ التقية امام العامة درعه يكون اقرب الى الانحلال والضلال منه الى من لا يطنطنون بانهم دعاة الدين والقائمون عليه وعنهم يؤخذ وبهديهم يهتدى · وشر الناس من يسرون غير مايظهرون ويتلونون باللون الذي يرون انه اوفق لهم لجر مغنم واحراز مظهر

ان هؤلاء العامة ممن يتطاولون الى مقامات العلماء هم افسد من العامة لان شيطانهم يتكلم وشيطان هؤلاء اخرس لايبدي ولا يعيد · هم سوس الفساد في كيان هذا المجتمع يدعون معرفة كل شيء وهم لم يتقنوا شيئاً الا ما سولته لهم انفسهم وحدثتهم به شياطينهم · شعارهم التدليس والتظاهر بالغيرة عَلَى المحارم ولو بحثت عن اعمالهم لرأيتهم اول المجترئين عَلَى انتهاك حرمات الاديان والشرائع وهم يقدسونها بلسانهم والعابثين بحدودها وهم يدعون الناس الى الوقوف عند مراسيمها والسعاية بالمصلحين ليفتوا في اعضادهم ويفسدوا عليهم امرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره ابالسة التدجيل والتضليل من علماء (١) السوء

لو كان اعداء المصلحين على شيء من التدين الحقيقي لكانوا اشتغلوا منذ القديم بارشاد العامة وانكار المنكرات الماثلة في كل عصر امامهم مثول الشمس في السماء رأد الضحى ولكن المتدلسة امثالهم يتعلمون من قشور العلوم ما يستعينون به عَلَى الاخذ من اموال الحكومات والاغنياء والتغرير بالعامة ولذلك كان اكثر اشتغال من سموا انفسهم بالعلماء في كل عصر بالفقه لانه سلم الى ما يتطاولون اليه من الجاه والمال وحسن الحال

(١) في اول الجزء الاول وآخر الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين فصول بديعة في علماء السوء راجعها ان احببت ·

قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : « اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ففرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طولبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الامن وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص

وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى الآن وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث عَلَى الا كباب عَلى الخلافيات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين اهـ»

هذا موجز من تاريخ المتحذلقين في الدين وصف به حجة الاسلام طغمتهم في عصره وعصره الخامس من افضل عصور النور في الاسلام فما بالك بامثالهم بعده وقد حدثت من الاحداث ما كان الجهل سداها ولحمتها والنيل من المخلصين مبدأها وغايتها وما اصدق ما قاله حجة الاسلام ايضاً في هؤلاء الطغام اعداء الاسلام والسلام في اول كتابه التفرقة بين الاسلام والزندقة قال : « وأنى تنجلي اسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ؛ وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكنزهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيلة لما تقتضيه حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان أبالهام إلهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وامثالهما هيهات هيهات هذا المطلب انفس وأعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل انت بشانك ولا تضيع فيهم بقية زمانك و (اعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)»

وبعد فان في هذا العصر فئات في هذا الشرق ممن استعاذ منهم المصلحون في كل عصر ولكنهم ويالاسف حثالة الحثالة ، ومثال الجهالة والضلالة ، ان قلت لهم تعاليم فلان ، قالوا لك او نسيت تعاليم فلان فهي احسن واسلم ، وان حرضتهم عَلَى علم كذا قالوا علم كذا افضل ، وان شرحت لهم اساليب المدنية ، قالوا انا لم نؤت الا من قبل ديننا فتركناه فصارت حالنا الى ماترى ، وان حدثتهم بطرق الارتقاء قالوا انه يدعونا الى الانحلال كأنه ما كفانا ما نحن فيه من البدع ، وان دعوتهم الى الاخذ بما صح من احكام الحلال والحرام ، اوردوا لك من اقوال شيوخهم واقاصيص عجائزهم واحلام

حالميهم ومثبطات المتزهدين والمتورعين منهم ماتسأل الله معه السلامة، وان حببت اليهم المعروف قالوا لك ما اكثر المنكرات ·

حملة اهواء ، لاحملة شريعة ، وجعاب لغو وحشو لاقوام عَلَى مايقوم العقل ، سلاحهم المغالطة ، ومجنهم السفسطة ،رأس مالهم الثرثرة ، وربحهم الغلبة بالباطل ، والمهارة في المهاترة عَلَى غير طائل ، مناهم ، من دينهم ودنياهم ، ان تفخم القابهم ، وتملأ كراشهم وعبابهم ،وترفع بين الفاغة منازلهم ، و يزيدوا بسطة في الجسم لافي العقل ، وتكتب لهم في العالمين شهرة بعيدة بدون ان يعدوا لها اداة من ادواتها ، و يصرفوا في التحصيل ساعة من اوقاتهم ، دأبهم الحط من الفضلاء ، وهجيراهم النيل من العظماء

يرقعون ويلفقون، و يراوغون و يماحكون ، واكسون ماكسون ، مدلسون موالسون ، يعادون مايجهلون ، يجمدون عَلَى مايعرفون ، يصانعون ولا يتلطفون ، يفتون وهم لا يعلمون ، يجتهدون و يخطؤن ، يهرفون بما لا يعرفون ، يعدون علوم البشر ذرة من معارفهم ، و يحتقرون ما لا تبلغه مداركهم كأن فضل الله محصور فيهم ، وكأن من لا يجري عَلَى هواهم محروم من السعادة هالك ، اولئك هم ثعالب الانس يأكلون لحم اخوانهم بالغيبة والوشاية ، و يمشون بين الناس بالنميمة والسعاية، اسود ولكن على نحت اثلات مخالفيهم ، نمور ولكن لا يحسنون الوثب الا على من لا يصلحون خدمة لهم · يفترون و يغرون ، يغوون ولا يخافون ، يخربون ولا يدرون، يخرفون ولا يستحون، يخرقون ولا ينتهون، فهم اضر عَلَى الناس من قطاع السابلة ، وافسد في جسم المجتمع من الادواء القتالة ، يرجعون بالامة القهقرى ، والدواعي تهيب بها الى التقدم ، و يزينون لها الفناء والعدم ، والمصلحة قاضية بالتماسك والتعاون، ويملون لها الذل والصغار ، وركوب متن العار، والحالة تدعو الى تحكيم العقل في كل قول وعمل

فاللهم ثبت اقدام المصلحين وهيئ لهم من الكفاءة ما يقوون به عَلَى رد غارات اعداء الامة في اصلاحها فقد كفاها جهلاً وضلة بما كسبت ايدي المنافقين وما جلبوا عليها من الخزي المبين «وعباد الرحمن الذين يمشون عَلَى الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما · · · والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما »

بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحموية

« حماة » كلمة سامية معناها الحصن المنيع والحمي . وحماة عاصمة مملكة لايعرف اسماءها تختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج انه ربما كان انطيوخوس الرابع ايفان هو الذي سماها ابفانيا وسماها مؤرخو النصرانية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة بعينها بل قالوا ان فامية و يقال لها افامية هي مدينة [1] قديمة و يطلق هذا الاسم عَلَى كورتها ايضاً وكانت فامية عظيمة قديمة عَلَي نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي) وقال ياقوت ان فامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها افامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

يادار علوة ما جيدي بمنعطف الى سواك ولا قلبي بمنجذب
وياقرى الشام من ليلون لانحلت عَلَي بلادكم هطالة السحب
مامر برقك مجتازاً عَلَي بصري الا وذكرني الدارين من حلب
ليت العواصم من شرقي فامية اهدت الي" نسيم البان والغرب
ما كان اطيب ايامي بقربهم حتى رمتني عوادي الدهر من كثب

وهذا دليل علي ان فامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية فكان الشاعر حرياً بان يذكرها بلفظها المتعارف

افتتح حماة ابو عبيدة سنة ١٧ و كانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله:

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير يضج العود منه يمنه اخو الجهد لايلوي على من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت [2] ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم و بظاهر السور حاضر كبير جداً

(١) تقويم البلدان لابي الفدا (٢) معجم البلدان

فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف عَلَى نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصانتها واتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مئة ذراع واكثر للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن قديماً مثل ما كانت في القرن السادس من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد

واستولى الاسماعيليون عَلَى حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلزال شديد سنة ٥٥٢ هـ حتى ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتاتيب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم قال ولم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه الهالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى عَلَى حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ماعرف من تاريخ هذه المدينة ليشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبه اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد تسعد برجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمعرة وبرزين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً يشبه تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يتحيفها حتى وصلت الى ماوصلت اليه لهذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لا لقلة نفوسها فانهم خمسون الفاً ولا لتغير معالمها وضعف زراعتها فانها مازالت بحالها بل لقلة عمرانها وجهل سكانها الا قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير علي غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية عَلَى الماء وبها نواعير عَلَى العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام

وحدد ابن فضل الله (١) حماة من القبلة الرستن وما سامته آخذاً مابين سلمية وقبة ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلمية الى ما

(١) التعريف بالمصطلح الشريف

اسـتقبل عن قبة ملاعب ومن الشام آخر حد المعرة من انقراتا(؟) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة وليس لها نطاق يدور عَلَى غير ولاية برها الخاص بها نفسها وبارين والمعرة ·

وقال شيخ الربوة (١) في القرن الثامن ان الشام كانت تنقسم على عهد الدولة التركية الى ثمانية اقسام او ممالك والمملكة الرابعة من الثمانية حماة وبها سلطان ملك ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والارزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جاريًا من جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة ومن اعمالها الكبار بعرين وتسمى بارين (٢) وهي قلعة منيعة وسلمية وهي عَلَى سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس ولها قناة كبيرة

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) بلفظ المملكة ايضًا وقال انها متسعة تشتمل عَلَى مدن وقلاع واقاليم وقرى واعظم مدنها حماة وان قلعتها اخربها تيمورلنك وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكن ومزارات

ووصف ياقوت قرون حماة المعروفة الى اليوم فقال انهما تلتان متقابلتان وجبل يشرف عليها ونهرها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم لواء في الشمال من ولاية سورية ومن اعماله سلمية وقسم من جبال الكلبية او النصيرية وحمص واكثر اراضي هذا اللواء سهلية الا ما كان من انحاء جبل الكلبية ففيه ما في الجبال من سهول وآكام وتربته حسنة وما كان على مقربة من العاصي يسقى منه فينبت فيه القطن والقنب والحرير والبصل (القنار) والخروع وانواع البقول والاشجار وما كان بعيداً عنه يكون عذيًا وخصوصًا في المحال التي يسمونها بالزوار فانها عَلَى غاية من حسن التربة وقوة الانبات بما يتوفر القائمون عليها من التسميد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (٢) بارين بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها اعين وبساتين وهي عَلَى مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسمى الرفنية لها ذكر شهير في كتب التاريخ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربعمائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخربوه·
(٣) زبدة كشف الممالك

الذي يأتون بسماده من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق و بعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر ·

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها والنواعير تئن عن ايمانها وشمائلها من اجمل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجمل النزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار اليانعة تعكس عَلَى المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الاقمشة للثياب والفوط والستائر والاعبئة والنرابيج (اللي) وغير ذلك من الامور الحقيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة و بعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها و بين مكانة حماة القديمة ·

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة عَلَى اجمل طرز عَلَى مقربة من نهر العاصي وزين بانواع النقوش والتصاوير و يظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية و بعض الابيات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة [1] في ذلك العهد بجوامعها ومدارسها ونواعيرها وقصورها والناظر اليها يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والغالب ان الزلزال الاخير اخربها الا قليلاً · و بالجملة فان قصر ابن العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

---

(١) كأن فن الرسم كان مرتقياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين قيطر المعروف بتعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٢) بنى للملك المظفر ابراجاً بحماة وطاحوناً عَلَى النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين عَلَى عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها وسألنا عن مواضع دقيقة فيها · وجمال الدين هذا هو قاضي القضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالحي صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حماة واحدة والغالب ان من بنوا هذه بنوا تلك وكذلك النافشون والمزينون

قلنا ان سكان حماة خمسون الفاً دع عنك من في ضاحيتها من امهات القرى ومانظن لواء حماة يقل عن اربعمائة الف نسمة لان بعض سكانها مكتوم في الاحصاء الرسمي ولا سيما سكان جبال الكلبية وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والشدة في الازمان الغابرة . وفي قضاء العمرانية حصن مصياف وفي قضاء المرقب القدموس وهما من الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولهما ذكر في التاريخ

عَلَى قبر ابي الفدا صاحب حماة

حنانيك اسمعيل اجبني فدتك نفوس الملوك يا عالمهم وعادلهم وسيدهم . كنت في عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .

زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فبكيت عَلَى الاسلام والعرب وقابلت بما قرأته عَلَى ضريحك بين السذاجة الغالبة عليك ونفخفخة الالقاب بعدك .

قرأت : « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة » جملة لا يجوز نقشها اليوم عَلَى قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا الفدا في مفاخرك وسؤددك ومجدك التالد والطارف

حنانيك اسماعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير وتعلم العلماء فيما توفروا عليه والفاتحين ما يفاخرون بمعرفته والحكماء ماهو ثمالة امجادهم وها انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك نسوا دينهم ودنياهم فكيف لا ينسون رجالهم

نشأت ايها السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت في العلم وربيت على ادب النفس وادب الدرس حتى جاء منك عالم بل معلم للعلماء بسيرته وتفننه .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك نشأة جاهلية عَلَى الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والحور وغاية مفاخرهم انهم يبطشون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يتعاظمون ولا يتواضعون يقضون فلا يراجعون يأمرون ولا يعدلون .

الذي يأتون بسماده من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق و بعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر ·

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها والنواعير تئن عن ايمانها وشمائلها من اجمل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجمل النزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيري المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار اليانعة تعكس عَلَى المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الاقمشة للثياب والفوط والستائر والاعبئة والنرابيج (اللي) وغير ذلك من الامور الحقيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة و بعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها و بين مكانة حماة القديمة ·

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة عَلَى اجمل طرز عَلَى مقربة من نهر العاصي وزين بانواع النقوش والتصاوير و يظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية و بعض الابيات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة [1] في ذاك العهد بجوامعها ومدارسها ونواعيرها وقصورها والناظر اليها يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والغالب ان الزلزال الاخير اخربها الا قليلاً · وبالجملة فان قصر ابن العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

(١) كأن فن الرسم كان مرتقياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين قيطر المعروف بتعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٢) بنى للملك المظفر ابراجاً بحماة وطاحوناً عَلَى النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين عَلَى عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها وسألنا عن مواضع دقيقة فيها · وجمال الدين هذا هو قاضي القضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالحي صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حماة واحدة والغالب ان من بنوا هذه بنوا تلك وكذلك النافشون والمزينون

قلنا ان سكان حماة خمسون الفاً دع عنك من في ضاحيتها من امهات القرى ومانظن لواء حماة يقل عن اربعمائة الف نسمة لان بعض سكانها مكتوم في الاحصاء الرسمي ولا سيما سكان جبال الكلبية وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والشدة في الازمان الغابرة . وفي قضاء العمرانية حصن مصياف وفي قضاء المرقب القدموس وهما من الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولها ذكر في التاريخ

عَلَى قبر ابي الفدا صاحب حماة

حنانيك اسمعيل اجبني فدتك نفوس الملوك يا عالمهم وعادلهم وسيدهم . كنت في عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .

زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فبكيت عَلَى الاسلام والعرب وقابلت بما قرأته عَلَى ضريحك بين السذاجة الغالبة عليك ونخفخة الالقاب بعدك .

قرأت : « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة » جملة لا يجوز نقشها اليوم عَلَى قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا الفدا في مفاخرك وسؤددك ومجدك التالد والطارف

حنانيك اسماعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير وتعلم العلماء فيما توفروا عليه والفاحصين ما يفاخرون بمعرفته والحكماء ماهو ثمالة امجادهم وها انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك نسوا دينهم ودنياهم فكيف لا ينسون رجالهم

نشأت ايها السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت في العلم وربيت على ادب النفس وادب الدرس حتى جاء منك عالم بل معلم للعلماء بسيرته وتفننه .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك نشأة جاهلية عَلَى الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والحور وغاية مفاخرهم انهم يبطشون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يتعاظمون ولا يتواضعون يقضون فلا يراجعون يأمرون ولا يعدلون .

اضحت احكام بعض الملوك بعدك ذوقية واعمالهم على الاكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام دينًا وهو منهم بريء وعبثوا بالرخص والعزائم ليس لهم وازع من انفسهم ولا رادع من امهم . اضحوا جبابرة لاملوكاً وشياطين لا انساً وانعاماً لا يعرفون الا ما فيه راحتهم وتوفير قسطهم من اللذائذ والبذخ والنعيم .

كنت اباالفدا ملكاً بالاسم ومَلَكاً بالفعل كنت شريفاً بماضيك وحاضرك وها انت الى يوم الناس هذا والى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك .

لم نعهد لك كما عهدنا للملوك قبلك وبعدك ان عددت الرعية كالسائمة التي تملك فيتصرف مالكها بدرها ووبرها وجلدها ولحمها و يعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعه منازع . بلى عهدناك تؤاسي الضعيف ولا تجور عَلَى الفقير وتحسن للعلماء وتفضل عَلَى الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقاتك في التأليف والتصنيف ياثاني المأمون بعلمك وعقلك وثاني صلاح الدين بعدلك وجهادك .

ابا الفدا ان قومك اغفلوك وسيرتك بل اهملوا ضريحك ولو ذكروك اساروا ولوقليلاً عَلَى سنتك المحمودة فعلمت الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت في عصرك خير معلم للملوك العادلين والعلماء العاملين

اباالفدا ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً جمعوا فكان ملكك بجانب ما ملكوا جزءاً صغيراً جداً وماخلفوا الا ما تحمر وجوههم خجلاً منه و يأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لا لهم اعمالهم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا تمحوه الايام

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه اكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والعقار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما يملك .

من لي بنظرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التمزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وضعف العقول . رئم اخلاف من حكمت للمذلة وخنعوا للاستبداد وتفرقوا تحت كل كوكب فرثى لهم الصديق وشمت بهم العدو وخانهم الدهر وكل ذلك بما فعله سفهاء الاحلام من امرائهم وعلمائهم انهم كانوا ظالمين .

قم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخترع الافرنج في زماننا البخار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

375

لم من مدنية القرون الاخيرة الا النظر وزادوا على جهلهم فساداً في اخلاقهم بحيث لم يبق لم من الامجاد الا ان يعودوا الى صحيفة اجدادهم و يفاخروا بما تم عَلَى ايدي امثالك كالقرعاء تفخر بشعر أمها او العجوز الشوهاء لا تفتأ تذكر ماضي شبابها ·

قالوا ان نظام الحكومات بعد ايامك ارتقى وانكم كنتم في عصر تقلُّ فيه القوانين الوضعية وكانا كثر العمل بالقوانين السماوية فمن لنابعصرك فان القوانين الوضعية ارتقت ولكن عند غيرنا من اهل الغرب والقوانين السماوية اعرضنا عنها الا قليلاً فلم نحسن تقليد المقننين المحدثين ولا احتفظنا بتراث الاقدمين فكنا كالعقعق اراد ان يمشي كالحجل فنسي مشيته ولم يمش مثله بل كنا من الاخسرين اعمالاً

الا عطفة من نظراتك الرشيدة ايها الكريم تنظر امتك الآن الى الانقراض اقرب منها الى البقاء : كل يوم تصغر رقعة بلادها ويتحيفها الخراب و ينقصها من اطرافها تحاول تقليد الراقين من الامم فلا نراها تستطيع الا تقليدها في الموبقات والشرور لا في مقومات الحضارة واساليب النهوض ·

رحماك ابا الفدا ان امثالك انفقوا اموالهم واموال الامة في شهواتهم عَلَى المغنين والمغنيات والكواعب الغانيات وانت انفقتها عَلَى العلم والعلماء · انهم اذا كانوا جهلة اغبياء فقد كنت العالم المؤرخ الجغرافي الطبيب الحكيم الفلكي ومصنفاتك شاهدة لك عَلَى غابر الدهر بانك عالم الملوك وملك العلماء · خلد اضرابك بسيرتهم صيت بطش وفتك وقطع وقت في العبث وانت اقمت نصاب العدل عَلَى من وليت امرهم فكانت ايامك رياض الازمنة وبهجة العصور فجزاك الله عن أمتك اجزل ما يجازي ملكاً صالحاً عن رعيته وعالماً عاملاً يخدم الناس بعلمه وفضيلته

المملكة الحمصية

ربما يستغرب بعضهم اطلاق لفظ مملكة عَلَى حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام · كانت الشام عَلَى عهد الروم مقسومة (١) اربعة اقسام قسم قصبته دمشق وقسم قصبته طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبته حمص وقسم قصبته ايليا (القدس) وتسمي فلسطين وكان لهم في كل عمل بطريق من البطارقة يحفظه و بعث الخليفة الاول لما اراد فتح الشام الى كل عمل جنداً وأمر اميراً فبعث الى حمص ابا عبيدة بن الجراح وسميت هذه الاعمال يومئذ اجناداً وكانت قنسرين مضافة الى حمص ثم افردت

(١) نخبة الدهر

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى تسعة اقسام منها قسم مكة التتار والارمن والروم وانفصل عن الشام وسمي روماً .

وكانت اقاليم حمص [1] عبارة عن اقليم حماة واقليم شيزر واقليم فامية واقليم معرة النعمان واقليم صوران واقليم لطمين واقليم تل منس واقليم الغلاس واقليم كفر طاب واقليم جوسية واقليم لبنان واقليم الشعرة وخمسة اقاليم الثمة واقليم البلعاس واقليم البارة واقليم الرستن واقليم زمين واقليم القسطل واقليم سلمية واقليم عقبرتا واقليم الجليل واقليم السوبداء ورفنية وتدمر . وخراج حمص ثلثمائة الف واربعون الف دينار

وكان يحد عمل حمص في القرن الثامن من القبلة قرية القصب [2] المجاورة لقرية جرسية -- وجوسية -- من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعلبك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير [3] (قلمون) — آخذاً هذا الحد الى النبك الى القريتين ومن الشرق السماوة الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية ولها قلعة تقاربها تعرف بشميش ومن الشام مابين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه الصفقة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل لملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخاف وبأس يحذر وبها القلعة المصفحة ولا منعة لها ولها بناية جليلة وعسكر وتشمل هذه الصفقة على ولاية قارا وهي قبلي حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي مابين القريتين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت مملكة وولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قضاء من عمل حماة واما تاريخها قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بلين الروماني باسم اميزا (Hemisa(Emèse

وذكر الحمصيون قبل عهده في جملة سكان الخيام Scénites الذين قاتلهم الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليوكابال رو باسانيوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس (بعل) في حمص الذي بويع امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ وقد استولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٩ م .

ولحمص وجند حمص ذكر كثير في كتب الفتوح [4] منها ان اهلها صالحوا اباعبيدة

---

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح البلدان للبلاذري

عَلَى مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان الحمصيين كانوا متخوفين لهرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من كيد المسلمين و بأسهم وظفرهم فامنهم الفاتح على انفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج عَلَى من اقام منهم وقسمت حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم عاملها السمط بن الاسود الكندي في كل مرفوض جلا اهله او ساحة متروكة و كانت مدينة حمص مفروشة بالصخر فلما كانت ايام احمد بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله شغبوا عَلَى عاملهم الفضل بن قارن الطبري اخي مايزديار بن قارن فامر بقلع ذلك الفرش فقلع ثم انهم اظهروا المعصية واعادوا ذلك الفرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساءه واخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه احمد بن محمد اليهم موسى بن بغا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة و يهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الحقهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة ٢٥٠ . قال البلاذري وبحمص هري [٢] يرده قمح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطع اهله عليه وسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم

وفرش طرق حمص بالصخر قديم جدد مرات قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من أسواقها وسككها مفروشة بالحجارة والبلاط وذكر الجغرافيون (١) من حسن بناء حمص انه لا يوجد بها دار الا وتحتها في الارض مغارة او منارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة . وقال بعضهم ان مدينة حمص هي سوريا وكان بها مرصدان اشبه بالمرصد الذي كان عند عين الهرمل وهو من مراصد الصابئة .

قلنا ان الفاتح صالح اهل حمص عَلَى ربع كنيستهم للمسجد وقد ظلت كذلك الى القرن الرابع (٢) وبعض بيعتها المسجد الجامع وشطرها للنصارى فيه هيكلهم ومذبحهم وبيعتهم من اعظم بيع الشام . وقد دخلها الروم في الاسلام مرات واخربوها واتوا عَلَى سوادها وزاد اختلالها بعد دخول الروم اليها ثم ان قوماً استوطنوا ممن سلم من الروم فاتت البادية عليهم تأكل زروعهم كما كان يحدث ذلك لها الى عهد غير بعيد حتى القرن الماضي .

سكان حمص والحثيون

الارجح ان سكان هذه البلاد مزيج من امم مختلفة باختلاف الفاتحين فغيهم دم من

(١) شيخ الربوة (٢) ابن حوقل (٣) بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

معظم الاجناس التي حكمت هذه البلاد واهم عناصرها الحثيون والروم والعرب فما « وقع في ديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب الكنانة من كلب » وحمص كدمشق وما يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم .

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون في جهات فلسطين والشماليون نزلوا اولاً جبل اللكام « امانوس » ثم انتشروا بكرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كبدوكيا . ويظهر من الآثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بروكهارت الانكليزي بحماة سنة ١٨١٢ ويرى عَلَى جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي الهيروغليفي تختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز . واخذ العلماء بالتنقيب عن امثال هذه الآثار فعثروا عَلَى كثير منها في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركميش (ايرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين عَلَى مارسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الى الروتانو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين اوفي جانبهم) منهم الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة .

قلنا ان اول محل احتلوه اودية جبل اللكام ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستحوذوا عَلَى كركميش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا عَلَى حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الآراميين في دمشق نفسها فحكموا فيها مدة وبسطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا آسيا الصغرى

وقادس كانت في برية حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رعمسيس الثاني احد فراعنة مصر حاصرها ايام غزا فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد اشور مرات ثم ضعفت مصر في آخر ايام هذه الدولة فنبذت سورية وفلسطين طاعتها

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس

(٣) هي قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة واليه تضاف بحيرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية واجلوهم من عقر دارهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارجاء تنبسط من شاطئ الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق ايضاً

اخفق رعمسيس الاول في اعادة سورية الى طاعته لان خصومه فيها كانوا قد جمعوا شملهم وقد لاحظ مسبرو في تاريخ الشرق ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك مساوين لهم او لا يزالون الا قد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم امراء ينكلون بهم اوعصاة يجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم صاغرين دون شرط او تدميرهم التام

والظاهر من الآثار ان ساتي الاول ابن رعمسيس اراد ان يستبيح حمى الحثيين فقاتلهم قرب العاصي عَلَى قلعة قادس وطالت الحرب الضروس وتعددت المواقع الى ان افتتحها المصريون واستماتت الحثيون في الدفاع حتى اعيوا فرعون فاضطر ان يوقع عَلَى عهدة صلح مع موتنار ملكهم عهدة ضمنت له سلامة ملكه حتى ردت عليهم قادس مدينتهم وبعد حروب طويلة عَلَى عهد رعمسيس الثاني مع الفينيقيين وقد كلت الامتان المصرية والحثية من اهراق الدماء وعقدتا عهدة صلح وجدت صورته منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك بمصر انقطعت سائر الغزوات بين المصريين والحثيين مئة سنة وتزوج رعمسيس بابنة ملك الحثيين فتوطدت دعائم الوفاق بين الشعبين

ويتلخص من اخبار تغلت فلازار الاول ملك نينوى وكان نحو سنة ١١٣٠ ق٠م انه كان للحثيين في عهده صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم وتنبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتؤدي اليهم الجزية قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش ٠ وكانت كركميش هذه في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لهم فكانت قادس حصناً منيعاً يخفر طريق آسيا في وادي العاصي وكركميش مثلها عَلَى الفرات وتفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب آسيا ومشرقها ٠

وقد اكتشفت آثار مدينة كركميش سنة ١٨٧٥ وكان اسمها عند العرب جرابولس ويسميها الاتراك جرابيس محرف هيرابولس اي المدينة المقدسة وموقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور وفي الشرق من حلمان او حافان وهي

حلب ومن خرزاز المعروفة الآن باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كمكوما المعروفة الآن بالمقيس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة ·

جدد شلماصر ملك اشور حملات ابيه على الحثيين بل قضى اكثر مدة ملكه يحاربهم ومن جاورهم · وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائئة لا محفورة فتطرق من الوراء على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة وتقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فتقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال وتقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى · واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قلّ فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون بالنحت كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوغازكوي وايوق في آسيا الصغرى واتقنوا فن تحصين الحصون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين · قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا آسيا الصغرى من اقدم العصور ويظهر ان صناع الحثيين الفوا من صناعة مصر ونينوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذوالرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقتبسوها عن بابل وبثوها في سورية وآسيا الصغرى وتطرقت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً ·

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مسمط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافييهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضرت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقريتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من اهم عمالاتها قال ابو نخيلة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الانبار داراً تعمر وخربت من الشآم ادوُر

حمص وباب التين والموقر ودمرت بعد امتناع تدمر

والموقر حصن بالبلقاء وكان ينزله الامويون وكذلك حمص و باب التين وتدمر وانا اذا اخذنا عباب معجم البلدان نقرأ فيه اسماء مدن كثيرة اكثرها داثر اليوم فمنها مدينة « المؤتفكة » كانت بقرب سلمية وعَلَى آثارها بنيت هذه وسلمية اليوم كحمص قضاء من اعمال حماة ومنها « مريمين » وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة الى اليوم و « مرقية » قلعة حصينة في سواحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع و« لطمين » كورة بحمص ولها حصن و« كفر نغد » ولعلها كفرنان و « القرشية » قرية بسواحل حمص وهي آخر اعمالها و « فوز » من قرى حمص ولعلها محرفة عن فيروزة و « غنثر » واد بين حمص وسلمية والشام في قول ابي الطيب :

غطا بالغنثر البيداء حتى تحيرت المتالي والعشار

و « عقيربات » ناحية بحمص لا تزل موجودة و « الطوبان » و «صوران» اسم كورة بحمص وجبل و « شيزر » بينها و بين حماة يوم كانت تعد في كورة حمص و « سلمية » كانت تعد من عمل حمص كذلك و « رفنية » كورة ومدينة من اعمال حمص يقال لها رفنية تدمر . و « الرستن » قرية مشهورة قال ياقوت : بليدة قديمة كانت على نهر الميماس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذومري · وهي في علو تشرف عَلَى العاصي · و « دير ميماس » بين دمشق وحمص عَلَى نهر يقال له ميماس واليه نسب وهو في موضع نزه · ولعله المتنزه الذي يقال له الميماس اليوم ظاهر حمص و « دير مسحل » بين حمص و بعلبك لا يعرف اليوم ولعله بعض الخرب التي لم تشتهر الا عند سكانها

و « دير باعنتل» غير معروفة وهي « من جوسية عَلَى اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص عَلَى مرحلة منها عَلَى طريق دمشق وهو « الدير » عَلَى يسار القاصد لدمشق وفيه عجائب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت الى ناحية كانت عينها اليك » و « دنوة » كانت من قرى حمص بها قبر عوف بن مالك الاشجعي من الصحابة سألت عنها فلم يعرفها احد مع ان قبور الصحابة والصالحين معروفة في الاكثر ولعلها في الوعر فان وعر حمص كبير فيه آثار مهمة وهو يمتد من حمص الى قرب طرابلس واكثره

وعر ومن حمص الى قرب حماة فما بعد و « دير اسحاق » غير موجود وهو بين حمص وسلمية في احسن موضع وانزهه و بقربه ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل فقال :

كأنني شارب يوم استبد بهم من قرقف ضمنتها حمص او جدر

ولاهل القصف والشعراء فيه اشعار كثيرة :

و « حوط » قرية بحمص او بجبلة من ساحل الشام غير معروفة و « الحص » غير موجودة وهو « موضع بنواحي حمص تنسب اليه الخمر قال ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها
وتروي بخمر الحص لحدي فانني اسير لها من بعد ما قد اسوقها

وكانت « انطرطوس » اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك « افامية » كورة من كور حمص عَلَى الساحل و « اعناز » بلد بين حمص والساحل . وعن ابن واضح « معرة النعمان » و « تل منس » وما والاها من اقليم حمص . و « الجبل » كورة بحمص و « يبرين » من قرى حمص و « بانياس » كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص عَلَى البحر . و « بكسرائيل » حصن من سواحل حمص مقابل جبلة

هذه هي حمص و بعض ما عثرنا عليه من اسماء قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرية فاليكها الآن وعددها ١٣٧ قرية ننقلها عن سجلات الحكومة :

ابودالي . امحارتين عتيق . ام شرشوح . ام القصب . امحارتين يهودية . ابوهمامة (الاصل ابو امامة ونسبته الى الصحابي المدفون بها) اكوم ومعيان . ام العظام . آبل . اكراد دياسنه . اعور . ام دولاب . باباعمرو . بلقسه . برابو . بريج . بتيمسه . بويضة شرقية . بوير . برج قعية . تلعمري . تلبيسة . تلدو . تلدهب . تارين . تيرمعلة . تسنين . تلنبي مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغرب عند مصب العاصي عَلَى البحيرة) . تذونه (وقف جامع خالد بن الوليد) تليل . جرنايا . جوبانية . جوسية (قبلي حمص منها خراب وعمار فالعمار من سكة الحديد للغرب والخراب في الشرق وهي البلدة الاصلية) . جدبدة شرقية . حفر . حام . حلاموز . حوارين . حداثة . حيصة . حاويك . حديدة العاصي . حوز . حسية . حميديه . حميمة . خربة السودا . خربة حام . خربة تين نور . خربة تين محمود . خربة غازي . دنحة . دبين . دير بعلبه . ديرفور . دمينة شرقية . دوير .

دار الكبيرة · دلبوز · دمينة غربية · رستن · رام العنز · ريلة · ريان · ربيعة · رأس العين · زورغربي العاصي · زور الموح · زعفرانة · زيتة وبويضة غربية · زراعة · زيدل · زور بقرايا · زيتا البحرة · سماقيات غربية · سماقيات شرقية · سمعليل · سكرة · سقرجه · شنشار · شمسين · شومرية · شيخ حميد · شرقلية · صيادية · صنون · صدد · حفر · طيبة · عين ظاظ · عين حسين · عزالدين · عامرية · عسيلة · عرقاية · عيصون وشلوح · عرجون · غزيلة · غجراميز · غنثر · غنطو · غور · فيروزة · قطينة · قربتين · قناقيه · قزحل · قيرانية وحوش السيد علي · قصيرميري · قره وشر (ولها اسم ثان وهو تل الاعور) كفرعايا · كفرموسى · كفرلاها · كفرمهدي · كفرنان · كام · لفتايا · مجيدل · مشرفة · مسكنة · مهين · مودان · مباركية · مرج القطا · مرج بولاد · منقطع · متعارض · ميصرة · مطيربة · نويجة · ناعم · انقيرة · هرقل · هبوب الريح · هيت · وجه الحجر · بويت

وهناك اراض كانت للسلطان المخلوع عبدالحميد ثم أديرت الى الخزينة وهاك اسماءها: قرية قصير ورمزون دبابية · خربة الضبعة · كوكران · دحيرج · هزة · مضابع · عباسية · صايد · فرقلس · برهانية · بلها · رقامة · منزول · شعيرات · وازعية · حربية · عزيزية · حمرات · وهيب · دردغان · عاليات · نحيله · تلة الناقة · خرابة قنية · فيضة · بسبة · حولاية · دويليب · مخرم فوقاني · مخرم تحتاني · تل الطويلة · سليمية · نواء · حميدية = ام العمد · شوكتية · جهنم · وربدة · جب عباس · تل الاغر القبلي · جوسة الخراب (قبلي الخط الحديدي وغربيه) · ام التين · سنكري شمالي · سنكري قبلي ام العلب · تل الورد · دويعر شرقي · دويعر غربي · مسعودية · ام السرج شمالي · ام السرج قبلي · ام الجباب · جنينات · حراقي · ثنتان وام قدوم · فطيم العرنوق · عيون حسين · مسيعيد · مكسر الحصان · هبرة غربي · هبرة الشرقية (ولها اسم آخر مزرعة هنداوي) · مزرعة جب الجراح · مزبن البقر · تلول الهوا · رحوم · مزرعة ام صهيريج · مشيرفة · ام جامع

هذه اسماء قرى حمص وخرائبها وبعضها ناء جداً عن مركز الحكومة وخرب لعيث البادية فيه مثل القريتين مثلاً فلوجعلت القريتين قضاء مع ما يصاحبها من القرى والمزارع وكذلك جب الجراح لزاد العمران والسكان لا محالة وخصوصاً اذا اباعت الحكومة مزارعها وخربها من الاهلين ببدل المثل اذاً لاشتراها الحمصيون انفسهم لان من اهلها من هو غني

جداً يتساوى في ذلك مسلموهم ومسيحيوهم فالزراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الفريقين هاجروا الى مصر واميركا فاغتنوا وتأثلوا حتى ان اهل حمص سموا لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة عَلَى نحو ماسمى جدهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الاندلس ·

قال ياقوت ان في حمص مدارس وقال ابن جبير ان بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى عَلَى رسم مدن هذه الجهات مثل حماة وغيرها اما اليوم فليس بها مدارس دينية مهمة فيما علمت سوى بعض مدارس للعلوم الدنيوية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبرتستانت وبعض مدارس حديثة اهلية أُنشئت للمسلمين وبها مدرسة رشدية اميرية وبها مطبعة اسمها حمص تطبع جريدة حمص وجريدة جادة لرشاد وغيرها · وثلث اهل حمص غير مسلمين والباقون مسلمون وكان اهلها كما قال ياقوت « من اشد الناس عَلَى علي بن ابي طالب فلما انقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً من رأى مذهب النصيرية واصلهم الامامية » اما ماقاله كثير من المؤرخين والعمرانيين في ان البله يكثر في اهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عامتها لاعن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم انهم كانوا بعد الدستور اسبق البلدان السورية الى ورود حياض المدنية وقد انتفعت بلدهم بمد السكة الحديدية العريضة الممتدة منها الى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها وترد عَلَى الجمال والبغال والمركبات والحوافل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق الى تدمر ويجيئها السياح بالالوف وتحمل اشعة المدنية والامن الى تلك الربوع في الداخلية وتعيد الى تدمر وارباضها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزور حاضرة من الحواضر ولا يشهد ريفها وقراها تظل معلوماته عنها قليلة ويظل مقلداً فيما يكتبه وما كان المجتهد كالمقلد سواء في شؤون الدين والدنيا · دعاني صديقي وصفي افندي الاتاسي الى قريته قرمشر فركبت واياه عربة حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة امور نافعة الرياضة في الخلاء والاطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سورية القديم كما نسمع اليوم باسم خزان أُسوان في مصر للتشابه بينهما فخزان حمص يسقي تلعات وادي العاصي وخزان أُسوان يسقي تلعات وادي النيل ·

وطول هذه البحيرة الصناعية ساعتان وعرضها ساعة وقد نسبت لقدس عاصمة الهيتيين اوقدشو عاصمة الحثيين الثانية يجتازها العاصي وهي محدودة من مسافة كيلومترين وهناك برج قديم عَلَى الشاطئ الشرقي وعدة قرى ·

وقد وصف جغرافيو العرب هذه البحيرة فقال شيخ الربوة ان بحيرة حمص وهي بقعة محفوفة ببناء جص محكم وفيها اسماك كثيرة كبار ثم يخرج منها الماء عكراً مثل ماء النيل ولا يصفو بعد ذلك الى ان يدخل ارض الروج ويصل الى السويدية ويصب في البحر الرومي · وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيماً

وقال ابو الفدا ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد وهي مصنوعة عَلَى نهر الارنط فانه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وعَلَى وسط السد المذكور برجان (الآن برج واحد) من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد سال الماء وعومت البحيرة وصارت نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بعض يوم في غربيها ويصاد بها السمك اه ·

اذكرتني هذه البحيرة او السد او الخزان بما في بلاد الشام من الانهر والخلجان والبحيرات الكثيرة التي يذهب ماؤها بداداً ولا ينتفع به في السقيا وقد كان القدماء اعرف بما ينفع من هذا القبيل من اخلافهم سكان هذه الديار اليوم وذلك على قلة ما كان في عهدهم من الادوات التي احدثتها مدنية الغرب وتقدم فنون الحيل (الميكانيك) والهندسة والبناء · ولذلك رأينا اعمال اسلافنا شاهدة عَلَى الدهر بعظمتهم وان عقولهم كانت ارقى من عقولنا واعمالهم افخم من اعمالنا

في سورية انهار كثيرة تجري ولا من ينتفع بها من سكان الجوار فلو وقع الانتفاع بمياه نهر الفرات والعاصي وابراهيم والاردن والليطاني والازرق كما ينتفع بمياه نهر الكلب وبردى والاعوج مثلاً لاخصبت كثير من الاراضي التي تحرم من المياه اليوم وكان في المكنة ان تسقى سيحاً وتغرس فيها انواع الاشجار

لا تشكو سورية في عمرانها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا قلة الخصب وسعة الرباع والاصقاع ووفرة الامواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانتفاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الاقل عَلَى مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من اعمر الاقطار تشبه المانيا والنمسا وفرنسا ان لم تفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها. ولكن جرت الاقدار بان يتراجع عمراننا حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية انبار العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة ساهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسوي ان الاراضي تغل عَلَى نسبة اقتدار من يقوم عليها

Tant vaut l,homme tant vaut la terre ولا عبرة في الثروة الا بما استخرج من كنوز الارض الا بما كان مذخوراً في عالم القوة

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس باثبات الف في اولها في رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المقدسي اجل من صيدا و بيروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي عَلَى شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية لحسن هيئتها وكانت عَلَى عهده تشتمل عَلَى عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صهيون في جبال الكلبية وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس واللاذقية وجبلة والكهف والرادفة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية وتوابعها فيما قيل عَلَى قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي قال: وبنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة المخروبة نحو من خمسة اميال عَلَى شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يتخلل الماء في جوانبها ولها قنطرة عَلَى واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعين ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي و يصب في البحر الرومي

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً بنهر قاديشا اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تخرق ارضها بالمياه وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان . وقد جمعت في بساتين طرابلس من الفواكه ما لا يوجد في سائر الاقاليم اصلاً قصب السكر والجميز والحمضات الكثيرة الزائدة والملقاس الذي لا يوجد مثله والثلج وسمك البحر الطري والطير الكثير ومجموعها لم يجمع في بلد غيرها ومن بلادها واعمالها الساحلية البترون وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وأنفة مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرسوس مدينة ساحلية

وعدد من اعمال طرابلس حصن عرقا وحصن حابا قال ولها عمل متسع به ولايات ومراكز ومن اعمالها جون ومنه رجايه (؟) والحصنان خراب في عصره ومدينة مرقية (مرقب ؟) وجومة عكار اي كورة عكار وجومة بشمر به والكورة والحدث باذيال لبنان ولهـا اعمال يزيد عددها عَلَى الف قرية . وحصن عكار (١) حصن منيع من بناء الاسلام وينصب اليه ماء من الجبل المطل عليه و يدخل الى القرية وحصن الاكراد حصن منيع مشرف بين الشام والسواحل ينظر الناظر منه الى الشام وقارى والنبك و بعلبك والى البحر والساحل .

قال ومن اعمال طرابلس المستجدة قلاع الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد تلميذ علاء الدين علي صاحب الالموت في العجم وهو صاحب الدعوة الاسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخوابي وحصن الكهف وحصن القدموس وحصن العليقة وحصن المنيقة (البقيعة ؟) وحصن الرصافة باذيال طراز من جهة الشام وحصن ابي قبيس وثغر صياف وهو اهم هذه الثغور في اظهار الدعوة وارسال الرجال الفداوية الى البلاد والاقاليم في قتل الملوك والاكابر وحصن بلاطنس حصن منيع جداً وله احد عشر باباً كل باب فوقه باب وحصن المرقب ثغر منيع عَلَى رأس شاهق مطل على البحر كبير مثلث الشكل بناه الرشيد عَلَى اثر بناء قديم ثم بناه النصارى ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه وحصن صهيون حصن منيع عادي قديم البناء يقال انه من بناء أغسطس ملك رومية الكبرى المسمى قيصر وليس هو اغسطس صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن صعب المرتقى عَلَى قبة جبل وعليه خمسة اسوار وله فرضة في الساحل في طرف دخله من الارض كالجزيرة من البحر

وذكر ان اللاذقية محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث وهي اشبه بالاسكندرية في بنائها

(١) جبل عكار هو برجليوس القديم

و بارضها معدن رخام ابيض واخضر موشى وبها دير الفارس من اعجب البناء في الديور وله يوم في السنة تجتمع النصارى اليه والميناء الذي باللاذقية من أعجب الموانى في البحر واوسعها لا يزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لمراكبه مانعة من مراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الايهم الغساني جددت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقر الملك الذي كانوا اصطلحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له سرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار سائحة قريبة المنبع و بساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة يضرب موج البحر بغير حائل و بين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عند نهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جريته وقلة الانتفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كان من احسن الحصون بناء وخربه اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بعضهم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والماآن مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات وهما في النظر ماء واحد محيط به من سائرها . ومن اعمال طرابلس ايضاً البقيعة هي الحصن والناعم وجبال النصيرية نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الاسل . حيث يمتد نهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر و بلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس و بلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي العليقة والمنيقة والكهف والمرقب والقدموس والخوابي والرصافة ومصياف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيلية ولها على قللها الرتب العلية واما ولاياتها فهي انطرسوس واللاذقية وجبة المنيطرة و بلاد الضنيين (الضنية) ومنها بشريه وجبلة وانفة وجبيل وما لعل في تلك مما له ولاية

و بعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والآخر من

382

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي المنية وحذور والقنية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احد الوية ولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

ويبدأ اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر ايلوتروس Eleutherus ومن ضفته الشمالية تبتدئ البقيعة وهي سهل فسيح اشبه بسهل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريبوليس) Tripoli لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين يفصله عن الآخر سور عَلَى ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف عَلَى وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية ولعل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعمائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد بنائها من الصور بين والصيدونيين والارواديين دولة السلوقيين الرومية فامتلكوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزينوها وانشأوا فيها ابنية فخمة اتت عليها كلها الزلازل المريعة التي اصابتها في عصور مختلفة ولما جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن عمار من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشائه حصناً سماه الافرنج مون بلغرينوس Mons Bellegrinus وسماه المسلمون سان جيل او صان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاماً للنار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير ودام حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحي سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبناها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تعلو وتسفل بحكم الاقطاعات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز ايالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوي طرابلس من السكان عَلَى نحو ثلاثين الف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ الفاً ومساحة قضائها ١٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يجيء اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طباع اشبه بطباع الفرس من حيث الابهة والتأنق

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لاتصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٠٥ كيلومترات ولكننا رأيناها هذه المرة عَلَى تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تستحق ان تذكر ولولا شيء من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل عَلَى صورة سرية لقلنا ان طرابلس هي هي منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها ليسوا اكثر من سائر مدن سورية وقراها في حب الهجرة . ولولا قليل من الصحف انشئت فيها عقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تزل بحالها ايضاً . وقد اثر هذه السنة ماشوهد من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم فخف اصدار الغلات من طرابلس وكانت بحالتها التي تنقل الحبوب اليها في السنين الغابرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسلمية اكثر حركة منها اليوم بسكتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تقاس عليها سائر السنين مادمنا موقنين بان الارتقاء بطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضانة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع المقفرة اعمرتها فما بالك بقطر مخصب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات .

اللهم ان طرابلس ستكون بعد بيروت اهم مواني سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلوها عَلَى مافيه المصلحة تعاضدهم يوم نالوا امتياز سكة حديد طرابلس — حمص وتركوا اشتغال بعضهم ببعض مما هو من شأن البلدان التي لاعمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلية لهم سوى الاغتياب والنميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فتكون عاقبة ذلك التخاذل والتفاشل وذريعة الانحطاط المهين .

تمثل لنا في طرابلس كل التمثل ان العقلاء من المسيحيين احسنوا الانتفاع بالدستور اكثر من اخوانهم المسلمين فكان واسطة لنهوضهم اذ كانت لديهم مواد الارتقاء موفورة الا قليلاً فلما جاء دور العمل هبوا هبوباً محموداً ولولا داء الهجرة الذي تفشى اكثر من غيرهم ولا سيما بسبب الجندية لبلغ اخواننا في الوطن مبلغاً تحسدهم عليه حتى الامم الراقية

فعسانا نسمع عن هذا البلد الطيب كل ما يسر القلوب من دواعي الارتقاء فتقل وقائعها وحوادثها المزعجة وتكسد سوق الفسوق الرائجة بما ينهال عليها من اموال بعض اغنياء عكار والحصن وصافيتا ممن يقصدون طرابلس ليفجروا فيها ويتخلون برضاهم عن ملاحظة زروعهم وعمران بلادهم ·

واذا صح ما يسعى اليه بعضهم اليوم من نيل امتياز سكة حديدية من حمص الى تدمر والمسافة بينهما لا تقل عن مائتي كيلومتر تحمل القطارات الى طرابلس بغلات الداخلية من شرقي سورية كما ينقل الخط الحلبي محاصيل البلاد الشمالية

وبعد فقد اشتهرت طرابلس من القديم بمصنوعاتها الحريرية ولا سيما الزنانير الطرابلسية اللطيفة وكل صناعاتها قد نازعتها المصنوعات الاوربية اليوم وتوشك ان تبزها برخص اسعارها وجمالها الظاهري ومهارة المتجرين بها في قاعدة العرض والطلب ولكن اوربا لا تستطيع منازعة طرابلس ولا غيرها من هذه البلاد بمحصولات اراضيها وخصوصاً الثمار والبقول والغلات وفي طرابلس يجود البرتقال والليمون جودته في صيدا ويافا من بلاد الساحل وقد رأى ارباب الحدائق كيف ربحوا من اراضيهم منذ توفروا على زراعة هذه الشجرة المباركة

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة بين دمشق الفيحاء وحلب الشهباء سطرناه بعد الرجوع الى نصوص علماء التاريخ والجغرافيا من العرب خاصة وذلك بقدر ما سمحت الاحوال وقد استغرقت هذه السياحة عشرين يوماً ولو صرفنا اكثر من هذه الفترة والزمن وتتبعنا الاقاليم اقليماً اقليماً والكور الواحدة بعد الاخرى لاتينا من الفوائد باضعاف ما اتينا وكنا بما نجمع نستغني بعض الشيء عن الغربيين فيما يتعلق على الاقل بتاريخ هذه البلاد وعمرانها وتقويمها والحمد لله في المبادىء والخواتيم

مخطوطات ومطبوعات

المسالك والممالك

نشر علماء المشرقيات مئات من كتب العرب وقلما نشروا شيئاً الا وفيه فوائد جمة يتمم نقصاً في العلم ويسد ثلمة في الآداب والفنون · وممن عنوا بنشر كتب الجغرافية التي الفها علماء العرب الاستاذ دي غوي الهولاندي نشر في ليدن ثماني مجلدات لعلماء منوعين في صور بلاد الاسلام وسماها المكتبة الجغرافية العربية كما نشر مستشرقو الاسبان بضعة عشر مجلداً في تاريخ الاندلس وسموها المكتبة الاندلسية ومن جملة تلك المجلدات الثمانية كتاب المسالك والممالك لابي القاسم محمد بن حوقل البغدادي من اهل القرن الرابع وقد اعتمد فيه على كتاب ابي القاسم محمد بن خرداذبة وقدامة بن جعفر الكاتب وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وافاض فيه بذكر المفاوز والمهالك والاقاليم والبلدان وطبائع اهلها وخواص البلدان في نفسها وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما ينضاف الى ذلك من الحكايات والاخبار والنوادر والآثار ·

هذا اقل ما يقال في كتاب المسالك والممالك واهم ما فيه ان مؤلفه رحمه الله كان في الجغرافيين كما كان المسعودي في المؤرخين ممن رحلوا من بلدهم وضربوا في طول الارض وعرضها ولذلك تكلم فيما تكلم عنه من البلاد عن ذوق ونظر واختبار فخرج من بلده وطاف كثيراً من اقطار العراق والجزيرة وارمينية وخراسان والجبال وفارس وماوراء النهر والسند والشام ومصر وبرقة وافريقية والمغرب الاقصى وصقلية والاندلس وغيرها من بلاد الاسلام ولم يتعرض للكلام على سائر الاقطار الا بحسب ما بلغه من الثقات عنها ولذلك جاء كتابه من اصح ما كتب في عصره لانه ميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل ·

وللمؤلف طريقة في التأليف والتحرز من الوقوع فيما يقع فيه اغلب مؤلفي القرون الوسطى ما لا يكاد يدانيه فيه كثيرون وكانت رحلته في التجارة على نحو ما كان شأن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان من اكبر المساعدات له على احراز هذه الملكة واليك نموذجاً من احترازه خوف السقوط عند صيارفة النقد من بعد ان قال في كلام على اليمن:

« ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استجيز حكايته لان المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل » وهكذا تجده اذا شث في الاخبار يقدم بين يدي نجواها قوله و يزعمون او يقال او و يروى ليكون المطالع عَلَي بصيرة مما يقرأه ·

وكتاب المسالك والممالك على صغر حجمه (٤٠٦ ص من قطع الوسط) فيه عدا وصف البلدان ذكر خراجها وثروتها كما مر آنفاً فهو ليس كتاباً في جغرافية الممالك بل في جغرافيتها الاقتصادية والسياسية والطبيعية يدهش المطالع لتقريرها و يتراءى له ان المؤلف من اهل القرن التاسع عشر او العشرين في اوربا واكثر ماذكره من هذا القبيل مما حققه بنفسه من مصادره لان رحلته وتأمله وبعد نظره مكنته من الاجتماع بالطبقة العالية من الحكام في عصره فوقف عَلَي ارتفاع الممالك وما تخرجه البلاد من الخيرات قال : « وفي ذكر البلد مايدل عَلَي ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه مايعرب عن حاله ومكانه و يغني عن ذكر شرفه وشأنه وكذلك كل بلد ذكرته واذكره فالعبرة بارتفاعه وجباياته هي التي تدل عَلَي قوته وقوة اهله اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء، وان خرج بالخصوص عن بحر العموم في هذه القضية قوم لم نحكم بهم ولم نلتفت اليهم · »

واذ كان المؤلف ممن يشتغلون بالمال وتنميته مع العلم والتأليف تراه يستدل احياناً عَلَي ثروة قوم ينزل بينهم بالسفاتج والاوراق المالية التي لهم فمما ذكر من هذا القبيل انه رأى في ايدي بعض التجار وسمى اسماءهم في صقلية والمغرب وغيرهما سفاتج كل سفتجة باربعين الف دينار واكثر لصاحبها دين عَلَي آخر فاذا كان تاجر واحد له عَلَي تاجر آخر مثل هذا القدر فكم تكون ثروته · واليك هذه القصة التي رواها في غنى اهل سيراف ومنها تعلم عظم نفسه ايضاً وصورة من صور اخلاقه، قال: « ولقد رأيت بالبصرة منهم (اهل سيراف) ابابكر احمد بن عمر السيرافي في سنة ٣٠٥ وقد قدمت عليه بكتاب ممن يعز عليه في مهم له فاخذ الكتاب من حيث لم ينظر الي فقرأه ثم وضعه من يده ولم يعرني لحظاً وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ماعرض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه ثم اقبل عَلَي بعض خدمه وذكر مراكبه وحاله فوثبت غيظاً وانا لاابصر مابين يدي من شدة مانالني وداخلني باعراضه فكأنه لحظ مكاني فقال : مافعل الرجل فقيل : ومن هو فقال : صاحب فلان فقيل له : و بصاحب فلان مافعلت هذا الانقباض لقد خرج

وهو لا يبصر ما بين يديه حنقاً والماً فقال: علي به فالحقني كتابه وقدبث جماعة غيره في طلبي في الطريق التي قصدت له فقال ان الشيخ تألم من خروجك بغير اذنه وعرفناه ماظهر لنا منك فانفذنا لردك فقلت: والله لقد رأيت ملوك الدنيا او اكثرهم ممن تحت ايديهم الآلاف من الناس عَلَى اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف فما رأيت رجلاً اكثر زهواً وبأواً واقبح صلفاً منه فقال: وحق له ذلك هذا رجل اعتل في سنة ٤٨ علة خيف عليه منها فاوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده عَلَى الثلث لانه لاوارث له بالف الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته ووكيل معلوم ماعنده وتحت يده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعروفة المعلومة من جهاتها واوقاتها الى بربهار ومتاع من جوهر وعطر في خانباراته ومخازنه وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك او كري الا عَلَى حسب التفضل عَلَى المحمول بغير اجرة فافحمني قوله وعدت اليه فاعتذر مما كان وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصى بنصف ماله فما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من وديعة سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالخرافات يستوحش من حكاها منها.»

وكثيراً ما يتعرض المؤلف لخصائص سكان البلاد وعاداتهم وعادياتهم ومن ذلك ما ذكره في فارس من ان الاكراد في عهده كانوا يحكمونها و يجبون خراجها وانهم تغلبوا عَلَى الجزيرة وارمينية مما دل عَلَى انهم هنالك الآن منذ عهد ليس بطويل بل وان معظمهم كانوا في بلاد فارس وما ندري ما طرأ من الاحوال حتى انتشروا في هذا القسم من البلاد العثمانية اليوم فقد قال المؤلف: واما احياء الاكراد بفارس فالكرمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية والبندامهرية وحي محمد بن اسحاق والصباحية والاسحاقية والادركانية والشهركية والطادهنية والزبادية والشهروية والبندادقية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والمباركية والاستامهرية والشاهونية والفراتية والسلمونية والصيرية والازاددختية والبرازدختية والمطلبية والمالية والشاهكانية والجليلية فهؤلاء المشهورون ولا يتهيأ تقصيهم الا من ديوان الصدقات و يزيدون على خمسمائة الف بيت و يخرج من الحي الواحد الف فارس واقل من ذلك واكثرهم ينتجعون في الشتاء والصيف المراعي الا القليل منهم على حدود الصرود واما اهل الجروم فلا يزالون ولا ينتقلون بل يترددون فيها لهم من النواحي ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب عَلَى السلطان امرهم اذا اراد ان يخيفهم • ويزعم ابن دريد انهم

من العرب وانهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسته وابو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ممن يستنبط علوم العرب واخبارها محتج به ومسلم له ما يدعيه وهم اصحاب اغنام ورماك والابل فيهم قليلة وليس للاكراد خيل عتاق الاما عند المازنجان المقيمين بحدود اصبهان واما دوابهم فبراذين وبهاري وهم عَلَى حسن حال و يسار ومذاهبهم في القنية والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون عَلَى مائة حي وذكرت نيفاً وثلاثين حياً . »

وقال في فارس ايضاً : « فاما زيهم ولباسهم واحوالهم فالغالب عَلَى خلقهم النحافة وخفة الشعر وسمرة اللون واهل الصرود اعبل اجساماً واكثر شعوراً واشد بياضاً ولهم ثلاثة السنة الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم بعضاً بها الا الفاظاً تختلف لا تستعجم على عامتهم ولسانهم الذي به كتب العجم وايامهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم هو الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفارسي ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس واما زيهم فكان السلطان زيه الاقبية وقد تلبس سلاطينهم الدراريع وان كانوا فرساً ومن لبس الدراريع منهم اوسع فروجها وعرض جرباناتها وجيوب دراريعهم كجيوب الكتاب والعمائم تحتها القلانس المرتفعة ويحملون السيوف بحمائل وفي اوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا لان الغالب علي اصحابه لبس الديلم وقضاتهم يلبسون الدنيات وما اشبهها من القلانس المشمرة عن الاذنين مع الطيالسة والقمص والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خفاً بكسره ولا قلنسوة حتي تغطي الاذنين وكتابهم يلبسون ملابس كتاب العراق ولا يستعملون القباء ولا الطيلسان وتناولهم بين لبس كتاب والتجار من الطيالسة والاردية والاكسية التونسي والخز والعمائم والخف التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمبطنات ويتفاضلون في جودة الملابس والزي واحد كزي اهل العراق والغالب عَلَى اخلاق ملوكهم وخدمهم والاغنياء منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين والداخلين عليهم واستعمال المروة في احوالهم واقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام واحضار الحلوى والفواكه قبل الموائد والنزاهة عما يقبح به الحديث من الاخلاق الدنية وترك المجاهرة بالفواحش والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والآداب الظاهرة فيهم والعلم الشائع في جميعهم واما تجارهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الامصار . »

وقال في كلامه عَلَى البلاد الشامية مانصه : وطرابلس وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة بينة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينـة بيروت التي عَلَى ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها ينفرون عنـد استنفارهم وليسوا كأهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب واذا ايقظه الداعي اناب ، ولنفس دمشق خاصية بطالعها الجاري بها على الخلاف وسمعت عبد الله بن محمد يقول : برج الاسد معوج فاسد مع شرفه وضيائه وقل ما كان طالع بلد فصفت طاعته واستقامت وذكر سمرقند واردبيل ومكة ودمشق وصقلية وقال لا تصلح لسلاطينها ولا يستقيم سلاطينها بها واكثر هذه المدن فالغدر اثبت ما في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم اه وهذا مما يؤخذ عَلَى المؤلف ولكن كيف كان الحال لم يخل كتـابه من ذكر طبائع اهل البلاد اوردناه للدلالة عَلَى ذلك

وقد اجاد المؤلف من وراء الغاية في وصف المسافات بين البلدان بحيث جاء كتابه في عصره بل والى اليوم اشبه بدليل سائح لما عرف من بلاد الاسلام وان اورث ذلك بعض الفصول طولاً احياناً ولكن المؤلفات لاتكون كلها سلسلة واحدة في الجودة والفائدة والتسلية . كما اجاد في وصف معادن كل قطر وهوائه وذكر نبذة من تاريخ عمرانه بحيث جاء كتابه لا في الجغرافيا فقط بل في المنيرولوجيا (علم الاحداث الجدية) والكرونولوجيا (التاريخ والسير) والمنيرولوجيا (علم المعادن) والاينوغرافيا (علم خصائص الشعوب) والاركيولوجيا (علم الآثار) والنوميسماتيك (علم النقود) وهكذا حوى من كل فن خبراً ولكن مع التثبت والتنقيح على الاغلب ومما ذكره في تاريخ بني حمدان امراء الجزيرة وهم الذين خلد مجدهم ابو الطيب المتنبي بشعره لمـا اغدقه عليه مقدمهم سيف الدولة المشهور من المكارم فقال فيهم مالم نذكر اننا اطلعنا عليه في شيء من كتب التاريخ مانصه: « ولم تزل (نصيبين) عَلَى ماذكرته من اول الاسلام تضمن بمائة الف دينار الى سـنة ٣٦٠ فاكب عليها بنو حمدان بصنوف الجور وتجديد الكلف الى ان حمل ذلك بني حبيب وهم بنو عم بني حمدان الى ان خرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في اثني عشر الف فارس عَلَى فرس عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مذهب ومغفر مدبج وسيف فارد ورمح خطي وآلة وعدة عَلَى بلد الروم مطلة فقمع بها شوكتهم ويسبون بها ذراريهم ويخربون حصونهم ويخوضون ديارهم تقدمهم كهذه العدة لهم من جنائب

386

عتاق وبغال فره عليها الخدم والموالي فتنصروا باجمعهم واوثقوا ملك الروم من انفسهم بعد ان احسن لهم النظر في انزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحباء والمتاع وتخييرهم في القرى والمواشي ورفدهم بالنواحي والمواشي العوامل وعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة بحضارة وعلم باسباب فساده وخبرة بطرقه ومعرفة بدقه وجله وقلوبهم تضطرم حقداً وتفور كيداً وقد كاتبوا من خالفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له في ماله وضياعه فاطمعوهم فيما نالوه وعرفوهم ما رجعوا اليه وجاؤا فيه من قصد بلاد الاسلام واجتياحه واصطلام بقاعه ونواحيه وان الملك ايدهم وقواهم وانعم عليهم وآواهم فلحق به كثير من المخلفين عنهم وانتمى اليهم من لم يك منهم فشنوا الغارات على بلد الاسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفرتوثا ودارا فاتوا عليها بالسبي والقتل والحقوا اسوارها بالارض وصارت لهم تلك عادة وديدناً يخرجون كل سنة عنداوان الحصاد الى ان اتوا على ربض نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها وتعدوا ذلك الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فاهلكوا ظاهرها وسحقوا رأس عين واعمالها وساروا الى الرقة وبالس وعادوا الى ميا فارقين وارزن فاخربوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها وزروعها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها وتزايدت ثقة الملك بهم والروم الى ان جعلوا لهم الارزاق والاعطية وصاروا خاصة الملك وفتحوا له المضايق وتقدموا في المسالك واطمعوه على مر الايام وتعاقب الاعوام وهلاك السلطان والاسلام في انطاكية والمصيصة وحلب وطرسوس فدار لهم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه وكان محمد المعروف بناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين فاكتسح اشجارها وبذل ثمارها وغور انهارها واستصفاها عمن دخل الى بلد الروم واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها الا القليل وجعل مكان الفواكه الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والارز فصار ارتفاعها اكثر مما كانت عليه وزادت ربوعها فسلمها الى من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث قضوا ايام الشباب على مقاسمة النصف من غلاتها على اي نوع كانت وعلى ان يقدر الدخل ويقومه عيناً ان شاء او ورقاً ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة فيكون دون الخمس فلم يزالوا على ذلك معه الى ان الحقه الله بسلفه فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين واهلها مع ولده في وقتنا هذا على اقبح ما كانوا عليه مع والده من تقدير يستغرق اكثر الغلة وتقويم ما يبقى من سهم المزارع بثمن يرونه ويحمل الى مخازنهم واهرائهم

اصابته فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرضخ له ما بقدره متمسكاً لرمقه وعيشه بالجهد .»

ارشاد الخلق
الى العمل بخبر البرق

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ ص١٠٤

كلما تأملنا في حال المسلمين وما بلغه بعض مشايخ الجمود من الضعف العلمي والعقلي نحكم باننا اليوم كأهل اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد نكابر في البديهيات ونحارب المصلحين ونود ان ندخل كل شيء في الدين ومن ذلك ان قوماً جعلوا ديدنهم الاعتراض عَلَى كل شيء يقولون في مثل هذا العصر بتحريم التمثيل وينكرون العمل بالانباء البرقية في اثبات الاهلة ولذلك، ترى دعاة الاصلاح الديني امثال مؤلفنا صاحب هذا الكتاب تضيق صدورهم من هذه المماحكات في المحسوسات فيتوفرون علي رد شبههم وافتراءاتهم عَلَى الدين الذي صوروه بما اوحت اليهم عقولهم القاصرة

وقد اتى المؤلف بالنقول الصحيحة جاءلاً العقل رائده في حجاج المكابرين وذكر فتاوى بعض علماء العصر في جواز العمل بالتلغراف بما دل عَلَى بعد نظره وتحريه في بحثه وكأنه ادرك ان بعض المماحكين يرمونه بالاجتهاد وهو بزعمهم مسدود بابه منذ قرون فقال مبيناً غرضه في جملة . «قد يظن من لاخلاق له وبعض الظن اثم ان مراد دعاة الاصلاح العلمي الآن بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوة له عَلَى انفراده والشذوذ عن اقوال الائمة والغض من كرامة من سلف (نعوذ بالله من الجهل وسوء الفهم) فان من يفهم هذا لاضل من الانعام . واي عاقل يدعو لتكثير الشيع والفرق وزيادة الانقسام وانما المراد انهاض همم رواد العلم لتعرف المسائل بادلتها والبحث عن مداركها وآخذها والتنقيب عن كتب السلف والائمة في الاصول والفروع وتعرف طرق التخريج والاستنباط وحجج الموافق والمخالف ثم توخي الاقوى فالاقوى دليلاً وتحري الاقوم فالاقوم قيلاً كما كان عليه السالف الصالح وثلة من الخالف الناجح والمتأخرون عيال عَلَى المتقدمين في جل علومهم وما ذخروه من كنوزهم وانما التفاوت في ادراك القوي سلطانه الاصح برهانه وفي الوقوف على مقاصد الشريعة واسرار التشريع ودرك اللباب من الحشو وتمييز الاصيل من الدخيل عَلَى ان التخالف في الامور المجتهد فيها الغير المنصوص عليها سنة جرى عليها السلف ومنهج سلكه الى هذا العصر كبار الخلف » فنثني الثناء

الاطيب عَلَى الاستاذ المؤلف فهو يعلم قومه بعلمه وعمله ودروسه وتصانيفه ومقالاته ولا يفتر عن الاجتهاد في خطته وامثاله من يدكون أسس الخرافات والاوهام و يرفعون من شأن العلم والعقل بين اهل الاسلام

كتاب القضاة

الذين ولوا قضاء مصر

تأليف ابي محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وذيله لابي الحسن احمد بن عبد الرحمن ابن برد نشره الاستاذ ريشارد غوتهل من جامعة كولمبيا في نيو يورك وطبعه بول كوتنر في باريز في مدينة رومية العظمى سنة ١٩٠٨ م ص ١٦٧

كان البحث في احوال الشرق من خصائص علماء المشرقيات من الاوربيين وها قد اصبحنا نرى من الاميركيين ميلا الى الاطلاع عَلَى احوال الشرق والنظر في علومه وآدابه وهذا الكتاب شاهد بذلك فقد طبع طبعة جيدة بحروفها وورقها وكنا نودان يوفق ناشره الى تعريته من اغلاط الرسم والتحريف واكثره من الاصل بالطبع قضت الامانة عَلَى المؤلف ان يبقي ماراه على حاله ولكن غلط الناسخ لا يبرر الناشر والطابع كما ان الكاتب لا يرحم القارئ وعَلَى كل فقد ظهر هذا الكتاب عَلَى الاسلوب المتعارف في طبع الغربيين لكتبنا محلى بتعليقات بالانكليزية وفهارس في اسماء الرجال والنساء والرواة واسماء المواضع والقبائل والامم الواردة في متن الكتاب ·

واسلوب المؤلف عَلَى سبيل الرواية كالمحدثين حسن الاداء يستفيد المطالع منه أُموراً كثيرة ولا سيما في الاقضية الغريبة التي صدرت عن حكام مصر وغير ذلك من الحالة الاجتماعية في القرون الاربعة الاولى في مصر وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة اجزاء دخل كل واحد منها في بضع ورقات والذيل عليه في جزء واحد والاصل المنقول عنه كان في دمشق نقل في الخامس من صفر سنة اربع وعشرين وستمائة للهجرة وعجيب حال الكتب في تنقلها: كتاب عربي يؤلف في مصر فينقل من دمشق و يعثر عليه اميركاني فيلتزم طبعه فرنساوي وتطبعه مطبعة طليانية

واليك انموذجات تستدل بها عَلَى اسلوب المؤلف قال : حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني يحيي ابن ابي معاوية حدثني خلف عن ابيه عن جده ان ابا عون عبد الملك بن يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاه الديوان · وحدثنا محمد بن موسى الحضرمي قال حدثنا ياسين عن يحيي بن بكير قال اهل ابي سالم الجيشاني يقولون انهم

من معافر وفيما وجدت في ديوان بني أمية براءة زمن [1] مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاء الى خزان بيت المال فأعطوا عبدالرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلثين ومائة عشرين ديناراً وا كتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء لليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلثين ومائة وقال في مكان آخر: حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا احمد بن داوود ابن صالح قال حدثني محمد بن ابي المغيرة عن ابن وزير عن ابي‌زين كيدان عبدالاعلى ابن سعيد الجيشاني تزوج امرأة من بني عبد كلال فقام بعض اوليائها في ذلك وانكروه وترافعوا الى ابي خزيمة فقال ما احل ما حرم الله ولا احرم ما احل الله اذا زوجها ولي فالنكاح ماض فارتفعوا الى يزيد بن حاتم وهو الامير يومئذ فقال يزيد ليس عبدالاعلى من اكفائها وامر اباخزيمة بفسخ نكاحها فامتنع ابو خزيمة من ذلك وفرق بينهما يزيد ابن حاتم حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابن قديد عن عبيدالله عن ابيه قال قال عبدالاعلى بن سعيد الجيشاني لما فرق يزيد بين الكلالية وبينه

وأعلنت الفواحش في البوادي   وصار الناس اعوان المريب
اذا ما عبتهم عابوا مقالي   لما في القوم من تلك العيوب
وودوا لو كفرنا فاستوينا   وصار الناس كالشيء المشوب
وكنا نستطب اذا مرضنا   فصار هلاكنا بيد الطبيب

وذكر المؤلف في ترجمة عبدالرحمن العمري الذي ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة خمس وثمانين ومائة انه كان لا يشدد باطراف الغناء على مغاني اهل المدينة ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى ان يقول هذا غناء ابن‌مسرح وهذا به الدلال وهذا من جيد غناء العريض ولم يكن بمصر مستمعة (لعلها مسمعة) الا ركب اليها يسمع غناءها وربما قوّم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين .

ومما كتب عن هذا القاضي العمري من القضايا في مسجد رث واستهدم فأمر ببنيانه قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب امر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ يلي القضاء بين اهل مصر في صفر سنة ثماني وثمانين ومائة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد

(١) هكذا وردت في الكتاب ولم يعلق عليها ناشره والاقرب انها « براءة ذمة » وكذلك سقط فيما نحسب « اما بعد » قبل فأعطوا

الجامع ويحويه الطريق الذي يسلك الى سوق بربر وشرقيه السويقة التي يقال لها سويقة مسجد عبدالله عَلَى طريق الموقف وغربيه الطريق الذي يسلك منه عَلَى الجب الذي يقال له جب عبدالله حين رفع الى القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفر من جيرة هذا المسجد ان هذا المسجد قد رثّ وخيف عليه لانكسار خشبه وسقفه واحتاج الى العمارة والمرمة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ليكون غلتها مرمة لما استهدم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وشأنه كله . فسألوا القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يأذن لهم في ذلك فدعاهم بالبينة عَلَى ما ذكروا واقاموا بينة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبد الله ان هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان اجنحته التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيه حق وان الذي طلب عمارته وبناءه واصلاحه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ومرمة ما استرم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وغيرذلك من نوائبه منفعة للمسلمين ممن صلى فيه وان ذلك ليس بضرر عَلَى احد وبعث القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفراً ممن يثق بهم فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد من الشهود في هذا الكتاب فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يأذن في عمارة هذا المسجد الذي وصف في هذا الكتاب وبنيانه واصلاحه وتصيير الحوانيت التي ارادوها تحته في حقوقه ليكون غلتها في مرمة ان احتاج اليها ولما يصلحه في زيته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه ويكون فضلاً (؟) ان فضل من غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضي عبد الرحمن ابن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلح وفرغ من بنيانه وحوانيته واتوا بشهود يقال لهم عبدالصمد بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر الايلي ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاجنحة التي كانت حوله ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيه حق ولا دعوى ولا طلبة بوجه من الوجوه وان المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بامر هذا المسجد انها عَلَى حالها لم تدخل في المسجد ولا في حوانيته وعدل الشهود عند القاضي عبدالرحمن بن عبد الله

فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لهم ما ثبت عنده فيه كتباً يضعهـا عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولى القيام به رجل من اهل الثقة فولى القاضي عبدالرحمن ابن عبدالله السكن بن ابي السكن القرشي القيام بامر هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب واكراء حوانيته وان ينفق من كرائها ما رأى من زيته وحصره وأجر مؤذنه ما يحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك اميناً وامره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه وانفذ القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتـاباً الى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي وكتاباً الى ابي رجب العلاء بن عاصم الخولاني وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتاباً الى ابي زرارة الليث بن عاصم القتباني وكتاباً الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح وكتاباً الى الاشقر عبد الملك بن سالم وكتاباً الى السكن بن السكن المقيم بهذا المسجد وكتاباً الى محمد بن سليمان بن محمد بن عبيد وكتاباً في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله اشهد القاضي عبدالرحمن بن عبد الله الشهود المسمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده ما في هذا الكتاب وامر به وانفذه عَلَى ما سمي وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثماني وثمانين ومائة اه ·

ومن نكت الكتاب قوله: اخبرني ابو سلمة وابن قديد عن عيسى بن عثمان قال كان زي اهل مصر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال كانوا يبالغون فيها فامرهم ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا قال ابن عثمان فجلس ابن ابي الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلانس فاقبل عبد الغني ومطر جميعاً فضرب رؤُوس الشيوخ حتى القوا قلانسهم قال واخبرني محمد بن ابي الحديد حدثني عتبة بن بسطام قال رأيت قلانس الشيوخ يومئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابي الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة · وانشدنا اسمعيل بن اسحق بن ابراهيم بن تميم للجمل

واخفت ايام الطوال واهلهـا   فرموا بكل طويلة لم تقصر
مازلت تأخذهم بطرح طوالهم   والمشي نحوك بالرؤوس الحسر

حتى تركتهم يرون لباسهم بعد الجمال خطيئة لم تغفر
يتفرعون بكل قطعة خرقة يجدونها من اعين ومخبر
فاذا خلا بهم المكان مشوا بها وتأبطوها في المكان الاعمر
فلئن ذعرت طوالهم فالطال ما ذعرت ومن مروا بها لم يذعر
كانوا اذا الفوا بهن لمفضل امضى عليه من الوشيج الاسمر
كم موسر افقرته كم مفقر اغنيته من بعد جهد مفقر
ماان عليك لقيت منهم واحداً او في العجاج مدججاً في مغفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية بتبختر
مالي اراهم مطرقين كأنما دمغت رؤوسهم بحمى خيبر

اخبار وافكار

طول الحياة

نعرب للقراء في الموضوعات المعضلة كل ماانعثر عليه في المجلات الافرنجية واكثرها مما لا نعيدفيه ولا نبدي وآخر ما قرأناه للدكتور نوفيل في المجلة الباريزية المقالة التالية :

لما نشر خريستوف هوفلاند الطبيب سنة ١٧٩٦ في اينا اول طبعة من كتابه علم اطالة الحياة الانسانية ترجم كتابه الى جميع اللغات حتى العبرانية فهبت عَلَى الامم نسمات من روح الرجاء في هذا الباب . فقد كان العلم يبحث عبثاً منذ القدم عن حل لهذه المسألة في الحياة وانقاذ الجسم من ضربات الامراض والهلاك ان لم يكن انقاذاً ابدياً فلا اقل الى اجل معين وابعاد المسافة بين المهد واللحد علي الجملة . وكم من احلام تصورتها عقول علماء منافع الاعضاء في القرن الماضي فذهبت تصوراتهم ادراج الرياح وظل البشر لا يعرفون ما يخبأوه لهم الغد من الاقدار عَلَى الحياة . بيد ان هوفلاند فتح للدروس الحياتية مهيعاً جديداً باثباته ضرورة الجري في الحياة عَلَى قواعد مقررة في علم الصحة الطبيعية والاخلاقية التي ابان حقائقها وسن طرائقها عَلَى انه لم يبد الا قوانين نظرية استندفيها الى معلومات مختلف في نتائجها من حيث الاسباب الحقيقية في الموت والمبادئ الاولى في علم الامراض وطبائعها وعللها « الباثولوجيا » . ولم تكن الطرق التجريبية قد

احدثت وكانت اعمال المعامل الكيماوية محصورة في نطاق ضيق وعلم الجراثيم المرضية غير معروف

جاء لوانهوك في القرن الماضي وقال ان في احشاء الانسان والحيوان احياء دقيقة اكتشفها بعض الاكتشاف بواسطة عدسية مكبرة ثم قام معاصر هوفلاند من رجال الدانيمرك الطبيعي مولر واستخدم المجهر الذي ترى به هذه الاحياء الضارة على جليتها واتم اهرنبرغ سنة ١٨٣٣ هذه الابحاث وابان بعض خصائص النقاعيات على اختلاف ضروبها ولكن كل ما عرف الى ذاك العهد لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للارتقاء الذي ارتقاه علم الجراثيم ·

فكان باستور مبدأ الدور الحقيقي لعلم الجراثيم الذي كان هوفلاند واترابه اوضحوا مقدماته، فقرر ان ليس للحياة الا عدو حقيقي واحد شديد العداوة مخادع مهلك بحيث لا يكاد يقع تحت اليد ونعني به تلك الحلمة الطفيلية التي تبعث بالمرض على اختلاف ضروبه وتتعهد على الدوام بارسال رسل الحمام الى الاجسام بحيث بات يرجى ان يتوصل البشر ذات يوم بالقواعد التي سنها وسيسنها العلم ان يتيسر للناس اتقاء الاوجاع خفيفها وشديدها · وهذه الاماني قد تحققت منذ نحو نصف قرن قليلاً قليلاً حتى لقد طال معدل الحياة الانسانية خمس سنين في الذكور وستاً في الاناث

ففي الجداول التي اخذت من الاحصاءات الاكيدة في العالم القديم والحديث ان في كل ١٠٠ وفاة ٤٢ لم تكد تحدث لو عمد اربابها الى المداواة في الزمن اللازم لها وان نصف الامراض لا تنشأ الا من جهل المصابين بها وعدم حيطتهم وقلة المعرفة في تطبيبهم اوالاهمال الذي يحيفهم · ولو كتب لل ٤٢ وفاة في المئة ان ينجوا من امراضهم لطال معدل الحياة في الجنسين خمس عشرة سنة · وهذا التقرير لا يدخل فيه التعديل الذي وقع في اسباب التطهير وان كان مختلاً في بعض الاحوال ولكن نشأ عنه من عدة وجوه منافع عظيمة ويجب النظر الى الامراض التي يظن انها عضالة اليوم وربما كانت في المستقبل مما يمكن تلافيه قبل الوقوع فيه ثم ان سن الثمانين التي يصاب صاحبها بالضعف لا محالة ويصبح في انتظار القضاء الالهي عليه قد خف تأثيرها بما قرره متشنكوف من ان الشيخ مريض يستطيع ان يحتفل جذلاً بمرور المئة سنة على ولادته ولذلك امثال كثيرة ·

قال الدكتور فيشر من كلية يال ان طول الحياة في اهم عواصم اوربا كانت كما يلي :
طالت الحياة في انكلترا من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠ ١٤ سنة في الذكور و ١٦ في

الاناث وفي فرنسا كان معدل طولها من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٣ — ١٠ في الذكور و ١١ في الاناث وفي المانيا من سنة ١٨٧٧ — ١٩٠٠ كانت الزيادة ٢٥ سنة للذكور و ٢٩ للاناث وفي الدانيمرك طال معدل الحياة في مدة ٥٧ سنة ١٣ سنة في الرجال و ١٥ في النساء وفي السويد طال المعدل ١٧ في الرجال و ١٥ في النساء خلال ٦٧ سنة · وظلت مدة الحياة خلال ثلاثين سنة في بلاد الهند عَلَى وتيرة واحدة · وهذه النتائج هي ولا جرم ابنة علم الصحة وقد رقي هذا العلم جداً في المانيا وفرنسا وانكلترا وهو من ادنى ما يكون في بلاد الهند · واستنتج الدكتور فيشر من ذلك ان ابن اليوم يعيش اكثر من اجداده عَلَى الرغم من كثرة عمله وشدائده فقد كان معدل الحياة في القرن السادس عشر ٢١٫٢ والقرن السابع عشر ٢٥٫١ وفي القرن الثامن عشر ٣٣٫٦ وفي القرن التاسع عشر ٣٩٫٧ ولم يزد معدلها في هذا القرن العشرين

وهذا التقرير قد قدم الى اللجنة التي عينها مجلس النواب في الولايات المتحدة فهو بمثابة مستند رسمي مهم للغاية وعَلَى ما في احصاءاته من النظر بعض الاحايين فان المقابلات بين الحالة الماضية والحاضرة التي حوته تجعل له مقاماً واهل السويد اطول البلاد اعماراً واقصرها الهند وبعبارة أُخرى معدل الحياة فيها وهاك جدولاً آخر في طول الحياة عند الامم المختلفة

المملكة	احصاء	ذكور	اناث
السويد	١٨٩١ — ١٩٠٠	٥٠٫١٩	٥٣٫٦
الدانيمرك	١٨٩٥ — ١٩٠٠	٥٠٫٢	٥٣٫٢
فرنسا	١٨٩٨ — ١٩٠٣	٤٥٫٧	٤٩٫١
بريطانيا العظمى	١٨٩١ — ١٩٠٠	٤٤٫١	٤٧٫٧
الولايات المتحدة	١٨٩٣ — ١٨٩٧	٤٤٫١	٤٦٫٦
ايطاليا	١٨٩٢ — ١٩٠٢	٤٢٫٨	٤٣٫١
المانيا	١٨٩٩ — ١٩٠٠	٤١٫٠	٤٤٫٥
الهند	١٩٠١	٢٣٫٠	٢٤٫٠

وهذه الارقام تختلف باختلاف الحالة الجوية والاجتماعية وان كانت عبارة عن تقديرات اخذت في اوقات تكاد تكون متقاربة ويختلف معدل الحياة ايضاً اذا نظرنا الى البلاد التي يهاجر منها اهلها او يهاجرون اليها فانه يطول ويقصر عَلَى نسبة الاختلاف

الذي يعرض لصحة المنتقلين من الآدميين و يقول فيشر ان الراحة والسعادة تطيل حبال الآجال لاجرم ان من بلغوا المئة من الناس لم يكونوا كلهم اغنياء ولكن من لم يحرموا شيئاً من اسباب الراحة هم اقرب الى طول الاعمار من الفقراء فترى الموت اقل حركة في احياء الاغنياء في باريز منه في احياء الشقاء والفاقة

ولا يخفى ان الرجل او المرأة الذي هو بمأمن من الحاجة يطعم الطعام الجيد و يلبس اللباس الحسن و ينزل المسكن الصحي و يمتنع عن كل ما يؤذي صحته، هو اقل عرضة الامراض من التعس الذي لا يجري عَلَى نظام مطرد في معيشته ولا يكتسي كساء واقياً ولا يتناول الطعام الذي يسد جوعته و ينزل عَلَى الدوام في منازل قذرة غير طاهرة . والامثلة علي ذلك كثيرة في المدن الكبرى لان عملة المعامل يعيشون بالقرب من الطبقة العليا والوسطى حيث الرفاهية

وانك لترى اكفان الموتى تخرج من بيوت المحاويج في غلاسكو اكثر مما تخرج من بيوت سادت فيها الدعة والغبطة . و يكون الهالكون في نيو يورك وسائر المدن الصناعية الآهلة بالسكان عَلَى نسبة ما يتعاطون من الصناعات و يكون طرز معيشتهم فيموت من التجار وارباب الصناعات ١٢٦١ في الالف ومن المستخدمين والموظفين ١٣٦٥ ومن ارباب الصنائع الحرة ومن العملة والخدمة ٢٠٠٢ ومن الصناعات ما يهلك به اربابها كثيراً كالصناعات التي ينبعث عنها غبار متواصل او روائح تتقزز منها النفس وان الدوام المتواصل عَلَى تطهير الاماكن والمدن قد ادخل الصحة الى حيث كانت مفقودة الا قليلاً فنشأ من ذلك ان الارقام التي يوردونها بالقياس الى زمن تتغير كثيراً في كل احصاء يقع في الخمسين سنة

وهكذا نرى ان معدل الموت في خمس وعشرين سنة نزل في برلين من ٣٣ في الالف الى ١٦ وفي مونيخ من ٤١ الى ١٨ وفي واشنطون من ٢٨ الى ١٩ وفي نيو يورك من ٢٥٠٤ الى ١٨٠٦ وفي الهافان حيث لا يجري احصاء الا في كل قرن كان معدل الموت ٤٥ في الالف فأخذ يختلف بين ٢٠١٤ و ٣٢٦٦ و بديهي ان العوارض والحوادث التي تصيب الحياة فينشأ عنها هلاك كثيرين كالحروب والمصائب والغرق وغير ذلك قد يكثر بها معدل الموت ولكن ذلك لا يضر في هذه الاحصاءات لان الربح اكثر من الخسارة

والربح نشأ بالعلم لان الاولاد كانوا في الماضي يموتون كثيراً فبفضل الوسائط الصحية

الحديثة صاروا يرجون البقاء أكثر من اجدادهم ولطالما كان الخناق والحميراء والتواء الاعصاب والسعال وغير ذلك من امراض الطفولية تهلك الاولاد فلما اخترع المصل والتطعيم وطرق التداوي المختلفة وارتقت الجراحة وكثر استعمال الكوكايين والديجيتالين ومضاوات السميات ومضادات الفساد والمورفين خلصت نفوس كثيرة من الموت

وكان السل في الدهر الغابر يعتبر من الامراض العضالة فاصبح وان كان يهلك به كثيرون الى اليوم من الامراض التي يتأتى التوقي فيها وما برح يعصي على العلم ويقضي على اكثر ممن يقضي عليهم الجدري والحمى التيفوئيدية والخناق والسرطان والزائدة الدودية والتهاب السحايا واذا ضوعفت العناية بالصحة يرجى ان يقلّ عدد الهالكين بالسل ٧٥ في المئة لاسيما في مسائل العدوى منه والنجاة منها وهكذا الحال في ذات الرئة التي تكثر بكثرة تناول المشروبات فيهلك به ١١ في المئة من الناس واذا تركت اسبابه ينزل معدل الهالكين به كثيراً والحمى التيفوئيدية قد قل الهالكون بها منذ عشر سنين ومنى عرف الناس كيف يتحامون الماء الملوث ويبعدون عن لسع الذباب لبشراتهم لايبقى له اثر في الوجود . وسيكون كذلك نصيب الحمى القرمزية التي كادت تكشف جراثيمها ومثل ذلك الجدري متى وقع تطعيم الناس كلهم وقد كان الناس في القرن الثامن عشر يموتون به قبل جنر (طبيب انكليزي اخترع التطعيم) كثيراً بحيث لا يقل الهالكون عن ٥٠ مليوناً ولا يزال يموت به قلائل جداً . وبذلك عرفت ان بعض الامراض العادية يمكن اتقاؤها بتاتاً وان غيرها يقل الرجاء في شفائها مثل التهاب البريتون والسرطان وربما اخترع العلم لها ادوية تستأصلها من الفتك بالبشر كما استأصل غيرها من الاوصاب والاوجاع

وقال جان فينو في كتابه فلسفة طول العمر ان الخوف من الموت كثيراً مايهلك المرء قبل الاوان فان المرء اذا بلغ قدراً من العمر يأخذ يتوقع الحمام كل ساعة ويزهد في الحياة فتسوء تغذيته ونومه ويجلب بيده رسل الهلاك فلو هزأ بالسبعين والثمانين لبلغ المئة سنة لامحالة وقد جرى كثير من الشيوخ عَلَى هذا النمط في الحياة فكانت النتيجة ان بلغوا المئة بصحة ونشاط ومن ارهبه تصور الموت يموت فيكون قد اضاع عَلَى امته شيئاً من حقوقها فيه واضر بها ضرراً اقتصادياً ففي مليون ونصف من الموتى كل سنة بمرض ثلاثة ملايين ينقطعون عن الاعمال فيضرون بلادهم وذويهم مثال ذلك انك تجد في الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠٠ مصاب بالسل نصفهم لايعملون عملاً اصلاً والنصف الآخر

يعمل نصف عمل وفي هذه الولايات ايضاً نحو هذا القدر من المصابين بعوارض في اجسامهم اتتهم من الاعمال التي يتعاطونها والرجل الصحيح في الجملة يضرب عن العمل خمسة ايام في السنة لوقوعه في امراض عادية كالصداع ووجع الضرس والزكام فيضر بذلك الحالة الاقتصادية فلو عرف كل امريء واجباته نحو المجتمع لما اتى مايضر بصحته بتاتاً ورأى ذلك من فروضه الادبية والحكومات والبلديات والمشرعون مسؤولون عن كثير من الامراض التي تحدث من المسكرات والدخان لان الافراط كثيراً مايودي بصاحبه الى القبر . والحكومات في الغالب تنشط هذه الاصناف من المكيفات مخافة ان تصاب ميزانياتها بنقص في الديون العمومية او انحصار الدخان .

ولم تنتظم اساليب العمل في المعامل والمصانع الا منذ زمن قريب وكذلك لم تحدد اعمار العاملين والعاملات من البنين والبنات ولم ينظر في تقليل ساعات العمل والراحة الاسبوعية وبعض الامتيازات الا في بعض البلاد حصلت عليها نقابات العمال من المجالس النيابية بالوسائط الكثيرة .

وانهاك القوى وعدم توفر اسباب الراحة والصحة في المدارس وغير ذلك من اسباب طول الحياة لم ينظر فيها وزراء الامم ومجالس معارفها الا منذ عهد قريب وكذلك كل مايوفر على البالغين قوتهم فقد اطلقت الحرية المفرطة للناس يعملون مايشاؤن حتى اكد الدكتور فيشر ان ٥٠ في المئة يفقدون ١٠ في المئة من قوتهم الحيوية لانهم يسيئون استعمالها ولا يقتصدون فيها فان هذا الافراط يورث صاحبه اولاً اضطرابات عضوية ثم ينتهي بامراض عضالة يعقبها الموت لا محالة

وبعد فان الواجب لاطالة الحياة ان تراعى قواعد الصحة كل المراعاة فلتطويل حبل الاجل ينبغي اتقاء الامراض عَلَى اختلاف ضروبها وعدم التعرض لاقل الاوجاع اذ ربما كانت مقدمة للعظيم منها والحياة اشبه بسفينة لا تنجو من تأثير الانواء الا اذا كانت متينة من الاساس الى الرأس فالواجب عَلَى الابوين والمجتمع ان يعنيا بصحة الطفل منذ الولادة عَلَى الاصول الصحية وان لا يسمحوا بزواج المجانين والمدمنين كما يفعلون في ولاية انديانا فان الحكومة تحظر هناك كل الحظر زواج المعتوهين وقدماء السكيرين وكل من يخشى ان يكون نسلهم ضعيفاً هزيلاً وتشدد في ذلك كل التشديد ولا تعفو في ذلك عن احد وليس معنى هذا ان يسن قانون يسمح به للوالدين ان يقتلوا من اولادهم كل من لا يرجى فيه ان يعيش بقوة كما كانت الحال عند بعض القدماء ولكن العناية يجب ان

تصرف بحيث يقوى بالاساليب المختلفة كل طفل ضعيف ويأتي منه مميز حسن البنية نافع في المجتمع

لمعدل الحياة دوران الاول الطفولية والثاني الشيخوخة فالاولاد قد يعتنى بصحتهم في السنين الاولى من حياتهم اكثر مما يعتني الشيوخ فلو طبق هؤلاء عَلَى انفسهم نظام الصحة وطردوا من رؤوسهم الاوهام لطالت اعمارهم ورجي لها الهناء كما يرجى للاولاد واحسن مايجب في هذا الباب الرياضة الجسمية والحياة في الخلاء والابتعاد عما يهلك القوى

والموت يرصد الاقوياء والضعفاء عَلَى السواء وكل سبب صحي ينفع الاولاد ينفع الشيوخ لا محالة. حقيقة يجب ان تتمثلها جميع العقول ابداً وان تذكر في البيوت امام الصغار والكبار ويأخذ كل فرد نفسه بمراعاتها ولن تعرف حسنات المدنية الا متى رأى كل انسان من واجبه ان يعين عَلَى ابطال مقاومات الحياة في كل صقع وناد . ويعلم الناس اجمع ان الحياة مستودع سلمته الطبيعة الى ايدي الانسان وعهدت اليه انقاذه وتثميره والانتفاع به وقيمة الطفل فاليافع فالشاب فالكهل فالشيخ فالهرم في الاقتصاد هي هكذا :

سن	قيمته الاقتصادية
من الولادة الى سن الخامسة	٤٥٠ فرنكاً
من ٥ الى ١٠	٤٥٠٠ ف
من ١٠ الى ٢٠	١٠٠٠٠ف
من ٣٠ الى ٥٠	٢٠ الى ٣٠ الف ف
من ٥٠ الى ٨٠	١٥ الف ف فنازلاً
من ٨٠ الى ١٠٠	٣٥٠٠ فرنك فنازلاً

بمعنى انه كلما زادت سنة في حياة الفرد او اشهر تزيد ثروة المجموع وسعادته وهناؤه والله يعلم وانتم لا تعلمون .

اشجار الغابات

نشر في اميركا كتاب مهم للغاية يخدم دروس تربية اشجار الغابات خدمة عظيمة وصف فيه مؤلفه المستر دوير بجلاء تام جميع عطور العالم منسقاً لها احسن تنسيق وقد صرف المؤلف خمس عشرة سنة متوالية في تأليف مصنفه فزار الحدائق والمغارس وغابات

العالم بأسره وبحث في خزائن الكتب عامة مثل مكتبة باريز ولندن وبرلين وبطرسبورج وليدن ومدريد وفلورنسة وعشرين غيرها . وسيكون تأليفه خمس مجلدات ظهر الاول منها وسيكون الاخير فهرساً عاماً وتكتب الاصطلاحات بعدة لغات ومنها اليابانية والافادات التي حواها الكتاب قد استلزمت ابحاثاً عظيمة بذل الجهد الجهيد في الحصول عليها فانك تسقط في هذا المصنف عَلَى ما لايخطر لك ببال من الاستعلامات ومنه تدرك مثلاً ان في ايطاليا ٢٥٠ حديقة للنبات وان النباتات التي وصفها هوميروس وفرجيل صالحة وان دانتي وسرفانتس وشكسبير قد عبروا احسن تعبير عن عامة الزهور التي تكلموا عليها وكان للشعراء اشجار يستحسنونها وذكروها كان يستحبه منها كيتي وشيلر وفيكتور هوغو ولامارتين وغيرهم من كتاب الام . وفي هذا السفر افادات مهمة عن رموز الغابات ولغة الاشجار والاشجار المشهورة .

البلاط الصناعي

جربوا في همبورغ بلاطاً جديداً صناعياً وهو يحتوي عَلَى محلول كلورور المغنيسيا أُضيف اليه مسحوق المغنيسيا ايضاً ونشارة الخشب يجفف فتأتي منه طبقة غليظة للغاية ومتينة كالحجر تحفظ الحرارة اكثر من البلاط الطبيعي ومنظره يشبه الفسيفساء .

المدفع الهائل

انشأت انكلترا مدفعاً بحرياً جديداً قطره ٤٠٦ امتار مربعة ويقذف ١٠٨٠ كيلو منها ٦٣ كيلو من المواد الملتهبة الى مسافة ٣٦ كيلومتراً وقذائفه تخرق اعظم بوارج در يدنوت المصفحة . ويعمل الاميركان مدفعاً يقذف مقذوفاته الى بعد ٣٦ كيلومتراً وقذائفه ١٢٠٠ كيلو فيها ٧٠ كيلو مواد منفجرة

السنور

كان للسنور في كل زمان شأن واي شأن فكان العامة يكتسون بفروه في القرون الوسطى بالغرب واصبح فروه بجودة تحضيره العلمي من احسن ما يلبس وقد اخذ لهذا العهد فرو الكلب ينافس فرو الثعلب في اسواق التجارة . ويرغب الصيادلة في فرنسا وفي الغابة السوداء في اقتناء السنانير البرية ليتداوى بها المصابون بداء المفاصل . وكان للقطط قديماً موقع مهم في اعياد الشعب يستعملونها في ملاهيهم فيعلقونها على النار وينظرون الى المها وهي تحترق وكان بعض الام يعتقدون ان دفن قطط حية في اساس بناية تعرف بها متانة البناء . وكان ينظر الى القطة السوداء عندهم بان فيها سراً من

السحر . وكان المصريون ينظرون الى القطط بانها حيوان مقدس والمسلمون والهنود يحترمونها كل الاحترام . وقد صورها المصورون في كل عصر وعنوا باخراج مناظرها المختلفة . وللقطط منافع عظيمة في قتلها الجرذان والظاهر انها تتنبأ بالمطر يعرف ذلك من انتفاشها وتنظيفها وبرها ووضعها رجلها عَلَى اذنها .

المدن العظمى

ليست الحواضر والعواصم ابنة اليوم وتأسيس ساعة فقد تنبأت العصور السالفة بما سيكون من شأن المدن العظمى فكانت بابل متسعة وعدد سكان رومية في القرن الثاني مليون نسمة وكان في قرطاجنة دور ذات سبع او ثماني طبقات وقد سنَّ قانون في رومية على عهد قاروف لمنع تغطية الجو بالابنية وكان سكان ميلان في القرن الثالث عشر ٢٥٠ الفاً فضاقت المنازل بسكانها فاخذوا يفكرون في الخلاص مما صارت اليه حالتهم وكان معظم الشعب يسكن في ثكن عظيمة

لا جرم ان سهولة المواصلات الحديثة واختراع السكة الحديدية قد دعت الى هجرة الناس من الارياف والمزارع الى المدن والعواصم وكلما كبر حجم مدينة زادت اقدام المهاجرين اليها ففي المانيا زادت القصبات المحتوية عَلَى الف نسمة من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٥ مرة ونصفاً في المئة والمدن المتوسطة التي فيها ٢٠ الى ١٠٠٠٠٠ زادت ١٣٤ في المئة والمدن العظمى التي فيها ثلثمائة الف ٣٠٠ ضعف في المئة واكثر ولاميركا القدح المعلى في انشاء المدن الحديثة فلم يكن في شيكاغو سنة ١٨٣١ سوى ١٠٠ ساكن وها هي الآن وفيها مليونا ساكن . وفي المدن الحديثة يخرج السكان من وسط المدينة لتحل محلهم البيوت التجارية . وكانت المدن في القرون الوسطى ذات زوايا بخططها وشكلها اليوم عَلَى شكل النجم ويصل كل يوم الى مدينة لندرا اربعمائة الف انسان من الضاحية ولها خمسون كيلومتراً من الخطوط الحديدية للضاحية فقط ومدينة نيويورك مثال نقاط الاتصال في المدن فان محطة خطوط هودسون بناية ذات ٢٢ طبقة فيها ٥٠٠٠ نافذة واتساع رقعة المساكن وازدياد عدد السكان في المدن العظمى ينمو عَلَى الدوام بنمو المواصلات وتسهيلها

الصحافيون والادباء

لم يكن الصحافيون في اوربا اصحاب اعتبار عند رجال الادب في اوائل القرن الثامن عشر ولطالما كان الفيلسوفان روسو وديدرو يشتدان عليهم وكان الشاعر

فافر اذا جرى ذكر الصحافيين يغتاظ و يشتم ولقد تردد بريـو كثيراً قبل ان يدخل ملك الصحافة المنحط وما العلة في مقت الصحافة اذ ذاك الا لانهـا كانت توسع مجالاً كبيراً لنقد الكتب الحديثة وكان الصحافيون نقاداً لا يبينون حسـنات الكتب المؤلفة بل يكتفون بايراد سيئاتها واذا حدث ان اثنوا عَلَى كتاب فلا يلفتون نظر الناس الى تلاوته ثم ان كتاب الصحف لم يكونوا من الطراز الاول بقرائحهم حتى ان جريدة العلماء ـفي فرنسا التي كانت الى الجد والفائدة اميل لم يكن بين مؤازريها من امتاز في العلم ولكن صحافة فرنسا خصوصاً دخلت عليها بعض تعديلات من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٨٠ ولما عمت أصول الدعوة ونشر الافكار رأى الصحافيون ان جرائدهم احسن الوسائط للتأثير في نفوس الامة وهكذا اتسع أفق الصحافة حتى غدا يعزها اليوم من كان يتقزز منها امس واصبح مؤازروها في الغرب يتأهلون بمقالاتهم فيها لاعلى المناصب العلمية والسياسية

النفس الاسبانية

كتب احد من اقاموا طويلاً ـفي اسـبانيا مقالة في « المجلة » الفرنسوية وصف بها اخلاق الاسبانيين فقال انهم اقاموا بينهم وبين اوربا سداً كسد الصين عاشوا وراءه بمعزل عن معظم مافي ديار الغرب من مرافق الحياة واسباب المدنية وهم يفخرون باعتزالهم هذا وقلَّ ان ساح احدهم الى فرنسا او انكلترا او ايطاليا اللهم الا اذا كان من الاسبانيين نزلاء بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية وانه للجهل الذي عم الطبقات هناك الا قليلاً تروي جرائد اسبانيا عن ممالك اوربا اوهاماً وخرافات اشبه بما يروى عن بلاد الواق واق ويأجوج ومأجوج ولذا ترى صحفهم حتى الراقية منها مملوءة بالمطاعن فيمن يدعو قومه الى الاخذ عن الفرنسيس او عن الانكليز في الحضارة لان الاسبانيين موقنون بان عندهم كل شيء

دلَّ التاريخ عَلَى ان اسبانيا نزلتها امم مختلفة منهم التارتازيون واللوزيتانيون والايبريون والسلتيون والقرطاجنيون والرومانيون والويزغوتيون والعرب والجيتانيون وان كل هذه العناصر ابقت شيئاً من اخلاقها وعاداتها لم تستطع اسبانيا الحالية ان تمزجها بعضها الى بعض (كما حدث في الممالك العثمانية وعناصرها) لاعتزال كل فريق في صقع من اصقاع البلاد لايخالط غيره ويرى الفخر له في عزلته . ويقال عَلَى الجملة ان اهل اسبانيا من حيث التركيب الطبيعي والاخلاقي ينقسمون الى اربعة اقسـام وهم الباسكيون في الشمال والقشتاليون والاراغونيون في الوسط والكاتالانيون في الشرق والاندلسيون في الجنوب . والاندلسيون

من اجمل الاجناس واطولها قامات واحسنها تراكيب ولا سيما سكان الوادي الكبير الذي كان له شأن عَلَى عهد العرب وفي سييرانيفادا تغلب النحافة على السكان وتظهر فيهم السحنات العربية كل الظهور . وفي اهل الاندلس من الافراط في الحرية والتساهل في الاخلاق مالا تجد له مثيلاً في الاصقاع حتى لقد يكثر فيهم الفحش واولاد النغول ويقل فيهم الزواج واقليم كاتالونيا هو الاقليم الوحيد في اسبانيا الذي دخل في الحياة الجديدة وتوفر اهله عَلَى الزراعة والصناعة والتجارة معاً ومن يذهب من قشتالة اوالاندلس الى كاتالونيا فكأنه فارق الموت ودخل في طور الحياة وسينهض الكاتالانيون غداً باسبانيا كما نهض البيونيون امس بايطاليا

وذكر الكاتب ان الشحاذة في اسبانيا شائعة اكثر من جميع بلاد اوربا وان الشحاذين والشحاذات يطلبون الصدقات بسلاطة وقد يدعون على من لا يعطيهم كأن لهم جعلاً يتقاضونه من الغريب خاصة وربما رشق بعض الفتيات من لم يعطوهن شيئاً بالحجارة . وتشكو الصحف الكاثوليكية من ضعف الاعتقاد في الافراد ولا سيما في الرجال ويسيء الاسبانيون معاملة الحيوانات لقلة تربيتهم لا لشراسة في طباعهم الاصلية فانهم من اخضع الناس للقوة والاحكام يؤدون الاتاوات والخراج عَلَى صورة فاحشة ولا ينبسون ببنت شفة وقلما تعهد لهم ثورة علي الحكومة الا في كل قرن والمرأة غير موقرة كثيراً في اسبانيا كما هي في سائر اصقاع الغرب . قلنا ومعظم هذه الاوصاف تنطبق على بلادنا العثمانية ولا عجب بعد هذا اذا رأينا مراكش لم تتأثر بالمدنية الغربية عَلَى قربها من جوار اوربا فان اسبانيا وهي قطعة من هذه القارة كانت لصلة الدين واللغة والجنس الى بالتشبه بالاوربيين .

ارداء النوم

كتب احد نطس الاطباء في مجلة الصحة يقول الظاهر ان لحالة المعدة دخلا كبيراً في النوم ومن المعلوم انه يحدث أرق بعد الهضم المتعذر او نوم ثقيل قليل الراحة فان لحركة وظائف الاحشاء دخلاً مهماً في اضطرابات النوم فالواجب ان تمنع عمن أُصيبوا بالارق المشروبات المخمرة وفي كثير من الاحوال يمنع عنهم الشاي والقهوة عَلَى ان استعمال هذين المنشطين اوائل النهار لا يضر بالصحة . اما المرضى المصابون بفقر الدم فانهم يشفون من الارق بجلب النعاس الى جفونهم بان يقيلوا وقت الظهر فتساعدهم قيلولة النهار عَلَى النوم نوماً هنيئاً في الليل وتجب العناية بغرف النوم فان من اعتادوا ان

ينامو في كل فصل والنوافذ مفتحة يؤكدون انهم ينامون نوماً جيداً يعوض اجسامهم ما فقدته في اتعاب النهار . والاستهواء من انفع ما يجلب الكرى الى عيون المؤرقين والمصابون ببعض الامراض العصبية وهم عرضة للأرق يكون لهم من العمل العقلي المنظم بعد راحة مطلقة قليلة نتائج حسنة فينامون نوماً هادئاً مقوياً تحتاج اليه اجسامهم

باريز ومستقبلها

نشر احدهم في المجلة مقالة في هذا الشأن جاء فيها ان باريز كانت بعدد سكانها في سنة ١٨٠٠ ثاني عاصمة في العالم فكان سكانها نصف مليون ولم تفقها غير لندرا وسكانها مليون واحد ثم تجيء بعد باريز موسكو وما زالت احوال العمران تزيد وينبسط ظله حتى اصبحت في العهد الاخير مدينة لندرا وسكانها سبعة ملايين ومدينة نيويورك ٤٧٦٦٨٨٣ ثم تجيء برلين وفينا وطوكيو وغيرها من المدن ليس لها شأن في القديم يذكر فقد كانت في اوائل القرن الماضي اكثر مدن اميركا سكاناً مدينة فيلادلفيا وسكانها لا يتجاوزون الـ ٨٩ الفاً وهكذا زادت العواصم كلها بسكانها زيادة خارقة وباريز لم تتجاوز الثلاثة ملايين في حين كان اللائق بها ان تكون ثاني مدينة بعد لندرا فاذا ظلت العناية بها فاترة لا تعتم ان تمسي بعد عقود من السنين من اصغر العواصم فتقل رغبات اهل الارض في قصدها ولا تعود بلد النور وتنازعها في ثروتها التي يجلبها اليها السياح من القارات الخمس غيرها من العواصم الكبرى فستميل الى النزول فيها علماء باريز والمغنين من ابنائها لكثرة ما تبذله لهم من المال وعندها تسقط هذه العاصمة سقوطاً مريعاً

ويرى بعضهم ان قلة الرغبة في نزول الحواضر واعتزال الناس عَلَى الاشتغال باعمالهم الزراعية في القرى والدساكر هو خير للبلاد وابقى لان كثرة ازدحام الاقدام والانفاس مضرة بالصحة العامة والاحسن ان يتباعدوا ولكن هذه النظرية تعالج بشيء واحد وهو ان تبذل العناية بامور الصحة اكثر مما تبذل الآن ويضاف الى باريز ما في ظاهرها من القرى والمدن بحيث تعد منها وحكومتها حكومتها لا يدفع ابناؤها رسوماً (عوائد) ولا غيرها فتدخل في باريز تلك الحقول الواسعة والحراج الغبياء في الضاحية ويساعد ذلك عَلَى تكبير ساحاتها العامة المفيدة في صحة السكان وبذلك تحفظ باريز مكانتها في اقطار العالم المتحضر لان ما تعده انكلترا من العدد لمستقبل لندرا من اعجب ما سمع ومن ذلك ادارة جر المياه اليها فانها ستكون كفيلة سنة ١٩٤٠ بارواء ستة عشر مليوناً من

السكان وكذلك ترى نيو يورك ان سكانها سيتجاوزون سنة ١٩٤٠ احد عشر مليوناً . وهكذا ترى الافرنج يفكرون الى ما بعد عشرات من السنين ونحن نقول « ولك الساعة التي انت فيها »

مدارس المؤوفين

اذا عرض لاحد العملة عارض اثناء عمله كأن يفقد عضواً من اعضائه او ذراعاً او يداً او ساقاً او عيناً فان بلاد الغرب تكفلت لمن أُصيبوا بهذه العاهات ان تعلمهم صناعات يكسبون بها رزقهم ففي البلجيك أُنشئت عدة مدارس لهذه الغاية بفضل مال جاد به احد محسنيها واسمه باسئور من اعضاء مجلسها النيابي فيعلمون من نكبوا من العملة بفقد احد اعضائهم في زمن قصير صناعة تقوم بمعيشتهم كالتجليد والمقوى والمنافض (الفرشايات) ومماسح الارجل مما يعمل عَلَى ايسر وجه بدون ان يكون عامله تام الاعضاء فيوزع المجدع المبتورة اعضاؤهم بحسب قابليتهم عَلَى فروع مختلفة فمنهم من يستخدم في صنع السروج ومنهم في الاحذية وآخر في الخياطة وبعضهم في الاعمال الحسابية . وكل صناعة تجري تحت نظر معلم اكبر يعين نوع العمل ويراقبه ويدفع اجوره بعد الثلاثة الاشهر الاولى من التعلم وتطول مدة تعلم الاجذم او الاكتع بقدر ما يستطيع استخدام اصابعه او بعضها فقط فان من فقد السبابة (الشاهدة) يتعذر عليه العمل فبقدر صبره يتوصل الى استخدام ما يقوم مقامها من اصابعه ومن فقد يديه يتوصل الى ان يعمل بسرعة منافض للثياب وغيرها مما يشابهها وفي مونيخ وبوتسدام وهمبورغ من بلاد المانيا مدارس كثيرة للمؤوفين وانتشر هذا النوع من المدارس في الدانيمرك ويرد عهد انشائها الى سنة ١٨٧٤ وقد بلغ عدد من انقذتهم من العملة بتعليمهم ما يلزمهم نحو ستة آلاف فمنهم من جعلت له ايد صناعية وآخر اذرعة والنساء في مدارس المؤوفين في فرنسا يعملن علباً وكوات (اباجور) وتيجاناً

الزنوج

تبين من احصاء وقع في الولايات المتحدة سنة ١٩١٠ ان فيها نوعاً عجيباً من الزنوج تكون بشرته سوداء عَلَى اختلاط دمه بالدم الابيض فقد كانوا فيما مضى يقسمون الزنوج الى اربعة انواع اكتورن Octeron وربع زنجي وخلاسي واسود وتكاد هذه المميزات الآن تفقد بتة ويخلفها جنس يشبهها ليس هو الجنس الزنجي الخالص السليم بل مؤلف تأليفاً آخر يدخل في دمه الثلث من دم ابيض ولكن لونه لا يشاهد محسوساً

و يوصف هذا النوع من الزنوج بظهور لون جلده · وان لون الزنجي في لوزيانا واوداليان الجديدة لمشرب مشبع اكثر مما كان عليه لون اجداده قبل حرب الغـاء الرقيق او من الزنوج الواردين من افريقية وسواده يلمع اكثر من زنوج الكونغو وسـيماؤه افريقية ظاهرة بعض الظهور واشداقه كبيرة وشعره اقل صوفاً · و يصعب تعيين اسباب هذه الخصائص ولكن معظمها ناشيء من تغيير شروط الحياة · والزنجي الاميركي هو في العادة اقل قوة من الزنجي الاصلي واقل تحملاً من الزنجي القديم · وزعم احد الباحثين في خصائص الزنوج انه ربما لا يوجد في شمالي اميركا زنجي واحد يكون دمه خالصاً وان الزنوج ليسوا زنوجاً حقيقية وان جميع السود قد تبدلت دماؤهم وسحناتهم · ومنذ تحرير العبيد الغيت الطريقة التي كانت متبعة في الزواج بانه لا يسمح الا بزواج المتناسبين في القوة ولذلك ضعفت تراكيب الزنوج الطبيعية · وشعر الزنوج انفسهم بذلك حتى قل تزاوجهم بالبيض اوالهنود ولكن هذا النوع من السود قد تغلب اليوم و يرجى ان يعود بالتحسين مع الزمن الى سابق قوته ورجوليته

كانون التبريد

اكتشف كراهام بل مخترع التلفون ومصالح امور كثيرة في الطيارات السماوية اكتشافاً حديثاً يتبرد به الانسان في شهور القيظ وهو داخل حجرته فصنع ما سماه كانون التبريد والجليد فكان يتبرد بها في شهر آب الماضي في مدينة واشنطون بينما كان الناس يضيقون من الحرارة ذرعاً وذلك بان صنع آلة عجيبة سهلة يتأتى لكل امريء ان يعملها بدون كلفة وذلك لان المخترع اذاع سرها ولم يأخذ بها امتيازاً كسائر المخترعات وهوانه وضع على اطار نافذة الغرفة مروحة عَلَى شكل المراوح المتعارفة تتحرك عَلَى الدوام بمجرى كهربائي و يتأتى اخذ المجرى من آلة المصباح الكهربائي فيحدث من ذلك ريح بليل تحكم جريانه الى أُنبوب واسع يدخل منه الى صندوق متسع بعض السعة تجعل فيه كتلة من الجليد و يخرق الصندوق خرقين يجري فيهما المجرى الجليدي الذي ينشر في الغرفة التي تكون مقفلة و يكون من الهواء البليل الناشيء من المروحة والمار عَلَى الجليد رطوبة غريبة تنشط النفس وتقوي الحس · وتقام هذه الآلة بنفقة قليلة ولا تتطلب من انواع الاحتياط الا ان يغير جليدها كل يوم · وسيتوفر الاستاذ المخترع عَلَى بسط اختراعه اكثر من ذلك وادخال تعديلات عليه ليتمكن معها كل انسان من استعماله و يكون للفنادق ومحال القهوة حظ كبير من هذه الآلة الجديدة يبردون بها زبنهم وضيوفهم

دروس السيسمولوجيا

السيسمولوجيا علم حديث النشأة فما من احد يعلم عَلَى التحقيق اسباب الزلازل وكيفية انتشارها عَلَى سطح الكرة والاشارات التي يتأتى الانتباه بها للزلازل قبل وقوعها وهذه الابحاث لا تهم من تصاب بلادهم بالزلازل تغاديها هذه الاحداث الجيولوجية وتراوحها بل تهم الانسانية لانها تقاسي منها الاهاويل ولذا اخذ العلماء منذ ربع قرن يبحثون في اسرار الزلازل وآخر مؤتمر عقد في منشستر ناب فيه كثير من اهل هذا الشأن في الامم ولا سيما من الممالك التي يكثر مصابها بهزات ارضية فشرح احد الاميركان اسباب زلزال سان فرنسيسكو وشرح احد اليابان اسباب زلازل بلاده فتبين على الجملة الآن ان الارض تهتز في اي نقطة كانت كل نصف ساعة عَلَى الاقل وتتجلى هذه الهزات غالبًا في مناطق معينة فقد حدث في يابان منذ سبع سنين ٨٣٣١ زلزالاً اي نحو الف زلزال في كل عام وهي تحدث في محيط من الارض لا يتجاوز بضع مئات من الكيلومترات المربعة ولكن الاهتزازات تتوالى على الارض كلها الى ابعاد نائية . وبعد ان أصيبت يابان بزلزال يوكوهاما في شباط سنة ١٨٨٠ اجمع رأي العلماء عَلَى ضرورة انشاء جمعية دولية تبحث في سر الزلازل واتقائها فهمّ عامة الامم الى الاشتراك وفي المقدمة روسيا وايطاليا . وقد اقترح احد اساتذة ستراسبورغ (المانيا) ان يقام مكتب للزلازل يعمل بمعاونة ثلاثة وثلاثين قطراً مختلفاً عَلَى تبادل الملاحظات وينشر كل سنة فهارس بالزلازل ويعني بوضع مصورات للزلازل تكون مستنداً نافعًا جداً لوضع الاسلاك البحرية وانشاء البيوت فتعين فيها النقط التي تخلو من خطر الزلزال وبفضل هذا العمل المشترك يظن بانه بات يرجى عما قريب ان يتنبأ بالزلازل قبل وقوعها ويتحامى ما ينشأ عنها من المضار

الاسرة في اميركا

ظهر بالبحث والاستقراء ان نساء الولايات المتحدة ولا سيما من كان منهن من الاميركيات الاولى هن اقل النساء تناسلاً وان غير الاميركيات من نزيلات الولايات المتحدة هن اكثر نسلاً وفي مقدمتهن المرأة البولونية فان معدل اولادها ٦٦٢ ومعدل الاميركيات البيض ٢٦٧ ويجيء بالكثرة بعد البولونيات نساء الدانمرك ثم الالمان ثم الانكليز

ابادة الجرذان

معلوم ان الجرذان تضر بالحقول في سني الجدب خاصة وتأكل الحبوب والنباتات

وقد كان معول ارباب الزراعة عَلَى النمس يربونه ويدربونه عَلَى التهام الجرذان ولكن النمس يسطو ايضاً عَلَى الطيور وغيرها من الهوام النافعة وربما كانت القطط والكلاب انفع في ابادة الجرذان خصوصاً اذا كانت هذه قريبة من تلك لصيدها عَلَى ايسر سبيل. وقد اعتمد بعضهم عَلَى كربونات الباريوم في تسميم الجرذ وآخرون عَلَى سم دانيس وهذا السم يسري من المسمم به الى غيره من الجرذ السليم فلا تلبث ان تهلك عن آخرها خصوصاً اذا وقع تحضيره في الاماكن التي يجري التسميم بها لانه ظهر انه يفسد بعد شهرين من عمله فاذا حمل الى القاصية ضاعت فائدته وهم الآن يبحثون في اقرب الطرق للانتفاع به فاذا صحت تخدم الزراعة والنبات خدمة مهمة

النساء العاملات

انشأُوا في الغرب منازل للفقراء الرجال من العملة يستأجرونها بثمن بخس جداً وفيها مرافق الحياة واسباب الراحة وقد كانت انكلترا سابقة غيرها في هذا السبيل فانشأت بلديتا منشستر وغلاسكو فنادق للعاملات فيها مئات من الغرف تكري الواحدة منها في الليلة من ٧ الى ١٢ فلساً وتربح البلدية اربعة بالمئة من ريع هذه الفنادق التي تساعد العاملات وتفكر بلدية لندرا في انشاء مثل هذه الفنادق كما سبق لها ان انشأت وانشأ الافراد بيوتاً رخيصة

احصاء الجنسين

تبين من الاحصاءات الاخيرة ان عدد النساء لا يزيد كثيراً عن عدد الرجال في المانيا والزيادة ثمانمائة الف امرأة فقط وما قيل من قلة الزواج لم يصح لان ٩٠ في المئة من النساء يتزوجن ولكن العجيب ان يلد في العادة اولاد ذكور اكثر من الاناث وموت المرضعات يؤدي ابداً الى نقص الذكور من الاطفال

شرب الشفة

ما برحت الشعوب المتحضرة تبحث منذ الازمان الموغلة بالقدم في الطرق القريبة لجلب المياه الى المدن فقد كان حمورابي يوزع المياه عَلَى بابل من احواض جعلها وسط هذه المدينة وعيون المياه في صور واحواضها في القدس كانت من اهم ما عرفه القدماء في توزيع المياه للشفة وان مجرى الماء الذي أُنشيء في جزيرة ساموس هو اليوم من اجمل اعمال الصناعة في هذا الباب وكان الرومان يتفننون في جر المياه وما شوهد من آثارهم والمجاري التي اقاموها في كثير من انحاء مملكتهم تدل عَلَى براعة زائدة . ولطالما

كان ابقراط ابو الطب يحذر معاصريه من اخطار المياه القذرة الملوثة وتابعه على رأيه كثير من الاطباء وقد كانوا في اوربا خلال القرون الوسطى يحظرون الماء القذر في الينابيع العامة والآبار وكان معدل ما يلزم الرجل كل يوم في المدن من الماء ١١٤ لتراً في رومية في حين ان الباريزي اليوم يصرف ٢٠٠ لتر والهندي ١٨٠ والفيناني ١٠٠ لتر والماء الذي يستعمل في الصناعات غير محتاج الى التصفية والتطهير بالنفقات الباهظة ولذا ينصح علماء الصحة ان يجري الماء الى العواصم الكبرى في مجريين مختلفين على الاقل احدهما لشرب الشفة يكون طاهراً نقياً والآخر للصناعات والسقيا والرش يكون ماؤه عادياً

الحرف والحياة

تبين من احصاء جرى في بلاد الانكليز ان رجال الكنيسة اقل موتاً من جميع ابناء الحرف والمهن واكثر الناس موتاً العملة الذين لم يتعلموا مهنهم عَلَى الاصول وبعد الكهنة والقسس يجيء ارباب الحدائق والمزارعون بطول اعمارهم وقلة زيارة الحمام لهم وبعد ذلك يكون دور الميكانيكيين والوقادين في الخطوط الحديدية . وتطول اعمار ارباب الصناعات النظيفة الذين يتعاونون ويكثر فيها المعلمون . واهل الصناعات التي تستلزم قوة كثيرة ويتعرض اصحابها للمخاطر هم مستخرجو الحطب من الغابات والبحرية فانهم يموتون اكثر من غيرهم ومثل ذلك يصيب ارباب الصناعات التي تؤدي الى السكر كباعة الخمور وتجارها

الهلام النباتي

الهلام او الجلاتين نوعان منه ما يستخرج من الحيوان ومنه ما يستخرج من النبات فالاول يكون باغلاء جلود الحيوانات والعظام والاوتار والغضاريف في الماء الحار والثاني يستخرج من مواد منوعة نباتية بطريقة مشابهة لذلك وتصدر نروج اليوم هلاماً من نبات لا يستعمل غذاء بل يدخل في استعمالات اخرى فاذا صفي وبيض يستعمل في صقل الجوخ وفي بعض استحضارات أُخري ويستخرجونه من الخث (نبات الماء) الذي يكثر عَلَى شواطئ نروج فاذا حل جزء من عشرين جزءاً من هذا الهلام يكون منه هلام جيد ويباع حبوباً صغيرة لونها اسمر تصفر وتبيض فاذا حلت بالماء تنتفخ الحبات وكثير من انواع الخث الحلوة الطعم تحتوي على هلام يستعمله الفقراء في اوربا غذاء ويعملون منه رُبّاً وهو منتشر كثيراً في بلاد يابان ويصدرون منه خارج بلادهم

و يزرع الخث في ارخبيل ياپان واشتهرت جزيرة يزو بهلامها و يمزج الجلاتين الياباني في الحساء الصيني المعمول بالسنونو ويباع منه في ياپان بما قيمته مليونان ونصف من الفرنكات

متوسطو القرائح

كتب ماكس نوردو من علماء الاسرائيليين مقالة في المجلة الباريزية تحت هذا العنوان فقال ماحصله : احسن ماتهبه الفطرة لطفل منذ يوم ولادته ان تجعل له قريحة رائقة فهي اجمل الهبات بل آكد التعاويذ في نيل سعادة الحياة من الغناء والثروة . لا جرم ان القريحة تزين مشاهد العالم اكثر مما يزينها شرف المولد وجلالة المراتب فبها تستميل العواطف العادية في تصور الحقيقة الى عواطف انس وهوى وبها تتسع الثقة في القوة العاملة في شخصية المرء.

ولك ان تحكم عَلَى قدر القرائح وتأثيراتها بما يصيب العظماء وارباب المكانة في هذا العالم من الفرح والحب فيتوفرون عليها اذا احسنت بها اليهم الفطرة فقد كانت الملكة فيكتوريا صاحبة انكلترا تجد سبيلاً بين مشاغلها الكثيرة من تولي امر ٣٥٠ مليوناً من البشر ان ترسم عَلَى الورق والمقوى الرسم الملون (Aquarelles) وكان ابن عمها ملك البرتقال يصور الاقمشة والاقمشة التي تخرج من منقاشه اذا عرضت في المعارض تعرف من بين غيرها و يدرك الناقدون ان يداً تخلت عن الصولجان ساعات لتمسك المنقش . وترى الامبراطور غليوم يرسم و يصور و ينظم بعض الاناشيد والاغاني في آونة الفراغ وخال والدته الدوق ارنست الثاني ساكس كوبورغ قد ألف قصة باناشيد ابرزها للناس في دار التمثيل بقصره باسم مستعار وكان يجد لذة بين مشاغله ان يمثل التمثيل المضحك . وكان ماكسيمليان امبراطور المكسيك التعس الحظ شاعراً وقصائده الغنائية تشهد له بالغيرة و باحقية جهاده . واصدرت الارشيدوقة لويزدي توسقان مجلداً في الشعر يدل عَلَى انه كان في رأسها الاصهب مكان للاوزان والقوافي الشعرية .

واذا نزلنا قليلاً في درجات ارباب العروش ونظرنا الى اهل الطبقة الاولى في المجتمع نجد غواة البدائع والفنون كثيراً عديدهم فان الكونت بوست الذي يعزو الى نفسه المشكلة النمساوية المجرية كان يكتب بالفرنسوية قصائد رقيقة تنبئ عن اغراض عالية والدوقة ولية العهد دوزيس تعمل نصباً وهيا كل حسنة .

وللعقائل الكبريات في باريز منذ بضع سنين ردهة سنوية يسقط الناظر في قائمتها عَلَى جميع اسماء النبيلات ونساء الكبراء ولا يقبل فيها غير رسوم رسمتها اناملهن ويتبارى الاشراف مبتهجين امام ما صنعته ايدي ازواجهن البيضاء

ولجميع الاعمال الحرة ايضاً مجتمعات فترى المحامين والقضاة والاطباء والممثلين والصحافيين يعرضون فيها ثمرات حبهم للصنائع النفيسة من نقش ورسم وحفر ومنها يستدل على مبلغ ولوعهم بالرياضات البدنية ولوعهم بتشغيل عقولهم . لا جرم ان جميع غواة الشعر والموسيقى والفنون ينظرون انصراف اذهانهم الى هذه الصناعات الجميلة خارجاً عن عملهم يتلهون بها فقط زيادة عَلَى ما أخذوا انفسهم به من الاعمال مما دل عَلَى ان القريحة الصغيرة او النصف القريحة تعد من البركات اذا نميت لذاتها فقط ولما فيها من النفع ولما لها من الوقع . ولكن اذا اضاف امثال هذه الطبقة الى عملهم طمعاً وطبعاً جاء منهم اناس يغضبون وييأسون لانهم لم ينجحوا فيما هم بسبيله نجاح من استعدوا لهذه الصناعات بالفطرة وبرزوا فيها فاقبل الناس عليهم واعجبوا بما ترسمه يدهم الصناع . القريحة كائن يقوم بما يقوم به من العمل في العادة احسن من السواد الاعظم الذي يحاول الحصول عَلَى ذلك الاستعداد . والمادة الاصلية في القريحة القدوة والتقليد ويتأتي للقريحة ان تعلم الى حد محدود وفي مكنة كل رجل اعتيادي ان يجعل له قريحة وما القريحة الا بتعهدها وهي صورة حية من آثار النظر فيها والقريحة تتعهد في عهدنا بحيث يأتي من كل اثنين واحد ذو قريحة ولكن الانتفاع من ثمراتها انتفاعاً مادياً غير مضمون بل يتعلمها كما يتعلم الناس مايؤهلهم لاخذ الشهادة العالية في مبادىء العلوم فينال الشهادة المتعلمون ولكن لا يضمن لهم رزقهم منها بل هي اداة لتمدينهم

ويجب ان لايعتقد من يستطيع نظم بيت انه شاعر ولامن يمس القلم والريشة انه مصور او نقاش فان هذا الاعتقاد حمل كثيرين عَلَى اعتقاد الكفاءة في انفسهم وعتبوا على الدهر لانه لم يعطهم حقهم من النجاح ووهموا بانه يستحيل عليهم ان يرزقوا مما لم يتقنوه اتقان النابغين له ولا يقدر قدر ذلك الا من يدخل المخازن وقاعات الصناعات فيرى ادعياء هذه الصناعات يعرضون ما خطوا ورسموا وبئس ما يريدون ان يشتروا به ثمناً ولوقليلاً ويحشرون انفسهم في عداد العالمين والنابغين . وليت اولئك الادعياء علم ما لا يعلمون التمسوا رزقهم من خدمة محال القهوة او صنع الاحذية اذاً لرفعوا رؤوسهم في صناعاتهم بدون ان يوهموا انفسهم بان لهم قريحة حسنة ويداً صناعاً .

وترى الدعوى ايضاً اكثر شيوعاً في الادب فان عشرين الفاً من الناس يدعون الشعر والكتابة وقليل منهم من لم يكتب وينظم ويؤلف قصة او قصيداً وهم متوسطون فيما يخطون ويبقى تسعة اعشارهم خاملين لا شهرة لهم الا في دائرتهم الضيقة وكم يقاسون من الالم يوم يحكم الناس على المجيدين منهم ويشهدون الكتبيين واعلانات دور التمثيل والجرائد والمجلات لا تذكر الا غيرهم من النابهين النابغين وهم قلائل يواتيهم الحظ ويخمل جمهوراً كبيراً ولا غرو فالمجيدون في الآداب كالمجيدين الخارقين للعادة في الصناعات النفيسة اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر .

وبعد فاطلب لكل من تريد له الخير ان تعرى نفسه كل التعرية من القريحة كلها فذلك خير له من ان تكون له قريحة تافهة يرافقها طمع فيه وهو طمع يضر بالنابهين ولا يفيد الآخرين من الخاملين

الفيل في الكونغو

يقدرون عدد الفيلة في افريقية من ثلثمائة الى اربعمائة الف فيل يقتل منها كل سنة نحو خمسين الفاً لاخذ العاج منها وقد اتخذت اساليب كثيرة لوقايتها مخافة ان ينقرض نسلها فحظرت بعض حكومات افريقية من الاوربيين صيدها بالنار او بشراك وان يقتل اناثها وصغارها التي يكون نابها اقل من خمسة كيلوغرامات وعلَّى الفيلة في معظم اصقاع افريقية يحمل الناس اثقالهم فيحمل الواحد منها ما لا يحمله ثلاثون او اربعون زنجياً والفيل في افريقية كما هو في الهند مورد ربح لصاحبه يساوي الواحد ٢٥٠ ليرة ودخله من ١٥ الى ٢٠ ليرة وهو يحرث الارض ويفتح الطرق وله غير ذلك من الفوائد

صناعات النساء

تزداد الصناعات التي ينصرف اليها النساء في بلاد الغرب اليوم بعد اليوم ويقبلن خاصة في الصناعات الاجتماعية . ولقد ابرزن في هذا الباب صفات فائقة وكانت جذوة هذا النور منبعثة من المانيا والنمسا . فقد عهدت بعض مدن النمسا مثل فينا وغراز وبراغ ولمبرغ وبرون الى النساء مناظرة العمل في الصناعات التي يشتغل بها العاملات من بنات جنسهن خاصة وانشأ مجلس ولاية بومرانيا في المانيا مهنة جديدة للنساء يعهد اليهن ان ينشرن بين سكان الحقول مبادئ تربية الاولاد (Puériculture) والاقتصاد الاهلي وحفظ الصحة والعمل اليدوي وغير ذلك . وعينت مدينة اونابروك في المانيا امرأة للعناية بالفقراء والنظر في احوالهن ورأت بلدية كيال في المانيا ان تعتمد

عَلَى النساء لمقاومة الالكحول وانقاذ من أُصيبوا بتعاطيها فعينت عشر نساء لمعونة المدمنين والتأثير فيهم فاسفر عملهن عن احسن النتائج · وعينت حكومة الدانيمرك احدى الاوانس مفتشة عَلَى مطاعم المدارس في القرى ·

و يزداد تعيين النساء في الشرطة بصفة مساعدات وقد انشأت فنلاندا — وهي مرتقية جدًّا من حيث الاصلاحات الاجتماعية وان كانت مضطهدة من حيث احكامها — سنة ١٩٠٧ ثماني وظائف لمعاونة رجال الشرطة تولاها النساء وهن يقبضن رواتب كرواتب الرجال واهم ما يعهد به اليهن انقاذ النساء والبنات مما يطرأُ عَلَى اخلاقهن وارجاعهن الى حظيرة العمل الشريف ومحاربة الاتجار بالرقيق الابيض وان يحملن العجوزات والاولاد الذين لم يرزقن حظًّا من التأديب في اماكن لائقة وقد ظهرت فوائد ذلك كله حتى ان فنلاندا عزمت ان تنشئ وظائف مثل هذه في جميع بلادها وما زالت المدارس الزراعية للبنات تتكاثر في معظم بلاد الغرب وبها تهيأت مهن جديدة لهن فان الجمعية الزراعية في جنوب اقليم سواب من المانيا قد انشأَت مزرعة لتربية الطيور Aviculture عَلَى الاصول الحديثة عهدت بادارتها الى امرأَة وتقام فيها دروس خاصة بالنساء فقط

واحدثت نظارة التجارة في انكلترا عدة وظائف مديرات لمكاتب وسطى لاستخدام عملة للزراعة · وشعرت بعض البلاد الالمانية بان النساء يقتضي عليهن العوم والسباحة ولكن قلة الاساتذة من بنات جنسهن منعهن عن هذه الرياضة الجسدية المهمة فانشأَت جمعية هناك تعلم الفتيات اللائي عقدن العزم عَلَى تعلم السباحة وبعد ان يفحصن ينلن شهادات مؤذنة بكفاءتهن · وللنساء في المانيا شأن كبير في بيع الكتب فان عددهن فيها يبلغ ١٢٠٠٠ اي اكثر من ربع من يشتغلون بهذه التجارة · وقد اخذ النساء في المانيا في العهد الاخير يحترفن بالنجارة وصنع الجمة والنقش والتجليد والحلاقة والخياطة وعَلَى كثرة من كن منذ زمن يتعاطين الصناعتين الاخيرتين كان من المتعذر عليهن في المانيا ان يعملن بحسابهن اما الآن فهن في حل مما يردن ·

وفي فيينا نساء يصنعن الزجاج و ينلن بصناعته شهادات تؤْذن بكفاءتهن ومن النساء من يتعلمن صناعات الساعات · ومن النساء النبيلات في انكلترا من اقتحمن اوهام محيطهن وقمن لادارة المشروعات الاقتصادية وكثيرات منهن الآن مديرات لفنادق كبرى ولبعضهن محال لقص الشعور والغسيل وعمل المربيات · وقد احدث النساء في اميركا حرفة جديدة وهي تنظيم السهرات فيعهد الى بعضهن ان يقمن بلوازم ليالي الانس

والفرح . وكثر عدد النساء المستخدمات في السكك الحديدية وادارات البريد حتى عمدت بروسيا موءخراً ان تقبل باستخدام النساء في بعض الخطوط الحديدية على شرط ان تكون ساعات عملهن مساوية لعمل الرجال ولكنهن يقبضن نصف الاجور التي يتقاضونها . وفي هولاندة قامت موءلفة للاناشيد الوطنية فاصبحت مديرة جوقة مشهورة وبزت الرجال في هذا الشأن . وهكذا يعمل الغربيون رجالهم ونساوءهم كل بحسب قوته وغنائه فمتى يطرس الشرقيون عَلَى آثارهم في النافع من هذه المدنية المدهشة

الحس في النبات

يظن بعضهم ان النبات لا احساس له كما للاحياء وذلك لانهم ينظرون اليه بالعين المجردة فيقع في نفوسهم انها احط في الاحساس من نباتات البحر وانت اذا عمدت الى نبات الالودة élodée الكانادي الذي يطلع في المياه العذبة ويتأتى له ان يعيش بدون جذوع ونزعت منه ورقة بمقص وفحصتها بالمجهر ووضعتها في صحفة فيها نقاط ماء لاتلبث ان ترى فيها خلايا مستطيلة قليلاً فيها عدة اجسام مدورة خضرة وحبوب الكلوروفيل كل ذلك ساكن لايتحرك حتى اذا مضت خمس دقائق او عشر او خمس عشرة دقيقة ترى فيها تلك الحبوب تتحرك حركة قليلة اولاً ثم تزيد وتتراءى لك الحبوب تسير عَلَى طول الصفحة يتبع بعضها بعضاً ثم تعود الى محلها الاول في دقيقتين ثم في دقيقة هكذا تدور في كل خلية ومنها مايذهب ذات اليمين ومنها ذات الشمال ومنها مايسير بسرعة ومنها ببطء

كل هذا ممايدل دلالة ظاهرة على وجود الحس في النباتات واعظم تلك الجوارح فيها النظر الذي به ترى النور ولا تميز بين المرئيات كما هو الحال في ديدان الارض وسمك البولان (المحار) والمرجان وغيرها التي ليس لها حاسة النظر ولكنها تشعر بالاحتكاك الذي ينالها من اشعة الشمس اذا أُصيب بها ومانهبه للحيوانات لماذا نسلبه عن النباتات . ومن السهل ان نبين تأثير النور في النبات وذلك بان نغرس نباتاً في مكان ليس له سوى نافذة واحدة من جهة واحدة فنرى سوقها وهي تنمو تتجه نحو النافذة مما يدل كل الدلالة عَلَى انها تحب الشمس وهذا الحس من السوق بالنور يوجد في الجذع ولكن هذا لايحب النور ويهرب منه شأن من قويت فيهم حاسة النظر فانهم يستظلون من الشمس عندماتحمى جمرتها واوراق النبات تتعرض للريح في النهار وهي تنام في الليل فتغير حركتها ومن النبات ما ترى فيها ذلك محسوساً واكثرها زهر العسل وعصيفرة Chèvrefeuille Capucine والخث او نبات الماء يسهل ان يدرس فيها تأثير النور

والمس هو من الحواس المشهودة في النبات وترى المستحية Sensitive لادنى لمس يتحرك وريقاتها بعضها فوق بعض و يعاق اوراقها نحو الاسفل وقد عللوا ذلك بان هذا النبات متى مس يغادر الماء حواسها ليذهب الى الساق فينقبض هذا وهناك نبات آخر اسمه طراد الذباب Dionée attrap - mouche هو من النباتات التي تلحق الاجسام المجاورة مثل الكرم والبطيخ فانه اذا لم يجد في جواره ما يعرش عليه يخرج مستقيماً . وفي الزهور ايضاً اجناس كثيرة تحس باللمس . والذوق يوجد في النبات ولا سيما في الخث او نبات الماء فانه محسوس فيه فاذا وضع في الماء اجزاء ذات طبائع مختلفة لايجلب الخث اليه وذلك بان يخرج في سطحها محتقراً ماعداه . اثبت العلماء النظر واللمس والذوق للنبات وربما لا يلبثون بعد البحث ان يثبتوا لها قريباً الشم والسمع فسبحان من خلق من خلقه اناساً يفكرون الليل والنهار في تعليل هذه الكائنات وزهدنا في كل نافع فاحتقرنا كل علم .

الجنس الابيض

البحث في اجناس البشر من اهم المباحث الحاضرة ويقولون ان الجنس الابيض يسعى ليكون حاكماً على بقية الاجناس وان يكونوا تحت سلطته وملكه وهذا من الابحاث الاستعمارية فكل جنس من الابيض يطلب استعمار هؤلاء وهذا ماحدا بالمسيو جونستون ان يتجشم الصعوبات والاسفار الشاسعة ليوفق الى حل هذه المشكلة العظيمة . قال بعد توطئة لهذا البحث هل في وسع الجنس الابيض ان يسكن البلاد القطبية؟ كلا هذا امر مستحيل اذ الاقليم هناك يمض جسم الابيض حتى يقتله . والابيض قليل النسل بالنسبة الى هؤلاء ولكنه يعنى بتربيتهم اولاده وكذلك يستحيل عَلَى الابيض ان يقوم بالاعمال المادحة في البلاد الحارة

يفوق الاوربي اهل هذه الاجناس باعتنائه بصحته والتوقي من الامراض ولكنه لا يمكنه ان يعيش في اقليمهم كما قدمت سابقاً . ان الاختلاط ببقية الاجناس مفيد جداً ونرى نتيجته الحسنة في سيبريا من اختلاط الروسيين بالجنس الاصفر المغولي ولكي نستحكم روابط المودة بينهم يجب عَلَى الجنس الابيض ان يعاملهم معاملة حسنة بالمساواة والاحترام ولا ينظر اليهم نظر الاحتقار ومن الخطل ان ننظر الى جنس الاصفر والاسود والاحمر ونحكم عليهم بالنقص في جسدهم وعقلهم اذ ربما فاق الابيض فهذه الامة الصينية واليابانية هي اليوم غيرها بالامس وكذلك الزنوج لا يطول امرهم وهم عَلَى هذه الحال من التأخر

ان هؤلاء يتأثرون ويخفون في صدورهم البغضاء عند ما يقرأون في جرائدنا وكتبنا الحملات الفادحة التي نحملها للحط من اقدارهم ولا بد ان يأتي يوم قريب ونرى انفسنا تحت حكومة هذه الاجناس وسلطتهم . يلزمنا زمن لمعرفة معنى الاخاء الحقيقي حتى نتلطف مع هؤلاء ونعاملهم معاملة حسنة اذ الانسانية تقضي علينا ان نعامل المخلوقات باحترام ورفق . لاجل احترام هذا المبدإ يجب ان نبحث ونتدين بدين يكون عاماً للبشر خالياً من الوضع والبدع الجنسية ويمكن ان تكون هذه الديانة المسيحية ولكن بعض اربابها يتكالبون في الاستيلاء على مراكش والكونغو وغيرهما من البلاد .

الفنادق في سويسرا

كان عدد الفنادق في سويسرا سنة ١٨٨٩ ١٠٠٠ فندق تحتوي على ثمانية وخمسين الف سرير وفي تقويم سنة ١٨٩٩ بلغ مجموع الفنادق ١٩٠٠ و ٠٥٠٠ اسرير وهذه الفنادق تشغل في عرصاتها ٣٤٠٠٠ الف عامل منهم ١٤٠٠٠ يدأبون على العمل طول السنة . رأس مال هذه الفنادقه ٨٠٠ مليون فرنك صرف منها ٥٠٠ لاجل تشييد البناء ومجموع الواردات في كل سنة ١٩٠ مليوناً فاذا اعتبرنا هذا الرأس مال مأخوذاً بالفائدة تكون الخسارة خمسة في المائة بالنسبة الى الواردات .

خاتمة السنة السادسة

يختم المقتبس اليوم عامه السادس لانشائه في القاهرة والثالث لصدوره في دمشق ويحمد الله على ان جعل اعوامه الثلاثة في ربوع الشام لا تقل عن اعوامه الثلاثة الاولى في ربوع مصر بتحقيق المسائل واشباع الموضوعات ونقل اوضاع الغربيين والشرقيين المحدثين منهم والمتقدمين ومراعاة ما اخذ النفس به على قدر الامكان من عدم التعرض للابحاث الدينية والسياسية لتكون مقالاته ومباحثه ثابتة في الجملة لا يغيرها تبدل النزعات المذهبية والاهواء الحزبية او الشعوبية اوالاستعمارية

وهنا نعاهد القراء على بذل الطاقة في هذه الخدمة الشريفة مستعينين بالله وبمؤازرينا الكرام الاعلام الذين جعلوا من هذه المجلة حديقة يانعة بثمار دروسهم وابحاثهم . وقد زدنا منذ السنة القادمة في صفحات مجلد السنة ١٦٠ صفحة فيدخل المجلد في السنة المقبلة في ٩٦٠ صفحة بدلاً من ٨٠٠ بحيث يصيب كل جزء ٨٠ صفحة . ولله نسأل المعونة والهداية والعفو عما طغى به القلم من الخطيئات والمفوات

فهرس المجلد السادس
من المقتبس

402

(ي)